



جامعة تشرين التقنية



كلية الآداب

المؤتمر العلمي الدولي المحكم الثالث

حوار الحضارات والثقافات "الإرهاب آفة العصر"

١٠-١٢/١٠/٢٠١٨م

#	أعضاء اللجنة التحضيرية	
١.	الدكتور حسين الزيداني	رئيس المؤتمر
٢.	الدكتور عبدالله الشهابات	رئيساً للجنة التحضيرية ومقرراً
٣.	الأستاذ الدكتور أحمد الذنبيبات	عضواً
٤.	الأستاذ الدكتور سلامة الغريب	عضواً
٥.	الأستاذ الدكتور خالد الخلفات	عضواً
٦.	الدكتور علي الشباطات	عضواً
٧.	الدكتور محمد المطارنة	عضواً
٨.	الدكتور حسن المومني	عضواً
٩.	الدكتور عمر العموش	عضواً
١٠.	الأستاذ الدكتور منير شطناوي	عضواً/الجامعة الهاشمية
١١.	الأستاذ الدكتور حسين محادين	عضواً/جامعة الحسين بن طلال
١٢.	الأستاذ الدكتور محمد القرالة	عضواً/جامعة مؤتة
١٣.	السيد عطية الجدور	عضواً
١٤.	السيدة رقية القرعان	سكرتيرة المؤتمر

#	لجنة التحكيم	
١.	الأستاذ الدكتور علي المحاسنة	جامعة مؤتة
٢.	الأستاذ الدكتور أحمد القرارة	جامعة الطفيلة التقنية
٣.	الأستاذ الدكتور محمد القضاة	الجامعة الأردنية
٤.	الأستاذ الدكتور فواز الزبون	جامعة اليرموك
٥.	الأستاذ الدكتور جهاد حمدان	الجامعة الأردنية
٦.	الأستاذ الدكتور أحمد مجدوبة	الجامعة الأردنية
٧.	الأستاذ الدكتور ظافر الصرايرة	جامعة مؤتة
٨.	الأستاذ الدكتور محمد المطلقة	جامعة مؤتة
٩.	الأستاذ الدكتور عمر الفجاوي	الجامعة الهاشمية

الفهرس

#	الباحث	عنوان البحث	الصفحات
١.	إد. شمامة خير الدين	الأمير عبد القادر الجزائري رائد حوار الأديان	٤٠٣
٢.	إد. فرست عبد الله يحيى الوريثي	التدابير الوقائية لمكافحة الإرهاب في ضوء السنة النبوية	١٨٠٥
٣.	د. إبراهيم ياسين	صورة الإرهاب في خطاب جلالة الملك عبد الله الثاني في المحافل الدولية والبيئات مكافحته	٢١-١٩
٤.	د. الحارث محمد سبيبان الحاملة	الجهود الأردنية في مكافحة الإرهاب " دراسة في دور المؤسسات السياسية الأردنية في مكافحته"	٣٩-٢٢
٥.	د. عبدالله قزان	تداعيات الإرهاب الاجتماعية على الأردن	٥٢-٤٠
٦.	إ.م. د. عز الدين حسن جميل	علاج الإرهاب في الشريعة الإسلامية	٦٠-٥٣
٧.	د. محمد خليل القبايلين	التطرف والإرهاب، وثقافة قبول الآخر	٧٢-٦١
٨.	د. محمد بن عبدالله العامر	التطرف الديني التاريخ - النشأة - الأسباب	٨٤-٧٣
٩.	إ.م. د. منى عبد الكريم حسين القيسي	تاريخ الصراع الحضاري والحركات الهدامة في المجتمع العربي (بلاد الرافدين وجنوب بلاد الشام) خلال عصر ما قبل الإسلام.	٩٥-٨٥
١٠.	د. إسمايل السعيدات	دور المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في محاربة الإرهاب	١١٣-٩٦
١١.	د. أياد كامل إبراهيم الزبياري	الثقافة المقاصدية ودورها في نيل الإرهاب التطرفي	١٣٤-١١٤
١٢.	إ.م. د. بتول أحمد حسن كرزون	دور الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري للشباب	٢٠٤-١٣٥
١٣.	د. تامر محمد محمود متولي	أثر ترجمة الكتب المقدسة على "حوار الحضارات والثقافات" دراسة لمدارج من ترجمة فقرات من الكتب المقدسة (التوراة والانجيل والقرآن) وبين أثرها على حوار الحضارات والثقافات	٢١٨-٢٠٥
١٤.	د. تامر محمد محمود متولي	أثر التحيز على حوار الحضارات والثقافات " التحيز ضد اليهودية نموذجاً"	٢٣٠-٢١٩
١٥.	د. جمال نواره	دور المقاربة الجزائرية في محاربة الإرهاب والتطرف	٢٣٩-٢٣١
١٦.	د. خالد مصطفى السراحنة	الغلو في الدين حكمه وأثره وسبل علاجه في السنة النبوية	٢٥١-٢٤٠
١٧.	د. سناء أحمد القضاة	الورقة النقاشية السابعة لجلالة الملك عبد الله الثاني	٢٦٧-٢٥٢
١٨.	د. بداوي عبد القادر، الفاضلة غنيم شهرزاد د. بداوي عبد القادر	التطرف الديني من وجهة نظر الشباب الجامعي الجزائري	٢٨٣-٢٦٨
١٩.	إد. شوكيت عارف محمد الأتروشي	المحاولات الإرهابية للشعبيين (الإسماعيلية) لاغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي	٢٩٤-٢٨٤
٢٠.	إد. طه فريخ صالح عبدالله	الإرهاب (أسبابه وطرق الوقائية منه)	٣١٤-٢٩٥
٢١.	د. عاطف خلف العبيدة	المؤسسات الأكاديمية حصن منيع لمواجهة التطرف والإرهاب	٣٢٠-٣١٥
٢٢.	د. لعمى عبد الرحيم، د. لغزالي صليحة	واقع ثقافة التواصل في المجتمع الدولي المعاصر	٣٢٤-٣٢١
٢٣.	الدكتور عبد هادي فريخ القيسي، الدكتور ياسين خضير مجبل	التطرف وأثره على المجتمع	٣٣٢-٣٢٥
٢٤.	د. علي عبود المحمداوي	دور الجامعات الشرعية في محاربة الإرهاب "جامعة الزيتونة التونسية لنموذجاً"	٣٤٣-٣٣٣
٢٥.	د. علي عبود المحمداوي	تعارف الحضارات " مشروع السلام الذي لم ينجز بعد"	٣٥٥-٣٤٤
٢٦.	د. فتيحة جمعة محمد عربي	صفحات تاريخية لأشكال الإرهاب الديني بالمغرب الإسلامي: الشيعة الإسماعيلية نموذجاً	٣٥٦-٣٢٣
٢٧.	د. لحظه كريم الجعفرية	التطرف الديني التاريخ والنشأة	٣٨٠-٣٧٤
٢٨.	د. ليلى بيده	واقع ثقافة التواصل في المجتمع الدولي المعاصر " تكريس لمبدأ التنوع الثقافي أم هيمنة للثقافة الغربية"	٣٩٠-٣٨١
٢٩.	د. ماجد عبد العزيز الخواجا	المواطنة والمسؤولية المجتمعية كخيار متقدم للدولة المدنية " مقارنة مع أطروحات الأوراق النقاشية الملكية"	٤٠١-٣٩١
٣٠.	د. محمد إبراهيم أبو جريبان	خطر الإرهاب والتطرف	٤١١-٤٠٢
٣١.	د. محمد حسين الزغول، ا. ابتسام أمين الصمادي.	دور التنمية في الحد من التطرف والانتشطة الإرهابية	٤٢٠-٤١٢
٣٢.	د. محمود عزو حمندو	الحوار والتفاهم المجتمعي لمواجهة التطرف في المنطة العربية	٤٤٨-٤٢١
٣٣.	د. ناصر محمد السلطاني	ظاهري الإرهاب والتطرف النشأة والحاضنة	٤٦٤-٤٤٩
٣٤.	الفاضلة نجاة الطاهر قرفال	خطاب الاستعراب: هل يغذي الإرهاب؟ (شارل منشكور نموذجا)	٤٧٧-٤٦٥
٣٥.	د. وليد عبد الهادي العويمر	دور الجامعات الأردنية في مكافحة الإرهاب والفكر المتطرف	٤٨٤-٤٧٨
٣٦.	الفاضل صهيبي سهيل غازي زامل، بوشاشية شهرزاد	دور المصالحة الوطنية في القضاء على التطرف والإرهاب " الجزائر نموذجا"	٤٩٤-٤٨٥
٣٧.	م.م. نور ليث مهدي	التعاون الدولي والأقليمي في مكافحة الإرهاب	٥٢٨-٤٩٥
٣٨.	د. محمد عبدالسلام حسن الحضيرى	الغلو والتطرف بين التاصيل والهدى النبوي في التصدي لهما	٥٢٩-٥٢٦
٣٩.	الدكتورة أسماء غمري	مفهوم التطرف الديني وتشاكله التاريخي بين الغرب والشرق	٥٣٧-٥٤٧
٤٠.	د. لخضر بوالمطين	الإرهاب بين القراءة الجيو-حضارية والقراءة الجيو-سياسية	٥٥٤-٥٤٨

مقدمة

يعرف الأستاذ Claude Basset حوار الأستادة عفافدل الكلام والإصغاء المتبادل والملتزم، على قدم المساواة للمؤمنين بمعتقدات دينية مختلفة". وحتى يكون الحوار حقيقيا وهادفا، عليه أن يبحث على حد قول الأستاذ Jacques Dupuis عن "الفهم المتبادل داخل الاختلاف، في إطار الاحترام الصادق والاعتزاز بقناعات أخرى غير القناعات الشخصية (...). ولذلك فإنه (...) ليس على المسيحيين أن يتركوا اخلاصهم للمسيح عيسى، وفي المقابل يعترفون لشركائهم الذين لا يتقاسمون معهم عقيدتهم بحقهم وواجبهم غير القابل للتقادم بالالتزام بالحوار مع الحفاظ على قناعاتهم الشخصية (...)".

إن هذا الحوار الهادف، المتسامح والقائم على الاستماع المتبادل لجميع الشركاء، دون أن يفرض أي واحد منهم قناعته على الآخر، هو الذي مارسه الأمير عبد القادر قولا وفعلا خلال القرن ال ١٩، مما جعله رائد حوار الأديان بامتياز، وهذا هو الموضوع الذي أقترحه على مؤتمركم.

أما أهمية عرض هذه التجربة المبكرة، فإنها تكمن في الاستفادة منها لأنها لم تتوقف عند ممارسة الحوار نظريا، بل امتدت إلى تطبيقات عملية في علاقة الأمير المسلم مع المسيحيين زمني السلم والنزاع المسلح، وسوف يكون عرض كل ذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي أما الإشكالية المطروحة، فإنها التالية: في مجتمعنا الدولي المعاصر، كثيرة هي التصريحات الرسمية وغير الرسمية التي تدعو الى حوار الأديان، لكنها تتزامن مع ممارسات نقيضة لذلك الحوار، ف "الى أي مدى يمكن القول بأن الإيمان الحقيقي بحوار الأديان هو ذلك الذي تأكده الممارسات العملية؟"

وللإجابة عن هذه الإشكالية، أقترح خطة تنقسم الى محورين

المحور الأول: حوار الأديان نظريا

سوف أعرض من خلال هذا المحور الملخص مقتطفات من حوارات أجراها الأمير مع غيره ولقد كان أول من دعاه الأمير إلى التحوار الأسقف Dupuch، ونظرا لحساسية النقاش بين مختلفي الديانة في القرن التاسع عشر، فقد بدأ الأمير بطمأنة الأسقف بأن حوارهما "لن يكون في روح نقاش فيه جدال مهيج ولكن بهدوء، بصدق وبنزاهة، كما يجب أن يكون بالنسبة الى عقول نبيلة [هذا هو الجو] الذي أربغ في التحدث فيه حول هذه المسائل الكبرى والمقدسة"

ومع نهاية ذلك الحوار، علق عليه الأب Dupuch بأن محاوره "على تقوى لا يشوبها مرض، قريب من الحقيقة، كما ربما، لم يعتقد أحد".

أما المحاور الثاني للأمير، فقد كان الأب Charles Eynard، ولقد سأله الأمير حول ما إذا كان من الذين يعتبرون المسيح عيسى كابن لله بمعنى الأبوة العادية، أم كابن لله ولكن هذا الابن أدنى مرتبة من أبيه أم من الذين يعتبرونه نبيا كبيرا؟! ولقد أجابه الأب Eynard بأن عيسى بن الله وهو مثل أبيه ولكنه أدنى من أبيه

أما السؤال الثاني، فقد كان حول ما إذا كانت كلمات العهد الجديد هي أيضا كلمات الله، شأنها شأن الكلمات التي أملاها الله على النبي موسى عندما كلمه، ولقد كانت إجابة الأب: "إنها قصة المسيح عيسى وما فعله قومه"، لكن الأمير سرعان ما أردف قائلا: "ولكن من قال لك أن الله هو الذي أملى هذه القصة وبأن الله كلمك في هذا الكتاب"، فأجاب Eynard دون أن يقدم إجابة دينية ولكن عبر سرد قصة حياته الخاصة، كيف أنه لم يكن مؤمنا ولا محبا لله، لكن تلك الكلمات غيرت حياته جذريا، مما أدى إلى امتلاء روحه بالفرح.

أما السؤال الثالث الذي طرحه الأمير، فقد كان حول عودة المسيح عيسى وقد رد عليه Eynard بأن المسيح عيسى سيعود لكي يعاقب الأشرار ويدافع عن المظلومين، وفي نهاية الحوار علق هذا الأخير عن الاستفادة المتبادلة بينه وبين الأمير بقوله: "لقد اندهشت عندما علمت معنى كلمة مسلم إنها تعني الخاضع لإرادة الله".

أما ثالث محاور للأمير عبد القادر، فقد كان الكونت Alfred de Falloux والذي قال قبل الشروع في الحوار لنجعل الله شاهدا "على الكلمات التي سوف نتبادلها"، فرد الأمير: "إلهانا ليسا مختلفين إلى الحد الذي نعتقد. إننا أبناء أمين مختلفين ولكن من نفس الأب"، غير أن أسئلة الكونت المتتالية كانت بأكملها تتجه صوب تنصيره ولذلك ختمها بالسؤال المباشر التالي: "ألا تعلم أن ربنا له نائب على الأرض، نلقبه البابا (...). ألن تقيم بروما بكل سرور، ألن تبحث فيها بكل احترام عن

آثار المسيحية؟" فأجاب الأمير: "إنني أحترم البابا وأعتبره صديقا للمؤمنين المخلصين(...). لقد طلبت أن تتركني السفينة التي تنقلني إلى مكة أستريح بعض الوقت في روما وإذا أراد البابا أن يعقد ندوة بين أساقفته وعلمائي، سأكون سعيدا بأن يكون لي مكان فيه، اسألوا الفرنسيين الذين رافقوني، إن لم تكن هذه الرغبات مألوفة بالنسبة إلي". ولقد اندهش الكونت مما سمع، فاعترف بأنه صعب ب"هذا الانفتاح غير المتوقع (...). إنها وجهة نظر كبيرة ونبيلة (...). تركت قلبي متأثرا وروحي متيقظة".

المحور الثاني: حوار الأديان عمليا

سوف أعرض من خلاله كيف ترجم الأمير إيمانه بحوار الأديان الى ممارسات عملية، حيث لم يكن حوار الأديان عند الأمير عبد القادر شعارا يتباهى به، بل إيمانا حقيقيا، لأن جميع القناعات المشار إليها في المحور الأول، كان من الممكن التخلي عنها من قبل الأمير المسلم في علاقته بالمستعمر الفرنسي المسيحي، إلا أن الأمير المجاهد في سبيل استقلال بلده، خاض حوار أديان آخر تطبيقيا مع المسيحيين داخل وخارج الجزائر.

إن الأمير لم يكن يقاتل سوى المقاتلين الفرنسيين، دون الفئات الأخرى، فمن بين توجهاته لمقاتليه، تحاشي الشيوخ والنساء والأطفال وفاقدي الصواب. أما الفرنسيون الذين يفرون اليه، فإنه يستفيد من خبرتهم، أو يجد لهم مأوى داخل الجزائر أو خارجها ويبقون في جميع الأحوال تحت حمايته. كما أن الرهائن يشترط فيمن يخطفهم أن يسلمهم سالمين مسلمين، يحترم ديانتهم ويعاملهم بإنسانية وإلا سوف يعاقب، في حين أن الأسرى أوكل الاهتمام بهم لأمه لالا زهرة شخصيا، يحصل هذا على الرغم من أن الفرنسيين كانوا يصفونه ب"الحيوان المتوحش" والناسك الدموي" الذي يجب الثأر منه من أجل أرواح إخواننا لأن الدم يريد الدم" حسب أوامر القائد الفرنسي La Voisonne، بل إن الجنرال Bugeaut يقول عن مقاتلي الأمير المدافعين عن حرية بلادهم "إذا اسحب هؤلاء الأوغاد الى مغاراتهم، دخنهم بإفراط"، فما الذي يجعل الأمير لا يعاملهم بالمثل سوى إنسانيته التي تؤمن بأن النفس البشرية كرمها الله مهما كانت ديانتها.

ومن مظاهر الانفتاح الديني الأخرى أن اليهود الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من رعاياه، كان يرسلهم كمبعوثين دبلوماسيين نظرا لمهارتهم في التفاوض وتعدد لغاتهم.

أما خارج الجزائر، فقد كان منقذ المسيحيين خلال الفتنة الطائفية بين المارونيين والدروز، وذلك عندما اتجه برفقة أبنائه وبقية الجزائريين الذين كانوا معه والذين دربهم على إخماد الحرائق والقيام بالإسعافات الأولية، الى منطقة كانت في أوج غليانها، وفتح داره لحوالي ١٥ ألف من النساء والأطفال والشيوخ والراهبات، متكفلا بغذائهم وعلاجهم، ناهيك عن وضع بعض القنصليات والسفارات تحت الحراسة، لأنها كانت مهددة بالهجوم عليها بسبب تأييدها لهذا الجانب أو ذلك.

إن الأمير في كل ذلك لم يفكر في المسيحي أو المسلم، بل فيما يمليه عليه دينه: "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا". (البقرة/١٧٩)

وفي الختام أرغب في الإشارة الى أن ما لاحظته مبدئيا هو أن حوار الأديان له محفزات، كما يواجه تحديات.

ومن أهم المحفزات أن الأمير كان فاهما للدين ومتدبرا له لأن جميع تصرفاته كانت تستند الى القرآن الكريم، كما كان مثقفا حقيقيا، له مؤلفات عديدة ومطالعات متنوعة. كل ذلك جعله لا يزعم بأنه يملك الحقيقة المطلقة، بل مستعد دائما للاستماع للرأي الآخر. وبما أن الغرض من عرض هذه التجربة هو الاستفادة منها في وقتنا الحالي، فإن التحديات التي أرغب في الإشارة إليها هي كل ما من شأنه إعاقة الحوار الجاد بين الأديان مثل: الخلط بين الإرهاب والإسلام، الزعم بصراع الحضارات، منح جامعة تورين سلمان رشدي الدكتوراه الفخرية عن إنجازاته وخاصة "الآيات الشيطانية"...

الفهرس

التدابير الوقائية لمكافحة الإرهاب في ضوء السنة النبوية

أ.د. فرست عبد الله يحيى الورميلي

قسم الدراسات الإسلامية/ فاكولتي العلوم الإنسانية

جامعة زاخو / إقليم كردستان العراق

dr.f.warmely@gmail.com.

رقم الهاتف : ٠٠٩٦٤٧٥٠٤٥٩٢٧٣٦

ملخص البحث

الإرهاب من الظواهر الخطيرة التي ابتليت به العالم اليوم، إذ يشهد كثير من الدول يوماً أعمالاً إرهابية خطيرة متعددة ومتنوعة هدفها ترويد وتخويف الناس الأمنيين وقتلهم بالإضافة إلى تدمير مؤسسات ومنشآت مدنية، ف جاء البحث لتسليط الضوء على ماهية الإرهاب وآثاره الخطيرة على الأفراد والجماعات والدول -إن تُرك دون مكافحته والقضاء عليه-، والتطرق إلى التدابير الوقائية التربوية والتحذيرية الموجودة في الأحاديث النبوية لمكافحة الإرهاب.

ويركز البحث في ثناياه على أهمية الاقتداء بالمنهج النبوي في حل الخلافات عن طريق الحوار ولغة التفاهم وقبول الآخر بعيداً عن العنف والإرهاب والتعصب والانغلاق، وأنه لا بد من التركيز والرجوع إلى تلك التشريعات الحكيمة والقواعد العظيمة للدين الإسلامي الحنيف التي استنبطت من القرآن الكريم والسنة النبوية إذ فيهما من النصوص ما تكفي لصيانة الإنسان ووقايته من هذا الداء -الإرهاب- قبل الابتلاء به، وعلاجه ومعافاته بوصفات إلهية ونبوية بعد الابتلاء به والقضاء عليه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، وعلى من أهدى بهديه وسار على دربه إلى يوم الدين، وبعد:

ظهرت في الآونة الأخيرة مجموعات وحركات إرهابية منتشرة في بلاد العالم كله، رافقتها أفكار وآثار سلبية سيئة طالت أمن الجميع على مستوى الأفراد والمجتمعات، وراح ضحيتها كثير من الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ الأمنيين المسالمين في ديارهم الذين ليس لهم ناقة ولا جمل في تلك الأحداث الدامية، وبهذا يكشف وجه الإرهاب وكنهه؛ بأنه لا يمت إلى الدين بأية صلة حيث لا دين ولا ذمة له؛ ولكن هناك حقيقة يجب الإقرار بها وهي بأن لظهور هذه الحركات الإرهابية العنيفة أسباباً ودوافع فلم تظهر صدفة من دون سبب، وهذه الأسباب قد تكون دينية - الجهل بمبادئ الدين ونصوصه ومقاصده- أو فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو تربوية أو عنصرية أو غير ذلك من الأسباب المتعددة والمتنوعة التي لها الأثر المباشر أو غير المباشر في بروز مثل هذه الحركات العنيفة.

لذا من الضروري يمكن ومن خلال هذه الظروف العنيفة التي يمر بها العالم أجمع وخصوصاً منطقتنا أن يقوم العلماء والدعاة بواجبهم الديني والإنساني في التصدي لهذه الحركات الإرهابية ولأفكارها المتطرفة المنحرفة من خلال خطبهم ودروسهم وعقد ندوات ومؤتمرات علمية لبيان الفهم الصحيح لنصوص آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومقاصد الشريعة ومبادئها السمحة الراضية لكل أشكال لإرهاب وصوره والعنف والتطرف، وهذا يتطلب من الجميع العمل الجاد والتعاون قال تعالى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (i)، وكل في مجال عمله وتخصصه في هدم هذه الأفكار المنحرفة من أساسها وبيان الوجه الحقيقي الناصع المشرق للإسلام المبني على الأمن والأمان والتسامح والعدل والوسطية والحرية وتحريم الغلو والتطرف واستخدام العنف والإرهاب ضد الآخرين السلميين في ديارهم وبلدانهم والاعتداء على ممتلكاتهم دون أي وجه حق.

فالدين الإسلامي دين عالمي يتسم بالرفق والمرونة والأمن والسلام والعدالة، وهو رحمة مهداة إلى جميع الخلق وليس مقتصر على فئة معينة من الناس دون أخرى، وهدايته شاملة لكل مناحي الحياة وتشريعه صالح لكل زمان ومكان ونبيه مرسل إلى البشرية جمعاء قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (ii)، فلا عجب منه إذن في إرادة الخير لكل الناس والعمل على إيجاد أسباب العيش الهنيء وتوفير وسائل الأمن والراحة لهم، وكذا العمل على إبعاد الأخطار المحدقة بهم، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع وقوع الأذى والاعتداء على كل فرد يعيش في رحاب الدولة المسلمة بغض النظر عن دينه وجنسه ولونه ومعتقده ومشربه.

فالدين الإسلامي من خلال تشريعاته العظيمة ومبادئه القويمة المستنبطة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية قد شخّص هذا الداء الخطير - الإرهاب - وبين كيفية الوقاية منه وحذر من خطورته وقدم العلاج الناجع للقضاء عليه واستئصاله من جذوره عند وجوده وذلك من خلال تدابير وقائية بينتها السنة النبوية صيانة لضروريات الإنسان الخمس وحفظاً لسلامته وكرامته.

لذا أثيرت في هذا الملتقى العلمي الموقر على الكتابة في بيان تلك التدابير الوقائية والإجراءات الاحترازية الموجودة في الأحاديث النبوية تحت عنوان (التدابير الوقائية لمكافحة الإرهاب في ضوء الأحاديث النبوية) لإبراز دور السنة النبوية في وقاية الأمة من هذا الداء الخبيث الذي ابتلي به العالم كله وعلى وجه الخصوص مجتمعاتنا الإسلامية، حيث حوت السنة النبوية الكثير من الإجراءات الوقائية والتدابير الاحترازية التي تمنع حصول الإرهاب والعنف و التناحر بين الناس وبين أبناء الدين الواحد والشعب الواحد والطائفة الواحدة، ومن هنا جاء البحث لتسليط الضوء على تلك التدابير في ضوء السنة النبوية.

وخطة البحث مقسمة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المقدمة: تبين أهمية الموضوع.

المبحث الأول: مفهوم التدابير الوقائية والإرهاب وصورهما.

المبحث الثاني : التدابير الوقائية التربوية لمكافحة الإرهاب في السنة النبوية.

المبحث الثالث: التدابير الوقائية التحذيرية لمكافحة الإرهاب في السنة النبوية.

الخاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات التي توصل اليها البحث إليهما.

المبحث الأول

مفهوم التدابير الوقائية والإرهاب وصورهما.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

أولاً: تعريف التدابير الوقائية:

التدابير الوقائية مصطلح مركب من كلمتين فنعرف كل كلمة بمفردها ثم نعرف (التدابير الوقائية) كمصطلح مركب :-

تعريف التدابير:

التدابير لغة: جمع تدبير وهو مصدر مأخوذ من الفعل (دبّر)، يقال: دبّر الأمر وتدبّره: أي نظر في عاقبته، واستدبّره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره؛ وعرف الأمر تدبيراً أي بأخره (iii)، والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، وفلان ما يدري قبال الأمر من دياره أي أوله من آخره (iv)، وقيل: التدبير: التفكر، أي تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفة ثالثة (v) قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (vi).

التدابير اصطلاحاً: وسائل للحصول على نتيجة محددة، وقاية أو مساعدة أو معاقبة (vii).

تعريف الوقائية:

الوقائية لغة: أسم منسوب إلى الوقاية وهي مأخوذة من الفعل وقى بقي وقاية، و(وقى) كلمة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره، والوقاية: ما بقي الشيء، واتق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه كالأوقاية. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اتقوا النار ولو بشق تمرّة)) (viii)، وكأنه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها (ix).

والوقاء والوقاية والوقاية والوقاية كلها بمعنى ما وقيت به شيئاً، وكل ذلك مصدر وقيت الشيء، ويقال: وقال الله شرراً فلان وقاية وفي التنزيل العزيز: {مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} (x)؛ أي من دافع، ووقاه الله وقاية، بالكسر، أي حفظه (xi).

الوقائية اصطلاحاً: قال المناوي "الوقاية: حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره والتوقي جعل الشيء وقاية مما يخاف" (xii).

التدابير الوقائية اصطلاحاً:

تطلق (التدابير الوقائية) كمصطلح مركب على مجموعة من الوسائل والإجراءات التي تتخذها الدولة أو من يقوم مقامها والتي بدورها تحول دون قيام الشخصية الإجرامية في المجتمع(xiii).

فيستنتج مما تقدم بأن القصد من التدابير الوقائية في الإسلام هي تلك الوسائل التربوية والإجراءات العقابية الاحترازية التي اتخذتها مصادره التشريعية للحيلولة ومنع المرء سواء أكان على مستوى الفرد أو الجماعات من الاقدام على الجريمة أو المشاركة فيها.

ثانياً: تعريف الإرهاب:

الإرهاب لغة: الإرهاب مأخوذ من رَهَبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم، ورَهَباً بالتحريك، أي خاف، وتقول: أَرْهَبَهُ واسترهبه، إذا أخافه، وتَرْهَبُهُ: تَوَعَّدُهُ، والمَرْهُوبُ: الأَسَدُ(xiv).

وجاء في مقاييس اللغة(xv): " رَهَبَ (الرَّاءُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى دِقَّةٍ وَخَفَةِ، فَالْأَوَّلُ الرَّهْبَةُ: تَقُولُ رَهَبْتُ الشَّيْءَ رُهْبًا وَرَهَبًا وَرَهْبَةً. وَالتَّرْهَبُ: التَّعَبُّدُ. وَمِنَ الْبَابِ الْإِرْهَابُ، وَهُوَ قَدْحُ الْإِبِلِ مِنَ الْحَوْضِ وَدِيَادُهَا، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الرَّهْبُ: النَّاقَةُ الْمَهْزُولَةُ".

و جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة(xvi) " (إرهاب) مصدر أرهب، مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظمة أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدولة وتحقيق أهداف سياسية أو خاصة أو محاولة قلب نظام الحكم (ضحايا الإرهاب)، و(إرهابي) اسم منسوب إلى إرهاب:(عمل إرهابي)، و (حكم إرهابي): حكم يقوم على إرهاب الشعب واستعمال العنف لكبت حريته".

فيستنتج مما تقدم بأن الإرهاب بمعنى الخوف والإخافة والذعر من المعاني الأصلية له في اللغة.

ومعنى الإرهاب في اللغات الأخرى إنه قريب من معناه اللغوي في اللغة العربية، ففي اللغة الإنكليزية كلمة(Terror، Terrorism) تعني الإرهاب، وكلمة(Terroist) تعني الإرهابي، وهي مشتقة من كلمة (Terror) التي تعني الخوف والرعب والذعر(xvii).

الإرهاب اصطلاحاً: عُرف الإرهاب بتعريفات متعددة ومن وجهات نظر وأيدولوجية مختلفة، ولا اعتبارات سياسية وقومية ودينية مختلفة أيضاً، لذا لم أقف على تعريف متفق عليه للإرهاب كمصطلح لذا نكتفي بذكر بعضها:-

الإرهاب: هو بث الرعب الذي يثير الرعب في الجسم والعقل، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة، أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص العاديين أو الموالين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة، ويعدّ هدم العقارات وإتلاف المحاصيل من أشكال النشاط الإرهابي(xviii).

وعرفته الأمم المتحدة: بأنه تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تهدد الحريات الأساسية أو تنتهك كرامة الإنسان(xix).

وعرفه المجمع الفقهي الإسلامي: بأنه العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان -دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه-، ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماكن العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض الذي نهى الله - سبحانه وتعالى - عنه(xx).

فيستنتج من هذه التعاريف وغيرها بأن الإرهاب هو اعتداء مقصود ومنظم سواء من قبل دول أو جماعات أو أفراد على إنسان - دينه أو عقله أو ماله أو عرضه- بقصد القتل أو التخويف أو الأذى من غير وجه حق.

المطلب الثاني:أنواع التدابير الوقائية.

الدين الإسلامي وضع عدداً من التدابير والوسائل الوقائية اللازمة لمنع وقوع الإرهاب ومكافحته على مستوى الأفراد والجماعات، وتستمد تلك التدابير مشروعيتها من التشريع الإسلامي المستنبط من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لما فيها من الأوامر -ما تجعل الفرد المسلم مسالماً ومتحلياً بالأخلاق الفاضلة - والنواهي ما تردعه وتزجره عن ممارسة الإرهاب ومقارفة الجريمة، وهذه التدابير والوسائل متعددة ومتنوعة وعامة وشاملة ويمكن حصرها في النوعين الآتيين:-

التدابير الوقائية التربوية لمكافحة الإرهاب والتفصيل فيها يأتي في المبحث الثاني.

التدابير الوقائية التحذيرية لمكافحة الإرهاب والتفصيل فيها يأتي في المبحث الثالث.

المطلب الثالث: حكم الإرهاب.

يكون حكم الشرع على الارهاب من خلال القصد من لفظ (الإرهاب) ونوع الإرهاب؛ إذ الإرهاب نوعان:-

النوع الأول: الإرهاب المأمور به (الممدوح) في الشرع: وهو الإرهاب المقصود به تخويف العدو والمجرمين وقطاع الطرق والبعثة، وإدخال الرعب في قلوبهم - من خلال الاستعداد بالعدد والعدة وإعداد الجيوش وصنع الأسلحة وتدريب العسكر والاستعراضات العسكرية- لإخافتهم ومنعهم من التجرؤ في الهجوم على الدولة المسلمة واحتلال أرضها وانتهاك حرمت أهلها، فلا شك أن هذا النوع من الإرهاب والإخافة مأمور به ومحمود شرعاً قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ {XXI}، ففي الآية أمر من الله تعالى للمسلمين بالاستعداد للحرب - التي علموا بأنه لا مندوحة عنها ولا مفر منها- وإخافة العدو بجميع أسباب القوة لدفع العدوان والشر ولحفظ الأنفس والأموال ورعاية الحق والعدل والفضيلة (xxii).

النوع الثاني: الإرهاب المنهي عنه (المذموم) في الشرع: وهو الإرهاب الذي يقصد به تخويف الناس المسالمين من المسلمين وغيرهم من أصحاب الدماء المعصومة ممن لا يستحقون التخويف - كالمعاهد، والمستأمن، وأهل الذمة-، فهذا النوع من الإرهاب والتخويف والتهديد محرم ومذموم شرعاً قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِدِينَ﴾ {xxiii} أي لا تقدم ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك والآخريين، فإن الله لا يحب بغاء البغي والمعتدين والمعاصي (xxiv)، فالإسلام يأمر أتباعه بالتعاون على البر والتقوى وينهاهم عن الإثم والعدوان قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {xxv} .

المبحث الثاني

التدابير الوقائية التربوية لمكافحة الإرهاب في السنة النبوية

جاء الإسلام بنظام تربوي شامل فيه كثير من التدابير والإجراءات التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن شأنه إذا تربي الإنسان على أسسه وتحلى بمبادئه أن يثري جانب الخير لديه وأن يحفزه ويدفعه لنشر الخير والأمن والسلام، كما يبعده ويزجره عن اقتراف الجرائم وممارسة الإرهاب والعنف تجاه الآخرين، مما يجعل ذلك المجتمع مجتمعاً متماسكاً مترابطاً تسود بين أبنائه الألفة والمحبة والتعاون، فمن أهم هذه التدابير التربوية ما يأتي:-

المطلب الأول: تربية الفرد على الفهم الصحيح للدين الإسلامي- دين الحنيفة السمحة- .

إن تربية الفرد المسلم وتعليمه الفهم الصحيح للدين من الضروريات القصوى وخصوصاً في وقتنا الحالي الذي كثر فيه المفترون والمقولون على الدين حسب أهوائهم، فالإسلام دين هداية وإرشاد، دين الحنيفة السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط، دين الوسطية والاعتدال الخالي من التعصب والطائفية والصغائن والعداوة، وهو دين الله تعالى الذي أنزله إلينا عن طريق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ {xxvi}، فإنَّ الأخذ بمقتضى ما جاء به الدين من أوامر ونواهي هو ميتغى كل مسلم، وأنَّ الإعراض والعدول عنها محذور شرعاً، ومن القواعد والأسس التي تعين الفرد على الفهم الصحيح لنصوص الدين وتمنعه من الانحراف والتجاوز عليها أهمها ما يأتي:-

فهم النصوص وفق منهج الصحابة رضوان الله عليهم.

ينبغي الاعتماد على فهم الصحابة رضوان الله عليهم في فهم الدين وتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية، كيف لا؟ وهم الذين رافقوا النبي صلى الله عليه وسلم وشاهدوا التنزيل وأعلموا بالمقال والفهم، وهم الذين قال الله في حقهم بقوله جل وعلا ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {xxvii}، والنبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: ((خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) (xxviii).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : "وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم، ولم يكن في زمنهم أحد من هذه الصنوف الأربعة ولا تجد إماماً في العلم والدين كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق

بن راهوايه ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب" (xxix).

فهم النصوص وفق أحوال المخاطبين.

من الواجب عند تفسير النصوص مراعاة أحوال المخاطبين وإدراك فقه المقاصد بما يفيد للناس وما يضرهم وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((أَنَّ الْمَسَائِلَ الْخَبَرِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ قَدْ تَكُونُ وَاجِبَةً الْإِعْتِقَادَ وَقَدْ تَجِبُ فِي حَالِ دُونَ حَالٍ وَعَلَى قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ؛ وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَحَبَّةً غَيْرَ وَاجِبَةٍ وَقَدْ تُسْتَحَبُّ لِطَائِفَةٍ أَوْ فِي حَالِ كَالْأَعْمَالِ سَوَاءً، وَقَدْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهَا مُضِرَّةً لِبَعْضِ النَّاسِ فَلَا يَجُوزُ تَعْرِيفُهَا بِهَا كَمَا قَالَ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: " حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا يُكْفِرُونَ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " مَا مِنْ رَجُلٍ يُحَدِّثُ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ "))(xxx).

وهكذا كان فهم الصحابة رضوان الله عليهم في فهم النصوص وتطبيقها على واقع حال المسلمين، وانطلاقاً من هذا الفهم فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سرق شخص في عام المجاعة لم يقطع يده وذلك لفهمه النصوص القرآنية والحديثية حسب واقع ذلك اليوم فجاء عن حصين بن جرير قال: ((سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقُولُ: «لَا قَطْعَ فِي عِدْقٍ، وَلَا فِي عَامِ سَنَةٍ»)) (xxxii) أي عام جدد ومجاعة.

وهذا الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما يفتي الناس حسب حالهم، روي أن سائلاً جاء يستفتي ابن عباس - رضي الله عنهما - هل للقاتل توبة؟ فأجاب بمقتضى فهم حاله بـ (لا)، فعن سعد بن عبيدة قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةٌ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا النَّارُ، فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: مَا هَكَذَا كُنْتَ تُفْتِينَا، كُنْتَ تُفْتِينَا أَنْ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةٌ مَقْبُولَةٌ، فَمَا بَالُ الْيَوْمِ؟ قَالَ: إِنِّي أَحْسِبُهُ رَجُلًا مُغْضَبًا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، قَالَ: فَبِعُتْنَا فِي أَنْتَرِهِ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ)) (xxxii).

الأخذ بالمنظومة المتكاملة للنصوص.

المنهج الصحيح لفهم الدين هو الأخذ بجميع النصوص كوحدة متكاملة، سواء أكانت قرآنية أو حديثية؛ لأنَّ النصوص متداخلة يفسر بعضها بعضاً، فمنها ما تكون عامة تخصصها الأخرى، ومنها ما تكون مطلقة تفيد الأخرى، ومنها ما تكون مجملة تفصلها الأخرى، إذن عند التطرق والبحث في أية مسألة أو قضية دينية وتشريعية لابد من النظر في منظومة النصوص حولها كوحدة معرفية واحدة وعدم الاقتصار على نص واحد أو جانب معين منها، لأنَّ منظومة النصوص بأكملها هي التي تعطينا الصورة المتكاملة للقضية وتلك الظروف والأحوال المتغيرة التي نزلت فيها تلك النصوص.

وهذا هو منهج السلف الصالح في فهم النصوص فإنهم يأخذون بجميع النصوص في المسألة الواحدة ولا يقتصرون على جانب واحد من جوانب النصوص، كالخوارج الذين أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد، والمرجئة الذين أخذوا بنصوص الوعد وتركوا نصوص الوعيد، فلا شك أن الفهم المأخوذ من المنظومة المتكاملة للنصوص في المسألة يكون أصوب وأبعد عن الخطأ من الاقتصار على جانب واحد من النصوص دون الجوانب الأخرى.

التيقن من صحة ثبوت النص.

هذا الضابط مهم في الحديث النبوي لأنه ما نقل عنه - صلى الله عليه وسلم - من حيث القبول والرد ينقسم إلى مقبول ومردود وحتى موضوع مختلق مكذوب عليه، وهذا ما سلكه سلفنا الصحابة - رضوان الله عليهم - وساروا عليه، فعن مجاهد قال: ((جَاءَ بُشَيْرُ الْعَدَوِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْدُنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا لِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أَحَدِيكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابْتَدَرْتُهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِأَذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ)) (xxxiii).

وكذا سار على نهج الصحابة التابعون والمحدثون من هذه الأمة يقول الإمام الشافعي بهذا الخصوص في كتابه الرسالة (xxxiv) "ولا يُستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يُستدل على الصدق والكذب فيه بأن يُحدِّث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو ما يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه".

الإمام باللغة العربية لفهم النصوص لإمام يفهم اللغة العربية ومعرفة مواردها ومعانيها وأسرارها ضابط مهم من ضوابط الفهم الصحيح للدين، لأنَّ القرآن والسنة هما المصدران الأولان والأساسيان للتشريع الإسلامي وقد نزل باللغة العربية فمن المستحيل فهم أحكامهما وأسرارهما وإدراك تفسير نصوصهما لغير المتقنين بعلوم لغة نزلها - العربية - من نحوها وصرافها وبلاغتها وبيانها ووجوه إعرابها وحقيقة معانيها ومجازها ...، وفي هذا يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - " إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ دُونَ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْ إِضْحَاحِ جُمَلِ عِلْمِ الْكِتَابِ أَحَدٌ، جَهْلُ سَعَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَكَثْرَةُ وَجْهِهِ، وَجَمَاعُ مَعَانِيهِ، وَتَفَرُّقُهَا، وَمَنْ عِلْمُهُ انْتَفَقَتْ عَنْهُ الشُّبُهَاتُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى مَنْ جَهَلَ لِسَانَهَا" (xxxv)(xxxvi).

المطلب الثاني: تربية الفرد على مصاحبة الأخيار.

من التدابير التربوية الوقائية التي يتخذها الدين الإسلامي لمنع الإرهاب والعنف هي تربية الفرد على التربية الإسلامية الصحيحة وتعليمه الأخلاق الإسلامية الفاضلة والأداب الحسنة، و مما لا يختلف عليه اثنان أن مما يحسن خلق الإنسان ويجمله هو مصاحبة الأخيار من الرفقاء، فالصاحب يتأثر ويقتدي بأخلاق وتصرفات رفقاءه، ومعاشرته الأخيار منهم تغرس في نفس الإنسان الأخلاق الحسنة الحميدة وتحبذ إليه فعل الطاعات، ومصاحبة الأشرار تعودده على الرذائل والمنكرات في الأقوال والأفعال؛ لذا حث النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة على مصاحبة الأخيار وخلتهم، ومن تلك الأحاديث ما يأتي:-

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)) (xxxvii)، بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف بأن الإنسان يتطبع على عادات وسيرة وأخلاق صاحبه؛ لذا عليه التروي والتأني والتدبر في دين وأخلاق وطباع من يخالله فإذا كان مرضياً خالاه وإلا عليه الابتعاد عنه (xxxviii).

- عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا)) (xxxix) أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن لا نقصد في المصاحبة إلا المؤمن التقي المتورع، ونهانا صلى الله عليه وسلم عن مصاحبة أعداء الله تعالى ومن ليس يتقي، وحذر من دعوتهم إلى طعام ومخالطتهم ومواكلتهم؛ لأن المطاعم توقع الألفة والمودة في القلوب (xi).

- عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَمَا مِلَ الْمَسْكُ وَتَافَحَ الْكَبِيرُ فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَتَافَحَ الْكَبِيرُ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)) (xli).

في الحديث أعلاه أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى اختيار الجليس الصالح للمؤانسة والمصاحبة واجتناب جليس السوء والضار، وشبه النوع الأول بحامل المسك الذي تجد فيه النفع في كل الأحوال، إما بإهدائه إليك بعض الطيبة أو تشتري منه أو تزكي نفسك بشم ريح طيب البائع، و الثاني شبهه بالحداد نافخ الكير، فإما يحرق ثيابك ناره أو لا تسلم من ريح دخانه النتنة، وكان ذلك تشبيه رائع من النبي صلى الله عليه وسلم فلا يخلو حال الجليس الصالح من ثلاثة: إما أن يتحفك بما هو خير لك في دينك ودنياك من خلال مؤانسته ومجالسته وتبادل طرف الحديث، أو تطلبه الحديث والاستزادة في العلم والاستفسار عن أحكام الدين وأمره فلا يخل عليك بعلمه ونصحه وإرشاده ومشورته، أو لا أحد من الأوليين لكن تجد فيه الخلق الحسن من الصدق في الكلام وحسن المعاملة والضبط والأمانة في البيع والشراء... الخ، فلا شك أن ذلك منه يؤثر فيك وستتقني خلقه وأثاره في نفسك؛ وأما الجليس السوء فلا سامح الله إما يصيبك سوؤه وشره فتشاركه في المعاصي والشورور وهو الحديث وما إلى ذلك من المنكرات أو قد تسلم من معاصيه وشوروره ولكنه لا تسلم من بعض متعلقات أفعاله وأقواله فالناس يظنون بك الظن السيئ، لأنَّ الناس قد شاهدك معه فتخسر ثقة الناس بمصاحبتهم (xlii).

فصفوة القول في هذه المسألة: أن الإسلام شديد الحرص على تربية الأولاد وتحسينهم من الانحراف واللجوء إلى ممارسة العنف والإرهاب، فوضع جملة من التحصينات والتدابير الوقائية لو سار عليها الفرد المسلم لحصن أولاده من الانحراف في جماعات العنف والإرهاب، وتبين لنا من خلال الأحاديث النبوية أعلاه كيف أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمر الإنسان وحثه إلى مصاحبة الأخيار واصطفاء الأصدقاء، لأن المرء يكون على دين خليله وهو يتأثر بصاحبه سلباً وإيجاباً إذ تنطبع فيه صفاته وأخلاقه وتصرفاته من حيث لا يشعر، لذا فكان من الأهمية بمكان أن يتحرى الإنسان ويختار لصداقته من يزوده بخير الزاد - التقوى-، ويزين أخلاقه بأجمل مكارم الأخلاق والصفات، فورد عن حكيم أنه قال: ((نبئني عن تصاحب أئبيك من أنت))، وعن أبي قلابة ((لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوَكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ)) (xliii).

فمكاثرة الأخيار في الجلوس ومطاولتهم في التأنيس أحب للإنسان أن يقتدي بهم في أفعالهم، ويتأسى بهم في أعمالهم، لأنه يجب أن يكون مثلهم لا دونهم في تلك الخصال وربما تبعته المنافسة والحمية على منافستهم والزيادة عليهم، وقال بعض البلغاء: من خير الاختيار صُحبة الأخيار، ومن شر الاختيار مودة الأشرار، وهذا صحيح؛ لأن للمصاحبة تأثيراً في اكتساب الأخلاق، فنصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح وتفسد بمصاحبة أهل الفساد (xliv).

المطلب الثالث: تربية الفرد على لزوم الجماعة.

عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية)) (xlv).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((يُد الله مع الجماعة)) (xlvi).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حَظَبْنَا عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِينَا فَقَالَ ((عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَادِحِ وَهُوَ مِنَ الْإِنْتِنِ أْبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ)) (xlvii).

والذي يظهر لنا من خلال ما تقدم من أحاديث أن مبدأ عدم التفرق والتشردم ولزوم جماعة المسلمين من أهم مبادئ الدين الإسلامي التي تحفظ للأمة الإسلامية هيبته وتمدها بالقوة والاعتزاز بدينها، وأن الوحدة ولزوم جماعة المسلمين تصون الدين من التحريف والتبديل أمام التيارات المنحرفة الضالة التي ارتضت لنفسها الغلو والتطرف وممارسة العنف والإرهاب، كما حثت تلك الأحاديث الفرد المسلم على وجوب لزوم الجماعة والاعتصام بحبل الله تعالى لما في ذلك ضمان لنجاح الإنسان وتفوقه في كل مجالات الحياة، وهذا ما أكده المنهج القرآني قال تعالى {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون} (xlviii) فالعمل مع الجماعة وعدم التفرق والتشردم ونبذ الخلاف من أهم الغايات المنشودة للدين الإسلامي، وشبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - تربية الروح الجماعية عند المؤمنين بالبنيان المحكم المرصوص في التماسك والتفاعل والتكامل، عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) (xlix)، وهذا ما ميز المجتمع الإسلامي عن المجتمعات الجاهلية المنقسمة على نفسها على أساس العرق والدين واللون، فيعتدي فيها بعضهم على بعض، وكانوا في تناحر وشقاق دائمين يأكل القوي حقوق الضعيف.

المطلب الرابع: تربية الفرد على قبول الآخر والحوار معه.

الحوار هو مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة (I)، فهو وسيلة للتفاهم بين شخصين أو طرفين فأكثر حول موضوع معين وذلك بعرض الأفكار وتبادل وجهات النظر بهدف الوصول إلى الحق، ويغلب عليه جو الهدوء دون تعصب وتحامل وفق ضوابط أخلاقية.

اقتضت حكمة الله تعالى ومشيئته بأن خلق الناس مختلفين في الدين والمعتقد والملل والمذهب والآراء، وهذه سنة الله في خلقه قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} (ii)، فمنهج التعامل مع هذا الاختلاف يكون عن طريق الحوار، وهو أسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية في إزالة خطر هذه الاختلاف وفي التقارب مع الآخر و استيعاب تنوع الاختلاف وتباين الفهم قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (iii)، فالיום الحاجة ماسة وضرورية لتفعيل لغة الحوار والخطاب الهادي المبني على الحجة والبرهان في كشف الحقائق وإقناع المخالف على ضرورة التفاهم وقبول الحوار والتعايش السلمي فيما بينهم بغض النظر عن العرق والدين والمذهب والطائفة قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (iii).

فالحوار من الأساليب الحضارية الراقية التي أتبعها الأنبياء والمرسلون مع مخالفيهم من أتباع الديانات الأخرى، ومن الأساليب الناجحة لحل المشكلات، وتقريب الأفكار وتنظيم شؤون الحياة، وسار على نهجهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والسلف الصالح من هذه الأمة في هديهم ودعوتهم وبياناتهم مبادئ الدين الحنيف دون فرض شيء عن طريق القوة والعنف والإكراه، ونتج عن سلوك هذا النهج الحكيم المبني على الحجة والبرهان والدليل والحوار الهادي واحترام المخالف إلى قبول المخالفين بدعوتهم ودخولهم إلى الإسلام طواعية عن إيمان وقناعة.

وعند النظر إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته تجد الحوار أساساً في نشر دعوته وبيان معالم دينه وإجابة سائليه ومناقشة مخالفيه، ومحاوراته صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتنوعة مع الصغار والرجال والنساء ومع مناصريه من

صحابته الكرام ومخالفه من المشركين وأهل الكتاب كمنهج دعوي في كل مراحل دعوته كوسيلة تعليمية مؤثرة في بيان أمورهم الدينية والدينية وفي إدارة الخلاف مع المخالفين، ونشير إلى بعض تلك الحوارات على سبيل التمثيل لا الحصر:-
حواره مع الصغار.

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: ((أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَقَدْحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْعَرُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَتَأْتُنِي لِي أَنْ أُعْطِيَهِ الْأَشْيَاحُ؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوْتِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ)) (Iv).

في الحديث أعلاه تبين لنا كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أحترم رأي الصبي ولم يفرض عليه ما أراد - صلى الله عليه وسلم- بالتنازل عن حقه في الشرب للشيوخ عن يساره عندما حاوره وطلب منه الإذن لذلك؛ ولكن الغلام رفض التنازل عن حقه لينال من بركة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: ((مَا كُنْتُ لِأُوْتِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ)) أي : " لا أختار أحداً على نفسي بفضلي ماءك، بل أختار نفسي على غيري" (Iv).

حواره مع الأعرابي الذي شك في زوجته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا أَلْوَأَتْهَا قَالَ حُمْرٌ قَالَ هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَتَى ذَلِكَ قَالَ لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ قَالَ فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ)) (Ivi).

فبالأمل في الحديث المتقدم والنظر فيه بتروني يتبين لنا كيفية اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على المحاورة في إقناع ذلك الأعرابي - الذي شك في زوجته، وظن أن يكون الولد الأسود الذي ولدته زوجته ليس منه كونه وأمه أبيضين- بالحوار اللطيف وعلى قدر فهمه وعقله لدفع تلك الشبهة عندما شبه مسألة ولده السود من أبوين بيض بإبله السود التي ولدت من أبوين حمر، فقال الأعرابي: لعل ذلك من أصل بعيد كالجد وجد الجد، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم- كذا لعل ابنك هذا الأسمر أخذ اللون من جد بعيد، فاقتنع الرجل، ورجع إلى أهله راضياً مرضياً (Ivii).

فالحوار الهادئ المبني على الرفق والإقناع الذي دار بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين الأعرابي كان أنفع وسيلة شددت انتباهه وهيات عقله إلى معرفة الحق وبددت شكوكه الواهية.

حوار النبي (صلى الله عليه وسلم) مع خصومه من الكفار ودعوتهم إلى الإسلام.

وتتجلى هذه الصورة بوضوح حينما أعلن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعوته إلى قريش فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (١) وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسُحُحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَأَيُّ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ شَدِيدٍ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأَ لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ)) (٢).

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران لما جاؤوه وسألوه عن المسيح عليه السلام.

عن جابر رضي الله عنه ((أَنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ: «هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» قَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُلَاعِنَكَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ؟ قَالَ: «وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِذَا سُنِمْتُ» فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمَعَ وَلَدَهُ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ رَئِيسُهُمْ: لَا تُلَاعِنُوا هَذَا الرَّجُلَ فَوَاللَّهِ لَنْ لَاعِنْتُمُوهُ لِيُخَسِفَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ. فَجَاءُوا فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلَاعِنَكَ سَفَهَاؤُنَا وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ نُغْفِيَنَا قَالَ: «قَدْ أَعْفَيْتُكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ أَظَلَّ نَجْرَانَ»)) (٣).

(١) سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ١١٤ برقم (٢٠٨).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدرکه: ٦٤٩/٢ برقم (٤١٥٧) وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعليق الإمام الذهبي: صحيح على شرط مسلم.

فالحاجة إلى الحوار ضروري لضرورة استعماله، وهو جسر للتواصل السلمي والوصول إلى احقاق الحق من دون مواجهات ومصادمات، وهو مطلب العقلاء والحكماء في كل زمان ومكان لبيان الحق ونشره بين الناس، وباختيار هذه الوسيلة من قبل أفراد الأمة يكون أبنائوها في مأمن وتحصن في الوقوع في براثن الجماعات الإرهابية التي يمارسون الوسائل العنيفة في تحقيق مطالبهم المشبوهة.

المطلب الخامس: تربية الفرد على التعايش مع غير المسلمين.

فمن الأهمية بمكان هنا أن ننبه الفرد المسلم على أن التنوع الديني والعقدي والفكري هو من سنن الله في هذا الكون وحكمة إلهية اقتضت مشيئته فينبغي تقبلها كأمر رباني قال تعالى {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} (١)، فبين الله سبحانه للبشر طريق الهداية والخير وطريق الضلالة والشر بفطرتهم عليه وبما أرسل لهم من الرسل والأنبياء وما أنزل عليهم من الكتب السماوية وهو في ذلك بالخيار إما أن يسلك سبيل الهداية والحق فيكون شاكراً، وإما أن يسلك سبيل الضلالة والغي فيكون كفوراً-والعياذ بالله- قال تعالى {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} (٢)، فلا إكراه للمرء على الدخول في الإسلام؛ وإنما له الدخول فيه واعتناقه بإرادته واختياره بعد بيان سبيل الرشد والهدى الموصول إلى الإيسار والإكمال، وبيان سبيل الغي والضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران قال تعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٣).

إذن فالإسلام يقر بإقامة العلاقات الإنسانية والعيش المشترك مع الآخرين على أساس احترام وكرامة الإنسان بصرف النظر عن دينه ومعتقده ولون ثقافته قال تعالى {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (٤)، وهذا ما علمه المسلمون من دينهم فلم يحقدوا ولم يضطهدوا أحداً بجزيرة مخالفتهم في الدين لعلمهم بأن هذه من مقتضى إرادة الله سبحانه بأن خلق الناس على هذا الاختلاف، فالإسلام رسم للمسلمين في كيفية التعامل مع مخالفيهم في الدين قال تعالى {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَّوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٥) ففي هاتين الآيتين " يأمر الله المسلمين معاملة من يخالفونهم في دينهم بالعدل، ولم يكتف به بل تجاوز ذلك إلى التوصية بالبر بهم، والبر فوق العدل فهو يأتي إلا من العطف والحنو وإرادة الخير، واستثنى الله الذين اضطهدوا المسلمين وقتلواهم، وهذا عدل لا شائبة فيه" (٦).

وهناك أصول ومبادئ في الدين الإسلامي يستطيع الفرد المسلم أن ينطلق منها ويجعلها أرضية مشتركة للحياة المشترك بين الإنسانية تسودها المحبة والتسامح والتعايش السلمي، حيث أن الإسلام توجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وكتبهم، وأن شريعتهم كلها ترجع إلى الوحي الإلهي قال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} (٧).

وعند النظر والتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه الشريفة نظفر بجملة من التطبيقات العملية والقولية في حسن التعامل مع غير المسلمين وكيفية التعايش المشترك معهم على أساس العدل والاحترام المتبادل، ونشير إلى بعض تلك التطبيقات من خلال الأحاديث الآتية:-

احترام كرامة النفس الإنسانية.

عن عمرو بن مرة قال: ((سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا . فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالَا إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ . فَقَالَ « أَلَيْسَتْ نَفْسًا »)) (٨).

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨ .

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣ .

(٧) سورة الشورى، الآية: ١٣ .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٢٥٦ برقم (١٣١٢)، ومسلم في صحيحه: ص ٣٧٢ برقم (٩٦١) واللفظ للبخاري.

عيادة مرضى غير المسلمين.

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ « أَسْلَمَ »، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَقُولُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ »)) (١).

قبول هديتهم والإهداء إليهم.

ومن صور التعامل الحسن والبر مع غير المسلمين هو الإهداء إليهم وقبول هديتهم؛ لما في ذلك من كسب قلوبهم وتأليفهم وترغيبهم في الإسلام من غير اقرار ومودة لهم على ما هم عليه من الكفر والضلالة، وألاً يقدم لهم في أعيادهم الدينية، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدى إلى مخالفيه من غير المسلمين وقبل الهدية منهم كما جاء في الأحاديث الآتية:-

عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: ((أَهْدَى مَلِكٌ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً بَيْضَاءَ)) (٢).

عن عكرمة ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَى إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ثَمَرَ عَجْوَةٍ، وَهُوَ بِمَكَّةَ مَعَ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَهْدِيهِ أَدْمًا، فَأَهْدَى إِلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ)) (٣).

عن علي رضي الله عنه قال: ((أَهْدَى كِسْرَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبِلَ مِنْهُ وَأَهْدَى لَهُ قَيْصَرٌ فَقَبِلَ مِنْهُ وَأَهْدَتْ لَهُ الْمُلُوكُ فَقَبِلَ مِنْهُمْ)) (٤).

تحريم قتلهم والتحذير من ظلمهم وانتقاصهم

عصم الإسلام دماء أهل الذمة وأموالهم وأعراضهم فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)) (٥).

كما حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من ظلم أهل الذمة وانتقاص حقوقهم، وجعل نفسه الشريفة خصماً للمعتدي عليهم، فقال: ((أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٦).

منحهم حرية ممارسة العبادة.

أعطى الإسلام غير المسلمين حرية ممارسة العبادة وكفل لهم ذلك بممارسة شعائرهم الدينية من دون اكراههم على الدخول في الإسلام قال تعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٧)، ولم يتوقف المسلمون عند المحافظة على دور العبادة وضمن سلامتها، بل طالب الفقهاء المسلمون بتأمين حقوق رعاياهم في العبادة وضمن عدم إشغالهم في أوقاتها، وقد امتثل سلفنا هدي الله عز وجل، فلم يلزموا أحداً بالإسلام اكرهاً، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب قال لعجوز نصرانية: ((أسلمي تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. فلم تقبل العجوز نصحه، وقالت: أنا عجوز كبيرة، والموت أقرب إليّ! فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (٨)) (٩).

المبحث الثالث

التدابير الوقائية التحذيرية لمكافحة الإرهاب في السنة النبوية.

المطلب الأول: النهي عن الغلو والتتبع في الدين.

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٢٦٣ برقم (١٣٥٦).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٢٨٩ برقم (١٤٨١).
- (٣) أخرجه ابن زنجويه في كتابه الأموال: ٥٨٩/٢ برقم (٩٦٨).
- (٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١٤٤/٢ برقم (٧٤٧).
- (٥) أخرجه ابن ماجه في سننه: ٨٩٦/٢ برقم (٢٦٨٦) وصححه الشيخ الألباني.
- (٦) أخرجه أبو داود في سننه: ١٣٦/٣ برقم (٣٠٥٤) عن أبي صخر المدني وصححه الشيخ الألباني.
- (٧) سورة البقرة: الآية: ٢٥٦.
- (٨) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
- (٩) أورده القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ٢٨٠/٣ عن زيد بن أسلم عن أبيه. ولمزيد من التفصيل في كيفية التعامل مع غير المسلمين ينظر: السقار: التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم.

يقصد بالغلو مجاوزة الحد في أمره، وغلا في الدين غلواً، بمعنى: تصلب وتشد حتى تجاوز الحد(١).

لقد نهى الدين الإسلامي عن الغلو والتنتع في الدين، ودمه من خلال آيات كريمة منها قوله تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} (٢) أي: "لا تتجاوزوا الحدَّ والغلوَّ والتقصيرُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَذْمُومٌ فِي الدِّينِ" (٣).

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من الأحاديث الشريفة من التعمق والغلو في الأعمال والفرائض الدينية وترك الرفق والبسر والتوسط المرخص شرعاً فيها، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ)) (٤) أي: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويتزك الرفق إلا عجز وانقطع (٥)، وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا)) (٦) قال النووي "أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم" (٧)، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر بأن الله لم يبعثه شقاء ومتنعاً على أمته، وإنما بعثه معلماً ميسراً، روي عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْتِنِي مُعْتِنًا، وَلَا مُتَعْتِنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا)) (٨).

فصفوة القول في هذه المسألة بأن الدين الإسلامي هو دين الوسطية والاعتدال وأن الغلو والتنتع فيه منهيان شرعاً كنهى التفريط والتقصير فيه قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (٩)، ولكبيرة وشدة تحريم الغلو فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد حجب المتصف به من شفاعته وتبراً منه يوم القيامة، روي عن معقل بن يسار - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلم غشوم، وغال في الدين، يشهد عليهم، ويتبرأ منهم)) (١٠)، فالسير على هدي ما تقدم من الآيات والأحاديث النبوية من قبل أفراد الأمة كفيلاً بالحصول تدابير تحذيرية وقائية من الوقوع في الغلو والتنتع المذموم المفضي في كثير من الأحيان إلى العنف والشدة والإرهاب تجاه نفسه والآخرين نتيجة الفهم الخاطئ لنصوص الدين مما يؤدي إلى إثارة الخلافات والضغائن داخل المجتمع وانعكاسه سلباً على تماسكه وأمنه واستقراره.

المطلب الثاني: النهي عن سفك الدماء بغير الحق.

من أهم الأسس التي جاء بها الدين الإسلامي هو جعل حفظ النفس من الضروريات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، فعذَّ ازهاق نفس مؤمن متعمداً مريداً قتله من غير وجه حق بالخلود في جهنم واللعن والغضب من الله عليه يوم القيامة قال تعالى {مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (Iviii)، كما جعل الشرع قتل النفس ظلماً وبغير نفس ومن أجل نشر الفساد والرعب في الأرض كقتل الناس جميعاً قال تعالى {مَنْ أَجْلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (Ixi)، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: "من قتل نفساً واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعاً، ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها واستحياها خوفاً من الله فهو كمن أحيا الناس جميعاً" (Ix).

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عديدة حذر فيها الإنسان من قتل نفس وإراقة دم إنسان من غير وجه حق، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:-

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أَوَّلُ مَا يُفْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ)) (Ixi) وفي رواية الترمذي عنه أيضاً ((لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)) (Ixi) فدلالة هذا الحديث الشريف تعني عظم أمر القتل وكبُر خطرها، وهذا في حق العباد ولا يتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ)) (Ixi) لأن ذلك في حق الله تعالى (Ixiv).

(١) ينظر: المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: ص ٢٥٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٧٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٣١ برقم (٣٩).

(٥) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/ ٩٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ١٠٧١ برقم (٢٦٧٠).

(٧) المنهاج شرح صحيح مسلم: النووي: ١٦/ ٢٢٠.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ٥٩٢ برقم (١٤٧٨).

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي عاصم الشيباني في كتابه (السنن): ١/ ١٨٤ برقم (٤٢٣) وصححه الشيخ الألباني.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)) (Ixxv)، المؤمن لا يزال في سعة من دينه تسهل عليه أمور دينه و تبتغي رحمة الله ومغفرته ولطفه ويوفق للعمل الصالح، ما لم يصدر منه قتلٌ نفس بغير حق، وإذا صدر منه ذلك، تضيق عليه أمور دينه، ويُشئت عليه شمله ما لم يتب، أو لم يعف وليُّ الدم (Ixxvi).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ جِلَّةٍ)) (Ixxvii)، أي: إن من أخطر ما يقع فيه الشخص ويعسر عنه نجاته سفك دم بغير حق من الحقوق المحلة للسفك، فهو بلاء لا يكاد صاحبه يتخلص منه (Ixxviii).

فمن خلال نظرة فاحصة متأنية إلى ما تقدم من الآيات والأحاديث يظهر للإنسان عظم أمر إهراق الدماء وتأثير خطرها وتفخيم شأنها وإنها من السبع المهلكات كما جاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)) . قيل يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ « الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالنَّوَالِي يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ)) (Ixxix)، فالأخذ بتلك التحذيرات والتدابير الوقائية الواردة في الشرع من خلال ما تقدم من نصوص قرآنية وحديثية من ارتكاب هذه الجناية كفيلة بتحصين الأفراد من ممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين من غير وجه حق مما يجعل المجتمع أكثر تماسكا وانسجاما واستقراراً، فيشعر أفرادها بالأمن والأمان على نفسه وعرضه وماله مما يولد الإبداع لديه في مجال عمله، لذا علينا السير على هدي الشرع واجتناب العنف والإرهاب وكل أمر من شأنه إشاعة الخوف والرعب والقلق والاضطراب بين الناس؛ لأن ذلك من المنهيات عنها والمحرمات فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي (صلى الله عليه وسلم): أنه قال ((لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْوَعَ مُسْلِمًا)) (Ixxx)، فهنا على المسلم التوقف والتروي والتأني في مغزى هذا الحديث النبوي إذا كان مجرد التخويف والترويع لإنسان محرماً، أليس إرهابه وقتله بهذه العمليات التخريبية والتخريبية التي تحدث هنا وهناك مما يسبب وقوع ضحايا من أناس أبرياء في الغالب وزعزعة أمن الأفراد والمجتمعات وفقدان راحتهم واستقرارهم أشد تحريماً ونهياً؟!.

المطلب الثالث: النهي عن العنف واجتنابه.

لم ينه دين عن العنف واجتنابه ومحاربه والقضاء عليه مثل ما نهى الإسلام وحاربه، لأن الإسلام هو دين الرفق والرحمة والشفقة لا دين العنف والقسوة؛ فيحرص دائماً على أن يجعل الإنسان متوازناً في أخلاقه وتصرفاته وأقواله وميوله في ضوء مبادئ الشريعة المستسقة من مصادرها الأصلية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فلا يجوز للفرد المسلم أن يؤدي جسده ويرهقه ويحمله ما لا يطيق، فكيف بالعنف والعدوان ضد الآخرين؟ فالعنف هو عدم الرفق وهو الشدة والمشقة (Ixxxi)، وهو طريق قد يدفع صاحبه إلى الأعمال الإجرامية الكبيرة كالقتل وغيره (Ixxii).

ففي النهي عن العنف وذمه واجتنابه والتخلي بالرفق واللين والشفقة مع الآخرين وردت عن النبي- صلى الله عليه وسلم - أحاديث عديدة وفي مواقف متنوعة فمنها ما يأتي:-

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أَنَّ يَهُودَ أَنْزَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ وَعَلَيْكُمْ اللَّهُ وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفُ وَالْفُحْشُ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعِ مَا قَالُوا، قَالَ أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ)) (Ixxiii).

- عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)) (Ixxiv).

- عن المقدم - وهو ابن شريح بن هانئ - عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَأْنَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا سَأْنَهُ)) (Ixxv).

ما تقدم من أحاديث فيها التوجيه النبوي على ذم العنف والبعد عنه والتخلي بالرفق؛ لأن ما يحققه الإنسان عن طريق الرفق واللاعنف لا يحققه عن طريق العنف والشدة، فالرفق محمود في كل شيء، والعنف مذموم في كل شيء، فالعنف هو سبب لكل شر ومفتاح كل عداوة وقطيعة قال تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (Ixxvi).

فيسنتج مما سبق أن العنف بالإجمال محرم ومذموم شرعاً ومستقبح عقلاً باختلاف أنواعه وصوره وحتى ممارسة الإنسان العنف مع نفسه محرم ومنهي عنه، عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - : ((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعُ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرِي عِبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)) (lxxvii)، فاعتداء الإنسان على نفسه محرم شرعاً؛ لأن نفسه ملك لله تعالى فليس من حقه قتل نفسه أو إيذائه أو تلفه أو تعرض جزء منه لضرر أو خطر فإن اعتدائه على نفسه كاعتدائه على غيره قال تعالى { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ تَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } (lxxviii)، وصاحب العنف محرم من رحمة الله بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَشَقَّ عَلَيْهِ)) (lxxix) .

المطلب الرابع: النهي عن إيقاد النعرات الطائفية والعصبية.

إن من أصول الإسلام العظيمة إقراره مبدأ المساواة بين الإنسان من غير تمييز بينه بسبب الجنس والعرق والطائفة والحسب والنسب قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (lxxx) فمهمة الإنسان هي التعارف والتعاون والتآلف بين الأفراد لقيام مجتمع متآلف متماسك صالح سعيد، لا التناكر والتناحر والتفاخر بالأنساب المفضي إلى الشقاق والتشردم والانقسام؛ فإنه لا قيمة للحسب ولا للنسب، ولا تفاضل إذا كان المرء هابطاً في دينه وحلقه وفساداً في سلوكه؛ إنما التفاضل يكون بالتقوى والإيمان والعمل الصالح وما عليه الإنسان من نقاء الروح وحسن الخلق.

فالتعصب مرض خطير يفكك الأمم ويحطم المبادئ ويولد العداوة والبغضاء بين أفراد الأمة الواحدة، لذا هدمه الإسلام وحارب كل أشكال التعصب والتمييز العنصري، وأزال كل عوامل التفرقة بين أبناء البشرية بسبب الجنس أو اللون والقبيلة وغير ذلك من الفوارق من خلال نصوص آيات قرآنية وأحاديث نبوية، إذ ليس هناك شعب الله المختار في الإسلام؛ بل الإنسانية كلها جديرة بالترسيم في هذه الأرض بمقتضى الإرادة الإلهية (lxxxi) قال تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } (lxxxii)

ولخطورة هذا الموضوع وتأثيره العظيم على خور الأمة وتشردم أفرادها قد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة تدابير وقائية تمنع الإنسان من الوقوع في برج هذه العصبية القاتلة والطائفية المقيتة، فمن تكلم الأحاديث على سبيل التمثيل لا الحصر ما يأتي:-

عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَعْصِبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقَتِلَ قَتْلَةً جَاهِلِيَّةً)) (lxxxiii) ففي الحديث تحذير وقائي من التعصب المقيت للقوم والعشيرة والعرق والمذهب والطائفة وتغيير منه على اختلاف أشكاله، لأنه ينافي ويعادي مبدأ الأخوة الإسلامية والإنسانية معاً، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه الأنواع من القتال والمناصرة من أجل العصبية راية عمية جاهلية؛ لأن هؤلاء يقاتلون لأجل شهوة أنفسهم وغضبهم ولعصبية قومهم، لا من أجل إعلاء كلمة الله (lxxxiv) .

عن المعرور بن سويد قال: ((مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَسَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَتَقَبَّلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ »، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاةً وَأُمَّةً، قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَاطْعُمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَالْيَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعْيِبُوهُمْ)) (lxxxv) ففي الحديث توبيخ للصحابي الجليل ونهي عن التعيير والتفاخر بالأباء والأنساب، لما ذلك من خصال وأخلاق أهل الجاهلية (lxxxvi) .

عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَبْتَزُّوْنَهَا: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالْجُورِ، وَالنِّيَاحَةُ)) (lxxxvii) فالشرف بالأباء والتعاضم بغير مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم جهل، فلا فخر إلا بالطاعة، ولا عز لأحد إلا بالله (lxxxviii) .

فما سبق يتبين بأن الإسلام اتخذ تدابير وقائية احترازية عديدة ومتنوعة من إثارة النعرات العنصرية والتعصبية والطائفية، فحارب كل ألوانها وأشكالها التي تدعو إلى التفرقة والتمييز بين طبقات المجتمع على أساس العرق واللون والجنس، وجعل الناس سواسية إذ لا تفاضل بين البشر إلا بميزان التقوى، ففضى بذلك على تلك العنصرية البغيضة والنعرات المقيتة والتفاخر بالأباء والأنساب التي كانت موجودة قبل الإسلام عند أهل الجاهلية، وانتهج مكانها نهج المساواة في الحقوق والواجبات بين الناس فروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لَيَبْتَنَّهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعَلِ الَّذِي يَدْهُدِي الْجِرَاءَ بِأَنفِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقَى وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ)) (lxxxix) .

المطلب الخامس: النهي عن قتل المعاهد.

المعاهد بكسر الهاء وفتحها على الفاعل والمفعول، وهو بالفتح أشهر وأكثر، والمعاهد: من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يطلق على أهل الذمة في ديار الإسلام وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صلحو على ترك الحرب مدة ما(xc)، وقد يطلق على المستأمن، قال الشوكاني: المعاهد: هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان فيحزرم على المسلمين قتله بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه(xci).

قدم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه توصيات رائعة في كيفية التعامل مع أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين في الديار الإسلامية، إذ أوصى صلى الله عليه وسلم بهم خيراً وحذر من إيذائهم والتعرض إليهم بسوء من غير وجه حق، فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)) (xcii)، وعن القاسم بن مخيمرة عن رجل من أصحاب رسول الله أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا)) (xciii).

فَنَصَّ الْحَدِيثَانِ صِرَاحَةً عَنْ تَحْرِيمِ قَتْلِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْمُعَاهِدِ وَالْمُسْتَأْمِنِ وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ وَوَعْدَ الْمَقْدَمِ عَلَى ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، فَالْإِسْلَامُ يِرَاعِي حُرْمَةَ دَمِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّ لَهُمْ عَهْدَ وَأَمَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْإِيْفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالْمَوَاطِقُ مِنْ أَخْلَاقِيَاتِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ قَالَ تَعَالَى {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} (xciv).

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها:-

النتائج

الإرهاب هو اعتداء مقصود ومنظم سواء من قبل دول أو جماعات أو أفراد على إنسان أو دينه أو ماله أو عرضه بقصد القتل أو التخويف أو الأذى من غير وجه حق.

الفهم الخاطيء لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واجترائها سبب من اسباب ممارسة الإنسان الارهاب والعنف ضد مخالفيه.

الإرهاب محرم ومنهي عنه شرعاً بكافة أنواعه وأشكاله بقصد التعدي على الإنسان- المسالم من المسلمين وغيرهم من أصحاب الدماء المعصومة ممن لا يستحقون التخويف – أو قتله أو تهديده أو ترويعه.

للدین الإسلامي نظام تربوي شامل فيه كثير من التدابير والإجراءات التربوية الوقائية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، من شأنه إذا تربي الإنسان على أسسه وتحلى بمبادئه أن يثري جانب الخير لديه وأن يحفز ويُدفعه لنشر الخير والأمن والسلام، كما يبعده ويزجره عن اقتراف الجرائم وممارسة الإرهاب والعنف تجاه الآخرين، مما يجعل ذلك المجتمع مجتمعاً متماسكاً مترابطاً تسود بين أبنائه الألفة والمحبة والتعاون.

في القرآن الكريم والسنة النبوية كثير من التدابير الوقائية اللازمة لمنع الإرهاب ووقوعه، وفي حالة حدوثه بين نصوصهما كيفية التعامل معه وسبل مكافحته ومواجهته والقضاء عليه.

التوصيات

يوصي البحث بما يأتي:-

تكريس القيم التربوية الإسلامية وغرسها في نفوس أفراد الأمة من خلال تثبيتها في النظم التربوية والتعليمية وتدريبها في المدارس والجامعات.

الاعتماد على الحوار الهادف المثمر كأساس لحل كل الخلافات سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأسر أو الدول.

تكوين مجلس أعلى - في كل دولة- لمكافحة الارهاب مكون من علماء الدين الإسلامي والعلماء التربويين والنفسيين وخبراء مكافحة الجرائم للعمل على مكافحة ومعالجة حالات تفشي الارهاب وذلك من خلال فتح دورات تدريبية تربوية تثقيفية عن الارهاب ومخاطره وعلاجاته.

ضرورة التعاون بين كافة الدول وخاصة الدول الإسلامية بغية القضاء على الإرهاب وعدم السماح للجماعات الإرهابية باستخدام أراضيها وعدم التعاون مع هذه الجماعات والمنظمات الإرهابية التي تهدف إلى الحاق الأذى بهذه الدول بالدرجة الأولى باسم الإسلام - والإسلام منها براء- وخاصة في هذا الوقت التي تلوح يد الاتهام ظلماً إلى الدول الإسلامية.

الفهرس

صورة الإرهاب في خطاب جلاله الملك عبد الله الثاني في المحافل الدولية

وآليات مكافحته

د. إبراهيم الياسين

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند بعض خطابات جلاله الملك عبد الله الثاني ابن الحسين في المحافل الدولية؛ وذلك لاستجلاء صورة الإرهاب بكل أشكاله، وبيان أفعاله البشعة، وممارساته الذميمة، والوقوف على آليات مكافحته ومحاربتة بشتى السبل، ومختلف الوسائل.

المقدمة

إن الناظر في المشهد السياسي العالمي ومنذ عقد من الزمن يلحظ بصورة جلية أن جلاله الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله ورعاه يبذل جهوداً مكثفة على المستويين الداخلي والخارجي في التعاطي مع ملف الإرهاب، وآليات مكافحته، والتصدي لعصاباته الإجرامية، ونبذ صورته المختلفة، ويقوم جلالته كذلك بدور كبير في مجال توضيح صورة الإسلام السمحة القائمة على المحبة والسلام، ومقاربة الأديان والتعاشيش معها، وتقديم الصورة الصحيحة عن المسلمين؛ وذلك من أجل حفظ الأمن والسلام العالميين. وإن وسائل الإعلام الحديثة بكل أطرافها: السمعية، والمرئية، والمشاهدة تعجز عن حمل هذا الدور أو القيام به؛ فجلالته صوت الحكمة، وصوت العقل، وصوت الفكر النير، الذي يقدره العالم أجمع، وإن آراءه وطروحاته موضع تقدير وإجلال دولياً، وعربياً، ومحلياً.

وقد ألقى جلالته عدداً كبيراً من الخطابات العقلانية الثقافية المؤثرة في عدد من المحافل الدولية العالمية خاطب فيها العقول والقلوب معاً من أجل بيان صورة الإرهاب وأنماطه، والتصدي لخطره، وتوضيح طرق مكافحته، وآليات القضاء عليه، واجتثاث جذوره؛ كي يعيش البشر جميعاً في عالم آمن ومستقر ومتحاب؛ لأن عالمنا اليوم كما ذكر صاحب الجلالة في خطابه أمام البرلمان الأوروبي في مدينة ستراسبورغ في فرنسا في العاشر من آذار عام ٢٠١٥م "يواجه عدواناً من إرهابيين يحملون أطماعاً لا تعرف أي رحمة، ليس دافعهم الإيمان، بل شهوة السلطة، التي يسعون إليها عبر تمزيق البلدان والمجتمعات بإشعال النزاعات الطائفية، والإمعان بإنزال الأذى والمعاناة بالعالم أجمع".

العرض

ولعل أهم خطابات جلالته التي تناولت الإرهاب خطابته التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلسات افتتاح الدورات (٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١) على التوالي، وأشمل تلك الخطابات وأكملها الخطاب الجامع المانع، الذي ألقاه يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ أيلول عام ٢٠١٦ في جلسة افتتاح الدورة الثامنة والستين للجمعية العامة؛ فقد كان خطاباً شمولياً واضحاً، تناول كل ما يتعلق بالإرهاب، وبيّن المنهج الشمولي لمحاربتة، والتصدي لعصاباته الإجرامية. وقد بدأ جلالته خطابه بوصفه أباً أولاً بالإضافة إلى كونه ملكاً يخاف على أبنائه وبناته وشعبه وأمتة وعالمه، ويحرص على مستقبلهم وعيشتهم بأمن وسلام ومحبة، حيث قال: "أنا هنا أيضاً كأب يسعى لأن يعيش أبنائهم وبناتهم وأبنائكم وبناتكم، والبشر جميعاً في عالم يسوده السلام والرحمة والمحبة".

ويرى جلالته أن مستقبل العالم يتعرّض لتهديد خطير ممن وصفهم غير مرة بالخوارج أو خوارج العصر، وهم كما قال: "أولئك الخارجون عن الإسلام وقيمه الإنسانية النبيلة، الذين وصل بهم الأمر اليوم إلى تهديد المجتمع العالمي بأسره، فهم يستغلون الاختلافات الدينية لتقويض أسس التعاون والتراحم بين بلايين الناس من جميع الأديان والطوائف، ممن يعيشون متجاورين في العديد من بلداننا. كما تستغل هذه العصابات الخارجة عن الإسلام حالة الانغلاق والشك بين أتباع مختلف الديانات والمذاهب؛ للتوسع وبسط نفوذها، والأسوأ من كل ذلك أنهم يمنحون أنفسهم مطلق الحرية لتحريف تأويل كلام الله، وتبرير جرائمهم البشعة" الأمم المتحدة ٢٠١٦، وكازاخستان ٢٠١٥ وإنهم "مجرد نقطة في بحر المؤمنين المكون من ١,٦ مليار مسلم في مختلف أنحاء العالم" ٢٠١٥ فرنسا. ولكنهم رغم ضالة نسبتهم يشكلون خطراً كبيراً على العالم أجمع؛ "لأن قطرة من السم يمكن أن تسمم بئراً كاملاً" وكازاخستان ٢٠١٥.

كما وصفهم جلالته في عددٍ من خطاباته بالعصابات الإجرامية، والقوى العدوانية التي تمارسُ جرائمَ إرهابيةً بشعةً ضدَّ الإنسانية، فهم "يشوهونَ ديننا لتبرير جرائمهم الفظيعة. ولا يؤدي ديننا أو مشاعر المسلمين شيئاً أكثر مما تؤذيهم أفعال هذه العصابات المجرمة، التي توجع الطائفية، وتشعل الفتنة في الأمة، وتظلل الشباب وتغريهم بالتخلي عن مستقبلهم، وهي تنشر العنف في جميع أنحاء العالم" كازخستان ٢٠١٥ ويتمثل هذا العنف في القتل الجماعي الوحشي والإبادة الجماعية، وقطع الرؤوس، والتشريد، والخطف، والعبودية، واضطهاد الأقليات، وتدمير الإرث الحضاري والثقافي والإنساني بشكلٍ ممنهج؛ ولذا فقد أكد جلالته وبناءً على تلك الممارسات الخطيرة، والأفعال الذميمة كحرق الجثث، وانتهاك الأعراس، ومصادرة الحريات أن العالم أجمع أمام معركة كبرى، أو حرب عالمية ثالثة أو كارثة عالمية.

ودعا جلالته غير مرة إلى "ضرورة أن يكون استيعابنا لهذه الحرب بحجم التحدي؛ الأمر الذي يتطلب جهداً جماعياً على مختلف الجبهات، وأهمها التركيز على محاربتهم بالفكر، وكسب العقول والقلوب، كما تحتاج إلى توحيد الصف كمجتمع إنساني" الأمم المتحدة ٢٠١٦. وشدد على أن معركة الإرهاب "حربٌ ضد أيولوجية توسعية تتغذى على الكراهية، وترتكب القتل باسم الله تعالى والدين؛ لتبرير شرور لا يقبل بها أي دين، إنها حربٌ ضد إرهابيين ينتهكون قيم الإسلام والإنسانية، ويتغذون على الظلم وانعدام الأمن الاقتصادي وعلى الإقصاء والتهميش" فرنسا ٢٠١٥. وبيّن أن هذه المعركة "معركة على الدول الإسلامية تصدّرها أولاً فهي قبل كل شيء حرب الإسلام" و"أن هزيمة الإرهاب تحتاج إلى منهجٍ شمولي يبدأ بمعالجة الظروف التي تستغلها الجماعات الإرهابية لتحقيق مآربها". كازخستان حزيران ٢٠١٥

وقال أيضاً: "لا وسيلة لحماية المجتمعات إلا باليقظة والحل الجاد، وهذا يتطلب ما هو أكثر من مجرد تدابير أمنية؛ إذ إن على الإنسانية أن تسلخ نفسها بالأفكار والمبادئ والعدل وإشراك الجميع اقتصادياً واجتماعياً" فرنسا ٢٠١٥. ويلحظ أن جلالة الملك في معظم خطاباته العالمية يركز كثيراً على فاعلية العمل الجماعي، وعلى أهمية التواصل لحلّول سياسية سليمة للأزمات الإقليمية، وعلى ضرورة التسلح بالفكر العميق للرد على الأفكار الداعشية الإهابية المغلوطة وهذا الفكر يجب أن تتبناه الجهات المعنية بالشباب جميعها: كالمؤسسات الدينية، والاجتماعية، والتربوية، والتعليمية، والشبابية، والإعلامية بكل أطيافها. بمعنى أنها يجب أن تبدأ من الأسرة مروراً بدور العبادة والمدارس والجامعات والمجتمع وانتهاءً بالدولة.

وقد قدّم جلالته في تلك الخطابات الدولية المتعددة خطةً إصلاحيةً شاملةً لمكافحة الإرهاب والتطرف بكل أشكالهما، ومنهجاً متكاملاً للقضاء عليهما والتصدي لعصاباتهما الإجرامية، وحدد الأخطار التي تحيط بالعالم بأسره من جزاء الجرائم الإرهابية، التي تحدث هنا وهناك، ووضع تصورات عميقة ودقيقة لحلول مناسبة تكفل حل هذه الأخطار ولو بشكل جزئي أو تدريجي. ومنها:

العودة إلى الأصول والجوهر والروح المشتركة بين الأديان. أو التواصل الحقيقي بين الأديان، وإشراك الناس في هذا الجهد.

الدعوة إلى تغيير لهجة خطابنا، ونبيذ خطاب الكراهية والعنف والخوف، الذي يحمله المتطرفون ليكون خطاباً يدعو لمحبة الله، ونشر السلم والرحمة والتعايش.

ترجمة المعتقدات إلى أفعال.

الدعوة إلى التسامح. والسلم والوثام العالميين، فهما يشكلان منظومة دولية تكفل الحقوق والاحترام لجميع الشعوب.

كفّ الزيف والخداع.

الدعوة إلى التواصل وكيفية العيش والتفاعل.

الدعوة إلى تعظيم صوت الاعتدال.

ومنها أيضاً كما ورد في خطابه في فرنسا:

الاحترام المتبادل الذي يربط بيننا ويدعم علاقاتنا. وبناء الأمل بين أفراد الشعوب.

أن نزرع في شبابنا القيم التي ترفض العنف، وتصنع السلام، وتبني المجتمع الذي يحتضن الجميع بلا تفرقة.

العمل المشترك بجهود دولية جماعية.

عرض مشروع قرارٍ ينطوي على اقتراح عام لدراسة جريمة دولية جديدة تندرج تحت الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية.

التركيزُ على منظومةٍ قيميةٍ وأخلاقيةٍ مبنية على الإخاء والتسامح ومحبة الآخر وقبوله بعيداً عن خطاب الكراهية والتطرف والعنصرية. حب الله وحب الجار أساس حفظ كرامة البشر

هذا إضافة إلى التزامٍ دولي بتخفيف المعاناة في مناطق الأزمات، ودعم الحلول السياسية، التي تعزز الوحدة الوطنية لبناء مستقبلٍ مستقر كحل مشكلة اللاجئين، والدعوة إلى التوسع في تحقيق الأزدهار وخلق الفرص لتشمل المجتمعات والمجموعات ضعيفة التحصين خصوصاً الشباب. وكازاخستان ٢٠١٥.

وقد بيّن جلالته أنّ الأردن يعدّ نموذجاً فريداً في التعامل مع الإرهابٍ تعاملًا عقلانياً رزيناً؛ إذ طرح الأردن عدداً كبيراً من المبادرات لمحاربة الفكر الإرهابي، وإبراز أهمية التسامح والحوار، ومنها على سبيل المثال: "رسالة عمان"، و"كلمة سواء"، و"الأسبوع العالمي للوثام بين الأديان"، التي اعتمدها الأمم المتحدة قبل سنواتٍ كحدثٍ سنوي يهدف إلى تشجيع الناس عموماً والشباب على وجه الخصوص لتبني المبادئ النبيلة كالتسامح والتعايش.

خلاصة البحث

يتبين مما سبق أنّ خطابات جلالته الملك تشكل منظومةً سياسيةً واقتصاديةً واجتماعيةً شاملة، وترتقي لأن تكون وثيقة تنفذ بنودها للخروج من الأزمة، التي يمرّ بها العالم بشكلٍ عام، والعالم العربي بشكلٍ خاص. وأنّ خطابه رسالةً لتقدير قيم التسامح والتعايش، ونبذ الإرهاب والتطرف. إنّه خطابٌ عقلائي، يحاور أصحاب الألباب من أجل التصدي للإرهاب، واجتثاث جذوره من كلّ بقاع العالم؛ لما له من آثارٍ مسيئة، وأفعالٍ مدمرة، حيث شرّد آلاف البشر، وقتل مئات الأبرياء، ودمّر الكثير من الإرث الحضاري والإنساني، وهدم بعض دور العبادة، والمنشآت السكنية والصناعية، وانتهك الأعراض، واعتدى على النساء والأطفال والشيوخ، وتجاوز الحدود والأعراف، التي دعت إليها الشرائع السماوية كلها فاغتصب، ونهب، وسلب، وقتل، وأعدم، وأحرق.

وإنّ هذا الخطاب العالمي يعكس حكمة جلالته الملك وذكاءه، وحكته السياسية الثاقبة، ورؤيته المستقبلية البعيدة، وحرصه الأكيد على ضرورة الارتكاز على المعتقدات في احترام الرأي والرأي الآخر؛ توحيداً للتطلعات والجهود الإنسانية، التي يحاول الإرهاب من بثّ سمومه لجني مصالحه الخاصة. وقد أكد جلالته في غير مرة أنّ الحلّ السياسي هو مفتاح الانتصار بالحرب على الإرهاب ولا بدّ من تركيز الجهود الدولية على ذلك.

من أقواله في أوراقه النقاشية "قد نختلف لكننا لا نفرق فالحوار والتوافق واجب وطني مستمر" و١

Jordanian efforts in the fight against terrorism "a study on the role of Jordanian political institutions in combating it

ABSTRACT

This study is entitled "A Study on the Role of Political Institutions in Combating Terrorism" in order to demonstrate the efforts exerted by Jordanian states and political institutions in combating terrorism. The study started from the hypothesis that political institutions have the ability to eliminate The phenomenon of terrorism in Jordan, The second hypothesis is that the political institutions in Jordan have an integrated plan and at all levels that enable them to eliminate the cause of this phenomenon by all tools, whether military or intellectual. The study touched on the role of official institutions, ministries, armed forces and the security services in combating this phenomenon using a methodical decision making and historical approach .

Keywords: terrorism, political institutions, Jordan, combating terrorism

الجهود الأردنية في مكافحة الإرهاب " دراسة في دور المؤسسات السياسية الأردنية في مكافحته "

د.الحارث محمد سبيتان الحلامة

الملخص

جاءت هذه الدراسة بعنوان الجهود الأردنية في مكافحة الإرهاب "دراسة في دور المؤسسات السياسية في مكافحته" وذلك لبيان الجهود المبذولة من قبل الدول الأردنية والمؤسسات السياسية بشكل خاص في مكافحة ظاهرة الإرهاب ، حيث إنطلقت الدراسة من فرضية مفادها أن المؤسسات السياسية لديها من المقدرة أن تقضي على ظاهرة الإرهاب في الأردن ومن فرضية ثانياً أن المؤسسات السياسية في الأردن تملك خطة متكاملة وعلى جميع الأصعد والتي تمكنها القضاء على المسببات لهذه الظاهرة بجميع الأدوات سواء عسكرية أو فكرية ، زقد تطرقت الدراسة إلى دور المؤسسات الرسمية والوزارات والقوات المسلحة والأجهزة الأمنية في مكافحة هذه الظاهرة مستخدماً منهجي صنع القرار والمنهج التاريخي .

الكلمات الداله: الإرهاب، المؤسسات السياسية، الأردن، مكافحة إرهاب

المقدمه

إن الإرهاب من الظواهر القديمة قدم المجتمعات البشرية وإن علاجها يستدعي البحث العميق في أسبابها ودواعي إنتشارها، فانسداد السبل المشروعة التي يتوصل الناس عن طريقها إلى نيل حقوقهم، والأمن على مصالحهم، وبوجه خاص على مستوى الشعوب والأمم قد زاد هذه الظاهرة تعقيداً.

ونظراً لتزايد الأفعال الإرهابية واعتبارها ظاهرة حقيقية لا يمكن تجاهلها أصبح واجباً على الدول كافة إتخاذ الإجراءات والتدابير العملية التي ترمي إلى منع الإرهاب الذي يودي بحياة الأرواح البريئة، ويعرض الحريات الأساسية للخطر. وهذه التدابير تتم إما باتفاقيات دولية ومواثيق داخلية تقوم بها الدولة داخل إقليمها للقضاء على الأسباب التي تدفع الأفراد إلى ارتكاب الأفعال الإرهابية من تهذيب وتوعية وإصلاح اجتماعي وسياسي، وإقرار الحريات الأساسية واحترام حقوق الإنسان وغيرها من التدابير، وقد تكون تدابير ذات طابع عملي من خلال الأجهزة الأمنية واستخدام التكنولوجيا.

تعرّض الأردن للإرهاب ومنذ تأسيس الدولة، ولازال تهديد الإرهاب ماثلاً أمامه، لاسيما أن معظم التنظيمات الإرهابية، أصبحت على حدوده المباشرة في كل من سوريا والعراق. ولذلك كان لزاماً على الدولة الأردنية أن تقوم باتخاذ مجموعة من الإجراءات لمكافحة النشاطات الإرهابية بإجراءات استباقية ضمن الإطار الجغرافي للدولة، وأخرى خارجية تكون ساحة فعلها ودينامية حركتها الإطار الإقليمي المحيط بالدولة الأردنية، بهدف منع وصول مجال تأثيرها على الداخل الأردني وفي هذا الإطار تبذل المؤسسات السياسية الأردنية جهوداً حثيثة لمكافحة الإرهاب من خلال إجراءات مشددة وعلى عدة مستويات؛ وذلك من خلال الإتفاقيات القانونية الدولية، ومن خلال التشريعات الوطنية والقوانين، ومن خلال رسالة عمان ومن خلال الأجهزة الأمنية وتحديثها، ومن خلال عمل العديد من الوزارات والمؤسسات المختلفة.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة من دراسة دور الدولة الأردنية في مكافحة الإرهاب مسلطاً الضوء بشكل كبير على دور المؤسسات السياسية في معالجة أثر هذه الظاهرة والتي أصبحت تثير قلق العديد من الدول لما لها أثر كبير على أمنها الوطني ، لذلك فإن هذه الدراسة تسعى لتوضيح بشكل .

فرضية الدراسة

تنطلق الدراسة من فرضية أن المؤسسات السياسية في الأردن قادرة على القيام بواجباتها في مكافحة الإرهاب.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى عدة أهداف

بيان ماهية ظاهرة الإرهاب

توضيح دور الدولة الأردنية في مكافحة الإرهاب بجميع مؤسساتها

دور المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في مكافحة الإرهاب

توضيح دور المؤسسات السياسية في مكافحة الإرهاب

مشكلة الدراسة

تتلخص مشكلة الدراسة في أن هل تملك الدولة الأردنية خطة عمل متكاملة وعلى جميع الأصعد داخل مؤسساتها السياسية في مكافحة ظاهرة الإرهاب ، وأنها قادرة على مكافحة المسببات التي تؤدي إلى إزدياد هذه الظاهرة .

أسئلة الدراسة :

ماهي ظاهرة الإرهاب وماهي مسبباتها ؟

ماهو دور المؤسسات السياسية في مكافحة الإرهاب ؟

هل تمكنت الأعمال الإرهابية التي حدثت على الساحة الأردنية من احداث خلل في منظمة الأمن الوطني الأردني؟

هل إمتلك المؤسسات السياسية الأردنية خطه كاملة لمكافحة الإرهاب ؟

هل شكلت ظاهرة الإرهاب تهديد فعلي على الساحة الأردنية سياسيا وإجتماعيا ؟

ما مدى التنسيق بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الأردنية في مجال مكافحة الإرهاب ؟

منهجية الدراسة

إعتمدت هذه الدراسة على المنهجين منهج صنع القرار و المنهج التاريخي

تم إستخدام منهج صنع القرار لبيان دور مؤسسة صنع القرار في الدولة الأردنية على صنع قرارات ما من شأنها مكافحة هذه الظاهرة أسبابها .

فقد تم توظيف المنهج التاريخي في دراسة للحالات التاريخية لأهم العمليات الإرهابية على الساحة الأردنية وذلك من خلال رصد هذه الأحداث من حيث الزمان والمكان وتحليلها من جانب علمي .

الدراسات السابقة

دراسة صدام الحجاجه (٢٠١٨) بعنوان السياسة الأردنية في مواجهة التطرف والإرهاب (٢٠١١-٢٠١٧)رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة مؤتة

جاءت هذه الدراسة لتوضح الجهود الأردنية في مكافحة الإرهاب والتطرف ذاكرة الوسائل المتبعة لمحاربة الفكر المتطرف وذلك بإعادة صياغة الخطاب الديني وتوضيح رسالة الإسلام الحق من خلال نشاطات المؤسسات الدينية ، بالإضافة الى التركيز على بيوت العباده ومنطلقا منها للأسباب الأخرى كالبطالة والفقر ونقص التعليم محاولة الدراسة الخروج بتوصيات ما من شأنها القضاء على الأسباب التي تؤدي لإزدياد ظاهرة الإرهاب .

دراسة نادية العموش (٢٠١٧) بعنوان الحرب على الإرهاب وأثره على إستقرار الأمن الوطني الأردني ، بحث منشور في مجلة دراسات – العلوم الإجتماعية والإنسانية .

تأتي أهمية هذه الدراسة في بيان الجهد الرسمي الأردني في المحافظة على الأمن الوطني ، وذلك من خلال الإجراءات التي تقوم به على كافة الصعد من أجل حماية الوطن من أكبر تهديد يشكل خطرا على إستقرارها وهو خطر الإرهاب.

بحيث غطت هذه الدراسة كافة الأساليب والأدوات التي تتخذها الأردن في مكافحة الإرهاب سواء على صعيد القانوني كالتشريعات التي تضع حداً لأنشطته الإرهابية ، أو على مستوى الخطاب الديني أو الإجراءات المتخذة من قبل الأجهزة الأمنية على الأرض.

دراسة حميد دجوقه (٢٠١٥) بعنوان الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان.

تعرض الدراسة بالقراءة والتحليل موضوعاته الموزعة على خمسة فصول لمفاهيم الأمن الوطني. الأردني ومرتكزاته وتحدياته إلى جانب إبراز دور وحدات القوات المسلحة في دعم الأمن الوطني. يشير المؤلف في الكتاب إلى إن الدولة الأردنية سعت في ظل التحولات الديمقراطية على الساحة الدولية إلى تأمين الأمن والاستقرار الداخلي من أجل الاستمرار والبقاء والنهوض بالدولة ومواكبة تطورات العصر الحديث مبيناً إن الدراسات والتجارب المحلية والدولية أشارت إلى الدور الفاعل الذي يميز الأردن بقدرته على التنمية والتحديث ومواجهة التحديات.

دراسة بلجن (٢٠١٦) bilgein، بعنوان: " security: the challenges of globalization jordan changing discourse of "تغير الخطاب الأمني الأردني: تحديات العولمة"، وأبرز نتائج هذه الدراسة إضطلاع الجيش الأردني في تشكيل المنهج السياسي وتحديد تعريف الأمن الوطني، وضعف إهتمام معاهد المجتمع المدني بقضايا الأمن الوطني.

دراسة ابراهيم العميرة (٢٠١٤) رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، بعنوان: التهديدات الداخلية والخارجية المؤثرة على الأمن الوطني الأردني

بحيث هدفت الدراسة إلى التعرف على توجهات السياسة الخارجية الأردنية وسلوكياتها تجاه ما يعرف بظاهرة الإرهاب وما ترتب عليها من جهود للقيادة السياسية الأردنية على المستوى الداخلي والخارجي، بالإضافة إلى التعرف على الظاهرة الإرهابية من حيث التعريف والأسباب ومظاهر الخطورة وسبل التعامل معها ومعالجتها، كما استعرضت الدراسة تعريف السياسة الخارجية الأردنية ولمحة تاريخية عن مسيرتها السياسية بالإضافة إلى شرح للعوامل المؤثرة في صنع القرار السياسي، بالإضافة إلى كيفية معالجة ظاهرة الإرهاب وأسباب استهداف الأردن بأمنه واستقراره، كما تناولت الدراسة دور السياسة الخارجية الأردنية في مكافحة الإرهاب بكافة صورته وأشكاله وبواعثه التي ترتكب ضد الأبرياء.

المبحث الأول: الإرهاب مفهومه وأنواعه وأسبابه.

ورد العديد من التعريفات الخاصة بظاهرة الإرهاب، ورغم تعددها وإختلاف مصدورها وأهداف كل تعريف إلا أن جميع هذه التعريفات تتفق على كونه عمل إجرامي هدفه زعزعة أمن واستقرار المجتمع، والنيل من الأمن والسلم العالمي، ومن أهم التعريفات التي تناولت الحديث عن مصطلح الإرهاب ما يلي:

أولاً: تعريف الإرهاب

١- تعريف الإرهاب لغةً

تعتبر كلمة إرهاب مصدر للفعل أرهب يرهب، بمعنى: أخاف وأفزع، والفعل أرهب رباعي بزيادة الهمزة على أصله الثلاثي رهب.

وأرهبته ورهبته، واسترهبته: أزعجت نفسي بالإخافة، والإرهاب بالكسر: الإزعاج، والإخافة، تقول العرب: يقشعر الإرهاب إذا وقع منه الإرهاب.(١)

كما أن أصل كلمة terrorism من الكلمة اللاتينية terror وهي بمعنى الفزع والخوف، والقلق المتناهي غير المؤلف، وأول ما ظهرت في اللغة الفرنسية بلفظ terrorisme وعرفه الملحق الخاص لعام ١٧٩٨م من قاموس الأكاديمية الفرنسية بأنه: تلك الأفعال التي ترتكبها السلطة لنشر الرعب بين المواطنين من خلال الإكراه أو الاستعمال غير المشروع وغير المتوقع للقوة.(٢).

٢- تعريف الإرهاب اصطلاحاً

يعرف الارهاب اصطلاحاً بأنه : مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظمة أو أفراد بقصد الإخلال بأمن الدولة وتحقيق أهداف سياسية أو خاصة أو محاولة قلب نظام الحكم.(٣).

وقد عرف القانون الأردني لمنع الإرهاب رقم ١٨ لعام ٢٠١٤ العمل الإرهابي: ((كل عمل مقصود أو التهديد به أو الامتناع عنه أياً كانت بواعثه وأغراضه أو وسائله يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي من شأنه تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر أو إحداث فتنة إذا كان من شأن ذلك الإخلال بالنظام العام أو إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو المرافق والأماكن العامة أو الأملاك الخاصة أو المرافق الدولية أو البعثات الدبلوماسية أو احتلال أي منها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية أو الاقتصادية للخطر أو إرغام سلطة شرعية أو منظمة دولية أو إقليمية على القيام بأي عمل أو الامتناع عنه أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو الأنظمة)). (٤) كما نصت المادة (١٤٧) من قانون العقوبات الأردني رقم ١٦ لعام ١٩٦٠ على أنه يقصد بالأعمال الإرهابية ((جميع الأفعال التي ترمي إلى أيجاد حالة ذعر وترتكب بوسائل كالأدوات المتفجرة أو المواد الملتهبة والمنتجات السامة أو المحرقة والعوامل البوتانية أو الجرثومية التي شأنها أن تحدث خطراً عاماً)). (٥)

ونعرض فيما يأتي بعض تعريفات الإرهاب، مكتفين بها عن الكثير من التعريفات التي حاولت وصف هذه الظاهرة وتمييزها عن غيرها من الظواهر الإجرامية الأخرى.

وحسب تعريف الأمم المتحدة للإرهاب فإن الإرهاب هو "تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تؤدي بها، أو تهدد الحريات الأساسية، أو تنتهك كرامة الإنسان" (٦)

كما عرفت الخارجية الأمريكية الإرهاب بأنه "عنف تولده دوافع سياسية، وينفذ مع سبق الإصرار والتدبير ضد مدنيين لا صلة لهم بالحرب أو ضد عسكريين عزل عن السلاح، ولا يقومون بواجب قتالي، وتقوم جماعات وطنية أو عملاء سريون بتنفيذ عمليات الإرهاب". (٧)

في حين عرفه مجلس وزراء الداخلية العرب في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب عام ١٩٩٨م بحيث وقع وزراء داخلية الدول العربية على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، والتي عرفت الإرهاب بأنه "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر" (٨)

وعلى مستوى العالم الإسلامي فقد عرفه المجتمع الفقهي الإسلامي الإرهاب بأنه: "العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان- دينه، ودمه، وعقله، وماله- بغير حق، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو أمنهم أو أموالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماكن العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها: (ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)" (٩)

ثانياً : أسباب الإرهاب

الأسباب السياسية: تعتبر ظاهرة الإرهاب عنصراً فاعلاً في إتخاذ القرار السياسي، وأسلوباً تستغله بعض الدول لإكراه خصومها على الانصياع لما تفرضه عليها من أوضاع جديدة في المجال السياسي، وأن أخطر ما في الإرهاب هو قيامه كبديل عن العنف السياسي للحروب التقليدية باعتبار العنف السياسي هو أفعال التخريب والتدمير وإلحاق الأضرار والخسائر التي توجه إلى أهداف معينة والتي تكون آثارها ذات صفة سياسية من شأنها تعديل أو تقييد أو تحويل سلوك الآخرين في موقف المساومة والتي لها نتائج على النظام الاجتماعي.

كما يرجع إنتشار ظاهرة الإرهاب في الشرق الأوسط والغرب إلى الصراع السياسي بين القوتين العظيمةتين- قبل إنحلال الاتحاد السوفيتي- وذلك من أجل السيطرة على مصادر الطاقة، فلقد وجدت القوتان أن الإرهاب أنسب بديل للحروب التقليدية للسيطرة على القوى المسؤولة على إتخاذ القرار السياسي، وبذلك أصبحت منظمات الإرهاب تابعة لدول وحكومات تستخدمها في صراع مع الدول الأخرى، وقد أدى التواجد الإسرائيلي في المنطقة والذي يعتبر المدرسة الأولى للإرهاب الدولي وممارسته لأساليب إرهابية مستحدثة، أدى ذلك إلى نقل هذه الأساليب للمنظمات الأخرى.

الأسباب الدينية-الثقافية: لا شك أن من أهم الأسباب الأساسية لظاهرة الإرهاب هي التربية الدينية المفقودة في الأسرة والمدرسة والجامعة، فالفراغ الديني، وضعف البصيرة بحقيقة الدين، والفهم الخاطئ لبعض المفاهيم الشرعية، تؤدي إلى إنتهاج الإرهاب والعنف، فالإرهاب والتطرف ظاهرة عامة أصابت جميع الأديان في شتى المراحل التاريخية ولكل دين خوارج، فما ظهر من دين أو مذهب أو نظام إلا وكان من بين أعضائه وأنصاره متطرفون ومعتدلون ويرى بعض الباحثين أنه في مجال التطرف الديني يبدأ الفرد متديناً عادياً يأخذ نفسه بتعاليم دينه ويدعو الناس إلى الأخذ بها، إلا أنه غالباً ما يواصل مسيرته وفق منهاج متشدد مع نفسه أولاً ثم مع الناس. كما أن الثقافة التي تنتج الإقصاء الاجتماعي والنبذ الثقافي والمفاصلة الشعورية بين المختلفين والمغايرين هي ثقافة مولدة للإرهاب والعنف.(١٠)

الأسباب الاقتصادية: إن الاقتصاد بتقلباته وما يلحقها من تغيرات تعتبر مؤثرة في المجتمعات الفقيرة من الأساليب الخطيرة المحركة لموجات الإرهاب في العالم، وتبشر العولمة التي قد تحتاح العالم في الأعوام المقبلة بمزيد من الأزمات الاقتصادية للدول والمجتمعات النامية مما يزيد من الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، ويتوقع المفكر وليم نوك مؤلف كتاب (عالم جديد متغير) أن يكون الإرهاب رد الفعل المقابل للمتغيرات الاقتصادية الخطيرة، فإذا كان المجتمع يعاني من مشكلات كالفقر والبطالة والديون وارتفاع الأسعار وعدم التناسب بينها وبين الأجور ومشكلات الصحة وغيرها فإنها تدفع الشباب إلى الاتجاه إلى التطرف والإرهاب والعنف وذلك لتحقيق أهداف معينة.

ثالثاً: أنواع الإرهاب

الإرهاب الدولي:

قد يمارس الإرهاب عبر الحدود إذ توجه دول أو منظمات معينة ضد مصالح دول أخرى ورعاياها، أو ضد العناصر المناوئة من الخارج، ويعرف في هذه الحالة باسم الإرهاب الدولي ويأتي عن طريق الدول لإحداث ثورة عالمية تغير في الأدوار العالمية مثل تحريض دولة ضد أخرى وغيره.

إرهاب الدولة:

ويزداد هذا النوع من الإرهاب كثيراً في الدولة الدكتاتورية نظراً لأنه في الغالب موجه ضد المعارضين السياسيين بصورة مباشرة وتمس المواطنين الأبرياء في بعض الأحيان عن طريق التحكم بأساليب حياتهم وأنماط معيشتهم.

ويرتكز إرهاب الدولة على أساليب الاغتيال السياسي، الاختطاف، النفي، الإقامة الجبرية، احتجاز الرهائن، التصفيات الجسدية، الإرهاب الفكري، وفرض حالة الطوارئ، مصادرة الحقوق والحريات وسن القوانين والتشريعات التي تكثر من صلاحيات الحكومات والحكام الدكتاتوريين، حيث شهدت العديد من الأنظمة ممارسة العنف والإرهاب(١١)

الإرهاب الفكري:

وهو استخدام العنف لفرض منهج مستورد وضعي أو أي رأي معين لتنتشر الفوضى في المجتمع وتزعزع الأمن جهلاً وغروراً وتقليداً لقلّة الفهم في الدين ليسيّط على المجتمع أهل الأهواء والأفكار المنحرفة، وهو ما يتصل بحرية الرأي والتعبير والفكر، وقد مارست الدول الكبرى والصهيونية العالمية ضد كل من يحاول تعرية اطروحاتها وموروثاتها الإيديولوجية والفكرية إرهاباً فكرياً وضغوطاً رهيبية(١٢)

الإرهاب الاقتصادي:

يمارس هذا النوع الإرهاب الاقتصادي على الصعيد الداخلي عندما تعمل الدولة والفئة الحاكمة لصالح البرجوازية والطبقات المميزة، أو لصالح الفئة التي تستند إليها السلطة، فالسلطة الحاكمة تضع في الوظائف الرئيسية الأشخاص الذين هم من لونها السياسي والاجتماعي وتمنحهم سلطة القرار، فتعمل البيروقراطية هذه على منح الامتيازات والتسهيلات الاقتصادية لمؤيديها وتحرم الفئات الأخرى وخصوصاً المعارضة من موارد الدولة، مما يسهم في الخلل الاقتصادي والاجتماعي بين أفراد الشعب.(١٣)

إرهاب الجماعات:

يعج العالم بالعديد من الجماعات المتناحرة والمتصارعة ببعضها البعض أو مع دولها، وهذه الجماعات يتميز ويختلف إرهابها من إقليم إلى آخر تبعاً لاختلاف الأهداف والمطالب التي تطرحها ونوع الظلم الواقع عليها، وبعض أفعالها قد لا يكون إرهابياً، إلا حينما يستهدف أبرياء ليس لهم علاقة بواقع الصراع أو جهة المطالب التي يطالبون حقوقهم منها، وقد تميزت في هذا العصر بأن أساليبها أصبحت أكثر دقة وتنظيماً في تنفيذ عملياتها الإرهابية بالقدر الذي يجعل أحداً لا يستطيع تصور ما في فرد واحد حتى وإن اتسم بالطابع الفردي في الظاهر.

الإرهاب الديني:

الدين هو فكرة وعقيدة ونظام وكل عقيدة يكون لها مؤيدون ومناهضون، وكلما زاد عدد المؤيدين زادت العقيدة قوة وكلما قل عدد المؤيدين زادت ضعفاً وتفككاً، ومنذ القدم تمتنع رجال الدين بقوة كبيرة في المجتمع وناقسوا السلطان في سلطته ومارسوا الضغوط والإكراه على غيرهم من فئات الشعب، وكل دين جديد يهدف إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية القائمة، لذلك يعتبر ثورة اجتماعية وسياسية. (١٤)

الإرهاب السياسي:

إن كل المجتمعات قديمها وحديثها تمارس الإرهاب السياسي بشكل أو بآخر، فالتغييرات الأساسية في سلوك مختلف فئات المجتمع بالنسبة لبعضهم البعض أو بالنسبة التي تؤثر في نشوء الاضطرابات والصراعات الداخلية وحتى الحروب الأهلية، فالسلطة هي هدف كل فئة تسعى إلى الوصول إليها والاحتفاظ بها، فالسلطة تصبح إذاً محور صراع الطبقات في الدولة، فالإرهاب السياسي للطرف الحاكم سواء كان من الأقلية أو الأغلبية يضر بالعلاقات الاجتماعية ويثير الفرقة بين أفراد الطرفين، مما يجعل كل طرف يحاول اضطهاد الآخر وممارسة العنف ضده.

ولعل الإرهاب السياسي هو أكثر أوجه الإرهاب شيوعاً وأمسها علاقة بأنواع الإرهاب الأخرى، والصورة العامة للإرهاب السياسي تتجسد في الدكتاتوريات، ولذا فإن الغيورين على الديمقراطية يرفضون أي معارضة سياسية فكأنهم بذلك قد قلبوا الديمقراطية إلى دكتاتورية صارخة من حيث لا يشعرون، ويرجع هذا إلى أن غايتهم الحكم والسيطرة والاعتنام ولا شيء سواه. (١٥)

المبحث الثاني : دور المؤسسات الأردنية في مكافحة الإرهاب

جاءت أهمية هذا الدور نظراً لتزايد الأفعال الإرهابية واعتبارها ظاهرة حقيقية لا يمكن تجاهلها، وأصبح واجباً على الدول كافة اتخاذ الإجراءات والتدابير العملية التي ترمي إلى منع الإرهاب الذي يؤدي بحياة الأرواح البريئة، ويعرض الحريات الأساسية للخطر. وهذه التدابير تتم إما باتفاقيات دولية وموثيق داخلية تقوم بها الدولة داخل إقليمها للقضاء على الأسباب التي تدفع الأفراد إلى ارتكاب الأفعال الإرهابية من تهذيب وتوعية وإصلاح اجتماعي وسياسي، وإقرار الحريات الأساسية واحترام حقوق الإنسان وغيرها من التدابير، وقد تكون تدابير ذات طابع عملي من خلال الأجهزة الأمنية واستخدام التكنولوجيا وفي هذا الإطار تبذل الدولة الأردنية جهوداً حثيثة لمكافحة الإرهاب من خلال إجراءات مشددة وعلى عدة مستويات؛ الأردن والاتفاقيات القانونية الدولية، ومن خلال التشريعات الوطنية والقوانين، ومن خلال رسالة عمان ومن خلال الأجهزة الأمنية وتحديثها، ومن خلال التكنولوجيا العملية. (١٦)

قامت الحكومة انسجاماً مع تطلعاتها نحو مكافحة الإرهاب بالانضمام وتفاعل وتفعيل المعاهدات الدولية لمكافحة الإرهاب، حيث انضم الأردن إلى اتفاقيات دولية خاصة بالإرهاب الدولي، بالإضافة إلى الاتفاقية العربية الموقعة بالقاهرة كما أسهم الأردن في صياغة العديد من الاتفاقيات على المستويين العربي والدولي للتنبيه على مخاطر الإرهاب والدعوة لمكافحته.

أولاً : نبذة تاريخية عن أهم "الهجمات الإرهابية" التي شهدتها الساحة الأردنية منذ العام ١٩٩٣-٢٠١٦.

عام ١٩٩٣: "خلية جيش محمد" استهدفت هجماتها بعض الأهداف والمؤسسات العامة كمباني الحكومة ولم تسفر تلك الهجمات عن سقوط ضحايا.

١٩٩٤م: "مجموعة الأفغان الأردنيين" استهدفوا بعض دور السينما ومحلات بيع الخمور في منطقتي البقعة وصويلح، وفشلت حينها هذه في تنفيذ مخططات أخرى من بينها "فندق القدس" في عمان.

١٩٩٤م: وبعد إختفاء الأعمال الإرهابية لسنوات، لتظهر بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، عبر مخططات وهجمات تم إحباطها وكانت غالبيتها لخلايا ذات صلة بأحمد الخاليلة الملقب بأبي مصعب الزرقاوي.

٢٠٠٢ م: قيام خلية تابعة للزرقاوي باغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولبي الذي كان يعمل في الوكالة الأمريكية للإنماء الدولي.

٢٠٠٤: ضرب صواريخ كاتيوشا بالقرب من مستشفى عسكري في منطقة العقبة الجنوبية وأدت إلى وفاة شخص وإصابة أربعة قامت بها خلايا تابعة للزرقاوي.

٢٠٠٥ م: مرحلة فارقه بتاريخ الإرهاب في الأردن وهي تفجيرات عمان- التي تبناها تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين واستهدفت ثلاثة فنادق وسط العاصمة، وأسفرت عن مقتل ستين شخصاً وجرح المئات.

٢٠٠٥ م: تم الإعلان باستمرار عن إعتقال العشرات ممن خططوا لعمليات داخل الأراضي الأردنية، وأعلن عن إحباط عدد من المحاولات والعمليات وتحويل مرتكبيها إلى محكمة أمن الدولة، وبعدها بسنوات لم تحدث أي عملية إرهابية .

٢٠١٤ م: قيام جماعة إرهابية بخطف السفير الأردني في ليبيا وتم تحريره مقابل إفراج الأردن عن إرهابي ليبي كان معتقل بالسجون الأردنية على أثر عملية إرهابية كان ينوي تنفيذها بالمملكة.

٢٠١٥ م: وقوع اعتداء مسلح داخل مركز تدريب أممي أردني في منطقة الموقر شرق عمان – وراح ضحيته خمس مدربين عسكريين منهم ضابطان أردنيان وآخران أمريكيان وجنوب أفريقي إضافة إلى منفذ العملية نفسه، واعتبرت الحكومة حينها إن العمل "فردى ويتعلق بأمر نفسية" لمنفذ الهجوم.

٢٠١٦ م: ضبط إرهابي عراقي- نرويجي أخفى متفجرات في منطقة جرش بقصد استخدامها في أعمال إرهابية وتم القبض عليه قبل تنفيذ جريمته.

٢٠١٦ م: استشهاد ضابط أمن من القوات الخاصة الأردنية إثر اقتحام مقر خلية على صلة بتنظيم الدولة في مدينة إربد شمالي البلاد، قُتل فيها سبعة من الخلية المسلحة أثناء الاشتباك واعتقل آخرون.

٢٠١٦ م: استشهاد خمسة من مرتبات دائرة المخابرات العامة في هجوم مسلح استهدف مكتباً للدائرة في مخيم البقعة شمال عمان.

٢٠١٦ م: حادثة الركبان والتي أدت إلى استشهاد سبعة جنود من مرتبات الجيش العربي وجرح ١٤ آخرين أثر استهدافهم بسيارة مفخخة جاء من جانب السوري في المنطقة الحدودية الركبان.(١٧)

٢٠١٦ م: حادثة القلعة في محافظة الكرك ، والتي قام فيها مجموعة من الإرهابيين والتي أدت إلى مقتل عدد من مرتبات الأمن الأردني ومقتل منفذي الهجوم ، وقد أعلن تنظيم داعش الإرهابي مسؤوليته عن العملية

وعلى الرغم من توسيع دائرة الإرهاب، وما تعرض له الأردن من أضرار وتبعات مادية، بشرية واقتصادية، فإن الأردن لا زال يشدد على إدانة ومقاومة الإرهاب بكافة أشكاله وبكل الوسائل، وسيبقى ملتزماً بمكافحته، وعدم السماح أو التغاضي عن استخدام أراضيهِ منطلقاً لأية نشاطات إرهابية.(١٨)

وقد نجح الأردن في إحباط وضرب العديد من الخلايا الإرهابية التي خطط بعضها لتنفيذ عمليات في الأردن، والبعض الآخر عبر الأردن، كما تم إحباط معظم العمليات العسكرية التي خططت لها هذه الخلايا في مراحلها الأولية، ومن أبرزها (جيش محمد/ ١٩٨٩، تنظيم بيعة الإمام/ ١٩٩٤، خلية خضر أبو هوشر/ ١٩٩٩، جند الشام/ ٢٠٠٠، الأفغان الأردنيون/ ٢٠٠١، حركة الإصلاح والتحدي/ ١٩٩٨، الشاحنات المفخخة "مجموعة الجيوسي"/ ٢٠٠٤، مطار الملكة علياء الدولي/ ٢٠٠٦) كما تعاملت مع محاولات لتهديب العناصر الإرهابية والأسلحة باتجاه الأردن. ويتم تحويل جميع المتورطين فيها للقضاء.(١٩)

ثانياً: على مستوى التشريعات الوطنية والقوانين.

١- قانون العقوبات الأردني لعام ٢٠٠١

فقد قامت الحكومة الأردنية بتاريخ ٨ تشرين الأول ٢٠٠١م، بإصدار قانون معدل لقانون العقوبات الأردني فرضت بموجبه عقوبات مشددة على أي فعل أو عمل يعد في نظر القانون من الأعمال الإرهابية واشتمل هذا القانون على نصوص تجرم وتعاقب الأشخاص الذين يشكلون عصابات ومجموعات بقصد إجرامي أو إرهابي.(٢٠)

حيث جرى توسيع تعريف "الإرهاب"، وإضافة عدة جرائم جديدة معرّفة بشكل فضفاض، وتقييد حرية التعبير والصحافة، وتوسيع نطاق الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام والسجن المؤبد، وقد صدر هذا القانون، الذي سُمّي "القانون المعدل لقانون العقوبات" (قانون مؤقت رقم ٥٤ للعام ٢٠٠١)، على جناح السرعة بمرسوم ملكي مؤقت في غياب البرلمان. ودخل حيز النفاذ في ٢ تشرين الأول ٢٠٠١، بعد مصادقة الملك عبد الله الثاني بن الحسين عليه.

وقد ورد تعريف "الإرهاب" أصلاً في المادة ١٤٧ من قانون العقوبات على أنه يشمل "جميع الأفعال التي ترمي إلى خلق حالة دعر تُرتكب بوسائل كالأدوات المتفجرة والمواد الملتهبة والمنتجات السامة أو المحرقة أو العوامل اللوبانية أو الجرثومية التي من شأنها أن تحدث خطراً عاماً" وقد استُبدل هذا التعريف ليحل محله تعريف جديد فضفاض بموجب المادة (١٤٧-١) من القانون المعدل لقانون العقوبات، فأصبح المقصود بالإرهاب: "استخدام العنف أو التهديد باستخدامه" تنفيذاً لعمل فردي أو جماعي، يهدف إلى الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر إذا كان من شأن ذلك إلقاء الرعب بين الناس وترويعهم أو تعريض حياتهم وأمنهم للخطر. ويوسّع هذا القانون نطاق "الإرهاب" ليشمل الأفعال التي تُلحق الضرر بالبيئة أو المرافق والأماكن العامة أو الأماكن الخاصة أو المرافق الدولية والبعثات الدبلوماسية أو باحتلال أي منها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية للخطر أو تعطيل تطبيق أحكام الدستور والقوانين. (٢١)

٢- قانون منع الإرهاب لعام ٢٠٠٦

بعد أحداث تفجيرات الفنادق في عمان ٢٠٠٥م قامت الحكومة الأردنية بتقديم قانون منع الإرهاب إلى مجلس النواب الذي وافق عليه في الجلسة التي عقدت في ٢٧/٨/٢٠٠٦ حيث أنه ونظراً لتعرض المملكة الأردنية الهاشمية لعمليات إرهابية نالت من المواطنين العُزّل بتاريخ ٩/١١/٢٠٠٥ وعندما قامت مجموعة إرهابية باستهداف ثلاثة فنادق في عمان راح ضحيتها عشرات الأبرياء وروعت المواطنين والوطن ولأن قانون العقوبات الأردني النافذ يعالج الجرائم بعد وقوعها أو الشروع فيها فقد كان من الضروري وضع هذا القانون لمنع الجريمة الإرهابية قبل وقوعها وتحقيق الانسجام مع المعاهدات الدولية الخاصة بالتصدي لظاهرة الإرهاب، لذلك قامت الحكومة الأردنية خلال عام ٢٠٠٦م، بإقرار قانون منع الإرهاب رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٦م، والذي لا يتعارض مع أية قوانين أو تشريعات أردنية، بل يكمل بعض القصور في التشريعات العاملة، وتعاطيها للقضايا المرتبطة بالإعداد للأعمال الإرهابية وتمويل الإرهاب، كما لا يتعارض مع التزامات الأردن في الاتفاقيات القانونية الدولية، وإنما ينسجم مع الاتفاقيات الدولية لمنع تمويل الإرهاب التي انضم إليها الأردن وبما ينسجم مع الجهد الدولي في ملاحقة وتنبع الإرهاب والحد من آثاره المدمرة. (٢٢)

٣- قانون منع الإرهاب لعام ٢٠١٤

صدر قانون منع الإرهاب في الأردن عام ٢٠٠٦، وقانون مكافحة غسيل الأموال لعام ٢٠٠٧، وعُدل في العام ٢٠١٤ بهدف حصر النصوص القانونية المتعلقة بقضايا الإرهاب في قانون واحد، وليجاري القانون التطورات التي تعيشها المنطقة والعالم، والتطورات التي شهدتها وسائل الاتصال الحديثة.

وقد عرّف هذا القانون الإرهاب بشكل فضفاض بأنه "كل عمل أو امتناع عن عمل، أو التهديد به، أيّاً كانت بواعثه وأغراضه أو وسائله، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، من شأنه تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، أو إحداث فتنة، إذا كان من شأن ذلك الإخلال بالنظام العام، أو إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم، أو تعريض حياتهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو المرافق والأماكن العامة، أو الأماكن الخاصة، أو المرافق الدولية أو البعثات الدبلوماسية، أو احتلال أي منها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية أو الاقتصادية للخطر، أو إرغام سلطة شرعية أو منظمة دولية أو إقليمية على القيام بأي عمل، أو الامتناع عنه أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو الأنظمة". (٢٣)

وبموجب هذا القانون، تشمل جريمة الإرهاب الالتحاق أو محاولة الالتحاق بأي جماعة مسلحة أو تنظيمات إرهابية أو تجنيد أو محاولة تجنيد أشخاص للالتحاق بها، وتدريبهم لهذه الغاية، سواء داخل المملكة أو خارجها، واعتبار القيام بأي وسيلة مباشرة أو غير مباشرة بتقديم الأموال أو إدارتها، بقصد استخدامها لارتكاب عمل إرهابي، أو تمويل الإرهابيين، سواء وقع العمل أم لم يقع داخل المملكة أو خارجها جزءاً من الأعمال الإرهابية.

وجرّم القانون القيام بأعمال من شأنها تعريض المملكة لخطر أعمال عدائية، أو تعكر صلاتها بدولة أجنبية أو تعرض الأردنيين لخطر أعمال ثأرية، يقع عليهم أو على أموالهم من الأعمال الإرهابية، ووضع من ضمن الأعمال الإرهابية تأسيس أي جماعة أو تنظيم أو جمعية أو الانتساب إليها، بقصد ارتكاب أعمال إرهابية في المملكة، أو ضد مواطنيها أو مصالحها في الخارج، أو ممارسة أي جماعة أو تنظيم أو جمعية لأي عمل إرهابي.

وقد توسع القانون بتجريم الأعمال المتصلة بشبكة المعلومات كأعمال إرهابية، بأن نص على أن استخدام نظام المعلومات أو الشبكة المعلوماتية، أو أي وسيلة نشر أو إعلام أو إنشاء موقع إلكتروني لتسهيل القيام بأعمال إرهابية، أو دعم لجماعات أو تنظيم جمعية تقوم بأعمال إرهابية أو الترويج لأفكارها أو تمويلها أو القيام بأي عمل من شأنه تعريض الأردنيين أو ممتلكاتهم لخطر أعمال عدائية أو انتقامية. (٢٤)

كما شمل القانون بالأعمال الإرهابية، الاعتداء على حياة الملك أو حريته أو الملكة أو ولي العهد أو أحد أوصياء العرش، وكل فعل يقصد به إثارة عصيان مسلح ضد السلطات القائمة بموجب الدستور، أو منعها من ممارسة وظائفها المستمدة من الدستور، أو تغيير دستور الدولة بطرق غير مشروعة، وتشكيل عصابة بقصد سلب المارة والتعدي على الأشخاص أو الأموال أو ارتكاب إي عمل آخر من أعمال اللصوصية. منذ بدأ العمل بالقانون تم تكييف العديد من القضايا المتعلقة بحرية الرأي والتعبير على اعتبارها جرائم إرهاب، كما حوكم استناداً إلى القانون العديد من الناشطين السياسيين. (٢٥)

أما بالنسبة لقرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بالإرهاب وبشكل خاص القرار رقم (١٣٧٣) قامت الحكومة الأردنية باتخاذ سلسلة من الإجراءات التنفيذية على ضوء ما جاء في هذه القرارات وتم إصدار قانون لمكافحة غسيل الأموال رقم (٤٦) لسنة ٢٠٠٧م كما اتخذت الحكومة إجراءات واضحة تتعلق بمكافحة الإرهاب بكافة مستوياته فقد أصدرت تعليمات إلى كافة البنوك العاملة في المملكة يتضمن فحص حسابات عملائها والتأكد من تجميد الأرصدة عند طلب الحكومة انسجاماً مع القرار.

ثالثاً: دور المؤسسات السياسية الرسمية في مكافحة الإرهاب

قامت الحكومة الأردنية بتشكيل لجنة وزارية علياً خلال عام ٢٠١٤ لمواجهة الإرهاب، نتيجة لتصاعد نفوذ التيار السلفي داخل المدن والبلدات الأردنية، خاصة تلك المؤيدة لتنظيم "داعش"، والارتفاع الملحوظ في أعداد الجهاديين الأردنيين إلى ما يزيد على سبعة آلاف جهادي، من أجل وضع إستراتيجية خاصة لمواجهة التطرف والإرهاب، ومن بين مهام تلك اللجنة التعامل مع البؤر التي يُشتبه في تطرفها، ومواجهتها سياسياً وأمنياً واجتماعياً وفكرياً، وقد مُثلت في تلك اللجنة جميع مؤسسات المملكة من أجل مراقبة التيارات المتشددة. (٢٦)

أولاً: دور الملك عبدالله (مؤسسة العرش)

إن أبرز ما قامت به الدولة الأردنية في هذا المجال، قيام الملك عبد الله الثاني ابن الحسين في شهر حزيران ٢٠١٥ بتسليم راية جديدة، يتوسطها شعار "لا إله إلا الله"، ومن قبله البسمة ومن بعده الحمد، لتتضم إلى رايات وأعلام القوات المسلحة الأردنية، ولهذه الخطوة العديد من الدلالات والمعاني والرسائل للعالم أجمع، إذ إن الملك يحمل رسالة الإسلام الوسطية والمعتدلة البعيدة عن الطائفية والتطرف والانقسام والتشتت، وأشار إلى أن تسليم الملك لهذه الولاية فيه ردّ على من يدعون زوراً بحمل راية الإسلام مثل عصابة "داعش" الإرهابية الذين يدعون أنهم يملكون الأحقية بحمل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن الملك صاحب الأحقية باستلام رسالة الإسلام الدالة على النقاء والاعتدال والوسطية. وبالنسبة لوجود شعار (لا إله إلا الله) على الولاية الجديدة فإنه يدل على ارتباط المملكة الأردنية الهاشمية بالدين الإسلامي منذ البداية بما يحمله كل ذلك من شرعية دينية وتاريخية منذ نزول الرسالة النبوية الشريفة. (٢٧)

كما أن للملك عبد الله الثاني ابن الحسين إسهامات شخصية عديدة في مجال مكافحة الإرهاب، من خلال الزيارات الدولية التي قام بها، واشترake في العديد من المؤتمرات الإقليمية والدولية، في هذا الشأن، من ضمنها القمة العربية في الكويت خلال شهر آذار ٢٠١٤، حيث طالب الملك بتفعيل منظومة التعاون والعمل العربي المشترك لأنها السبيل إلى تحقيق تطلعات الشعوب العربية في العيش بأمن وسلام، وبناء المستقبل الأفضل لها. وكذلك قمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، بمنتجع "سبلتيك مانو" في نيوبورت جنوب ويلز- بريطانيا، ٤ أيلول ٢٠١٤. وقد شارك في القمة ما يقارب ٦٠ رئيس دولة، والتقى الملك خلال المؤتمر بالعديد من رؤساء الدول لبحث قضايا السلم والأمن الدوليين (٢٨).

كما شارك الملك في مؤتمر "نهضة الأمة: حوار الأديان، والإسلام من أجل السلام والحضارة"، خلال شهر شباط ٢٠١٤، الذي التأم في العاصمة الأندونيسية، جاكرتا، ونظمته جمعية نهضة العلماء، وهي أكبر جمعية إسلامية رسمية على مستوى العالم، وهذا المؤتمر يعدّ من أهم المؤتمرات الدينية على مستوى دول جنوب شرق آسيا، وشارك به رجال دين ومفكرون وأكاديميون ومختصون. وقد بيّن الملك أن "استجابتنا كمسلمين تبدأ بقوية صوت الإسلام الحنيف المعتدل، وهذا الأمر، هو غاية رسالة عمّان وما تضمنته من مبادئ". (٢٩)

ثانياً: الدور الديني (وزارة الأوقاف) ورسالة عمان:

إتخذت الدولة الأردنية منظومة متكاملة من الإجراءات للحد من الغلو والتطرف وتمويل المتطرفين، من بينها خطط أمنية واجتماعية واقتصادية ووعظية، فضلاً عن إجراءات تكنولوجية تنتهجها الحكومة لتجفيف منابع الإرهاب العابر للحدود.

ومن ضمن هذه الجهود الرسمية لإجلاء الصورة الحقيقية للإسلام في ظل تنامي تنظيمات إرهابية استخدمت الإسلام ذريعة لتبرير أعمالها جاءت رسالة عمان تشرين الثاني ٢٠٠٤م لتؤكد على الدور الأردني في إبراز الصورة الحقيقية المشرفة للإسلام ووقف التجني عليه وردّ الهجمات عنه بحكم المسؤولية الروحية والتاريخية الموروثة التي تحملها القيادة الهاشمية بشرعية موصولة بالمصطفى صلى الله عليه وسلم. (٣٠)

وقد أكدت الرسالة وسطية الدين الإسلامي وسماحته ونبذته للعنف، وأنه دين قائم على التوازن والاعتدال والتوسط، أعطى للحياة منزلتها السامية، وأكد رفضه الاعتداء وقتل الأبرياء امتثالاً لقوله تعالى (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقد عقدت العديد من اللقاءات الفكرية والندوات في الجامعات والمنديات تحدثت عن الإرهاب وأسبابه وطرق علاجه وحملات التوعية من قبل المحاضرين من خلال كلماتهم.

ووفقاً للإجراءات الرسمية لمكافحة التطرف والإرهاب، يقع ٧٠% من مواجهة خطر التطرف الداخلي على عاتق وزارة الأوقاف لمواجهة الخطر الفكري والجهات التي تنتشر هذا الفكر الذي يتنثر بغطاء الإسلام وأعدت "الأوقاف" بدورها خطة لمحاربة هذا الفكر، حيث تم تشكيل لجنة خاصة لتفعيل دور الدعوة والإرشاد وبيان صورة الإسلام الحقيقية لدحض الأفكار التي تتداولها تنظيمات أو بعض الأشخاص وتعمل على تشويه صورة الإسلام. (٣١) كما تهدف الخطة إلى إنشاء حصانة داخل المجتمع أمام هذا الفكر المتطرف ليسمع المواطن الخطاب الإسلامي المعتدل المستنير المتوازن الذي يعبر عن حقيقة الإسلام.

ومن هنا بدأ تطبيق هذه الخطة عملياً، حيث عمد أئمة المساجد إلى إجراء لقاءات دعوية وإرشادية للتوعية ضد هذه الأفكار التي تحملها هذه الجماعات ومحاربة هذه الأفكار لتحسين الشباب المسلمين، بحيث لا يخرج الخطباء عن الثوابت الدينية المعتمدة أو الثوابت الوطنية، من خلال تفعيل قانون الوعظ والإرشاد الذي يلزم الخطيب بأن يكون ملتزماً بالثوابت الدينية والوطنية المتفق عليها، ومن يخالف سيتعرض لإجراءات تأديبية تبدأ بالنصيحة والإرشاد والتعليم والتنبيه والإنذار، وتصل للإيقاف الجزئي أو للإيقاف الكلي عن الخطابة. (٣٢)

وكانت دائرة الإفتاء العام "قد أصدرت قبل ذلك فتوى تحرم فيها الانتماء إلى عصابة "داعش" الإرهابية كما يحرم الانتماء إلى كل تنظيم إرهابي يسفك الدماء ويكفر المسلمين ويستبيح الأعراض والأموال، وأشارت الدائرة إلى أن من شاركهم في قتالهم فهو مجرم إرهابي متعطش لسفك الدماء وسلب الأموال وهتك الأعراض. (٣٣)

ثالثاً: دور وزارة التربية والتعليم

أما بالنسبة لنشاط وزارة التربية والتعليم، فقد قامت في أواخر عام ٢٠١٤ بتوزيع كتب على طلبة الثانوية العامة (التوجيهي)، والمؤسسات والجامعات، يُفند ادعاءات واقتراءات "داعش"، وحمل الكتيب الذي أعدته "مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي" تحت عنوان (رسالة مفتوحة إلى إبراهيم عواد البديري "أبو بكر البغدادي" وجميع المقاتلين والمنتمين إلى ما سميتهم الدولة الإسلامية) تنفيذاً لأفعال وممارسات "داعش" من قتل وتعذيب وفتاوى غير شرعية لا تستند إلى تفسير صحيح للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة. وجاء توزيع الكتيب بهدف محاربة الفكر المتطرف والغلو بالدين، والتأكيد على القيم الإسلامية ونبذ العنف للطلبة المقدمين على المرحلة الجامعية، مؤكداً أن الكتيب وزع للمطالعة وغير مطلوب كمقرر في أي امتحان مدرسي أو وازري. (٣٤)

رابعاً: دور وزارة التنمية السياسية

تم تأسيس وزارة التنمية السياسية عام ٢٠٠٣ وعهد إليها بمهمة وضع السياسات والإستراتيجيات والبرامج الكفيلة بتعزيز مشاركة المجتمعات المحلية والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية والنقابات والروابط المهنية والعمالية والمرأة والشباب في الحياة العامة. ونجد من أسماء الأحزاب السياسية الأردنية أنها تحتوي أحزاباً إسلامية وقومية ويسارية ووسطية. وهذا يدل على احتواء معظم التيارات المتنوعة وعدم إقصاء أي تيار، حتى لو كان معارضاً، وهذا ساهم بشكل واضح في مكافحة التطرف والإرهاب. وعند السؤال عن ما حققته وزارة التنمية السياسية في عشرة أعوام مضت؟ فإن الأرقام تجيب. حيث تكشف دراسة أجراها "مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني" في كانون أول ٢٠١٢ عن أن ٦٠,٦ في المئة من الأردنيين لا يعرفون الأحزاب لعدم اهتمامهم بها. وهذه النتائج ليست مفاجئة بالإشارة للاستطلاع الذي

أجراه "مركز الدراسات الاستراتيجية" في الجامعة الأردنية في العام ٢٠٠٩، والذي أظهر أن ٩٠ في المئة من الأردنيين لا يرون أن الأحزاب القائمة تمثل تطلعاتهم، وأن كل الأحزاب القائمة تمثل فقط ٩,٧ في المئة من التطلعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأردنيين. (٣٥)

خامساً: وزارة التنمية الاجتماعية

لا يمكن إغفال دور وزارة التنمية الاجتماعية، حيث بدأت الوزارة بالتدقيق على إجراءات حصول الجمعيات على تمويل أجنبي، حيث عمدت مديرية الجمعيات فيها إلى هذا التدقيق للتأكد أن كان التمويل ضمن الضوابط القانونية النافذة. وينص قانون الجمعيات الحالي على أنه "إذا رغبت جمعية في الحصول على تبرّع أو تمويل من شخص غير أردني، فعليها إشعار مجلس الوزراء بذلك، على أن تبيّن فيه مصدر التبرّع أو التمويل ومقداره وطريقة استلامه، والغاية التي سينفق عليها، وأي شروط خاصة به" .. (٣٦)

سادساً : الدور الإعلامي

وضعت الحكومة الأردنية خطة إعلامية بهدف تحسين الجبهة الداخلية من الفكر المتطرف وذلك عبر استراتيجية إعلامية شاملة من خلال وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة، بحيث لا يقتصر الدور الإعلامي على نقل الخبر بل يسعى إلى التوعية من مخاطر الفكر المتطرف وإظهار الصورة الحقيقية للإسلام الذي يدعو إلى التسامح والمحبة والوسطية، وكذلك فقد تبنى الأردن ميثاق شرف صحفي وخطة إعلامية لمواجهة الفكر الإرهابي والتكفير والذي من محاوره تطوير خطاب الدولة ليكون فاعلاً ومؤثراً وإبراز الصورة الحقيقية عن الإسلام الوسطي والمعتدل. (٣٧)

وفي هذا السياق فقد أوجدت التشريعات الأردنية نصوصاً قانونية فيما يتعلق بالإعلام تجرم من خلالها الترويج للإرهاب وأساليب خاصة من النواحي الالكترونية وذلك بالامتناع عن نشر كل ما من شأنه التحريض على العنف أو الدعوة إلى إثارة الفرقة بين المواطنين بأي شكل من الأشكال، وخصوصاً بعد لجوء الجماعات الإرهابية إلى استخدام الإعلام الجديد لتجنيد الأفراد تمهيداً لجر الدول المستهدفة إلى الفتن والفوضى عبر تقنية عالية الجودة من خلال الفيديوهات والصور عبر الانترنت .

كما قامت مختلف القنوات المسموعة والمقروءة والمرئية في الإعلام الأردني ببث العديد من البرامج الوطنية والاجتماعية والدينية المختلفة ونظمت اللقاءات الحوارية والنقاشات وورش العمل والندوات عن كل ما يؤدي إلى محاربة الإرهاب والفكر المتطرف في مجال الأسرة والمجتمع. (٣٨)

دور المؤسسات السياسية غير الرسمية (مؤسسات المجتمع المدني)

كما أنه لا بد من بيان جهود بعض مؤسسات المجتمع المحلي في مكافحة الإرهاب، حيث قامت "جمعية أصدقاء عمان للتعليم والتدريب"، بعقد مؤتمر في عمان في شهر نيسان ٢٠١٥ بعنوان "دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الإرهاب والتطرف". حيث تم في جلسة "محور الإعلام" بحث دور الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة في التصدي للإرهاب وكشف أساليبه ومعتقداته، وكيفية صياغة رأي عام مضاد للإرهاب، وآلية نشر ثقافة التسامح والوسطية والاعتدال في المجتمع. وفي جلسة "محور علم الاجتماع" تم التطرق إلى أيديولوجيات العنف والتطرف وكيفية تعزيز دور البيئة الاجتماعية للأفراد في محاربة ذلك. (٣٩)

وخلال شهر شباط ٢٠١٥ قام "مركز القدس للدراسات السياسية" بعقد مؤتمر، بعنوان "نحو إستراتيجية شاملة لمحاربة التطرف. فرص التوافق الوطني وتحدياته"، تحت رعاية دولة رئيس الوزراء الأردني الدكتور عبد الله النسور. وقد شارك بالمؤتمر عدد من السياسيين والوزراء والنواب والأعيان والنقابيين والحزبيين والناشطين في مختلف مجالات العمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. (٤٠)

كما عقد خلال شهر آذار ٢٠١٥ مؤتمر بعنوان "دور الوسطية في مواجهة الإرهاب وتحقيق الاستقرار والسلم العالميين" نظمه المنتدى العالمي للوسطية. وقد أوضح وزير الإعلام الدكتور محمد المومني في ورقته التي حملت عنوان "دور مؤسسات الدولة والأجهزة الأمنية في التصدي للتطرف"، أن الحكومة قامت باتخاذ إجراءات عدة وضعت من خلالها إستراتيجية شاملة لمواجهة التطرف والإرهاب، بهدف تحسين الجبهة الداخلية، وإحباط مخططات القوى الظلامية. (٤١)

وبالنسبة لمواقع التواصل الاجتماعي فقد ساهمت في الحملة الفكرية التوعوية ضدّ النشاطات الإرهابية والممارسات الإجرامية التي تقوم بها "داعش"، وكذلك الدور الذي يقوم به خطباء المساجد، خاصة أثناء صلاة الجمعة، والمناسبات الدينية الأخرى.

وهكذا فإن الدولة الأردنية ومؤسساتها المختلفة لم تأل جهداً في سبيل مكافحة الإرهاب كل حسب مستواه وقدراته الفنية والمعنوية، الأمر الذي ساهم بشكل ملحوظ في توعية المواطنين وتحصينهم ضدّ الأفكار الإرهابية والتكفيرية، والتقليل من فرص اختراق المجتمع الأردني وجرّه إلى كمانن الفتن والتكفير والافتتال.

لا زال الأردن بحاجة إلى تحصين مواطنيه ضدّ التعصب والتطرف من خلال نشر ثقافة وسطية معتدلة وتصحيح مناهج التربية لنشر الفكر الإسلامي السوي الذي يحول دون اختطاف الذين من قبل أصحاب الفكر المنحرف أو الأهداف الضيقة. . (٤٢)

المبحث الثالث : أبرز "الإجراءات التنفيذية" لمكافحة الإرهاب في الأردن

أولاً : "الإجراءات التنفيذية الرسمية" لمكافحة الإرهاب

فقد كانت على النحو التالي:

دائرة الأحوال المدنية تقوم بإصدار الهويات والجوازات وتخص دون غيرها في إصدار الهويات وفقاً لقانون الأحوال المدنية لسنة ٢٠٠١، أما جوازات السفر فيتم إصدارها بموجب قانون عام ١٩٦٩، مع مراعاة الشكل العالمي للجوازات حتى لا يمكن تزويرها أو التلاعب بها.

إن الأجهزة الأمنية الأردنية تقوم بمتابعة العناصر التي تشكل خطراً على أمن البلاد، وتتم ملاحقة كل من تثبت علاقته بأي نشاط أو جماعة إرهابية أو العناصر التي يشتبه بعلاقتها بتجارة الأسلحة وذلك باستخدام وسائل المراقبة والملاحقة.

وذلك من خلال تفعيل نظام الإنذار المبكر وتبادل المعلومات عن طريق متابعة كل من له علاقة بأي مجموعة إرهابية في الدول الأخرى، وتبادل المعلومات مع الأجهزة الأمنية في الدول الشقيقة والصديقة وكذلك الإنترنت الدولي.

اتخذت الأردن العديد من التدابير الأمنية لمنع استخدام الأراضي الأردنية في الأنشطة الإرهابية ضدّ الدول الأخرى أو مواطنيها، وهناك موقف أردني لا يسمح باستخدام الأراضي الأردنية من قبل أي تنظيمات إرهابية عن طريق فرض تدابير أمنية مشددة وعمليات مراقبة حدودية لمنع التسلل والتأكد من صحة وثائق السفر المستخدمة. (٤٣)

فأما على صعيد التعاون مع المبادرات الإقليمية والعربية، فقد أيد الأردن المبادرة السعودية لتشكيل فريق عامل لدراسة إنشاء مركز لمكافحة الإرهاب، داعماً في الوقت نفسه الدعوة المصرية لعقد مؤتمر دولي حول الإرهاب وطالب الجميع لإيجاد استراتيجيات مشتركة في إطار الأمم المتحدة حتى يتم التعامل معها بفاعلية، وهناك عمليات تبادل للمعلومات الاستخباراتية في مجال مقاومة الإرهاب مع العديد من الدول الشقيقة والصديقة وترتكز على اتفاقيات ثنائية للتعاون الأمني ويقوم الجهاز القضائي الأردني بالتعاون مع الأجهزة القضائية الأخرى وفقاً للتشريعات والاتفاقيات القضائية بعمليات تبادل في تسليم المطلوبين للقضاء بقصد تقديمهم للمحاكمة أمام القانون.

ثانياً : الالتزام بتنفيذ القرارات والمعاهدات الدولية

فقد قامت الحكومة الأردنية باتخاذ العديد من الإجراءات التنفيذية لتطبيق القرارات الصادرة من مجلس الأمن والمتعلقة بمقاومة الإرهاب وهي القرار (١١٨٩، ١٢٦٩، ١٣٣٣، ١٣٦٨)، وقد تمثلت تلك الاجراءات بما يلي:

أصدرت الحكومة تعليمات إلى كافة البنوك العاملة في المملكة تتضمن تنفيذ قرارات مجلس الأمن السابقة فيما يختص بمقاومة الإرهاب وتجميد أموال المنظمات الإرهابية.

بالإضافة إلى صدور تعليمات إلى كافة البنوك والشركات المالية بفحص حسابات عملائها والتأكد من تجميد الأرصدة عند طلب الحكومة لذلك.

إصدار تعليمات مكافحة عمليات غسل الأموال تضمنت تعريف غسل الأموال ووسائل التحايل لمصرفي لإخفاء المصدر الحقيقي للأموال المتأتية من عمل غير مشروع ومنها الأعمال الإرهابية، وإجراءات التأكد من وثائق الأشخاص المودعين للأرصدة في البنوك الأردنية وهوياتهم(٤٤)

ثالثاً: دور القوات المسلحة والأجهزة الأمنية في مكافحة الإرهاب

إن الأجهزة الأمنية بالأردن تعمل بمختلف تشكيلاتها على درء العمليات الإرهابية والمحافظة على أمن واستقرار البلد وعدم تهديده، وتكافح الإرهاب بموجب القانون الذي منح لها، حيث أعطى القانون لها صلاحيات وهذه الصلاحيات كما يرى الباحث أنها مهمة للمحافظة على أرواح المواطنين ومقدرات ومنجزات الوطن، خاصة وإن الإرهاب له جذور في هذه المنطقة وعانى الأردن منها سيما وأن موقع الأردن في منطقة ملتبهة وكثيرة الصراع إسرائيل من جهة واحتلال العراق من جهة أخرى، جعلها في موقع وموقف لا تحسد عليه، (٤٥) مما أجبر المشروع على اتخاذ التدابير العملية لمنع ومكافحة الإرهاب وبالتالي الدخول في كثير من الاتفاقات الدولية، واتفاقيات عربية وقع عليها وزراء الداخلية والعدل والعرب واتفاقية التعاون بالإضافة إلى العديد من الاتفاقيات الثنائية مع الدول العربية والصديقة للمحافظة على سلامة واستقرار البلاد ضد الأعمال الإرهابية وللحيلولة دون وقوعها مع ذكر القانون الذي بموجبه منحت الصلاحيات وتزويد هذه الأجهزة العاملة بالكوادر المدربة مع عقد العديد من الدورات والندوات والورش لتدريبهم وكيفية التعامل مع الخلايا الإرهابية في الوقت المناسب وتزويدهم بالتكنولوجيا والحاسب الآلي وبالمعلومات ووضع الأكواخ للتفتيش والمتابعة وتزويدهم بالمعلومات الشخصية عن كل مواطن داخل هذا الوطن وخارجه وسؤال أي مشتبه به عن هويته وهذا لا يستغرق دقائق معدودة هذا من أجل سلامة المواطن والوطن كما جرى منح الأجهزة الأمنية حق المراقبة والتفتيش ومراقبة المكالمات وتفتيش مواقع الانترنت والمسائلة والتوقيف الاحترازي بموجب القانون الذي تم ذكره بأعلاه للمحافظة على سلامة المواطن والوطن ومقدراته وانجازاته من عبث واستهتار الإرهابيين.(٤٦)

ومن الجهود المبذولة على الصعيد العسكري، والتي قام بها الأردن في محاربة الإرهاب، قيامه في شهر أيلول ٢٠١٤ بالانضمام إلى التحالف الدولي الذي تترأسه الولايات المتحدة الأمريكية في كل من العراق وسوريا لمواجهة "داعش". حيث ساهم الأردن بطائراته وطياريه في قصف مواقع هذا التنظيم، ونتج عن ذلك تدمير الكثير منها. وبالمقابل توشح استشهاد الطيار الشهيد معاذ الكساسبة، الذي تم قتله بأبشع طريقة من قبل التنظيم الإرهابي "داعش"، بعد قيامهم بأسره عندما سقطت طائرته. (٤٧)

وكان من أهم الأسباب التي دعت الأردن إلى الانضمام للتحالف الدولي، الظهور المفاجئ والسريع لقوات "داعش"، "النسخة الأكثر دموية من تنظيم القاعدة الذي كان يعلن يوماً استهدافه للأردن، وكذلك انهيار الجيش العراقي في الموصل وانسحابه من المحافظات السنية في العاشر من حزيران ٢٠١٤، ما غير في معادلات القوة في العراق، الأمر الذي تضمن تهديداً أمنياً واقتصادياً واجتماعياً للمصالح الأردنية، وبعد سيطرة "داعش" على الرقة ودير الزور في سوريا، أصبح التنظيم قريباً من الحدود العراقية والسورية مع الأردن، خاصة مع إعلانه الخلافة وقيامه بفرض رؤيته على المناطق التي يسيطر عليها باستهداف المسيحيين والأزديين والتركمان، فضلاً عن الأعمال الإجرامية والممارسات البدائية. (٤٨)

وقد دار نقاش على المستوى المحلي، حول ما إذا كان الأردن معنياً في هذا التحالف أم لا، أو هل هي حرب الأردن أو لا، وفات القلة الذين يدعون إلى سياسة النأي بالنفس، تاريخ العلاقة بين الأردن و"القاعدة". ولكن بعد الحادثة الإجرامية، المتمثلة بقتل الأسير الشهيد معاذ الكساسبة بالطريقة الوحشية، انتهى النقاش أو الجدل السابق، إذ تبين للأردنيين حجم الحقد والكراهية التي يكنّها المجرمون للأردن، ولذلك حدث التقاف عفوي غير مسبوق حول القائد والجيش. (٤٩)

وفي نفس السياق استضاف الأردن في شهر نيسان ٢٠١٥ اجتماعاً للمجموعة المصغرة لدول التحالف الدولي ضدّ التنظيم والذي انعقد برئاسة الأردن والولايات المتحدة الأمريكية، وكان الهدف منه متابعة أعمال الاجتماع الوزاري للمجموعة المصغرة في لندن في شهر كانون الثاني ٢٠١٥ ومجموعات العمل المنبثقة عنه. وقد استعرض المشاركون في الاجتماع أعمال اللجان العسكرية، وقضايا المقاتلين والإرهابيين الأجانب، والتمويل، وما يتصل بدعم الاستقرار والاتصال وخطط عملها المستقبلية. كما ناقش المشاركون المخاطر المتعلقة بالتنظيمات المرتبطة بتنظيم "داعش" الإرهابي خارج العراق وسوريا والتهديدات التي تمثلها للأمن والسلم العالميين. (٥٠)

وعلى الصعيد العسكري أيضاً تم نشر القوات الأردنية عبر الحدود مع العراق وسوريا عقب سيطرة "داعش" على معبر "طربيل" القريب من الحدود الأردنية؛ حيث قام الأردن بتحريك قواته، وتعزيز تواجهه الأمني على الحدود مع العراق،

والتي تبلغ ١٨١ كيلومتراً، فقام بنقل الدبابات والقوات، والتي تضمنت الكتيبة ٧١، وهي كتيبة مكافحة الإرهاب، كما تم إرسال طائرات "إف ١٦" لاستهداف قوات "داعش" في الجانب العراقي، وكانت قوات حرس الحدود قد دفعت بخمسة آلاف عسكري على الحدود الممتدة مع سوريا منذ بداية الثورة هناك، والبالغ طولها ٣٧٠ كيلومتراً. كما قام الأردن بتعزيز الأمن الداخلي والدفاع الوطني، إذ أنفق في عام ٢٠١٣ نحو ١,٣ مليار دولار. كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتزويد الأردن بمساعدات عسكرية قيمتها ٣٠٠ مليون دولار، فضلاً عن ١٤٠ مليون دولار لتأمين رعاية اللاجئين السوريين، وكذلك تقديم مليار دولار كمساعدات عسكرية ومالية للأردن عام ٢٠١٤، نتيجة للتكلفة العالية لمواجهة الإرهاب والتطرف. (٥١).

المبحث الرابع : رؤية إستشرافية لظاهرة الإرهاب في الأردن

تعتبر الأردن من الدول التي تواجه تحديات داخلية وخارجية متزايدة تتمحور بعدم الاستقرار في الآثار غير المباشرة للحرب الأهلية الدائرة في سوريا والتي من بينها احتمالية التورط في اشتباكات عسكرية على المناطق الحدودية، وظهور التطرف السلفي بالإضافة إلى التكلفة الباهظة للأعداد الكبيرة من اللاجئين السوريين على الأراضي الأردنية، وارتفاع السخط الشعبي الناتج عن إجراءات تقشفية اقتصادية وإصلاحات سياسية غير كافية، مما سيشكل حالة استياء من قبل المجتمع الأردني(٥٢)

ونتيجة لهذه التحديات فإنها قد خلقت فرصه لوجود مناخات للنزاعات الداخلية يسعى من خلالها عناصر التنظيمات الإرهابية إلى استغلالها وتوظيفها لمصلحتهم بما تمثله من عناصر تفريخ مستمر للخلايا المقاتلة وتفعيل الخلايا النائمة التي كانت تعمل بصمت على مدار السنوات الماضية والتي استطاعت أن تبني شبكات من المتعاونين معها في المناطق التي تتواجد فيها، والخوف من وصول هذه الخلايا إلى مرحلة العمل الفردي، أي أن تصبح بلا قائد موجه لها وتعتمد على عنصر المفاجئة بإلحاق الضرر وبأقل التكاليف إي ضمن عمليات غير معقدة، كإطلاق الرصاص على رجال الأمن أو ضرب التجمعات المدنية بأساليب بدائية، واستهداف أماكن جديدة لنقاط الضعف التي يمكن استغلالها من الداخل للهروب من حالة انحصار قوة التنظيمات الإرهابية. (٥٣).

بالإضافة إلى ذلك ما ستؤول إليه الأحداث بعد استقرار الوضع في سوريا وعودة الإيديولوجيات المتطرفة إلى الأردن من قبل أبنائه الذين انتموا إلى تلك الجماعات الإرهابية، والخوف من استغلال الحركات الشعبية على المدى البعيد في مسيرات وتظاهرات تطلقها مؤسسات المجتمع المدني من خلال قيام التنظيمات الإرهابية بزرع فئات موالية لها في الفكر المتطرف تؤدي إلى حصول تغيير في نهج الحراك السياسي من المعارضة الايجابية إلى المعارضة السلبية لزرع الفتنة والفوضى في المجتمع الأردني. (٥٤)

الخاتمة والتوصيات

لقد جاء في هذه الدراسة دور المؤسسات السياسية في مكافحة الإرهاب وعلى جميع النواحي الإجتماعية والثقافية والسياسية والدينية، فقد وضعت الدولة ومؤسساتها السياسية خطة متكاملة للقضاء على هذه الظاهرة بحيث لم تقتصر على مجابهتها بالقوة العسكرية فقط لأن ذلك حسبما رأت الدولة الأردنية لا يكفي، لذلك قامت الدولة بالعودة إلى الأسباب والظروف التي دعت إلى زيادة هذه الظاهرة وتشخيصها بشكل سليم وصولاً إلى معالجتها بشتى الطرق سواء بإعادة صياغة الخطاب الديني من جديد من خلال وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية وإطلاق رسالة عمان وذلك بما يتوافق مع إعطاء وتوضيح المفهوم الإسلامي بشكل سليم وصحيح أو بتوضيح قيم الإسلام الصحيحه ، فنجاح الأردن في محاربة الإرهاب نتج عن أسباب داخلية وذلك من خلال الوعي السياسي لدى المواطن الأردني الذي يبغض أي دعوات هدامه للدين الإسلامي والذي يدعي دائماً إلى فهم الدين الإسلامي والتميز بين الإعتدال والتطرف ، بالإضافة إلى نهج القيادة الهاشمية والتي تتركز في شخص جلالة الملك عبدالله الثاني في دعواته إلى جميع المحافل الدولية إلى التمييز بين الإسلام المعتدل والإسلام المتطرف والدعوة إلى الوسطية والإعتدال والإبتعاد عن التطرف.

والأهم من ذلك لها حالة التلاحم الفريدة التي تميزت فيها الأردن والإلتفاف حول القيادة من أجل القضاء على الإرهاب ومحاربة الفكر المتطرف وذلك من خلال تماسك الجبهة الداخلية وإفشال أي مخطط إرهابي وإبلاغ المواطنين للأجهزة الأمنية عن أي شبهات لأي من المتطرفين كما حصل من قبل المواطنين في عملية الكرك التي كان للدور الشعبي جزء كبير في مواجهة الإرهابيين مما أوصل رسالة لكل من يحاول النيل من الأردن أن الشعب هو خط الدفاع الاول عن امن بلاده قبل الدولة .

كما قد خرجت الدراسة بإستنتاجات إلى أنه لا بد من وضع خطه متكاملة من جميع مؤسسات الدولة والسياسية بالذات منها لمجابهة هذا الخطر والتنويع في مكافحة التطرف وتنويع الطرق والأساليب .

وبناء على ذلك فقد صدقت الفرضيات التي أنطلقت منها الدراسة وذلك أن المؤسسات السياسية في الأردن تمتلك خطة متكاملة وان جميعها تقوم بدورها المحوري في مكافحة الإرهاب والتطرف.

التوصيات

– على المؤسسات السياسية الأردنية رسم إستراتيجيات شاملة تعمق روح الانتماء للوطن وترسخ مقومات الوحدة الوطنية وتشمل إجراءات تحصينية لتقوية المناعة ابتداءً من الأسرة والمدرسة والجامعة ومراكز العمل، للاعتزاز بموروثاتها الثقافية التسامحية، وذلك من خلال تكليف الوزارات ومؤسسات المجتمع المدني للقيام بدورها في مجال التوعية، وتنمية الحس الأمني، وإبعاد أبنائنا عن أجواء الانتماء للجماعات المتطرفة.

– ما يستهدف الأردن هو الإرهاب الإقليمي المتمثل بالتنظيمات الإسلامية المتطرفة مثل "القاعدة" و "داعش" وغيرها من التنظيمات المتطرفة التي تنتشر وراء الدين الإسلامي، ولا يوجد هناك أي تهديد يذكر للأردن من تنظيمات إرهابية دولية يسارية أو غيرها كالتالي تتواجد في إفريقيا أو أوروبا أو أمريكا اللاتينية

- التعاون بين الدول كافة في مجال تسليم المجرمين وتبادل المعلومات حول تلك المنظمات والأنشطة، كون بعض المنظمات الإجرامية مرتبطة مع منظمات أخرى خارج الحدود الإقليمية للدولة.

لا بد من قيام كل من وزارة التربية والتعليم العالي بإعادة النظر بالمناهج التعليمية الدينية والوطنية ابتداءً من الصفوف الأولى، وتأهيل الكوادر التعليمية بحيث تكون قادرة على تحصين الأجيال القادمة من التطرف والغلو، وتكون مؤهلة، لنشر ثقافة التسامح والتعامل مع الآخر بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لونه.

-استمرار القضية الفلسطينية دون حلّ عادل ودائم يساهم بشكل كبير في انتشار وتمدد الإرهاب الدولي، كون هذه القضية تعتبر محورية بالنسبة للشعوب العربية والإسلامية، وتستغل في كثير من الأحيان من قبل التنظيمات المتطرفة لتبرير أفعالها الإرهابية.

-التأكيد على العدالة الإجتماعية وتوزيع موارد الدولة بشكل عادل بين الجميع وتعزيز مفهوم الإنتماء. وإيلاء الشباب عناية خاصة وتوعيتهم من خلال التواصل الدائم معهم وتحسُّس مشاكلهم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها.

-إعادة صياغة الخطاب الديني وذلك من خلال قيام وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية بدورها الديني المعتدل في مقاومة الفكر التكفيري بالفكر المعتدل، من خلال البرامج الدينية والخطب، واستخدام المساجد والمراكز الدينية، لترسيخ مفاهيم الدين الإسلامي المعتدل، ونبذ التطرف.

- المتابعة الحثيثة لما يجري من أحداث في دول الجوار ووضع الإستراتيجيات والخطط العملية المناسبة لمواجهة تمددها ووصولها للأردن. ومراقبة الحركات المالية، في البنوك، لاسيما المشبوهة منها، للتأكد من أنها لا تستخدم لتمويل التنظيمات الإرهابية أو لخلاياها النائمة، أو للترويج لأفكار متطرفة.

-لا بد من إحتواء الجماعات المتطرفة في داخل الدولة الأردنية، وعدم إفساح المجال لهم لجزّ الدولة إلى مواجهة دموية معهم، والعمل على رعايتهم وتوجيههم ومحاورتهم.

-يجب عدم تهميش أي فئة من فئات المجتمع مهما كان موقفها السياسي أو الديني أو الأيديولوجي، لتفويت الفرصة على التنظيمات الإرهابية لاستغلال هذه الفئات.

-التوجه نحو البحث عن آلية ردع قوية، تمنع أي جهة خارجية من محاولة العبث بأمن الوطن والاعتداء عليه، والاعتماد على النفس من الناحية العسكرية/ الأمنية والاقتصادية، واستبعاد التفكير بالاستعانة بقوات أجنبية، مع عدم إغفال التنسيق والتعاون المستمر مع الدول الشقيقة والصديقة في مجال تبادل المعلومات الإستخباراتية والتدريب، لأغراض مكافحة الإرهاب.

-زيادة دعم موازنات القوات المسلحة الأردنية "الجيش العربي"، والمؤسسات الأمنية، والعمل على تدريب كوادرها ورفع معنوياتهم القتالية لتصل إلى أعلى درجات الجاهزية، للتصدي للإرهاب بكل احتراف.

١٣- البدء بإنشاء مراكز أو مؤسسات فكرية لمكافحة الإرهاب، على غرار دائرة مكافحة الفساد، يكون هدفها إجراء الدراسات المتنوعة والتحليلات المتعمقة لظاهرة الإرهاب، لاقتراح سياسات فعالة لمواجهتها.

١٤- بناء إستراتيجية إعلامية وفكرية من أجل مكافحة الإرهاب وتحسين العقول من الإختراق. وتوجيه الإهتمام بوسائل الإعلام المختلفة (المرئية والمسموعة والمقروءة) وتطوير أدواتها ومقارباتها لتكون أكثر فاعلية وحضوراً من خلال التصدي لنشر ثقافة الكراهية مع التركيز على إظهار النواحي الإيجابية للدولة.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ٢٠٠٣، لسان العرب، دار صادر بيروت.
- الخفاجي، علي، ٢٠٠٩، مشكلة الإرهاب، مجلة كلية التربية (جامعة بابل) العراق، ع ٤، م ٣، ص ٣٠
- الجلال، محمد سمير، ٢٠١٤، دور الإرهاب في اعاققة التنمية والديموقراطية"اليمن نموذجاً"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ص ٢٠
- محمد، حمدان، ٢٠١١، الارهاب الدولي وتداعياته على الأمن والسلم العالمي، مجلة أبحاث التربية الأساسية، م ١١، ع ١.
- قانون الإرهاب الأردني رقم ١٨ لعام ٢٠١٤ وأبرز تعديلاته، نصوص المواد ٢ و ٣ و ٧ من القانون الأصلي والمنشور في الجريدة الرسمية رقم ٣٣٦٥ بتاريخ ١-٦-٢٠١٤
- الموقع الإلكتروني لهيئة الأمم المتحدة <http://www.un.org>
- الخفاجي، مشكلى الإرهاب، ص ١٥
- الجلال، دور الإرهاب في اعاققة التنمية والديموقراطية"اليمن نموذجاً"، ص ٣٤
- زبير، سلطان، ٢٠١٥، التطرف والإرهاب، مجلة الفكر السياسي - اتحاد الكتاب العرب بدمشق، سوريا، ص ٨٣، س ١٦، ع ٥٥، ٥٦.
- زبير، التطرف والإرهاب، ص ٨٨
- محمد، الارهاب الدولي وتداعياته على الأمن والسلم العالمي، ص ٨٧
- القباع، عبدالله، ٢٠١٦، مراجعة كتاب الأمن الوطني والتحديات المعاصرة، مجلة الأمن، كلية الملك فهد الأمنية، ع ٣٨، ص ٣٩.
- القباع، مراجعة كتاب الأمن الوطني والتحديات المعاصرة، ص ٣٧
- النعيمي، سعود، ٢٠٠٨، أثر ظاهرة الإرهاب على النواحي الإجتماعية والإقتصادية والنفسية في المجتمعين الأردني والسعودي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة.
- جلال، عز الدين، ٢٠١٦، ظاهرة الإرهاب، نظرة تحليلية، مجلة الأمن، كلية الملك فهد الامنية، ع ٣، ص ٣٧
- الموقع الإلكتروني لجفرا نيوز <https://www.jfranews.com.jo>
- الموقع الإلكتروني لشبكة الجزيرة www.aljazeera.net
- العموش، نادية، ٢٠١٧، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والانسانية، م ٤٤، ع ٢.
- السيابلية، عمار، ٢٠١٦، الأردن الى مرحلة المواجهه المفتوحة مه الارهاب، صحيفة الرأي الإلكترونية.
- العموش، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، ص ٢٦٠

صالح ، جبار ، الجهود العربية في مكافحة الارهاب، مجلة دراسات دولية ، ع ٢٦ ، م ٣ ، ص ١١٨ .

قانون العقوبات الاردني لعام ٢٠٠٦ وأبرز تعديلاته المواد ٢ و ٣ والمنشور في الجريدة الرسمية عام ٢٠٠٦ .

قانون الإرهاب الأردني رقم ١٨ لعام ٢٠١٤ وأبرز تعديلاته ، نصوص المواد ٢ و ٣ و ٧ من القانون الأصلي والمنشور في الجريدة الرسمية رقم ٣٣٦٥ بتاريخ ١-٦-٢٠١٤

العموش، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، ص ٢٦١

قانون الإرهاب الأردني رقم ١٨ لعام ٢٠١٤ وأبرز تعديلاته.

الحجاجه، صدام (٢٠١٨)، السياسة الأردنية في مواجهة التطرف والإرهاب (٢٠١١-٢٠١٧) رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة مؤتة، ص ٨٠

دعجوقه، حميد، ٢٠١٥، أثر ظاهرة الإرهاب على الأمن الوطني الأردني ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط

جريدة الرأي ، ٢٦ اذار لعام ٢٠١٥

<https://www.oic-oci.org/home/?lan=ar>

الشريف ، الحسن، ٢٠٠٨، أثر مكافحة الإرهاب على الحريات العامه في الأردن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ال البيت ، المفرق، الأردن، ص ٧٦.

الرشيد ، محمد سلامة، ٢٠٠٠، السياسة الخارجية الأردنية ودورها في مكافحة الإرهاب بعد احداث ١١ سبتمبر، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤتة ، ص ٣٥.

العموش، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، ص ٢٦٥.

الرشيد ، السياسة الخارجية الأردنية ودورها في مكافحة الإرهاب بعد احداث ١١ سبتمبر، ص ٣٧.

الموقع الالكتروني لوزارة التربية والتعليم الاردنية <http://www.moe.gov.jo>

الحجاجه ، ٢٠١٨ ، السياسة الأردنية في مواجهة التطرف والإرهاب (٢٠١١-٢٠١٧)، ص ٨٧

العداون، عوني، ٢٠١٨، التحديات والتهديدات الداخلية والخارجية المؤثرة على الأمن الوطني الأردني ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعه الأردنية، ص ٥٦

الشريف ، أثر مكافحة الإرهاب على الحريات العامه في الأردن، ص ٦٥.

شنيكر ، ديفيد ، ٢٠١٧، الخطر المتنامي لتنظيم الدولة الإسلامية في الأردن ، معهد واشنطن للشرق الأدنى.

الحجاجه ، ٢٠١٨ ، السياسة الأردنية في مواجهة التطرف والإرهاب (٢٠١١-٢٠١٧)، ص ١٠٧

دراسة لمركز القدس للدراسات السياسية ، <http://www.alqudscenter.org>

العدوان، ٢٠١٨، التحديات والتهديدات الداخلية والخارجية المؤثرة على الأمن الوطني الأردني، ص ٩٠

العموش، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، ص ٢٦٧

شنيكر ، الخطر المتنامي لتنظيم الدولة الإسلامية في الأردن.

صحيفة الجزيرة الالكترونية ، ٢٠١٦ ، الاردن يعلن عن تبنيه خطة إعلامية في مواجهة الإرهاب.

صالح ، الجهود العربية في مكافحة الارهاب، مجلة دراسات دولية، ص ٣٤ .

العموش، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، ص ٢٦٦

دراسة لمركز الدراسات الاستراتيجية- الجامعة الأردنية حول الإرهاب والية مواجهته ، ٢٠١٥ ، حسين المجالي ومحمد ابو رمان .

العمارة ، ابراهيم ، ٢٠١٤ ، التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الأمن الوطني الأردني، رسالة ماجستير منشورة في جامعة الشرق الأوسط ، عمان – الأردن ، ص ٥٦.

دراسة لمركز الدراسات الاستراتيجية- الجامعة الأردنية حول الإرهاب والية مواجهته ، ٢٠١٥ ، حسين المجالي ومحمد ابو رمان .

الحجاجه، ٢٠١٨ ، السياسة الأردنية في مواجهة التطرف والإرهاب (٢٠١١-٢٠١٧)، ص ١٠٨

دغجوقه، ٢٠١٥، أثر ظاهرة الإرهاب على الأمن الوطني الأردني ، ص ٩٩

محاضرات في كلية القيادة والأركان الملكية حول الأمن الوطني الأردني ، ٢٠١٦ .

العمارة ، التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الأمن الوطني الأردني، ص ٥٧.

العموش، الحرب على الإرهاب وأثره على الأمن الوطني الأردني، ص ٢٦٨

الفهرس

تداعيات الإرهاب الاجتماعية على الأردن

د. عبدالله قازان

جامعة اليرموك

قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

الأردن

٢٠١٨

ملخص

تهدف هذه الدراسة المعنونة بـ "تداعيات الإرهاب الاجتماعية على الأردن" إلى معرفة مدى أهمية العوامل الاجتماعية في مواجهة الإرهاب، وتسعى إلى تقديم تصور نظري عن ظاهرة الإرهاب في الأردن، والبحث في التداعيات الاجتماعية ذات الصلة، وكيفية التصدي لمكافحته مع الإشارة إلى الدور الأسري في مواجهة الإرهاب.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لأنه يتلاءم مع طبيعة الدراسة ومشكلتها وأهدافها، وتم الرجوع إلى الدراسات ذات الصلة كأداة للبحث، وتوصلت الدراسة إلى أن الأردن مُستهدف، وأن العوامل الاجتماعية تُشكل بيئة خصبة للوقوع في الجماعات الإرهابية وحصناً منيعاً لعدم الوقوع في شرك الإرهاب أيضاً.

الكلمات الدالة: الإرهاب، الإرهاب الاجتماعي، تداعيات الإرهاب.

المقدمة

كتب كارل ماركس يوماً أن "الدين أفيون الشعوب" ولكننا نرى اليوم أن الإرهاب هو دين لدى كثير من الجماعات في العالم، وبالرغم من اهتمام الدول المتزايد بمكافحة الفكر التطرفي الإرهابي، إلا أن القوانين التي تحظرها الدول لا يمكن أن تصل إلى طموح الشعوب، ولا يمكن لأي دولة مواجهة الإهاب لوحدها وبذلك فإننا نقول: إن الأنشطة الدولية في مكافحة الإرهاب في العالم ما زالت غير ناجحة بالشكل الذي يتطلع إليه الانسان المعاصر، وأصبح الإرهاب مشكلة إنسانية مهمة وخطيرة، بأبعادها الدولية والإقليمية والقومية، وتؤكد الدراسات وجود علاقة بين الإرهاب لدى الفرد ونشأته في بيئة يسودها التفكك والفكر التطرفي.

تُشير الدراسات وأدبيات العلاقات الدولية إلى أن ظاهرة الإرهاب تؤثر بشكل سلبي على تقدم المجتمعات وذات خطورة عالمية، تنعكس تداعياتها بأشكال مختلفة على الدول والأفراد في ظل أيديولوجيات العولمة وسرعة وسائل التواصل الاجتماعي.

الإرهاب والتنمية لا يجتمعان، وبالتالي يبرز خطر الإرهاب المباشر، والذي يتمثل في ضرب القوة البشرية وفقدان الأمن الاجتماعي وارتفاع نسب الفقر والبطالة وزيادة معدلات الجريمة إضافة إلى الرهاب النفسي والاجتماعي خاصة بعد تفجيرات ١١ أيلول.

تُعتبر ظاهرة الإرهاب مشكلة عالمية ذات ترابط دولي في ظل العولمة، وانعكاساتها لا ينحصر على الخسائر المادية في الأرواح والممتلكات فقط، فلإرهاب تداعيات متعددة، منها ما هو اقتصادي، حيث، يؤثر على حجم التدفقات الاستثمارية الأجنبية، إضافة إلى التداعيات السياسية أهمها تراجع معدلات الاستقرار السياسي، ومنها تداعيات اجتماعية في زيادة أعداد المهاجرين واللاجئين وارتفاع نسبة الجريمة مع الإشارة إلى علاقة الأسرة في الإرهاب. إضافة إلى المخاطر الشبكية الكثيرة والمتعددة التي تُحتم على الدول البحث عن أسباب هذه الظاهرة الخطيرة كخطوة أولى في طريق مكافحتها بالطرق العلمية والواقعية، وقد أطلقت الحكومة الأردنية أنشطة وحملات بالتعاون مع المؤسسات الاجتماعية الحكومية والتطوعية محلياً وإقليمياً ودولياً لمحاربة الإرهاب.

أهمية الدراسة

تنبغ أهمية هذه الدراسة من كونها تسعى إلى تقديم تصور نظري عن ظاهرة الإرهاب في الأردن، كما تسعى الدراسة إلى البحث في التداعيات الاجتماعية ذات الصلة مع ظاهرة الإرهاب وكيفية التصدي لمكافحة الإرهاب مع الإشارة الى الدور الأسري وكذلك محاولة الباحث إضافة ما هو جديد على الدراسات لتكون مشاركة منه ليستفيد الباحثين الآخرين والمختصين في ظاهرة الإرهاب وتقديم توصيات لصانع القرار تساعده في تطوير خطط للحد من انتشار مخاطر الإرهاب.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة من خلال مضمونها الى تحقيق جملة من الأهداف المتمثلة على النحو التالي:

التعريف بالإرهاب وأنواعه وأشكاله.

الوقوف على التداعيات الاجتماعية للإرهاب في الأردن.

الوقوف على السياسة الاجتماعية في مكافحة الإرهاب في الأردن.

مشكلة الدراسة

يهدد الإرهاب أمن الدول واستقرارها، ويشكل خطراً على مصالحها الحيوية، ويمثل إخلالاً بالمبادئ الأخلاقية والدينية، ويسبب إلى الثقافة والتراث الإنساني للأمة العربية والإسلامية التي تنبذ كل أشكال العنف وتدعو إلى الأمن والسلام العالمي وحماية حقوق الإنسان، كما يؤثر في النسيج الثقافي للمجتمع الأردني.

وتكمن مشكلة الدراسة في القول الشائع "من يُعدُّ إرهابياً من وجهة نظر أحدهم يُعدُّ بطلاً في سبيل الحق من وجهة نظر أخرى" وفي عدم القدرة على معرفة حجم الإرهاب الذي تنامي في فترة التسعينات. وموقع الأردن الاستراتيجي في إقليم ملتهد عسكرياً وسياسياً وأيديولوجياً يجعاه عُرضة للإرهاب وأعمال العنف التي تضربُ العمق الأسري والاجتماعي والاقتصادي في ظل التضخم والسياسات الاقتصادية التي أتخذت مؤخرأ.

أسئلة الدراسة

تتعلق الدراسة من تساؤل عام حول ما هي طبيعة ظاهرة الإرهاب في الأردن؟

وينشق عن السؤال الرئيسي عدة تساؤلات فرعية تتمثل بما يلي:

ما الإرهاب، وما أنواعه وأشكاله؟

ما هي تداعيات الإرهاب الاجتماعية في الأردن؟

ما هي طرق المكافحة الاجتماعية لظاهرة الإرهاب؟

منهج الدراسة

تستند الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتسعى إلى التركيز على الجانب السوسيولوجي في تبيان تداعيات الجانب الاجتماعي عن الظاهرة محل الدراسة.

الدراسات السابقة

بوجه عام، تكشف مراجعة الأدبيات المحلية حول ظاهرة الإرهاب عن محدودية الإنتاج العلمي، إن هذه الحقيقة تُظهر الحاجة إلى ملئ هذه المساحة المعرفية الفارغة في سياق المجتمع الأردني من ناحية، كما تسوغ إجراء هذه الدراسة المتواضعة باعتبارها مساهمة في التأسيس المعرفي (العلمي) حول الإرهاب في الأردن، بالإضافة إلى ذلك فإن معظم الدراسات التي أُجريت عن الإرهاب بشكل عام دون الاهتمام في الجوانب الاجتماعية من باب التوثيق وإلقاء الضوء عليها. ومن بين الدراسات المتعلقة بالإرهاب نستعرض ما يلي:

دراسة المجالي، حسين هزاع (٢٠١٦) بعنوان: "في مكافحة الإرهاب والتطرف" حول البدايات الأولى لظهور تنظيم داعش في سوريا والعراق والدور العسكري للتحالف الدولي في مكافحة التنظيم، ودور الأردن في تعديل قانون مكافحة الإرهاب وتجريم كل ما يتعلق بالترويج لجماعات داعش أو النصره.

دراسة الركابي، محسن (٢٠٠٧) بعنوان: "مفهوم الإرهاب في القانون الدولي والداخلي: دراسة مقارنة" تهدف الدراسة الى التعريف بمفهوم الإرهاب الدولي من وجهة نظر القانون الدولي، وقد أستخدم الباحث المنهج المقارن والمنهج التحليلي الاحصائي، وتوصل الى أنه يجب وضع تعريف شامل للإرهاب ومعالجة أسباب الإرهاب قبل البدء في معالجة الإرهاب كظاهرة.

دراسة الرجوب، رضوان (٢٠٠١) بعنوان: "الاستثمار الأجنبي المباشر والاستقرار السياسي في البلدان العربية"، وتسعى الدراسة الى فهم المشكلة في معرفة وطبيعة العلاقة ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر والاستقرار السياسي، وتصل الباحث إلى أنه يمكن أن يكون ايجابي أو سلبي تبعاً لاختلافات المجتمعات من حيث ظروفها الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية.

الزبابعة، خالد رمزي (٢٠٠٨) بعنوان: "الإستراتيجية الأردنية لمكافحة الإرهاب والتطرف في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني" حيث تبحث الدراسة مفهوم الإرهاب وموقف الاسلام منه ودور الملك في إظهار حقيقة الاسلام البريء من كل افكار العنف.

دراسة Rothe,Chris (٢٠١٥) بعنوان: "الأردن والمواجهة الجديدة في القتال ضد ISIS حيث ناقش الباحث تهديدات تنظيم داعش على استقرار الأردن بالرغم من الامكانيات العسكرية الكبيرة التي يمتلكها الأردن مقارنة مع التنظيم، وعليه سعت الأردن لزيادة التعاون العسكري والأمني مع دول الجوار والحملة الإعلامية الأردنية في مكافحة التطرف والإرهاب.

دراسة Schenker,david (٢٠١٧) بعنوان: "تهديد نمو الدولة الاسلامية في الأردن" حيث يُشيرُ الباحثُ إلى أن خطر وتهديد تنظيم داعش، جعل الأردن أن يُبرم اتفاقيات تعاون مع أميركا للحصول على المساعدات المالية والعسكرية من التصدي للتنظيم لأنه يفتقر إلى الأجهزة والمعدات اللازمة لمواجهة التهديد خاصة بعد الإخفاقات الفنية في مدامات اربد عام ٢٠١٦.

وما يُميّزُ دراستنا بالتركيز على الجانب الاجتماعي من حيث الأسباب والتداعيات الاجتماعية لظاهرة الإرهاب في الأردن، لأنه في غاية الأهمية انطلاقاً من دوره الحيوي، في حين، أغلب الدراسات السابقة تُركز على الجوانب السياسية والاقتصادية.

الإرهاب

على الرغم من إن ظاهرة الإرهاب قديمة إلا ان الدول في الوقت الحاضر لم تتفق على تعريف محدد للإرهاب، وقد أسهم في هذا الخلاف تباين نظرة الدول إليه، فبعض الدول تُتهم بالإرهاب وأخرى معرّضة له. ودل تتعرض للإرهاب من قبل المواطنين تحاول فرض عقوبات شديدة عليهم، ودول تمارس الإرهاب ضد الأفراد، وشعوب تكافح من أجل استقلالها تُطالب بشرعية الكفاح المسلح ودول احتلت أراضي شعوب أخرى تمنعها من حق تقرير مصيرها.

الإرهاب مفهوم قديم وبدايات الاهتمام به على الصعيد الدولي منذ عام ١٩٣٤ عندما طلبت فرنسا من عصبة الأمم المتحدة بمعاينة الجرائم التي تُرتكب بغرض الإرهاب السياسي في يوغسلافيا أثر مقتل الملك "الكسندر الأول" (طوالبة، ١٩٩٨).

وخطر الإرهاب يُرعب الحكومات والمدنيين والمنظمات، والإرهابيون يهددون الحياة اليومية للشعوب بتصرفاتهم الإرهابية الذي يأخذُ عدة طرق مثل الهجوم الانتحاري والابتزاز، ويأخذُ الإرهابيون اهتمام وسائل الاتصال والانترنت لأخذ معلومات عن أهدافهم الأساسية، وهذا هو سبب اختيارهم في هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١م في نيويورك (Nibag, Ozgur, ٢٠٠٧, and Hancerli, Suleyman).

الإرهاب مرتبط بالعوامل السياسية والنفسية والاجتماعية والمادية وضعف المجموعة الإرهابية في تحقيق أهدافها، وهي لفظ يوناني تعني الاستخدام غير المشروع للقوة العسكرية ضد الاشخاص والأموال (The Oxford Dictionary, ١٩٨٦)وقد يكون الهدف منه الإضرار بالسلطة الحاكمة (طوالبة، ١٩٩٨). وقد اعتمدت بعض تعاريف الإرهاب ثلاثة معايير وهي: الهدف والسلاح ومرتكب الجريمة.

يُشير الإرهاب الى التهديدات باستخدام العنف أو استخدامه بالفعل لتحقيق غايات سياسية، سواء كان إرهاباً بالجملة أو بالتجزئة (تشومسكي، نوم، ٢٠٠٢). وعرّفه الدكتور عبد العزيز سرحان الإرهاب بأنه "اعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة المخالفة لأحكام قانون الدول (سرحان، ١٩٧٣). وتُعرف مقارب عرّفه عبد الناصر حريز بأنه "كل استخدام للعنف أو تهديد باستخدامه بشكل قسري وغير مشروع لخلق حالة من حالات الخوف والرعب بقصد السيطرة عليه أو على مجموعة أو على دولة وهو للتأثير نفسياً إلى فئة أو إلى المجتمع كله" (حريز، ١٩٩٦).

وقد اقترح الدكتور أدونيس العكرة تعريفاً للإرهاب بقوله: "الإرهاب السياسي منهج نزاع عنيف يرمي الفاعل بمقتضاه وبواسطة الهيئة الناجمة عن العنف، إلى تغليب رأيه السياسي أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة أو من أجل تغييرها أو تدميرها" (العكرة، ١٩٨٣). كما ويُعرّف بأنه: "الاستخدام غير الشرعي للعنف ضد غير المقاتلين، لزرع الخوف بين صفوف الناس لتحقيق مآرب سياسية" (Bruce Bonger, ٢٠٠٧). هذا وتُعرّفه وزارة الخارجية الأمريكية بأنه: "استخدام للعنف أو التهديد به لإثارة الخوف لدى الحكومات والمجتمعات لتحقيق هدف ديني عقائدي أو هدف سياسي" (US Institute of Peace, ٢٠١٧). ويمكن تعريف الإرهاب إجرائياً: "أي عمل يمتاز بالعنف ضد المواطنين أو الحكومات من أجل هدف معين، ويمتاز بالسرية والمفاجأة".

أنواع الإرهاب

أصبح من الضروري عدم اقتصار صفة الإرهاب على الأفراد والجماعات الإسلامية فقط، مما يجعلنا نتعامى عن حقيقة موضوعية هامة، وهي صرف النظر عن إمكانية لجوء الدول والحكومات للقيام بعمل إرهابي معين (تشومسكي، ١٩٩١). يمكن أن تُميز بين أنواع من الإرهاب كما هو آتي:

الإرهاب المحلي: يقوم به جماعات محلية صغيرة أو كبيرة من داخل الدولة على الأفراد أو المؤسسات لتحقيق أهداف سياسية أو دينية.

الإرهاب الدولي: استخدام العنف أو التهديد من قبل جهة معينة ضد جهة أخرى تابعة لغير دولتهم، أي الإرهاب المتنقل عالمياً من مطقة إلى أخرى.

الإرهاب الفردي (الذنب المنفرد): هو الشخص الذي يسعى من خلال العنف ضد جهة ما إلى تحقيق هدف معين، ولا يُشترط أن يكون تابعاً إلى تنظيم كالقاعدة أو جبهة النصرة في سوريا (Gartenstein, ٢٠١٦).

الإرهاب المنظم: يُدار من قبل مؤسسة أو جماعة منظمة (تنظيم الدول الإسلامية)، وتستخدم العنف أو التهديد لتحقيق مصالحها، وتقوم بغسل الأموال لتمويل عمليات التجنيد.

إرهاب الدولة: هو لجوء بعض الدول الى الحرب أو التدخل على أساس أنه دبلوماسية إكراهية من اجل تحقيق مآرب لمصالحها الوطنية كمساندة أميركا لتركيا في قمع الأكراد (تشومسكي، ٢٠٠٣).

الإرهاب الثوري: قيام جماعة غير منظمة بأفعال إرهابية احتجاجاً على عضوية معينة، ولتحقيق أهداف بطرق غير مشروعة.

الإرهاب العدمي: وهو الإرهاب لأجل الإرهاب، يقوم به شخص معين دون تحقيق هدف لأسباب سيكولوجية أو ظروف اقتصادية مثل الفقر والبطالة والتضخم.

الإرهاب القمعي: قيام إرهابي بمنع مجموعة من الناس أو مؤسسة عن القيام بفعل معين لتحقيق غاية في نفسه.

أشكال الإرهاب

للإرهاب أشكال مختلفة، تنتهج أدوات العنف (مادي أو معنوي) لتحقيق أهداف معينة ومنها:

الإرهاب الثوري: يتميز عمله العسكري ضد أشخاص معينين ولايشمل ممتلكات الدول غير العسكرية، ويُمارس من قبل تنظيمات ليست لها القدرة على استلام السلطة (الخليل، ١٩٨٠).

الإرهاب الفوضوي: عمل غير منظم تحكمة عواطف الشارع، ويهدف الى خلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، ويتميز بتوجيه أعمال ضد السلطة بسبب قيامها بمنع الحرية أو عدم تطبيق العدالة (الخليل، ١٩٨٠).

الإرهاب المُضاد: وهو مواجهة الإرهاب للإرهاب، حيث تقوم المنظمات الإرهابية بتشكيل جماعات لتصفية جماعات إرهابية أخرى (الضحايا من الإرهابيين أنفسهم).

الإرهاب المُميّز: وهو موجّه نحو أشخاص محددين أو مؤسسات أجنبية أو قواعد عسكرية مسبقاً (بشكل إنتقائي) لأهميتهم، وبقائهم يُشكل خطورة .

الإرهاب الأعمى: يُمارس بصورة عشوائية نحو المدنيين الأبرياء سواء داخل الدولة أو خارجها.

الإرهاب السياحي: تعمل الحركات الإرهابية على تصيد السياح الأجانب بقتلهم أو اختطافهم، لاعتقاد الحركة بأن دولهم ستهتم بهم، إضافة الى لفت أنظار وسائل الإعلام إلى مطالب الإرهابيين.

الإرهاب بالوسائل العلمية: وهو استخدام التكنولوجيا والوسائل العلمية في تنفيذ العمل الإرهابي كاستخدام الجمره الخبيثة في أميركا عام ٢٠٠١ عبر البريد لأشخاص مهمين في الدولة وممثلياتها الدبلوماسية في الخارج.

الإرهاب عبر منظمات حكومية: تعتمد بعض الدول مهمة الإرهاب لمنظمات إرهابية حكومية غير قوات الجيش أو الأمن. فقد ظهر هذا النوع من الإرهاب أبان الثورة الفرنسية ثم الثورة البلشفية في روسيا.

إرهاب الأقلية: محاولة قيام الأقلية بعمليات إرهابية من أجل الحصول على استقلالها أو المطالبة بالحكم الذاتي، كإرهاب الأقلية المسيحية في تيمور الشرقية في إندونيسيا، والأكراد في تركيا.

الإرهاب المعنوي: وهو سلب الآخرين حريتهم الفكرية والدينية كالإستهزاء بأراء الآخرين أو تكفيرهم، مثل الجماعات التي لا تحترم حرية عقائد الآخرين (الطريسي، ٢٠١٤).

الإرهاب والأسرة

أصبح موضوع الإرهاب الشغل الشاغل للأفراد والمجتمعات والأمة، فالجنس البشري يُعاني من مظاهر العنف منذ نشوء الحضارة على هذا الكون؛ مع أنّه مضاد لكل الأديان وطموحات المجتمعات التي تسعى للتقدم في الإنسان في توفير سُبُل الراحة وحياة أفضل، وقد يُؤدي الاستعمال الطويل الأجل للإرهاب إلى عواقب بشرية ومجتمعية تُنشئ لدى الفرد حالة رُهاب.

وعندما تصبح الحالة كهذه، يُشكّل الإرهاب عائقاً في وجه التطور الاجتماعي للفرد؛ لأن الكلفة الاقتصادية والسياسية لها تفرض أعباء ثقيلة على المؤسسات الاجتماعية بمختلف أنواعها لدى الدول المتقدمة والنامية.

وظاهرة الإرهاب فريدة من نوعها، تُؤثر في الفرد وأسرته وفي المجتمع من عدة نواحٍ مثل: التطور السياسي والاقتصادي، ومدى الأمن في المجتمع واستقرار الوضع لدى حكومات البلاد.

ولهذه المشكلة (الإرهاب) شبكة من العلاقات مع التفكك الأسري، فالالتحام الأسري يُشكّل عاملاً حاسماً في الوقاية من هذه المشكلة الكبيرة، فالآباء والأقرباء يمثلون مصدر تأثير كبير في سلوك الطفل، الذي ينمو بعد ذلك، وعندما يصبح الفرد في مرحلة المراهقة، فإن تأثير الزملاء والتكنولوجيا فيه سيصبح أكثر من العائلة، وبالرغم من متانة وعمق الروابط الأسرية لدى الكثير من المجتمعات، إلا أن شبكات التواصل الاجتماعي والظروف الاقتصادية والاجتماعية قد تؤدي بالإنسان للجوء الى أحضان الجماعات المعنفة ومع ذلك يبقى تأثيرها مهماً جداً.

ويوجد علاقة بين الإرهاب والفرد ونشأته في عائلات يسودها الطلاق والتفكك الأسري والحرمان، ويبقى دور العائلة حاسماً، خاصة أن الطلاق والتفكك الأسري لا يشكلان فرقا كبيراً، وحتى لا يسد العنف بين أفراد العائلة، فلا بد أن يكون هناك نقاش ديمقراطي من أجل المحافظة على أبنائها.

وتُسهم تربية الوالدين في إبعاد الأطفال والشباب عن الفكر التطرفي، وعلى النقيض من ذلك، فإن جو المشاحنات الأسرية يجعل الأفراد يتجهون نحو أماكن تجعلهم أكثر قابلية للوقوع في شرك الإرهاب، خاصة إذا كان أحد أفراد الأسرة له أيديولوجيات راديكالية.

وعندما تضعف العلاقات الأسرية بين الأفراد لسبب الطلاق أو موت أحد الوالدين أو كليهما، أو حينما يحدث شجار بين الأبوين، فإن كل تلك اللحظات تُشكل ضغوطاً على الفرد، الذي يتجه من جرائها نحو مسارات متطرفة للهروب من تلك الضغوط والمشكلات النفسية التي ينتج منها اضطراب العائلة، وعدم الإنسجام، والتوتر والأناثية بين أعضاء العائلة. وللأسرة أهمية اشتراكية؛ لأنها تُمثل مصدر سلوك للطفل وأثر كبير في تنشئته.

ومن المهم أن يكون لدى المجتمعات الإنسانية اتجاه وعزم نحو إيقاف انتشار الإرهاب وقمعه؛ بسبب انتشارها عبر المجالات الثقافية والأخلاقية والعالمية، فالمشكلة ليست ذات أبعاد فردية أو عائلية أو اجتماعية، بل لها اعتبارات حيوية واقتصادية كذلك، والآثار العكسية للإرهاب يُمكن أن نراها في أي مجتمع بشري، خاصة تلك المجتمعات غير المحصنة بالثقافة والعلم، وكثير من المؤسسات المحلية والعربية والعالمية وجدت لكي تعمل على الحد منه.

إنّ الأسباب المرتبطة بانتشار الإرهاب هي: العولمة والتحرر والاستعمار والتقدم في ميدان النقل والاتصالات، فبالإضافة للتقدم التكنولوجي فإن التصنيع كان له نصيبٌ من المشكلة، مع ادراك الحاصل في التغيير الاجتماعي في تكوين المجتمعات، وخاصة في مسألة الضبط الأسري والقيم الاجتماعية والأخلاقية، وانتشار بعض سلوكيات الشباب، التي تدل على عدم رضاهم عن واقعهم.

ومع اتساع المدينة والتطور الاقتصادي وانهيار النظام الاجتماعي وتفكك الأسر المقترن بعوامل أخرى، أدى ذلك برمته إلى التوسع في الممارسات الإرهابية، وهنا يكمن دور العائلة الحاسم في إعادة التأهيل الفكري والديني والأخلاقي، وهي ذات تأثير عظيم في الطفل الذي يترى فيها (الأسرة كالمصنع في الإنتاج)، الذي يحتاج إلى علاقات حنونة ودافئة وعطوفة، إذ إنّ لنقص العناية والحب دوراً مهماً في نشوء لبداية المشكلة.

ويقع على الوالدين والبالغين الآخرين واجب تطوير نواحي الفهم والإدراك والأمور المتعلقة بتربية أبنائهم - الشباب خاصة - بحيث ينمو الحوار الصريح والجريء في أي قضية يشعر أبنائهم بأنها تشكل جزءاً مهماً في حياتهم، وفي نفس المجال نرى أن الآباء ينظرون إلى التعليم أنه بوابة الفرد أمام مستقبل الوظيفة والعمل، ولا ينظرون إليه أنه نظام يُعزز التفكير ويطوره، وينشأ عن هذه القضية أن الطموح يُقتل لدى الأفراد في العملية التعليمية، وفي نفس الوقت فإن للعائلة دوراً حاسماً في التفاعل مع الفرد (الإبن) وتنمية روح التفاعل لديه مع الآخرين، خاصة زملاءه، والأهم من ذلك تعليم أبنائهم تحمل مسؤولية تصرفاتهم ونتائج هذه السلوكيات، وفتح قنوات للإتصال.

وتُعد الأسرة المصدر القوي في مكافحة الانزلاق في خطر الإرهاب؛ لأنها أول طرف ينجح في اكتشاف وقوع الفرد في هذه المشكلة؛ وبسبب العواقب السيئة التي حدثت بعد الوقوع في هذه المشكلة، تُصبح العائلة مفتاح حل للمشكلة في البداية، وبعد أن أصبحت مشكلة الإرهاب جاذبة للمزيد من الاهتمام على المستوى العالمي، مع انتشار للأفكار المتطرفة التي تقود بالإنسان إلى الإرهاب ضمن فئات الشباب من مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية.

الإرهاب في الأردن

تعود الإرهاسات الأولى للأعمال الإرهابية في الأردن إلى عام ١٩٥١، عندما اغتيل الملك عبدالله الأول أثناء زيارته القدس لأداء الصلاة في المسجد الأقصى بثلاثة رصاصات، وكان الاعتقاد الخاطئ عند الجاني أن الملك قد وقّع اتفاقية سلام مع إسرائيل.

حالة أخرى لعميات الإغتيال في الأردن، ما حدث عام ١٩٦٠ حيث تم اغتيال رئيس الوزراء الأردني هزاع المجالي، حيث أُسْتَبِهَ بأثنين من المرسلين بزرع قنبلة في مكتبه (أبو غنيمه، ٢٠١٧).

وفي عام ١٩٧١ تم اغتيال رئيس وزراء الأردن وصفي التل بالقاهرة، حيث تبنت منظمة أيلول الأسود عملية الاغتيال في فترة الصراع بين الجيش الأردني وبعض التنظيمات الفلسطينية (أحداث أيلول).

على الرغم من عدم الصاق صفة الإرهابي للجنة إلا أن أركان عملية الاغتيال مطابقة للعمل الإرهابي ويمكن وصفهم بالذئب المنفرد، الذي يؤمن بالأفكار المتشددة.

أحبط الأردن عام ١٩٩١ تنظيماً إرهابياً خطط لشن عدد من الهجمات الإرهابية على بعض رجال المخابرات الأردنية، حيث استطاعت الأجهزة الأمنية الأردنية من اختراق التنظيم واعتقال كافة أفرادها. في عام ١٩٩٢ ظهر تنظيم حركة الشباب النفير الإسلامي في الأردن، وهو تنظيم يسعى إلى ترجمة أفكاره المتطرفة على الأرض الأردنية (قضية شباب النفير الإسلامي، ٢٠١٧).

ظهرَ الفكر السلفي المتشدد في الأردن عام ١٩٩٤، حيث تم تصفية أبو مصعب الزرقاوي واعتقال أبو محمد المقدسي الذي يُعتبر الأب الروحي والمنظر الجهادي للحركات المتطرفة، وتم اعتقال ٢٣ شخصاً كانوا ينون شن هجمات تفجيرية على بعض دور السينما والبنوك بحجة حرمتها، وفي عام ١٩٩٧ أعلنت السلطات الأردنية عن اختراقها لتنظيم إرهابي يسمّى بالإصلاح والتحدي وهو تنظيم إرهابي كان ينوي شن هجمات إرهابية إعلامية رمزية (www.Sawaleif.com)، (٢٠١٧).

كشفت السلطات عملية تفجير سيارة مواطن فلسطيني يحمل الجنسية الإسرائيلية وجودها بمواقف سيارات فندق القدس في عمان - الأردن بتاريخ ٣٠/٤/١٩٩٨م عن وجود تنظيم إرهابي ارتكب العديد من العمليات الإرهابية وأن هذا التنظيم يضم أردنيين وعرب يحملون جنسيات مجاورة.

وأعلن وزير الإعلام الأردني بالوكالة في مؤتمر عقده بتاريخ ١٠ مايو ١٩٩٨م عن الأردنية بالقبض على أعضاء التنظيم المتطرف، وقيامها بضبط كميات من الأسلحة والمنشورات والأوراق التي تثبت أن التنظيم ممول من الخارج ، وأوضح وزير الإعلام أن المتهمين بدأوا منذ شهور سابقة على القبض عليهم بعقد اجتماعات لوضع مخططات لتحقيق هدفهم المتمثل في ضرب الأماكن العامة والمراكز الأمنية ورجال الأمن وخاصة ضباط المخابرات العامة سعياً وراء العبث باستقرار البلاد والضغط على الدولة لتثنيها عن مواقفها المبدئية، وبين اتفاق المتهمين على استخدام متفجرات محلية صوتها أقوى من مفعولها، وشراء المواد الداخلة في تصنيعها من السوق المحلية، وإشراف أحد عناصر المجموعة الذي يتابع تعليمه في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية على تجهيزها، وقيام المجموعة بعد الانتهاء من وضع الخطط وضع المتفجرات بوضع عبوة متفجرة في المدرسة الأمريكية الحديثة بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٨م، وبوضع عبوة متفجرات في مواقف السيارات الخاص بمقر الدوريات الخارجية لصويلح بتاريخ ٢٢/٤/١٩٩٨م وقيام التنظيم بوضع عبوة متفجرة تحت سيارة عضو مجلس الأعيان والرئيس السابق للمخابرات بتاريخ ٢٢/٤/١٩٩٨م وبوضع عبوة متفجرة في حاوية القمامة أمام منزل عضو مجلس الأعيان وزير الداخلية الأسبق في ٢٩/٤/١٩٩٨م بالإضافة إلى حادثة موقف سيارات فندق القدس.

وكشف وزير الإعلام عن جهود السلطات الأردنية في التحري في جرائم العنف والإرهاب التي وقعت في الأردن وأسفرت عن قتل المجني عليهم، وان هذه الحوادث بلغ عددها سنة ١٩٩٦ (١٠٨) حوادث أسفرت التحريات عن معرفة الفاعلين في (١٠٥) قضايا، وما زال البحث جارياً في ثلاث قضايا، وأشار الوزير إلى حدوث انخفاض في عدد هذه الحوادث عام ١٩٩٧ حيث بلغت ١٠٥ قضية أسفرت التحريات عن معرفة الفاعلين في مائة قضية وما زالت خمس قضايا قيد البحث، ومنها قضية كشفت وتم الحكم على الفاعلين ونشر ذلك في الصحف المحلية بتاريخ ١٠ - ١٤/٤/١٩٩٩ والتي اشتهرت بمذبحة فيلا الرابية والتي قُتل فيها (٦) عراقيين ومصريين (الشرق الأوسط، ١٩٩٨).

وتشير ورقة عمل مقدمة من القاضي محمد أمين الحوامده النائب العام في عمان إلى ندوة مكافحة الإرهاب التي نظمتها أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية وعقدت في مقرها في الفترة من ٣١ مايو إلى ٢ يونيو سنة ١٩٩٩ وأشارت الورقة إلى أن القضايا الإرهابية التي وقعت في الأردن حسب سجلات محكمة امن الدولة في الفترة بين عامي ١٩٩٤ - ١٩٩٨ بلغت ٧ قضايا منها قضية واحدة بين عامي ١٩٩٤ - ١٩٩٦م وقضيتان عام ١٩٩٦ و ثلاث قضايا بين عامي ١٩٩٧ - ١٩٩٨، وقد بلغ عدد المتهمين في القضايا السبع ٥٦ شخصاً وأشارت الورقة أن غالبية المتهمين من صغار السن وأن بعضهم عاطل عن العمل والبعض الآخر يُمارس أعمالاً بسيطة.

والواقع أن الجماعات الإرهابية المتشددة في الأردن كانت في حالة سكون، وعادة ما كانت تتجنب المواجهة مع السلطات، وظهر ذلك واضحاً جلياً أثناء أزمة رفع سعر الخبز.

ولم يكن للجماعات سجل في العنف منذ نشأتها في الستينات (ابن خلدون، ٢٨) إلى أن فجرت الموقف معاهدة السلام الموقعة بين الأردن وإسرائيل في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤ والتي تلتزم كل منها بالتعاون ضد الإرهاب، وتلتزم الأردن بتكثيف التواجد الأمني على طول حدوده مع إسرائيل، والحد من تسلل الإرهابيين إلى الأردن للهجوم على السياح الإسرائيليين.

وفي عام ٢٠٠٤ أُلقي القبض على مجموعة إرهابية تُدعى خلية الجبوسي، كانت تنوي لشن هجمات إرهابية على مبنى رئاسة الوزراء الأردنية ومباني المخابرات الأردنية العامة ومبنى السفارة الأمريكية في عمان، لكن جميعها أحبطت. وفي عام ٢٠٠٥ تم استهداف فندق حياة عمان، الذي راح ضحيته ٥٧ شخصاً، وتم القبض على ساجدة الريشاوي التي لم ينفجر حزامها الناسف، وتم اعدامها عام ٢٠١٦ بعد إحراق تنظيم داعش للطيار الأردني معاذ الكساسبة. وتعرض الأردن الى أربع عمليات لخلايا إرهابية وهي:

خلية اربد وضحيته ضابط أردني.

الهجوم الإرهابي على مبنى مخابرات البقعة وضحيته خمسة من رجال المخابرات.

هجوم مخيم الرقبان وضحيته ستة من العسكريين الأردنيين.

عملية الكرك وضحيته سبع رجال أمن وسائحة كندية.

هذا وقد حصل الأردن على ترتيب ٧١ من ١٦٢ دولة (حسب مؤشر السلام العالمي) بعدد نقاط ٩٤٤,١ من ١٠ لسنة ٢٠١٥ (Global peace index, ٢٠١٥) وقد احتل الأردن المرتبة ٨٥ على مؤشر الإرهاب العالمي بعدد ١,٧٥١. أنظر الجدول التالي:

مؤشرات الإرهاب في الأردن

عدد القتلى	عدد العمليات	الخسائر المادية	عدد الجرحى	السنة	الترتيب	عدد النقاط
-	١	-	-	٢٠٠١	-	-
٣	٢	٤	-	٢٠٠٢	٥٨	٥١,٢
-	-	-	-	٢٠٠٣	٧١	٨٣,١
-	-	-	-	٢٠٠٤	٧٩	١٣,١
٦١	٣	١٢	١٠٠	٢٠٠٥	٢٤	٦٣,٤
-	-	-	-	٢٠٠٦	٣٤	٤
-	-	-	-	٢٠٠٧	٤٢	٣١,٣
-	-	-	-	٢٠٠٨	٥٤	٦٥,٢
-	-	-	-	٢٠٠٩	٧٤	٠٢,٢
١	٢	-	٤	٢٠١٠	٨٧	١٩,١
-	-	-	-	٢٠١١	٩٣	٥٥,٠
١	٢	-	١٦	٢٠١٢	٧٢	٩١,١
-	٢	٣	-	٢٠١٣	٧٣	٩٦,١
١	٢	-	-	٢٠١٤	٨٥	٧٥,١

Source: www.visionofhumanity.org.

من خلال استعراض واقع السجل الإرهابي على الأردن، نتوصل الى ما يلي:

استهداف القادة السياسيين الأردنيين والأجهزة الأمنية والمصالح الاقتصادية إضافة إلى مصالح الدول الأخرى وخاصة أميركا.

وضع الأردن في موقف مُحرج أمام السياسة العالمية من خلال استهداف السائحين الأجانب ومصالح الدول الكبرى.

التوقيت الزمني للعمليات الإرهابية كان في مرحلة حرجة من تاريخ الأردن هدفها تمزيق الوحدة الوطنية ونشر الرعب بين الناس.

تداعيات الإرهاب الاجتماعية على الأردن

تتسم الأزمات الإقليمية بقدر كبير من التداخل بين الشعوب، وعدم وجود حدود فاصلة بين النطاقات الداخلية والخارجية، إلا أن المحصلة النهائية لهذه الأزمات تؤدي إلى تصاعد مستويات الانكشاف الداخلي لعدد كبير من دول الإقليم، مما يزيد من الضغوط على الداخل بصورة غير مسبقة بسبب تتابع الأزمات الإقليمية الحادة، حيث تتسبب في إثارة تداعيات ضاغطة على الأوضاع الداخلية سواء داخل الدولة أو في إقليمها المجاور مثل: الثورات، والانتفاضات الإقليمية، وتمدد التنظيمات الإرهابية، وتفاقم الصراعات الداخلية، والأزمات المالية العالمية، والتحول الجذرية في مصالح وسياسات القوى الكبرى تجاه الإقليم.

ومثال ذلك عدّ بعض الجماعات والقوى الإسلامية "معتدلة"، وأخرى متطرفة، أو متشددة، دون معيار واضح ودقيق للتمييز بين هذا التطرف أو ذلك الاعتدال. إن السياسات الهجومية وإجراءات المواجهة المباشرة، والتصعيد المحسوب، وتأسيس نظام للأمن الإقليمي، تستند معظم التحليلات المتعلقة بتحويلات النظام الدولي إلى فرضية التحول من نظام أحادي القطبية، إلى نظام تتعدد فيه القوى والأقطاب، وتعتبر فترة الهيمنة الأحادية الأمريكية تمثل في الواقع نهاية لعهد السيطرة

الغربية (الأوروبية ثم الأمريكية)، ومؤشراً على العودة إلى النظام الدولي السائد في الفترات التاريخية التي سبقت، حين شهد العالم وجود مراكز قوة متعددة ومتوازنة فيما بينها.

وديننا الإسلامي يُؤكد أهمية وجوب احترام حقوق الإنسان المعنوية والمادية، وعدم جواز التعدي على حقوق الآخرين أو سلبها، ومن أهم هذه الحقوق: حق الحياة، حيث لايجوز للإنسان أن يقتل نفسه أو يقتل غيره، بل إن الإسلام اعتبر إن قتل شخص واحد هو بمثابة قتل كل الناس. فيعيش قلقاً خائفاً مما يحيط به من مخاطر ومصاعب، فالإنسان يبحث دوماً عن تحقيق الأمان لنفسه وعائلته ومجتمعه. ويُعد ممارسة الإرهاب والعنف من الوسائل الخطيرة التي تهدد حياة الأبرياء والناس، وتدمر الممتلكات والثروات، وتفقد المجتمع الشعور بالأمن والأمان.

فتنامي الإرهاب في دولة معينة يؤدي إلى تزايد أعداد من يعانون من أمراض نفسية واجتماعية بسبب تعرضهم للإرهاب المعنوي والمادي (شاكور مجيد، ٢٠١٧). إن تنامي الإرهاب في إقليم معين قد يزيد من حجم المهاجرين واللاجئين من ذلك الإقليم إلى دولة معينة وبالتالي تزداد معدلات الجريمة والفقر والبطالة مما يُهدد الأمن والسلم المجتمعي حيث بلغ مجموع اللاجئين في الأردن حتى نهاية عام ٢٠١٥ حتى ٢,٨ مليون لاجئ من أكثر من ٤٠ جنسية (التكلفة الإنسانية للحرب، ٢٠١٧)، حيث بلغت الجرائم التي ارتكبتها اللاجئين السوريون ما نسبته ١١% من مجموع الجرائم في الأردن وارتفعت النسبة عام ٢٠١٢ لتصل إلى ٣٨% وازدادت النسبة عام ٢٠١٣ لتصل إلى ٤٨% بواقع ٢٩٠٠ جريمة وتمثلت في جرائم الزنا ١٧٧، بيوت الدعارة ١٧٧، مخدرات ٢٤٣ (الطراونة، ٢٠١٧). وازدادت معدلات جرائم القتل مع تزايد معدلات اللجوء إلى الأردن، حيث سجلت في عام ٢٠١٠ ما نسبته ١,٦، وفي عام ٢٠١١ أصبحت النسبة ١,٨، وفي عام ٢٠١٢، وفي عام ٢٠١٣ أصبحت النسبة ٢,٣ لكل ١٠٠ ألف شخص للسنوات الأربعة (عام ٢٠١٥ في الأردن، ٢٠١٧). والجدول التالي يُبين تصاعد معدلات الجريمة في الأردن نتيجة للجوء في الأردن.

السنوات	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥	٢٠١٦
مؤشر الجريمة	١٩,١	٤٣,٤	٤٧,٥	٤٥,٥	٤٦,٨

الجدول من إعداد محمد بني حمد استناداً إلى: ٢٠١٦ - ٢٠١٢ Crime Index Database.

مما يُحمل الأردن نفقات اقتصادية كبيرة تنعكس سلباً على المواطن الأردني من حيث الضغوطات على البنية التحتية في مجالات التعليم والطاقة والصحة ومكافحة الإجرام.

إذا ما كُتب للإرهاب الإنتشار بين كافة شرائح المجتمع وخصوصاً فئات الشباب، سوف ينعكس على أساليب التفكير والتصرف لهذه الفئات، فالفكر الإرهابي له انعكاساته السيكولوجية على شخصية الفرد الذي يُصبح عاجزاً عن محاوره الآخر، ويعتقد أن كل ما يحمله من أفكار تستند إلى الصحة والحق بينما الآخر لا يحمل تلك الصفات.

أضرار الإرهاب الاجتماعية

للإرهاب أضرار كثيرة على الأفراد والمجتمعات الإنسانية، ويمكن أن تُشير إلى أبرز هذه الأضرار في الحقائق التالية:

قتل الأبرياء

من أهم أضرار الإرهاب هو قتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، وسفك الدماء، وهو من أشد المحرمات في الإسلام، إذ هو عدوان على النفس البشرية التي حرم الله قتلها إلا بالحق. إن قتل الأبرياء لأسباب واهية، أو للاختلاف في الدين أو المذهب أو الفكر يعد جريمة نكراء لا يقبلها عقل أو منطق أو دين.

من جانب آخر فإن إحياء فرد من أفراد المجتمع، يكون لنفس السبب الذي ذكرناه بمثابة إحياء وإنقاذ جميع أفراد المجتمع، لأن لكل إنسان أثر بمقدار وجوده في بناء المجتمع الإنساني وفي مجال رفع احتياجاته، فيكون هذا الأثر قليلاً بالنسبة للبعض وكثيراً بالنسبة للبعض الآخر.

تشويه صورة الإسلام

إن ممارسة الإرهاب من قبل أفراد ينتمون أو يدعون الانتماء للإسلام قد شوه صورة الإسلام في نظر المجتمعات الأخرى، وأعطى هؤلاء صورة خاطئة عن الدين الإسلامي، والمفاهيم الإسلامية، والشريعة السمحاء.

إن القيام بأي عمل إرهابي ضد الأبرياء من الناس يعطي انطباعاً عميقاً وخاطئاً بأن الإسلام يدعو للعنف والكرهية، في حين أن الإسلام دين السلام والحب والتسامح.

ولكن الملايين من الكتب التي تتحدث عن التسامح واحترام الآخر في الإسلام لا يمكن أن يساوي تأثيرها في الرأي العام أي عمل إرهابي في خلق صورة نمطية خاطئة عن الإسلام وقيمه ومبادئه ومثله السامية والنبيلة.

والإسلام عندما يشجع على الانفتاح والحوار، ويدعو لاحترام الآخر، وضمان حقوق الناس - كل الناس- ويحرم القتل والعدوان؛ فإنما يهدف من وراء ذلك لتشجيع التعارف بين الناس، وتنمية الأمن الاجتماعي، والحفاظ على التماسك الاجتماعي، وزرع المحبة والمودة بين كافة البشر، وبذلك ينمو فكر الاعتدال، وتزدهر قيم التسامح والحوار والتعاون، ويتقلص فكر الإنغلاق الذي يؤدي للتطرف والإرهاب، ويحرم القتل والعدوان ويدعو لتطبيق العدالة.

الإضرار بمصالح الناس

الأعمال الإرهابية تنعكس آثارها على الجميع، ولا تقتصر على من يقوم بها فقط، وقد كان للممارسات الإرهابية التي وقعت في بلاد الغرب أو في بلاد المسلمين تأثيرات سلبية كبيرة عن مصالح المسلمين، والإضرار بمكانة المسلمين في العالم، هذا فضلاً عن الخسائر في الأرواح والممتلكات . زهذه الأضرار لا تقتصر على الخسائر المادية؛ بل تشمل الخسائر المعنوية أيضاً، وهذه الخسائر أكثر ضرراً على المستوى البعيد من الخسائر المادية. .

معاداة الآخر

الفكر المتطرف لا يؤمن بأفكار الآخر، بل هو لا يؤمن بمعتقدات الآخر، والأمر يتجاوز ذلك ويصل إلى اعتبار الأديان الأخرى كالمسيحية واليهودية أديان معادية للإسلام وكثير من الأحيان يوسم أصحابها بالكفر. إن هذه النظرة الناقصة تؤثر على نمط التفكير وسلوك الشباب في المجتمع الكويتي ، وتدعوهم إلى التقوقع وعدم التفاعل مع الثقافات المغايرة.

الإرهاب الفكري

إن أحد تداعيات إنتشار الاتجاه المتطرف هو الإرهاب الفكري الذي ساد في الأونة الأخيرة وأصبح يهدد كل المحاولات الإبداعية سواء كانت فردية أو جماعية ، فإنتشار الإرهاب الفكري وسيطرته على مناحي الحياة في المجتمع يخلق حالة من الجمود ويقتل فرص الإبداع.

تصاعد حركات العنف

في ظل أجواء التطرف يصبح العنف هو الوسيلة التي يتم من خلالها الحوار، مما يؤدي إلى إنتشار حالة الذعر والخوف في المجتمع.

تزرع الأوضاع الاقتصادية

انتشار الفكر المتطرف يؤدي إلى إحداث خلل في المجتمع، وفي فرص التطور الاقتصادي والاجتماعي، مما يضعف الثقة في النظام العام في المجتمع.

نشر ثقافة الكراهية بين الشعوب

ساهمت الأعمال الإرهابية في نشر ثقافة الكراهية والحقد بين الأمم والشعوب، فعمليات القتل والإختطاف والتدمير بحق الأبرياء يخلق شعوراً بالكراهية بين الناس ضد الثقافة الإسلامية، بل ضد الدين الإسلامي نفسه.

والإسلام الذي يدعو للتعارف بين الناس والتعارف لا يمكن أن يتحقق إلا في أجواء المحبة والمودة والتسامح بين الناس.

إن الإنفتاح على الفكر الآخر، والتسامح اتجاه الأفكار والأديان الأخرى هو الذي يقضي على حالات التنشج والانفعال، ويقلل من وجود أرضية لنمو فكر الإرهاب والكراهية والحقد في المجتمع.

طرق مكافحة الاجتماعية لظاهرة الإرهاب

يكاد لا يختلف اثنان، على أن الشباب هم مستقبل الأمة، وجسمها القوي، وذراعها الصلب، وعلى عاتقهم تتحقق الأمل وتزهر الأحلام، وبخطو الوطن خطواته الجادة على طريق التقدم والازدهار. ورعاية الشباب واجب ديني ومجتمعي ووطني. وتعدُّ مشكلة الإرهاب من أخطر المشكلات الاجتماعية ذات المردود السلبي على الفرد والمجتمع، ولا سيما الأضرار النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

إن الدول تقيس تقدمها من خلال تحقيق وانجاز استراتيجياتها التي ترسم بدقة وتهدف الى تحقيق النمو والازدهار وبدفع عجلة التقدم نحو توفير حياة حياة كريمة لافراد المجتمع. الدولة والمجتمع الاردني عانى من متلازمة الارهاب والتطرف منذ مراحل مبكرة خلال السبعينيات من القرن الماضي ووقد عملت الدولة على احباط والحد من التهديدات الارهابية من منظور امني صرف، بينما كانت الوسائل الاخرى ثانوية من حيث الاهتمام و التركيز. ومن منتصف الثمانينيات مرورا بتسعينيات القرن المنصرم نهجت الدول العربية و الدولة الاردنية منهجين في التعامل مع الارهاب والارهابيين: في عام ٢٠٠٤ بدأت الدولة الاردنية بخطوة اعتبرت خطوة في الاتجاه الصحيح لمواجهة الغلو والتطرف باطلاق رسالة عمان والتي ارتكزت على ثلاث محاور اساسية (عدم جواز التكفير، الاختلاف في الفروع دون الاصول، عدم جواز الافتاء الا ضمن منهجية) ولقد وجدت الرسالة تجاوباً دولياً مرموقاً.

قامت الحكومة الأردنية بإصدار تشريعات وقوانين تحدُّ من ظاهرة الإرهاب، على صعيد التمويل، وعلى صعيد الانتماء للجماعات الإرهابية، بهدف تجنب المجتمع الأردني عن الانضمام للجماعات الإرهابية، ولتحقيق ذلك، قامت الحكومة الأردنية في عام ٢٠٠١ بتعديل قانون معدل لقانون العقوبات الأردن، فرضت فيه عقوبات مشددة على أي فعل أو عمل إرهابي، وتجريم الأعمال الرامية لتشكيل جماعات إرهابية، وفي عام ٢٠٠٦ قامت الحكومة الأردنية بإصدار قانون منع الإرهاب في إطار العمل على منع تمويل الإرهاب، وفي عام ٢٠٠٧ تم اتخاذ سلسلة من الإجراءات والقوانين لمكافحة غسيل الأموال (مكافحة الإرهاب، ٢٠١٧).

وضمن الخطة الوطنية لمواجهة التطرف، قامت الحكومة الأردنية عام ٢٠١٤ بتشديد الرقابة على أئمة المساجد الذين يدعون للجماعات المتطرفة، وذلك باختيار خُطباء أكفاء ومدركين لخطورة الإرهاب، وفي عام ٢٠١٦ عملت الأردن على توحيد خُطب الجمعة في كافة مساجد المملكة بهدف احتواء انتشار الأفكار المتطرفة والإرهابية ولتعرية الجماعات الإرهابية التي تقتل الناس باسم الله وباسم الدين الإسلامي.

وفي عام ٢٠١٦ قامت وزارة التربية والتعليم بتعديل المناهج المدرسية بما يضمن إزالة أي محتوى يحفز الأطفال والطلاب أي أفكار متطرفة، وقامت وزارة الثقافة باعداد من النشاطات الشبابية الرامية الى التعريف بالتطرف ومدى خطورة الإرهاب، إضافة الى دور وزارة التنمية الاجتماعية والإعلام في تنظيم كافة الأنشطة الرامية لمحاربة التطرف، وقيام وزارة الاتصالات برقابة المواقع المتطرفة التي تبت أفكارها عبر شبكة الانترنت بهدف احتوائها.

مجالات المواجهة

أما فيما يتعلق بمجالات مواجهة التطرف فإنها تقوم على ثلاثة مجالات رئيسية تهدف الاستراتيجية الأردنية لتحقيقها وهي: مواجهة الأيديولوجيات المتطرفة، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وبناء مرونة داخل المجتمع الأردني.

وترى وزارة الداخلية أن وضع آليات لكيفية التعامل مع البؤر التي يشتهب أنها حاضنة لتيارات متطرفة، مشيرة إلى أن مواجهتها سياسياً وأمنياً واجتماعياً وفكرياً يتطلب مراجعة الخطط والسياسات للتصدي للفكر التكفيري بهدف تحصين المجتمع الأردني من هذا الفكر الظلامي وترسيخ قيم التسامح في الأردن.

محاور المكافحة

وحول محاور مكافحة التطرف فإنها تتكون من ثلاثة مفاصل: (المحور الأمني). ضمن هذا المحور يتطلب خطط واستراتيجيات متوسطة المدى. ووفق وثيقة وزارة الداخلية فإن الأجهزة الأمنية وضعت خطة شاملة للتعامل مع دعاة الفكر التكفيري ودعاة العنف من خلال برامج عملية تطبيقية لمواجهة الفكر المتطرف بالفكر المعتدل من ناحية والحد من نشاطهم والمساءلة بموجب القانون من ناحية أخرى.

رقابة إعلامية

كما أسلفنا، مجموعة من الإجراءات على مراقبة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وخاصة الالكترونية التي تروج للفكر المتطرف، وفي سياق متصل، فلا بُد من استثمار وسائل الإعلام المختلفة، ومواقع التواصل الاجتماعي لنشر الفكر المعتدل وبيان الآثار السلبية الوخيمة الناجمة عن التطرف، متابعة أرباب السوابق الجرمية، كون هذه الفئة مستهدفة من مروجي التطرف لأنها سهلة الإقناع، مستغلين حقد هذه الفئة على الدولة وخاصة الأجهزة الأمنية.

المحور العسكري

وحول المحور العسكري ترى وزارة الداخلية الأردنية أن الصراع العسكري سيكون على المدى القصير ويتمثل هذا المحور في حماية أراضي المملكة الحدودية من خطر الإرهاب وتسلل المقاتلين المتطرفين والتصدي لهم ، وبقاء الأردن ملتزماً بحماية حدوده، وحرمان المتطرفين والإرهابيين من إيجاد ملاذ آمن على أراضيه. كما يتمثل في تطوير بنيته الأساسية لأمن الحدود، عبر برنامج الأردن لأمن الحدود، والذي بدأ العام ٢٠٠٩ وهو ما ساهم في الحد من تسرب الفكر المتطرف أو العبور عبر أراضيه. هذا البرنامج يتكون من مجموعة متطورة من أجهزة الاستشعار للمساعدة في تحسين الوعي الظرفي على طول الحدود، ومنع التسلل إلى المملكة، أو المغادرة غير الشرعية لأراضيها.

المحور الأيديولوجي

أما حول المحور الأيديولوجي (الفكري): فإن الحل يحتاج لخطط طويلة المدى، ويتطلب تضافر جهود الجميع. وترى الداخلية الأردنية أن على الإعلام المهني والموضوعي المحترف دور رئيس في خوض هذه الحرب، ودور العلماء المسلمين، لإظهار الإسلام بصورته الحقيقية. فالإعلام (أحد أسلحة مواجهة التطرف والإرهاب)، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام المعتدل، لبناء جيل محمي ومسلح ضد الإرهاب والتطرف، وهنا تكمن أهمية تفعيل الخطاب الديني المعتدل لتعرية فكر المتطرفين ولبناء جيل مسلم ضد الإرهاب والإرهابيين وكما أن أفضل وسيلة لمحاربة الفكر المتطرف داخلياً محاصرة حواضنها من خلال معالجة مشكلتي الفقر والبطالة.

المراجع

www.Sawaleif.com، (٢٠١٧). "الأردن والإرهاب: تاريخ من التحدي والمواجهة"، ١/٣/٢٠١٧.

www.Skynewsarabia.com، (٢٠١٧). "الإرهاب يضرب الأردن ٤ مرات في ٢٠١٦"، سايب نيوز، ١/٣/٢٠١٧.

- أبو غنيمية، زياد (٢٠١٧). "أطول وأقصر الحكومات الأردنية عمراً"، صحيفة الغد الأردنية، ٢٦/٢/٢٠١٧.
- البزايعة، خالد رمزي (٢٠٠٨). "الإستراتيجية الأردنية لمكافحة الإرهاب والتطرف في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني"، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- تشموسكي، نعم (١٩٩١). "قراصنة وأباطرة: الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي"، ترجمة: محمود برهوم، دار الفارس للنشر، الأردن.
- تشموسكي، نعم (٢٠٠٢). "الحادي عشر من أيلول، ترجمة سامي الكعكي، التكوين للنشر، دمشق.
- تشموسكي، نعم (٢٠٠٣). "الإرهاب: حالة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١"، الملتقى للنشر، الدار البيضاء.
- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، (٢٠١٧). "التكلفة الانسانية للحرب، الاتجاهات العالمية". حريز، عبد الناصر (١٩٩٦). "الإرهاب السياسي، مكتبة مديولي، القاهرة".
- الخليل، رعد (١٩٨٠). "ظاهرة العنف السياسي – دراسة في العنف الثوري"، رسالة مقدمة إلى كلية القانون والسياسة، بغداد.
- الرجوب، رضوان (٢٠٠١). "الاستثمار الأجنبي المباشر والاستقرار السياسي في البلدان العربية"، رسالة جامعية غير منشورة، مصر.
- الركابي، محسن (٢٠٠٧). "مفهوم الإرهاب في القانون الدولي والداخلي: دراسة مقارنة"، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية، كوبنهاغن، الدنمارك.
- سرحان، عبد العزيز (١٩٧٣). "حول تعريف الإرهاب الدولي"، المجلس المصري للقانون الدولي، مجلد ٢٩.
- شاكر مجيد، سوسن، (٢٠١٧). "الأثار النفسية والاجتماعية للإرهاب والعنف على المرأة والطفل"، مجلة الحوار المتمدن.
- "الشرق الأوسط"، العدد الصادر بتاريخ ١١/٥/١٩٩٨.
- الطراونة، محمود (٢٠١٤). "اللاجئون السوريون يرتكبون ٦ آلاف جريمة منذ بداية الأزمة"، صحيفة الغد الأردنية، ١٤/٣/٢٠١٧.
- الطريسي، فهد (٢٠١٤). "الإرهاب افكري والتطرف الديني"، صحيفة الحياة السعودية، ٣١/ديسمبر/٢٠١٤.
- طويلة، حسن (١٩٩٨). "العنف والإرهاب في المنظور السياسي الديني – مصر والجزائر"، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد القائد المؤسس للدراسات القومية والاشتراكية العليا في الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٨.
- عام ٢٠١٥ في الأردن، (٢٠١٧). "جريمة قتل كل ثلاثة أيام"، السبيل الأردنية، ١٤/٣/٢٠١٧.
- العكرة، أدونيس (١٩٨٣). "الإرهاب السياسي، بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الانسانية"، دار الطليعة، بيروت.
- قضية شباب النفير الإسلامي، (٢٠١٧). "أموال وأسلحة واتهامات"، صحيفة الحياة اللندنية، ٢٨/٢/٢٠١٧.
- المجالي، حسين هزاع وأبو رمان، محمد (٢٠١٦). "في مكافحة الإرهاب والتطرف"، مركز الدراسات الإستراتيجية، الجامعة الأردنية، الأردن. مركز ابن خلدون، ٢٨.
- مكافحة الإرهاب، (٢٠١٧). "دائرة المخابرات العامة الأردنية"، ٢٥/٣/٢٠١٧.
- Bonger, Bruce (٢٠٠٧). "Psychology of Terrorism", Oxford University Press, United Kingdom.
- Gartenstein, Daveed & Ross and Nathaniel Barr (٢٠١٦). "The Myth of Lone-Wolf Terrorism", Foreign Affairs.
- Global peace index, ٢٠١٥.
- "International Terrorism", US Institute of Peace, www.usip.org, ٢٠١٧.
- Nibag, Ozgur and Hancerli, Suleyman (٢٠٠٧). "Understanding and Responding to the Terrorism phenomenon – A multi Dimensional", Los Press.
- Rothe, Chris (٢٠١٥). "Jordan and the New Front in the Fight Against ISIS", the International Institute for Counter Terrorism (ICT).
- Schenker, David (٢٠١٧). "The Growing Islamic State Threat in Jordan", the Washington Institute for Near East Policy.
- "The Oxford Dictionary of English Etymology", Oxford – Clarendon Press, ١٩٨٦.

علاج الارهاب في الشريعة الإسلامية

أ.م. د. عز الدين حسن جميل

قسم الدراسات الإسلامية – فاكولتي العلوم الانسانية

جامعة زاخو – كردستان – العراق

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين واله وصحبه اجمعين وبعد ..

ان هذا البحث يسلط الضوء على معالجة الشريعة الإسلامية لجميع الظواهر السلبية التي تنشأ في حياة الانسانية بشكل عام والمسلم بشكل خاص فيس التعامل مع البعض بحيث تشمل تعامل الانسان حتى مع الحيوان .

ان معالجة الشريعة الإسلامية لظاهرة الارهاب معالجة نفسية تعليمية ، لانه اذا علم ذلك من قبل المسلم اطمانت نفسه وهدات ، لما علمه من حدود ما كلفه به الشرع وسهولة هذا الدين ويسره ، وان الله لا يكلف نفساً الا وسعها ، وقد كانت معالجة الشريعة لظاهرة الارهاب باستخدام الترهيب والترغيب بعدة طرق منها : ترتيب الاجر والثواب على ترك امور ، او الترغيب في السماح عند المعاملة او الترغيب في ترك الظلم والدعوة الى العدل ، كما عالجت الشريعة الإسلامية احياناً ظاهرة الارهاب عن طريق المعالجة العقابية ، وادراكاً منا لاهمية الموضوع وحيويته فقد اقتضت طبيعة البحث ان تشتمل على ملخص واربعة مباحث ، حيث تحدثت في المبحث الاول : عن تعريف الارهاب لغة واصطلاحاً ، وفي المبحث الثاني: تطرقت الى المعالجة النفسية والتعليمية لظاهرة الارهاب ، اما المبحث الثالث : فكان خاصاً للحديث عن المعالجة الترغيبية والترهيبية ، اما المبحث الرابع والاخير : فقد تطرقت فيه عن المعالجة العقابية لظاهرة الارهاب .

واخيراً اود ان اقول : ان هذا البحث اسهام متواضع مني لبيان علاج الارهاب في الشريعة الإسلامية ، وهو عمل اسال الله تعالى فيه الاخلاص والقبول وان يكتب لمؤتمركم العلمي النجاح والتوفيق راجياً المولى العلي القدير ان يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي ، امين . .

الكلمات المفتاحية الدالة : الارهاب ، الغلو ، التطرف، الظلم .

المبحث الأول:الإرهاب لغةً واصطلاحاً :

المطلب الأول: الإرهاب لغةً:

الإرهاب مأخوذ من: رهب بالكسر، يرهب، رهبة رهب أو رهبا:وهو بمعنى: خاف مع تحرز واضطراب(١)

والإرهاب بفتح الهمزة:مالا يصيد من الطير، والإرهاب بكسر الهمزة: بمعنى الإزعاج والإخافة ، ولها معنى آخر وهو فتح الإبل عن الحوض وزيادها(٢).

والإرهاب بمعنى الحديث لم يكن شائع الاستعمال في الزمن الماضي، وإن كان المعنى الذي يدل عليه حالياً تتضمنه المعاجم اللغوية.

وقد أوردت المعاجم اللغوية المعاصرة معنى لغوياً للإرهاب في مفهومه الحديث،حيث جاء في المنجد أن الإرهابي يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطنته ،كما أن الحكم الإرهابي يقوم على الإرهاب، والعنف تعمد إليه حكومات او جماعات ثورية(٣).

كما جاء في المعجم الوسيط أن الرهب هو الخوف، والإرهابيون وصف يطلق على الذين سيلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية (٤).

وقد جاء في الرائد أن الإرهاب هو رعب تحدثه أعمال العنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب(٥) وفي الموسوعة العربية العالمية: (الإرهاب هو: ((استخدام العنف والتهديد لإثارة الخوف والذعر)) (٦) فالمعاجم العربية قديماً وحديثاً تدل على أن كلمة (الإرهاب تفيد في معناها إلى الخوف والرعب) .

وفي اللغة الانجليزية يلاحظ أن كلمة Terore ترجع في أصولها إلى الفعل اللاتيني (Tros) والتي تعني الترويع أو الرعب والهول ومشتقاتها تدور معظمها حول هذا المعنى، أما في اللغة الفرنسية فإن كلمة (Terreur أو Terroisme) لها نفس المعنى وهو معنى الرجفان والخوف(٧).

المطلب الثاني: الإرهاب اصطلاحاً:

نحاول في هذا المبحث أن نصل إلى معرفة حقيقة الإرهاب من خلال النصوص الشرعية وأراء الفقهاء:

أ/النصوص القرآنية الواردة في الارهاب: ينبغي أن نذكر الآيات القرآنية مع تفسيرها كي نصل إلى مفهوم الإرهاب الشرعي .

أ/ قال تعالى: " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ " (٨).

قيل في تفسير هذه الآية: (وإيأي فاحشوا واتقوا أيها المضيعون عهدي من بني إسرائيل والمكذبون لرسلي(٩).

ب/ قال تعالى: " قَالَ أَقْوَامٌ فَلَمَّا عَلَّمُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْتَبُوهُمْ وَأَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ" (١٠).

قيل في تفسير هذه الآية: (أنهم أي سحرة فرعون قاموا بعدد من الأعمال التي تعزز السحر لأجل أن تثير خوف الناظرين ويسهل إقناعهم) (١١).

ج/ قال تعالى: " لِأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ " (١٢).

قيل في تفسير هذه الآية (أن هؤلاء الكافرين والمنافقين يخافونكم أشد من خيفتهم من الله تعالى لأنهم يتوقعون عاجل شركهم ولعدم ايمانهم أجل عذاب الله وذلك لقلة فهمهم(١٣).

يتضح لنا من هذه الايات ان المعنى العام للإرهاب هو (الخوف) وقد يكون الخوف احيانا من الله و احيانا من الناس بعضهم من بعض، اما المؤمنون فهم لا يخافو ولا يهابوا ، اما الكافرون فهم يرهبون ويخافون من المؤمنين اكثر من الله تعالى .

ب- النصوص الفقهية الواردة في الارهاب:

ان مفهوم الارهاب موجود في دراسة الفقهاء فالفقهاء لم يكونوا غافلين عن هذا وقد فهموه وفق ما جاءت به الاية القرآنية الكريمة: " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم" (١٤).

قال الشوكاني: (والارهاب للعدو انما يكون بالعدد والمدد والعدة والشدة والسلاح المعد للكفاح ولهذا يقول: " واعدوا لهم ما استطعتم " .. والحاصل ان الترهيب على العدو مقصد من مقاصد الشرع..(١٥).

ج/ الإرهاب في الاصطلاح:

هناك تعريفات متعددة للإرهاب، لكن التعريف الجامع للإرهاب: هو الممارسات العدوانية بشتى صورها التي حرمتها الإسلام وحذر منها ومنعها(١٦).

فسمى الإرهاب يطلق على الأعمال العدوانية تجاه الدين والنفس والعقل والمال والعرض، والتي تشمل ألوان العنف والتخويف والتهديد والأذى والقتل بغير حق ، وصور الحرابة كلها، تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي أو دولي ، بقصد بث الرعب بين الناس ترويعهم بايذائهم في دينهم او دنياهم، أو تعريض حياتهم ، أو حرمتهم ، أو امنهم

للخطر، والتعدي على البيئة والمرافق والأملاك العامة والخاصة، فكل ما سبق ونحوه من صور الفساد في الأرض التي نهى الله تعالى عنها في قوله تعالى: " وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " (١٧).

المبحث الثاني: المعالجة النفسية والتعليمية لظاهرة الإرهاب:

إن الإرهاب كانت نتيجة عدد من العوامل النفسية، والظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية والواقعية، وأن علاج هذه الظاهرة يتطلب منا إصلاحاً حقيقياً وواقعياً لتلك العوامل ولا شك أن الوقاية خيرٌ من العلاج، وكما قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج، فالمجتمعات التي تكون فيها مساواة وعدالة اجتماعية في تقاسم الثروة والإنتاج، ويشعر أفرادها برغد في العيش، وتقبل الآراء المخالفة، وحرية التعبير عن الرأي وفق ضوابط الشرع، والإستماع لمطالب الرعية وشكاويهم، ورفع الظلم عنهم من أي فرد أو جهة يصعب فيها وجود ظاهرة الإرهاب والتشدد.

ومن أهم الطرق المعالجة النفسية والتعليمية لظاهرة الإرهاب هي ما يلي:

١. إسراع الحكومات بصورة جديّة لعلاج المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها الشباب، علاجاً جذرياً، والعمل على إقامة مشروعات ضخمة، تستوعب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة، وبخاصة فئة الشباب والاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم، فيما يعود بالنفع على الجميع، مما يكون له أكبر الأثر في القضاء على البطالة.

٢. نهوض العلماء بالبيان وتوجيه الشباب: ولهذا العلاج المنزلة العظمى في دفع عاصفة الإرهاب إذ ما إرتكس المتطرفون في ذلك المصرع، إلا من قبل أذعياء العلم واشباه المتعلمين ودعاة الفتنة فعلى العلماء الراسخين في العلم مضاعفة جهودهم في التخصصات العلمية والمعرفية، والدعوية كافة، وتحصين الشباب في خصوص الدروس النافعة، والاهتمام بقضاياهم الملحة، وهمومهم الفكرية، والنفسية والمستقبلية، كي يتلقى الجيل المنهج الشرعي الوسطي المعتدل، وكي يشعر الشباب أن العالم هو حسهم الصادق وقلوبهم النابض، ولسانهم الناطق وذلك بمجابهة الفكر المنحرف بالحجة والبرهان، في صبر وتؤدة وحكمة، لأن سبيل الإصلاح قد تطول وتقصّر، ومتوخين الوسائل التقنية المعاصرة التي تحقق أفضل الغايات في أقصر المسافات، لأن العلماء إذا غابوا عن الساحة لأي سبب من الأسباب، رجع إلى رؤوس الجهل (١٨).

كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه، وإنما يقبض العلم بنزع العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (١٩).

تعزيز النصح والبيان من خلال العلماء عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال أساتذة الجامعات، وخطب الجمعة والدروس والندوات والمحاضرات، والتحذير من التشدد والغلو في الدين.

٤. يجب على المؤسسات الإسلامية والشرعية الرسمية، أن تعيد النظر في أساليبها المتبعة في مجالات الوعظ والإرشاد، والتوجيه والقرار، وأن تصبح أكثر فاعلية وواقعية وأن تعين كادراً متخصصاً قادراً على تقديم إجابات عند تساؤلات الحياة المعاصرة، ومراعاة الواقع ومتطلباته، وفتح باب الحوار والنقاش والجدال والتي هي أحسن، والحجة مع التيارات الدينية المختلفة، فالاختلاف بين الناس في أفكارهم أمر طبيعي، قال الله تعالى: " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِينَ إِلَّا مِنْ رَجْمِ رَبِّكَ ۗ " (٢٠).

والعمل على تدريس مادة خاصة عن أدب الخلاف، ضمن المناهج الدراسية المقررة في المدارس والجامعات.

٥. قيام الأسرة بتربية الأبناء، لأن الأسرة هي المحضن الأول لرعاية الأبناء، وتربيتهم على الاستقامة والوسطية والرحمة، ذكراً وإناً، وعلى الأخلاق الحميدة ونشر المحبة والتسامح والتراحم، مما يكون له أكبر الأثر مع البيت والمدرسة والجامعة والمجتمع، إضافة إلى ضرورة تنقيف أولياء الأمور والأمهات، وتحذيرهم من المخاطر التي تحصل لهم ولأولادهم جراء الاضطهاد والتهميش، والرفقة السيئة، وما قد ينجم ذلك من ضياع وانحراف، والوقوف أمام المغرضين الذين يبثون سموهم في قلوب شباب المسلمين وعقولهم.

٦. إنشاء مراكز ثقافية ورياضية للشباب تلبى متطلباتهم، لأنهم بأمر الحاجة اليوم لمن يفتح قلبه لهم، ويسمع منهم بصدر رحب، بدلاً من غلق الأبواب في وجوههم لتعصف بهم الانحرافات.

٧. المحافظة على أمن الناس واستقرارهم واجب من قبل عموم المسلمين من حيث الحكام والمحكومين، وأن ضياع الأمن ضياع للنفس والدين والعلم وعليه يجب على العلماء وأئمة المساجد وأساتذة الجامعات تذكير الناس بذلك.

٨. يجب أن تنتج المراكز التربوية إلى تعليم الطفل في كيفية مناقشة الآخرين ، وكيف يعبر عن رأيه بحرية تامة، وتركيز على المشاركة في جميع مراحل التعليم ، وذلك من خلال خلق ملكة التفكير الجيد والنقدي ، والحوار المبني على التحليل واحترام الرأي الآخر ، وغرس روح المبادرة لدى الطلاب من خلال الحوار والإقناع وليس التخويف والعقاب (٢١).

المبحث الثالث: المعالجة التريغيبية والترهيبية لظاهرة الإرهاب :

إن معالجة الإرهاب لا تتم بمضاعفة قمع الرأي الآخر، وإنفاق المزيد من الثروات على تسليح قوات مكافحة الإرهاب بأحداث معدات القتال، بل وإنما يكون بالوقوف على الأسباب الحقيقية ومعالجة الأمر، بالحكمة والموضوعية ، ولا ينتهي العنف في العالم الإسلامي إلا بقيام البدائل الديمقراطية التي تركز على مؤسسات دستورية تحترم المواطن وتشاركه القرار ، وترفع مستواه الاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

إن معالجة التطرف والإرهاب يجب أن تتبع من فم جيد للعوامل والأسباب التي ساعدت على وجودهما ، ويمكن علاج هذه الظاهرة أي ظاهرة الإرهاب من خلال الترغيب والترهيب وكما يلي:

١. إتاحة فرص التعبير السياسي ، وتداول السلطة ، ونزاهة الانتخابات .

٢. يجب على المؤسسات الإسلامية الرسمية أن تعيد النظر في أساليبها التقليدية التي اعتادت عليها في مجالات الوعظ والإرشاد كي تتحول إلى مؤسسات فعالة قادرة على تقديم إجابات عن تساؤلات الحياة المعاصرة ، ولا بد أن تنفتح تلك المؤسسات على العالم الخارجي ، وتدير في نفس الوقت حواراً جيداً حقيقياً مع التيارات المختلفة.

٣. المواجهة الفكرية للإرهاب: يستلزم مواجهة تلك الأفكار بأسلوب مخطط ومنسق ومقنع يتولاها متخصصون وذوو علم وخبرة ، ولا شك أن الغلو يحارب بنشر العلم الصحيح وفن الاحتواء والحوار والتوجيه، كما يجب التركيز على دور علماء الدين في توعية الشباب بأحكام دينية ، وان هناك أموراً يجوز فيها الاختلاف ، حيث ان علماء الفقه اختلفوا فيها وكان في اختلافهم رحمة بالناس ، ويجوز للمسلم أن يأخذ من كل مذهب دون أن يكون في ذلك خروجاً.

٤. الإيمان باهمية الحوار لكونه الركيزة المهمة في النظم الديمقراطية: لأن الحوار يصحح كثيراً من المفاهيم المغلوطة، ويأخذ بأصحابه إلى مدارج الفكر القويم ، والعقل السليم ، ويجب على علماء المسلمين محاربة أصحاب الإنحرافات الفكرية داخل الأزمنة وخارجها بالحوار الجاد المنضبط بأدب الحوار العلمي، وفق خطة مدروسة متدرجة في تحقيق غاياتها الاصلاحية.

والحوار مشروع بدليل قوله تعالى : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ " (٢٢).

فمن الضروري أن يكون هذا الحوار مبتعداً عن التجرع ، قال ابن عاشور رحمه الله تعالى : (إن كل من يقوم مقاماً من مقامات الرسول صلى الله عليه وسلم في إرشاد المسلمين او سياستهم يجب أن يكون سالكاً للطرائق الثلاث : الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وإلا كان منصرفاً عن الأداب الإسلامية ويخشى أن يعرض مصالح الأمة للتلذذ ، وفي هذا المنطلق والسياق والمعنى قال تعالى : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٢٣).

وقد أثبت مثل هذه الحوارات النزيهة المتجردة جدواها وأنت أكلها وثمارها ، حيث أب كثير من المنابر بالفكر المنحرف إلى رشده ، واستقام على النهج الصحيح بحمده تعالى.

٥. التعاون على البر والتقوى : التعاون على البر والتقوى والمعروف والإحسان بين أبناء الأمة ، به نستحكم المودة والألفة بين المجتمع ، ويتوارد الجميع على الخلق الكريم في النواحي بالحق والصبر على نوائبه ويتهلك من الخير والامن ما يرجى ، ويقمع الشر والفساد الذي يخشى ، قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" (٢٤).

وذلك هو الشعار المنشود للمجتمع الإسلامي الراقي ، يوضحه ويبينه قول رسول عليه الصلاة والسلام : "مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٢٥).

ومن معالم تلك القيم والغايات النبيلة التحمام الجمع مع ولاتهم خدمة لديننا وحفظاً لبلدنا ، فهذه المسالك المدمرة من فئة الانحراف والضلال إخلال بالدين والوطن والأرض ، وكل مقومات الحياة.

٦. التجديد الشرعي لما طالته أيدي الغالين: إن المتأمل في اسباب انحراف أصحاب الفكر الضال هو: التأويل والتحريف للنصوص ، وحيث ان من سنة الله عز وجل وجود الصراع بين الحق والباطل ، فقد اقتضت حكمته تبارك و تعالى ، أن

يهيء لهذا الدين من يقوم به وينافح عنه ، ويجدد ما اندرس من معالمه لا سيما مع تقادم الزمان وبعد البشرية عن انوار الرسالة مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا "(٢٦).
ولذلك ظهرت كوكبة من المجددين من العلماء الربانيين الذين ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الغالين.

والمقصود من التجديد : إحياء وبث معالم الدين العلمية بحفظ النصوص الدينية نقية ، وتميز ما هو من الدين ممّا هو ملتبس به ، وتنقيته من الانحرافات والبدع النظرية ، وبعث مناهج النظر والاستدلال لفهم النصوص بصورة صحيحة.

٧. تخفيف مثيرات التطرف والإرهاب والعنف الى أدنى مستوى وذلك من خلال منع الظلم على المستوى الفردي والاجتماعي، وإرساء قواعد العدل ، ومنع تفشي الفواحش ، ومحاربة الفساد.

المبحث الرابع : المعالجة العقابية لظاهرة الإرهاب :

للنفس البشرية قيمتها الكبيرة في الإسلام ، ولها حرمة ينبغي عدم انتهاكها والتعدي عليها ، فحق الحياة ثابت لكل نفس بشرية ، فالإسلام دين السلام ، وقتل النفس والاعتداء عليها كبيرة ، فالله سبحانه وتعالى هو واهب الحياة دون سواه، وقد ورد النهي عن الاعتداء والقتل في مواضع كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فحرم سبحانه وتعالى قتل النفس بأي وجه من الوجوه ، إلا في ما حدد لذلك ، وسواء كان هذا القتل قتل الإنسان نفسه أو قتل غيره مسلماً كان أو غير مسلم ، فقد نهى سبحانه وتعالى عن قتل الإنسان نفسه مثل ما نهى عن قتل غيره، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا "(٢٧). فالنهي عن قتل الإنسان نفسه وقتل من كان من جنسه من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة(٢٨)، قال تعالى : " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتَهْلُكَةِ ۚ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"(٢٩)، فقد تضمنت هذه الآية أمراً ونهياً ، أمر بالإنفاق في سبيل الله ، ونهى عن اهلاك النفس، اي لا تقتلوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب في هلاكها(٣٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً فيها أبداً"(٣١).

فقتل الإنسان نفسه أو الانتحار كما يسمى حالياً يحرمه الإسلام بأي طريقة كانت ، كما حرم الإسلام قتل المسلم أخيه المسلم حرصاً منه على صون دماء المسلمين وحفظها .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الأرض في مواضع كثيرة من ذلك قوله تعالى : " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ "(٣٢). أي لا تفسدوا فيها بعمل المعاصي بعد أن كانت صالحة بعمل الطاعات ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (ينهى الله سبحانه وتعالى عن الافساد في الأرض وما اضره بعد الاصلاح فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان آخر ما يكون على العباد فنهى الله عن ذلك)(٣٣). ومن الفساد في الأرض ما يحصل من حوادث تخريبية كنسف المساكن والمنشآت العامة والخاصة وتفجير المباني وإشعال الحرائق في الممتلكات ، وقطع الطريق والاعتداء على الامنين ، وازهاق الأرواح البرية .

وقد بين الفقه الإسلامي الأحكام الشرعية لأنواع الجرائم التي يتعرض لها المجتمع ، وقد جاء الإسلام محارباً للجريمة بأنواعها المختلفة حيث عمل على الوقاية منها ، ومن ضمن الجرائم التي حاربها الإسلام جريمة الإرهاب بأشكاله وصوره المختلفة لأن الإسلام ادرك خطورتها على المجتمع ولذلك جعل لها أقسى العقوبات وأغلظها وتناولها تحت مسمى الحرابية ، وجعل الجزاء من جنس العمل ، قال تعالى : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَلِكَ لَهُمْ جزِي فِي الدُّنْيَا ۚ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ "(٣٤).

فالإرهاب بصورة مختلفة هو في الحقيقة محاربة لله ورسوله ، وفساد في الأرض ، وقد تناول الفقهاء المسلمون هذه الجريمة على اختلاف مذاهبهم ، وناقشوا مفهومها وصورها ، وكيفية تطبيقها بعد توفر شروطها وهي كالآتي :

ولاً: مفهوم الحرابية :

١ - الحرابية لغةً : يقول ابن منظور : الحرابية لغة مصدر حارب يحارب محاربة ، وهي مأخوذة من الحرب ، والحرب مؤنث وهي نقيض السلم (٣٥).

٢- الحراية شرعاً : اختلف الفقهاء في تحديد معنى الحراية وتعريفها تعريفياً شرعياً وذلك لاختلافهم في دلالتها ومدى شمولها لجميع أنواع الفساد في الأرض أم لأنواع محددة من الجرائم وكالاتي:

أ. الحراية عند الشافعية هي : (البروز لأخذ مال أو لقتل أو إرهاب مكابرة إعتدماً على الشوكة مع البعد عن الغوث (٣٦).
ب. الحراية عند الحنابلة هي : (خروج المكلفين الملتزمين بالسلاح في الصحراء أو البنيان لأخذ أموال الناس مجاهرة (٣٧).

ج. الحراية عند المالكية هي : (الخروج لإخافة سبيل يأخذ مال محترم بمكابرة قتال أو خوفه أو ذهاب عقل أو قتل خفية أو لمجرد قطع الطريق لا لأمرة ولا لثائرة ولا عداوة) (٣٨).

د. الحراية عند الحنفية هي : (خروج جماعة ممتنعين أو واحد بقدر على الامتناع قاصداً قطع الطريق أو أخذ المال أو قتل النفس) (٣٩).

ثانياً : حكم الحراية و دليلها : الحراية تعتبر عن الجرائم الكبيرة التي تهدد استقرار المجتمع وهي من الكبائر التي نهى الله سبحانه ، وتعالى واعتبره محاربيين لله ومفسدين في الارض ، حيث جعل عقوبتهم عقوبة مغلظة خلافاً للجرائم الأخرى وذلك لما لهذه الجريمة من اثر بالغ في الاخلال بامن الأمة واستقرارها لذلك فانها محرمة بقوله تعالى : " واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب المفسدين" (٤٠). قال الشوكاني " الشرك فساد في الارض وقطع الطريق فسادا الارض وسفك الدماء فساد في الارض ونهب الاموال فساد في الارض ، والبغي على عباد الله بغير حق فساد في الارض ، وهدم البنيان وقطع الأشجار فساد في الارض(٤١).

ثالثاً: اثر العقوبة في مكافحة جرائم الارهاب :

هناك بعض النفوس الشاذة عن الطريق المستقيم والتي انحرفت عن طريق الحق حيث اتخذت من الاجرام والاعتداء على الآخرين غاية لها فنتجراً على ارتكاب ما حرم الله وهذه النفوس لا ينفع معها الاصلاح بل لا بد لها من ردع وزجر حتى ترجع الى الطريق المستقيم، ويتم ذلك عن طريق العقوبة التي جاء بها الاسلام، وهذه العقوبة جاءت متناسبة مع الجرائم التي يرتكبها الخارجون عن الحق. ، وذلك لاصلاح الحياة والمجتمع واقامة العدل وتوفير الامن فهي الدواء النافع لتلك الانحرافات، وهذه العقوبات هي الحدود التي حددت بنص شرعي من الكتاب والسنة كجرائم السرقة والقتل والزنا والحراية وغيرها، ولا يجوز العفو من قبل المجني عليه او وليه، وهناك عقوبات اخرى كالقصاص والديات ومحددة انفا بنص شرعي في الكتاب والسنة ولكن يجوز فيها العفو من قبل المجني عليه او وليه(٤٢).

والهدف من فرض العقوبة هو حماية المجتمع من الجريمة وحفظ كيان الأمة من خلال حمل الناس على الاستقامة والكف عن ارتكاب الجرائم وبذلك يعم الامن والعدل ارجاء المجتمع(٤٣).

الاستنتاجات

من خلال تعريف الارهاب ومفهومه يمكن استخلاص النتائج والتوصيات الاتية:

١- يجب على المؤسسات الدينية في العالم من خلال مساجدها مسؤولية العمل على توجيه الناس وتوعيتهم لخطر الارهاب وضرورة الوقوف صفاً واحداً في مواجهته.

٢- يجب على المؤسسات الاسلامية الرسمية والخيرية ان تبين للناس سماحة الاسلام ووسطيته وبعده عن التطرف والغلو.

٣- فتح ابواب الحوار والنقاش لافراد المجتمع كله وذلك من خلال المشاركة في المؤتمرات وتيسير سبل لقاء الشباب بالعلماء والدعاة ، وتحذيرهم من التشدد والغلو

٤- الحديث عن اهمية الامن في حياة الناس وذلك من خلال خطباء الجوامع اثناء القاء خطبهم ومن خلال وسائل الاعلام كافة واجراء بحوث متخصصة في ذلك .

٥- اتاحة فرص التعبير والممارسة السياسية والحرص على نزاهة الانتخابات .

٦- معالجة التطرف والارهاب يجب ان تتبع من فهم شامل للعوامل والاسباب التي ساهمت على وجوده.

هوامش البحث والاحالات

- (١) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧م، مادة رهب، ص١١٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٣٨٧هـ، ١٠٠/٣.
- (٢) ينظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الفيروز آبادي، دار القلم بيروت، مادة رهب، ص٢٥٩.
- (٣) ينظر: المنجد في اللغة والاعلام، لويس معلوف، دار الشروق، بيروت، مادة رهب، ص٢٨٢.
- (٤) ينظر: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، ط٢، ج١، مادة رهب، ص٣٩، ١٩٧٢م.
- (٥) ينظر: راند، مسعود جبران (١٩٩٠م) مادة رهب، ص٨٨.
- (٦) ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، (١٩٩٦م) المجلد الأول، ص٥٢٩.
- (٧) ينظر: واقع الإرهاب الوطن العربي، عبد، محمد فتحي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض، ط١، (١٩٩٩م)، ص٢١.
- (٨) سورة البقرة الآية: ٤٠.
- (٩) ينظر: جامع البيان عند تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، ١٩٨٨م، ٢٥١/١.
- (١٠) سورة الأعراف الآية: ١١٦.
- (١١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ص٢٣٤.
- (١٢) سورة الحشر الآية: ١٣.
- (١٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٤٩/٨.
- (١٤) سورة الانفال: الآية: ٦٠.
- (١٥) ينظر: السيل الجرار، : ١٢٤/٤.
- (١٦) ينظر: الإرهاب وأثره على البلاد والعباد، للأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار، مقال على موقع الألوكة الإلكتروني <http://www.alukah.net>
- (١٧) سورة القصص الآية: ٧٧.
- (١٨) اين المصدر؟
- (١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، برقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتنة في آخر الزمان، برقم (٢٦٧٣).
- (٢٠) سورة هود آية: ١١٨.
- (٢١) اين المصدر؟
- (٢٢) سورة النحل آية: ١٢٥.
- (٢٣) سورة العنكبوت آية: ٤٦.
- (٢٤) سورة المائدة آية: ٢.
- (٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦).
- (٢٦) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب () المائة برقم (٤٢٩١) وصححه الألباني في صحيحه: (٥٩٩).
- (٢٧) سورة النساء آية: ٢٩.
- (٢٨) ينظر: الأساس في التفسير لسعيد حوا، ج١، ص١٠٤٧.
- (٢٩) سورة البقرة آية ١٩٥.
- (٣٠) ينظر: في الأساس في التفسير لسعيد حوا، ج١، ص٤٤٧.

- (٣١) رواه مسلم ،كتاب الإيمان ، باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه ،ج ١ ،ص ١٠٤ .
- (٣٢) سورة الأعراف آية ٥٦ .
- (٣٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ،ج ٢ ، ص ٢٠٦ .
- (٣٤) سورة المائدة آية ٣٣ .
- (٣٥) ينظر :لسان العرب لابن منظور ،ص ٣٠٤ .
- (٣٦) ينظر : مواهب الجليل للخطاب ،ج ٦ ، ص ٣١٤ .
- (٣٧) ينظر :شرح منتهى الإرادات ،منصور بن إدريس البهوتي ،رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والأرشاد ،الرياض ،ج ٣ ،ص ٣٧٥ ،ومنار السبيل في شرح الدليل ،إبراهيم بن محمد الضويان،تحقيق زهير الشاوشي ، المكتب الإسلامي ،ج ١، ص ٣٩٣ ، ١٩٧٩م .
- (٣٨) ينظر : مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ،محمد المغربي ،دار الخطاب للكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥م ،ط ١، ج ٦، ص ٣١٤ .
- (٣٩) ينظر :شرح فتح القدير ،كمال الدين محمد بن عبد الوهاب ، ابن عبدالوهاب بن الهمام ،ط ٢، ١٩٧٧، ج ٥ ، ٤٢٢م .
- (٤٠) سورة البقرة ، الآية: ٢٠٥ .
- (٤١) ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٢/٣١ .
- (٤٢) اصول التشريعات العقابية في الدول العربية ، غير منشور ، محمد محي الدين عوض ،ص ٩٠ .
- (٤٣) ينظر: العقوبة في الفقه الاسلامي ، البهنسي، ص ١٤ .

الفهرس

التطرّف والإرهاب ، وثقافة قبول الآخر

د.مجد خليل القبالين

دكتوراه علم اجتماع علم الجريمة

ورقة بحثية مقدمة للمشاركة في المؤتمر العلمي المُحكّم : حوار الحضارات

المُلخص

هدف البحث إلى توضيح مفهوم التطرّف والإرهاب والفرق بينهما ، والعلاقة بينهما ، والحالة التي يُصبح فيها التطرّف إرهاب ، إضافةً إلى ذلك تسليط الضوء على نشأة وتاريخ التطرّف ، والإرهاب وجذوره ، ويشمل تتبّع تاريخي له ، والحديث عن الإرهاب في الأردن ، وأبرز الأحداث الإرهابية التي تم تنفيذها في المملكة الأردنية الهاشمية منذ تأسيس إمارة شرق الأردن ، إضافةً إلى ذلك الحديث عن ثقافة الحوار وقبول الآخر كأحد الطرق الفعالة في مكافحة التطرّف ، والإرهاب ، ومن ابرز التوصيات التي تم التوصل لها ضرورة توعية الاهل بأساليب التربية المتبعة في تربية الابناء ، وتعزيز ثقافة الحوار وقبول الاخر ، وتعزيز قيم التسامح والعدالة بين الجميع.

مُقدمة

شهدت المُجتمعات البشرية منذ بداياتها صوراً مختلفة للأنشطة الإجرامية ، التي تمثلت في مُمارسة أساليب مُتعددة ، وصولاً لغايات وأهداف مُعينة ، التي تُعتبر ترجمة فعلية وسلوكية لظاهرة التطرّف والتعنّت للفكر والمُعتقد الديني ويتمثل في الإرهاب ؛ الذي يُعتبر إحدى مُخرجات التطرّف بهدف إشباع رغبات سياسية ، أو عرقية ، أو دينية ، والتي بدورها تُهدد الأمن القومي والإنساني والاجتماعي في كافة المُجتمعات البشرية.

وُعتبر ظاهري التطرّف والإرهاب مُقلقةً لكل المُجتمعات الإنسانية ؛ لما يترتب عليهما من استخدام كافة أساليب العُنف والترهيب ، ويرتبط كل منهما بفكرة التهديد باستعمال العُنف المُنظم ، والتخويف ، والتهديد به لغرض إرهاب ، أو إكراه ، أو إقناع ، أو إبتزاز ، والهدف منهما قد يكون فرداً ، أو جماعة ، أو حكومة ، ويهدفان لترويع البيئة المُحيطة ، ويُستخدمان داخل الجماعات شديدة الإختلاف والتباين، وخصوصاً إذا صاحب هذا الإختلاف افتقار تلك الجماعات لثقافة الحوار وقبول الآخر.

إن الإرهاب لم يُعد ظاهرة هامشية أو ظاهرة عابرة ، وإنما هو نقلة نوعية وجوهرية في بنية النظام الدولي ، ولا يمكن تصور أن القضاء على العاملين تحت مظلة الإرهاب سيترتب عليه القضاء عليهم تماماً ومنعهم ، فالإرهاب أكثر أصالةً من ذلك حيث يرتبط ببنية النظام ، ولا يمكن القضاء عليه إلا بمُعالجة العيوب الهيكلية في النظام الذي يُنتجه ، فإزالة أسباب الإرهاب لا تقل أهميةً عن إزالة الإرهابيين والتنظيمات الإرهابية ، وكلاهما لا يقلان أهميةً عن الحد من ظاهرة التطرّف للفكر والرأي ، والذي يُعتبر مُطلباً سابقاً للإرهاب يتم بموجبه استخدام كل أساليب العُنف والتخويف والترهيب للتسويق للفكر الذي يكون صاحبه مُتعنّياً ومُترمّناً له(العلاونة، ٢٠١١).

ويتسم الإرهاب المُعاصر بخصائص مُتميزة عن إرهاب العقود السابقة من حيث التنظيم ، والتسليح ، فمن حيث التنظيم تتسم جماعات الإرهاب الجديد بغلبة النمو العابر للجنسيات ، حيث تضم أفراداً ينتمون إلى جنسيات مُختلفة ، ولا تجمعها قضايا قومية ، ولكن تجمعها أيولوجية دينية أو سياسية مُحددة ، كما تنتقل هذه الجماعات من مكان إلى آخر ما يجعل من الصعب مُتابعها ، أو تعقبها ، أو استهدافها ، كما يتسم بتنوع أسلحته ، وأدواته ، وأساليبه ، وضالّة تكاليفه ، وعظم تأثيره السلبي ، وهذا يترتب عليه ارتفاع تكاليف مُكافحته للحد منه(الكلوب، ٢٠١١).

مُشكلة البحث

لقد انتشرت ظاهرة التطرّف والإرهاب بشكل كبير ، وأصبحت جرائم شديدة الخطورة تُهدد الأمن والاستقرار الداخلي للدول ، وتُهدد السلم والأمن الدوليين ، وقد أصبحت المنطقة العربية أكثر عُرضةً لعمليات الإرهاب والتطرّف التي تستهدف شعوبها ومُقدراتها ، والأردن بحُكم موقعه الذي يُحيط به إقليم مُلتهب ، ويعيش وسط حزام ناسف تتوافر فيه البيئة الخصبة لنمو منابت التطرّف والإرهاب وجذوره التي تهدد أمنه وسلامته ، ولأن التطرّف والإرهاب من الجرائم المُنظمة العابرة للحدود التي لا تقف عند دين ، أو جنس ، أو عرق ، فقد أصبح من الواجب التصدي لهاتين الظاهرتين وتكأف الجهود في مُحاربتها من كافة المؤسسات الحكومية والمدنية داخل الدولة ، وتُعد المؤسسات الأمنية من المؤسسات ذات العلاقة المُباشرة في مُكافحة التطرّف والإرهاب، ولقد عانى المُجتمع الأردني ومنذ بدايات تشكيل الدولة من هذه الظاهرة ابتداءً من اغتيال

الملك المؤسس عبدالله الأول على أعتاب المسجد الأقصى عام ١٩٥١ ، ثم اغتيال رئيس الوزراء هزاع المجالي عام ١٩٦٠ ، ومن ثم حادثة اغتيال رئيس الوزراء وصفي التل في القاهرة عام ١٩٧١ ، وقد عانى الأردن في الفترة الراهنة من سلسلة التفجيرات التي وقعت في ٣ فنادق في العاصمة عمان في شهر تشرين الثاني وأسفرت عن استشهاد ٥٨ شخصاً مدنياً ، وإصابة ما يُقارب ٢٠٠ شخص ، وكذلك العمل الإرهابي الذي وقع في محافظة الكرك وتحديداً في قلعة الكرك في يوم ١٨ ديسمبر عام ٢٠١٦ وقام فيه أفراد مُنتمين لتنظيم داعش بإطلاق النار ، وأسفر الهجوم عن قتل عشرة أشخاص بينهم سبعة رجال أمن وسائحة كندية وعدد من الإصابات . وبناءً على ما سبق فقد تطرق هذا البحث لتوضيح خطورة التطرف والإرهاب ومتى يتحول التطرف إلى إرهاب وخصوصاً في ظل غياب ثقافة الحوار وقبول الآخر.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث فيما يلي:

توضيح مفهومي التطرف ، والإرهاب ، والخلفية التاريخية لظاهرة التطرف والإرهاب ، والفرق بين التطرف والإرهاب والعلاقة بينهما ، وتوضيح الإرهاب في الأردن ، وتوضيح دور تعزيز ثقافة الحوار، وقبول الآخر في الحد من التطرف والإرهاب.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق جُملة من الأهداف تتمثل في:

- توضيح مفهومي التطرف والإرهاب.
- الخلفية التاريخية للإرهاب والتطرف.
- الفرق بين التطرف والإرهاب والعلاقة بينهما.
- الإرهاب في الأردن.
- دور ثقافة الحوار وقبول الآخر في الحد من التطرف والإرهاب.

توضيح مفهومي التطرف والإرهاب

يُعتبر التطرف ظاهرة عامة تُصيب كُل المجتمعات الشرقية والغربية المُتقدمة والنامية، كما أنها تُعد من أخطر المُشكلات الاجتماعية ؛ ويعود ذلك إلى حالة الجمود العقائدي ، والانغلاق الفكري لدى المُتطرفين ، فهو أسلوب مُغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية مُعتقدات أو آراء تختلف عن مُعتقدات ، أو آراء الشخص أو الجماعة ، أو التسامح معها ، ويشير (Roger White, ٢٠٠٦) إلى أن التطرف الذي يُشابه مفهوم Dogmatism الذي يعني تأكيد الرأي وكأنه حقيقة "التزمت" ، حيث يركز على العناصر التي يتكون منها التطرف وتتمثل في: (أبو مريم، ٢٠١٤).

- إدانة كُل اختلاف عن المُعتقد الذي تعتقده الجماعات المُتطرفة.
- الاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي أو حتى تفسيره بالعنف.
- فرض المُعتقد على الآخرين بالقوة.

ويُعتبر التطرف انتهاك للقيم الاجتماعية والسياسية القائمة ، ويتدرج هذا الانتهاك من مجرد الخروج عن الفكر والأيدولوجية السائدة في المُجتمع إلى صورة أكثر تجسيدا ، كما هو في أعمال العنف التي تُمارسها الجماعات المُتطرفة.

لا يزال تحديد تعريف جامع وشامل للإرهاب مدار بحث ونقاش في العديد من المؤتمرات والندوات الوطنية والإقليمية والدولية ، حتى أصبح الوصول إلى إجماع حوله بين السياسيين والأكاديميين من القضايا الشائكة ؛ نظراً للمرجعيات السياسية والفكرية الدينية التي ينطلق منها الأفراد والمُنظمات والدول في تحديد ماهيته(العلاونة، ٢٠١١).

وتلك الإشكالية في تحديد مفهوم الإرهاب قد تعود أيضاً إلى أن مفهوم الإرهاب مفهوم مُتغير ، وتختلف صورته وأشكاله وأنماطه ودوافعه إختلافاً زمنياً ومكانياً ، كما يتباين النظر إليه بتباين الثقافات القائمة في المجتمعات المُعاصرة(الجحني، ٢٠٠١).

مصطلح الإرهاب لغوياً مُشتق من الفعل رهب أي خاف ، وكلمة إرهاب هي مصدر الفعل أرهب ، كما عرف مجمع اللغة العربية في القاهرة في المعجم الوسيط "الإرهابيين بأنهم الذين يسلكون سبيل الغُف والإرهاب من أجل تحقيق أهداف سياسية ، فكلمة الإرهاب تُشتق من الفعل أرهب ، ويُقال أرهب فلاناً أي خوفه(معجم الوسيط ج ١، ص٣٧٦).

وفي (قاموس المُنجِد) الرهب والمرهوب هو ما يخاف منه ، والفعل الثلاثي هو أرهب أي خاف وهي مُشتقة من المصدر وهو الإرهاب ، والإرهابي هو من يلجأ إلى الإرهاب ليقيم سلطته(المنجد، ١٩٨٤) ، فالإرهاب في اللغة العربية هو الخوف والفرع وكُل ما من شأنه إثارة الرُعب والدُعر بين الناس بغية حملهم على الطاعة والخضوع ، وقد عرف قاموس أكسفورد Oxford الإرهاب(Terrorism) بأنه استخدام الغُف والتخويف خصوصاً لتحقيق أهداف سياسية(١٩٧٩، Oxford).

وكلمة الإرهاب مصدرها الفعل اللاتيني(Terse) الذي أُخذت منه كلمة(Terror) التي تعني الرُعب أو الخوف الشديد(عبد المولى، ٢٠٠٨).

أما الإرهاب اصطلاحاً فقد عرفه قاموس العلوم الإجتماعية بأنه فعل لا يُعبر اهتماماً بمسألة الضحايا ، وهو يوجه ضرباته التي لا تأخذ غطاءً مُحدداً اتجاه أهدافه المقصودة بهدف خلق جو من الرُعب والخوف(غيث، ١٩٨٩).

أما التعريف الدولي للإرهاب فقط ورد في الاتفاقية الدولية الموقعة في جنيف عام ١٩٣٧ ، والإرهاب بموجب هذه الاتفاقية هو الأعمال الإجرامية ضد الدولة التي من شأنها وطبيعتها إثارة الرُعب لدى شخصيات ، أو جماعات مُعينة ، أو لدى الجمهور(الحسن، ٢٠٠٨).

وقد عرفت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب(١٩٩٨) على أنه : "كُل فعل من أفعال الغُف ، أو التهديد به أيأ كانت بواعثه ، أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي ، أو جماعي ، ويهدف إلى إلقاء الرُعب بين الناس ، أو ترويعهم بإيذائهم ، أو تعريض حياتهم ، أو خُرياتهم ، أو أمنهم للخطر ، أو إلحاق الضرر بالبيئة ، أو بأحد المرافق ، أو الأملاك العامة ، أو الخاصة ، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر.

ورد تعريف الإرهاب في قانون العقوبات الأردني في المادة(١٤٧) أنه: " جميع الأفعال التي ترمي إلى إيجاد حالة دُعر تُرتكب بوسائل كالأدوات المُتفجرة ، والمواد المُلتهبة ، والمُنتجات السامة، أو العوامل الوبائية ، أو الجرثومية التي من شأنها أن تُحدث خطراً عاماً".

الخلفية التاريخية للإرهاب والتطرّف

الارهاب ظاهرة قديمة قدم التاريخ ، فالجرائم قد ارتكبت منذ بدء الخليقة ، أي منذ أن قام قابيل بقتل أخيه هابيل ودفنه في تراب الأرض ، بيد أن مضامين الإرهاب وأهدافه ظلت ثابتة ولم تتغير ، بينما أشكال الإرهاب وصيغته قد تغيرت بتغير النظم الاجتماعية والمُجتمعات.

وعندما نتكلم عن التاريخ والنشأة للتطرّف والإرهاب لا بُد من الحديث أولاً عن ظاهرة الغُف والتي كانت السمة المميزة للمُجتمعات البدائية ، مُجتمع شريعة الغاب والبقاء للأقوى ، حيث استمرت هذه الظاهرة وتنامت بعد ظهور المُجتمع المدني المنظم ، ولها في اجتياح الهكسوس لمصر الفرعونية قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام خير مثال على ذلك(المركز العربي للنشر والتوزيع والدراسات، ١٩٨٢).

كما عرف الفراعنة جريمة الإرهاب في عام ١١٩٨ ، واطلقوا عليها اسم جريمة المرهبين حيث كان هُنالك محاولات لاغتيال الملك رمسيس الثالث عُرفت بمؤامرة "الحريم الكُبرى"(الكريني، ٢٠٠٢).

كانت اولى المجاميع الارهابية التي شهدتها التاريخ مجموعة المُتطرفين اليهود في القرن الأول الميلادي والذي يسمون بالسيكاريين حيث ظهرت هذه الجماعة عام ٤ ق.م واستمرت لغاية عام ٦٦ م ، وقد تبنت الجماعة استراتيجياً إرهابية هي اغتيال وجهاء اليهود من الأغنياء ، ورجال الدين ، واحراق مُمتلكاتهم ، وعمل كهذا كان يرجع الى حمل اليهود البارزين على التمرد ضد الاحتلال الروماني(الموسوي، ٢٠٠٤) ، من هُنأ نلاحظ بأن اليهود من أقدم الجماعات الإرهابية التي عرفها العالم.

كان المُجرم السياسي يُعتبر عدواً للأمة ، وكانت الجرائم السياسية ضمن الجرائم العامة ، وهي الجرائم التي تشمل الأفعال الخطيرة التي يتعدى ضررها الأفراد فتُصيب المُجتمع بأسره ، مثل التآمر مع أعداء الوطن ، وجرائم المساس بأمن الدولة وإثارة الفتن والقتال ، والتمرد والثورة على سُلطة الرئيس.

وعند الإغريق كانت الجريمة السياسية مُرتبطة بالمفهوم الديني ، ولكن هذه النظرة بدأت تتغير بتطور الحضارة اليونانية ، وبدأ مفهوم الجريمة السياسية ينفصل عن مفهوم الجريمة الدينية ، حيث أصبحت الجريمة السياسية هي الجريمة الموجهة إلى الدولة ، أو بنائها الاجتماعي ، أو ضد سيادة الشعب.

وفي عصر الجاهلية قبل صدر الاسلام كان يسود مُجتمع العُنف والإرهاب والسيطرة ، وبعد ظهور الإسلام ظهر الإرهاب القائم على التطرف الديني ، ويرى بعض الباحثين إنه يرجع في تاريخ الإسلام إلى حركة الخوارج التي انبعث عنها العديد من الحركات المُنتشقة التي شهدها التاريخ الإسلامي.

وبحلول القرن السادس عشر شهد العالم الإرهاب ، وهو ينتقل إلى أعالي البحار حيث أخذت عصابات خارجة عن القانون ترتكب أعمال القرصنة من نهب ، واعتقال حيال السفن التجارية ، وتُمارس القرصنة ابتزاز الأموال وإرغام السُلطات على تحقيق مطالب سياسية ، وكان الفرصان عدو مشترك للبشرية ، كما اعتبرت القرصنة جريمة ضد قانون الشعوب (حسين، ٢٠٠٦).

وفي القرن الحادي عشر ظهرت في الشرق الأوسط جماعة الحشاشين الدينية التي ترجع إلى الإسماعيلية ، فحين أراد الحشاشون الاحتفاظ بمعتقدهم الديني ، وتقاليدهم الاجتماعية ، قاومهم السلاجقة الذين كانوا يومها حُكام المنطقة ، وكان ردهم على هذه المقاومة أن التجأوا إلى أساليب الإرهاب ، وكان الاغتيال أبرز هذه الأساليب ، إن الحشاشين هم طائفة دينية يعتقدون بقُرب نهاية العالم ، ومجيء دولة العدل التي أسسها حسن الصباح ، وإن تسمية الطائفة مأخوذة من كلمة الحشيشة ، إذ أنهم كانوا كما لو أنهم تحت تأثير المُخدر مُتخذين قلعة الموت مدينة قزوين الإيرانية مركزاً لهم ، ومن الذين اغتالهم الحشاشون الوزير السلجوقي لنظام الملك عام ٧٠٢م ، وملك القدس الصليبي (كونداي موتفيرا) وحاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي مرتين.

وقد شهدت القرون الوسطى أشنع صنوف البطش ، والعُنف مُتمثلة في محاكم التفتيش التي نصبها الباباوات للانتقام من مُخالفهم ، وكُل من لا يدين بالولاء للكنيسة البابوية ، واستمر هذا العُنف ، وأخذ شكلاً جماعياً عند الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ، وسقوط الملك لويس السادس عشر والقضاء على النظام الإقطاعي ، مرت فرنسا بمرحلة من الإرهاب في عهد "الجمهورية اليقوبية" التي امتدت من عام ١٧٩٢-١٩٩٤ (شريف، ١٩٩٧) ، لقد كانت ظروف الدول والمُجتمع كُلاً بالإضافة إلى ظروف الاتصال والانتقال سبباً لوجود الإرهاب الدولي بصورته الحالية.

وانطلق الإرهاب كمُصطلح مُداول في الخطاب السياسي المُعاصر في القارة الأوروبية ، وترسم في شكله الحركي في الولايات المتحدة الأمريكية ، فمنذ أن شهدت حروب الانفصال خلال الفترة (١٨٥٦-١٨٦١) تشكلت حركات وأحزاب سياسية تختلف كل الاختلاف عن الأحزاب والحركات التي كانت سائدة في العالم من حيث مسؤوليتها عن تصفية السود في الولايات المتحدة الأمريكية (صاحب، ٢٠٠٤).

وقبل الحرب العالمية الأولى وقعت أبرز عملية إرهاب دولي ، كان لها دوراً كبيراً بل تُعتبر نُقطة بارزة في لفت أنظار المُجتمع الدولي لخطورة الإرهاب على العلاقات الدولية ، وهي اغتيال ولي عهد النمسا "الدوق فرانز-فيرديناند" ، وزوجته في سيرايفو على يد قاتل سياسي من صربيا في عام ١٩١٤/٦/٢٨ ، وكانت بمثابة الشرارة التي أشعلت نار حرب عالمية استمرت أربعة سنوات (شريف، ١٩٩٧).

وشهدت صورة الإرهاب المنظم للدولة النازية داخل ألمانيا من خلال الجرائم التي ترتكبها قوات القاصفة وقوات LSS ضد كُُل من يُخالف السياسات الهتلريه كُمقدمة لتصدير الإرهاب النازي إلى خارج الحدود وهو الذي أدى إلى تفجير الصراع الدولي الشامل الثاني في القرن العشرين ، وهو الحرب العالمية الثانية ، حيث افتعل نشوب الحرب العالمية الثانية إثر حادثة اغتيال الكسندر الأول ملك يوغسلافيا "وبرنو" وزير خارجية فرنسا في مرسيلا من قبل مُجرمين كروات بايعاز من الزعيم الإيطالي "موسوليني" في تشرين الأول من العام ١٩٣٤م (حسين، ٢٠٠٦).

في الحقيقة إن للحقبة الاستعمارية التي مر بها العالم في القرن العشرين دوراً كبيراً في نمو وتطور الإرهاب الدولي ؛ وذلك بسبب الظلم والتسلط الذي مارسه الدول الاستعمارية على شعوب الدول الضعيفة والمستعمرة.

وفي عقد التسعينات تحولت استراتيجيات الإرهاب بشكل حاد من الرعاية عن طريق الفعل ، إلى التدمير للخصم أو على الأقل الإنهك المُستمر لقوى الدولة ، وهدفهم هو تحطيم الدولة ، أو إحداث أكبر قدر من الخسائر بها (شعيب، ٢٠٠٤).

وفي القرن العشرين صارت جريمة الإرهاب من أكثر الجرائم خطورة على المُجتمع الدولي ، الامر الذي دعا الأمم المتحدة في عام ١٩٧٢ إلى إضافة لفظ دولي لمُصطلح الإرهاب الذي كان مُستخدماً من قبل للتعبير عن تلك العمليات الإرهابية،

والى إنشاء لجنة مُتخصصة مهمتها الرئيسية دراسة الأسباب ، والدوافع الكامنة وراء عمليات الإرهاب الدولي ، ثم بدأت العمليات الإرهابية تزداد خطورة وكثافة على الصعيد الدولي ، وهو ما صعد بهذه القضية ، أو الظاهرة إلى أن تتبوأ المكانة الأعلى من الاهتمام ، والخطاب الدوليين(عبد المطلب، ٢٠٠٧).

واخيراً فُقد تطور الإرهاب الدولي في بداية الألفية الثالثة بشكل جديد ، ومُختلف ؛ وذلك بسبب اختلاف بنية وهيكل النظام العالمي الجديد ، ومحاولة دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية فرض سيطرتها وهيمنتها على العالم ، مما جعل فكرة الإرهاب الدولي أكثر شيوعاً ، واستخداماً أكثر من أي وقت مضى.

أدى ذلك إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى في القرن الواحد والعشرين ، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تُعتبر الأولى من نوعها في تاريخ البشرية ؛ نتيجة محاولاتها التدخل في الشؤون الداخلية للدول تحت مُسميات مُختلفة ، والتي باتت تُهدد الأمن والسلم الدوليين ، خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي استهدفت مركز التجارة العالمي ، وقام "وارجون زفاي لثومي" بافتعال قيامه المشكلة الرئيسية التي تعيشها المنطقة كلها ، كما قامت اسرائيل على الارهاب ، فإنها لا زالت تُمارسه وتعيش في ظله(عليان، ٢٠١٠).

الفرق بين التطرف والإرهاب والعلاقة بينهما

إن موضوع التطرف والإرهاب هو من أكثر المواضيع التي أثارت الجدل والاهتمام في العالم المعاصر خاصةً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، فقد أصبح مُصطلح الإرهاب واسع الاستخدام ، وقد نُسب لأي ظاهرة كانت بدون أي مُبرر أو عُذر، وبالتالي فإن تحديد العلاقة القائمة بين الإرهاب والتطرف مسألة ليست بيسيرة ؛ وذلك بسبب شيوع استعمالهما كمرادفين لمعنى واحد ، ولذلك تُعد التفرقة والتمييز بينهما شيئاً ضرورياً.

وحسب ما سبق فإن التطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة كل البعد عما هو مُعتاد ومُتعارف عليه سياسياً ، واجتماعياً ، ودينياً، دون أن ترتبط تلك المُعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المُجتمع أو الدولة ، أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب(الرواشدة، ٢٠١٥).

أما الإرهاب في مفهومه العام فهو استخدام العنف غير المشروع لخلق حالة من الخوف والرُعب بقصد تحقيق التأثير، أو السيطرة على الفرد والجماعة. أو هو كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به ، أياً كانت بواعثه ، أو أغراضه ، ويقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ، ويهدف إلى إلقاء الرُعب بين الناس ، أو ترويعهم بايذائهم ، أو تعريض حياتهم ، أو حُريتهم ، أو أمنهم للخطر وإلحاق الضرر بالبيئة ، أو بأحد المرافق ، أو الأملاك العامة ، أو الخاصة ، أو الاستيلاء عليها ، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر(اليوسف، ٢٠٠٦).

ويعني كذلك محاولة الأفراد أو الجماعة فرض رأي ، أو فكر ، أو مذهب ، أو دين، أو موقف مُعين في قضية من القضايا بالقوة والأساليب العنيفة على أناس أو شعوب أخرى ، بدلاً من اللجوء إلى الحوار والوسائل الحضارية التي ابتدعها الإنسان عبر الكفاح الطويل من أجل حقوق الإنسان مثل " حُرية التعبير والصحافة وغيرها بحيث تقوم هذه الأفراد أو الجماعات بفرض الأفكار ، أو المذاهب بالقوة ؛ لأنها تعتبر نفسها على صواب والأغلبية معها مهما كانت نسبتها من الضلال وتُعطي نفسها وضعية الوصاية تحت أي مُبرر ، ومن هنا يأتي أسلوب الفرض والإرغام(الجبوري، ٢٠١٣).

إن الإرهاب بوصفه عملاً من أعمال العنف والتهديد به ، أو الترويع يستلزم مظهراً مادياً خارجياً يتشكل فيه السلوك الإرهابي ، في حين إن التطرف هو مسألة ترتبط بفكر الشخص نفسه أو مظهر من مظاهر التطرف لا يُشكل انتهاكاً لقاعدة اجتماعية.

وبالتالي يُمكن القول إن التطرف يكون في دائرة الفكر ، أما إذا تحول هذا الفكر إلى أنماط عنيفة من السلوك واعتداء على حُريات ، أو مُمتلكات ، أو أرواح ، أو تشكيل تنظيمات مُسلحة لمواجهة الغير فُها يتحول التطرف إلى إرهاب(حسين، ٢٠١٢).

وبناءً على ما سبق فإن التطرف يرتبط بالانغلاق والتعصب في الرأي ورفض الآخر وكراهيته ومُمارسة كل أنواع الإقصاء ، والاستبعاد الاجتماعي بحقه ، ويُمكن أن يكون هذا المُتطرف فرداً ، أو جماعة بحيث أنه ينظر للمُجتمع نظرة سلبية ، فلا يؤمن بتعدد الآراء والأفكار وتعدد وجهات النظر ، ويرفض الحوار والتعايش معه ومع أفكاره ، ولا يُبدي استعداداً لتغيير آراءه ، بل قد يتعدى الأمر إلى تكفير الآخرين دينياً وسياسياً ، ويزداد خطر التطرف حين ينتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري إلى المُمارسات والسلوكيات المُتطرفة التي يُعبر عنها بأسلوب مادي باستخدام وسائل العنف كالقتل ،

والتفجير لتحقيق الأهداف ، أما السلوكيات المتطرفة إذا كانت فردية لا تُهدد أمن المجتمع واستقراره ولا تُعتبر خطيرة أو ضارة وبخاصة في ظل قيم تربوية متوازنة يحترم فيها كل فرد خصوصيات الآخر(الرواشدة،٢٠١٥).

والتطرف الديني أو العقائدي في حد ذاته لا يُجرمه القانون إلا إذا تجاوز القاعدة المسموحة له ، وهي اعتناق فكر مُتشدد لا وسطية فيه ، أما الإرهاب فهو وسيلة يتبعها أصحاب فكر مُتشدد ، أو عقيدة مُتطرفة على أمل فرض مبادئهم وأفكارهم على الآخرين بالقوة ، وهذا بدوره يؤدي لارتكاب الجريمة داخل المجتمع(اليوسف،٢٠٠٦).

ويُستنتج مما سبق إن التطرف لا يتحول إلى إرهاب إلا حينما نفتقر إلى لغة الحوار وقبول الآخر و تُرجم هذا التطرف والتزمّت للرأي بشكل سلبي لأفعال وسلوكيات تحمل معاني الأذى للمُقابل ، وتزداد فرص تحول وتطور التطرف إلى إرهاب كلما زاد عدد الأفراد المُتطرفين لنفس الرأي ، وأصبحوا يُشكلون معاً ثقافة فرعية أو أقلية، وإذا كان هذا التطرف في مُحيط إجتماعي يُعاني من مشاكل ومعوقات في مهارات التواصل الاجتماعي مثل قبول الآخر ، ولغة الحوار ، وبيئته خصبه لخروج أنماط مُنحرفة ، ومُتطرفة في تفكيرها.

الإرهاب في الأردن

لقد عانى الأردن من الإرهاب بجميع صوره ، وأشكاله لعدة أسباب أهمها : الموقع الجغرافي المتوسط للأردن بين البؤر المُلتهبة في المنطقة ، وقضايا الإقليم التي من أهمها القضية الفلسطينية ، واحتلال العراق ، والعلاقات الجيدة التي تربط الأردن في دول العالم ومنها الدول الغربية المُستهدفة مصالحها على الأراضي الأردنية ، والهجرات المُتتالية للأردن ، وما تحمله من أفكار ومُعتقدات أيولوجية مُتطرفة ، وسياسة الأردن القائمة على مُكافحة المُخدرات ، ومُعاقبة تجاره ومروجيه ؛ بسبب ارتباط المُخدرات بالإرهاب ، والجريمة المنظمة ، ومحاولة الإرهابيين النيل من الوحدة الوطنية ، وإشغال الجبهة الداخلية ؛ بقصد زعزعة أمن ، واستقرار الأردن.

العمليات الإرهابية التي تعرض لها الأردن منذ تأسيس الإمارة:

- استشهاد الملك المؤسس عبدالله الاول على اعتاب الاقصى عام ١٩٥١.
- اغتيال رياض الصلح عام ١٩٥١.
- اغتيال رئيس الوزراء هزاع المجالي عام ١٩٦٠.
- حادثة السيارة المُلغومة عند حدود الرمثا عام ١٩٦٦.
- حوادث ايلول في الاردن عام ١٩٧٠.
- اغتيال رئيس الوزراء وصفي التل في القاهرة عام ١٩٧١.
- حادثة فندق الاردن عام ١٩٧٦.
- حادثة السفير الاردني في نيودلهي عام ١٩٨٣. (مجموعة ابو نضال).
- اختطاف طائرة ملكية في بيروت ١٩٨٥.
- اغتيال القنصل الاردني في بوخارست في كانون الاول عام ١٩٨٤(مجموعة ابو نضال).
- حريق السفارة الاردنية في ليبيا عام ١٩٨٤.
- اطلاق النار على مكاتب الملكية في مدريد وانقرة في تموز عام ١٩٨٥(مجموعة ابو نضال).
- حوادث جيش محمد عام ١٩٩٠.
- اغتيال الدبلوماسي الاردني النائب عمران المعاينة في بيروت عام ١٩٩٤.
- محاولة اغتيال خالد مشعل على الاراضي الاردنية تاريخ ١٩٩٧/٩/٢٥.
- تفجير السفارة الاردنية في بغداد ١٩٩٧ / ٩/٧.

- اطلاق ثلاثة صواريخ كاتيوشا على مدينة العقبة عام ٢٠٠٥ ونتج عنها اشتهاد جندي اردني وجرح اخر ، حيث تبنت هذه العملية جماعة (قاعدة الجهاد في الشام).

- سلسلة التفجيرات التي وقعت في ثلاثة فنادق في عمان تشرين الثاني ٢٠٠٥ ، واسفرت عن استشهاد ٥٨ شخصا وجرح حوالي ٢٠٠ والمتبناه من قبل تنظيم القاعدة في العراق بزعامة ابو مصعب الزرقاوي.

- افشال العديد من المحاولات الارهابية التي تم ضبطها على الاراضي الاردنية مثل السيارات المفخخة وتخزين الاسلحة على الساحة الاردنية او محاولة تهريبها من خلال الاردن www.Gid.gov.jo-ar-terrorism-ar.html

- اعدام الشهيد النقيب الطيار معاذ الكساسبة حرقاً وهو حي على يد تنظيم داعش يوم ٣ يناير حيث كان يقف داخل قفص حديدي مغلق ، وعلن التلفزيون الاردني عن وفاته يوم ٣ فبراير ٢٠١٥ وذلك بعد ان قامت مواقع تابعة للتنظيم برفع صور ومقطع فيديو لعملية حرقه ، وقد اعلن التلفزيون الاردني ان اعدام الطيار تم يوم ٣ يناير ٢٠١٥ وليس ٣ فبراير ٢٠١٥ .

- افشال مخطط اجرامي تخريبي لمجموعة ارهابية مساء الثلاثاء ٢٠١٦/٣/١ في اربد شمال الاردن . ونجم عن الاشتباك استشهاد النقيب راشد الزيود واصابة عدد من قوات الامن ومقتل ٧ من المسلحين في التنظيم واعتقال الباقي ، حيث كان يهدد للاعتداء على اهداف مدنية وعسكرية داخل المملكة وزعزعة الامن الوطني.

- اعمال السطو المسلح ، وسرقة بعض البنوك والمحلات التجارية ، حيث حدثت ١٥ عملية سطو مسلح خلال أقل من شهر خلال العام ٢٠١٨ ، ومنها بنك الاتحاد وبنك سوستيه جنرال ، ومحلات تجارية ، وصيدليات ، وسرقة البنك العربي ، والتي تلت مباشرة رفع الأسعار في الاردن ، وحالة الفقر، والبطالة ، وعدم تكافؤ الفرص والعدالة ، والمساواة ، والشعور بالظلم.

رؤية تحليلية لدراسة كل من الاستاذ الدكتور موسى شتيوي ، ومحمد ابو رمان "سوسيولوجيا التطرف والارهاب: دراسة ميدانية وتحليلية ٢٠١٨".

لقد جمعت هذه الدراسة بين أكثر من زاوية ، وتتمثل في تجميع بيانات ، ومعلومات عن مئات الأردنيين من التيار السلفي الجهادي ، ودراسة عشرات الحالات دراسة مفصلة ، ومحاولة تشخيص التيار السلفي الجهادي : اجتماعياً ، وثقافياً ، ونفسياً ، واقتصادياً، واستخدمت الدراسة منهج كرة الثلج المتدرجة ؛ للوصول الى الحالات التي شملتها الدراسة ؛ لغياب قاعدة بيانات ومعلومات رسمية مُعتمدة ، وتم الاستعانة بوسائل الاعلام الاجتماعي ؛ للوصول للأسماء ، والمعلومات المُتاحة ؛ لتنتقل منها عملية اجراء المُقابلات الشخصية ، وتم رصد الحالات التي أُحيلت الى محكمة أمن الدولة ومُتابعها ، وبلغ العدد الاجمالي لهذه الدراسة (٧٦٠) جهادياً اردنياً ينتمون للتيار السلفي من بينهم (١٩٠) شخص قتلوا في الخارج ، و(٤٩) من الذين لا يزالوا يقاتلون خارج الاردن ، وباقي الاشخاص الذين انخرطوا بأعمال عنيفة ، أو التحقوا أو حاولوا الالتحاق بالجماعات المُتطرفة ، أو الذين قاموا بسلوكيات مُخالفة لقانون مكافحة الارهاب ، وتم أخذ بعين الاعتبار المعلومات الديموغرافية التالية للمبحوثين وهي: العمر ، المستوى التعليمي ، الحالة العملية : يعمل / لا يعمل ، المهنة ، قطاع العمل ، التهمة للحالات داخل الاردن ، والتنظيم الذي ينتمي له الشخص.

وتوصلت الدراسة الى ان نسبة (٧٧%) من المُلتحقين بالتنظيمات المُتطرفة اعمارهم دون الثلاثين ، أي انها اصبحت ظاهرة شبابية ، وبلغ ثلثي المُلتحقين منهم من المتزوجين ، ووصلت نسبتهم الى (٦٦,١%) ، واغلبهم من حملة الشهادات الثانوية فما دون ، ولكن هذا لا يمنع وجود مُلتحقين من حملة الشهادات الجامعية ، والدراسات العليا، ونسبة (٧١,١%) من المُلتحقين بالتيارات المُتطرفة يعملون ، ونسبة (٨٧,٤%) منهم يعملون في القطاع الخاص ، نسبة كبيرة منهم من العاملين بالأعمال الحرة ، حيث وصل نسبتهم الى (٢٤,١%) ، وبلغ أكثر تمرکز الاشخاص المُلتحقين بالجماعات المُتطرفة في محافظة الزرقاء حيث بلغت نسبتهم (٤٠,٧%) ، يليها اربد ، البلقاء ، العاصمة ، معان ، الكرك ، باقي المملكة ، وشكل العام ٢٠١١ حملت اعتقالات كبيرة للمُلتحقين بالجماعات المُتطرفة ، وتراجعت حملات الاعتقال خلال العامين (٢٠١٢ ، ٢٠١٣) ، ثم صعودها عام (٢٠١٤) ، و(٢٠١٥) بالتزامن مع سيطرة داعش على مساحات شاسعة من العراق ، وهذا يُشير الى تنامي الالتحاق بالتنظيمات تزامناً مع الصراعات الاقليمية في دول الجوار ، أكثر من ارتباطها بتحويلات داخلية في الاردن ، إن اكثر المُلتحقين بهذه التنظيمات هم منتمين لتنظيم داعش بنسبة (٣٦,٤%).

وتوصلت الدراسة الى أن للعوامل الاجتماعية دور كبير في الانخراط بالجماعات الارهابية ، وخاصة الصداقات في الجامعة ، والمسجد ، والحي وكان لها تأثير كبير جداً سواءً في التحول نحو التيار الجهادي ، او الانضمام لتلك الجماعات في الخارج ، اضافة لتأثير دور التنشئة الجهادية في اوساط الجماعة ، والتركيز على مفهوم الجهاد والاناشيد الحماسية واقامة الدولة الاسلامية ، اضافة الى تأثير الصور التلفزيونية ، والاعلام ، والاناشيد الحماسية ، والدعاية ضد النظام

والدعاية الطائفية واهم توصيات الدراسة اعادة النظر في الخُطط الوقائية للحد من التطرّف والارهاب ، وتعزيز دور المؤسسات الثقافية ، والدينية ، والإعلامية ، والاكاديمية في القيام بدورها للتوعية والوقاية من الانخراط بالتنظيمات الارهابية ، واعداد النظر في العقوبات والاجراءات المُتبعة ضد الجرائم العنيفة المُرتبطة بالعُنف والتطرّف وخاصة تهمة الترويج لها ، واجراء دراسات عميقة تشمل المناطق التي تحتضن التيارات السلفية وتشرح عوامل الالتحاق بهذه التيارات.

دور ثقافة الحوار وقبول الآخر في الحد من التطرّف والإرهاب

مع تزايد وتيرة العُنف وتحولها لإرهاب وظهور أشكال ومظاهر الصراع والتنازُع ظهرت الحاجة لوجود وتعزيز ثقافة الحوار ، ذكر الفيلسوف الأمريكي ديوي " (.....أما وقد ازدادت النزعة الفردية من ناحية ، واتسع نطاق الاشتراك في المصالح من ناحية أخرى فعلياً أن نُفكر في بذل الجهود لتدعيمها وزيادتها سعةً وانبساطاً ، كما أنه من البديهي أن يتعين على الجماعة التي ترى في انقسامها طبقات وشرائح اجتماعية قضاء على كيانها تهيئة الفرص الفكرية لجميع أفرادها(ديوي، ١٩٤٩، ص٩٠).

يُعرف الحوار لغةً في مُعجم لسان العرب أنه : مُراجعة المنطق والكلام في المُخاطبة ويُقال هُم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ، واستحار الشيء أي إستنطقه والتحاور هو التجاوب.

أما الحوار اصطلاحاً فهو : "تبادل الآراء ووجهات النظر بين طرفين أو أكثر حول قضية مُعينة ، ومناقشتها للوصول إلى حل ما ، والحوار يتخذ أكثر من شكل فقد يكون حواراً صوتياً ، وقد يكون مكتوباً ، كما أنه يجري في مكان واحد يلتقي فيه المتحاورون مُباشرةً ، وقد يكون غير ذلك بأن يُشارك فيه الأطراف عبر وسائط أخرى ، وتتعدد أنواعه ، مثل: الحوار السياسي ، والحوار التجاري ، والحوار الأسري ، والحوار الديني ، والحوار الثقافي ، والحوار الاجتماعي ، وغيرها من أشكال الحوار التي تتعدد بتعدد المواضيع وتنوعها(مُصطفى، ٢٠١١).

إن ثقافة الحوار لا يُمكن تعزيزها دون الإيمان بالتنوع البشري وإنه سُنّة الحياة، وحكمة الخالق في خلقه ، فالتعدد والتنوع يؤدي إلى التفاعل الخلاق ، الذي يؤدي بدوره إلى الإبداع المُستمر، والتجديد المتواصل ، والتقدّم في شتى المجالات ، وتأكيداً على أهمية القناعة بالتعددية في الحوار لا يجب أن يصرفنا عن مبدأ آخر قرين وهو حق الاختلاف ، فالاختلاف في وجهات النظر وتقدير الأشياء والحُكم عليها أمر فطري وله علاقة بالفروق الفردية إلى حد كبير ، إذ يستحيل بناء الحياة وقيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذوي القدرات المُتساوية والنمطية المُنتظبة، إذ لا مجال عندئذ للتفاعل والاكتساب والعطاء ، ذلك أنه من طبيعة الأعمال الذهنية والعملية اقتضاء مهارات ، وقدرات متفاوتة ، ومتباينة ، ويفهم من ذلك أن الخلاف راجع لتضارب المصالح وتباين القدرات والمواهب بين البشر(مكتب التربية العربي لدول الخليج، ٢٠١٠).

استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار في تعليم المسلمين يأمرهم وينهاهم ويُهدبهم ويرشدهم، حيث قال تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ، وقد أراد الله لهم أسلوب الحوار ليشعرهم بمكانتهم عند ربهم وليستخدموا نعمة العقل ، والتمييز بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، وتنوعت أشكال الحوار القرآني وأصنافه بتنوع مقاصده ليواكب الحاجات الفطرية الإنسانية ، فكان الحوار الخطابي التذكيري والتعبيدي ، والإيماني الموجه إلى الذين آمنوا ومنه الحوار الإرهاني الذي يقوم على الحجة والمنطق ، والحوار التعليمي الذي يوافق فطرة المُتعلّم المُشبع لرغبته في حُب الاستطلاع ، كالحوار القصصي المشوق والمُمتع المؤثر ، فكان أسلوب الحوار أسلوباً فريداً في قوة تأثيره ، وعمق آثاره التربوية والنفسية(النحلاوي، ٢٠٠٠، ص١٤٢).

إن تعزيز دور المؤسسات التعليمية للحد من التطرّف والإرهاب يستدعي أولاً تعزيز ثقافة الحوار داخل هذه المؤسسات ، وتعليم الأجيال الديمقراطية ، والإيمان بالتعددية والتنوع بين البشر في أسلوب تفكيرهم وأيدولوجيتهم ، ونبذ التعصب ، والتطرّف والتعنّت للرأي ، وتوعية الأجيال بضرورة القناعة بأن استخدام العُنف وعدم احترام المُقابل كُلها أساليب غير فعالة وغير مُجدية لتحقيق الحوار ، وضرورة أن يتم ترجمة آرائهم وقناعاتهم الشخصية بطريقة خالية من أي شكل من أشكال الإقصاء والاستبعاد الاجتماعي للمُقابل، حيث إن التطرّف للرأي لا يتحول إلى إرهاب إلا عندما يخلو من ثقافة الحوار ، والنقاش ، وصاحبه بذل محاولات لفرض الآراء الشخصية بطريقة العُنف وإرهاب المُقابل واستخدام الترويج للأخرين .

ويتم تحقيق كُل ذلك من خلال تنظيم ورش عمل ودورات توعوية داخل المؤسسات الأكاديمية ، وعقد جلسات حوارية بين الأجيال ، ومن مُختلف الثقافات والأديان بحيث تشمل هذه الدورات وورش العمل القيام بتعزيز ثقافة الحوار وتوظيفها في نبذ كافة أشكال التطرّف ، والإرهاب ، والتعصب للرأي ، ووجهة النظر ، وتحويل الصراع إلى طريقة لتحقيق التكامل والتنوع في وجهات النظر.

وفي دراسة أجراها أمجد العبادي(٢٠١٧) هدفت إلى معرفة "دور المؤسسات الأمنية الأردنية في الحد من ظاهرة التطرف والإرهاب من وجهة نظر الحكام الإداريين" حيث أكد العبادي إن للمؤسسات الأمنية دوراً كبيراً جداً في الوقاية من جرائم الإرهاب والتطرف، وإن تعزيز دور المؤسسات الأمنية في الوقاية من جرائم التطرف والإرهاب مهم وضروري جداً للحد منها، ومن أهم توصيات الدراسة ضرورة تعاون المؤسسات المجتمعية مع المؤسسات الأمنية في تشكيل الوعي الأمني بخطورة الجرائم الإرهابية والتطرف بطريقة تكاملية.

إن تعزيز ثقافة الحوار وقبول الآخر تُمثل أولى خطوات الحد من منابت التعصب والتطرف، ويتم من خلالها جعل نظرة الفرد لنفسه وللآخرين فيها درجة عالية من التصالح مع النفس، ومع الآخرين، وبالتالي قبول الرأي الآخر، وعدم التعصب للرأي، وتعتبر المادة الأساسية، وإجراء وقائي التي يتم من خلالها إخماد منابت التطرف، والتعصب، والإرهاب، ويتم تعزيزها من خلال الأسرة كمحطة أولى يتم فيها تشكيل وصقل شخصية الطفل خلال السنوات الستة الأولى من عمره امتداداً للمدرسة، والمسجد، وحتى الجامعة، ويتم ذلك من خلال مشاركة مؤسسات المجتمع المحلي في غرس ثقافة قبول الآخر، وثقافة الحوار، ولا بُد من التنويه إلى أن الحد من التعصب، والتطرف لا يكون وليد ساعة واحدة؛ لأن جذور هذا السلوك ترجع للتنشئة الأسرية.

وفي دراسة أجراها العظامات(٢٠١٥) هدفت إلى معرفة "ظاهرة نشوء التنظيمات المتطرفة ودورها في السلوك الجرمي في الأردن"، حيث أكد العظامات أن من أهم الأسباب وراء التحاق الأفراد في تلك المنظمات الإرهابية هي العوامل الاجتماعية، والسياسية، وكذلك أثر الخطاب الديني لتلك الجماعات وتأثيره في استقطاب الأفراد للانضمام لها، وأن بعض المنتهين لتلك التنظيمات هم في الأصل من أصحاب السوابق، ومن أسر مُفككة.

وفي دراسة أجراها ابن إدريس(٢٠١٠) هدفت إلى معرفة "اتجاهات الطلاب نحو التوعية الأمنية ودورها في الوقاية من الجريمة"، حيث أكد ابن إدريس إن للمؤسسات التعليمية دوراً كبيراً في التوعية الأمنية إضافة للمؤسسات الأمنية.

وفي دراسة أجراها قرملة(٢٠٠٧) هدفت إلى معرفة "دور مؤسسات المجتمع المدني في الوقاية من الإرهاب"، حيث توصلت الدراسة إلى الدور الكبير الذي تقوم به مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الإرهاب، إضافة إلى دور التربية الأسرية والدور التربوي للمدرسة وأماكن العبادات.

وأكد الغرايبة(٢٠٠٨) في دراسته التي هدفت إلى معرفة "موقف الشباب العربي من الإتجاه نحو ظاهرة الإرهاب" حيث توصلت الدراسة إلى أن الإرهاب شكل من أشكال التطرف، والتعصب لا صلة له بالدين، وأن أهم طرق مواجهته نشر الثقافة الدينية السليمة، وتوفير فرص عمل للشباب، وحرية التعبير، ونشر الوعي الديني والوطني، وأكد فادي الطهراوي(٢٠١٧) في دراسته التي هدفت إلى معرفة "أساليب الجماعات المتطرفة في نشر الفكر الإرهابي بين الشباب الأردني من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في جامعة مؤتة"، حيث أكد أن العوامل الاقتصادية والمتمثلة في استغلال الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية تُساهم في نشر الفكر المتطرف، إضافة إلى ذلك نشر ثقافة الإرهاب، وبناء القنوات الفكرية المتطرفة، ودور المواقع الإلكترونية في نشر الفكر الإرهابي، وأوصت الدراسة بضرورة تفعيل عمل المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي التي تُديرها الجامعة من خلال نشر الأخبار، والتوعية بمخاطر الإرهاب والتطرف.

التوصيات

- إن مكافحة التطرف والإرهاب تتطلب أولاً تعزيز ثقافة الحوار، وتقبل الآخر والإيمان بالتعددية والتنوع بين البشر، حيث إن الحد من أشكال التعصب والتمييز مُتطلب سابق لمُكافحة التطرف والإرهاب؛ لأن التطرف والإرهاب يرجع الجذر الأساسي له عملية التنشئة الاجتماعية، وتعتمد ثقافة قبول الآخر، وتعزيزها بالدرجة الأولى على نظرنا لأنفسنا وللمقابل، وإن رفضنا للمقابل المُختلف عنا من أهم مُعززات التعصب، والتطرف، والإرهاب، والذي بدوره يُعيق عملية التفاعل الاجتماعي، وتحقيق الأمن والسلام داخل النسيج الاجتماعي.

- يعمق الحوار فهمنا لأنفسنا وللعالم من حولنا ويساعدنا على التفاعل الاجتماعي ومواجهة التحديات، ويقيس قدرتنا على الاعتراف بالرأي الآخر.

- الاطلاع على أنماط التفكير المُختلفة، والمتنوعة من خلال تعزيز ثقافة الحوار.

- ضرورة توعية الأهل بأساليب التنشئة الاجتماعية الصحيحة والسليمة ، والتي من خلالها يتم اخراج جيل مؤمن بالتعددية والتنوع وعدم رفض الآخر لمجرد اختلافه.
- تعزيز دور المؤسسات الأكاديمية والمتمثلة في المدرسة، والجامعة، والمسجد ومؤسسات المجتمع كافة في غرس ثقافة الحوار، وقبول الآخر.
- فصل الدين عن الدولة : ويقصد به عدم السماح لرجال الدين باستغلال القيم والمبادئ الدينية اهدافهم ، وتطلعاتهم الشخصية وتوظيفها في المجال السياسي والاقتصادي وغيرهما انطلاقاً من حقيقة انسانية عامة وهي " الدين لله والوطن للجميع".
- دراسة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقائدية التي تفرز العنف ، حيث ان فساد الحكومات وقمعها ، وضعف الوعي السياسي ، وحملات التكفير ضد الآخر ينتج بيئة تحتضن الارهاب والتطرف ؛ مما يتيح الفرصة للجماعات الارهابية لاستغلال الشباب بزعم تحقيق احلامهم التي فشلت دولهم العلمانية في تحقيقها.
- تحسين منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية وتشذيبها من التعصب والعدوانية السائدة، على اعتبار أن القيم الاجتماعية والأخلاقية مُحركات للسلوك الاجتماعي لدفع الأفراد إلى التعاون، أو الصراع.
- نشر ثقافة التسامح، والإيمان بالتعددية، وقبول الآخر بدلاً من العدوانية، والكرهية من خلال تحقيق العدالة، والمساواة، وتكافؤ الفرص.

قائمة المراجع

- ابن ادريس ، زيد(٢٠١٠) ، اتجاهات الطلاب نحو التوعية الامنية ودورها في الوقاية من الجريمة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة في قسم علم الاجتماع تخصص علم الجريمة ، جامعة مؤتة ، الكرك ، الاردن.
- أبو مريم، علي عبد الرحيم، (٢٠١٤) ، أصحاب الحق – دراسة في نقد الجماعات الاسلامية ، مركز الجزيرة للدراسات ، الدوحة ، قطر.
- الجبوري ، سعد صالح شكطي نجم،(٢٠١٣) ، الجرائم الإرهابية في القانون الجنائي ، ط ١ ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية.
- الجحني، علي فايز، (٢٠٠١) ، الارهاب: الفهم المفروض للارهاب المرفوض ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الامنية.
- الحسن ، احسان محمد.(٢٠٠٨) . علم اجتماع العنف والارهاب: دراسة تحليلية في الارهاب والعنف السياسي والاجتماعي ، دار وائل للنشر ، عمان ، الاردن.
- الرواشدة ، علاء زهير،(٢٠١٥) ، التطرف الايدولوجي من وجهة نظر الشباب الاردني ، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب ، الرياض ، العدد(٢٣).
- السيد ، مصطفى(٢٠١١) ، تعزيز ثقافة الحوار الناجح ، ط ١ ، المؤسسة الخيرية الملكية ، البحرين.
- العبادي ، امجد محمد(٢٠١٧) ، دور المؤسسات الامنية الاردنية في الحد من ظاهرة التطرف والارهاب من وجهة نظر الحكام الاداريين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة في قسم علم الاجتماع تخصص علم الجريمة ، جامعة مؤتة ، الكرك ، الاردن.
- العظامات ، محمد عارف(٢٠١٥) ، ظاهرة نشوء التنظيمات الدينية المتطرفة ودورها في السلوك الجرمي في الاردن ، اطروحة دكتوراه غير منشورة في قسم علم الاجتماع تخصص علم الجريمة ، جامعة مؤتة ، الكرك ، الاردن.
- العلاونة، حاتم سليم،(٢٠١١) ، التغطية الصحفية لتفجيرات عمان الارهابية في الصحف الاردنية اليومية : دراسة تحليلية ، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد(٣٨) ، العدد(١١).

- الغرايبة ، فيصل محمود والغرايبة ، فاكتر محمد(٢٠٠٨) ، موقف الشباب العربي من الاتجاه نحو ظاهرة الارهاب : دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة البحرين ، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، المجلد ٢٣ ، العدد ٤ ، ص ص ١٧٩-٢٢٢ ، محرم ١٤٢٩هـ (يناير- فبراير ٢٠٠٨).
- الكريني ، ادريس(٢٠٠٢) ، تاريخ الارهاب ودوافعه ، المستقبل العربي ، عدد ٢٨ ، بيروت.
- الكلوب ، وائل محمود ، (٢٠١١) ، دور الإرهاب في السياسة الخارجية الأمريكية نحو بلدان الشرق الأوسط بعد أحداث ١١ سبتمبر(٢٠٠١-٢٠٠٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، عمان ، الاردن.
- المركز العربي للنشر والتوزيع والدراسات ، (١٩٨٢) ، الارهاب الدولي بين الواقع والتشويه ، منشورات المركز ، الطبعة الاولى ، باريس.
- المنجد في اللغة والاعلام ، (١٩٨٤) ، دار الشروق.
- الموسوي ، امير صادق (٢٠٠٤) ، الجذور التاريخية للارهاب ، صحيفة الزمان ، عدد ١٩٦١ ، بغداد.
- النحلاوي ، عبد الرحمن(٢٠٠٠) ، من اساليب التربية الاسلامية: التربية بالحوار ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق.
- اليوسف ، عبدالله عبد العزيز ، (٢٠٠٦) ، الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف ، ط١ ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض.
- حسين ، خليل ، (٢٠١٢) ، ذرائع الإرهاب الدولي وحروب الشرق الأوسط الجديد ، منشورات الحلبي الحقوقية ، ط١ ، لبنان.
- حسين ، عثمان علي(٢٠٠٦) ، الارهاب الدولي والقانوني والسياسي في ضوء احكام القانون الدولي العام ، ط١ ، مطبعة منارة ، اربيل ، العراق.
- ديوي ، جون(١٩٤٩) الديمقراطية والتربية ، ترجمة منى عقراوي ، و زكريا ميخائيل ، ط١ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- شريف ، حسين(١٩٩٧) ، الارهاب الدولي وانعكاساته في الشرق الاوسط ، ج١ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة.
- شريف ، حسين(١٩٩٧) ، الارهاب الدولي وانعكاساته في الشرق الاوسط ، ج١ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة.
- شعيب ، مختار(٢٠٠٤) ، الارهاب بضاعة عالمية ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة.
- صاحب ، جعفر عبد المهدي(٢٠٠٤) ، الارهاب الدولي واشكالية التعريف وتجليات الواقع ، مجلة دراسات ، العدد ١٨ ، ص٢٧.
- عبد الكريم محمود الطهراوي ، فادي(٢٠١٧) ، اساليب الجماعات المتطرفة في نشر الفكر الارهابي بين الشباب الاردني من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في جامعة مؤتة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة في قسم علم الاجتماع تخصص علم الجريمة ، جامعة مؤتة ، الكرك ، الاردن.
- عبد المطلب ، محمد(٢٠٠٧) ، تعريف الارهاب الدولي بين الاعتبارات السياسية والاعتبارات الموضوعية ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، مصر.
- عبد المولى ، هايل(٢٠٠٨). الارهاب حقيقته - معناه ، دار الكندري للنشر والتوزيع ، اربد ، الاردن.
- عليان ، شوكت محمد (٢٠١٠) ، الارهاب المفروض والمرفوض حقيقته - اسبابه - علاجه ، دار العليان للنشر والتوزيع ، عمان.
- غيث ، محمد عاطف ، (١٩٨٩). قاموس العلوم الاجتماعية ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، مصر.
- قرملة ، عمر حزام(٢٠٠٧) ، دور مؤسسات المجتمع المدني في الوقاية من الارهاب ، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، الرياش ، المملكة العربية السعودية.

- معجم الوسيط، ج ١ ، ص ٣٧٦.

- مكتب التربية العربي لدول الخليج (٢٠١٠) ، نشر وتنمية وتطوير ثقافة الحوار في المؤسسات التربوية : دراسة ضمن نشاطات برنامج ثقافة الحوار ، ط ١ ، الرياض.

- شتيوي ، موسى ، وابو رمان ، محمد (٢٠١٨) ، سوسيولوجيا التطرف والارهاب في الاردن : دراسة ميدانية وتحليلية ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، عمان ، الاردن.

- Roger White. (٢٠٠٦) Problems For Dogmatism. Springer Publication. International Encyclopedia of Education, ٣rd Edition (٢٠٠٨).

- X Ford. (١٩٧٦). Advancedn learners Dictionary of current English.

الفهرس

التطرف الديني

التاريخ – النشأة – الأسباب

بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث (حوار الحضارات والثقافات الثالث) في جامعة الطفيلة التقنية- الأردن

في الفترة من ١٠ إلى ١٢ / ١٠ / ٢٠١٨م

مقدم من

د. محمد بن عبدالله العامر

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين... وبعد

فإن الغلو والتشدد مما بليت به الأمة المحمدية منذ صدرها الأول، حيث وجد في عصر الصحابة قوم غلاة، غلو في الدين كالخوارج، أو غلوا في زعم حبهم لآل البيت كالشيعة السبئية، وأن هذا الغلو يضيق ويتسع حسب الأحداث والمواقف إلى عصرنا الحاضر.

وعليه فقد شرعت في هذا البحث المعنون بـ« التطرف الديني – تاريخه ونشأته وأسبابه»

أهداف البحث:

تسليط الضوء على التطرف الديني ماضياً وحاضراً، وحاجة المجتمع المسلم لتوضيح هذه الظاهرة ودراساتها.

بحث أهم الأسباب لهذا التطرف.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال الأسئلة التي يحاول الإجابة عليها في هذا البحث:

ما معنى الغلو؟

ما معنى التطرف؟

ما هو تاريخ التطرف عند اليهود والنصارى؟ وعند المسلمين؟

ما هي الأسباب التي أدت لظهور التطرف عند المسلمين؟

خطة البحث:

تضمن هذا البحث مقدمة و ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الغلو والتطرف لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تاريخ التطرف الديني. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تاريخ التطرف الديني عند اليهود.

المطلب الثاني: تاريخ التطرف الديني عند النصارى .

المطلب الثالث: تاريخ التطرف الديني عند المسلمين.

المبحث الثالث: الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف الديني. وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الغلو في فهم النصوص الدينية.

المطلب الثاني: الجهل.

المطلب الثالث: التعصب.

المطلب الرابع: أسباب تربوية.

المطلب الخامس: أسباب اجتماعية.

المطلب السادس: أسباب مؤثرة من خارج العالم الإسلامي.

المطلب السابع: أسباب جديدة للتطرف.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الغلو والتطرف الديني لغة واصطلاحاً

الغلو في اللغة:

يقال في اللغة : غلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حده، وغلوت في الأمر غلواً إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه.(١)

وفي الاصطلاح: لا نجد تعريفاً اصطلاحياً متفق عليه حول تعريف الغلو، وذلك لطبيعته حيث أنه أمر نسبي، فمن هنا كانت النسبية مؤثرة على التعريف، ولكن من أفضل من قرب المعنى تعريفه له حيث قال: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد»(٢) ومراده هنا تجاوز الحد الشرعي.

ونحو هذا المعنى حكاه صاحب لسان العرب حيث قال: «والغلو في الدين أي التشدد فيه ومجاوزة الحد»(٣).

وقيل هو: «أن يتجاوز الحد ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة، واتباع الشبه كما فعل أهل الأهواء والبدع»(٤).

التطرف في اللغة:

قال في لسان العرب: رجل طرف ومُتَطَرَفٌ... لا يثبت على أمر.(٥)

والطرفي في النسب مأخوذ من الطرف، وهو البعد.(٦)

أي أن من معاني هذه المادة البعد، فالتطرف يأتي بمعنى البعد، أي البعد عن الحق والصواب.

وهو اصطلاحاً: تجاوز الاعتدال وعدم التوسط.(٧)

علماً بأن هذا المصطلح لم يرد في القرآن الكريم مع أن لفظ الغلو ورد في القرآن، قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ ۗ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) [النساء: ١٧١]

(١) ابن منظور. لسان العرب. ج١٥. بيروت. دار صادر. ب. ت. ص ١٣٢.

(٢) ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ط١. القاهرة: المطبعة السلفية. (٢٧٨/١٣).

(٣) ابن منظور. مرجع سابق. ج١٥. ص ١٣٢.

(٤) الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل. الطبعة الأخيرة. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ٥١٣٩٢. (٦٣٥/١).

(٥) ابن منظور. مرجع سابق. (٢١٣/٩).

(٦) ابن منظور. مرجع سابق. (٢١٦/٩).

(٧) انظر د. عبدالرحمن اللويحق. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة. ط٤. بيروت: مؤسسة الرسالة. ٥١٤١٧. ص ٦٠.

وقال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٧٧].

ويأتي بمعنى التشدد في الدين، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا...) الحديث(٢).

قال ابن حجر شارحاً لهذا الحديث: «والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب»(٣).
ويأتي بمعنى التنطع:

قال صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنتعون، قالها ثلاثاً)(٤).

قال النووي رحمه الله شارحاً لمعنى الحديث: «هلك المتنتعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»(٥).

فمن هنا نعلم أن مصطلح الغلو والتشدد والتنطع، هي مصطلحات شرعية ينبغي أن تستخدم في وصف حالات التشدد الديني، أما مصطلح تطرف فهو مصطلح حادث لم يستخدم في وصف حالات التشدد الديني إلا متأخراً وهو معنى واسع وفضفاض، فلو اقتصر على هذه الأوصاف الشرعية لكان أولى، لأنها شرعية، ولأن قواميس اللغة بينت معناها، ومفسرو الأمة وشراح الأحاديث قد بينوا معناها اصطلاحاً

المبحث الثاني: تاريخ التشدد الديني " التطرف الديني "

وجد الغلو عند جميع الأمم، لذلك أنكر القرآن على اليهود والنصارى غلوهم، فقال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۚ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) [النساء: ١٧١]

قال الزمخشري رحمه الله: «لا تغلوا في دينكم، غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشده، وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلهاً»(٦).

وقال سيد قطب رحمه الله: «فهو الغلو إذن وتجاوز الحد والحق، هو ما يدعو أهل الكتاب هؤلاء إلى أن يقولوا على الله غير الحق فيزعموا له ولداً – سبحانه- كما يزعمون أن الله الواحد ثلاثة»(٧).

المطلب الأول: تاريخ التطرف الديني عند اليهود

فمن غلو اليهود على سبيل المثال وصفهم الله بأنه تعب من خلق السموات والأرض فاستراح في اليوم السابع(٨).

ومن غلوهم وصفهم أنبياء الله بأفعال شنيعة، مثل زعمهم أن نوحاً عليه السلام شرب الخمر وتعرى داخل خبائه»(٩).

أو أن لوطاً قد زنى بابنتيه الكبرى والصغرى بعد أن أنجاه الله من القرية التي كانت تعمل الخبائث(١).

(١) رواه ابو داود. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. كتاب الأدب. باب الحسد. حديث رقم ٤٩٠٤. مصر: دار إحياء السنة النبوية. بدون تاريخ.

(٢) رواه البخاري. ٢. الرياض: مكتبة دار السلام. ٥١٤١٩. كتاب الإيمان. باب: الدين يسر. حديث رقم ٣٩.

(٣) ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. (٩٤/١)

(٤) رواه مسلم. ١. بيروت: دار الكتاب العربي. ٥١٤٢٥. كتاب العلم. باب هلك المتنتعون. حديث رقم ٦٧٨٤.

(٥) النووي. شرح صحيح مسلم. ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ٥١٣٩٢. ص ٢٢٠.

(٦) الزمخشري. الكشاف. (٥٨٤/١).

(٧) سيد قطب. في ظلال القرآن. ط ٩. القاهرة: دار الشروق. ٥١٤٠٠. (٨١٦/٢).

(٨) انظر د. سعود عبدالعزيز الخلف. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. ط ٤. الرياض: مكتبة أضواء السلف. ٥١٤٢٥. ص ١٠٣.

(٩) انظر د. سعود الخلف. مرجع سابق. ص ١٠٨.

ومن غلوهم نظرتهم لغير اليهودي فهم يرون أن أرواح غير اليهود أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات (٢).

وأن على اليهودي أن يسعى إلى قتل الصالحين من غير اليهود (٣).

ويحرم على اليهودي أن يرد لغير اليهودي ما فقد منهم (٤).

ومن غلوهم أنه لا يجوز عندهم الجمع بين اللحم واللبن والحليب في طعام واحد (٥).

ومن غلوهم أن المرأة تعتبر نجسة سبعة أيام، وكل من لمسها يكون نجساً إلى مغيب الشمس، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً، ومن لمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجساً إلى المغيب (٦).

وهكذا نجد اليهودية عبارة عن تعاليم محرقة من الغلو والتشدد.

يطول الحديث عن غلوها حتى أنه وجد من فرق اليهود فرقة تسمى «الفريسيون» أي المتشددون ويسمون بالأحبار أو الربانيين (٧)، وهناك فرقة تسمى «المتعصبون» اتسم فكرهم بعدم التسامح والعدوانية (٨).

المطلب الأول: تاريخ التطرف الديني عند النصارى

أما النصرانية فقد كان غلوها عقدياً بالدرجة الأولى، حيث أن غلوهم في عيسى جعلهم يجعلونه ثالث ثلاثة وهي عقيدة التثليث التي تجعل منه ابناً لله – تعالى الله عما يقولون – ويفسرونه بأنه وحدانية في تثليث، وتثليث في وحدانية (٩).

ويقولون عن ذلك أيضاً «إله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد، جوهر (ذات) واحد متساوين في القدرة، ومن الغلو عندهم الرهبانية وهي العزوف عن الزواج، لكنهم قصره على رجال الدين، والمجد» (١٠).

وسمح للناس بزوجة واحدة مع منع الطلاق إلا في حالة الزنى (١١).

ومن الغلو ظهور ما يسمى عندهم بصكوك الغفران، والتي تعني إعطاء مساحة في الجنة بحسب المبلغ المالي الذي يدفعه الشخص (١٢).

ولقد ظهر مصطلح «الأصولية» عند النصارى في الغرب خاصة، والتي تعني التمسك الحرفي بالإنجيل في أواخر القرن التاسع عشر، ونظراً لأن هذه الكلمة أصبحت غير محببة في المجتمع الغربي صاروا يسمون أنفسهم بالإنجيليين أو الإنجيليين المحافظين (١٣).

ما ذكرته مختصراً هو بعض من غلو النصارى وتشددهم، الذي مقتهم الله عليه.

المطلب الأول: تاريخ التطرف الديني عند المسلمين

(١) انظر سعود الخلف. مرجع سابق. ص ١١٠.

(٢) انظر د. روهنج. الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة يوسف نصر الله ط ١. بيروت: دار القلم. ١٤٠٨ هـ. ص ٦٦.

(٣) انظر د. روهنج. مرجع سابق. ص ٩٠.

(٤) انظر د. روهنج. مرجع سابق. ص ٨٣.

(٥) انظر د. سعود الخلف. مرجع سابق. ص ١٣٨.

(٦) انظر د. خالد محمد الشنير. حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي. ط ١. الرياض: مركز البحوث والدراسات لمجلة البيان. ١٤٣٤ هـ. ص ٢٢٥.

(٧) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ط ٢. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ١٤٠٩ هـ. ص ٢٢٥.

(٨) مرجع سابق. ص ٥٦٨.

(٩) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ص ٥٠٤.

(١٠) نخبة من الأساتذة النصارى. قاموس الكتاب المقدس. ط ٢. القاهرة: دار الثقافة المسيحية. ص ٢٣٤.

(١١) مرجع سابق. ص ٥٠٥.

(١٢) د. خالد الشنير. حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي. ص ٥١٤.

(١٣) جيمي بار. الأصولية. ص ١-٣.

ظهر الغلو والتشدد عند المسلمين مبكراً، وذلك بظهور أول فرقة ظهرت في التاريخ الإسلامي وهي فرقة الخوارج، والتي امتازت بأنها تأخذ جانباً من النصوص وهي نصوص الوعيد التي تتناسب مع طبيعتهم المتشددة، ويتركون جانباً آخر من النصوص الشرعية وهي نصوص العفو والرجاء.

ولقد بلغ بهم غلوهم وتشددهم أنهم كفروا الصحابة رضي الله عنهم، وكفروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى أنهم قتلوه لتكفيرهم إياه. (١)

ومن ملامح غلوهم وتشددهم:

حكمهم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر حلال الدم والمال. (٢)

إباحتهم قتل أطفال المخالفين والنسوان منهم. (٣)

أنهم أسقطوا الرجم عن الزاني بزعم أنه لا يوجد هذا الحكم في القرآن الكريم (٤).

وغير ذلك من أحكام الغلو والتشدد التي جاؤوا بها.

وظهر كذلك غلو من نوع آخر، وهو غلو " الشيعة " في زعمهم حب علي وآل بيته فكان من غلوهم أن ظهرت فيهم فرقة تسمى " الغالية " وهم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة، وشبهوهم بالإله (٥).

ومن أصناف غلاتهم " السبئية "، الذين يزعمون أن علياً حي لم يموت، وفيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسمه (٦).

ومن الشيعة من كَفَّر الصحابة رضي الله عنهم لتركهم بيعة علي رضي الله عنه (٧).

وهكذا انهمر سيل الغلو والتشدد مبكراً في التاريخ الإسلامي.

وصار التشدد يخف ويزداد بين وقت وآخر، وفي مكان دون مكان حتى وقتنا الحاضر فهذه إمامة موجزة لتاريخ بدايات الغلو والتشدد عند المسلمين.

المبحث الثالث: الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف الديني

إن المتأمل لظاهرة الغلو يجد أن هناك أسباباً مهدت لهذا الغلو، وباستقرار فرق التشدد التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وواقع الغلاة في العصر الحاضر، يمكن أن نذكر أبرز هذه الأسباب:

المطلب الأول: الغلو في فهم النصوص الدينية:

يوجد من الناس في كل عصر من يكون بطبعه متشدداً كناحية نفسية بحتة فيبحث عن النصوص بما يتناسب مع تشدده، كما فعلت الخوارج التي أخذت بنصوص الوعيد وتركت نصوص العفو والرجاء من الله.

فهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروه وقتلوه، لأنه قبل التحكيم الذي حصل بينه وبين معاوية في معركة صفين سنة ٥٣٧هـ، وقالوا إنك حكمت الرجال ولم تحكّم الكتاب (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ

(١) انظر أبو الحسن الأشعري. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ط١. القاهرة: مطبعة النهضة. ١٩٥٠م. ص ١٩١.

(٢) انظر الشهرستاني. الملل والنحل. تحقيق محمد الفاضلي. ط١. بيروت: المكتبة العصرية. ١٤٢٠هـ (١٩١/١)

(٣) الشهرستاني. مرجع سابق. ص ٩٧.

(٤) الشهرستاني. مرجع سابق. ص ٩٧.

(٥) الشهرستاني. مرجع سابق. ص ١٤٠.

(٦) الشهرستاني. مرجع سابق. ص ١٤٠.

(٧) الشهرستاني. مرجع سابق. ص ١٤١.

أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَحْشُوا النَّاسَ وَاحْشُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة: ٤٤]، ولا حكم إلا لله (١).

وأنهم أسقطوا الرجم عن الزاني، لأنه بزعمهم لم يذكر في القرآن الكريم (٢).

وبعض غلاة اليوم من الشباب يستدلون بقوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: ١٧] على وجوب توبة من ارتكب معصية صغيرة أو كبيرة فوراً وإلا صار كافراً (٣).

ومن ذلك تحريمهم التعليم، والدعوة إلى الأمية استدلالاً بقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الجمعة: ٢]، فيقولون بأن قوله تعالى: (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجمعة: ٣]، دليل على أن هناك من الأمة المحمدية من يبقى على أميته ولا يتعلم فيكون من الآخرين، الذين يلحقون بأوائل هذه الأمة في أميتهم (٤).

ومثله استدلالهم على تحريم التعليم (٥) بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا) يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين (٦).

المطلب الثاني: الجهل

ولقد امتاز الغلاة والمتشددون قديماً وحديثاً بجهلهم، وهذا الجهل منهم إما أن يكون جهلاً بالقرآن كما مر معنا في المثال السابق، أو جهل بالسنة كما في المثال السابق أيضاً، أو جهلهم بمذهب السلف الصالح كحكمهم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر، مع أن مذهب السلف الصالح «أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الهواء والبدع» (٧).

أو جهل بلغة العرب، فتأولوا القرآن على غير تأويله جهلاً منهم باللغة العربية التي نزل بها حتى قال الشاطبي رحمه الله: «ويمكن أن يكون من خفي هذا الباب مذهب الخوارج في زعمهم أن لا تحكم، استدلالاً بقوله تعالى: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ يَقْضُ الْحَقُّ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [الأنعام: ٥٧]، فإنه مبني على أن اللفظ ورد بصيغة العموم، فلا يلحقه تخصيص، فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأِجْعُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: ٣٥]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَتْ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) [المائدة: ٩٥]، وإلا فلو علموا تحقيقاً قاعدة العرب في أن العموم يراد به الخصوص لم يسرعوا إلى الإنكار، ولقالوا في أنفسهم لعل هذا العام مخصوص فيتأولون» (٨).

ومن الجهل تعاملهم مع نصوص الشريعة على ظاهرها الحرفي دون فهم لها، فمن غلاة العصر من يستدل على كفر العصي بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۚ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: ١١]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٥٤]، فيقولون نحذف المكرر في الآيتين وهو قوله (ث) فيصبح النص «ومن لم يتب فأولئك هم الكافرون»، فيكون كل من لم يتب كافراً (٩).

(١) انظر الشهرستاني. الملل والنحل. (٩٢/١).

(٢) انظر الشهرستاني. مرجع سابق. (٩٧/١).

(٣) انظر د. نعمان السامرائي. التكفير جذوره- أسبابه- مبرراته. ط٢. بيروت: المنارة للطباعة والنشر. ١٤٠٦هـ. ص ٥٧.

(٤) انظر عبدالرحمن بن معلا اللويحي. مشكلة الغلو في الدين. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ. (٨٠/١).

(٥) عبدالرحمن اللويحي. مرجع سابق. (٩٧/١).

(٦) رواه البخاري. كتاب الصوم. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نكتب ولا نحسب". حديث رقم ١٩١٣. ص ٣٠٧. ورواه مسلم. كتاب

الصيام. باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٢٥هـ. حديث رقم ١٠٨٠. ص ٤٢٠.

(٧) النووي. شرح النووي على صحيح مسلم. (١٥٠/١).

(٨) الشاطبي. الاعتصام. تحقيق سليم الهلالي. ط١. الخير. دار ابن عفان للنشر. ١٤١٢هـ. (٣٠٣/١).

(٩) انظر محمد سرور زين العابدين. الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو. ط٢. الرياض: دار الأرقم للنشر. ١٤٠٨هـ. ص ١٦١.

ومن الجهل اعتمادهم على الرؤى والمنامات في تفسير أحكام الشرع، أو إحداث أمر شرعي جديد وهذا أحد أسباب انحراف غلاة المتصوفة الذين اعتمدوا على تلك الرؤى، حتى قال بعض المتصوفة: «من رأى النبي فقد رآه حقاً، وإن كان على غير صورته» (١)، بل جعل ذلك دليلاً شرعياً عن شيء بسبب هذه الرؤيا، فإن كان مأموراً في الرؤيا كان هذا المأمور به في الرؤيا واجباً، وإن كان منهياً عن شيء في الرؤيا كان محرماً، حيث يقول أحدهم عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام: «وإذا أمره أو نهاه عن شيء، فإن كان في الصورة المنعوت بها صلى الله عليه وسلم فما أمره به في النوم كأمره في اليقظة وأنه يتبع، وكذلك ما نهى عنه» (٢).

المطلب الثالث: التعصب

وهي أن ينتصر الإنسان إلى رأي أو قوم أو جماعة ولا يرى الحق إلا من خلال هذا الرأي أو هؤلاء الجماعة.

ومن أهم الأسباب المؤدية إلى التعصب:

التعصب لقرابه، أو التعصب للأجداد الأوائل.

النشوء في بلد ينتشر فيه مذهب معين، فيتعصبون لهذا المذهب، وأهل هذا البلد مقتدون بعالم معين فيتعصبون له.

حب الجدل والمناظرة، والانتصار لحظوظ النفس والهوى.

حب الوصول إلى مناصب دنيوية من قضاء أو إفتاء، ونحو ذلك، مما يصرفه عن الحق لكي يحقق هدفه الدنيوي.

الرغبة في استرضاء السلطة، والحصول على أعطياتها فيتعصب منافحاً عن رأي يستهوي السلطة (٣).

وهذا التعصب هو الذي فرق الأمة، وجعل أنهاراً من الدماء تسفك بين المسلمين بسببه.

المطلب الرابع: أسباب تربوية

ومن أهم الأسباب التربوية:

١- قلة الصبر في طريق الدعوة إلى الله، مما يوجد ردة فعل عكسية تجاه المجتمع نتيجة الإحباط، واليأس، والرفض، فينتج ذلك الإنسان المسلم إلى تكفير المجتمع الذي رفضه وصدده، حتى أن أحد هؤلاء الغلاة يقول: «هناك ضرورة حركية توجب مراعاة شعور من يصلي من الشعب فلا يصدم بأنه كافر تجب محاربتة» (٤).

يقول ابن تيمية تعليقاً على وجوب الصبر على جور الحكام: «إن ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم والخروج عليهم، هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وإن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد» (٥).

ب- اتباع الهوى:

والمراد اتباع ما تهواه نفسه دون اتباع لدليل شرعي، فكل «من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٦).

وسبب الضلال والانحراف اتباع الهوى قال تعالى (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ) [النجم: ٢٣].

(١) أحمد بن إدريس. سعادة الدارين. ص ٤٦٩.

(٢) أحمد بن إدريس. سعادة الدارين. ص ٤٦٩.

(٣) انظر. الشوكاني. آداب الطلب ومنتهى الأرب. تحقيق د. محمد عثمان الخشت. القاهرة: مكتبة القرآن للنشر. بدون تاريخ. ص ٤٠-١٢٣.

(٤) انظر سالم البهنساوي. الحكم وقضية تكفير المسلم. ط ٢. الكويت: دار البحوث العلمية. ١٤٠١هـ. ص ٣٥.

(٥) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. تحقيق د. محمد رشاد سالم. ط ١. الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٦هـ.

(٥٣١/٤).

(٦) ابن تيمية. الاستقامة. تحقيق د. محمد رشاد سالم. ط ١. الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٣هـ. (٢٢٤/٢-٢٢٥).

وأيام الفتنة على عثمان رضي الله عنه، نشأت هذه الفتنة بسبب عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع الهوى، مع أن كلا منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومع هذا التأويل نوع هوى (١).

يقول الشاطبي عن صاحب الهوى: «فكذلك صاحب الهوى، إذا دخل قلبه وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان، ولا يكثر بمن خالفه» (٢).

وأهل الغلو والتشدد يتبعون أهوائهم في استدلالاتهم وآرائهم، لذلك أخذوا جانباً من النصوص الشرعية يتمشى مع هذا الغلو وهي نصوص الوعيد، وتركوا بأهوائهم جانباً آخر من النصوص الشرعية وهي نصوص العفو والرجاء لأنها لا تتمشى مع ذلك الهوى.

ج- حب الجدل والمناظرة:

والجدل شدة لخصومة (٣).

فهناك من يجادل بغير علم كما قال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) [الحج: ٣].

فهؤلاء تصبح المجادلة فتنة لهم، مع أنهم لا يملكون الأهلية العلمية لذلك.

فبعضهم يجادل في أمر غيبي لا يمكن العلم به، ويكون مما استأثر الله بعلمه.

وبعضهم يجادل في أمر يسع الخلاف فيه، وهذا جهل منهم.

ولعل معظم غلاة الوقت الحاضر إنما نشأ غلوهم عن طريق الجدل، الذي كان في السجون فكفروا الحكام والشعوب، واستحلوا الدماء والأموال حيث في هذه السجون «تمحضت المناقشات عن بلاد التكفير بصورة محدودة ومعلنة» (٤).

المطلب الخامس: أسباب اجتماعية

إن الناظر إلى تاريخ الأمة الإسلامية يجد أن هناك أسباباً اجتماعية ساهمت في ظهور التشدد الديني في قديم الأمة وحديثها.

ومن أهم هذه الأسباب الاجتماعية:

الفساد العقدي:

وهذا الفساد كان له دور كبير في ظهور ردة فعل معاكسة له، فمثلاً التصوف الذي جعل الناس تتراقص بدين الله طرباً، وتقدس الأولياء، وتترك بهم وبقبورهم، بل يدعونهم من دون الله، أوجد ردة فعل معاكسة لنزعة متشددة تقوم بإحراق الأضرحة وتفريق جموع المتصوفة الراقصين.

وكذلك قابل إرجاء المرجئة الذين يرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ردة فعل معاكسة لتيار متشدد يكفر بارتكاب الكبيرة (٥).

الاستهزاء بالدين:

ولعل هذا السبب يظهر في عصرنا الحاضر، حيث إن بعض وسائل الإعلام تقوم مقالاتها ويكتب كتابها هجوماً طائشاً عن الإسلام وأهله، بل وتكون في غاية التوحش والتهكم مجردة من كل أدب وذوق، مما يولد ردة فعل عكسية تؤدي إلى اعتزال

(١) ابن تيمية. الاستقامة. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم. الرباط: مكتبة المعارف. بدون

تاريخ. (١٤٩/٢٨)

(٢) الشاطبي. الاعتصام. (٧٧٨/٢).

(٣) انظر ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر. بدون تاريخ. ص ١٠٥.

(٤) سالم البهنساوي. الحكم وقضية تكفير المسلم. ص ٣٠.

(٥) انظر مقدمة المحقق د. أحمد سعد حمدان لكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم. للحافظ الالكائي ط ١. الرياض: دار طيبة للنشر. بدون تاريخ. ص ٣٨.

المجتمع، أو تكفيره بل ومحاولة تصفية حساب مع هذا الكاتب أو ذاك كما حصل مع الكاتب المصري فرج فودة، الذي أعتيل بسبب كتاباته التي كانت تستهزئ بالإسلاميين وتنتقصهم(١).

ج- الانحلال الاجتماعي :

المجتمع كيان متماسك، إلا أن بعض المجتمعات يظهر فيها انحلال مخالف لما نشأ عليه الإنسان المسلم في بيئته المحافظة، وهذا يحدث ردة فعل معاكسة لهذا الانحلال تأخذ منحى التشدد احتجاجاً عليه .

ومن هنا اندفع بعض الشباب المسلم المتحمس فحكموا على المجتمع بأنه مجتمع جاهلي لا يراعي أحكام الشرع، ولا يقيم حدوداً للستر والحشمة(٢).

المطلب السادس: أسباب مؤثرة من خارج العالم الإسلامي

إن القارئ لتاريخ الأمة الإسلامية يجد أن هناك مؤثرات خارجية تسببت في ظهور الغلو والتشدد عند المسلمين منذ فجر الإسلام الأول.

فالمعتاد لظهور فرقة الشيعة يجد أنها غلت وتشددت في حب آل البيت، نتيجة دخول العنصر الفارسي على خط التشيع، فانحرف التشيع الذي كان تشيعاً سياسياً فقط لآل البيت، أي مناصرة وتأييد لهم على بني أمية ، إلى تشيع عقدي انحرف شيئاً فشيئاً حتى صار يكفر الصحابة رضي الله عنهم ولقد انحرف التشيع على يد رجل يهودي اسمه " عبدالله بن سبأ" وهو يهودي من يهود صنعاء فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن علياً رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم(٣).

فظهر تيار غلاة الشيعة من هذه الأفكار الأجنبية المؤثرة، وتبين لنا ما أراده هذا اليهودي من ادعائه الإسلام، وصارت أفكاره التي قالها أساساً لفرق الشيعة فيما بعد (٤).

المطلب السابع: أسباب جديدة للتطرف

وفي عصرنا الحاضر زادت الأسباب المؤدية إلى الغلو والتشدد بوجود أشياء جديدة لم تكن موجودة في الزمن السابق ومنها:

روح الإحباط واليأس التي يعيشها الشباب المسلم اليوم :

وهذه الروح المحبطة يعيشها الشاب لعدم توفر فرص عمل وظيفية له، فيكون محبطاً من داخله، متقبلاً لكل أفكار تصله من الخارج وتعدّه بتغيير حاله، ومن هنا يمكن لأمرء هذه الجماعات التأثير عليهم، وجعلهم ينضمون إلى جماعاتهم على سبيل الاحتجاج والغضب(٥) على الواقع الذي يعيشه.

التغير الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية:

كانت المجتمعات الإسلامية تعيش في واقع اجتماعي متآلف، وكانت روح الأسرة طاغية على أفرادها، وعلى تعاملهم مع من حولهم من الوسط المحيط، لكن هذه المجتمعات انفتحت على نظام الحياة الغربي في لباسها وفي علاقاتها الاجتماعية، فغابت عن المجتمع روح الألفة والتحاب، وصارت المصالح المادية هي الطاغية في العلاقة بين الأفراد، بل إن قيم " كبير العائلة" قد غابت، وكذلك " أولاد الجيران" لم تعد موجودة، لأن الجار لا يعرف جاره ولا يريد أن يعرف، فمن هنا ظهر جيل لا يشعر بانتماء حقيقي للأسرة، ولا لمجتمع الحي الذي يسكن فيه.

ج- الكتابات الصحفية والبرامج الإعلامية المستفزة للشباب:

وهذه أحد الأسباب التي تسبب ردة فعل معاكسة من قبل هؤلاء الشباب، تقول إحداهن: «هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابس تعطيهن تماماً وتجعلن كالعفاريت»(١).

(١) عبدالرحمن بن معلا اللويحق. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر. (٢/٥١٠).

(٢) انظر فهمي هويدي. التدين المنقوص. ط٢. القاهرة: مركز الأهرام للنشر.

(٣) انظر الشهرستاني. الملل والنحل. (١/١٤٠).

(٤) انظر د. أحمد سعد حمدان. مقدمة تحقيق كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكاني. (١/٤٠).

(٥) انظر د. عمرو عبد السميع. المتطرفون ندوات ودائر حوار. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. ١٩٩٣م. ص ٢٢٥.

وتقول: «هل لابد من تكفين البنات بالملابس وهن على قيد الحياة، حتى لا يرى منها شيء وهي تسير في الشارع» (٢).

ويقول أحد الكتاب المصريين الكبار ناقداً وضع الكتابات الصحفية: «انا أقول للمرة الأولى في عقد الثمانينات تصدر كتابات في مصر تستفز عقيدة المسلم... فعندما يقول:.. أن الشريعة الإسلامية هي شريعة بداوة، وأن القوانين الوضعية أصلح لنا من الشريعة الإسلامية... فماذا تنتظر من الشباب الذي تُستفز عقيدته ويُستفز فكره» (٣).

أو أن يرسم أحد رسامي الكاريكاتير ديكاً تتبعه تسع دجاجات، ويكتب تحت الرسم:

" محمد أفندي جوز التسعة" (٤)، وهذا قمة الاستفزاز للإنسان المسلم في بلده، فيا ترى ألم يسأل نفسه هذا الرسام كيف استفز مشاعر المسلمين في بلدهم، دون تعرض لمساءلة أو نقد، بل يُعتبر هذا الرسم وبهذه الطريقة الساخرة المستقزة من الحرية الصحفية.

النتائج

أن التطرف الديني ليس خاصاً بالمسلمين بل يوجد عند غيرهم من اليهود والنصارى.

أن التطرف الديني ليس وليد عصرنا هذا بل هو قديم قدم التاريخ الإسلامي حيث نشأ في أواخر عهد الخلفاء الراشدين.

أن من أسباب التطرف الديني، الغلو في فهم النصوص الدينية.

أن من أسباب التطرف الديني الجهل بالقرآن، والسنة، ولغة العرب، والتعامل الحرفي مع النص الشرعي، وكذلك الاعتماد على الرؤى والمنامات.

أن من أسباب التطرف الديني التعصب بجميع صورته وأشكاله.

أن من أسباب التطرف الديني أسباب تربوية تعود لقلّة الصبر في طريق الدعوة إلى الله، واتباع الهوى، وحب الجدل والمناظرة.

أن من أسباب التطرف الديني أسباب اجتماعية تعود إلى فساد العقيدة، وإلى الاستهزاء بالدين من قبل بعض الكُتاب، وإلى الانحلال الاجتماعي الذي عم المجتمعات المسلمة.

أن من أسباب التطرف الديني المؤثرات الأجنبية من خارج العالم الإسلامي من اليهود والنصارى، أو ممن يحقد على الإسلام بنظرة شعوبية، كبعض متعصبة الفرس.

أن هناك أسباباً انفرادية بها العصر الحاضر ومنها: روح الإحباط التي أصابت شباب اليوم، وكذلك التغيير الاجتماعي الذي أصاب المجتمعات المسلمة، والكتابات الصحفية والإعلامية التي تستفز الشباب المسلم من قبل الكُتاب اللادينيين.

التوصيات

نشر ثقافة الوسطية في المجتمع المسلم وخصوصاً بين الشباب.

انفتاح علماء المسلمين اليوم على الشباب المسلم، وسماعهم، ومحاورتهم بالحق و الدليل.

معالجة المشاكل النفسية والاجتماعية المؤدية إلى إحباط الشباب اليوم، وذلك بإيجاد فرص عمل لهم، وتأهيلهم تأهيلاً علمياً جاداً لذلك.

مراقبة وسائل الإعلام بعدم الهجوم على الدين وأهله، أو الاستهزاء بالدين، والسخرية من علمائه والمنتسبين إليه.

(١) القائلة هي: د. أمينة السعيد في مجلة المصور ٢٢ يناير ١٩٨٢م، ص ٧٥. نقلاً عن محمد أحمد إسماعيل. عودة الحجاب" معركة الحجاب والنور" ط١. الرياض: دار طيبة للنشر. ١٤٠٦هـ. (١/٢٦٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) القائل هو: د. محمد عمارة. انظر عمرو عبد السميع. المتطرفون ندوات ودوائر حوار. ص ٢٢٨.

(٤) الرسام هو فنان الكاريكاتير صلاح جاهين. انظر. محمد قطب. واقعا المعاصر. ط١. جدة: مؤسسة المدينة للطباعة. ١٤٠٧هـ. ص ٣٥٨.

غرس روح الحوار، وعدم التعصب في الشباب من خلال مفردات التعليم وذلك بتغيير نمطها التقليدي، وإحداث ثورة تعليمية تجدد روح الشباب داخل المجتمع.

اهتمام الحكومات بمشاكل الشباب وإيجاد حلول سريعة لها، كي لا يكونوا عرضة لتيار التطرف الذي يجرفهم في طريقه. هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المراجع

- ابن تيمية . الاستقامة. تحقيق د. محمد رشاد سالم. ط ١. الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٣هـ
- ابن تيمية.. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم. الرباط: مكتبة المعارف. بدون تاريخ.
- ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. تحقيق د. محمد رشاد سالم. ط ١. الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٦هـ
- ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ط ١. القاهرة: المطبعة السلفية.
- ابن منظور. لسان العرب. بيروت. دار صادر. ب. ت.
- أبو الحسن الأشعري. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ط ١. القاهرة: مطبعة النهضة. ١٩٥٠م.
- ابو داود. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. مصر: دار إحياء السنة النبوية. بدون تاريخ.
- صحيح البخاري. ط ٢. الرياض: مكتبة دار السلام. ١٤١٩هـ.
- د. خالد محمد الشنير. حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي. ط ١. الرياض: مركز البحوث والدراسات لمجلة البيان. ١٤٣٤هـ.
- د. روهنج. الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة يوسف نصرالله. ط ١. بيروت: دار القلم. ١٤٠٨هـ.
- د. سعود عبدالعزيز الخلف. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. ط ٤. الرياض: مكتبة أضواء السلف. ١٤٢٥هـ.
- د. عبدالرحمن اللويحق. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة. ط ٤. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٧هـ.
- د. عمرو عبد السميع. المتطرفون ندوات ودائر حوار. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. ١٩٩٣م.
- د. نعمان السامرائي. التكفير جذوره- أسبابه- مبرراته. ط ٢. بيروت: المنارة للطباعة والنشر. ١٤٠٦هـ.
- الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل. الطبعة الأخيرة. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ١٣٩٢هـ.
- سالم البهنساوي. الحكم وقضية تكفير المسلم. ط ٢. الكويت: دار البحوث العلمية. ١٤٠١هـ.
- سيد قطب. في ظلال القرآن. ط ٩. القاهرة: دار الشروق. ١٤٠٠هـ.
- الشاطبي. الاعتصام. تحقيق سليم الهلالي. ط ١. الخبر. دار ابن عفان للنشر. ١٤١٢هـ.
- الشهرستاني. الملل والنحل. تحقيق محمد الفاضلي. ط ١. بيروت: المكتبة العصرية. ١٤٢٠هـ
- الشوكاني. آداب الطلب ومنتهى الأرب. تحقيق د. محمد عثمان الخشت. القاهرة: مكتبة القرآن للنشر. بدون تاريخ.

- عبدالرحمن بن معلا اللويحق. مشكلة الغلو في الدين. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ.
- فهمي هويدي. التدين المنقوص. ط٢. القاهرة: مركز الأهرام للنشر.
- محمد أحمد إسماعيل. عودة الحجاب" معركة الحجاب والنور" ط١. الرياض: دار طيبة للنشر. ١٤٠٦هـ.
- محمد سرور زين العابدين. الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو. ط٢. الرياض: دار الأرقم للنشر. ١٤٠٨هـ.
- محمد قطب. واقعنا المعاصر. ط١. جدة: مؤسسة المدينة للطباعة. ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٢٥هـ.
- مقدمة المحقق د. أحمد سعد حمدان لكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم. للحافظ الالكائي. ط١. الرياض: دار طيبة للنشر. بدون تاريخ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ط٢. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ١٤٠٩هـ.
- نخبة من الأساتذة النصارى. قاموس الكتاب المقدس. ط٢. القاهرة: دار الثقافة المسيحية.
- النووي. شرح صحيح مسلم. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٣٩٢هـ.

الفهرس

أ.م.د.منى عبد الكريم حسين القيسي

دكتوراه آثار قديم / عمارة قديمة

جامعة الكوفة / كلية الآثار العراقية / قسم الآثار القديم

اسم البحث: تأريخ الصراع الحضاري والحركات الهدامة في المجتمع العربي (بلاد الرافدين وجنوب بلاد الشام) خلال عصر ما قبل الإسلام .

المقدمة:-تعد مسألة صراع الحضارات محل اهتمام ودراسة وبحث علمي لدى الكثير من الباحثين لما لها من أشكال تاريخية سجلت تطورات لأحداث هامة في المجتمعات عبر التاريخ لتغدو ظاهرة سلبية ومنها بالمنطقة العربية خلال القرون الميلادية الأولى . إذ إن الحضارات لا تصدم لمجرد الاختلاف في الأفكار والرؤى والتوجهات الفلسفية ومنها (السياسة والدين) وإنما هناك ظروف تنتج لدوافع عدوانية للتصادم ومنها منهاج التحدي لخلق أختلاف جوهري وعدوان دائم بين فئات المجتمع الواحد لأجل إضعافه وتسهيل السيطرة عليه . ومنها جاءت أهمية هذا الموضوع لأجل تحديده تاريخيا في منطقتنا العربية ومنها في بلاد الرافدين وجنوب بلاد الشام خلال عصر ما قبل الإسلام لما شهدته المنطقة من ظروف سياسية وعسكرية خلقتها القوى الاستعمارية ومنها الساسانية والرومانية الهيمنة على المنطقة آنذاك والتي أثرت سلبا على وحدة القبائل العربية في هاتين المنطقتين من النواحي السياسية الدينية والعمارية (العمارة الدينية) أيضا. لذا هدف البحث إلى إبراز دور هذه القوى الاستعمارية وتأثيرها المباشر بالتطورات الحاصلة المنطقة من خلال توظيفها للاختلافات الحضارية بشكل صراع دائم ليصب في النهاية بمصلحتهم والتي انعكست أيضا على أنظمة وخصائص العمارة الدينية ومنها عمارة الكنائس . ومن جانب آخر بيان هذا الاختلاف بأنه ليس للتصارع وإنما للتكامل من خلال الحوار ومواصلة المسيرة الحضارية لخلق صورة مثالية للمجتمع ، لذلك سوف ينهج البحث مناقشة الموضوع وفق محاوره بتاريخ الحضارات والأديان السماوية والمتغيرات السياسية والعسكرية وانعكاساتها على خصائص العمارة الدينية بالمنطقتين ، بطريقة منهجية متوازنة وعادلة من خلال شرح هذه المحاور خلال تلك الفترة من خلال الإشارة إلى ظروف المجتمعات العربية خلال تلك الفترة الذي انجرفت للتصادم وبيان إن كانت معتدية بتطرفها الفكري أم كانت ضحية وعليها للدفاع عن نفسها ، ومن جانب آخر هل هذا التصادم نابع من المجتمع نفسه أم فلسفة دخيلة لأجل تحقيق غايات وطموحات سياسية للقوى الاستعمارية المهيمنة على المنطقة عن طريق خلق الاختلاف بالحضارة الواحدة وجعلها حضارة متناحرة . ولتغطية الموضوع مستعينة بالمصادر والمراجع العلمية التي تناولت جوانب من موضوع البحث ، كما تضمن خرائط وصور ومخططات ، وبالمقابل لأجل استكمال هذه الدراسة هناك أسئلة عدة لا بد مراعاتها وبدء من كيفية خلق هذا الصراع في التاريخ القديم للمنطقة وكيفية تبني أسلوب المعالجة الناتج من تلافي جوانب الضعف بالمجتمع وربطه بالواقع وتمكنه من استيعاب فكرة الآخر في مجتمعه بكل مقوماته الفكرية والثقافية للخروج بأهم النتائج ومنها :-

١- يعد عصر ما قبل الإسلام من الفترات المهمة بتاريخ منطقتي بلاد الرافدين وبلاد الشام إذ جاءت به أول شرارة لتصارع الحضارات ببدن المجتمع الواحد لما شهدته المنطقة من متغيرات حضارية من قديمة وثنية متنوعة إلى حضارات دينية سماوية ،

٢- قسمت المنطقة بين قوتين استعماريين هما الإمبراطورية الساسانية بالشرق والإمبراطورية الرومانية بالغرب لكل منهما بعد استراتيجي بالمنطقة لذا ارتأوا من خلق كيانات سياسة (دول الطوائف) بضممان ولأهم لتتوب عنهم بحكم المنطقة .

٣-استغل تصارع الحضارات خلال هذا العصر لتمزيق المجتمع العربي الواحد من خلال تأثير بعض المكونات الدينية بالتجاذبات السياسية مابين الإمبراطوريتين الساسانية والرومانية لأجل تحقيق التوازن العسكري والسياسي فيما بين هذه القوى بالمنطقة .

٤- جاء التصارع الحضاري من المتغيرات الحضارية جراء المتغيرات الديمغرافية بالمنطقة استنادا للأدلة التاريخية في علم (اللغة وأجناس الأقسام) .

المحور الأول : في المصطلحات : التاريخ والنشأة

عنوان المداخلة :

"مفهوم التّطرف الديني و نشأته التاريخية بين الغرب و الشرق "

مقدمة :

انّ التطرف الذي وُصمت به أساسا جماعات تبنت العنف باسم الاسلام في شتى أنحاء العالم سرعان ما ألقى بدلالاته السلبية على الدين الاسلامي حتى كاد ينطبق مفهومه في التصور الغربي على الاسلام حصرا دون غيره من الديانات ، اذ أن صورة نمطية سلبية ترسخت في الغرب عن الاسلام و المسلمين ، فبات ذكرهما يستدعي في الأذهان العنف والارهاب وسفك الدماء، و ذلك اثر الاغتيالات و الاختطافات والتفجيرات والحرائق وغيرها من الأعمال الارهابية التي تصدرت عناوينها مختلف وسائل الاعلام العالمية خلال العقود الأخيرة من القرن الحالي وعلى رأسها أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

وفي سياق التوتر و الخوف و القلق الذي أفرزته هذه الأحداث، طفت في المجتمعات الغربية حالة من الرعب الهستيرى اتجاه المسلمين أطلق عليها مصطلح "الاسلاموفوبيا" أو الرهاب من الاسلام اذ أصبح الفرد الغربي العادي لا يميّز في الغالب بين الاسلام كرسالة سماوية تدعو الى المحبة و التسامح و القيم و تلك الممارسات التي تهدد أمنه القومي والمنسوبة للذّين جزافا امّا عن جهل و سوء فهم أو عن وعي سعيا لتحقيق مآرب سياسية و سلطوية معينة .

و مما لاشك فيه أن اضطراب العلاقات بين الشرق والغرب ما كان ليبلغ هذه الدرجة من الحدة لو لم ينتهز أصحاب التنظير لصدام الحضارات تلك الأحداث الدموية من أجل تحصيب أفكارهم المعادية للإسلام والمضي قدما في سعيهم " لاستحضار الاسلام ومعه العالم العربي و الاسلامي ليكون موضع صدام حضاري مع الغرب " (حسن محمد ، ٢٠٠٢ : ٣٠).

و كان الاعلام من أبرز الوسائل التي عمد اليها هؤلاء لشن حملتهم ضد الاسلام وتشويه صورته بتقديمه على أنه دين يشجّع على الارهاب و العنف ، اذ عمد الى التعميم فسلب الضوء على المسلمين المتطرفين و قدمهم كنموذج عن المجتمع المسلم علاوة على أنه تناول الموضوع دون الاحتكام لشيء من الضوابط و المعايير بعد أن أضحى "التطرف الديني" حديث العام و الخاص، والى غير ذلك من الاستراتيجيات التي انتهجها في التهويل والتضليل .

و في مقابل هذا التيار الذي يركز على عوامل التفرقة من أجل تأجيج الصراع و تعميق الفجوة بين الشرق و الغرب أو بين المسلمين و الغرب على وجه التحديد ، ظهر على الساحة تيار مُضاد يدعم الحوار بمختلف أشكاله من أجل تكريس مبادئ التعايش و التقارب لا سيما أنّ عدد المسلمين اليوم في الغرب في ارتفاع مستمر ، حيث تؤكد احصائية قام بها معهد بيو سنة ٢٠١٠ أنّ عدد المسلمين في كل أوروبا عدا تركيا يبلغ ٤٤,١ مليون نسمة أي ما يعادل ٦ بالمئة من اجمالي سكان أوروبا ، و هو رقم مرشح لأن يصل ٥٨,٢ مليون نسمة بحلول سنة ٢٠٣٠ ، أي ما يعادل ٨ بالمئة من سكان أوروبا.

<http://www.pewforum.org/٢٠١١/٠١/٢٧/the-future-of-the-global-muslim-population>

و من المحاور الأساسية التي يركز عليها أصحاب التيّار الرّامي لتعزيز التعايش السّلمي بين الغرب و المسلمين ، العمل على تقديم الاسلام تقديمًا صحيحًا يُخلصه مما علق به من التّهم ، وعلى رأسها تهمة التحريض على العنف و الارهاب.

و في هذا الاطار تهدف دراستنا ، ضمن فعاليات المؤتمر الدّولي الثالث بعنوان حوار الحضارات و الثقافات ، الى تحديد مفهوم التّطرّف الدّيني في ظل رواج مفاهيم غامضة اقتترنت به أو بمرادفاته ، مع لقاء الضوء على النّشأة التّاريخية للظّاهرة في الشّرق

و الغرب.

مفهوم التطرف لغة:

التّطرّف هو تفرّع من طرف يطرف طرفا ، و "هو الأخذ بأحد الطرفين و الميل لهما: اما الطرف الأدنى أو الأقصى" (القاموس المحيط، و تاج العروس و لسان العرب و الصحاح

و المصباح المنير، مادة طرف) و "الطرف من كل شيء منتهاه ، أو الناحية أو الجانب" (المعجم الوسيط) ومنه يُقال "تطرفت الشمس أي دنت للغروب كما يُقال للناقة اذا رعت أطراف المرعى طرفت الناقة و مثله تطرفت الناقة" (فيروز أبادي ، مادة طرف) وجاء في المعجم الوسيط في معنى تطرف "تجاوز حد الاعتدال و لم يتوسط "

و منه فان التّطرّف يصدق على الافراط كما يصدق على التفریط اذ أن المتسبّب و المغال متطرفان على حد سواء لأنهما جانبا الصواب و الوسط، و سنقصر حديثنا على التطرف بمعنى الافراط و المغالاة فحسب لأن " التطرف الديني"، موضوع

دراستنا ، لم يرد استعماله أبداً بمعنى التفريط و التقصير في الالتزام بالدين أو في تطبيق تعاليمه. و عليه يستقر تعريف التّطرف الديني لغة على أنه " مجاوزة الاعتدال في السلوك الديني".

و نلاحظ ميدئياً أنّ الاعتدال في أمر ما لا يُمكن تحديده بموضوعية ،فهو يتوقف على المعيار الذي يعتمده كل شخص و على أساسه يحكم بالتطرف من عدمه ،أما الاعتدال في السلوك الديني فلا بد من الاحتكام فيه الى الدين وحده.

مفهومه اصطلاحاً :

يعتبر سكرتون أن مصطلح التطرف Extremism مصطلح غامض يمكن أن يعني :

"تنفيذ فكرة سياسية الى أقصى مدى لها ، دون توشي تبعاتها و حساباتها الدقيقة أو عدم توافيقها مع الواقع ، مع الاستعداد ليس فقط لمجابهة المعترضين بل الاستعداد لمحوهم .

المفهوم يعني أيضاً "عدم التسامح" اتجاه كافة جهات النظر المخالفة

تبني مبدأ الغاية تبرر الوسيلة و عدم الاعتراف بمبادئ الأخلاق و معايير السلوك القويم ، بما في ذلك عدم احترام حياة و حرية الآخرين و حقوقهم ".(حسن محمّد، ١٩٩٧ : ٢٣)

على الرغم من الغموض الذي يعترى مصطلح التطرف ، إلا أن تناقضه مع مبادئ التعايش الأساسية كالحوار و حرية الرّأي و تقبل الآخر و احترام الاختلاف و التعددية أمر لا يُبس فيه ، و ينبغي الإشارة الى أن التطرف وارد في جميع مجالات الحياة و من أمثلته التطرف السياسي ، و التطرف العرقي ، و التطرف الاجتماعي ، و التطرف الايديولوجي ،

و التطرف الديني ، و أياً كان نوعه فهو ناتج عن التمسك بفكرة معينة و التعصّب لها، لدرجة رفض النقاش فيها و محاوره من يُخالفها ، فرداً كان أو جماعة.

وتتجلى خطورته في المشاعر السلبية التي يُفرزها كالبُغض و الكره و الازدراء اتجاه الآخر المُختلف ثقافياً أو عرقياً أو دينياً أو فكرياً ، والتي قد تنعكس على السلوك عندما يلجأ المُتطرف الى ارغام الآخر على اتباعه و التقيد بأفكاره و ربّما يصل به الأمر الى الاعتداء عليه و اباحة دمه ، و نخص بالحديث هنا التطرف الديني الذي كان و لا يزال وراء أشنع حروب الابداء الجماعية و أبشع الجرائم التي اقترفت باسم كل الديانات في جميع المجتمعات الغربية و الشرقية على حدّ سواء .

- التطرف الديني في الغرب :

نشأته:

تعود بدايات التطرف الديني في الغرب الى القرن السادس عشر عندما انقسمت أوروبا ما بين المسيحية الكاثوليكية و المسيحية البروتستانتية ، المُعارضة لسلطة البابا و هيمنته على الكنيسة ، بعد اعلان مارتن لوثر حركة الاصلاح الديني التي جاءت بمذهب البروتستانت عام ١٥١٧. الأمر الذي أشعل الصراع بين أنصاره و أنصار المذهب الكاثوليكي (الجابري، ٢٠٠٣ : ٧٦) ، و تمخض عنه حرب ثلاثين عاما « Thirty year war » (١٦١٨-١٦٤٨) التي اندلعت في ألمانيا و سرعان ما شملت أغلب البلاد الأوروبية .

كانت حرباً دامية ، عمد فيها كلا الطرفين الى "الاضطهاد و الأسر و التعذيب و اعدام المعارضين ، و تدمير الكنائس و المكتبات"(اسبوريتو، ٢٠١١ : ١٢٥) ما أدى الى سقوط ثمانية مليون قتيل كلهم من المدنيين. وقد استمرت الصراعات بين الجانبين حتى بعد انتهاء الحرب بابرار صلح ويستفاليا سنة ١٦٤٨ (رتيب عبد الحافظ ، ٢٠١٦ : ٤٩). و عرفت انجلترا البيوريتان Puritans ، و هي جماعة انشقت عن البروتستانت كانت لها مطالب متشددة ازاء اصلاح الكنيسة ، حيث رفضت اخضاعها لأي سلطة أو رقابة من منطلق ايمانها بأنه لا سيد الا السيد المسيح ، كما كانت تعتقد أن الله اختارها و فضلها على العالمين (عبوش ، ٢٠١٥ : ٣٤) ، و خاضت حروباً أهلية ضد الملك من أجل فرض معتقدها الديني .

أمّا في الولايات الأمريكية المتحدة فقد دبّ الشقاق بين البروتستانت عقب الحرب الأهلية (١٨٦١-١٨٦٥) التي حدثت بسبب مطالبة الولايات الشمالية الغاء العبودية في حق السود، اذ برزت فئة من البروتستانت في الجنوب تُؤيّد العبودية استناداً الى مبررات دينية استنقتها من القراءة الحرفية للإنجيل و اشتهرت لاحقاً بموقفها المتعصّب اتجاه التطور العلمي و ما صحبه من أفكار مناهضة للدين كنظرية التطور الداروينية و العلمانية (Favre, ٢٠٠٦ : ٤٧-٤٨). و قد انشقت هذه الجماعة ، التي عُرفت باسم الأصولية ، من حركة الألفية " في القرن التاسع عشر ، و هي حركة مسيحية بروتستانتية تدّعي عودة المسيح

عليه السلام ثانية الى العالم ليحكم فيه بالعدل و الانصاف لمدة ألف سنة قبل يوم الحساب ، و كانت تتبنى التفسير الحرفي للإنجيل رافضة أي شكل من أشكال التأويل باعتبار الكلمة و الحرف في الإنجيل من الله. (عمارة ، ٢٠٠٤ : ٤٣)

و قد أطلقت جريدة « Watchman-Examiner » في أمريكا الشمالية ، لأول مرة مصطلح الأصولية عام ١٩٢٠ ، و هي السنة التي أعلن فيها جناح من هذه الحركة استعداده للقتال ضد التيار البروتستانتية الليبرالي، الذي كان ، على خلافه ، متقبلاً للتغيرات الثقافية و ليدة حركة التنوير و الحداثة خلال الفترة ما بين سبعينيات القرن التاسع عشر وعشرينيات القرن العشرين ، علاوة على أنه أبدى استعداده لإدخال تعديلات على بعض العقائد المحورية في الديانة المسيحية. (مارسند، ٢٠٠٥ : ١٣).

و تجدر الإشارة الى أن هذا المصطلح عرف اثر هذه الأحداث تحوُّلاً كبيراً على مستواه الدلالي ، فبعد أن كانت صفة الأصولية مدعاة للفخر و العزة لصاحبها الملتزم بأصول الايمان Fundamentals ، اكتسبت دلالة سلبية مُقترنة "بالعداء و الازدراء و ضيق الأفق و التعصّب الأعمى، و النزعة المناهضة للتقدم و انتشار العلم و النزعة الطائفية" (Brandon, ٢٩٢ : ١٩٧٠) ، مما جعل الأصوليين أنفسهم يرفضون هذه التسمية ، فهم يعتقدون أنهم هم المسيحيون الحقيقيون و أنّ فهمهم للدين هو الفهم الصحيح و لذلك كانوا يُحبِّدون تسمية أنفسهم بأحد الاسمين : الانجيليون" أو "الانجيليون المحافظون" (Brandon, ibid)

مفهوم الأصولية الاسلامية عند الغرب:

ظهر مصطلح الأصولية كترجمة لمصطلح Fundamentalism وهو في نفس الوقت ليس غريباً عن التراث الاسلامي ، لأنه مصدر صناعي منسوب للأصول سواء بمعنى المصادر و هي القرآن و السنة و الاجماع أو بمعنى الأصول الأربعة و هي : أصول الايمان و أصول العبادات و أصول الشريعة و أصول القيم و الأخلاق (القرضاوي، ٢٠٠٣ : ١٢-١٥) ، و بالتالي فان مضمون اللفظ في التراث الاسلامي العربي مختلف تماماً عن مضمونه في الثقافة الغربية ، مثلما هو شأن كثير من المصطلحات المتداولة في العصر الحديث بين الشرق و الغرب ، التي تتفق في الوعاء اللغوي و تختلف في المضمون الدلالي.

وكما أشرنا سابقاً فالأصوليون في الغرب هم أهل الجُمود و مناهضة العقل و العلم بينما الأصوليون في الحضارة الاسلامية هم علماء أصول الفقه و هم أهل الاستنباط و الاستدلال و الاجتهاد و التجديد (عمارّة ، م.ن : ٤٩) ، و ليس لمفهوم الأصولية الغربي وجود في التاريخ الاسلامي ، و بالرغم من ذلك و من البون الشاسع ما بين الخلفيات الثقافية و التاريخية في الغرب و الشرق إلا أن الاعلام الغربي أسقط مفهوم الأصولية النصرانية على ما يُسمّيه "الأصولية الاسلامية" ، و كان من تبعات ذلك نظرة الازدراء و الاحتقار التي يلقاها المسلم في الغرب ، لأنّ مجرّد التزامه بالقرآن و اعتقاده بأنّ حروفه نزلت من عند الله يجعله في حكم الأصولي المتطرف ، يقول جيمس بار : "الاسلام يُمكن أن يقال بأنه أصولي ، فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن قد نزل به الوحي حرفياً للرسول(صلى الله عليه وسلم) من كلماته العربية، وأن القرآن وحي لا يتطرّق الشك الى نقائه و خلوه من الأخطاء" (Barr, ١٩٨٨ : ٧)

كما نلاحظ صعوبة التمييز بين الملتزم دينياً و المتطرف دينياً من خلال الاطلاع على كتاب "الأصولية في العالم العربي (دكميجيان، ٥١٤٠٩) . ، إذ يقسم الكاتب الأصولية الى نوعين : سلبية و حركية و يعتبر أداء الصلاة في وقتها في المسجد و لبس الحجاب و اعفاء اللحية

و قص الشارب و غيرها من المظاهر الاسلامية و ما يندرج ضمن المظاهر الاسلامية ، إضافة الى المشاركة في جمعيات دينية أو اجتماعية يعتبرها مؤشرات للأصولية السلبية ، و في نفس الوقت مؤشرات للأصولية الحركية التي تتبنى العنف .

و على هذا الأساس يتعدى وصف الأصولية الجماعات الدينية التي تتبنى العنف باسم الاسلام ليعم كافة التيارات الاسلامية بمختلف أطيافها ، فالجميع حسب هذا المنظور اما متطرفون أو متطرفون جدا .

بينما يُخطئ البعض هذا الموقف ، فلا يصح ، حسبهم ، تعميم صفة التطرف على جميع الحركات الاسلامية الأصولية ، و يرى اسبوسيتو في هذا الخصوص أنها ذات ايدولوجيات متنوعة ، فمنها المحافظة التي تُؤمن بالتدرج في التغيير من أجل جعل الاسلام المرجعية الأولى في الحياة العامة و الشخصية للمسلمين ، فالدين متكامل مع السياسة

و الدولة و المجتمع ، و منها المتطرفة التي تعتقد بوجود تأمر يهودي مسيحي ضد العالم الاسلامي و يرون شرعية الجهاد ضدهم وكذلك ضد الحكام الذين لا يُطبقون الشريعة الاسلامية و المسلمين الذين يرضون بحكمهم (اسبوسيتو، ١٩٨٩ : ٢٧-٢٨)

فيما يذهب عدد من المستشرقين الى رفض استعمال مصطلح "الأصولية الإسلامية" رفضاً باتاً لما له من مضامين غربية ، نذكر منهم "روجر أوين" و"كارمن رويث" و"فيتالي ناعومكين" و"هومي بابا" و"روبن أوستل" ، ويُوضّح جاك بيرك أن "الظاهرة الإسلامية" الحديثة التي تُعرف في المشرق بحركة الصحوّة أو الأحياء أو اليقظة الإسلامية لا ينطبق عليها هذا التعبير ، لأنّ مساعيها تتعارض تماما و قد تصل حدّ التّضاد مع مساعي الأصولية بالمفهوم الغربي للمصطلح ، فهي تدعو الى العودة الى الأصول من أجل تجديد الخطاب الديني وفق ما يتناسب مع روح العصر و متطلباته و اعمال الفكر لتقديم حلول للمشاكل المستجدة في العالم المعاصر(عمارة،م.ن.و.ص.ن).

أما جون بيار زيري ، فيُشير من جهته الى أن الحركات الإسلامية لا تعني بالضرورة حركات أصولية ولذا فهو ينتقد الاعلام الغربي الذي تعسّف في استعمال هذه التسمية فأطلقها على جميع التيارات ذات التوجه الإسلامي دون دراسة مُسبقة لرؤيتها السياسية ولما تتبناه من أفكار ومواقف اتجاه الحداثة و الغرب ، كما ركّز على أهمية تحديد مفاهيم المصطلحات التي بلغت اليوم درجة عالية من الغموض و من ثمة ضرورة الالتزام بإطارها التعريفي الذي وُضع لها.(Ziri, ٢٠١١ :٩).

و في ظلّ غياب تعريف واضح ومصطلح متفق عليه للظاهرة اعتمدت اليونسكو مصطلح "التطرف العنيف" في الدليل الذي أصدرته سنة ٢٠١٧ حول الوقاية من الظاهرة في اطار برنامجها الرّامي الى نشر قيمة المواطنة العالمية من خلال التعليم ، و أشارت الى أنها تقصد به "آراء و أعمال أولئك الذين يجيزون العنف أو يلجئون اليه لتحقيق أغراض ايديولوجية أو دينية أو سياسية ، و يشمل هذا التعريف الارهاب و غيره من أشكال العنف الطائفي المبرّر سياسيا، وعادة ما يتخذ التطرف العنيف عدواً أو أعداء يصب عليهم كراهيته و عنفه. كما يُعدّ اللجوء الى العنف لأسباب ايديولوجية تُسوِّغها نظريّة المؤامرة من المقومات الأساسية في مفهوم التّطرف العنيف" (ترجمتنا) (UNESCO, ٢٠١٧:١٩).

يبدو أن هذا التعريف يتّسم بالعموم و الحيادية ، فهو لم يجعل الدّين السبب الوحيد وراء التطرف العنيف فقد تكون وراءه أغراض سياسية أو ايديولوجية ، الا أنه يعوزه التوضيح بخصوص مصطلح الارهاب الذي لم يعتبره مرادفاً للتطرف العنيف ، بل شكلا من أشكاله ، ثم أحالنا الى مفهوم التّعصّب القائم على ادراك سلبي كاره اتجاه فرد معين أو جماعة معينة يُبرّر ضدّهم استعمال العنف ، وذلك من خلال الاشارة الى المشاعر العدوانية التي يكتّنها المتطرفون اتجاه أعدائهم و ايمانهم بنظرية المؤامرة .

التطرف الديني عند العلمانيين:

ارتبط مصطلح التطرف بالدين الإسلامي في المشرق لأوّل مرّة عندما أطلقه الاحتلال الإسرائيلي على الفلسطينيين المتمسّكين بالإسلام و الذين يرونه مصدرا للدّفاع عن قضيتهم .(حسنه،٥١٤٠٨ : ٧-٨) و تضمّن آنذاك مفهوم الأصولية المُستعمل في الغرب. ثم انتقل المصطلح الى البلاد العربية أين أسند اليه العلمانيون مفهوماً خاصاً قوامه الأساسي مبدأ العلمانية الغربي القائل بفصل الدّين عن الدولة ، و الذي بموجبه اعتبروا جميع أطياف الفكر السياسي الإسلامي دون استثناء متطرّفة (العشماوي، ١٩٨٧: ٤٥-٤٦)

و مما أنكره العلماء و المفكرون الإسلاميون على أصحاب هذا الفكر، زعمهم أن الإسلام دين عبادة فقط و مُطالباتهم، من جهة أخرى ، بتطبيق النموذج الغربي و الاقتداء به في مجالات التشريع و الحكم و الادارة (طه حسين، ٢٠١٤ : ٣٦-٣٧) ، دون مراعاة الفوارق العقائدية و الثقافية و الاجتماعية الموجودة عموماً بين الغرب و الشرق ، بله عن اعتبار السّير على الخط الغربي الوافد على المجتمعات الإسلامية اعتدالا والخروج عنه تطرفاً،

والملاحظ أيضاً أنّ مفهوم التطرف لدى أصحاب هذا المذهب يتّخذ أحيانا منحى آخر بعيداً عن قضية تسييس الدّين ، ليشمل مسألة الالتزام بالشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة وليس السياسة فقط، فيطرح للنقاش قضايا من قبيل لبس الحجاب و الجلباب و اعفاء اللحية و رفع صوت الأذان ، و يذهب فؤاد زكرياء في هذا السياق ، الى القول "بأن امتلاء السّاحة بالكتب التي تُحرم التصوير و الموسيقى و تخوف الناس من عذاب القبر ليس سبباً لتطرف هؤلاء الشباب، بل انه نتيجة له ، و هو ذاته جزء لا يتجزّأ من ظاهرة التطرف التي نسعى الى تقليلها" (اللويحق، ٢٠٠٥: ١٦٥).

مفهوم التّطرف الديني في الإسلام:

تُعبر النصوص الشّرعية عن التطرف الديني بمصطلح "الغلو في الدين" ، وتعتبره ظاهرة ضاربة في القدم ، لم تخل منها أمة من الأمم التي أكرمها الله بالرّسالات السماوية . فقد ظهر على مر العصور أقوام انتهجوا في الغلو طرائق شتى، فمنهم

من غالى في الصالحين كقوم نوح و منهم من غالى في أنفسهم حتى حصروا النبوة عليهم كبنى اسرائيل و منهم من غالى في الأنبياء كالنصارى مع عيسى عليه السلام .

الغلو لغة :

قال الجوهرى في الصّحاح في مادة(غلا) : "غلا في الأمر يغلو غلوا ، أي جاوز فيه الحد" و قال : "الغلو مجاوزة الحد ، يُقال غلا في الدين غلوا تشدّد و تصلّب حتّى جاوز الحد

و وافقه الزبيدي في تاج العروس و الفيروز آبادي في القاموس .

و قال ابن منظور في اللسان في مادة (غلو) : "أصل الغلاء :الارتفاع و مجاوزة القدر في كل شيء و غلا في الدين و الأمر يغلو غلوا :جاوز حدّه.

و قال ابن فارس في المعجم(مادة غلوى) : "الغين و اللام المعتل أصل صحيح في الأمر ، يدل على ارتفاع و مجاوزة قدر ، يُقال غلا السعر يغلو غلاء و ذلك ارتفاعه ، و غلا الرجل في الأمر غلوا اذا جاوز حدّه".

ومنه فإنّ الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع و الزيادة و مجاوزة الحد.

الغلو اصطلاحا:

عرف ابن تيمية الغلو بأنه : " مجاوزة الحد بأن يُزاد في الشيء، في حمده ، أو ذمه ، على ما يستحق و نحو ذلك " (ابن تيمية ، ٥١٤٠٤ : ٢٨٩/١) و عرفه الحافظ بن حجر بأنه : " المبالغة في الشيء و التشديد فيه بتجاوز الحد " (ابن حجر، ٥١٣٨٠ : ٢٧٨/١٣) .

و الحدود في الدين هي الفرائض و التكاليف و الأحكام التي شرعها الله سبحانه و تعالى للمسلمين كي تنظّم حياتهم و تُحدّد ما لهم و ما عليهم من حقوق و واجبات و مسؤوليات

و هي "النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة و المأمور بها و غير المأمور بها " (ابن تيمية ، ٥١٣٧٢ : ٣٢٦/٣)

قال الله تعالى : " وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ" (الطلاق: ١).

وقال " تلك حدود الله فلا تعتدوها و من يتعدّد حدود الله فأولئك هم الظالمون " (البقرة، ٢٣٩) ، فالله سبحانه و تعالى حذّر من تعدي الحدود و أمر بلزومها و يكون التعدي أما بالغلو أو بالتقصير "فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له ، هذا بتقصيره عن الحد و هذا بتجاوزه الحد" (ابن القيم ، ١٩٨٣ : ٥١٧/٢) ، و المطلوب هو الالتزام بمنهج الوسطية الذي يكمن في الامتثال لأمر الله تعالى دون افراط و لا تفريط " و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة ، ١٤٣)

"فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا أنّه بما تعملون بصير" (سورة هود ، ١١٢)

و الدّعوة الى الاستقامة ، التي هي الاعتدال و التّهي عن الطّغيان الذي أعقبها في هذه الآية مما يُفيد أن الله سبحانه و تعالى يريد الالتزام بأمره بدون غلو يُحيل هذا الدين من يسر الى عسر(قطب، ١٩٨٧ : ٤ / ١٩٣١).

كما وردت آيات في القرآن الكريم تتضمن خطابا موجّها الى أهل الكتاب فيه موعظة للمسلمين حتى لا يقعوا في الغلو الذي وقعت فيه الأمم السابقة (ابن عاشور، ١٩٧٨ : ٦٠) "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم" (النساء ، ١٧١) و قال : " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيرا و ضلّوا عن سواء السبيل " (المائدة ، ٧٧).

أمّا في السنة النبوية الشريفة فقد وردت العديد من الأحاديث التي تنهى عن الغلو و ما يتعلّق به من صفات كالتشدد و التنطع ، و تُنذّر بعاقبته المهلكة في الدنيا و الآخرة .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "إنّ هذا الدّين يُسر و لن يُشاد الدين أحد الا غلبه" (البخاري ، ١٦/١) ، و عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم : "هلك المتنتّعون" قالها ثلاثا (مسلم ، ٢٠٥٥/٤) و المتنتّعون هم "المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود بأقوالهم و أفعالهم" (النووي ، ١٣٩٢ : ١٤٩/٨)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله كان يقول : " لا تشددوا على أنفسكم فيُشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع و الديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" (أبو داود ،دبت: ٤٩٠٤)

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم غداة جمع: "هلم القط لي العصى" فلقطت له حصيات من حصى الخذف ، فلما وضعتهن في يده قال : "نعم بأمثال هؤلاء واياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" (النسائي ، ٣٦٨/٥). وان تعلق النهي عن الغلو في هذا الحديث بمناسبة معينة ،فهو يُفيد نهيا مطلقا عن الغلو في جميع المسائل سواء في العلاقة مع الله سبحانه وتعالى أو مع الخلق (آل الشيخ، ٥١٤٠٢: ٢٧٥).

نشأته عند المسلمين:

لقد اتخذ الغلو في التاريخ الاسلامي شكلين : غلو عملي و غلو اعتقادي

يظهر الغلو العملي على أيدي أفراد من الناس ، وقد تكررت وقائعه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين أبدى بعض الصحابة الرغبة في الزيادة في العبادة والاكتثار منها ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أرشدهم الى التوسط والاعتدال و قوم سلوكهم ، وبيّن لهم أن الزام المرء نفسه أو غيره بالعبادات و الطّاعات فوق الطاقة يُعدّ غلوا يتنافى مع سنته القائمة على اليسر ورفع الحرج ، و مما يدخل أيضا في اطار الغلو العملي تحريم ما أحلّ الله من الطيبات واتخاذ موقف مفرط من الآخرين أما بمدحهم لدرجة العصمة أو بدمهم لدرجة التكفير .(اللويحق ،م.ن: ٧٧-٨٠)

وأما الغلو الاعتقادي ، فهو متعلق بالعقائد و بكليات الشريعة الاسلامية ، تتبناه جماعات أو فرق ،لذا فهو أخطر من الغلو العملي و أشدّ ضررا منه على الأمة لما يترتب عنه من خلاف و انشقاق داخل المجتمع الواحد ، و من أشكاله : الافراط في تبجيل الأئمة و الشيوخ لدرجة تنزيههم عن الخطأ وتنزيلهم منزلة المعصومين وتنزيل النبي منزلة الاله كما فعلت النصرارى مع النبي عيسى عليه السلام.(اللويحق ،م.ن: ٧٠-٧٥) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا تطروني كما أطرت النصرارى ابن مريم" (البخاري ، ١٤٢/٤)

ومن الغلو الاعتقادي أيضا البراءة من المجتمع العامي لدرجة تكفير أفراده و اخراجهم من الدين ،و قد أشار الرسول عليه الصلاة و السلام الى بوادر نشأته في حديث رواه أبو سعيد الخدري في قصة الرّجل الذي اعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم للغنائم ،اذ جاء فيه : "انّ من ضئضى هذا قوما يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام و يدعون أهل الأوثان" (البخاري ، ٢١/٩)

و كان الخوارج أوّل من كفر أهل الاسلام و استباح دمايمهم و أغار على أموالهم

و كان من قادتهم عبد الله بن وهب الرّاسبي و حرقوص بن زهير السعدي و عبد الله بن شجرة السلمي وقد قاتلهم الخليفة علي رضي الله عنه و هزمهم في معركة النهروان سنة ٣٩هـ.

و قد بين الحديث السالف ذكره أهم صفتين تُميز الفرق الغالية عموما و الخوارج خصوصا و هما: عدم فهم القرآن الكريم أو تأويله بما يتعارض مع مقاصد الشريعة و تكفير أهل الاسلام و استحلال دمايمهم (الجهني ، ٥١٤٢٠ : ١١٠٢).

عدم فهم القرآن :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم" أي يقرؤونه بلا تدبر "و ليس لهم فيه حظ الا مروره على لسانهم لا يصل الى حلوهم فضلا عن أن يصل الى قلوبهم لأن المطلوب تعقله و تدبره بوقوعه في القلب" (ابن حجر ،م.ن: ٢٩٣/١٢)

و من مظاهر عدم فهم الخوارج للقرآن ، رفضهم عقب معركة الصفين (٥٣٧هـ) تحكيم الرجال: أبو موسى الأشعري لعلي و عمرو بن العاص لمعاوية ، لأن كتاب الله قد حكم في أمر الذين حاربوا الخليفة الشرعي ، و استشهدوا في ذلك بالآية الكريمة " لا حكم الا لله" التي "انتزعوها من القرآن و حملوها على غير محلها" (ابن حجر ،م.ن: ٦١٩/٦) .

و في معركة النهروان رفضوا كل محاولات الخليفة للصلح و حفظ الدماء و بادروا الى قتاله و هم يُرددون الآية الكريمة و رد عليهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال "كلمة حق أريد بها باطل" (مسلم ، ٧٤٩/٢) ، و من دواعي عدم فهم

الخوارج للقرآن عدم احتجاجهم بالسنة فهم "انما يُصدّقون الرسول فيما بلغه من القرآن ، دون ما شرعه من السنّة ، التي تُخالف ، بزعمهم ظاهر القرآن" (ابن تيمية، ٥١٣٧٢ : ١٩ / ٧٣)

استحلال الدماء:

لقد استباح الخوارج دماء من ليس على طريقتهم و خرجوا على الجماعة والولاية وعاثوا في الأرض فسادا ، بناء على أنهم هم أهل الايمان وغيرهم أهل الكفر ، يقول فيهم ابن تيمية : "يُكفرون بالذّنْب والسيّئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين و أموالهم ، وأن دار الاسلام دار كفر ودارهم هي دار الايمان" (م.س)

و استباحة الدماء تكاد تكون الصّفة الغالبة لدى أصحاب البدع و الفرق الغالية يقول أبو قلابة : "ما ابتدع رجل بدعة ، الا استحل السيف" (الدارمي، ٥١٣٩٨ : ٤٤/١)

ومعلوم أنه لم يخل عصر من عصور التاريخ الاسلامي من فرقة غالية اتصفت بهاتين الصفتين متّبعة نهج الخوارج في التكفير و استباحة دماء المسلمين وما نشهده في هذا العصر من جماعات اسلامية متطرّفة كداعش و القاعدة ما هي الا امتداد لتلك الفرقة الضالة التي حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم منها .

الانحراف في مفهوم الجهاد عند المتطرفين المعاصرين

انّ الاسلام هو أول من يُدين التطرف الديني لأنه يتعارض مع وسطيته و سماحته كما أشرنا سابقا ، اضافة الى أنه يُشوهه بما يروج له من أفكار خاطئة طالت أهم مفاهيمه و أبرزها مفهوم الجهاد في سبيل الله . و لقد تولّى الكثير من العلماء في العصر الحديث مهمة الرد على الشبهات التي وقع فيها المسلمون المتطرفون في هذا العصر مؤكداً أنّ الخطأ الأول الذي أدى بهم الى الانحراف هو عدم ادراك المقاصد الشرعية للجهاد و عدم الالتزام بشروطه و ضوابطه ، و المقصود بالجهاد هنا هو المعنى الخاص أي مقاتلة الكفار ، علما أن الجهاد في الاسلام نوعان: جهاد أكبر ، هو جهاد النفس من أجل تزكيتها و تهذيبها

و جهاد أصغر هو الدعوة الى الله بالحكمة و الموعدة الحسنة و لا يُلجأ الى العنف الا دفاعا عن النفس و الدين و رفعاً للظلم (ابن سعيد المحجوب، ٢٠١٠ : ٥٧-٥٥).

و تُشير الى أنّ هناك مظاهر عدة لانحراف مفهوم الجهاد عند المتطرفين المعاصرين ، من بينها : تكفير المسلمين و استباحة دمهم و قتل الكفار المستأمنين و المعاهدين.

ولقد اتفق علماء الأمة بإجماع على عدم جواز التكفير بالمعصية سواء كانت قولاً أو فعلاً فلا بدّ من التمييز بين الفعل و الفاعل و القول و القائل ، فقد يكون الفعل و القول كفراً لكن القائل أو الفاعل غير كافر و يقول أبو حامد الغزالي في هذا السياق : " و الذي ينبغي الاحتراز منه "التكفير" ، ما وجد اليه سبيلاً ، فان استباحة الدماء و الأموال من المصلين الى القبلة ، المصرحين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله خطأ ، و الخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم " (الغزالي، ٥١٤٢٤ : ٢٦٩)

أما اجازة قتل الكفار المستأمنين و المعاهدين سواء داخل البلاد الاسلامية أو خارجها بدعوى أنهم ينتمون الى دول اعتدت على بعض بلاد المسلمين كأمریکا ، فهو مفهوم محرّف للجهاد ، ابتدعته القاعدة. (الغصن ، ١٤٣٦ : ٦٢)

<https://www.assakina.com/book/٨٥٠٩٥.html>

و مما لا شك فيه أن هذا القول يتعارض مع النصوص الشرعية التي تُحذّر من عدم الوفاء بالعهد مع الكافر الحربي فضلاً عن الكافر المُسلم (ابن عبد البر ، ٥١٤٢١ : ٣٦/٥) ، قال الله تعالى : " و أوفوا بالعهد انّ العهد كان مسؤولاً" (الاسراء ، ٣٤) و قال : " و أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم" (النحل، ٩١) ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلّم : " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، و ان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً" رواه البخاري (٣١٦٦) ويقول أيضاً : " لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدره فلان " رواه البخاري (٣١٨٦) و الى غير ذلك من الأدلة الشرعية التي تحرم الغدر بالمعاهد . كما يحرم قتل شخص بدعوى أنه يحمل جنسية دولة اعتدت على بلد مسلم ، لأنّ الاسلام لا يُجيز أخذ امرئ بذنوب غيره ، لقوله تعالى : " ولا تزرر وازرة وزرة أخرى " .

أما قول بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة أن كل كافر في هذا الزمان هو في حكم المحارب (البراك ، ٥١٤١٨ : ٨٦) فأصل تحريمه قوله تعالى : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم و لا تعتدوا ان الله لا يُحبُّ المعتدين " (البقرة ، ١٩٠) ، و يُؤوّل بعضهم أحاديث نبوية على غير دلالتها فيستدلون بها على وجوب الجهاد في كل زمان و ان لم تتوفر شروطه ، و منها حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة " رواه مسلم (١٥٦)

و بحديث أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : " و الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يُقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر و لا عدل عادل " رواه أبو داود (٢٥٣٢)

الخاتمة :

إنّ الاسلام اليوم هو أكثر دين يعاني من الأحكام المسبقة و المفاهيم الخاطئة ، و أبرز تُهمة ألصقت به هي أنه دين اراهب و عنف ، أمرٌ يتنافى تماما مع جوهره الداعي الى عدم الاكراه في الدين و الى نبذ العنف ، فمن قتل نفسا بغير حق ، كأنما قتل الناس جميعا و لا يشرع القتال الا لصد اعتداء أو لرد ظلم . أما ظاهرة التطرف الديني فهي ظاهرة عرفتها جميع الديانات عبر التاريخ ، فقد شهد الشرق و الغرب على حدّ سواء جماعات انتهجت الترويع و التقتيل لفرض تصورات و قناعات دينية معينة، حيث ظهرت في الشرق فرقة الخوارج كأول نواة للفكر الباطني و نشأ الفكر الأصولي في الغرب على يد المتطرفين المسيحيين.

ولقد اتّضح لنا أنّ التطرف الديني و الأصولية مصطلحان يتضمنان مفهوما غربيا ، لأنهما استُعْملا لأول مرة كمقابلات لمصطلح Fundamentalism الغربي المنشأ ، و على هذا الاعتبار فهما يندرجان ضمن قائمة المصطلحات العربية التي اقترنت بمفاهيم غربية بحتة مثل العلمانية ، و النضالية ، و الرّجعية ، و الاصلاح ، و العقلانية و غيرها من المفاهيم التي أسقطت على المجتمعات الاسلامية دون مُراعاة الفارق الشاسع بين البيئتين على المستوى الديني و التاريخي و الاجتماعي.

و تُشير ، دائما في اطار فوضى المصطلحات و مفاهيمها ، الى التشويه و التّحريف الذي طال بعض المصطلحات الاسلامية ، على غرار الجهاد و الشريعة بسبب الغلاة المسلمين أنفسهم و كذا الاعلام الغربي الذي روّج لمفاهيمهم الخاطئة عن الاسلام .

ووسط تعدد تعاريف التطرف الديني التي تعكس تيارات مختلفة المشارب الفكرية

و الايديولوجية ، يُمكن تمييز الآراء التالية :

رأي فئة الغلاة، و هم يُؤيدون التطرف لأنهم يرون فيه الاستقامة و دليلا على الالتزام بالتعاليم الدينية

رأي فئة لا تُميز بين التطرف الديني و الدين ذاته فهي اذ تنتقد التطرف تنتقد الدين أيضا سواء بقصد محاربتة أو لاشتباها الأمر عليها.

رأي فئة تنتقد التطرف لأنه مُخالف لتعاليم الاسلام القائمة على الوسطية في الفكر

و العقيدة و السلوك ، و هذا هو الرّأي الذي نعتمده ، و على أساسه نقدّم الاقتراحات التالية قصد مكافحة ظاهرة التطرف الديني :

مضاعفة جهود العلماء السّاعية لتنفيذ حجج المتطرفين و الرد عليها عبر وسائل الاعلام و عبر الندوات و اللقاءات و المحاضرات و خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي .

ادراج دروس تهدف لإصلاح المفاهيم الخاطئة عن الجهاد و الاسلام ضمن المقررات الدراسية في الشرق و الغرب

توعية الشباب حتى لا يقع تحت تأثير الأفكار المتطرفة التي تسري عبر وسائل التواصل الاجتماعي

اخضاع وسائل التواصل الاجتماعي للرقابة

السّعي لتحقيق العدالة الاجتماعية في بعض الدول الغربية أين يعاني المواطنون المسلمون من عدم تكافؤ الفرص في العمل والسكن و غيرها من الحقوق مقارنة بباقي المواطنين بسبب التمييز العنصري ، ما قد يدفع بهم الى التطرف .

العمل على تقليل نسبة البطالة و الفساد في البلاد العربية .

المصادر :

القرآن الكريم

القواميس و المعاجم :

ابن فارس ،أبي الحسين أحمد،(١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة و النشر

و التوزيع، الجزء الرابع

ابن منظور، جمال الدين، (١٩٧٠)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

الجوهري، اسماعيل (١٩٨٤)، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- الفيروز، أبادي، (٢٠٠٥)، قاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر

والتوزيع، بيروت، لبنان

المعجم الوسيط، (٢٠٠٤)، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية.

-Brandon,S.G.F ,(١٩٧٠), A dictionary of comparative religion, WEIDENFELD & NICOLSON ,London.

المراجع باللغة العربية :

ابراهيم ،سعدالدين ، (١٩٨٣)، مصر تراجع نفسها، دار المستقبل العربي، القاهرة.

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم، (٥١٤٠٤)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، الطبعة الأولى .

ابن تيمية، ، أحمد بن عبد الحلیم، (٥١٣٧٢)، مجموع الفتاوى ، الطبعة الأولى ، مطابع الرياض ، المملكة العربية السعودية

ابن حجر العسقلاني ، الحافظ أحمد بن علي ، (٥١٣٨٠) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة ، مصر.

ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٧٨، مقاصد الشريعة الاسلامية، الطبعة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس.

ابن قيم الجوزية ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ١٩٨٣، مدارج السالكين ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني،(د.ت)، سنن أبي داود ، دار احياء السنة النبوية ، توزيع دار الفكر ، مصر

اسبوزيتو ،ال.جون ،٢٠١١، تر. دار النشر للجامعات

اسبوزيتو ،جون ، (١٩٨٩)، "الاسلام والكونغرس: دعوة لمهادنة الاسلاميين"،

تر. أحمد خضر، عوض، مجلة المجتمع،ع.٩١٤، جمعية الاصلاح الاجتماعي، الكويت.

البخاري ، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.

الجابري، محمد، (٢٠٠٣)، موسوعة دول العالم"حقائق و أرقام"، مجموعة النيل العربية

الجهني ، مانع بن حماد ، (٥١٤٢٠)، الموسوعة الميسرة في الأديانو المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، الطبعة الرابعة، مج الثاني، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر والتوزيع

- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام، (١٣٩٨)، سنن الدارمي، دار الفكر، القاهرة، مصر
- العشماوي، محمد سعيد، (١٩٨٧)، الاسلام السياسي، سينا للنشر، مصر
- القرضاوي، يوسف، (٢٠٠٣)، مستقبل الأصولية الاسلامية، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.
- اللويحق، عبدالرحمان بن المعلا، (٢٠٠٥)، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة
- النسائي، أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- النوي، يحيى بن شرف (٥١٣٩٢هـ)، شرح صحيح مسلم، الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان
- آل الشيخ، سليمان بن عبد الله بن محمد، (١٤٠٢)، تيسير العزيز الحميدي شرح كتاب التوحيد، الطبعة الخامسة، المكتب الاسلامي، بيروت
- حسن محمد، وجيه، (٢٠٠٢)، حروب الهوية و مستقبل التفاوض مع الغرب، ط١، مركز نماء للبحوث و الدراسات، بيروت، لبنان.
- حسن محمد، وجيه، (١٩٩٧)، مباريات التفاوض في مواجهة آليات التسلط والتطرف، المكتبة الأكاديمية
- حسنة، عمر عبيد، (١٤٠٨)، فقه الدعوة ملامح و آفاق (مجموعة حوارات مع بعض العلماء)، رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية، قطر
- حسين، طه، (٢٠١٤)، مستقبل الثقافة في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.
- رتيب عبد الحافظ، معمر و سيد محمد، حامد، (٢٠١٦)، تطور مفهوم جرائم الابادة الجماعية في نطاق المحكمة الجنائية الدولية، ط٢، المركز القومي للاصدارات القانونية
- عبوش، أحمد صالح، (٢٠١٥)، انجلترا في عهد أوليفر كرومويل (١٦٤٩-١٦٥٨) "دراسة تاريخية"، المكتب العربي للمعارف
- عمارة، محمد، (٢٠٠٤)، معركة المصطلحات بين الغرب و الاسلام، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر
- قطب، سيد ابراهيم، ١٩٧٨، في ظلال القرآن، الطبعة السادسة، دار الشروق، بيروت، لبنان.
- مارسدن، جورج م.، (٢٠٠٥)، كبنفهم الأصولية البروتستانتية و الايفانجيليكية، تر. نشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية.
- مسلم، بن الحجاج، (١٩٨٠)، صحيح مسلم، رئاسة ادارات البحوث العلمية و الافتاء
- و الدعوة و الارشاد، الرياض المملكة العربية السعودية.
- المراجع الأجنبية
- Barr, James, (١٩٨٨), Fundamentalism, ٣rd ed, Biling & Sons LTD, Worcester, Great Britain.
- Favre, Olivier, (٢٠٠٦), Les églises évangéliques de Suisse : Origines et identités, Labor et Fides .
- UNESCO, (٢٠١٧), La prévention de l'extrémisme violent par l'éducation, Guide à l'intention des décideurs politiques, Paris.
- Ziry, Jean –Pierre, (٢٠١١), Le retour aux sources de l'islam original, LULU
- المواقع الالكترونية :

<http://www.pewforum.org/٢٠١١/٠١/٢٧/the-future-of-the-global-muslim-population>

<https://www.assakina.com/book/٨٥٠٩٥.html>

الفهرس

دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة ظاهرة الارهاب

الملخص

تُعد ظاهرة الإرهاب من الظواهر الخطيرة التي تهدد كيان ونسيج واستقرار المجتمعات الإسلامية الأمانة ، ولها آثارها المدمرة على الأفراد والمجتمعات والدول، وما نحن اليوم نلمس بروز لهذه الظاهرة الخطيرة في كثير من الدول العربية ،من قبل الحركات المتطرفة صاحبة الفكر الضلالي ، فجاءت هذه الدراسة لتركز وتسلط الضوء على دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة ظاهرة الارهاب، والتي تحث على التعامل بالفكر الوسطي المعتدل ، والتعامل باللين والتسامح ، والرفق ، والبعد عن العنف والغلظة والشدة في التوجيه والقول في معالجة ظاهرة الارهاب ، كما تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إيجاد حلول ناجعة وقابلة للتنفيذ على أرض الواقع ، وإيجاد رؤية شاملة في معالجة ظاهرة الارهاب قبل وقوعها ، من خلال الجهود الفكرية ، وإتاحة فرص الحوار والمشاركة، وتجاوز فكرة التنظير إلى حيز التطبيق الذي به نصنع الفارق ، ونحقق الآمال والطموحات المرجوة من هذه الجهود الخيرة من أجل الوصول إلى عالم خالٍ من التطرف والغلو المؤدية الى ظاهرة الارهاب .

إن قضية التصدي لظاهرة الارهاب لا تتم إلا بإحياء دور العقل، ودراسة الظروف الاجتماعية التي ساعدت على تقشي تلك الظواهر، والتعرف على أسبابها، وسبل مواجهتها في ضوء فقه المقاصد الشرعية.

وهنا يأتي دور مؤسسات المجتمع المختلفة في محاربة الارهاب ، وهذا الدور لا بد أن ترعاه الدولة بقوتها وعدتها، ومن هنا حارب أصحاب دعوات الإصلاح على مر التاريخ هذا النوع من التطرف

ومما لا شك فيه أن للمنهج الفكري التوعوي والتربوي والوقائي دور فعال في معالجة آثار الارهاب ، والقضاء على أسبابه ، وتجفيف منابعه ، من خلال الاعتصام بالنصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، والسعي الجاد لتطبيق تعاليم الدين الإسلامي في جميع جوانب الحياة ، والعمل على إحقاق الحق ، ونشر العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع ، والدعوة إلى الوحدة والتضامن ، ونبذ الفرقة والتنازع والافتتال، وإحياء مبدأ وسطية الإسلام في مواجهة التطرف وأشكاله المختلفة، وبناء منظومة أخلاقية مجتمعية للشباب ، وإيجاد حلول اقتصادية لمشكلة البطالة والفقر ، ومن ثم يأتي الدور العلاجي لمعالجة آثار الارهاب ، الذي هو عمل جماعي ومسؤولية مشتركة بين جميع فئات المجتمع ، وليس مقتصر على مؤسسة مجتمعية رسمية وغير رسمية بعينها ، بل الجميع مطالب بالسعي للإصلاح والعلاج في ظل ما تشهده المجتمعات العربية الإسلامية من حركات مطلوبة بالإصلاح والتحرر من القيود الفكرية ، التي أعقبت مرحلة الربيع العربي ، وما أفرزته للناس من أفكار ومبادئ وحقائق تحتاج إلى دراسة وتحليل وتدبر في ضوء النصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة الداعية إلى التسامح والإخاء والرحمة والرفق ، والبعد عن التطرف الذي هو خروج عن الدين الإسلامي بمبادئه السمحة المتمثلة بالوسطية والاعتدال ، والذي من شأنه وقوع الشباب في مزالق الفساد والانغلاق والتشدد والتبعية والتقليد الأعمى .

ومعلوم لدينا أن الإسلام بمبادئه السمحة يُعد منهج حياة متكامل، وضع عدداً من التدابير الوقائية للقضاء على ظواهر الارهاب والعنف، وتجنب الشباب الوقوع في الانجراف في مزالق الفساد والانحلال والانغلاق والتبعية والجهل، المؤدية إلى الارهاب والعنف ، حيث عمل على توفير أسباب الحياة الأمانة المستقرة ، وتهذيب النفوس، وتطهير الضمائر من الأحقاد الدفينة التي تؤدي إلى الكيد بالمسلمين، وقطع أواصر الأخوة الإسلامية ، وزعزعة أمن واستقرار المجتمع الإسلامي ، وتعريض البلاد للفتن والمفاسد والانزلاق في مسالكه المتعددة ، وكما نعلم فإن الشريعة الإسلامية كان لها فضل السبق في تقرير هذه التدابير الوقائية، وأن مواجهة ظواهر الارهاب والعنف ، والتورط في الوقوع فريسة للجماعات المتطرفة تقوم على المنهج الفكري والتوعوي والوقائي ، قبل المنهج العلاجي، المتمثل بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومحاربة البدع ، ومن ثم يأتي الدور العلاجي ، فلا بد أن ندرك أن معالجة آثار الارهاب في بادئ الأمر هي مسؤولية جماعية مشترطة بين جميع سكان المجتمع دون استثناء ، أصحاب قرار ، وعلماء ، ومفكرين ، ودعاة ، ووسائل إعلام مختلفة، وأن الغاية من وراء ذلك المسؤولية ؛ حماية للشباب من الوقوع فريسة في براثن الارهاب ، وتحصيناً لهم ، وحمايةً لأمن البلاد واستقرارها من كل ما يفلق أمنها واستقرارها؛ وانطلاقاً من الواجب الملقى على علماء الأمة الإسلامية في إبراز صورة الإسلام المشرفة الحقيقية ، ودورهم في الاهتمام بالنشء ، وتحصينهم ضد مخاطر الارهاب ، وتشكيل قوة إيمانية ايجابية لدى الشباب ، ورفع كفاءتهم المعرفية والفكرية في هذا المجال ، جاءت هذه الدراسة المتواضعة لتكشف النقاب عن هذا الدور الهام والعظيم لمؤسسات المجتمع المحلي الرسمية وغير الرسمية في

محاربة ظاهرة الارهاب ، وهذه المؤسسات تتمثل بالأسرة والمدرسة والمسجد والجامعة ، والمؤتمرات العلمية والندوات الحوارية والثقافية ووسائل الاعلام المختلفة .

المقدمة :

الحمد لله الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وأخرج من شاء من عباده من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهداية ، فشرع للبشرية أحسن الأحكام ، وحفظ بشريته الدين والنفوس، وصان العقول والأعراض، وحفظ الأموال والمصالح ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الإسلام دين الحق والاعتدال والسماحة والوسطية ، وهو دين ينبذ العنف والتطرف، بشتى أشكاله وأنواعه والمؤدية الى الارهاب ، كما ينبذ كل الممارسات الخاطئة التي من شأنها إبعاد الناس وتفتيرهم من الدين ، وقد كان موقف الشريعة الإسلامية واضح كل الوضوح من ظواهر التطرف والغلو والارهاب ، فقد رفضت كل أنواع التطرف والغلو والتشدد في الدين والمؤدية الى الارهاب ، وعملت على محاربة كل اشكال الارهاب ، وقامت بإزالة الأسباب المؤدية إلى الارهاب ، والحد من انتشاره ، وقد شرع لهم الدين القويم وارشدهم فيه الى الطريق المستقيم ، والخروج عن جادة الحق الى طريق الضلال والانحراف أمر خطير على الافراد والجماعات بصورة عامة ، وقد جاء الإسلام بتعاليمه السمحة، ومبادئه القويمة، ومقاصده العظيمة، ليحفظ للناس دينهم، ويوفر كرامتهم، ويصون لهم حقوقهم وضروراتهم، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وتعد قضية الإرهاب من المشكلات التي طالما لحقت بالمجتمعات لأسباب مختلفة ومتداخلة ، وتتجدد هذه القضية في أوقات بعينها بحدة وعنفوان ، مما قد يتسبب في تدمير بنى المجتمعات وأسس استقرارها ، ولعل عصرنا الحاضر من أكثر العصور التي ابتليت بها المجتمعات بأنواع جديدة من الإرهاب ، لم تشهدا أكثر الفترات التاريخية تطرفاً ، فتركت آثار خطيرة ، لم تنحصر في تدمير البنى الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل أسهمت في احداث هزه حضارية عنيفة امتدت الى الذات والهوية والأصول ، في ظل الظروف الإقليمية والدولية التي اصابت النظام الدولي ،فقد برزت قضية الإرهاب والتطرف في القضايا الدولية المؤثرة في المحيط المحلي والإقليمي ، الامر الذي دفع الكثير من المهتمين لوضع رؤى لكيفية مواجهة هذا الخطر وكيفية ادارة الازمات الإرهابية على مختلف المستويات السياسية والتشريعية والاجتماعية .

ولما كان الإرهاب اعتداء على نفوس الناس وأموالهم – بغير حق – وانتهاك لحرمتهم، وأمنهم ومصالحهم، كان لزاماً أن تتضافر الجهود لمدافعتة والقضاء عليه، صيانة لضرورات الناس، وأمنهم ومصالحهم، وحماية لهم من تبعات الإرهاب الآلمه وشروره، وأن فهم ظاهرة الارهاب يتوقف على معرفة أسبابها وبواعثها، فبتلك المعرفة تتمكن من التحكم فيها، بتبميتها، والمحافظة عليها إن كانت ظاهرة إيجابية، والحد منها، أو القضاء عليها إن كانت سلبية.

وفي عالم معاصر يشهد شداً وجذباً بين الانفتاح والانغلاق، تأتي الحاجة الى إثراء دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في تعزيز الحوار الحضاري لنشر ثقافة قبول الآخر ، مما يسهم في تجفيف منابع الإرهاب ، ولا شك أن البحث في الوسائل والطرق والحلول والتجارب الناجعة والقابلة للتنفيذ على أرض الواقع التي تؤدي إلى معالجة ومكافحة الإرهاب وطنياً، وعربياً، وإسلامياً، ودولياً من الموضوعات الهامة التي يجب أن نوليها عناية كبيرة ، لا سيما في هذا الوقت الذي كثرت فيها الجرائم الإرهابية المنظمة ، والتي هدفت إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والنيل من مقدساته؛ولذا جاءت هذه الدراسة لتبين - يعون الله _ آلية محاربة ظاهرة الارهاب من خلال بيان دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في ذلك ،وقد استعنت بالله تعالى – فمنه العون والتوفيق- وكتبت هذا البحث المتواضع للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي الثالث حوار الحضارات والثقافات الذي تنظمه جامعة الطفيلة التقنية ، وإنني بهذا الجهد المقل، أرجو أن أكون قد وفقت في ردف محاور هذا المؤتمر وخصوصاً المحور الثالث المواجهة وطرق التوجيه بدراسة تسلط الضوء على دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة الارهاب ، والقضاء عليه ، واجتثاث جذوره، بمعرفة أسبابه والقضاء عليها ، وسد المنافذ والأبواب التي تؤدي إلى انتشاره في المجتمعات العربية الإسلامية، ومعلوم لدينا أن الإسلام دين شامل لمناهج الحياة، والذي وضع عدداً من التدابير الوقائية للقضاء على الإرهاب بكافة أشكاله، حيث عمل على توفير أسباب الحياة الأمنة المستقرة ، وتهذيب النفوس، وتطهير الضمائر من الأحقاد الدفينة التي تؤدي إلى الكيد بالمسلمين، وقطع أواصر الأخوة الإسلامية ، وزعزعة أمن واستقرار المجتمع ،وتعريض البلاد للفتن والمفاسد والانزلاق في مسالكه المتعددة ، وتطبيق المنهج الوقائي الإسلامي الوارد في ضوء مضامين رسالة عمان المقتبسة من رسالة الإسلام هو الطريق الأمثل والمنهج القويم للحماية من الوقوع في براثن الإرهاب ، وهو الوسيلة التي بها يتحقق الأمن والأمان للجميع، وكما نعلم فإن الشريعة الإسلامية كان لها فضل سبق في تقرير هذه التدابير الوقائية، وأن مواجهة الجرائم بكافة أشكالها تقوم أولاً : على المنهج الوقائي وأن الغاية من وراء إقرار هذا المنهج الوقائي ؛ تحصين الأفراد من الوقوع فيها ، وحماية

أمن البلاد واستقرارها من كل ما يقلق أمنها واستقرارها ويشوه سمعتها ، ويعرضها للهلاك، والزوال، والدمار، ولا أزع
أن هذه الدراسة جاءت خالية من الهفوات والنقص ، فالكمال لله - سبحانه وتعالى - وحده ، وما كان فيها من صواب فمن الله
وحده الذي وفقني لذلك، وما كان من خطأ، أو نسيان فمن نفسي، ومن الشيطان.

المبحث الأول :

أدبيات الدراسة وإطارها النظري

ويتضمن ما يلي:

المطلب الأول : مشكلة الدراسة ومسوغاتها

تكمن مشكلة الدراسة في بيان الحاجة إلى إيجاد حلول ناجعة وقابلة للتنفيذ على أرض الواقع من أجل مكافحة الإرهاب ،
وإظهار الصورة الناصعة المشرقة للإسلام الذي جاء رحمة للعالمين، وإيجاد رؤية شاملة عملية في معالجة الإرهاب قبل
وقوعه من خلال الجهود الفكرية، وإتاحة فرص الحوار والمشاركة في بناء جسور الثقة بين الناس والحكومات يتحقق بها
الأمن والاستقرار ، و الازدهار والتقدم والرفي للمجتمع على كافة الصعد، وتتبلور مشكلة الدراسة في البحث عن الوسائل
والحلول والتجارب والطرق الناجعة لمكافحة الإرهاب على المستويات المختلفة المحلية، والوطنية، والعربية، والدولية
، والإسلامية في ظل التحديات التي تهدد هوية الأمة العربية الإسلامية ، وتسعى إلى تفريق كلمتها ، والعمل على تشويه
دينها، والنيل من مقدساتها، وأن مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية كان ولا زال لها الدور الكبير في التنبيه إلى
ضرورة التصدي ومواجهة الإرهاب ، والعمل على اجتناب منابعه؛ لتوفير بيئة آمنة مستقرة للمجتمع ، وكل ذلك يتطلب
مناجياً الوعي الكامل بتلك الأخطار والتحديات ، واستيعاب تطورات العصر المتسارعة وتوظيفها في ذلك، حيث يُعد
الإرهاب من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه المسلمين اليوم في ظل الثورة المعلوماتية والتكنولوجية الحديثة،
فالإرهاب خطره يمس الأفراد والجماعات ، فهو يهدف إلى زعزعة استقرار البلاد؛ من هنا كانت المسؤولية جماعية في
التغلب على هذا التحدي الخطير ، الذي يتطلب وضع خطة عملية محكمة ورؤية شاملة قابلة للتنفيذ على أرض الواقع
للقضاء عليه ، وتجفيف منابعه ، وهذا ما رسمته الخطط الاستراتيجية لمؤسسات المجتمع المختلفة في مكافحة الإرهاب ،
حيث قامت بتجلية مفهوم الإرهاب المعاصر وتبين حقيقته ، وتحليل لأسباب هذه الظاهرة، ومحاولة وضع الحلول العملية
التطبيقية الناجعة لمعالجته والقضاء عليه ، باجتناب جنوره، وتجفيف منابعه، ويمكن بلورة مشكلة الدراسة في الإجابة
عن التساؤل التالي : ما هي الوسائل والطرق والحلول والاستراتيجيات الناجعة التي من خلالها يتم مكافحة الإرهاب
وطنيًا ، وعربيًا ، وإسلاميًا، ودوليًا ، من خلال بيان دور مؤسسات المجتمع المختلفة في ذلك؟ ويمكن من خلال ذلك
الوصول إلى توصيات تخدم صانعي القرار السياسي في المملكة والإقليم ، وعلى المستوى الدولي ، وما هذه الدراسة إلا
لتسليط الضوء على هذا الدور، ودراسة الآثار المترتبة على الإرهاب وانعكاساته على المجالات الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية .

المطلب الثاني : أهمية الدراسة ومبرراتها

تتبع أهمية الدراسة من انتشار فكرة الإرهاب في هذا العصر ، حيث لا بد من دراسة هذه الظواهر ، لإيجاد وسائل
وحلول ناجعة لمكافحتها ، والقضاء عليها ، وترجع أهمية الدراسة إلى أن ظاهرة الإرهاب من الظواهر الملموسة في
عصرنا الحاضر، وخاصة في المجتمعات والدول العربية والإسلامية ، وأصبحت من الظواهر التي تهدد أمن واستقرار هذه
المجتمعات، وعلاقتها بالعمل والنهوض نحو التقدم والازدهار ، وتبدو أهمية الدراسة جلية من خلال طرحها للأساليب
العملية والوسائل المناسبة والحلول الكفيلة بمكافحة الإرهاب ومناهضته على كافة الصعد وطنياً ، وعربيًا ، وإسلامياً،
ودولياً، وتجفيف منابعه، كما تبرز أهمية الدراسة في تحديها للمعنى الدقيق المعاصر للإرهاب ، من هنا، فإن المحاولات
الإقليمية، والدولية، والعربية، والإسلامية لدعم عمليات التعاون والتنسيق في مجال مكافحة الإرهاب ، لا تزال في حاجة
إلى مزيد من الدراسات والبحوث ذات الصلة المباشرة بمنع ومكافحة الجرائم الإرهابية المنظمة ، ومن هنا تتحدد أهمية
مثل هذه الدراسة في الإسهام في حل هذه المعضلة ، أو الحد منها ، وخصوصاً أن ظاهرة الإرهاب أصبحت تهدد أمن
واستقرار المجتمعات الإسلامية ، من هذا المنطلق تتضح أهمية بحث هذه الظاهرة ومعالجتها ، لا سيما فيما يتعلق في
الجانب الوقائي والعلاجي معاً، ولعل هذه الدراسة أن تفتح أبواب الدراسة في مسائل مشابهة من خلال اقتراح حلول،
ووسائل كفيلة بمكافحة أشكال الإرهاب المختلفة، كما وتبرز أهمية الدراسة في تناولها للحلول والوسائل التي تعمل على
القضاء على الإرهاب في ظل تقدم التقنيات، وتطور وسائل الاتصالات والمعلومات ، وتحول العالم إلى قرية معلوماتية
صغيرة، لا سيما مع كثرة التحديات اليومية في هذا الجانب، وتأتي هذه الدراسة في إطار الجهود المبذولة لإثراء المكتبة
العربية الإسلامية المعاصرة بالأبحاث والدراسات الأصلية المتعلقة بالإرهاب ، وحاجة المرجعيات الدينية والرسمية

والناس عموماً إلى التعرف على ظواهر الإرهاب ، وكيفية التخلص من آثاره الخطيرة ، واستئصال جذوره ، وتهيئة أجيال واعية مدركة لأهمية الدفاع عن تماسك المجتمع الإسلامي ، وحمايته من الظواهر الخطيرة التي تفتك به .

المطلب الثالث :أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- التعرف على مفهوم الإرهاب المعاصر ، وبيان حقيقته ، وخطورة ربطه بالدين الإسلامي ، والتركيز على تهيئة أجيال واعية لأهمية الدفاع عن تماسك الأمة الإسلامية وحمايتها من الظواهر الخطيرة التي تفتك بها وتشرذمها.

٢- التعرف على دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في التنبيه إلى ضرورة التصدي للإرهاب ، ومحاربهته ، وبيان الوسائل والطرق الكفيلة بذلك، وفق منهج الإسلام القويم، وتوضيح موقف الإسلام الناصع والرافض لقضايا الإرهاب والتطرف.

٣- التوصل إلى استراتيجيات ونتائج وتوصيات علمية وعملية لتعزيز البناء الاجتماعي والديني والتربوي لمكافحة التطرف والإرهاب، وحلول تخدم صانعي القرار السياسي في المملكة والإقليم وعلى المستوى الدولي تُسهم في القضاء على الإرهاب، والتصدي له ، ومناهضته ، وتوفير بيئة آمنة مستقرة للناس ، والعمل على صياغة استراتيجيات وطنية فاعلة لمواجهة الفكر التطرفي ومدلولاته.

٤- إبراز الرؤى المستقبلية من أجل عالم خالٍ من الإرهاب ، والأفكار المتطرفة الضالة ، ومدى أثرها المباشر على الأفراد والمجتمعات الإسلامية، واستشراف آفاق متطلبات القرن الحادي والعشرين ، والتصدي لتحدياته.

٥- من الممكن أن تساعد هذه الدراسة الجهات التربوية، والسياسية، والأمنية ، وتضيف لبنة في برامج الوقاية والعلاج لأشكال الإرهاب المختلفة ، وخاصة في طرح النماذج العملية الواقعية المحلية والعربية والدولية لمكافحة الإرهاب .

٦- محاولة إزالة الضبابية والغموض اللذين يكتنفان مفهوم الإرهاب المعاصر، ووضع توجيهات علمية محددة لمعالجة الإرهاب على مستوى المؤسسات التربوية والعلمية والدينية ، وتحديد بعض الوسائل والاجراءات لعملية لتحقيق ذلك، والتركيز على الشباب في تنفيذ هذه التوجيهات والاجراءات .

٧- رغبتني في بحث موضوع ذو علاقة قوية بالجرائم الإرهابية ، ذو نفع وفائدة للإسلام والمسلمين على وجه العموم .

٨- إبراز الجهود المحلية والعربية والدولية والتجارب الإعلامية والنماذج التطبيقية الواقعية في وسائل وطرق مكافحة الإرهاب، وتقديم بعض التوصيات التي تبرز كيفية القضاء عليه ، والوقوف على الدور الديني، والتربوي، والاجتماعي في التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة.

٩- تبصير الدارسين بضرورة البعد عن الوقوع في مخاطر الانزلاق مسالك الجهل ، والفساد، والانغلاق ، والتبعية، والكتابة في موضوع له مساس بالواقع وحياة الناس؛ لتقوم حياتهم على المحافظة على الدين وحفظ الأمن والاستقرار في البلاد ، من خلال مكافحة الإرهاب بكافة أشكاله .

١٠- إبراز أهمية وضع واعداد رؤية ورسالة لمؤسسات المجتمع المختلفة تقوم على نشر روح التآلف والتآخي بين افراد المجتمع ، ونشر الأمن بين افراده والعمل على محاربة ظواهر واشكال الإرهاب المختلفة، واتخاذ الوسطية منهجاً في الحياة بعيداً عن التطرف والغلو والتشدد .

١١- وضع توجيهات علمية محددة لمعالجة ظاهرة الارهاب ، على مستوى مؤسسات المجتمع المختلفة ، وتحديد بعض الوسائل والاجراءات العملية لتحقيق ذلك ، من خلال التركيز على العنصر الشبابي في هذه التوجيهات والاجراءات المنهجية .

١٢- وضع خطة عمل استراتيجية استشرافية لتجفيف منابع الإرهاب حتى يتم عزلها عن أن تكون معول هدم للامة والحضارة ، والمعالجة الفكرية للإرهاب حتى تتواكب وتتضافر المعالجة الفكرية مع مكافحة الأمنية في اقتلاع جذوره واستئصال شأفته ، وتجفيف منابعه .

رابعاً: أسئلة الدراسة

يمكن صياغة أسئلة الدراسة في الإجابة عن التساؤل العام الرئيس التالي:

ما هو دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة الارهاب ؟

ويتفرع عن هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية منها :

التعريف بالإرهاب المعاصر ؟

المطلب الخامس : فرضيات الدراسة

تنطلق فرضيات من خلال محاولة الاجابة عن التساؤلات السابقة ، مع محاولة المحافظة على الانسجام بين هذه التساؤلات.

المطلب السادس : مفاهيم الدراسة والمصطلحات المتعلقة بها

" إن تحديد المفاهيم في أي بحث من البحوث يعد من العناصر المهمة والأساسية للبحث؛ لأن الباحث عندما يحدد ويعرف المفاهيم التي يتناولها في بحثه بدقة منذ البداية يستطيع أن يعبر عن الفكرة التي يريد التحدث عنها بصورة محددة وبرؤية واضحة تساعد الآخرين على فهم ماذا يريد قوله " (١).

يعتبر تحديد المفاهيم والمصطلحات من الخطوات المنهجية التي يجب على الباحث أن يوليها أهمية كبرى في أي طرح علمي؛ ذلك أن هذا الأمر يُعد حسب أحد الباحثين " أمراً في غاية الأهمية؛ إذ بدون سندور مع المؤلفين والمخالفين في حلقة مفرغة ، ولا نستطيع أن ننطلق من مفاهيم واضحة نتفق عليها للوصول إلى حل أي مشكلة " (٢).

ويعتبر تحديد المفاهيم أمر لا غنى عنه في أي بحث علمي، أو أية دراسة علمية، والمفاهيم التي نود التوقف عندها باختصار لا تعدو أن تكون سوى جملة المفاهيم المكونة لعنوان الدراسة ، والحديث عن ضبط المفاهيم لم يُعد ترفاً فكرياً بقدر ما صار يعبر عن ضرورة منهجية ملحة.

المطلب السابع: الدراسات السابقة وموقع الدراسة منها

وبعد الجولة الاستقرائية في الكتب والرسائل الجامعية ذات العلاقة بموضوع بحثنا تبين أنه لم يوجد حسب علم الباحث دراسة سابقة انفردت بدراسة هذا الموضوع ،

في حدود علم الباحث واطلاعه المتواضع ليس هناك دراسة علمية تركز بالتفصيل على بيان دور مؤسسات المجتمع المختلفة في محاربة الارهاب والتصدي له، والتشاركية بين هذه المؤسسات في القيام بهذا الدور الهام والايجابي ، والتميز في توزيع المهام والأدوار بين هذه المؤسسات ، وعدم التضاد بينها في التوافق في الرؤى والرسالة والادوار المشتركة ، والتي من شأنها بناء مجتمع خالي من ظواهر الارهاب، واجتثاث منابعه، مع أن الدراسات السابقة حول هذا الموضوع قليلة، فإنه لا يعدم الباحث عن مسائل هذا الموضوع أن تجد بعض الدراسات التي يمكن الاسترشاد بها والبناء عليها ، سواء أكانت موافقة لها ، أم مخالفة في موضوعها ، أو نتائجها، ومن هذه الدراسات _ التي كانت بمثابة الدراسات الاستطلاعية للباحث، حيث تعرف من خلالها على المنطلقات النظرية لتلك الدراسات، والنتائج التي توصلت إليها؛ للاستفادة منها في الأطر النظرية والمنهجية، وتفسير النتائج للدراسة ومقارنتها بما خلصت إليه هذه الدراسات من نتائج وتوصيات ، ومن هذه الدراسات التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال: الدراسة الاولى بعنوان

دور المدرسة في مقاومة الارهاب والعنف والتطرف وهي بحث للدكتور عبد الله بن عبد العزيز اليوسف على موقع السكينة ، تركز على دور المدرسة في مقاومة العنف والارهاب والتطرف ، ولم تفرد احدى هذه الظواهر بالبحث دون الأخرى ، بل بحثتها جميعها ، ولم يتعرض هذه الدراسة لدور المؤتمرات العلمية والندوات وورش العمل والمنصات الفكرية والثقافية ومجتمعات التعلم ووسائل التواصل الاجتماعي في هذا المجال وهو مكافحة الارهاب ، وهذا الفارق بين هذه الدراسة ودراسة اليوسف والمنشورة على موقع السكينة الالكتروني ، وأما الدراسة الثانية في هذا المجال فهي : بحث مقدم لمؤتمر دور الجامعات في التصدي للإرهاب ، المنعقد في جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، لعاطف مصطفى ، وهو يركز على جهود رابطة الجامعات الاسلامية في مواجهة الارهاب ، ويفترق عن هذه الدراسة من وجوه عدة .

(١) أركان أونجل. أساليب البحث العلمي: دراسة مفاهيم البحث لأخصائي العلوم الاجتماعية ، ترجمة حسن ياسين ومحمد نجيب، معهد الإدارة العامة، الرياض ، ١٩٨٣ م ، ص(٥).

(٢) محسن عبد الحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط١، ١٩٨٤م، ص١٧.

وما يميز هذه الدراسة عن سابقتها أنها ركزت بصورة مفصلة على إبراز دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة الإرهاب، المتمثلة بالأسرة والمدرسة والجامعة والمسجد ووسائل الاعلام والمؤتمرات العلمية والندوات والمنتديات والمنصات العلمية ومجتمعات التعلم وورش العمل، ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، وبيان نقاط التوافق بينهم في هذا الدور، والتركيز على بناء منظومة تشاركية تقوم على توحيد الرؤى والرسالة في التصدي لظواهر الإرهاب ومعالجتها معالجة سليمة وفق منهج إسلامي معتدل متوازن يراعى متطلبات الروح والعقل والجسد، واطهار لدور المؤتمرات والندوات والمنصات الفكرية ومجتمعات التعلم وورش العمل ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة في مناهضة الفكر الظلامي ومعالجة ظاهرة الإرهاب.

المطلب الثامن : المنهجية المتبعة في الدراسة وخطتها

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي النقدي باعتباره منهجاً يقوم على تتبع جزئيات الموضوع من مضائها الأصلية، وتتبع الأدوار التي تقوم بها مؤسسات المجتمع في محاربة الإرهاب، وتحليل لهذا الدور وبيان نقاط التشابه والتوافق والتشارك بينها، وفق الخطط القائمة على توحيد الرؤية والرسالة لكل منهما، ووضع مؤشرات مستقبلية لمواجهة ومناهضة ظاهرة الإرهاب بمختلف أشكاله، بالتركيز على منهج الوسطية والاعتدال كمنهج أصلي يكون مانعاً دون انتشار هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمعات، والتركيز على مدى قدرة مؤسسات المجتمع المختلفة في توظيف الخطاب الديني المتوازن بين الاصاله المعاصرة وبين توظيف هذا الخطاب في مخاطبة العقول، وتوجيه السلوكات والتطبيق العملي وايجاد صيغ توافقية وتشاركية وتعاونية بين هذه المؤسسات لمعالجة الإرهاب، وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وثلاث مباحث، وخاتمة على النحو الآتي: المقدمة، المبحث الأول: أدبيات الدراسة وإطارها النظري، ويتضمن ما يلي: مشكلة الدراسة ومبرراتها، وأهميتها ومسوغاتها، وأهدافها، وأسئلتها، وفرضيات الدراسة، ومفاهيم الدراسة والمصطلحات المتعلقة بها، والدراسات السابقة، وموقع الدراسة منها، والمنهجية المتبعة في الدراسة، وخطتها، والمبحث الثاني: التعريف بالإرهاب المعاصر وبيان حقيقته، والمبحث الثالث: دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة الإرهاب المتمثلة بالأسرة والمسجد والمدرسة والجامعة ووسائل الاعلام المختلفة والمؤتمرات العلمية والندوات الحوارية واللقاءات الموجهة والورش التعليمية والثقافية ومجتمعات التعلم والمنصات التعليمية والمنتديات الفكرية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، ثم ختمت بخاتمة أودعتها أهم النتائج والتوصيات التي خلصت إليها من خلال هذه الدراسة، راجياً أن تكون هذه الدراسة إسهاماً متواضعاً في تجلية دور المؤسسات المجتمعية في محاربة الإرهاب، وأرجو أيضاً أن تكون إسهاماً متواضعاً في مؤتمر حوار الحضارات والثقافات، والذي أرجو له النجاح في تحقيق الأهداف المتوخاة من عقده، كما وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق القائمين عليه، وأن يجعل جهودهم في إنجاحه في صحائف أعمالهم يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الثاني:

التعريف بالإرهاب وبيان حقيقته

توطئة :

تعد ظاهرة الإرهاب من أكثر القضايا إثارة للجدل والاهتمام من قبل النخب الفكرية، فنمو هذه الظاهرة، وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة، ربما لم تكن موجودة من قبل يدعونا إلى قراءة أكثر عمقاً بعيداً عن التبسيط الذي قد يخل بالتحليل الدقيق لتلك الظاهرة التي تُعد من الظواهر الخطيرة التي يعاني منها العالم اليوم في مختلف أقطاره، فكان لا بد من تجلية هذه الظاهرة للدارسين والقراء الكرام للتعرف على مفهومه، وبيان وسائل مكافحته وطنياً، وعربياً، وإسلامياً، ودولياً، وبيان الجهود الحثيثة المبذولة في محاربة الإرهاب في هذا المجال الهام.

ويمكن القول إن الإرهاب ومشتقاته في القرآن الكريم، والسنة النبوية، واستخدامات الفقهاء تدل على معانيه اللغوية المشهورة والمتمثلة في الخوف، والرعب، والفرع، والقلق.

وقد بذل العلماء والمفكرون جهوداً مضيئة في تعريف الإرهاب؛ لإزالة اللبس والخلط بينه وبين مفهومي الجهاد والمقاومة

الإرهاب في عرف أهل اللغة :

الإرهاب لغة: يطلق على الشعور بالخوف، والفرع، والقلق، والإزعاج (١).

تعتبر كلمة "الإرهاب" إلا مشتقة من الفعل المزيد "أرهب"؛ ويقال "أرهب فلانا": أي خَوْفه وفَزَعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف "رَهَبَ"، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو "رَهَبَ"، "يُرْهَبُ" "رَهْبَةً" "وَرَهْبًا" "وَرَهْبًا" فيعني خاف، فيقال: "رَهَبَ الشيء رهبا ورهبة" أي خافه. و"الرهبة: الخوف والفرع(٢).

وقد أطلق مجمع اللغة العربية في معجمه الوسيط على الإرهابيين أنه وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق أهدافهم (٣)، والإرهاب مأخوذ من رهب بالكسر، يرهب، رهبة، رهبا، وهو بمعنى خاف مع تحرز واضطراب (٤)

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: " رهب الرء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة، فالأول الرهبة، تقول: رهبت الشيء رُهْباً، وَرَهْبَةً، ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْعُ الإبل من الحوض، وذِيادُهَا، والأصل الآخر الرَّهْبُ، الناقاة المهزولة " (٥).

ويتضح مما تقدم: أن المعاجم اللغوية القديمة لم تذكر فيها كلمة الإرهاب، لأنها من المصطلحات المستجدة في هذا العصر، كما يتضح اتفاق المعاجم العربية القديمة والحديثة على معنى الخوف، ولكن تفتقر المعاجم العربية القديمة في أن الخوف يصاحبه الاحترام، والمهابة، أما المعاجم الحديثة فإن الخوف فيها يصاحبه الفرع والقلق، وهذا يدل على تطور معنى هذا المصطلح فكرياً وسياسياً وتكنولوجياً حسب مقتضيات العصور ومستجداتها.

كما أن الظاهر في المعاجم اللغوية القديمة أن الرعب هو الخوف الشديد والهلع والفرع، وهذا الخوف الشديد – من التهديد، أو القتل، أو الاضرار – ينتج من الأفعال التي ترتكبها الجماعات الإرهابية في هذا العصر، وهذا الخوف والرعب بمشتقاتها المتعددة لم يستعمل في العصور السالفة للدلالة على تخويف الإنسان إلا في حال الحرب فقط، لذا لم يكن مصطلح الإرهاب معروفاً قديماً بمحتواه المعاصر اليوم، ولكن المعاجم اللغوية الحديثة أقرت كلمة الإرهاب التي تعني الرعب، والخوف الشديد، وتعارف الناس على استعماله بهذا المعنى.

الإرهاب ومشتقاته في القرآن الكريم:

وردت العديد من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الإرهاب بلفظه المتعارف عليه شرعاً، فلقد أطلق لفظه رهب وما اشتق منها في القرآن الكريم على معان، منها: الخوف والفرع، ومنه:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى:

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج، دار صادر،

بيروت، ط١، (١٣٠٦هـ)، ج٢، ص٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، الرازي، محمد بين أبي بكر، مختار الصحاح، دار عمار،

بيروت، ط٥، ٢٠٠١م، ص١٣٤، الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد

الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، مادة رهب، ج١، ص١٤٠، الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب،

النكت والعيون الشهير بتفسير الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر، مراجعة عبد الستار أبو غدة، مطابع مقهوي،

الكويت، ط١، ١٩٨٢م، ج٢، ص١١١.

(٤) ابن منظور "أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم"، لسان العرب، دار صادر، ودار بيروت: بيروت، ط١، ١٩٥٥م

/ ١٣٧٤ هـ، المجلد الأول، ص٤٣٦.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م، ج١، ص٣٧٦.

(٤) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، مادة رهب، ص١١٨، الفيروز

آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ج٣، ص١٠٠.

(٥) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الإسلامية،

بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج٢، ص٤٠١، مادة رهب.

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (٤).

ويقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية : " يعني تُخيفون به عدو الله وعدوكم من الكفار وقريش وكفار العرب " (٥).

ويضيف ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : " (تُرْهِبُونَ) أي تخوفون، (بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) أي من الكفار " (٦).

والإرهاب في ضوء الشرع : تخويف الأعداء من خلال إحداث الخوف والرهبة في نفوسهم ليمتنعوا من إيقاد نار الحرب والإفساد في الأرض ، وهذا يختلف تماماً عن معنى الإرهاب الشائع في الوقت الحاضر، وسيوضح المعنى أكثر من خلال تفصيل مشتقات لفظ الإرهاب في ضوء القرآن والسنة .

تعريف الإرهاب في السنة النبوية :

لم يرد لفظ (الإرهاب) في السنة النبوية، وإنما ورد لفظ (الرهبية) بمعنى الخوف في بعض الأحاديث، ومنها حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ أوصى رجلاً فقال: (إذا أردت مضجعتك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك) (٧).

ومن السنة النبوية وردت لفظة الرعب ، والإشارة بالسلاح، وجميعها تأتي بمعنى الإرهاب ، الذي يعني الخوف والترويع ، والفرع، وقد وردت في السنة في قوله صلى الله عليه وسلم : ((من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)) (٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ونصرت بالرعب مسيرة شهر)) (٩).

ويمكن القول إن الإرهاب ومشتقاته في القرآن الكريم، والسنة النبوية ، واستخدامات الفقهاء تدل على معانيه اللغوية المشهورة والمتمثلة في الخوف، والرعب ، والفرع ، والقلق .

وقد بذل العلماء والمفكرون جهوداً مضمّنية في تعريف الإرهاب ؛ لإزالة اللبس والخلط بينه وبين مفهومي الجهاد والمقاومة ، وفيما يلي أبرز هذه التعريفات :

(١) سورة البقرة، آية ٤٠ .

(٢) سورة الأعراف، آية ١١٦ .

(٣) سورة الأعراف، آية ١١٦ .

(٤) سورة الأنفال، آية ٦٠ .

(٥) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تحقيق سالم البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٨، ص٦٠ .

(٦) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ، **تفسير القرآن العظيم**، علق عليه وخرج أحاديثه هاني الحاج، وروجعت أحاديثه على كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٤٦ .

(٧) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، في كتاب (الوضوء) ، باب (فضل من بات على الوضوء) ، ج٢/ص٤٥ ، ط عام ١٩٨٧م ، دار ابن كثير .

(٨) صحيح البخاري، رقم الحديث ٧٠٧٢، ص٨٢٣، كتاب الفتن ، باب من حمل علينا السلاح فليس ، صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٦١٦، ص٦١٥، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم .

(٩) صحيح البخاري، رقم الحديث ٤٣٨، ص٥٨، كتاب الصلاة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : جعلت لي الأرض

مسجداً وظهور ، صحيح مسلم، رقم الحديث ٥٢١، ص١٢٠، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً .

١- يرى محمد محب الدين أن: "الإرهاب يكمن في حالة الرعب التي تمكن فاعلها من فرض سيطرته لتحقيق هدف معين، وليست الوسائل المستخدمة والقادرة على إحداث هذه الحالة من الرعب إلا عناصر مكونة للإرهاب ، فكل الوسائل في السلوك الإرهابي تسعى إلى نشر الخوف وإشاعة الرهبة بقصد تحقيق هدف معين " (١).

٢- يُعرف عبد العزيز سرحان الإرهاب بقوله: " كل اعتداء على الأرواح والممتلكات العامة والخاصة بالمخالفة لإحكام القانون الدولي بمصادره المختلفة " (٢).

٣- عرفه صلاح الدين عامر بأنه: " الاستخدام المنظم للعنف لتحقيق هدف سياسي وبصفة خاصة جميع أعمال العنف التي تقوم منظمة سياسية بممارستها على المواطنين لخلق جو من عدم الأمن " (٣).

٤- يرى عبد الوهاب حومد أن "الإرهاب " : مذهب يعتمد للوصول إلى أهدافه على الذعر والإخافة، وهذا المذهب ذو شقين، شق اجتماعي يرمي إلى القضاء على نظام الطبقات القائم بمجموعه وتحت مختلف أشكاله فيكون النظام الاجتماعي بمجموعه هدفاً مباشراً له، وشق سياسي يهدف إلى تغيير أوضاع الحكم رأساً على عقب، ولا يتردد في ضرب ممثلي الدولة لضرب الدولة ذاتها"(٤).

٥- عرفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه: " العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول بغياً على الإنسان : دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه " ، كما أكد العلماء أن تعريف الإرهاب " يشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد " . . . ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم للخطر(٥) .

٦- عرفته دائرة المعارف الحديثة بالقول: " الإرهاب من الوسائل التي يستخدمها الحكم الاستبدادي لإرغام الجماهير على الخضوع والاستسلام لها، وذلك بنشر الذعر والفرع بينها " (٦) .

٧- عرفه الدكتور أحمد عز الدين بأنه: "استراتيجية عنف منظم ومتصل من خلال جملة من أعمال القتل والاعتقال، وخطف الطائرات، واحتجاز الرهائن، وزرع المتفجرات، وما شابه ذلك من أفعال، أو التهديد بها؛ تهدف إلى خلق حالة من الرعب العام، وذلك بقصد تحقيق أهداف سياسية " (٧) .

٨- في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية يعني الإرهاب :

" بث الرعب الذي يثير الجسم أو العقل ، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف .

وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص، سواء كانوا أفراداً، أو ممثلين للسلطة، ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة " (٨) .

- وعرفه (جونز برج) Ginsburg بأنه " الاستعمال العمدي للوسائل القادرة على إحداث خطر عام يهدد الحياة أو السلامة الجسدية أو الصحية أو الأموال العامة " (٩) .

ويوجد العديد من التعريفات التي عرفت الإرهاب ، وهي كثيرة ويضيق المقام عن ذكرها ، أو حصرها ، وهي مع كثرتها تتقارب في الأفكار وتتفاوت في الألفاظ ، وإن كانت لا تتعارض فيما بينها، بل يكمل بعضها بعضاً.

(١) محب الدين ، محمد ، الإرهاب في القانون الجنائي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، (د.ط.)، (١٩٩٤م)، ص ٨١.

(٢) سرحان ، حول تعريف الإرهاب الدولي وتحديد مضمونه ، دار النهضة العربية ، مصر ، مجلد ١٩٧٣، ٢٩٠م، ص ١٧٣.

(٣) عامر ، صلاح الدين ، المقاومة الشعبية للإرهاب الدولي ، مجلة السياسية الدولية ، العدد ٨٥ ، ١٩٨٦م، ص ٢٤.

(٤) حومد، عبد الوهاب، الإجراء السياسي، بيروت، دار المعارف، (١٩٦٣م)، ص ٢٢١.

(١٩) زكي علي أبو غضة ، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر ، ٢٠٠٢م، ص ٣

(٢٠) احمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة، مكتبة الانجلو الأمريكية، ط٢، ١٩٧٥م، ج ١/ص ٦٧.

(٢١) د. أحمد عز الدين ، مكافحة الإرهاب، مطابع دار الشعب ، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ٦.

(٨) أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (بيروت : مكتبة لبنان ، ط١، ١٩٧٧ م) ، ص ٤٢٣ .

(٩) عبد العزيز مخيمر عبد الهادي ، الإرهاب الدولي (القاهرة : دار النهضة العربية ، ط١، ١٩٨٦ م) ، ص ٢٤ .

وخلاصة القول يُعد تحديد مفهوم الإرهاب من القضايا التي تشكل تحدياً أكبر من ظاهرة الإرهاب نفسها، وقد أخذ الإرهاب حيزاً كبيراً من اهتمام العلماء والباحثين والمفكرين؛ لما تشكله هذه الظاهرة الخطيرة من خطر جسيم وآثار مدمرة على الفرد والمجتمع، ولما تخلفه من ضياع للأمن، وتهديد للاستقرار، وتدمير للممتلكات العامة والخاصة، وانتهاك للحرمان والأعراض، وتدنيس للمقدسات، وقتل للأبرياء، وخطف للمدنيين المسالمين، وتهديد لحياة الكثير منهم.

ويوجد العديد من التعريفات التي عرفت الإرهاب، وهي كثيرة ويضيق المقام عن ذكرها، أو حصرها، وهي مع كثرتها تتقارب في الأفكار وتتفاوت في الألفاظ، وإن كانت لا تتعارض فيما بينها، بل يكمل بعضها بعضاً، وما يلحظ على الإرهاب أنه مصطلح حديث اختلف فيه إلى حد التضاد، فلقد كثرت تعاريفه، وتنوعت أشكاله وصوره؛ تبعاً لمنابعه وأسبابه، ويقول الدكتور قطب مصطفى سانو في التأكيد على ضرورة ضبط أهداف الإرهاب ضبطاً دقيقاً ومحكماً؛ للوصول إلى حلول ناجعة وقابلة للتنفيذ على أرض الواقع لمكافحة؛ ولضبط معناه، وبالتالي الحكم عليه: "إن ضبط أهداف الإرهاب ضبطاً محكماً من شأنه ضبط حكمه في المنظور الشرعي، وفي المنظور القانوني، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ضبط حكمه تحليلاً وتحريماً ما لم يتم ضبط الأهداف والغايات من ورائها، وما لم يتم تحديد موقع المُرهب في منظومة الأمان في المنظور الشرعي وفي المنظور القانوني" (١).

المبحث الثالث :

دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة الإرهاب المتمثلة بالأسرة والمسجد والمدرسة والجامعة ووسائل الاعلام المختلفة والمؤتمرات العلمية والندوات الحوارية واللقاءات الموجهة والورش التعليمية والثقافية ومجتمعات التعلم والمنصات التعليمية والمنتديات الفكرية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة

ومما لا شك فيه فإن معالجة ظاهرة الإرهاب تقتضي تجاوز المعالجات الامنية إلى معالجات فكرية وعلمية دقيقة؛ لذا كان لا بد من تحديد مفهوم الإرهاب بشكل دقيق، وضبط ومناقشة المفاهيم الشرعية التي يركز عليها الإرهاب، وتحديد للمحاذير التي يجب الوقوف عليها عند معالجة هذه الظاهرة، ومناهضتها، وتحديد وسائل المواجهة وادواتها، ومعلوم لدينا أنه لمعالجة ظاهرة الإرهاب لا بد من التعرف على ماهيته، وسبب ظهوره، وغاياته، وإلا فلن تستطيع الوصول الى المعالجة في وقتها المناسب، والمعرفة بهذا الشيء هو من باب الحماية والوقاية منه، وهي السبيل لمواجهته بعد التسلح والتزود بالعلم والمعرفة والدراية القائمة على المنهج الاسلامي الوسطي المعتدل.

ولا يمكن اغفال دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية مجتمعة مع بعضها البعض في الدور والواجبات والمسؤوليات والتبعات في معالجة ومناهضة ظاهرة الإرهاب، ولقد يتبادر الى ذهن الملاحظ ان سبب تسمية هذه المؤسسات رسمية وغير رسمية، عامة وخاصة، والتمييز بينها، فالأصل أن الدور الشمولي الذي تقوم به هذه المؤسسات لم يعد الدور نفسه الذي تقوم به حالياً، فنحن في عصر يتسم بالسرعة والتطور والتنامي والتخصصية والتكنولوجية الهائلة والمعلوماتية، والتنوع في النظريات والعلوم الانسانية والعلمية، وتوزع هذه المؤسسات التي دخلت في منافسة فيما بينها، من خلال تشخيص الظواهر الاجتماعية والفكرية والانسانية؛ من أجل ذلك دعت الضرورة والحاجة الى لزوم الدور المحوري لهذه المؤسسات في التناسب والتوازن والتكامل والتضامن والتعاون والتشاركية بين هذه المؤسسات لمعالجة ومناهضة ظاهرة الإرهاب، والخلوص لأنسب الحلول الممكنة في سبيل تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وتوفير سبل العيش الأمان للأفراد والمجتمعات.

فالأصل في الشريعة الاسلامية أنها مؤسسة على أصل واحد وهو الاعتدال والتوازن والتوسط الذي تنفرع منه كل أوصافه، ولعل أهمها صفة السماحة التي جعلت أول أوصاف الشريعة الاسلامية، فلقد اتفق العلماء على أن "قوام الصفات الفاضلة الاعتدال؛ أي التوسط بين الإفراط والتفريط؛ لأن ذنبك الطرفين يدعو إليهما الهوى الذي حذر الله تعالى منه في مواضع كثيرة" (٢)، كما عُدت السماحة واللين والرفق والبعد عن العنف والشدة في القول والفعل محددة تحديداً دقيقاً من حيث كونها لا تفضي إلى ضرر، أو فساد، وذلك لحكمة ذكر محاسنها العلامة ابن عاشور إذ يقول: "إن حكمة السماحة في الشريعة الاسلامية أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجيلة، فهي كائنة في النفوس سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والاعنات، قال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۗ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا" (النساء، آية ٢٨)، ولقد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الاسلام شريعة عامة دائمة، فاقترض ذلك أن

(٤) سانو، قطب مصطفى، في مصطلح الإرهاب وحكمه قراءة نقدية في المفهوم والحكم من منظور شرعي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ص ١٤، ١٢٠-shamela.ws/browse.php/book-120

(٢٨) ابن عاشور، الطاهر، مقاصد الشريعة الاسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الاردن، ط ٣، ٢٠١١م، ص ٢٦٨

يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً ، لا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الاعنات ، فكانت بسماحتها أشد ملاءمة للنفس ؛ لأن فيها راحة النفس في حالي خويصتها ومجتمعها " (١).

وقيل بيان معالجة ومناهضة ظاهرة الارهاب لا بد من التأكيد على أن إتباع الوسائل الوقائية المتمثلة بالاعتصام بكتاب الله ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومحاربة البدع ، والبعد عن الشبهات، وتحصين العقل بالفكر الوسطي والتي من شأنها منع انتشار التطرف في المجتمعات ، وهي مهمة الدعاة ، والعلماء، والمفكرين، والخطباء ، ووسائل الإعلام المختلفة ، والمتمثلة في تحذير الناس، وتوعيتهم من التورط في أعمال العنف ،والارهاب بكافة أشكاله، والتوجه نحو عمل الخير لمصلحة المسلمين، وغرس قيم الحق والفضيلة في نفوس الشباب ، وتوجيه طاقتهم نحو العمل الذي يوصل إلى الإنتاج ، والتقدم ، والازدهار ،وتوجيه إمكانات وموارد المجتمع لخدمة هؤلاء الشباب ؛ لتجنيبهم مزالق الفساد ، والانغلاق، والتبعية ، وربما هذا السؤال يحتاج إلى نظرة مستقبلية في القوانين والأنظمة التي تنظم العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات ،والتركيز على إعطاء العلماء دورهم في التوعية الدعوية ، ومنح الأفراد حقوقهم ، وعدم التمييز بينهم ، والقضاء على الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب .

وإذا ما نظرنا إلى الارهاب كمشكلة، ومعضلة ، وظاهرة خطيرة تستوجب الحلول العملية لها، وإيجاد العلاج الناجع لها ، فإن معالجة هذه المشكلة والظاهرة الخطيرة تكمن في معالجة أسباب نشوئها وانتشارها، من خلال : تكاتف جميع جهود مؤسسات الدولة والمجتمع المحلي الرسمية وغير الرسمية في ذلك ، وخصوصاً أن الارهاب بكافة أشكاله ليس جديداً ، إلا أن تطورات العصر وظروفه ومستجداته المتسارعة ، وتقدم وسرعة المعلومات والاتصالات وتدفقها، تُعد أسباباً لما أصبح عليه الارهاب من ظاهرة خطيرة ،تمس جميع فئات المجتمع دون استثناء.

وبدئ ببدء لا بد من التسليم بوجود ظاهرة الارهاب في المجتمعات العربية الإسلامية ، والتعامل معها كواقع مؤلم ، تحتاج إلى معالجة واقعية عملية ، وخطط محكمة ، وقيل الولوج في ذلك ينبغي الشعور بوجود هذه الظاهرة ، فمتى وجد هذا الشعور والإحساس كان ذلك من الدلائل على إمكانية الوصول إلى العلاج الناجع ، فأول الخطوات في هذا الاتجاه البحث عن الأسباب الداعية إلى الارهاب ، والتعرف عليها ، وتحليلها ودراستها في ظل الواقع والإمكانات المتاحة ، فمن غير معرفتها يصعب إيجاد العلاج، وبتفاوت أشكال الارهاب وتنوعه ، يتطلب ذلك تفاوت في السبل في معالجته ، ويحتاج إلى خطوات أكثر ، وخطط متنوعة في العلاج ، ويتطلب أيضاً رصد لحالات وأشكال الارهاب من أول ظهورها؛ كي يسهل معالجة آثارها .

١- دور الاسرة :

تُعد الاسرة اللبنة الأولى، والنواة الصغيرة في بنيان المجتمع وبيئته الاجتماعية ؛لأن الإنسان يولد ويتطبع بطبائعها ، وتنغرس في نفسه بذور الخير والفضيلة ،أو الشر والرذيلة وهو في أكنافها ، ثم يخرج إلى المجتمع صورة حقيقية عن أسرته وتربيته الأولى ، فإذا ما قامت الاسرة _ ممثلة بالوالدين في دورهما في تربية الأبناء تربية ايمانية سليمة ، تقوم على أساس الحب والمودة والرحمة ، منهجها النبع الصافي كتاب الله ، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وغرس قيم الفضيلة والاخلاق الفاضلة في نفسه، وابعاده عن مسالك الشر والزيغ ومزالق الفساد والتبعية والانغلاق والتقليد الأعمى ،وتعليمه العلوم الشرعية المستمد من القرآن والسنة _ حققت الاسرة السعادة للأبناء في دنياهم وأخراهم، وعاد ذلك على المجتمع بالنفع العام ، وتجنبيه المضار والمفاسد ،والمآسي جراء التهور وعدم التعقل وتحكيم الشرع والعقل فيما يصدر منه من تصرفات وسلوكات ، وقد عدّ الامام الغزالي قلب الطفل صفحة بيضاء قابلة للنقش والتشكيل، وإن الأسرة-متمثلة بالوالدين-تقوم بهذا الدور، وفي ذلك يقول: "الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له" (٢)، ويتمثل الدور الهام والعظيم الذي تقوم به الأسرة تجاه أبنائها في وقاية الأبناء من الانحراف، والانجراف وراء الاهواء ، والشبهات ، والانخراط في صفوف الجماعات الضالة والمنحرفة والارهابية الخارجة عن منهج الاسلام المعتدل ، والتورط بالأعمال العدوانية والتخريبية للأفراد والمنشآت العامة ،ولا يقتصر هذا الدور الأسرة على توفير سبل العيش الرغيد ورفاهية الحياة ، بل إن دورها يتعدى إلى التربية والتهديب والنقويم والتعديل والتوجيه للطفل ،وتعويده الانماط السلوكية الحسنة ، والاسلام يدعو الوالدين إلى ضرورة المساواة بين الأبناء ذكوراً وإناً دون أي اعتبار، فهم في الحب

(٢٩) ابن عاشر ، مقاصد الشريعة الاسلامية ، ص ٢٧١

(٣٠) الغزالي ، محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٣٧٣ هـ ، ج ٣ /ص ٧٢ .

(٣١) اخرج البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الاشهاد في الهبة ، حديث رقم ٢٤١٠ ، ج ٦/ص ٥١٤

سواء، وعدم تفضيل بعضهم على بعض، أو التمييز بين الذكور والإناث ، وهذا من شأنه وقوع الإبناء في مزالق الفساد والتقليد والتبعية ، قال رسول الله : " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " (١)، ومعلوم لدينا نحن المسلمون أن الخلطة لها تأثير عميق على شخصية الفرد؛ لأن الأخلاق تنتقل من شخص إلى آخر ؛ لذلك ينبغي أن يحرص على اختيار الرفيق الخَيْر والصالح ، وترك السيئ؛ لأن الله عز وجل حذر من مصاحبة رفاقا سوء ، قال صلى الله عليه وسلم : " المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخال " (٢) ، وعلى الوالدين التعامل مع الإبناء من خلال طريقة الصحبة لهم ومعاملتهم معاملة حسنة ، تتناسب مع اعمارهم ومراحلهم العمرية وخصائصهم ، وأن الوالدين لا يعفى من المسؤولية التامة أمام الله عز وجل عن مراقبة سلوك أبنائه، وإبعادهم عن نزوات الشر وسوء الخلق ، والاضرار بالآخرين، والتعدي عليهم ؛لأن الطفل في بداية حياته يكون على الفطرة، فطريقة تعامل الوالدين هي المشكلة لشخصية الطفل ، وطريق سيره في حياته المستقبلية وفي هذا السياق يقول الإمام الغزالي: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نُقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلم، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة " (٣)

وتعتبر الأسرة من أقدم مؤسسات المجتمع المحلي غير الرسمية وأحداثها في مجال تنشئة الأطفال وترتيبهم تربية إسلامية، فهي " البيئة الأولى التي يتعلم فيها الطفل، فإذا وجد الأبوين الصالحين الذين يرعيان ويوجهان ويحسنان التربية نشأ الأطفال نافعين لأنفسهم وأمتهم، ومطيعين لربهم، منجيين أنفسهم وأهليهم من عقاب الله وسخطه " (٤)

وقد أكد العلماء المسلمون على ضرورة المبادرة إلى غرس القيم الأخلاقية لدى النشء، ومن هؤلاء ابن القيم الجوزية من خلال قوله " ومما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ أعلى ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب وطيش فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له" (٥)

وقد حذر الإمام ابن القيم الجوزية من تفريط الأبوين في تربية الأبناء، التي ربما تؤدي إلى الانجراف والازلاق في مزالق الشر والفساد المؤدية إلى الانضمام إلى الجماعات الإرهابية ، فقال: " فما أفسد الأبناء مثل تفريط الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر الناس، فكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة" (٦)

وتعد الأم عماد الأسرة وهي محور اساسي في تربية ابنائها، ولها دور فعّال في المجتمع سواء أكانت المرأة عاملة في اي مؤسسة من مؤسسات الدولة، أم غير عاملة ، وفي بعض الأحيان تقوم بدور الأب والأم معاً في التربية وإدارة الأسرة، في حالة غياب الأب الطارئ، ولها الدور البارز في محاربة الإرهاب ومناهضته ، وغرس حب الوطن لدى الإبناء والولاء إلى قيادتهم الهاشمية من أجل بناء مستقبل الاجيال القادمة، وعندما تتم المقارنة بين دور الأسرة في الحاضر والأسرة في الماضي، نجد أن الأسرة في الماضي تؤدي دورها، ولم تشهد مثل هذه الظواهر الغريبة على المجتمع العربي والإسلامي على وجه الخصوص، ولكن حينما فقدت الأسرة شيئاً من ذلك الدور تعرضت للأخطار المحدقة من جميع الجهات ، والتي لها خطرٌ كبيرٌ يهدد الأجيال الناشئة ، وهذا الخطر يكمن في : قيام بعض وسائل التواصل الاجتماعي، وبعض القنوات الفضائية؛ غير المضبوطة بقوانين وانظمة وتعليمات، في بث السموم في عقولهم؛ والتي تسعى إلى انتشار الإرهاب وإضعاف انتماء وولاء الشباب إلى دينهم ووطنهم .

-
- (٣٢) أحمد بن حنبل: المسند ، دار المکتب الإسلامي ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ / ص ٣٠٣ .
- (٣٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج ٣ / ص ٧٢، وانظر تيسير بن حسين السعدي: دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف ، بحث في مجلة البحوث الأمنية ، مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية، الرياض، وزارة الداخلية ، العدد (٣٠)، مجلد (١٤)، سنة النشر ١٤٢٦هـ، ص ٤٧-٥١
- (٣٤) محجوب، عباس ، أصول الفكر التربوي في الإسلام، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧ م، ص ٢٦٠
- (٣٥) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، تحفة المودود بأحكام المولود، المطبعة الهندية، بمباي، ط ١، ١٩٦١م، ص ١٨٧ .
- (٣٦) المرجع نفسه ، ص ١٤٤

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنه على الاسرة المسلمة دور كبير في مواجهة ومناهضة الإرهاب من خلال: توفير المناخ الأسري المناسب، والعدل بين الأولاد، والمساواة بينهم في المعاملة، ومساعدة الأولاد على حُسن اختيار الأصدقاء والجلساء، ومعرفة الأماكن التي يذهبون إليها بانتظام، ومتابعتهم في المدرسة والجامعة ، والتواصل معهم بالحوار البناء ، والنقاش الموجه ، وفتح قنوات الاتصال والتواصل المباشرين معهم بشكل مبسط ، ومصاحبة الاولاد ومراقبة تصرفاتهم ، وملاحظة سلوكياتهم ، والعمل على تصويبها ومعالجتها ، وإبعادهم عن نزعات الشر، والعمل على إزالة الحواجز المعيقة للتفاهم بين الأولاد وآبائهم، ومشاورتهم، والكشف عن القدرات الكامنة التي يمتلكها الابناء ، وتمكينهم من استغلال القدرات الكامنة لديهم في عمل الخير ، ونبذ الشر والعنف المفضي إلى الارهاب ، وهذا من شأنه تعزيز العلاقات الإيجابية داخل الاسرة وخارجها ، وحماية الابناء من الوقوع بمصائد التطرف والغلو والارهاب، والعمل على ايجاد ثقافة التسامح وقبول الآخر لدى الاسرة وافساح المجال للتعامل بالأساليب الديمقراطية داخل الاسرة .

٢- دور المدرسة والجامعة :

لا شك أن للمعلم والمربي في المدرسة ، والمدرس وعضو هيئة التدريس في الجامعة دوراً مهماً وفاعلاً في العمل على ترسيخ مبادئ الاعتدال والوسطية لدى الطلبة ؛من هنا تبرز أهمية وجود القدوة في المعلم والمدرس وعضو هيئة التدريس ، فلهم دور في تعزيز مبادئ الوسطية في نفوس الطلبة ، والبعد عن العنف والتطرف والغلو وأشكاله المختلفة المقضية الى الارهاب ، وتوجيه عقول هؤلاء الطلبة نحو الالتزام بالمنهج الاسلامي المعتدل في سلوكهم وفعالهم ، وهذا الامر يتطلب اعداد مدرسين متصفين بالاعتدال والوسطية سلوكياً وفكرياً وعقدياً ، وتوفير البيئة الآمنة التعليمية الآمنة والداعمة ، والتي من شأنها البعد عن الغلو والتعصب والانغلاق والفكر الظلامي الهدام ، ونشر قيم التسامح والعفو والتعاطف والتراحم بين الناس ، فالعلاقة بين الطلبة وعضو هيئة التدريس في المدرسة والجامعة ليست علاقة مرتبطة بالمحاضرات فحسب ، وانما تمتد العلاقة بينهم الى جميع جوانب الحياة ونشاطاتها العلمية والاجتماعية والثقافية المتنوعة والمختلفة التي تساعد على بناء سلوكهم السوي، والبعد عن الانحراف والتخبط والتقليد والانجراف في مزالق الفساد والشر والتبعية والتقليد والاتحاق والانضمام في صفوف الجماعات الضالة المنحرفة فكرياً وسلوكياً وعقدياً ، وهذه هي مسؤولية المعلم وعضو هيئة التدريس في العمل على تنظيم البرامج التوعوية والتدريبية للطلبة؛ بهدف ترسيخ مفاهيم ومبادئ الوسطية والاعتدال والتسامح ، ونبذ العنف والارهاب ، وتنظيم مسابقات ثقافية هادفة بين طلبته، وتفعيل الانشطة اللامنهجية في ترسيخ ذلك الامر، وتوجيه الطلبة نحو البحث العلمي في جوانب مهمة تثري نشر ثقافة التسامح والاعتدال والوسطية بينهم .

وهذا الدور للمعلم وعضو هيئة التدريس في معالجة الارهاب ومناهضته يتمثل فيما يلي :

١- الدور التعليمي والتوعوي للطلبة : والذي يتمثل في تفعيل ترسيخ مبادئ الاسلام السمحة القائمة على الرحمة واللين والرفق ، وزرعها في نفوس الطلبة ، وتجنبيهم الوقوع في برائن ومخاطر الانزلاق في مسالك الجهل، والفساد، والشر، والانغلاق، والتبعية، والتقليد، وانارة دروبهم بالسماحة، والاعتدال، والوسطية، والخير والبعد عن التطرف والتشنج ، والغلو ، والمؤدية الى الارهاب بكافة أشكاله، الذي لا يهدي الإنسان إلى سواء السبيل ، ويغلق أمامه منافذ المعرفة والعلم ، والوصول إلى معرفة الحقائق ، واكتساب الحكمة أي كان مصدرها ، ومنبعها (١) .

٢- الدور الوقائي وهو دور مهم تقوم به المدرسة والجامعة بكافة كوادرها التعليمية والادارية في العمل على تمكين الطلبة من المهارات والخبرات والمعارف التي تجنبهم وتقيهم من الانزلاق في مخاطر الارهاب ومحاضنه ، ولا شك فيه أن للمنهج الفكري التوعوي والتربوي والوقائي دور فعال في معالجة آثار الارهاب ، وتحقيق الامن المجتمعي والحفاظ عليه ، والقضاء على أسباب العنف ، وتجفيف منابعهما ، وهذا كله يجب أن يكون عمل جماعي ومسؤولية مشتركة بين جميع فئات المجتمع ، وليس مقتصر على مؤسسة بعينها .

٣- الدور العلاجي وأن كنا لا نرضى بوجوده ، ولكنه في بعض الحالات لا بد منه ، فهو علاج لما نفذ من بين أيدينا وحاد عن النهج ، فلا بد من معالجة ذلك الزيغ والانحراف في السلوك الخاطئ الذي صدر من بعض الطلبة ، وأدى بهم الى الخروج عن نهج التوسط والاعتدال، فعلاجه يتم بإرجاعه الى منهج الوسطية والاعتدال بالحوار البناء والنقاش الهادف المستنير بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويتم ذلك من خلال : العديد من الدروس الدينية والمواعظ الحكيمة، والمؤتمرات العلمية المتخصصة ، والندوات الفكرية ، وورش العمل ومجتمعات التعلم المصغرة، والدورات التدريبية المكثفة، واللقاءات الموجهة التي تتم من خلالها التركيز ومناقشة الابحاث المتعلقة بجوانب معالجة ومناهضة ظاهرة الارهاب ،

(٣٧) رسالة عمان السمحة ، ٢٠٠٤م، ص ٤ .

واستثمار وسائل الاعلام المختلفة بشكل جدى لمواجهة خطر الارهاب ، والسعي لإحداث تكامل رأسي وأفقي في بناء المساقات التعليمية والمناهج الدراسية والمقررات التي تقدم للطلبة ، بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، والتي من شأنها بناء أجيال دينية قوية واعية وقيادية قادرة على مواجهة اخطار الارهاب على المجتمع ، ويتم ذلك من خلال : العمل على ربط المساقات التعليمية والمناهج الدراسية بالجانب العملي التطبيقي في حياة الطلبة، ودعم مهارة الاتصال والتواصل، وبناء علاقات طيبة ودية بين المدرسين والطلبة ، تنمي جوانب الخير الكامنة لدى الطلبة، وبالتالي معالجة المشاكل السلوكية التي قد تنجم عنهم ، نتيجة اختلاطهم بغيرهم من رفاق السوء ، وإيجاد علاج ناجح لهذه المشاكل في ظل حركة الانفتاح الفكري والعلمي والتكنولوجي التي شهدها العالم في هذا العصر، وتوفير المراجع والدوريات ومصادر المعرفة المختلفة لهذا الغرض .

٤- ضرورة توفر القدوة الصالحة والحسنة بأن يكون المدرسين قدوة لطلبتهم في العمل والسلوك والخطاب الديني الجامع لا المفروق ، والمشاركة الى محاسبة النفس في حالة ميلها عن هذا الجانب، أو التفریط والتفاس في العمل بموجبه، والعمل على بناء منظومة من القيم والاخلاق الاسلامية الفاضلة التي تشجع على التسامح واللين والرحمة والعطف ، وتتفر من العنف والشدّة والغلظة لدى الطلبة ، بالحوار البناء الهادف والمناقشة الهادفة كوسيلة للتعبير عن ذلك، والبعد عن أسلوب القمع، وابرار أدب الخلاف ، والمواجهة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتبصير الطلبة بسبليات البعد عن منهج التوسط والاعتدال ، وما ينتج عن ذلك من نماذج سلوكية خاطئة ، كالعنف وما يرافقه من نتائج وخيمة على الطلبة ومجتمعهم ،الذي ينتظر منهم بناء المستقبل والانتاج والعطاء والتطور والرقي في كافة مجالات الحياة.

٥- تفعيل دور الارشاد الطلابي والاشراف المباشر وغير المباشر من المدرسين والمرشدين في المدرسة والجامعة على الطلبة ، ومراقبة سلوكياتهم وافعالهم ؛ للتأكد من سيرها على منهج التوسط والاعتدال ، والتأكد من عدم وقوعهم فريسة ولقمة سائغة في محاضن الجماعات الارهابية ، من خلال اقامة الندوات والمنتديات الفكرية والمنصات الابداعية التفاعلية الهادفة ، وتفعيل برامج المراكز الصيفية بالأنشطة اللامنهجية ، والبعد عن الروتين في إقامتها ، واعطاء الطلبة دورهم في تحمل المسؤولية والادوار القيادية في العمل في هذه الانشطة ، واستثمار أوقات فراغ الطلبة بما ينفعهم في حياتهم الدنيوية والاخروية .

٦- من الادوار التي تقوم المدرسة والجامعة في هذا المجال العمل على عقد اللقاءات الحوارية بين الطلبة أنفسهم، وبين المدرسين في جوانب الفكر الاسلامي المعتدل في شتى المسائل ، وفي المواضيع المستجدة ، والتي تبني على الفكر الاسلامي المعتدل ؛من أجل تبادل وجهات النظر والآراء فيها ، وتطبيق العدالة بين الطلبة في هذه الحوارات وفي الاستماع لأرائهم في ذلك ، وهذا من شأنه تعزيز مبادئ الوسطية في حياتهم، ويدفعهم نحو التغيير الايجابي في السلوكات الصادرة منهم ، وفق المنهج الاسلامي المعتدل ، وتبني لغة مشتركة بينهم تتبنى الاعتدال منهجاً لها .

٧- العمل على إقامة المبادرات الجماعية والفردية للطلبة ، والتي من شأنها أن تعزز عندهم فكرة العمل الجماعية والمجتمعية وفق منهج الاسلام المعتدل، وتكون هذه المبادرات وفق خطة عملية تطبيقية بمشاركة مؤسسات المجتمع المدني المختلفة ، وهذا من شأنه أن يرسخ ويعزز مبادئ الوسطية في حياة الطلبة

٨- تفعيل اللقاءات المجتمعية ومجالس اولياء الامور والمعلمين وبرلمان الطلبة في تحمل كل منهم المسؤولية في هذا المجال ، وايجاد علاقة تكاملية بين الاسرة والمدرسة والجامعة في الادوار والمسؤوليات ، وتوظيف برامج الاذاعة المدرسية في تعزيز الافكار الايجابية لدى الطلبة، وتوجيههم نحو النشاطات الفاعلة الهادفة التي تخدم الطالب والمجتمع ، وتعزيز الجوانب القيادية لدى الطلبة (١) .

٣- دور المسجد :

يُعد المسجد من أولى مؤسسات المجتمع الرسمية التي تنطلق منها شعاعات العلم والنور والخلق الإسلامي الرفيع ، وقد شهد القرآن الكريم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالطهر والغفاف والتحلي بالخلق الحميد ،فقال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (التوبة من الآية ١٠٨) ، فعند دخول المسجد ينتاب المسلم شعور الرهبة والخشية مع وجود رغبة جادة في الالتزام بالآداب الإسلامية الخاصة به، والالتزام بالقيم الأخلاقية الفاضلة ، والمسجد يعمق في النفوس الإحساس بالفضائل التي غرستها الأسرة، والمدرسة ،والجامعة ، ويغذيها وينميها ويوجهه نحو الصلاح والفلاح ، ومن شأن الدروس، والخطب التي تلقى في المساجد أن ترتقي

(٣٨) عدنان أبو جبر ، دور اعضاء هيئة التدريس في الجامعة الاسلامية بغزه في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طلبتهم ، وسبل تفعيله ،رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزه، اشرف د. حمدان الصوفي، ٢٠١٤م، ص٩٦-٩٥.

بتربية الخلق لدى الشباب؛ مما يشبع روح الفضيلة، وتسود المجتمع السكينة، والطمأنينة، والرضا، والقناعة، والبعث عن العنف والانزلاق في مزالق الفساد والتبعية، والانجراف وراء الافكار والتيارات المنحرفة الضالة، وقد حث رسول الله على عمارة المساجد، وجعل ذلك علامة على الإيمان، والشهادة من قبل الناس بالإيمان.

ويُعد المسجد من المؤسسات الدينية الهامة التي يستقى منها الافراد التوجيهات والارشادات والتعليمات الدينية التي من خلالها يتم الحد من ازدياد ظواهر العنف المجتمعي التي تهدد كيان المجتمع وأمنه واستقراره، والتخفيف من غلواء خطاب العنف، من خلال الخطب المنبرية التي تقدم للناس في يوم الجمعة، إذ تُعد خطبة الجمعة من أكثر الوسائل فعالية وتأثيراً على المجتمع من غيرها، حيث تتبوأ مركزاً عظيماً في نشر رسالة الاسلام وتبليغها للناس، فالخطبة من أسرع الوسائل إلى قلوب وأسماع وعقول الناس، وأبلغ في التأثير فيهم، ولها دور مهم في توجيه الرأي العام نحو الصواب والرأي السديد (١)

٤- دور وسائل الاعلام المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر وواتس أب وانستجرام... :

لا شك أن لوسائل الإعلام بكافة أشكالها المقروءة والمسموعة ومواقع التواصل الاجتماعي، لها دوراً كبيراً في مواجهة ومناهضة ظاهرة التطرف، والحد من قيام الأنشطة المتطرفة والترويج لها، والتصدي لها، ولها دوراً بارزاً في توجيه الاجيال الناشئة نحو الخير والفضيلة والعمل النافع المنتج في العصر الحاضر، والذب عن هذا الدين وشرح يسره وسماحته وعالمية رسالته وبلغات العالم الحية وبلغه الخطاب التي يفهمون، ولفئة الاعلامين والصحفيين دور كبير في التذليل على خطورة ظاهرة الارهاب، والتنبيه الى سبل مناهضتها، من خلال افساح مساحة معتبرة في المنابر الصحفية والاعلامية للمادة الفكرية التي يقدمها باحثون مختصون من خلال برامج حوارية ومقابلات وندوات وحلقات نقاشية، والعمل على انشاء جهات محايدة ومستقلة تقوم برصد الخروقات في مجال الحريات الشخصية، والمتصلة بمواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، وايجاد وسائل مناسبة لضبط الاستخدام السلبي لهذه المواقع على الافراد والمجتمعات، ووضع برامج اعلامية فاعلة وواعية تساهم في توعية الناس بخطورة الارهاب وآثاره المدمرة لكل مجالات الحياة، وتنسيق الجهود الاعلامية للترويج لثقافة السلم المجتمعي وقبول الآخر.

وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها المرئية، والمقروءة، والمسموعة، فما يقدمه التلفاز من برامج متعددة، وما تقدمه الصحف، والمجلات، والكتب، وما تقدمه الإذاعة المسموعة من برامج وموضوعات لها دور هام في تنمية القيم الأخلاقية، وترسيخها في نفوس الشباب، كل ذلك يمكن له أهمية عظيمة في نفوس الشباب، إذا استغل الاستغلال الأمثل، وخطط له التخطيط السليم؛ ذلك أن خطورة وأهمية وسائل الإعلام في تنمية القيم الأخلاقية المعبرة عن المجتمع الإسلامي واضحة، فهي تقوم بدور رائد وفعال في هذا المجال، فوسائل الإعلام صارت فاعليتها أكثر بعد دخول التلفاز، والحاسوب، والانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة معظم البيوت؛ إذ أنها تشرك أكثر الحواس في عرضها المشوق فيفاعل المشاهد معها صعوداً وهبوطاً، وتبني القيم الأخلاقية في داخلها على أساسها، ولا شك أن تأثير وسائل الإعلام على الشباب واضح؛ لأنها تحمل في طياتها العديد من المضامين ذات الآثار السلبية في الجوانب الأخلاقية لدى الشباب، من أبرز تلك الآثار السلبية: الاستخفاف بالقيم الأخلاقية، ودعوة الشباب إلى الانحراف، والتطرف، والغلو، والتشدد في الدين، وبالتالي القيام بالأعمال العدوانية والتخريبية، والمقضية الى اخاف الناس وتروعيهم (٢).

غدت وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف أشكالها تعمل على توجيه الشباب نحو القيم الأخلاقية الفاضلة من خلال تبادل الرسائل الهادفة التي ترشد الناس إلى الخير وحسن الخلق، ومكارم الأخلاق، وتحذر الناس من الشر، والاخلاق السيئة، ويتم من خلال هذه الوسائل نشر المقالات والأبحاث المتعلقة بالجانب الأخلاقي، فهذه الوسائل لا شك أن لها دور في تعزيز وتنمية القيم الأخلاقية لدى الشباب، فلا بد من العمل على مراقبة هذه الوسائل من قبل الوالدين؛ حتى لا تستغل استغلالاً خاطئاً في نشر الأخلاق السيئة، وافساد الشباب، وإيقاعهم في مواقع الشبهات، والانضمام في صفوف الجماعات المتطرفة، وبالتالي هدم البيوت والأسر بدل من أن تكون عنصر بناء ونماء، فلا بد من العمل على نشر الوعي لدى فئة الشباب حول دور وأثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية شخصياتهم، وإرشادهم للاستخدام الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي، حيث تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على تفاقم مشاعر الوحدة لدى الكثير من الأشخاص، وفصلهم عن عالم الواقع بما يزيد شعورهم بالاكنتاب، وعدم الرغبة في المشاركة في الحياة، بالإضافة إلى زيادة الشعور بعدم الثقة في النفس، كما تؤثر على الترابط الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة، فلا بد من العمل على التنشئة الوطنية من خلال وسائلها المتمثلة بالأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام؛ لتكون المرتكز الاساسي في نشأت الافراد، وتعزيز ثقافتهم الوطنية.

(٣٩) نوبي، محمد حسين، عمارة المساجد في ضوء القرآن والسنة، دار نهضة الشرق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م، ص١٠٦.
(٤٢) مطاوع، ضياء، العمري، عبد الله، تقنيات الاتصال والإعلام وآثارها في النشء السعودي، دراسة تقويمية، بحث في مجلة البحوث الأمنية، العدد الثاني، المجلد الحادي عشر، ٢٠٠٢م، ص١٧٦.

٥- دور المؤتمرات العلمية المتخصصة، والندوات الفكرية، واللقاءات الحوارية الموجهة، ومجتمعات التعلم المصغرة، وورش العمل التطبيقية، والدورات العلمية المكثفة، واللقاءات الموجهة، والورش التعليمية والثقافية، ومجتمعات التعلم، والمنصات التعليمية، والمنديات الفكرية

تُعد المؤتمرات العلمية المتخصصة والندوات الفكرية واللقاءات الحوارية الموجهة ومجتمعات التعلم المصغرة وورش العمل التطبيقية والدورات العلمية المكثفة، والمنديات الثقافية، والمنصات العلمية من أهم مؤسسات المجتمع غير الرسمية في بناء وتعزيز منظومة القيم الأخلاقية الفاضلة لدى الشباب، وهذه المؤتمرات العلمية المتخصصة والندوات الفكرية واللقاءات الحوارية الموجهة ومجتمعات التعلم المصغرة وورش العمل التطبيقية والدورات العلمية المكثفة، والمنديات الثقافية، والمنصات العلمية، قد كُثر انتشارها وأقامتها في المجتمعات المعاصرة، وتُعد أماكن ومواطن يلتقي فيها الشباب مع فئة من الشباب يجمعهم هدفٌ مشترك، والعلماء والمفكرين مع بعضهم؛ وتناقش من خلالها مواضيع فكرية وثقافية واجتماعية وسلوكية؛ تهدف الى تثقيف الشباب، وطلال العلم، وإكسابهم الأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن الانحرافات والسلوكيات السيئة، والوقوع في مزالق الفساد والانحراف، ولا بد من العمل على تشجيع اقامة المبادرات الحوارية بين الحضارات المختلفة، وتفعيل نتائجها وعقد الندوات والمؤتمرات الحوارية للتقريب بين المذاهب الإسلامية من جهة، وبين الحضارة والثقافة الإسلاميتين وبين سائر الحضارات والثقافات الأخرى من جهة أخرى.

مما لا شك فيه أن الباحثين والمفكرين الإسلاميين عليهم تقع مسؤولية التوجيه والارشاد والبيان، وكشف الحقائق وإظهارها، ولهم دور مهم في تحسين المجتمع بسلاح العلم والمعرفة، وعزل الفكر المتطرف وحملته في كافة الميادين، وإشاعة روح التسامح والتضامن، ونبذ التفرفة والاختلاف، فعلى الرغم من أن معالجة ومناهضة ظاهرة الارهاب مسألة تفوق إمكانيات فئة بعينها خاصة في قضايا الارهاب الكبرى وخصوصاً الفكري منها، والتي تتطلب تضافر الجهود جميعها، والسعي إلى التصدي للأفكار والمناهج المنحرفة المؤدية إلى العنف والارهاب، ونشر المنهج المعتدل، وتكريس قواعده وضوابطه ومفاهيمه، وبناء شخصية إسلامية متوازنة مُنتجة وإيجابية وواعية، وتعميق مفاهيم الولاء والانتماء.

إلا أن مسؤولية المثقفين والباحثين الإسلاميين تُعد من الآليات الناجزة في هذا المجال؛ نظراً لطبيعة وتعدد وتنوع مفاهيم ومصطلحات الارهاب، وتعدد أبعاده التي تختلف باختلاف مجالات الحياة المختلفة، ومن ثم يأتي دورهم في العمل على تشخيص قضايا الارهاب، وتفسيرها وتحليل النتائج المترتبة عليها، ورسم معالم تغييرها، ووضع خطة استراتيجية واقعية تطبق على أرض الواقع في ظل الامكانيات المتاحة.

ويمكن القول بأن دور مؤسسات المجتمع المدني الرسمية وغير الرسمية في غرس وترسيخ وتنمية القيم الأخلاقية لدى الشباب لا يتكامل بغياب دور إحدى هذه المؤسسات، فهي وحدة متكاملة، و مترابطة في الأدوار، والمسؤوليات، والواجبات، والتكاليف الملقاة على عاتقها، ومن أكبر ما يهدد شباب الأمة العربية الإسلامية تلك التيارات الظلامية التي ما زالت تهدد السلم الاجتماعي؛ لذا تقع المسؤولية على مؤسسات المجتمع المدني الرسمية وغير الرسمية للتعاون معاً في وضع الاستراتيجيات الملائمة للوقاية والبحث في أنجع سبل العلاج لآفة الإرهاب.

الخاتمة وأسأل الله حسنها :

لقد من الله تعالى عليّ بإتمام هذه الدراسة، فإن أحسنت فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، وحسي أنني اجتهدت، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية :

أكدت الدراسة على تكامل دور مؤسسات المجتمع المحلي في تنمية، وترسيخ، وتعزيز القيم الأخلاقية الفاضلة لدى الشباب بدءاً بالأسرة، وانتهاءً بالنوادي والمنديات الثقافية، ومروراً بالمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام المختلفة، ووسائل التواصل الاجتماعي، والعمل على تكريس شراكة حقيقية وفاعلة مع مؤسسات المجتمع المحلي التي تعني بالشباب للتركيز على مبدأ التسامح وقبول الآخر، وعض الطرف عن إسقاطات الشباب، وأخطائهم، وتجاوزها، وإرشادهم إلى الخير والفضيلة، والأخلاق الفاضلة، والبعد عن الرذائل.

لا يد من العمل على مناهضة ومعالجة ظاهرة الارهاب من خلال العمل على نشر رسالة الاسلام السمحة بدءاً من الاسرة والمدرسة والجامعة والمسجد ووسائل الاعلام المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي المؤتمرات العلمية المتخصصة والندوات الحوارية واللقاءات الفكرية الموجهة والورش التعليمية ومجتمعات التعلم المختلفة والجولات التعليمية وانتهاءً بالمجتمع والظاهر للعيان والتطبيق المباشر والمعاملة الحسنة للأخرين، باعتماد أسلوب الهدوء والتودد والحب والرحمة والشفقة.

تشهد ظاهرة الارهاب انتشاراً واسعاً ، وغير مسبوق في العديد من مناطق العالم أجمع ، ولا سيما في بعض البلدان العربية والإسلامية مما جعله ظاهرة مركبة ، تتطلب منا الاهتمام بتفعيل دور مؤسسات المجتمع المحلي الرسمية وغير الرسمية ، والأسهام في احتواء ظواهر الارهاب ، والبحث عن أسبابها ، وكشف للأساليب المتبعة فيها ، والعمل على تكوين رأي عام مضاد ، يساهم في نشر ثقافة الاعتدال والوسطية والتسامح في المجتمع ، فقد أصبح التعاطي مع ظواهر الارهاب بشتى تجلياتها من أدوات المسائل الشائكة والمعقدة التي تترك الباحثين والمفكرين اليوم ومؤسسات المجتمع على حد سواء ، وما أحوجا اليوم في ظل انتشار ظواهر الارهاب المختلفة إلى نشر وترسيخ ثقافة الوسطية والاعتدال في نفوس الناس ؛ حتى نبين لهم مزايا الدين الاسلامي ، وبالتالي تصحح المفاهيم الخاطئة عندهم ، وتزرع بذور الخير ، ويتم القضاء على أسباب الارهاب ، واجتثاث جذوره ، والعمل على تجفيف منابعه ، وفق الرؤية الاسلامية المتوازنة والمعتدلة .

التأكيد على تغيير نهج السياسات التربوية ، وتبنى اساليب تربوية حديثة تحت على النقاش والحوار وحرية المبادرة والتفاهم المشترك ، واتباع المنطق العلمي في مجريات الحياة اليومية ، ومراجعة نقدية للمناهج الدراسية من قبل لجان متخصص ؛ بحيث يمكن تخليصها من كل ما يتعارض مع العقل والقيم والاخلاق ، وتحويلها الى مناهج داعمة للتفكير الناقد والعقلانية المنفتحة المدركة لواقع الناس وظروف العصر .

المحاور التي تم التركيز عليها ومناقشتها ، والتي تمثل جزء من أجزاء عديدة يكمن فيها بيان دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة الارهاب ، ولا اعتقد ان تطبيقها على أرضية الميدان سيكون صعباً جداً ، بشرط تفعيل دورها الحقيقي ؛ بحيث لا تكون مجرد شعارات تكتب ، وهنافات ينادى بها دون جدوى ، بل تحتاج الى تفعيل حقيقي بسلوك سوى مسؤول ملموس على أرض الواقع ، وحتى تكون ذات تأثير كبير فعال في مناهضة الارهاب ومعالجة ظواهره المختلفة .

مواجهة ظاهرة الارهاب مسؤولية مشتركة بين مؤسسات المجتمع على حد سواء ؛ تهدف إلى وضع حد لظهور مثل هذه الامراض الاجتماعية والفكرية والتي تزعزع حياة الناس أفراداً وجماعات ، فلا بد من بذل الجهود لتحقيق الامن الاجتماعي والفكري للناس ؛ لحماية الشباب من الوقوع في شرك الشبهات ومزالق الفساد والانغلاق والتبعية ومصائد الارهاب ، بالحوار الهادف البناء ، واشراكهم في حل قضايا مجتمعهم ، وصنع القرارات الخاصة به ، وفق رؤية محددة تكفل معالجة ومناهضة ظواهر الارهاب المعاصر .

التوصيات : يرى الباحث أن للتوصيات التالية مردوداً إيجابياً في تنمية الشعور بالمسؤولية ، وغرس القيم الأخلاقية الفاضلة لدى الشباب بدأ بالأسرة ، وانتهاءً بوسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي كنماذج حية من مؤسسات المجتمع المدني الرسمية وغير الرسمية بالأخذ بما يلي :

١- تنمية الشعور بالمسؤولية المشتركة بين مؤسسات المجتمع المدني الرسمية وغير الرسمية كالأسرة - المدرسة - المسجد - ووسائل الإعلام المختلفة ، ومواقع التواصل الاجتماعي والمؤتمرات العلمية المتخصصة والندوات الفكرية واللقاءات الحوارية الموجهة ومجموعات التعلم المصغرة وورش العمل التطبيقية والدورات العلمية المكثفة ، والمنتديات الثقافية ، والمنصات العلمية في بذل الجهود المشتركة في تنمية ، وتعزيز ، وترسيخ القيم الأخلاقية لدى الشباب .

٢- ضرورة التعاون بين الأسرة وكافة مؤسسات المجتمع المحلي للقيام ببرامج مشتركة لتعزيز القيم الأخلاقية لدى الشباب المسلم ، واستمرار تواصل الأسرة مع المدرسة ؛ لتقوية الصلة بين المدرسة والبيت بما يحقق للطفل الثقة بالنفس ، وإشعاره بالاحترام بالسؤال عنه ، والاشتراك مع المدرسة في تقديم حلول للمشكلات التي تواجهها ، وعقد ندوات ودورات وتوعوية تبين مخاطر الارهاب على الاسرة والاجيال القادمة ، وعلى الأم أن تساهم في هذا المجال ، فتعمل على اشغال الابناء بنشاطات مجتمعية بناءة .

٣- العمل على تقوية العلاقة بين المدرسة والمسجد ليعملا في تناغم مستمر على تعزيز القيم الأخلاقية لدى الشباب المسلم ، والاهتمام بدور المؤسسات الدينية وبخاصة المساجد ، وإسناد دور التوجيه والإرشاد فيها إلى ذوي الكفاءات والخبرات ، والقوة القادرة على حسن توجيه الناس ، وتنمية القيم الأخلاقية لديهم .

٤- العمل على اعداد الأئمة والوعاظ اعداداً علمياً تربوياً واعلامياً اسلامياً و من خلال انشاء المعاهد والكلليات الشرعية المتخصصة التي تعمل على رفد المساجد ودور العبادة والتعليم والحلقات القرآنية بالأئمة والمربين والوعاظ والمرشدين .

٥- الاكثار من تنظيم وعقد واقامة اللقاءات العلمية والفكرية الموجهة ، والندوات الحوارية المعاصرة ، والمؤتمرات العلمية المتخصصة ، وعلى كل مستويات الاتصال المختلفة ، ورصد ظواهر الارهاب ومعالجتها ، وتقديم أنجع الحلول المناسبة لها .

٦- العمل على احياء شعيرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترغيب الناس في العمل بالشريعة الاسلامية في مناحي الحياة المختلفة، وتحذيرهم من مخالفتها ، وبيان ما يترتب على ذلك من عواقب وتبعات، والعمل على تحصين فئات المجتمع المختلفة من الافكار الضالة المنحرفة سواء أكانت غالية ، أو متساهلة على حد سواء .

٧- وضع آليات واستراتيجيات عملية لمواجهة طوفان الإرهاب ، ومتابعته والقضاء عليه، من خلال إعداد برامج تبيت باللغات المختلفة للتعريف بالإسلام، وتوضيح أن الإرهاب والتطرف ليس من الاسلام في شيء ، ودراسة تجارب الشعوب والمجتمعات المعاصرة في معالجة ومناهضة الارهاب ، والقضاء على اسبابه واجتثاث منابعه .

٨- ضرورة تربية الأجيال الناشئة على الرجوع لنصوص الوحيين ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وقد أخبر رسول الله أن العافية جعلت في أول هذه الأمة، وإن البلاء واقع لا محالة في آخرها، وإن الخلاص يكمن في الاستمساك بحبل صادق خالص متين من الدين، ولزوم هدى سيد المرسلين في التمسك بالخلق الحسن .

٩- الاهتمام بأوراق العمل والأبحاث المقدمة في المؤتمر ، والمدخلات ، والمناقشات التي تمت في جلساته ، والعمل على نشرها عبر المواقع الالكترونية ، وطبعتها ونشرها في دور النشر ومكاتب الجامعات المحلية والعالمية ؛لينتفع بها عامة الناس ممن يتعرضون للإرهاب بكافة اشكاله ، أو هم من ضحاياه، وتعميم توصيات هذا المؤتمر على الجهات الرسمية والخاصة في دول العالم العربي الإسلامي ، والعمل على حصر أهم أشكال الارهاب المنتشرة في الوقت الحاضر ، ووضع خطة استراتيجية محكمة لعلاجها والوقاية منها ، وإسناد هذا الدور للعلماء والمفكرين والباحثين والدعاة وأصحاب الكلمة والفكر والرأي والحكمة في العالم العربي الاسلامي .

١٠- تكثيف البرامج والدورات والمحاضرات والمؤتمرات والندوات الحوارية التي تعنى بالأخلاق الاسلامية الفاضلة التي تدعو الى الاستقامة على الصراط المستقيم، والبعد عن الافراط والتفريط، و تحصين الشباب بالفكر الاسلامي المعتدل الذي يكرس قسم الخير و يزرع في نفوسهم الحب والولاء ، ونشر الوعي الديني البعيد كل البعد عن العنف والتطرف ، وكل ما يهدد أمن الفرد والمجتمع.

وبهذا الجهد المقل المتواضع لا أدعي الإمام بكل جزئيات الموضوع ، وما توصلت إليه من نتائج ، وأرجو بهذه الدراسة أن أصل إلى تحقيق ما أصبو إليه من بيان دور مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية في محاربة ظاهرة الارهاب ، وما الدراسة هذه إلا إضاءة يسيرة على هدى الإسلام في مناهضة خطر الارهاب، والدعوة إلى محاربته ومعالجة أسبابه ، والقضاء على منابعه ، بأسلوب حكيم يقوم على منهج الوسطية والاعتدال ، ولا أزعم أن هذه الدراسة جاءت خالية من الهفوات والنقص ، فالكمال لله -سبحانه وتعالى - وحده ، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده الذي وفقني لذلك، وما كان من خطأ، أو نسيان فمن نفسي،ومن الشيطان ، وفي الختام، لا يسعني في هذا المقام إلا أن أعبر عن عميق شكري وعظيم تقديري للجهود المبذولة في هذا المؤتمر العلمي ، فعسى الله أن يوفقكم، ويسدّد خطاكم، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

الفهرس

الثقافة المقاصدية ودورها في نبذ الإرهاب والتطرف

د. أياد كامل إبراهيم الزبياري

جامعة زاخو / فاكولتي العلوم الإنسانية / قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا امة وسطاً عدولاً {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} البقرة (١٤٣)، والصلاة والسلام على الرسول الأمين المبعوث رحمة للعالمين {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} الأنبياء (١٠٧)، وديننا هو دين الهدى والرحمة ونبذ الإرهاب والتطرف .

لقد أمر الله تعالى عباده بالاستقامة والوسطية ونهاهم عن التطرف والإرهاب، وأن ديننا الإسلامي الحنيف يعارض بشدة كل أنواع التطرف والتعصب المذموم وإرهاب الناس، ويحترم التعددية الثقافية والتوجهات الفكرية والحضارية وحتى الاعتقادات الدينية.

ولقد أصيبت الأمة الإسلامية بفتن كثيرة، وتعددت مسمياتها وأطلقوا عليها أسماء كثيرة مثل (أصولية - إرهاب - تطرف .. وغيرها) إلا أنها كلها تعبر عن مفهوم واحد هو التفسير الناقص للنصوص القرآنية والسنة النبوية، واستخدام النصوص في غير مواضعها، وإعمال العقل في غير أدواره ووظائفه المنوطة بها.

ومن الأخطاء الفاضحة لدى الجماعات الإرهابية والمتشددة الذين يتعاملون بمنهجية تغليب القضايا الفرعية الجزئية والخلافية على حساب القضايا الأصولية الكلية، والشكليات والحرفيات والمظهريات على حساب المعاني والمقاصد والغايات، مما يؤدي إلى التضيق في الدين وعلى الناس، والواقع أن تلك المنهجية التجزئية التبسيطية هي جزء من الأزمة الواقعة فيها تلك الجماعات المتشددة للتعامل مع الشريعة الإسلامية، ولا يراعون تغير الزمان والمكان والأعراف والأحوال، متناسين القواعد التي قررها علمائنا الأجلاء مثل إذا ضاق الأمر اتسع، والمشقة تجلب التيسير .

ومع الأسف لقد أصيبت الأمة الإسلامية بمثل هذه الجماعات والتيارات المختلفة باسم الدين، وهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمون قبل غيرهم والإسلام برئ منهم براءة الذئب من دم يوسف، وبدأو يعكرون صفو المنهجية الإسلامية الوسطية، وحتى استخدم البعض عملية مكافحة الإرهاب لإثارة ظاهرة التخوف من الإسلام ISLAMOPHOBIA واتهام الإسلام بما ليس فيه بالإدعاء زوراً وبهتاناً بأن الإسلام يشجع على استخدام الإرهاب والتطرف والعنف .

لذلك قضية التصدي لمثل هذه الأفكار والجماعات لا تتم إلا بإحياء دور العقل وبنظرة ثقافية مقاصدية للنصوص وتفسيرها ومآلاتها، وأصبح من الواجب اليوم لدى العلماء والكتاب والباحثين والمؤسسات التصدي لهم بمختلف الوسائل، وتعد مقاصد الشريعة من أهم الآليات والوسائل للتصدي لحل كثير من المشاكل لدى هؤلاء، والتي تسهم اليوم في الانتقال من المنهجيات القاصرة والسطحية إلى المنهجية الكلية المنشودة في مختلف المجالات والأصعدة والأزمدة، لأن مقاصد الشريعة تتعلق بالشريعة كلها .

وفي إطار الاهتمام بموضوع الثقافة المقاصدية ودورها في نبذ الإرهاب والتطرف والعنف، تأتي هذه الدراسة التي تهدف إلى دراسة دوافع ومظاهر وأسباب وأهداف وآثار الإرهاب المعاصر، وموقف الإسلام من الإرهاب والتطرف ومعالجتها من خلال النظرية المقاصدية، لأن من أهم أهداف مقاصد الشريعة الإسلامية مراعاة مصالح الناس الدينية والدينيوية .

وكانت خطتي في البحث كالآتي:

بعد المقدمة جعلت البحث مشتملاً على أربعة مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وملخصاً للبحث.

أما المبحث الأول : يعد مَدْخلاً لدراسة مفردات البحث ببيان مدلولاتها، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : مفهوم الثقافة المقاصدية .

المطلب الثاني: مفهوم الإرهاب .

المطلب الثالث: مفهوم التطرف .

المبحث الثاني: دوافع ومظاهر وأسباب وأهداف وآثار الإرهاب والتطرف المعاصر ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : دوافع ومظاهر الإرهاب والتطرف .

المطلب الثاني: أسباب وأهداف الإرهاب والتطرف .

المطلب الثالث: آثار الإرهاب والتطرف .

المبحث الثالث: مكانة المقاصد ونشأتها وأنواعها وفوائدها ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول: مكانة المقاصد ونشأتها .

المطلب الثاني: أنواع المقاصد .

المطلب الثالث: ضرورة المقاصد وفوائدها.

المبحث الرابع: الثقافة المقاصدية ودورها في نبذ الإرهاب والتطرف ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول: مقاصد الشريعة في العصر الحاضر وتطبيقها .

المطلب الثاني: دوافع جعل الثقافة المقاصدية إطاراً لنبذ الإرهاب والتطرف .

المطلب الثالث: معالجة مشكلة الإرهاب والتطرف في العصر الحاضر من خلال النظرة المقاصدية .

ثم ختمت البحث بأهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها أثناء كتابة البحث .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول : يعد مدخلاً لدراسة مفردات البحث ببيان مدلولاتها ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : مفهوم الثقافة المقاصدية .

عبارة المقاصدية هنا هي نسبة إلى مقاصد الشريعة الإسلامية، ومقاصد الشريعة هي غايات الشريعة وأهدافها وحكمها وأسرارها(١) المثبوتة في النصوص والأحكام ومختلف القرائن والمعطيات الشرعية. ومثال ذلك إجمالاً وعموماً مقصد حفظ الأمن والسلام، ومقصد التعاون والتعارف بين الناس، ومقصد حفظ أموال الناس .

وتنظم هذه المقاصد ضمن مجموعة من القواعد والضوابط والوسائل والكيفيات والمستلزمات التي تشكل ما يصطلح عليه بعلم مقاصد الشريعة ، ويكون الوعي بهذه المقاصد والإلمام بمسائلها وتفصيلها مُشكِّلاً لزيد معرفي ولرصيد تجريبي يمكن أن نطلق عليه اسم الثقافة المقاصدية، أي أن الإنسان العارف بغايات الشريعة وأهدافها المتنوعة وبأسرار أحكامها، يمكن أن نطلق عليه عبارة المثقف المقاصدي أو الحائز لمعرفة لا بأس بها في مجال مقاصد الشريعة الإسلامية (٢).

المطلب الثاني: مفهوم الإرهاب .

(١) أبحاث في مقاصد الشريعة ، د. نور الدين الخادمي ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

١-الإرهاب في اللغة : الإرهاب كلفظ كلمة مشتقة من الفعل المزيد فيه (أرهب يُرهبُ إرهاباً) على وزن(أفعل يفعل إفعالاً)، والثلاثي المجرد منه (رهب) بكسر الهاء(١)، ورهب بالكسر ، يرهب رهبة رهبا أو رهباناً، وهو بمعنى خاف مع تحرز واضطراء، والإرهاب بكسر الهمزة :بمعنى الإزعاج والإخافة(٢).

٢-الإرهاب في الاصطلاح: عرف العلماء والفقهاء (الإرهاب) بتعريفات عدة من منظور نفسي وفكري واجتماعي وسياسي، وسوف نستعرض بعضاً من تعريفات الإرهاب من الناحية الفقهية لأنه متعلق ببحثنا، منها :.

١- تعريف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: الإرهاب هو ترويع الأمنيين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحررياتهم وكراماتهم الإنسانية، بغياً وإفساداً في الأرض ومن حق الدولة التي يقع على أرضها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين، وأن تقدمهم للهيئات القضائية لكي تقول كلمتها العادلة فيهم (٣).

٢-تعريف الشيخ محمد علي التسخيري: الإرهاب كل عمل يتنافى من حيث الوسيلة والهدف مع القيم الدينية والإنسانية، ويتضمن تهديداً للأمن بأي نوع من أنواعه (٤).

٣-تعريف الدكتور وهبة الزحيلي:كل عنف، أو اعتداء، أو إجرام ليس مسوغ شرعاً، لأسباب سياسية أو لمحاربة نظام جائر، أو لدوافع إعتقادية، أو وطنية (٥) .

فتعريف مجمع البحوث أدرج الإرهاب النفسي-الترويع- في ثنايا الإرهاب بشكل عام، واقتصر وقوعه على الأمنيين غير المحاربين، فأخرج بذلك استعمال الوسائل الإرهابية ضد الجيوش المحاربة، وأما تعريف التسخيري تعريف فكري أبعد من أن يكون تعريفاً قانونياً، وزاد الدكتور الزحيلي في تعريفه محاربة الأنظمة الجائرة بالوسائل غير المشروعة إلى خانة الإرهاب، والذي يسمى في الفقه الإسلامي بالبغي، والذي يبدوا لي أن تعريف مجمع البحوث الإسلامية أقرب إلى طبيعة الإرهاب في هذا العصر.

المطلب الثالث: مفهوم التطرف .

١-التطرف في اللغة : قال ابن فارس: الطاء والراء والفاء أصلان ،فالأول يدل على حد الشيء وحرفه ، والثاني: يدل على حركة فيه (٦) ،وطرف الشيء في اللغة ما يقرب من نهايته، وقيل: ما زاد عن النصف.وقال الجصاص : طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه ونهايته ، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفاً (٧) .

٢-التطرف في الاصطلاح : ما نعنيه في هذا البحث بالتطرف هو : الشطط في فهم مذهب أو معتقد أو فلسفة أو فكر، والغلو في التعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تتصف به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجه على الآخر بكل الوسائل ومنها العنف والتطرف والإكراه (٨).

ويلحق بمعنى التطرف كلمات ذات صلة بها نحو : التنطع: وهو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة(٩).

الغلو: هو الزيادة على ما يطلب شرعاً أو تجاوز الحد(١٠).التشدد والتعننت والتحمس بمعنى واحد، قال ابن حجر: التحمس هو التشدد، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تحمس تشدد، ومنه حمس الوعى: إذا اشتد(١١).فالتطرف في الدين :هو المتجاوز حدوده، والجافي عن أحكامه وهديه(١٢)،فكل مُغالٍ في دينه متطرفٌ فيه، مجافٍ لوسطيته ويُسرِه .

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج ٢، ص٩٤٩.

(٢) ينظر القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ص١١٨؛ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري، ج١، ص١٤٠.

(٣) بيان مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بشأن ظاهرة الإرهاب ١٤٢٢هـ، وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

(٤) الإرهاب والسلام، مجمع الفقهي الإسلامي (الهند)، ص٧١.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج ٣، ص ٤٤٧.

(٧) أحكام القرآن ، أبو بكر الرازي ، ج٢، ص٣٣٥.

(٨) التطرف خبز علمي، د.راشد المبارك، ص١٤.

(٩) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ، أبو بكر الدمياطي ج ١، ص١٢٤ .

(١٠) التعريفات ، الجرجاني ، ص٣٢.

فكلمة التطرف في وقتنا الحاضر تحمل كثيراً من الظلال والإيحاءات التي لم يكن لها وجود في تاريخ الكلمة اللغوي، وتطلق هذه الكلمة على عدة حالات من التطرف، منها السياسي، والديني، والمذهبي، والعنقي، وغير ذلك من دوافع التطرف، وهو في منشئه استعداداً ذاتي، بمعنى أنه خصلة تنشأ مع الذات، وليست شيئاً يسقط عليها من الخارج، فليس من الصواب القول أو الاعتقاد أن التطرف خصيصة لشعب بعينه، أو مفردة من مفردات معتقد دون سواه.

المبحث الثاني: دوافع ومظاهر وأسباب وأثار الإرهاب والتطرف المعاصر، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: دوافع ومظاهر الإرهاب والتطرف.

الفرع الأول: دوافع الإرهاب: تختلف دوافع الإرهاب باختلاف نوع العمل الإرهابي، قد يكون دوافع الإرهاب متعددة ومتباينة ويمكن أن تشير بشكل مختصر إلى أهم دوافع الإرهاب من الناحية الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأيديولوجية: .

أولاً: الدوافع الشخصية للإرهاب: قد يدفع الشخص إلى الإقدام على العنف والإرهاب دوافع كثيرة منها (٣): .

١- إحساس الشخص بأنه أقل من غيره وينظر إليه الآخرون نظرة متدنية مما يجعله يشعر بالحزن والاكتئاب والقلق والفشل في الحياة ٢-نقمة الشخص على المجتمع الذي يعيش فيه نتيجة ما يراه من ظلم وإهدار لحقوق المجتمع من قبل السلطة فيقوم بعمل أي شيء ضد المجتمع واستخدام العنف للرد على الظلم الذي يعيشه.

٣-الحياة الروتينية التي يحيها الشباب وافتقاد المعنى الحقيقي للحياة وعدم وجود هدف محدد يسعى إلى تحقيقه مما يولد لديه الملل ومشاعر الاغتراب وعدم الاحترام والتواصل الروحي والعاطفي مما يؤدي إلى سيادة النزعات المادية والبعد عن النواحي العاطفية والمشاعر الإنسانية السامية.

٤-افتقاد الشخص لأهمية دوره في الأسرة والمجتمع وإخفاقه في تحقيق ذاته وإثبات وجوده مما يؤدي إلى عدم الشعور بالانتماء والولاء للوطن.

ثانياً: الدوافع الاجتماعية: من الدوافع الاجتماعية التي تدفع إلى ارتكاب الجرائم الإرهابية وتدور حول المحور الأسري كثيرة منها، الفراغ الاجتماعي والعزلة التي يعيشها بعض الشباب، والتباعد بين أفراد المجتمع وعدم التواصل والترحم بين أفراد الأسرة داخل المجتمع، وتأخر سن الزواج والمشاكل العاطفية الناتجة عن ذلك داخل الأسرة وخارجها، وضعف دور المدرسة في التربية والتنشئة السليمة وغرس القيم الروحية والأخلاقية وافتقاد لغة الحوار والتفاهم سواء كان ذلك داخل الأسرة أو في المدرسة أو مؤسسات المجتمع الأخرى التي أنيط بها ممارسة الضبط الاجتماعي على أفراد المجتمع كله (٤).

ثالثاً: الدوافع الاقتصادية: يؤدي تفاقم المشكلات الاقتصادية في مجتمع ما من فقر وبطالة وديون وارتفاع في الأسعار مقابل قلة في الدخل إلى إصابة بعض أفراد بحالات من الإحباط واليأس وإحساس بالعداء تجاه المهيمنين على اقتصاد البلد، ومما لا شك فيه أن العنف يمارس من قبل أشخاص يعانون أوضاعاً اقتصادية سيئة ويشعرون بالفوارق الطبقة في المجتمع الذي يعيشون فيه، وسوء توزيع الثروة الوطنية والاستيلاء على الأموال العامة بدون وجه حق مما يدفعهم إلى الرغبة في الانتقام واستعمال العنف في الاحتجاج على تلك الأوضاع المتردية واستمالتهم من قبل بعض الجماعات الإرهابية التي تستغل مثل هذه الظروف في السيطرة على الأشخاص الناقمين على الأوضاع الاقتصادية وإغرائهم بالأموال أو تضليلهم باسم الدين للقضاء على مسببات الفساد الاقتصادي وبالتالي سهولة إقناعهم بالقيام بالعمليات الإرهابية (٥).

رابعاً: الدوافع السياسية: الدوافع السياسية التي تدفع إلى الأعمال الإرهابية كثيرة منها: السياسات غير العادلة التي تتخذها الدولة ضد مواطنيها والكبت السياسي الذي تمارسه عليهم وتهميش دور المواطن وتغييبه عن المشاركة السياسية أو انتهاك حقوقه مما يشعر معه بأنه مهمل ولا دور له، وأيضاً من الدوافع الصراعات المحلية الداخلية سواء كانت بين طبقات الشعب

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج ٣، ص ٥١٦.

(٢) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، ص ١٥.

(٣) ينظر: الإرهاب الدولي وفقاً للسياسة الجنائية الدولية، نبيل أحمد حلمي، ص ٢٣؛ والإرهاب والشباب، محمد يسري دعيس، مكتبة الإسكندرية، ص ٢٨٠.

(٤) ينظر: موقف الإسلام من الإرهاب، د. محمد بن عبد الله العميري، ص ٥٦؛ والإرهاب والشباب، محمد يسري دعيس، ص ٢٧٥.

(٥) أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، أحمد فلاح العموش، ص ١٠٣.

المختلفة أو بينهم وبين السلطة ، وأيضا من الدوافع الانتقام من دولة معينة والإضرار بمصالحها نظرا للمواقف السياسية التي تنتهجها في قضية معينة وانحيازها إلى جانب دولة آخر ، وتكوين جماعات وحركات سياسية غير مشروعة وتبنيها ومدها بالإمكانات المادية والفنية من جانب دول أخرى لخلق نوع من زعزعة الأمن والاستقرار وخلق الفتن والقتل داخل الدولة (١).

خامساً: الدوافع الأيديولوجية: قد يدفع التعصب لمبدأ فكري أو ديني إلى اللجوء إلى استعمال العنف وممارسة الإرهاب من قبل فئة معينة تحاول فرض مبادئها التي تؤمن بها على المجتمع الذي تعيش فيه وربما تسعى تلك الفئة إلى محاولة الوصول إلى السلطة بالقوة والأعمال الإرهابية لتسهيل نشر تلك المبادئ وتطبيقها .

الفرع الثاني : مظاهر الإرهاب : مظاهر وصوره عديدة ومتعددة في عالمنا المعاصر ، وهي تمثل الأشكال والطرق التي تتم ممارسة الإرهاب بها ، وذلك من خلال وسائطه المختلفة ومن خلال مناشطه المتعددة ، فالإرهاب له من المظاهر والأشكال الكثير والكثير ، ويهمننا هنا التعرف والإشارة إلى بعض مظاهر الإرهاب من الناحية الدينية ومن أهمها ما يأتي (٢): .

١-الإرهاب الفكري: ويبدأ هذا الإرهاب بالتعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود حتى ولو خالف برأيه هذا كافة السابقين واللاحقين والمحدثين والمعاصرين الذين اتضحت لديهم الرؤيا لمصالح الناس ومقاصد الشرع وظروف العصر، فهو يحجز على آراء المخالفين لرأيه وبلغيتها وينتهي به الأمر إلا اتهام مخالفه بالفسوق والعصيان ويزداد الأمر خطورة عندما يريد هذا المتعصب ذو الفهم الجامد أن يفرض رأيه على الآخرين فيوجه ويوزع عليهم اتهامات الابتداع والاستهتار بالدين أو حتى بالكفر والمروق .

فهذا التعصب المقيت القائم على فرضية صحة رأيه وخطأ رأي الآخرين ولا وسط بينهما هو الإرهاب الفكري بعينه .

٢-التشديد الدائم على المسلمين بما هو غير ملزم : تبني الآراء المتشددة والمضيقة على الناس بصفة دائمة ومطلقة ، وتجاهل الآراء الميسرة، واتهام كل من يتبنى رأياً مخالفاً بالتفريط في الدين ، ومحاسبة على النواقل والسنن وكأنها فرائض ، وعلى المكروهات وكأنها محرمات، ومتجاهلين النصوص التي تدعو للتيسير ، سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية .

٣-التشدد في غير محله : التزام المتطرف هذا لمنهجه المتشدد الدائم حتى مع من هم حديثي العهد بالإسلام ، أو مع من هم حديث توبة .

٤-الغلظة والخشونة : في تعاملهم مع الناس ، والخشونة في الأسلوب ، والقسوة في الدعوة ، خلافاً لهداية الله تعالى ، وهدى رسوله (ﷺ) ، فالله تعالى يأمرنا أن ندعو إلى الله بالحكمة لا بالحماسة ، وبالموعظة الحسنة ، لا بالعبرة الخشنة ، وأن نجادل بالتي هي أحسن ، قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (٣).

٥-التربص بالآخرين: أي سوء الظن بالناس ، والنظر إليهم من خلال منظار أسود ، يخفي حسناتهم ، على حين يضخم سيئاتهم .

٦-تكفير المسلمين : أي اتهام جمهور المسلمين بالخروج من الإسلام أو عدم الدخول فيه أصلاً فيسقط عنهم العصمة ويستبيح دماءهم وأموالهم ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة ، لأن الأصل عندهم الاتهام وتكفير الآخرين ، خلافاً لما تقرره الشرائع والقوانين .

المطلب الثاني: أسباب وأهداف الإرهاب والتطرف .

الفرع الأول: أسباب الإرهاب والتطرف : يجمع الباحثون في قضية التطرف والغلو أن أسبابه لا تنحصر في الدين ، وإنما منها ما هو سياسي ، ومنها ما هو تربوي ، ومنها ما هو نفسي ، ومنها ما هو اقتصادي ، ومنها ما هو ثقافي ، ومنها ما هو مجتمعي ، وقد يغذي الإرهاب والتطرف أحيانا الأفراد وأحيانا أخرى الجماعات ، وفي بعض الأحيان مؤسسات ودول تحت مظلة النظام والقانون ، وربما المحاكم الصورية ولذا نعالج التطرف والغلو في أهم أسبابه وهي كما يأتي: .

(١) الإرهاب الدولي وفقا للسياسة الجنائية الدولية ، نبيل أحمد حلمي ، ص ١٩ .

(٢) ينظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٧؛ والوسطية حياة وحضارة، د. حسنين المحمدي بواى ص ١٩ .

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥) .

أولاً: أسباب الإرهاب والتطرف الديني، وهي كثيرة ومن أهمها ما يأتي (١):.

١- الجهل بالدين: أي ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وقلة البضاعة في فقهه، والتعمق في معرفته أسرارها، والوصول إلى فهم مقاصده، واستشفاف روحه .

٢- انتشار الأمية بين طبقات المجتمع: فمع انتشار الكتب وتوسع المعلومات، والتقدم التكنولوجي الذي بات يسمح لكل إنسان التزود بالمعلومات الدينية، والفقهية إلا أن الأمية ما زالت موجودة حتى بين طبقات المتعلمين، وهذا بلا شك يعد أمراً خطيراً ويؤدي في النهاية إلى العنف والإرهاب.

٣- الجهل بمقاصد وأسرار الشريعة الإسلامية: ويقصد بذلك الفهم الظاهري للنصوص و التمسك بحرفية النصوص سواء نصوص القرآن أو السنة النبوية دون الوقوف على مقاصدها وعلتها، لأن النظر في حكم العبادات يختلف عما هو في المعاملات، كما يقول الأصوليون الحكم يدور مع علته وجوباً وعملاً (٢).

٤- الجدل في الأمور الفرعية والجانبية: مثل حلق اللحية أو الأخذ بها وقص الشوارب، أو إسهال الثياب أو تحريك الأصابع أثناء التشهد، أو تحريم الصور الفوتوغرافية أو تحريم الموسيقى والفن وغير ذلك .

٥- التوسع والإسراف والتشهي في التحريم: ويقصد بذلك الميل الغير اعتيادي إلى الشديد والتضييق على الناس عن طريق توسيع دائرة المحرمات بالرغم من أن القرآن والسنة ومنهج الصحابة والتابعين قد حذروا من ذلك .

٦- غموض المفاهيم الإسلامية، واضطرابها في أذهانهم واختلاطها مع بعضها البعض دون إدراك لنتائج هذا الخلط الخطيرة في الحكم على إيمان الآخرين.

٧- إتباع المتشابهات وترك المحكمات: أي إتباع المتشابهات من النصوص، وترك المحكمات البينات، وهذا لا يصدر من راسخ في العلم، إنما هو شأن الذين في قلوبهم زيغ ومرض، قال تعالى { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } (٣) .

ثانياً: الأسباب السياسية: تتعلق بواقع الأمة الخارجي من احتلال أراضيها وقتل أبنائها وهتك عرض بناتها ومصادرة ثرواتها وكشف أسرارها وإسقاط هيبتها فما يحصل في كثير من البلدان الإسلامية لا شك أنه سينعكس انتقاماً في نفوس الشباب وسيكون وقوداً صالحاً للاشتعال متى ما أتاحت الفرصة .

وعلى المستوى الداخلي: فإن الزج بآلاف الشباب في السجون والمعتقلات تحت غطاء المحاكمات الصورية ومداومة منازلهم والنشهير بهم وبسمعتهم ومنعهم من ممارسة حرية التعبير وتعرضهم لأقصى درجات التعذيب والإهانة وسحق الإنسانية كل ذلك كفيلاً في أن يولد لنا تطرفاً وغلواً وإرهاباً (٤).

ثالثاً: أسباب تتعلق بالمجتمع والدولة: إن الانحلال الخلقي المدعوم أحياناً بالقانون تحت غطاء الحرية هو أحد أسباب حصول الإرهاب. فمظاهر الرذيلة التي يشاهدها المسلم خاصة في المجتمعات الإسلامية في الشارع والمدرسة والجامعة والإعلام الرسمي والصحافة والإذاعة والأسواق من ناحية، والاستهزاء بالدين وتشويه صورته ومحاربتة، ومحاصرة رجل الدين في فكره وإغلاق منافذ التعبير عليه، كل ذلك من أسباب نشوء والإرهاب وردة الفعل القاسية وإن كانت غير مبررة إلا أننا نبحث في الأسباب.

رابعاً: الأسباب الاقتصادية: يعيد الاقتصاد من عصب الحياة وهو محور من محاور اهتمامات البشر، وعندما تكون الظروف الاقتصادية غير مستقرة ولا يحقق فيها تلبية احتياجات الناس تدعم التعصب وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين

(١) ينظر: الصحوة الإسلامية، القرضاوي، ص ٦١؛ والوسطية حياة وحضارة، د. حسين المحمدي، ص ٢٧؛ والتطرف والغلو، د. طارق محمد الطواري، ص ١١.

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي، ج ٣، ص ٥٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية (٧) .

(٤) التطرف والغلو الأسباب المظاهر العلاج، د. طارق محمد الطواري، ص ١٣.

،ويستغل أصحاب الأفكار والمذاهب هذا الجانب لإثارة النفوس على بعض التصرفات الغير مشروعة وبالنتيجة يؤدي إلى الإرهاب والتطرف من قبل البعض للحصول على حقوقهم حتى ولو بالقوة والأعمال الإرهابية .

وعليه فيعد الاقتصاد من العوامل الرئيسية في خلق الاستقرار النفسي لدى الإنسان فكلما كان دخل الفرد مثلاً مضطرباً كان رضاه واستقراره غير ثابت بل قد يتحول هذا الاضطراب وعدم الرضا إلى كراهية تقوده إلى نقمة على المجتمع ، وهذا الحال من الإحباط يولد شعوراً سلبياً تجاه المجتمع، ومن آثاره عدم انتمائه لوطنه ونبذ الشعور بالمسؤولية الوطنية ولهذا يتكون لديه شعوراً بالانتقام وقد يستثمر هذا الشعور بعض المغرضين والمثبطين فيزينون له قدرتهم على تحسين وضعه الاقتصادي دون النظر إلى عواقب ذلك وما يترتب عليها من مفسد وأضرار (١).

خامساً: الأسباب النفسية: من أحد أسباب الإرهاب والتطرف قد يعود إلى علة نفسية، ومرض عقلي يعاني منه الإرهابي أو المغالي، وذلك لأن سلوك الإنسان يتمثل في جميع أوجه النشاط الصادرة عن الإنسان سواء كانت حركات جسمية، أم عبارات لفظية، أم خبرات فهو شامل لكل ما يمارسه الفرد ويفكر فيه ويشعر به(٢).

ومن الأسباب النفسية التي قد تؤدي إلى سلوك عمل إرهابي افتقاد التوافق النفسي، وعدم إشباع الحاجات الإنسانية قد يلجأ إلى سلوك دفاعي يفكر الآخرين في الفرار من المشكلة التي هم واقعون، والاضطرابات النفسية والسلوكية، وكذلك العدوان الناجمة عن العلاقات الأسرية السيئة تعد من عوامل ظهور الاضطرابات النفسية والانفعالية، كما أن اضطرابات التفكير الغير السوي كل أولئك قد يكون من أسباب الغلو والإرهاب عند بعض الأفراد (٣)، وقد يكون من الأسباب النفسية حب الظهور والشهرة حيث لا يكون الشخص مؤهلاً فيبحث عما يؤهله باطلاً فيندفع ولو بالتخريب والقتل والتدمير .

سادساً: الأسباب التربوية: قلة القدوة الناصحة المخلصة التي تعود على الأمم بغرض النفع وإرضاءً لله تعالى وحباً في دينهم وأوطانهم وغياب القدوة يؤدي للتخبط وعدم وجود المرجعية الصالحة والأسوة الحسنة من عوامل التفكك والانحطاط والتخلف، وأيضاً من الأسباب غياب أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات ودعائم قوية من نصوص الوحي، واستبصار المصلحة العامة ودرء المفسد الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس، وأيضاً من الأسباب الواضحة غياب التربية الحسنة والموجهة التي توجه الأفراد للأخلاق القيمة الحسنة (٤).

الفرع الثاني: أهداف الإرهاب والتطرف: الإرهاب ليس مجرد نشاط يثير الرعب والخوف مثلما تثيره النشاطات الإجرامية الأخرى أو مثلما تثيره القوى الطبيعية من زلازل وأعاصير وبراكين وأوبئة، وإنما هو نمط هادف تستخدم فيه القوة والعنف أو يهدد بها لأجل هدف معين، ولكل عملية إرهابية هدفها الذي تسعى إليه الجهة التي قامت بتنفيذها أو التخطيط لها، فقد يكون هذا الهدف هدفاً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً، وعليه فتتمثل أهداف الإرهاب في نشر الرعب والخوف لدى الدول والشعوب المختلفة، والإخلال بالنظام العام، وإلحاق الضرر بالبنية التحتية للدولة، والانتقام من الخصوم، وتهديد السلطات وابتزازها، أو قد يكون الهدف هو الدعاية والإعلان، أو الأضرار بالبيئة، أو إسقاط الحكومات وتغيير نظام الحكم، وجمع الأموال، أو إطلاق سراح المعتقلين أو المسجونين، كل هذا يعد من الأهداف الإرهابية (٥).

المطلب الثالث: آثار الإرهاب والتطرف .

بدون شك أن للإرهاب والتطرف آثار كبيرة على عدة مستويات منها الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والأمنية والسياسة، ويمكن أن نجملها في النقاط الآتية (٦) :

- (١) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، د. صالح غانم السدلان، ص ٢٠.
- (٢) ينظر: علم النفس التربوي، د. رجاء محمد أبو غلام، ص ١٦؛ وقاموس علم الاجتماع، د. محمد عاطف غيث، ص ٣٦.
- (٣) مشكلة الغلو في الدين، عبد الرحمن معلا اللويحق، ص ٣٣٥.
- (٤) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، د. صالح غانم السدلان، ص ٢١.
- (٥) موقف الإسلام من الإرهاب، د. محمد بن عبد الله العميري، ص ٦٠-٦٤.
- (٦) ينظر: مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، د. هيثم عبد السلام محمد، ص ١٣٨؛ و نشوء الإرهاب وتطوره والأساليب الملائمة لمعالجته، عبد الرحيم عبد الجبار، ص ١٠٢-١٠٣؛ واليسر والسماحة في الإسلام، د. فالح بن محمد الصغير، ص ٣٩؛ والإرهاب في ميزان الشريعة، د. عادل العبد الجبار، ص ٢٧.

١- الأثار الاقتصادية : تدمير الاقتصاد ،كثير من الدول لا ترغب في التعامل مع البلد التي يكتنفها العنف، وبذلك تقل الموارد الاقتصادية لتلك البلد، وكذلك صرف موارد الدولة إلى تعزيز الأمن، وإهمال جوانب مهمة أخرى، وتدمير مقدرات البلد والبنى التحتية.

٢- الأثار الاجتماعية : مثل قتل النفس المعصومة، وانتشار الفوضى ، وتيتم الأطفال ، وترمل النساء، ومضايقه الناس في الشوارع والطرق من قبل رجال الأمن بسبب ازدياد نقاط التفيتش ، وكثرة الفقراء والمحتاجين من أهالي الشهداء الذين قتلوا بلا ذنب ، وكذلك من الأثار الخطيرة جداً تكليف الأفراد والمجتمعات بما لا يطاق، والقول على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ ما لم يقل، وتحميل الشرع ما لا يحتمل وفي هذا جنائية أيما جنائية، جعلت النبي ﷺ يقول: (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) (١)، ومن ثم يوصف الدين بما ليس فيه.

٣- الأثار الأمنية :يتمثل في زعزعة الأمن، مثل القلق ، والخوف، والذعر تملك الكثير من المواطنين والمقيمين في البلد التي توجد فيها العنف والتطرف الديني .

٤- الأثار النفسية :العقد النفسية ، كثير من الناس أصيب بعقد نفسية جراء الأفعال الإرهابية ، وإساءة الظن بالإسلام والمسلمين ،لأنه أعتقد كثير من أفراد الدول الغربية أن الأعمال الإرهابية هي أصل من أصول الإسلام ، ولكن الإسلام كان رحيماً بالناس كافة ،بعض النظر عن انتمائهم وولائهم الديني أو العرقي أو الطائفي .

٥- الأثار السياسية : مثل التدخل الأجنبي لحماية المصالح الخاصة ،لأن العنف والإرهاب ذريعة قوية لتدخلهم ،والزج بالدولة لمواجهة الدول التي قتل ضحاياها في العمليات الإرهابية،والعنف يجعل الدولة تعيش في وضع سياسي لا تحسد عليه ، وإعاقة مسيرة التقدم التي تخطط لها يبرز عامل آخر يتمثل باختلال النظام السياسي القائم فيدفع بالأمر نحو الأسوأ، فالعمليات الإرهابية تسبب نتائج على الصعيد الداخلي والخارجي ،فهي تضر بهيبة الدولة وسمعتها.

المبحث الثالث: مكانة المقاصد ونشأتها وأنواعها وفوائدها ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول: مكانة المقاصد ونشأتها .

الفرع الأول:نشأت المقاصد :نشأة المقاصد الشرعية مع نشأة الأحكام الشرعية نفسها، أي أن المقاصد كانت بدايتها مع بداية نزول الوحي الكريم على رسول الله (ﷺ)، فقد كانت مبنوثة في نصوص الكتاب والسنة ومتضمنة في أحكامها وتعاليمها بتفاوت من حيث التصريح بها أو الإيماء والإشارة إليها، غير أن تلك المقاصد لم تكن لتحظى بالإبراز والإظهار على مستوى التأليف والتدوين، وعلى مستوى جعلها علماً لقبياً واصطلاحياً له دلالاته وحقائقه ومناهجه، بل كانت معلومات ومقررات شرعية مركوزة في الأذهان يستحضرها السلف في أفهامهم واجتهاداتهم وأقضيتهم(٢).

ومن أجل ذلك وأوضح الأدلة على أن المقاصد الشرعية بدأت مع نزول الوحي الكريم :

١- البعثة النبوية نفسها، والتي غللت بكونها رحمة وخيراً وصلاً للناس أجمعين، فقد قال الله تعالى في شأن بعثة الرسول (ﷺ) {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٣).

٢- القرآن الكريم ذاته ،والذي كان مقصده الشرعي الأكبر يتمثل في هداية الناس أجمعين لأقوم المناهج وأفضل أحوال المعاش والمعاد وأحسن الخواتيم والموازن، قال تعالى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (٤).

(١) الجامع الصحيح، مسلم ، كتاب النكاح ، باب النكاح من سنته ، رقم الحديث (٣٣٨٤) .

(٢) أبحاث في مقاصد الشريعة ،د.نور الدين مختار الخادمي ، ص ٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٤) سورة الإسراء: الآية (٩).

٣-الوحي كله (الكتاب والسنة)، (المتلو والمروي)، والذي كان مقصده الأعلى إحياء النفوس في الحياة الحقيقية في الدارين، أي إحيائها في الدنيا بأداء واجب الامتثال والتعبد والتدين وإحيائها في الآخرة بتحصيل مرضاة الله والفوز بجنته وخيراته قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١).

وعليه فإن المقاصد كانت موجودة تطبيقاً في العهد النبوي المبارك، ثم انطلق العلماء في وضع أسسها والتدوين فيها، أما من حيث المصطلحات فتشير المصادر إلى أن الإمام الجويني إمام الحرمين هو واضع اللبنة الأولى في بناء المقاصد حيث تكلم عليها بأسلوبه المتين في كتابه الأصولي (البرهان) عندما كان يبحث في العلل من باب القياس، حيث جعل أصول الشريعة في خمسة أقسام هي :

١-الضروري .

٢-الحاجي.

٣-لا يتعلق بضرورة حاقة ولا حاجة عامة ولا يعارض قاعدة .

٤-لا يتعلق بهما لكن يعارض قاعدة ما.

٥-ما لا يلوح فيه للمستنبط معنى أصلاً.

ثم ذهب يفضل ذلك، ومن بعده جاء تلميذه الألمي حجة الإسلام الغزالي، فبين معالم المقاصد بأسلوبه الواضح بعد أن هضم ما قرره شيخه وأضاف عليه ما زاده بياناً ووضوحاً، ثم لا نجد عند من جاء بعدهما إلا ترديد ما قالاه عن المقاصد، اللهم إلا بتغيير في العبارات وأحياناً بإضافات لا تتعد عما قرراه، كما فعل سلطان العلماء العز بن عبد السلام في كتابه (القواعد الكبرى) والغمام القرافي في كتابه (الفروق)، وابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين)، ثم جاء المؤسس الحقيقي لمقاصد الشريعة وهو الإمام الشاطبي المتوفى في نهاية القرن الثامن الهجري (٧٩٠هـ)، حيث أفرد لها في التأليف في كتابه المشهور (الموافقات)، وضمنها أيضاً كتابه الثاني (الاعتصام) فيعد بحق هو المنشئ لهذا العلم، ونسبته فيه كنسبة الإمام الشافعي في علم أصول الفقه، ثم خفت الكتابة في مقاصد الشريعة عدة قرون، اللهم إلا ترديد ما ذكره الإمام الغزالي، حتى جاء الإمام محمد عبده فحث طلبته على قراءة الموافقات والاستفادة منها، فعاد البحث في المقاصد من جديد، كذلك عاد التأليف فيها أيضاً، لكن لم يدون فيها في العصور المتأخرة أفضل مما كتبه شيخ الزيتونة الطاهر بن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية)، ثم عادت الكتابة مكررة ليس فيها جديد (٢).

الفرع الثاني: مكانة المقاصد: يذهب الشاطبي إلى أن مقاصد الشارع الثلاثة (الضرورية والحاجية والتحسينية) هي (أصل أصول الشريعة) وقد اثبت في مقدمات الكتاب أن أصول الشريعة قطعية، فلذلك يقول (فأصول أصولها أولى أن تكون قطعية) (٣)، وكما وظف (التوتر المعنوي) للاحتجاج على قطعية الأصول وظفه هنا للتدليل على قطعية أصل الأصول (مقاصد الشريعة) .

فالدليل هو استقراء روح المسألة (فباستقراء أدلة الشريعة والنظر في أدلتها الكلية والجزئية .. على حد الاستقراء المعنوي .. فلم يعتمد الناس في إثبات قصد الشارع في هذه القواعد على دليل مخصوص ولا على وجه مخصوص بل حصل لهم ذلك من الظواهر والعمومات والمطلقات والمقيدات والجزئيات الخاصة .. حتى ألفوا أدلة الشرع كلها دائرة على الحفظ على تلك القواعد، هذا مع ما يضاف إلى ذلك من قرائن أحوال منقولة وغير منقولة (٤).

المطلب الثاني: أنواع المقاصد .

تنقسم المقاصد الشرعية إلى تقسيمات عديدة بحسب اعتبارات مختلفة، وكل قسم من هذه الأقسام يشتمل على أنواع من المقاصد، وقد نجد أحياناً في بعض أفراد هذه الأنواع مراتب مختلفة .

غير أن هذه التقسيمات المختلفة لأنواع المقاصد لا يعني بالضرورة انفصال كل نوع عن آخر، وإنما هي تقنيات فرضها علينا البحث النظري العلمي بحسب الاعتبارات التي بنيت عليها تلك التقسيمات، وإلا فإن حقيقة الممارسة العلمية المقاصدية تشهد على تداخل بعض هذه الأنواع في بعض وتشابكها.

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

(٢) علم مقاصد الشريعة، د. بشير مهدي الكبيسي، ص ١٠.

(٣) الموافقات، الشاطبي، ج ٢، ص ٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٢.

ويمكن أن نقسم المقاصد بحسب الاعتبارات التي بنيت عليها إلى أقسام عدة (١) .:

أولاً: باعتبار محل صدورها ينقسم إلى قسمين :

أ-مقاصد الشارع: وهي المقاصد التي قصدها الشارع بوضعه الشرعية، وهي تتمثل إجمالاً في جلب المصالح ودرء المفاسد في الدارين (٢).

ب-مقاصد المكلف (٣): وهي المقاصد التي يقصدها المكلف في سائر تصرفاته اعتقاداً وقولاً وفعلاً، والتي تفرق بين صحة الفعل وفساده وبين ما هو تعبد وما هو معاملة، وما هو ديانة وما هو قضاء ، وما هو موافق للمقاصد وما هو مخالف لها .

ثانياً: المقاصد باعتبار مدى الحاجة إليها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ-المقاصد الضرورية: وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدارين، وهي الكليات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والتي تثبت بالاستقراء والتنقيص في كل أمة وملة، وفي كل زمان ومكان .

ب-المقاصد الحاجية: وهي التي يحتاج إليها للتوسعة ورفع الضيق والحرج والمشقة ،ومثالها: الترخيص وتناول الطيبات والتوسع في المعاملات المشروعة على نحو السلم والمساقات وغيرها .

ت-المقاصد التحسينية: وهي التي تليق بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق والتي لا يؤدي تركها غالباً إلى الضيق والمشقة، ومثالها: الطهارة وستر العورة وآداب الأكل وسننه وغير ذلك .

ثالثاً: المقاصد باعتبار شمولها تنقسم إلى أربعة أقسام :

أ-المقاصد العالية: -كما سماها العلامة محمد الطاهر بن عاشور-، ففي معرض حديثه عن الأوصاف المشتركة في الأحكام المتماتة، قال: فإن كانت تلك الأوصاف فرعية قريبة سميها عللاً مثل الإسكار، وإن كانت كليات سميها مقاصد قريبة مثل حفظ العقل ، وإن كانت كليات عالية سميها مقاصد عالية (٤).

ب-المقاصد العامة: وهي الكليات الخمس التي اجتمعت عليها جميع الأدلة أو أغلبها ،وعلمت ملاءمتها للشرعية بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد، مثل حفظ النفس التي نجد النهي عن قتلها وجعل قتلها سبباً للقصاص ومتوعداً عليه ومقرناً بالشرك ، ووجوب سد الرمق على الخائف على نفسه ولو بأكل الميتة ونحو ذلك .

ت-المقاصد الخاصة: وهي المقاصد التي تختص بباب معين أو بأبواب متجانسة من الشرعية أو مجموعة متجانسة من أحكامها، مثل معرفة قصد الشارع من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك .

ث-المقاصد الجزئية: وهي الأسرار والحكم والعلل المقصودة من الشارع في تشريع كل حكم من الأحكام الفرعية، إذ ليس في الشرعية -كما قال ابن القيم الجوزية- حكم واحد إلا وله معنى وحكمة يعقله من يعقله ويخفى على من خفي عليه (٥).

رابعاً: والمقاصد باعتبار القطع والظن تنقسم إلى :

أ-المقاصد القطعية: وهي التي توافرت على إثباتها طائفة عظمى من الأدلة والنصوص، ومثالها التيسير والأمن وحفظ الأعراض وصيانة الأموال .

(١) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، علال الفاسي، تحقيق: د.إسماعيل الحسني، ص١١٧؛ ومحاضرات في مقاصد الشريعة ، د.إلياس دررور، ص٢٤٧-٢٦٣؛ أو أبحاث في مقاصد الشريعة ، د.نور الدين مختار الخادمي ، ص١٦-١٨ ..

(٢) الموافقات ، الشاطبي ، ج٢ ، ص١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٧ .

(٤) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص١١٩ .

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية ، ج٢ ، ص٥١ .

ب- المقاصد الظنية: وهي التي تقع دون مرتبة القطع، والتي اختلفت حبالها الأنظار والآراء، ومثالها: مقصد سد ذريعة إفساد العقل، والذي نأخذ منه تحريم القليل من الخمر وتحريم النبيذ الذي لا يغلب إفضاؤه إلى الإسكار، فتكون تلك الدلالة دلالة ظنية خفية .

ت- المقاصد الوهمية: وهي التي يتخيل أنها صلاح وخير إلا أنها على غير ذلك، وقد اصطلح العلماء على تسميتها بالمصالح الملقاة.

خامساً: والمقاصد باعتبار تعلقها بعموم الأمة وأفرادها تنقسم إلى قسمين :

أ- المقاصد الكلية: وهي التي تعود على عموم الأمة، ومثالها حفظ النظام وحماية القرآن والسنة من التحريف والتغيير .

ب- المقاصد البعضية: وهي العائدة على بعض الناس بالنفع والخير، ومثالها الانتفاع بالبيع والمهر، والأنس بالأولاد .

سادساً: والمقاصد باعتبار حفظ المكلف وعدمه تنقسم إلى قسمين :

أ- المقاصد الأصلية: وهي التي ليس فيها حظ المكلف، ومثالها أمور التعبد غالباً .

ب- المقاصد التابعة: وهي التي فيها حظ للمكلف، ومثالها الزواج والبيع والصيد .

المطلب الثالث: فوائد المقاصد.

مقاصد الشريعة ليست مجرد معرفة ومتعة معرفية، وليست مجرد تعمق فلسفي في الشريعة ومعانيها ومراميتها، بل هي - كسائر علوم الإسلامية - علم ينتج عملاً وأثراً، علم له فوائده وعوانده كثيرة نذكر منها (١):

١- المقاصد قبله المجتهدين: أعظم الفوائد وأوسع العوائد التي تُجنى من مقاصد الشريعة هي تلك التي يجنيها العلماء المجتهدون، لأنهم الأقدر على اجتنائها واستيعابها، ولأن ذلك يعود بالنفع والخير على عموم الأمة إذ بهم تهتدي وبهم تقتدي .

وخلاصة فائدة المجتهدين من معرفة المقاصد توجد في عبارة (المقاصد قبله المجتهدين)، وهي عبارة مقتبسة من أبي حامد الغزالي فقد نقل السيوطي عنه أنه قال في كتابه حقيفة القولين (مقاصد الشرع قبله المجتهدين من توجه إلى جهة منها أصاب الحق) (٢).

٢- إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه ومراميه الجزئية والكلية، والعامة والخاصة، في شتى مجالات الحياة وفي مختلف أبواب الشريعة .

٣- تمكين الفقه من الاستنباط على ضوء المقصد الذي سيعينه على فهم الحكم وتحديده وتطبيقه .

٤- إثراء المباحث الأصولية ذات الصلة بالمقاصد، على نحو المصالح والقياس والعرف والقواعد والذرائع وغيرها .

٥- التقليل من الاختلاف والنزاع الفقهي، والتعصب المذهبي، وذلك باعتماد علم المقاصد في عملية بناء الحكم، وتنسيق الآراء المختلفة ودرء التعارض بينها .

٦- التوفيق بين خاصتي الأخذ بظاهر النص، والالتفات إلى روحه ومدلوله، على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص، ولا بالعكس، لتجري الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض (٣).

٧- عون المكلف على القيام بالتكليف والامتثال على أحسن الوجوه وأتمها، ذلك أن المكلف إذا علم مثلاً أن المقصد من الحج التأدب الكامل مع الناس والتخلي بأخلاق الإسلام العليا، فإنه إذا علم ذلك فسيعمل جاهداً ومجتهداً لتحقيق تلك المرتبة العليا التي تجعل صاحبها عائداً بعد حجه كيوم ولدته أمه .

(١) ينظر: الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، د. أحمد الريسوني، ص ٧٦؛ و أبحاث في مقاصد الشريعة، د. نور الدين مختار الخادمي، ص ٢٨.

(٢) الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، ص ١٨٢.

(٣) الموافقات، الشاطبي، ج ٣، ص ١٣٤.

٨- عون الخطيب والداعية والمدرس والقاضي والمفتي والمرشد والحاكم وغيرهم على أداء وظائفهم وأعمالهم على وفق مراد الشارع ومقصود الأمر والنهي، وليس على وفق حرفيات النصوص وظواهر الخطاب ومباني الألفاظ .

المبحث الرابع: الثقافة المقاصدية ودورها في نبذ الإرهاب والتطرف ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول: مقاصد الشريعة في العصر الحاضر وتطبيقها .

مقاصد الشريعة الإسلامية أمر موجود في عصرنا الحاضر ، وتزداد العناية بها يوماً بعد يوم وخاصة بعدما تكاثرت القضايا وتنامي المستجدات والمستحدثات المختلفة، حيث يقوم بها بعض الكتاب والباحثين والدارسين في علم مقاصد الشريعة، وأيضاً تُدرّس في أغلب كليات الشريعة والدراسات الإسلامية مادة مقاصد الشريعة الإسلامية .

ونستطيع القول بأن العلامة محمد الطاهر بن عاشور هو الذي حمل لواء هذه المهمة في عصرنا الحاضر، وأهتم ودرس وكتب في علم المقاصد .

لقد كان ظهور العلامة محمد الطاهر بن عاشور ١٩٧٣ متزامناً مع قيام حركة الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي والتي كان من دعواتها أمثال محمد عبده ١٩٠٥م، ومحمد رشيد رضا ١٩٣٥م اللذان كان لهما تأثيراً مباشراً في جميع البلاد الإسلامية .

وكان محمد عبده قد اقترح إصلاحاً في مجال التعليم الديني العالي المخصّص لطبقة المعلمين والمرشدين، ضمّنه في لائحة أرسل بها إلى شيخ الإسلام بالاستانة سنة ١٣٠٤هـ، ومما جاء في نص ما كتبه من نقاط الإصلاح: النقطة الخامسة: فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص الشرعية، ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام، ونرى أفضل كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي ، ثم تلميذه محمد رشيد رضا الذي أظهر عناية واضحة بالأبحاث المقاصدية في عموم مؤلفاته وفي كتابه الوحي المحمدي على وجه الخصوص، حيث عقد الفصل الخامس تحت عنوان مقاصد القرآن في تربية نوع الإنسان وحكمة ما فيه من التكرار في الهداية وإعجازه بالبيان، وفرّع على هذا المقصد العام عشرة مقاصد (١).

والاهتمام والعناية بعلم مقاصد الشريعة مستمرة حتى على مستوى الجماعة مثلًا الموسوعات والمدونات التي تنهض بها بعض المؤسسات الفقهية والشرعية، كالموسوعة الأصولية التي تنهض بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، وكمعلمة القواعد الفقهية التي ينهض بها مجمع الفقه الإسلامي بجدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والاهتمام أيضاً بها من خلال المؤتمرات والندوات العلمية المحلية والإقليمية والدولية التي تنظمها بعض الجامعات والمراكز العلمية، وكذلك الاهتمام بها من خلال المواقع الإلكترونية والمحطات الفضائية التي تتناول في بعض موادها وأعمالها ومواقعها بعض الطرح المقاصدي .

ولكن مع كل هذه الاهتمامات والجهود المبذولة والناهضة للنظرات المقاصدية، فإنه يتعين زيادة العناية والاهتمام بالمقاصد على صعد كثيرة حتى ننهض بالأداء المقاصدي الذي يكون مستوى الواقع وتحدياته وطروحاته .

وأما مجالات تطبيق المقاصد فقد استطاع العلامة محمد الطاهر بن عاشور بفضل تمرسه على الحياة العلمية، وبفضل تملكه لحسن في التطبيق نزاع إلى الاستدلال على الأحكام بناءً على ظروف التنزيل المحققة للمصلحة المقصودة شرعاً (٢)، فقد حصر مظاهر التطبيق للمقاصد في أنحاء خمسة، وقال إن تصرف المجتهدين بفقههم في الشريعة تقع على خمسة أنحاء (٣):

النحو الأول: فهم أقوالها، واستفادة مدلولات تلك الأقوال، بحسب الاستعمال اللغوي، وبحسب النقل الشرعي بالقواعد اللفظية التي بها عمل الاستدلال الفقهي، وقد تكفل بمعظمه علم أصول الفقه.

(١) مجلة المنار ، محمد رشيد رضا ج٩، ص٨٨٩.

(٢) نظرية المقاصد عند ابن عاشور، إسماعيل الحسني ، ص٣٧٠.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ص١٥.

وذلك لأن أغلب مباحث علم أصول الفقه قائمة على معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وهذا متوقف على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم وغير ذلك مما لا يعرف في غير علم العربية، وهذه القواعد اللفظية إنما تظهر فاعليتها الاستدلالية من خلال قدرة مستخدميها ومدى تشبعه بمقاصد الشريعة، خاصة إذا تعارضت مباني النصوص وصيغها اللفظية مع معانيها وما يتعقل من مفهوماتها ومقاصدها الشرعية (١).

النحو الثاني: البحث عما يعارض الأدلة التي لاحت للمجتهد، والتي استكمل أعمال نظره في استفادة مدلولاتها، ليستيقن أن تلك الأدلة سالمة مما يبطل دلالتها ويقضي عليها بالإلغاء -نحو النسخ أو الترجيح لأحد الدليلين أو ظهور فساد الاجتهاد - والتفقيح- نحو التخصيص والتقييد - . فإذا استيقن أن الدليل سالم عن المعارض أعمله، وإذا ألقى له معارضاً نظر في كيفية العمل بالدليلين معاً، أو رجحان أحدهما على الآخر.

النحو الثالث: قياس ما لم يرد حكمه في أقوال الشارع على حكم ما ورد حكمه فيه بعد أن يعرف علل التشريعات الثابتة بطريق من طرق مسالك العلة المبيّنة في أصول الفقه.

وأما احتجاج الفقيه إلى مقاصد الشريعة في هذا، فلأن القياس يعتمد إثبات العلة، وإثبات العلة قد يحتاج إلى معرفة مقاصد الشريعة، كما في المناسبة وتخريج المناط وتنقيح المناط وإلغاء الفوارق، ألا ترى أنهم لما اشترطوا أن العلة تكون ضابطاً لحكمة كانوا قد أحلونا على استقراء وجوه الحكم الشرعية التي هي المقاصد (٢).

النحو الرابع: إعطاء حكم لفعل أو حادث حدث للناس لا يعرف حكمه فيما لاح للمجتهدين من أدلة الشريعة، ولا له نظير يقاس عليه.

واحتاج الفقيه في هذا النحو الرابع ظاهر، لأن هذا النحو هو الكفيل بدوام أحكام الشريعة الإسلامية للعصور والأجيال التي أتت بعد عصر الشارع، والتي تأتي إلى انقضاء الدنيا، وفي هذا النحو أثبت الإمام مالك حجية المصالح المرسلة، وفيه أيضاً قال الأئمة بمراعاة الكليات الشرعية الضرورية، وألقوا بها الحاجية والتحسينية، وسمّوا الجمع بالمناسب، وهو مقرر في مسالك العلة من علم أصول الفقه. وفي هذا النحو هرع أهل الرأي إلى أعمال الرأي والاستحسان. فقامت في وجوههم ضجة علماء الأثر الذين اطلعوا على أدلة من الأثر والعمل، فيها أحكام الأحوال والحوادث التي فأتت أهل الرأي معرفتها، كما أنكر مالك على شريح قوله بعدم صحة الحبس. وقامت أيضاً ضجة العلماء الجامعين بين الأثر والنظر فيما ألقوه من أقوال أهل الرأي مخالفاً لما دل عليه استقراء مقاصد الشريعة، كما أنكر مالك على القائلين من السلف بخيار المجلس في البيع. فقال في الموطأ: "وليس لهذا عندنا حدٌ محدود ولا أمر معمول به (فيه). وفسره أصحابه بأنه أراد أن المجلس لا ينضبط، وأنه ينافي مقصد الشريعة من انعقاد العقود.

النحو الخامس: تلقّي بعض أحكام الشريعة الثابتة عنده تلقّي من لم يعرف علل أحكامها ولا حكمة الشريعة في تشريعها. فهو يتهم نفسه بالقصور عن إدراك حكمة الشارع منها، ويستضعف علمه في جنب سعة الشريعة، فيسمّي هذا النوع بالتعدي (٣).

المطلب الثاني: دوافع جعل الثقافة المقاصدية إطاراً لنبذ الإرهاب والتطرف .

هناك أمور عدة هي بمثابة الدوافع والمبررات التي تجعل العلم بالمقاصد الشرعية أساساً هاماً أو ضمناً كبرى أو وعاءً رحباً لنبذ الإرهاب والتطرف .

١- التركيز على المقاصد الكلية للرسالة الخاتمة والشريعة التي جاءت بها، حيث أن المقاصد الجزئية والتفصيلية ستبقى الفكر الإسلامي المقاصدي حبيب الدائرة الفقهية التقنية التي مهما اتسعت فستبقى ضيقة، ومهما عممت فستبقى خاصة بتلك الدائرة، فمثلاً اقتصر الاجتهاد المقاصدي على المجال الفقهي التشريعي فقط، واحتجابه في هذه الزاوية على أهميتها وامتدادها في عمق المجتمعات البشرية، يحمل الكثير من الخلل والمضاعفات، ويورث الكثير من التخلف والعجز، والحياة العبيثية في المجالات المتعددة، والضلال عن تحديد الأهداف، ومن ثم انعدام المسؤولية وغياب ذهنية المراجعة والنقد والتقييم، وفي النهاية يؤدي إلى العنف والتطرف والإرهاب (٤).

(١) الاستدلال وأثره في الخلاف الفقهي، د. هشام قريسة، ص ١٠٥.

(٢) محاضرات في مقاصد الشريعة، د. إلياس دردور، ص ٥١.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ص ١٥-١٨.

(٤) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، د. جمال الدين محمد عطية، ص ٢٥٧.

ذلك أن الأصل في العقل المقاصدي أن يكشف الطاقات، فيضع لها الخطة والهندسة المناسبة، ويؤصل المنطقات، ويحدد الأهداف المرحلية والإستراتيجية، ويضع البرامج، ويبتكر الوسائل، ويحدد المسؤوليات، ويبصر بمواطن القصور والخلل، ويدفع للمراجعة والتقويم، ويكسب العقل القدرة على التحليل والتعليل، واستشراف المستقبل في ضوء رؤية الماضي، بمعنى آخر أن الثقافة المقاصدية ينعكس عطاؤها على جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، ويحقق الانسجام بين قوانين الكون ونواميس الطبيعة وسنن الله في الأنفس، وامتلاك القدرة للتعرف على الأسباب الموصلة إلى النتائج، وإمكانية المداخلة والتسخير المطلوب شرعاً (١)، بعيداً كل البعد عن النظرة الضيقة للنصوص والمسائل والقضايا المعاصرة والمستجدة .

٢- من الدوافع الثقافية للمقاصد هو أن الفكر قاصداً يحدد مقصوده، ويقدر جدوى مقصوده، قبل أن يفتح قضاياها ويدخل في معاركه، أو يتبنى فكراً متشدداً أو يقوم بعمل إرهابي، فتحديد المقصد، ومدى أولويته وملاءمته، ومدى جدواه ومشروعيته، هو الذي يحدد المضي أو عدمه، وهو الذي يحدد ما يجب التركيز عليه وما لا يستحق ذلك، وهذا يأتي من خلال الثقافة المقاصدية من عقلية تربية أولوية للمصالح والمفاسد ولكافة الشؤون، وهذا ما يفقده أغلب الجماعات المتطرفة، فيركزون مثلاً على جانب العقيدة والجهاد، ويخربون البشر والتنمية البشرية، بل يشوهون الإسلام ويخطفونه من تبنيهم لبعض الأفكار الضالة .

٣- الثقافة المقاصدية تنشئ لدى الإنسان عقلية استقرائية وفكراً تركيبياً، يستقرئ الجزئيات ويربط بينها، ويركب بعضها مع بعض ليصل إلى الكليات، وفي هذه الثقافة ضمان أكيد للتوازن بين الثوابت والمتغيرات، وبين الأصول والفروع، ودون الخلط بينهما (٢).

٤- وأيضاً من دوافع المقاصد أنها تتعلق مباشرة بالمعاني والأسرار والمرادات والحقائق كمعاني النصوص وأسرار الأحكام ومراد الدين ومقصود الشارع، أي أن المقاصد لا تقتصر على المباني والظواهر والأشكال الخارجية والمظاهر السطحية، بل تدخل في عمق الأشياء وفي باطن النصوص من أجل كشف الحقيقة الحياتية والشرعية، ولا شك أن هذا التعمق بالمعاني يشكل سبيلاً لنبذ الإرهاب والتطرف، لأن أغلب الجماعات المتطرفة ينظرون إلى النصوص ويفهمونه سطحياً ولا ينظرون إلى المباني والحقائق والأسرار .

٥- تتعلق المقاصد بمراد الشارع عز وجل، وقد دعانا إلى اليسر {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (٣)، فدل خطابه هذا على أنه يريد من عباده اليسر ولا يريد منهم العسر والتشدد المذموم في كل شيء وخاصة في الدين، وكما قال تعالى {وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (٤).

٦- ارتباط المقاصد بسيرة النبي المصطفى (ﷺ) وحياته ومشواره الطويل في مكة والمدينة، وارتباطه بمختلف أحواله الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية والعالمية، فقد كانت تصرفاته عليه الصلاة والسلام منوطة بمقاصدها الإسلامية وبغاياتها التربوية والإصلاحية، وبعيدة كل البعد عن التشدد والتعسر على الناس حاشاه، بل كان تصرفاته تهدف إلى البناء واليسر وبث الرحمة والخير والسعادة في العالم كله وللإنسانية جمعاء، قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٥)، ولا شك أن ارتباط المقاصد بالسيرة النبوية المباركة سيصبح من أكبر الدوافع لنبذ الإرهاب والتطرف والفهم الصحيح للدين وسييسرهم إلى حد كبير في استحضار المقاصد في سيرة الإنسان الخاصة، وفي سيرته العامة، ولا سيما سيرته في التعامل مع النصوص والمسائل المستجدة ومع المخالف له في الدين والثقافة، وكما كان يؤسس لغاية رائعة في هذا التعامل، تنطلق من تقرير إنسانيته وحريته وكرامته لتصل إلى معرفته ومحاورته ومعاونته في بناء المشترك الحياتي والحضاري، ولتنتهي في بعض أحوالها إلى إقناعه بالإسلام وترغيبه في تحمليه فكراً والتزاماً (٦). كل هذه الدوافع وغيرهم يدفعنا إلى أن نجعل الثقافة المقاصدية إطاراً لنبذ الإرهاب والتطرف ومحاربه بكل أشكاله .

المطلب الثالث: معالجة مشكلة الإرهاب والتطرف في العصر الحاضر من خلال النظرة المقاصدية .

(١) ينظر: الاجتهاد المقاصدي، د. نور الدين الخادمي، ص ١٨-١٩ .

(٢) ينظر: نحو تفعيل مقاصد الشريعة، د. جمال الدين محمد عطية، ص ٢٥٩ .

(٣) سورة البقرة: الآية (١٨٥).

(٤) سورة الحج: الآية (٧٨).

(٥) سورة الأنبياء: الآية (٢١).

(٦) أبحاث في مقاصد الشريعة، د. نور الدين مختار الخادمي، ص ٧٨-٧٩ .

ولا شك أن التصدي لمشكلة الإرهاب والتطرف التي ابتليت به العالم الإسلامي بروح مقاصدي وبمنهج غائي من شأنه أن ينتزع الناس انتزاعاً مما هم فيه من وحل السلبية، ويخرجهم من ورطتهم التي هم فيها، وإعطاء الحلول المناسبة، ويأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، والثقافة المقاصدية لها دورها البارز في تحقيق الأمن والتعايش مع الآخر واحترامه والبعد عن التطرف والتشدد في الأقوال والأفعال، ومن بين تلك المعالجات لمشكلة الإرهاب والتطرف هي .:

١- حرمة النفس والاعتداء عليها: لقد عنيت الشريعة الإسلامية بالنفس عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصلحة لها، ويدفع المفساد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عنها، قال تعالى { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (١)، وقال تعالى { مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } (٢) وغير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على تحريم قتل النفس بغير حق، لا يظن أن مسلماً عاقلاً صادقاً في إيمانه يسمع تلك النصوص الدالة على تحريم قتل النفس وعلى جزاء فاعل ذلك من النار وغضب الله ولعنته أن يقدم على العمد العدوان وإرهاب الناس والاعتداء عليهم .

٢- معرفة مقصد الأمن في الشريعة الإسلامية: يعتبر الأمن من ضروريات الحياة وأعظمها فهو ركنها الركين وأسها المتين، وهو مطلب فطري يسعى الناس لتحقيقه وإقامته أفراداً وجماعات وأمماً، لأن به تطمئن النفوس وتنشط فيه الهمم ويمكن فيه البرئ ويأمن فيه الضعيف وقد كما قال الماوردي (الأمن أهناً عيش، والعدل أقوى جيش) (٣).

لأنه إذا فقد الأمن حل محله الخوف الذي يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قيام نفوسهم، وانظام جمعهم، واستمرار حياتهم، فتضيق سبل معاشهم، وتساء بذلك حالهم، مما يفضي إلى تبدل طبائعهم، وتغير سيرهم، واضطراب عاداتهم، واختلال تعاونهم، وانخراط نظام اجتماعهم، فيكون بذلك إلى الفتنة أقرب وعن السلامة أبعد (٤).

إلا أن الإنسان لا يدرك نعمة الأمن وقيمتها إلا إذا مسه خوف وإرهاب وتطرف بمختلف أشكاله، ونظراً لقيمة الأمن وخطورته أن جعله الله تعالى وصفاً لبيته الحرام وخاصية من خصائصه، فقال { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا } (٥)، ولما أقسم سبحانه بمكة المكرمة وصفها بالأمن فقال { وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ } (٦)، لأنها موضع البيت الحرام الذي جعل آمناً للناس، كما أنه تعالى جعل جزاء الذين أخلصوا في إيمانهم ولم يخطوا بظلم أن يمنحهم الأمن في الحياة الدنيا فقال { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } (٧)، وقال { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } (٨). والذي تبين لي من خلال هذه الآيات وغيرها أن قصد الشريعة منها إشاعة الأمن في الأمة واعتباره مقصداً قطعياً من مقاصدها .

٣- من أحد مقاصد الشريعة الإسلامية النهي عن الغلو في الدين: لأن الدين الإسلامي يحمل في تطبيقه السعادة والعدالة للناس، ولا يحمل الشقاء والعذاب وإرهاب الناس وترويعهم، فالإنسان الذي يأخذ هذا الدين كما أراده الله باعتدال وفهم ووعي ينال السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، وأما الذي يشاد فيه ويتشدد في غير موضع التشدد، ويحرم الحلال والمباح، فإنه ينال الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة، يشير إلى هذا المعنى عز وجل في قوله تعالى { طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } (٩)، ويقول عليه الصلاة والسلام (هلك المتنطعون قالها ثلاثاً) (١٠)، والمتنطعون كما فسر النووي: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد (١١). والمقصد الشرعي في قبول الطاعة غير مرتبط بمدى التعب والنصب، لأن الله

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥١).

(٢) سورة المائدة: الآية (٣٢).

(٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص ١٣٧.

(٤) مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، د. عز الدين بن زغبية، ص ١٦١.

(٥) سورة البقرة: الآية (١٢٥) .

(٦) سورة التين: الآية (٣) .

(٧) سورة الأنعام: الآية (٨٢) .

(٨) سورة النور: الآية (٥٥) .

(٩) سورة طه: الآية (٢-١) .

(١٠) الجامع الصحيح، مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم الحديث (٦٩٥٥) .

(١١) رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ص ٧٩.

تعالى لا يحب أن يطاع بغير ما أنزله على عباده، فالذي يعبد الله ليلاً ونهاراً بشكل يخالف منهج الله لا تقبل عبادته مهما أتعب نفسه وأرهقها، والله عز وجل في غنى عن أعمال العباد (١).

٤- العلم بمقاصد وأسرار الشريعة الإسلامية: لأن الجهل بالمقاصد يؤدي إلى الفهم الظاهري للنصوص و التمسك بحرفية النصوص سواء نصوص القرآن أو السنة النبوية دون الوقوف على مقاصدها وعلتها، لأن نظر الحكم في العبادات يختلف عما هو في المعاملات، كما يقول الأصوليون الحكم يدور مع علته وجوباً وعدمياً (٢).

٥- النظرة المقاصدية لبناء الإنسان تجعل شخصيته تنسجم مع الفطرة: لأن الله أودع في الإنسان حاجات و غرائز واستعدادات تؤهله للعيش في هذه الحياة الدنيا، وتضمن للجنس البشري البقاء والاستعداد، وكل ما يمكنه من تحقيق عمارة الأرض، والمقاصد الشرعية راعت هذه الحاجات والغرائز وتعمل على تنظيمها وتهذيبها وفق شرع الله سبحانه وتعالى، قال تعالى {رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (٣).

٦- مقاصد الشريعة الإسلامية تحقق التوازن بين الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي: الشريعة الإسلامية جاءت بشرائع واقعية قابلة للتطبيق في أي زمان ومكان، لتضمن الحياة السعيدة الآمنة المستقرة المطمئنة للناس على الأرض، فالنظرة المقاصدية للشريعة الإسلامية تصلح لكل زمان ومكان، فالنظم والتشريعات التي جاءت بها ليست نظرية مثالية، وليست محض خيال بعيد المنال، بل هي واقع يصلح منهاجاً للحياة السعيدة الآمنة المستقرة المطمئنة بعيدة عن ترويع الأمنين وإرهابهم، وتهدف إلى تحقيق التوازن بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، ليسهل الفهم والتطبيق، ولتكون ادعى للاقتداء والاستجابة، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٤).

٧- إن معالجة ظاهرة الإرهاب والتطرف والتصدي لها لا تتم إلا بإحياء دور العقل ودراسة الظروف الاجتماعية التي ساعدت على تفشي تلك الظواهر، والتعرف على أسبابها، وسبل مواجهتها، لقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالاستقامة والاعتدال ونهاهم عن الغلو والانحلال، وإن الدين الإسلامي يعارض بشدة الإرهاب والتطرف والتعصب، ويحترم التعددية الثقافية والدينية والحضارية وينبذ العنصرية، قال تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} (٥)، وقال سبحانه {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (٦)، والنظرة المقاصدية للوسطية تعتبر منهجاً شرعياً بعث به سائر الرسل، ويعتبر قانوناً يمثل أفضل صياغة للمعادلة بين العقل والنفس، وقبل ذلك تعتبر الوسطية حق ومطلب شرعي أصيل، ومظهر حضاري رفيع، ليتحقق التكامل والانسجام بين الأوضاع، والتعاون بين الجميع، ويصير الإخاء والإقدام على العمل أساس كل تقدم ورفاه.

فالوسطية في الشريعة الإسلامية: النظر في كل الجوانب، وعدم طغيان جانب على آخر، وذلك باجتناب الغلو والجفاء، واليسر الأصلي: وهو ما شرع من الأحكام، من أصله ميسر لا عنت فيه، فالتيسير الأصلي صفة عامة للشريعة في أحكامها الأصلية التي تلزم المكلفين، والشارع الحكيم لم يقصد إلي التكاليف بالشاق والإعنت فيه، ويستدل لذلك بالنصوص الكثيرة التي تبين ذلك صراحة، كقوله تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (٧).

فالمنهج المقاصدي بقواعده المحكمة وضوابطه الشرعية يحقق الوسطية التي تأخذ بالعزائم دون التجافي عن الرخص في مواطنها، وتطبق الثوابت دون إهمال للمتغيرات ويقاوم وزن للزمان والمكان دون تحكيمهما في كل الأحيان، ويتعامل مع تحقيق المناط في الأشخاص والأنواع، وتضبط قواعد الأعمال للحاجات والمصالح وعموم البلوى وعسر الاحتراز، ويتم بموجبه الربط الواصب بين النصوص وبين معتبرات المصالح في الفتاوى والاجتهاد، فلا شطط و وكس (٨).

٨- إن معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية متفرقة متناثرة، مفصلاً بعضها عن بعض، بل لا بد من رد فروعها إلى أصولها، وجزئياتها إلى كلياتها، ومتشابهاتها إلى محكماتها، ووظائفاتها إلى قطعياتها، حتى يتألف منها جميعاً نسيج واحد مرتبط ببعضه ببعض، متصل لحمته بسداده، ومبدؤه بمنتهاه.

(١) ينظر: اليسر والسماحة في الإسلام، د. فالح بن محمد الصغير، ص ١٢.

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي، ج ٣، ص ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٤).

(٤) سورة الصف، الآية (٢-٣).

(٥) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٧) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٨) الوسطية من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية دراسة وتحليل، أحمد بن محمد حسني، ص ٥١٤.

أما أن يعثر على نص من آية قرآنية أو من حديث نبوي، يفيد ظاهره حكماً، فيتشبه به، دون أن يقارنه بالأحاديث الأخرى، وبالهدى النبوي العام، والصحابة الكرام، بل دون أن يردده إلى الأصول القرآنية نفسها، ويفهمه في ضوء المقاصد العامة للشريعة، فلن يسلم من الخلل في فهمه، والاضطراب في استنباطه، وبذلك يضرب الشريعة بعضها ببعض، ولهذا اشترط الإمام الشاطبي لتحقيق الاجتهاد في الشريعة: المعرفة بمقاصدها وكلياتها، قال إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين: أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها. والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها (١).

وهذا لا يأتي إلا بسعة الاطلاع على النصوص، وخاصة الأحاديث والآثار، والتعمق في معرفة أسباب ورودها، وملابسات وقوعها، والغايات المتوخاة منها، والتميز بين ما هو عام خالد منها، وبين ما بني منها على عرف قائم، أو ظرف زمني موقت، أو مصلحة معينة، فيتغير بتغيير العرف أو الظرف أو المصلحة (٢).

٩- وأخيراً فإن الشريعة الإسلامية بجميع نصوصها القطعية ومصادرها وقواعدها ومقاصدها تأمر بجلب المصالح ودفع أضرارها وفيما يتصل بالكليات الخمس حرصت الشريعة على حفظها من جهتين: جهة الوجود بإيجاد المفقود منها وتنمية الموجود وتعهدته بالتحديث والتجديد ومن جهة العدم حرصت الشريعة على منع الإخلال بالمقاصد أو إزالتها أو إلحاق الضرر بشيء منها أو تهديدها، وذلك عن طريق السياسة الجنائية بما تتضمنه من تحريم وعقاب ووقاية، والجريمة الإرهابية تعمل نقبض مقصود الشارع في حفظ المقاصد فهي تمنع إيجاد المفقود وتشل نمو الموجود وتعمل على تدمير وإفساده والإخلال به فإن الجريمة الإرهابية تصيب الضروريات في مقتل وبالتالي فهي تهدم أركان الحياة الاجتماعية وتعطل مسيرتها، فهي تفسد على الناس دينهم بما تدعو إليه من تطرف وغلو وإذا كانت الجماعات الإرهابية تسوغ جرائمها بالدين وتتستر من خلفه كان خطرهما أعظم وأشد على الدين نفسه بما تحدثه من تحريف في أصوله وفروعه وما تدعيه من تكفير لأهله وأصحابه وكل ذلك من الخطر الجسيم الذي يلحق بالدين في فهمه والنشكك فيه، وكذلك خطره على حفظ النفس من الزهق أشد وأكثى، فإن الجرائم الإرهابية تفنك بالآلاف من الأنفس في مدة قصيرة، وكما أن الجرائم الإرهابية بما تنتشره من رعب وفرع تقضي إلى عقم العقول وشلها عن التفكير فيما ينفع ويفيد في أحسن الأحوال وفي أسوأها فإن الناس تصاب بالعاهات العقلية إلى درجة الجنون، وكذلك تعطيل دولاب الحياة الاقتصادية، وبالجملة فإن أثر الإرهاب على الكليات الخمس فإنه يفضي إلى الإخلال بها كلياً أو جزئياً وهو ما يجعل حياة الناس جحيماً لا يطاق، فالواجب دفع كل هذه الجرائم الإرهابية من خلال ثقافة مقاصدية شاملة للشريعة الإسلامية ونصوصها القطعية وقواعدها بما يحقق للناس جميعاً جلب المنافع ودفع المفاسد والأضرار (٣).

الخاتمة

وفي خاتمة البحث هذا يمكن أن أخص أهم ما جاء فيه على النحو الآتي :

١- مقاصد الشريعة هي غايات الشريعة وأهدافها وحكمها وأسرارها المثبوتة في النصوص والأحكام ومختلف القرائن والمعطيات الشرعية.

٢- أن التطرف والإرهاب الديني ظاهرة شاذة وموجودة لدى جميع الأديان والشرائع السماوية السابقة، هو ترويع الأمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحررياتهم وكراماتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض، وبشكل منظم ومدبر، وهي ظاهرة قد استفحلت وامتدت وابتعدت عن بيئتها الأصلية، ولا دين له ولا وطن له، ولا حد يحده، وهو التحدي الكبير أمام البشرية والإنسانية جمعاء.

٣- أسباب الإرهاب كثيرة ومنها الجهل بالدين وبمقاصد وأسرار الشريعة الإسلامية، وذلك من خلال الفهم الظاهري للنصوص و التمسك بحرفية النصوص سواء نصوص القرآن أو السنة النبوية دون الوقوف على مقاصدها وعلتها، لأن النظر في حكم العبادات يختلف عما هو في المعاملات، كما يقول الأصوليون الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمياً.

٤- إن مشكلة الإرهاب تتطلب من المؤسسات الفكرية والاجتماعية والتربوية والعسكرية جهوداً متضافرة للعمل على مواجهتها، ومن الخطأ الاعتماد فقط على المؤسسة العسكرية، لأنها لا تجدي نفعاً ولا تصلح، كما نرى الجهود الكبيرة

(١) الموافقات، الشاطبي، ج٥، ص ٤١-٤٢.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ص ١٥٦-١٥٧.

(٣) خطر الإرهاب على المقاصد الكلية في الشريعة الإسلامية، د. محمد المدني بو ساق، ص ١٩-٢٠.

والمبالغ الباهظة التي تبذلها الدول في سبيل تعزيز أجهزتها الأمنية سعياً لوضع حد لظاهرة الإرهاب ،حيث يمكن أن تحقق نتائجها بشكل أكبر بتضافر الجهود مع المؤسسات الأخرى وخاصة ترسيخ مفهوم الحماية الفكرية لدى جيل الشباب، لأن الشباب في كل أمة عماد نهضتها وشرائينها التي تقوم عليها وهم رجال المستقبل المنتظر إذا ربو على المنهج الوسطي الصحيح لا إفراط ولا تفريط فيه .

٥- الإرهاب ليس مجرد نشاط يثير الرعب والخوف مثلما تثيره النشاطات الإجرامية الأخرى أو مثلما تثيره القوى الطبيعية من زلازل وأعاصير وبراكين وأوبئة ، وإنما هو نمط هادف تستخدم فيه القوة والعنف أو يهدد بها لأجل هدف معين ،ولكل عملية إرهابية هدفها الذي تسعى إليه الجهة التي قامت بتنفيذها أو التخطيط لها، فقد يكون هذا الهدف هدفاً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً.

٦- مقاصد الشريعة ليست مجرد معرفة ومتعة معرفية، وليست مجرد تعمق فلسفي في الشريعة ومعانيها ومراميها، بل هي -كسائر علوم الإسلامية- علم ينتج عملاً وأثراً في السلوك والأفعال .

٧- الثقافة المقاصدية تدفعنا إلى نبذ الإرهاب والتطرف والتركيز على المقاصد الكلية للرسالة الخاتمة والشريعة التي جاءت بها ، ينشئ لدى الإنسان عقلية استقرائية وفكراً تركيبياً ،يستقرئ الجزئيات ويربط بينها، ويركب بعضها مع بعض ليصل إلى الكليات، وفي هذه الثقافة ضمان أكيد للتوازن بين الثوابت والمتغيرات ،وبين الأصول والفروع، دون الخلط بينهما، لأن المقاصد لا تقتصر على المباني والظواهر والأشكال الخارجية والمظاهر السطحية ،بل تدخل في عمق الأشياء وفي باطن النصوص من أجل كشف الحقيقة الحياتية والشرعية، ولا شك أن هذا التعمق بالمعاني يشكل سبيلاً لنبذ الإرهاب والتطرف ،لأن أغلب الجماعات المتطرفة ينظرون إلى النصوص ويفهمونها فهماً سطحياً ولا ينظرون إلى المباني والحقائق والأسرار .

٨- وأخيراً أن التصدي لمشكلة الإرهاب والتطرف التي ابتليها بها العالم الإسلامي بروح مقاصدي وبمنهج غائي من شأنه أن ينتزع الناس انتزاعاً مما هم فيه من وحل السلبية ،ويخرجهم من ورطتهم التي هم فيها ، وإعطاء الحلول المناسبة ،ويأخذ بأيديهم إلى بر الأمان ،لأن الثقافة المقاصدية لها دورها البارز في تحقيق الأمن والتعايش مع الآخر واحترامه والبعد عن التطرف والتشدد في الأقوال والأفعال.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبحاث في مقاصد الشريعة ،د.نور الدين مختار الخادمي ،مؤسسة المعارف -بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢. الاجتهاد المقاصدي،د.نور الدين الخادمي،كتاب الأمة-قطر، ١٩٩٨م.
٣. أحكام القرآن ،أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٤. أدب الدنيا والدين،الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري ،تحقيق:مصطفى السقاء، المكتبة الثقافية-بيروت.
٥. الإرهاب الدولي وفقاً للسياسة الجنائية الدولية ، نبيل أحمد حلمي ،دار النهضة العربية-القاهرة، ١٩٨٨م.
٦. الإرهاب والسلام، مجمع الفقهي الإسلامي (الهند)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٧. الإرهاب والشباب، محمد يسري دعبس،مكتبة الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٦م.
٨. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف،د.صالح غانم السدلان ،جامعة الإمام محمد بن سعود -الرياض،الرابط: موقع الإسلام.
٩. أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب ،أحمد فلاح العموش ،أعمال ندوة تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، ١٩٩٩م.
١٠. الاستدلال وأثره في الخلاف الفقهي ،د.هشام قريسة، دار ابن حزم-بيروت، ط١ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م،
١١. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ، أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت ١٣١٠هـ) دار الفكر -بيروت، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- ١٣ . تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤هـ)، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز - د عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٤ . التطرف خبز علمي، د.راشد المبارك، دار القلم-بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ١٥ . التطرف والغلو الأسباب المظاهر العلاج، د.طارق محمد الطواري، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع بمدينة فيفاي بسويسرا، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ١٦ . التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٧ . الجامع الصحيح، مسلم ،أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري(ت ٢٦١هـ)،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل-بيروت.
- ١٨ . خطر الإرهاب على المقاصد الكلية في الشريعة الإسلامية ،د.محمد المدني بو ساق ،مركز الدراسات والبحوث - الرياض، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ١٩ . الرد على من أخذ إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، تحقيق: د.فؤاد عبد المنعم النمر، مؤسسة شباب الجامعة -القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢٠ . رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٢١ . الصحاح تاج اللغة ،إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين-بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- ٢٢ . الصحوه الإسلامية بين الجحود والتطرف، د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة-دمشق، ط٧، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٢٣ . علم النفس التربوي، د.رجاء محمد أبو علام، دار القلم-الكويت، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م.
- ٢٤ . علم مقاصد الشريعة ،د.بشير مهدي الكبيسي، دار المناهج، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ٢٥ . عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، دار المكتبي-دمشق، ط٣، ١٤٣٠-٢٠٠٩م.
- ٢٦ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٢٧ . الفكر المقاصدي قواعد وفوائد ،د.أحمد الريسوني، دار الهادي-بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢٨ . القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٢٩ . قاموس علم الاجتماع، د.محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.
- ٣٠ . مجلة المنار ، محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ)، المكتبة الشاملة الإصدار الخامس.
- ٣١ . محاضرات في مقاصد الشريعة ،د.إلياس دردور، دار ابن حزم-بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- ٣٢ . مشكلة الغلو في الدين ،عبد الرحمن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ٣٣ . معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار ، عالم الكتب-القاهرة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٣٤ . معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٣٥ . مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، د.هيثم عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٣٦ . مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ،علال الفاسي، تحقيق: د.إسماعيل الحسني، دار السلامة-القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ٣٧ . مقاصد الشريعة الإسلامية، العلامة محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام-القاهرة، ط٦، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- ٣٨ . مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، د.عز الدين بن زغبية، دار النفائس -الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- ٣٩ . المقاصد عند ابن عاشور، إسماعيل الحسني ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٠. الموافقات ، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ) ،تحقيق:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان-بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٤١. موقف الإسلام من الإرهاب ،د.محمد بن عبد الله العميري،مركز الدراسات والبحوث-الرياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٤٢. نحو تفعيل مقاصد الشريعة ،د.جمال الدين محمد عطية ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي-الولايات المتحدة الأمريكية ، ط٣، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٤٣. نشوء الإرهاب وتطوره والأساليب الملائمة لمعالجته،عبد الرحيم عبد الجبار،جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا،١٩٨٩م.
٤٤. الوسطية حياة وحضارة، د.حسنين المحمدى بوادى، دار الفكر-الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٥. الوسطية من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية دراسة وتحليل ،أحمد بن محمد حسني.
٤٦. اليسر والسماحة في الإسلام ،د.فالح بن محمد الصغير ، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة محمد بن سعود -الرياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الملخص

إن هذا البحث يعد إسهاماً متواضعاً في دراسة الثقافة المقاصدية ودورها في نبذ الإرهاب والتطرف والتي تهدف إلى دراسة دوافع ومظاهر وأسباب وأهداف وآثار الإرهاب المعاصر، وموقف الإسلام من الإرهاب والتطرف ومعالجتها من خلال النظرية المقاصدية، لأن من أهم أهداف مقاصد الشريعة الإسلامية مراعاة مصالح الناس الدينية والدنيوية، والأمة الإسلامية أصيبت بفتن كثيرة ومن أخطرها التطرف والإرهاب باسم الدين لدى الجماعات الإرهابية وتحت مسميات كثيرة، ولأن من الأخطاء الكبيرة لدى هؤلاء الجماعات الإرهابية والمتشددة أنهم يتعاملون بمنهجية تغليب القضايا الفرعية الجزئية والخلافية على حساب القضايا الأصولية الكلية، والشكليات والحرفيات والمظهريات على حساب المعاني والمقاصد والغايات، مما يؤدي إلى التضييق في الدين وعلى الناس بمختلف أجناسهم وأعراقهم وانتماءاتهم الدينية، لا يراعون تغير الزمان والمكان والأعراف والأحوال، متناسين القواعد التي قررها علمائنا الأجلاء مثل إذا ضاق الأمر اتسع، والمشقة تجلب التيسير، وهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمون قبل غيرهم والإسلام بريئ منهم براءة الذئب من دم يوسف، لذا يتطلب منا معالجة مثل هذه الأفكار المنحرفة والتصدي لها بإحياء دور العقل وبنظرة ثقافية مقاصدية للنصوص وتفسيرها ومالاتها.

Abstract

This research is a modest contribution to the study of Maqasid culture and its role in rejecting terrorism and extremism. It aims to study the reasons, motives, causes, objectives and effects of contemporary terrorism and Islam's position on terrorism, extremism and their treatment through Al-Maqasid theory. One of the most important aims of the Al-Syariah in Islam is considering people's interest. Islamic nation has been afflicted by many ailments and the most dangerous ones are extremism and terrorism in the name of religion by the terrorist groups under many names. The biggest mistake is that such terrorist groups and militants deal with and prefer controversial, partial and sub-issues on the fundamental issues. Consequently, it leads to restrictions on religion and people of all races and religious affiliations. They do not take into account the change of time, place, customs and conditions and forget the rules decided by our scientists, like hardship brings the facilitation. They offend Islam and Muslims before others and Islam is far away from them like the innocence of the wolf from the blood of Joseph. So, it is required to address such deviant ideas and facing them by reviving the role of reason with a cultural and purposeful view of the texts and their interpretation and meaning.

الفهرس

دور الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري للشباب
(مع برنامج حوارى مقترح لتعزيز الأمن الفكري لدى طلبة الثانوية)

The role of education in strengthen conversation of intellectual security for young people

بحث للمشاركة بالمؤتمر العلمي الدولي الثالث

حوار الحضارات والثقافات الثالث

من ١٠-١٢ / ١٠ / ٢٠١٨

جامعة الطفيلة التقنية – الأردن

إعداد الباحثة

أ/ بتول أحمد حسن كرزون

دكتوراه علم اجتماع – جامعة الملك عبد العزيز – جدة

مستخلص الدراسة

تدعيماً لأهداف الحوار التربوي الذي هو بمثابة حاجة أساسية للشباب وخاصة في مرحلة الثانوية والجامعية ، وأداة وطنية، في إطار الجهود الحثيثة من القيادة الحكيمة حفظها الله تعالى، وفق سياسة التربية والتعليم وبالتعاون مع مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، حيث أهمية الحوار بوجهه عام وضرورته في المرحلة الثانوية بوجهه خاص، وتكمن حيثيات هذه الدراسة في معرفة دور الحوار التربوي في تعزيز - بن الفكري لدى الشباب من خلال التساؤل التالي:

ما دور الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري للشباب ؟

والتعرف على ميادين تفعيل دور الحوار مع الشباب بما يعزز لديهم الأمن بكافة صورته وخاصة الأمن الفكري ، ثم التعرف على المعوقات والتحديات التي تضعف أو تحد من دور الحوار. والتوصل إلى مقترحات تفعل من دور الحوار التربوي بما يعكس نتائج إيجابية على فكر وسلوك الشباب .

واستخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي للوصول إلى إجابات لتساؤلات الدراسة ولبناء التصور المقترح لتفعيل لغة الحوار التربوي التي تعزز من الأمن الفكري لدى الطالب والطالبة .

في ختام الدراسة أوصت الباحثة بتفعيل لغة الحوار التربوي مع الشباب في كافة الميادين التربوية والتعليمية، في الأسرة والمدرسة ومن خلال الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، والنظرة الجادة لتطوير مستوى الحوار والمشاركة لدى الشباب، ونشر الثقافة الأمنية للشباب، والتخطيط لأنشطة طلابية بالمدارس وتنفيذ البرامج التي تحقق الأمن الفكري ولا سيما أن الطالب والطالبة في المرحلة الثانوية يحتاجان إلى المشاركة والاهتمام، وتعزيز أدوارهم والاستماع إليهم، وربط المناهج الدراسية بواقع الشباب والمشكلات الفكرية ، بما يعكس نتائجه على جيل محاور، يتمتع بأمن فكري وقادر على تحمل المسؤولية والتمسك بمبادئ دينه ووطنه، .

وفي ضوء الأطر النظرية والدراسات السابقة ونتائج الدراسة الحالية عرضت الباحثة برنامجاً مقترحاً لتفعيل دور الحوار مع طالب وطالبة المرحلة الثانوية .

Abstract of the Study

In support the objectives of the educational conversation is to serve as a basic need for young people, especially in the secondary and university stage, and a national tool, under the tireless efforts of leadership saved from Allah Almighty, according to the Education Policy and co-operation with King Abdul Aziz Center for national conversation, where the importance of dialogue with general public and its necessity in secondary stage special face, and the merits of this study in the knowledge of the role of education in promoting dialogue intellectual security among young people through the following question: What is the role of education in promoting intellectual security dialogue for young people

To identify areas of activating the role of conversation with young people so as to enhance their security in all its forms, especially intellectual security, then identify the obstacles and challenges that weaken or limit the role of dialogue, and reaching proposals to do the role of educational conversation reflecting the positive results on the thought and behavior of young people

The researcher used the inductive method to get to the answers to questions of study and construction of the proposed concept to activate the educational language of dialogue which enhances the intellectual security to the male and female student.

At the end of the study the researcher recommended activating the educational dialogue with young people the language in all educational fields, in the family, school, and through the media and means of social communication, outlook Avenue to develop the level of participation among young people dialogue, and dissemination of security culture for young people, and planning for the activities of student enrollment and the implementation of programs check intellectual security, in particular to male and female student in high school that needed to participate and attention, and enhance the roles and listening to them, and to link the curriculum by the young intellectual and problems, reflecting the results of the generation axes, enjoy intellectual security and able to accept responsibility and adherence to the principles of his religion and homeland

In the light of theoretical frameworks and previous studies and results of the current study, the researcher presented a proposal for a program to activate the role of dialogue with students in hig.

ذ	شكر و تقدير
هـ- و	مستخلص الدراسة
ز	مستخلص الدراسة بالانجليزي
ح_ ط	فهرس المحتويات

مدخل إلى الدراسة	
الفصل الأول : الاطار العام للدراسة	
أولاً: مقدمة الدراسة	١
ثانياً : مشكلة الدراسة	٣
ثالثاً: أهداف الدراسة	٥
رابعاً: أهمية الدراسة	٦
خامساً تساؤلات الدراسة	٧
سادساً: منهجية الدراسة	٧
سابعاً: مصطلحات الدراسة	٨
الفصل الثاني : الدراسات السابقة والاطار النظري	
المقدمة	١٢
أولاً: الدراسات السابقة	١٥
ثانياً : الإطار النظري	٢٠
المبحث الأول : الرؤية الدينية والوطنية للحوار التربوي	٢١
أولاً: ماهية الحوار	٢٢
ثانياً: تأصيل مفهوم الحوار في الإسلام	٢٨
ثالثاً: سياسة الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية	٣٧
المبحث الثاني : الأمن الفكري وسبل تعزيزه	٤٥
أولاً : الأمن الفكري من المنظور الإسلامي	٤٥
ثانياً : مفهوم الأمن الفكري	٤٦
ثالثاً : أهمية الأمن الفكري	٤٧
رابعاً : ضوابط الأمن الفكري	٤٨
خامساً : وسائل تحقيق الأمن الفكري وحمايته وسبل حمايته	٥١
سادساً: أسباب ضعف الأمن الفكري عند الشباب	٥٦
سابعاً: جهود المملكة في تقويم الأمن الفكري للشباب	٥٨
المبحث الثالث : الشباب والأمن الفكري	٦٣
أولاً : مرحلة الشباب (المفهوم والخصائص)	٦٤
ثانياً : المنهج الإسلامي في التعامل مع الشباب ورعايتهم	٦٨
ثالثاً : أهمية تعزيز الأمن الفكري لطالب وطالبة المرحلة الثانوية باستخدام الحوار	٧٣
المبحث الرابع : الحوار التربوي ودوره في تعزيز الأمن الفكري للشباب	٧٦
أولاً: الحوار التربوي وارتباطه بالأمن الفكري	٧٨
ثانياً: الحوار الوطني ودوره في تعزيز الامن الفكري	٨١
الفصل الثالث: نتائج الدراسة والتوصيات	٨٣
أولاً : تساؤلات الدراسة والإجابة عليها	٨٤
أولاً: مادور الأسرة ما دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟	٨٥
ثانياً: ما دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟	٨٧
ثالثاً: ماهو دور الاعلام الجديد في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب بالحوار التربوي ؟	٩١
رابعاً: ما أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي ؟	٩٤
خامساً : ما التصور المقترح للحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب ؟	٩٩
ثانياً : ملخص النتائج	١٥٠
ثالثاً: التوصيات	١٥٠
رابعاً : مواضيع للدراسات المستقبلية	١٥١
-الخاتمة	١٥٢
- المراجع	١٥٣

الفصل الأول

مدخل عام إلى الدراسة

مقدمة الدراسة

مشكلة الدراسة

أهداف الدراسة

أهمية الدراسة

تساؤلات الدراسة

منهجية الدراسة

مصطلحات الدراسة

1-1 المقدمة: Introduction

يعد الأمن والاستقرار من المطالب الضرورية للحياة، كما إنه من المقومات الأساسية التي تقوم عليها حضارة الدول قديماً وحديثاً فلا يمكن لأي مجتمع أن يتقدم أو يزدهر دون أن يحقق الأمن لأفراده. وعبر التاريخ الإنساني تبين أن تحقيق الأمن للأفراد والجماعات الإنسانية، كان هدفاً من الصعب تحقيقه في فترات طويلة من التاريخ، وإن تحقق فإنما يكون لفترة قصيرة من الزمن ثم تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه من عدم الاستقرار والأمن.

فالحرب والقتال بين البشر، ظاهرة اجتماعية لم تختف حتى الآن، وكان تغير الدول والإمبراطوريات قديماً، ونشأتها، وضعفها، وانتهائها، مرتبطاً في الغالب بالحروب ونتائجها، وتعتمد الحضارات الإنسانية في قوتها وضعفها وانتهائها، على ما تملكه من مقومات ذاتية، تميز حضارة عن أخرى. فالحضارات لا تتصارع بالسلح، ولكنها تعيش وتمد نفوذها وتسيطر مفاهيمها وقيمها وأنماط سلوكها، وتحقق سلطانها، نتيجة سلامة ما تحمله من مفاهيم وقيم (التركي، د.ت). حيث قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: 126). والأمن والاستقرار كان المطلب الأول لنبي الله إبراهيم كما بين عز وجل أن الأمن من النعم التي أنعم الله بها على قريش فقال تعالى ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (سورة قريش).

الأمن من مقومات الحياة الأساسية الثلاثة هو الذي عليه مناط الحياة السعيدة للبشرية وفي هذا المعنى أشار النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: (من أصبح آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا) (ابن ماجه، 1999، 4141). وحسنه الالباني) ويعد الأمن الفكري أحد فروع الأمن؛ بل يمكن القول أن الأمن الفكري هو الأساس لأي أمن على اعتبار أن الفرد إذا ما امتلك فكراً سليماً راشداً استطاع أن ينعم بالأمن والاستقرار الشامل الذي ينشده المجتمع من حوله. وقد وضع القرآن الكريم منهجاً متكاملًا في الأمن الفكري الذي تعد سلامته سبباً في أمن المجتمع واستقراره، (الفاعوري، 2010). حيث دعا إلى صيانة هذا الفكر من الانحراف، ووجهه نحو التفكير في الكون، والتأمل في مظاهره فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: 191) ولكي يتحقق الأمن المنشود للمجتمع، وتخليصه من شوائب الثقافة الزائفة، التي استعمرته فحالت بينه وبين تحقيق الرخاء والسلم الاجتماعي، فهذا يحتاج إلى فكر مستقيم.

إن العقل الإنساني علمياً يتشكل نتيجة تأثير عدة مؤسسات ومن أهمها المؤسسة التربوية، فإذا كانت المخرجات والنتائج غير سليمة ولا تعكس الانتماء؛ فالسبب حتماً يعود إلى هذه المؤسسات التي قد تفشل في تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية، كما أن الطالب يتعرض للانحراف بسبب عدة عوامل قد ترجع إلى البيئة التعليمية أو إلى الطالب ذاته أو كليهما معاً، إضافة إلى سوء معاملة الطلبة.

من هنا يبرز دور المؤسسات التربوية و التعليمية الذي لا يقتصر على تقديم المعارف والمعلومات فحسب؛ وإنما بإزالة الأفكار الشاذة والاتجاهات المنحرفة من عقول الطلبة، وتحسينها بالأفكار السليمة وذلك باستخدام معززات الامن الفكري ومن أهمها الحوار التربوي الهادف، في كافة المواقف والشواهد، وإلى هذا المنهج وجهه الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ (البقرة : ٨٣) والحوار هو الأسلوب الأمثل الذي انتهجه معلم البشرية عليه الصلاة والسلام مع صحابته وخاصة مع شبابهم وفتيانهم وصغارهم ، والمطالع المتأمل في السيرة النبوية الشريفة يلحظ أن طبيعة علاقته صلى الله عليه وسلم بالمرهقين كانت من القوة، بحيث يعجب المرء للمكانة التي أولاهاهم إياها، والعوائق التي محاها، حتى صار الفتيان والمرهقون من ألقى الناس به ومن أقر بهم إليه، يلزمونه في الليل والنهار والسفر والحضر والجد واللعب، وذلك بالحوار والقوة الحسنة وهذا كله ينبثق عنه السلوك الإيجابي. وإذا كان الحوار ركيزة أساسية منذ خلق آدم عليه ومخاطبة الله تعالى له وللملائكة، وكذا هو منهج حياة منذ عهد النبوة ، فأحرى أن يتخذ المرء والمربيان على اختلاف مؤسساتهم ومنهجهم لغة تثري بها الميادين التربوية والتعليمية وخاصة في الفترة الراهنة ولذلك لتعزيز الأمن للفرد ومنه الأمن الفكري حيث أصبح ضرورة ملحة في ظل التلوث الثقافي والغلو الديني وضعف الوعي الفكري الذي شاع في المجتمعات على وجه العموم ، وهذا ما حدا بالباحثة إلى اختيار هذا الموضوع محل للدراسة الحالية وهو دور الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري للشباب وسبل تفعيله.

٢-١ مشكلة الدراسة Identify the problem

في ظل الأوضاع والتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي يشهدها العالم عامة والمنطقة خاصة، وحتى لا تذوب الهوية الوطنية بتأثير الفكر الوارد ، وكذا ما يعيشه العالم من عصر الفضاءات المفتوحة، حيث تتجلى العولمة في صورها المتعددة وما أسفرت عنه الثورة العلمية التكنولوجية من ظهور ما يسمى بمجتمع المعلومات والعولمة، الأمر الذي يستلزم من التربويين الإدراك الواعي والقائم على التبصر، والفهم الصحيح لمعنى العولمة بما يمكن من اتخاذ الموقف الصحيح منها خاصة ما يتعلق بالخطر الذي يهدد هوية الوطن. ولما للحوار التربوي من دور هام في تعزيز الهوية الوطنية للفرد عامة وللشباب خاصة ، وذلك من خلال استقطاب مفكرين ومتقنين مؤهلين تأهيلاً عالياً في هذا المجال للتداول في جوانب مهمة مع الشباب، وحيث إن هناك قصوراً واضحاً في أدوار العديد من المؤسسات التربوية بدءاً من الأسرة، ومن بعدها دور المدرسة والجامعة، بما يعكس من نتائج سلبية في حياة الشباب اليوم، بما قد يؤدي إلى سلوك منحرف، وإلى هذا الجانب أشارت العديد من الدراسات ومنها دراسة (العبيد، ١٤٢٩) حيث أكدت الدراسة على ضعف ثقافة الحوار لدى طلاب المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية، كما توصلت دراسة (سفران، ١٤٢٩) إلى أن عدم وجود الحوار بين أفراد المجتمع قد يؤدي إلى التطرف الفكري ، وهذا بدوره يؤدي إلى بعض المشكلات الفكرية كضعف الانتماء الوطني، وعدم احترام العلماء ، وضعف المعرفة بحقوق ولاة الأمر، وبالتالي خلل في طريقة التفكير لدى هذه الفئة المهمة من الشباب ولاسيما الطالب والطالبة في سن المراهقة، حيث تتجه ميول المراهق اتجاهات متباينة وتظهر لديه القدرة على النقد والتحليل، بالإضافة إلى الحساسية المفرطة والتذبذب الوجداني والتهور والانفعال، مما قد يوقعه في سلوك منحرف، كما يؤكد (الهاشمي، ٢٠٠٤) على أهمية تعليم الحوار وتعزيزه من خلال المناهج الدراسية بما يتماشى مع الاتجاهات العالمية الحديثة حاجة ملحة ، وعليه قامت عدة مؤسسات بتطبيق برامج حوارية من أجل تعزيز الأمن الفكري للشباب كمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ، ويأتي الحوار في مقدمة السبل والاتجاهات الحديثة الناجحة لوقاية الشباب من الانحراف الفكري بطرفيه الأول الديني الذي يتضمن الغلو والتطرف بصوره ومظاهره المختلفة، والطرف الآخر غير الديني الذي يتضمن النزوع نحو التحلل من القيم والأخلاق الإسلامية الحميدة، وصولاً إلى الكفر والإلحاد ، فانعدامه يؤدي إلى خطورة بالغة على الأمن الفكري (الشدي، ١٤٣٥) ولقد أكد (ألفين، ٢٠٠٨) أن انتشار التطرف والعنف والإرهاب يشتى أنواعه يعود إلى ضعف ثقافة الحوار الذي يؤدي إلى خلل في المعرفة وبالتالي إلى خلل فكري ويؤدي إلى ظهور مشكلة الإرهاب .

ومن هذا المنطلق جاءت الدراسة الحالية لتعزز من أهمية الحوار التربوي ودوره الرائد في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب وخاصة في مرحلة الثانوية ، ومن ثمَّ الخروج بنوصيات ونتائج تعزز من دور الحوار التربوي وآثاره الايجابية على الأمن الفكري، وتحذُّ من المعوقات التي تضعف من ذلك ، وهذا يتطلب منا جميعاً الارتقاء بلغة الحوار سواء في المنزل أو المدرسة أو العمل أو على المستوى الشخصي والتفاهم مع شرائح المجتمع وأطيافه المختلفة كافة بلغة حوارية راقية بما يعزز مجتمعنا ويحصنه من الثقافات السلبية التي تزيد من الانحراف الفكري.

٣-١ أهداف الدراسة Goals of study

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس، وهو :

التعرف على دور الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري للشباب .
ويتفرع من هذا الهدف أهداف فرعية وهي :

- ١-٣-١ التعرف على دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب بالحوار التربوي .
- ٢-٣-١ التعرف على دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب بالحوار التربوي .
- ٣-٣-١ الكشف عن دور البرامج الحوارية في وسائل الإعلام الجديد في تعزيز الفكر الأمن لدى الشباب .
- ٤-٣-١ الوقوف على أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي
- ٥-٣-١ إعداد تصور مقترح للحوار التربوي مع الشباب بما يعزز الأمن الفكري لديهم .

٤-١ أهمية الدراسة Importance of the study

١-٤-١ الأهمية العلمية: Scientific importance

- تتناول الدراسة موضوعاً حيوياً حيث تدعم سياسة المملكة العربية السعودية في نشر ثقافة الحوار داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، ومشاركة الأجيال في الحوار الهادف بما يعزز من الأمن الفكري للمواطن والمواطنة.
- من المتوقع أن تساهم في تشجيع التربويين على المشاركة بالحوار مع الشباب في العديد من المجالات.
- الكشف عن الأساليب التربوية التي تعزز من الفكر الأمن للطالب والطالبة، والمعوقات التي تحد من ذلك وطرق معالجتها.
- إثراء المكتبة العربية بهذا الموضوع لأهمية الدراسات التي تتناول الحوار بمختلف مجالاته وتعدد فئاته وأهدافه.
- فتح المجال لدراسات أخرى جديدة حول دور الحوار التربوي في تعزيز الفكر الأمن .
- قد تساهم الدراسة بمشروع وطني منهجي خاضع للتقويم المستمر لتعليم ثقافة الحوار ومهاراته للطالبة في التعليم العام.

٢-٤-١ الأهمية العملية: Practical significance

- الخروج ببعض الأساليب التربوية الناجحة التي تعزز الفكر الأمن للشباب .
- ستكون مدداً ووعناً للمؤسسات التربوية والتعليمية لاتخاذ الآليات المناسبة التي تدعم الحوار التربوي.
- تكشف هذه الدراسة عن آليات الحوار الفاعل الذي يحتاجه الشباب لوقايتهم من الإرهاب الفكري .
- تفيد القائمين على برامج الحوار على معرفة الاحتياجات التدريبية التي تدعم ثقافة الحوار داخل المؤسسات التربوية والتعليمية.

٥-١ تساؤلات الدراسة Questions of study

تقوم هذه الدراسة على تساؤل رئيس هو:

- ١- ما دور الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري للشباب؟
ويتفرع من هذا التساؤل، التساؤلات الفرعية الآتية:
- ١-٥-١ ما دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟
- ٢-٥-١ ما دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟
- ٣-٥-١ ما هو دور الاعلام الجديد في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب بالحوار التربوي ؟
- ٤-٥-١ ما أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي ؟

٥-٥-١ ما التصور المقترح للحوار التربوي لتعزيز الأمن الفكري لدى الشباب؟

٥-١ منهج الدراسة: Method of study

استخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي في الدراسة الحالية :

ويهدف هذا المنهج إلى استنباط المعاني والأساليب التربوية الصحيحة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وهدى السلف الصالح، والتي واتخذتها المملكة العربية السعودية دستوراً ومنهاجاً في الحكم، بغية استنباط منهج للتربية والتعليم مع الشباب بهدف تعزيز الفكر الأمن لديهم ووقايتهم من الغلو والتطرف والإرهاب، وقد قامت الباحثة باستخدام هذا المنهج في للاستنباط من بعض المحاورات النبوية مع بعض الصحابة وتسخيرها في بعض الطرق التربوية النافعة أثناء الحوار مع الشباب بما يعزز من الفكر الأمن لديهم ، وكذا تقديم تصور مقترح لحوار تربوي مع الطالبات في المرحلة الثانوية بما يحقق الهدف نفسه ويتلاءم مع خصائص المرحلة واحتياجاتها.

٦-١ مصطلحات الدراسة: Concept of study

١-٦-١ الحوار:

١-١-٦-١ الحوار في اللغة

الحوار له معان كثيرة تدور في مجملها حول الرجوع والمراجعة والرد.

الحوار لغوياً: ترد كلمة (حور) و مشتقاتها في اللغة بمعان عدة، فقد جاء في المعجم الوسيط أن الحور: "الرجوع عن الشيء و إلى الشيء" (إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢٠١٠: ٥٤). ومنه قوله تعالى: { إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ } (الانشقاق: ١٤)

٢-١-٦-١ الحوار في الاصطلاح:

"هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما من الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة بطريق يعتمد على العلم والعقل مع استعداد الطرفين لقبول الحقيقة". (سليمان، ٢٠١٣: ٢٤)

٣-١-٦-١ الحوار التربوي:

الحوار هو: "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحد دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب الفكري". (أصول الحوار، ١٤١٩: ١١)

ويرى النحلاوي أن الحوار هو: " أن يكون الحديث بين طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً". (النحلاوي، ٢٠٠٠: ٢٠٦)

والحوار الذي تتصدى له الدراسة الحالية هو: الحوار الإيجابي التربوي الذي يتضمن تبادل الحديث بين أفراد أو مجموعات، على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم ومستوياتهم العلمية، وتربطهم رابطة الثقافة، ويكون من أهم أهداف الحوار هو تبادل المعرفة للوصول إلى التقارب الفكري وتساهم في وقاية الفكر من الغلو والتطرف والإرهاب بما يعزز الأمن الفكري .

٢-٦-١ الدور التربوي:

الدور معناه في معجم المعاني الجامع: المهمة والوظيفة.

والدور: "هو وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية ومجموعة من ضروب النشاط، وهو منظور التفاعل الاجتماعي. مكون من مجموعة من الأفعال المكتسبة التي يؤديها الشخص في موقف تفاعل اجتماعي" (مذكور، ١٣٩٧: ٢٦٧).

بينما يعرف عطا الدور بقوله: " مجموعة من الانماط السلوكية التي يتخذها الفرد، أو المؤسسة التربوية تجاه موقف ما، وفي إطار نسق اجتماعي محدد. (محمد عطا، ١٤٠٨: ٣٦)

معنى التربوي: اسم منسوب إلى التربيّة والمنهج تربويّ . أما الحوار التربوي فيقصد به: " تبادل للحديث بين شخصين أو أكثر، بهدف التوصل إلى نتائج تربوية، تسهم في التنشئة والتعليم ، وفق أسس علمية مدروسة و محكمة " (المغامسي، ١٤٣١: ٤٥).

ويقصد في هذه الدراسة دور الحوار التربوي : هو مهام ووظائف واضحة للحوار، من أسلوب مناسب، مع الالتزام بالمنهجية الشرعية للحوار والتي نستقيها من الكتاب والسنة، بما يعكس سلوكاً إيجابياً للمتداول معه ويساعد على تعزيز الفكر الأمن لديه .

الأمن الفكري:

١-٦-٣-١ الأمن: "شعور نفسي يتحقق من خلال مجموعة القواعد الموضوعية والإجرائية التي يتم اعتمادها من السلطة التشريعية والتنفيذية بالمجتمع رعاية للمصالح". (الهماش، ١٤٣٠: ٣٦) أو طمأنينة النفس بزوال الخوف وعدم توقع مكروه في الزمن الآتي. (المطلق، ١٤٢٨)

١-٦-٣-٢ الفكر اصطلاحاً: جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من القيم والمبادئ الأخلاقية التي يملكها الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه . (التركي، د.ت)

٣-١-٦-٣ الأمن الفكري: عرف بأنه "تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ، مما قد يشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة، ويجنب الفرد من انحراف في السلوك" (نور، ١٤٢٨: ١٢)

١-٦-٣-٤ التعريف الإجرائي: مجموع الأساليب والبرامج التربوية التي يقوم بها المربين لتحسين عقول الشباب بالأفكار السليمة المتعلقة بالدين والسياسة والثقافة في مواجهة الأفكار التي تتعارض مع الدين الاسلامي.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

المقدمة

إن الحوار هو وسيلة للتخاطب والتقارب بين الشعوب على اختلاف أجناسهم وأعراقهم فقد قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣). وشرط الحوار التربوي أن يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة كما خاطب الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥) ، كما مر الإنسان بمراحل عديدة وانتقالات مختلفة اتصلت بها حلقات من الحوارات والنقاشات طوال فترات حياته.

فالحوار مطلب حضاري له أصوله الإسلامية في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، شرعه الدين الحنيف، لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، وتعزيز القيم الأخلاقية، وانطلاقاً من أهمية الحوار في التربية حيث أنه من الأساليب التربوية، ومن وسائل الاتصال الفعالة، وتزداد أهميته التربوية في كافة المؤسسات التربوية والتعليمية وخاصة الأسرة والمدرسة باعتبارها وسيلة ناجحة للتربية بالإقناع والمشاركة، كما يساهم في تغيير الاتجاهات ومن ثم يتم تعديل السلوك وتعزيز الهوية، إن زيادة ثقافة الطالبة الحوارية وممارستها للحوار لا تنعكس على زيادة رغبة الطالبة في مدرستها وانتمائها لها فحسب، بل تسهم بشكل كبير في بناء الشخصية وصناعة مستقبل جيل واع ومشارك وإيجابي وتقضي على السلبية وتزيد من الوطنية الصالحة بتوفيق الله. كما أن ممارسة الحوار بعد امتلاك أدواته ومهارته تعني أن نجعل الشباب يشارك برأيه في النقد البناء لبيئته ووطنه، كيف لا وهو المستقبل الأول منهم، بما يعكس بلورة لشخصية سوية والذي يتأتى من فكر آمن، وهوية وطنية

وفي هذا الفصل سنتسلط الباحثة الضوء على ماهية الحوار من حيث مفهومه وأهميته وآليات تطبيقه وفق منهجية تربوية وضوابط، والتعرف على المعوقات التي تحد من فعاليته، كما سيتم تسليط الضوء على دور الحوار التربوي مع الشباب في

تعزيز الأمن الفكري ؛ وهذا يتطلب استقامة فكر الإنسان، وتخليصه من شوائب الثقافة الزائفة، وكذلك تحصين هذا الفكر من الانحراف الذي يعكس على السلوك الإنساني فيشكل خطراً كبيراً على أمن واستقرار المجتمعات. وإبراز دور المؤسسات التربوية في تأصيل ثقافة الحوار التربوي باختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم ومن أهمها الأسرة والمدرسة والأعلام والمسجد، حيث إن العقل الإنساني علمياً يتشكل نتيجة تأثير التربية التي يتلقاها من عدة مؤسسات تربوية، فإذا كانت المخرجات والنتائج غير سليمة ولا تعكس الانتماء؛ فالسبب حتماً يعود إلى هذه المؤسسات التي قد تفشل في تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية وتفترق للحوار كمنهج إسلامي رائد. (الفاعوري، ٢٠١٠)، كما نبرز دور الجهود الوطنية في تعزيز الأمن الفكري لكافة فئات المجتمع وخاصة فئة الشباب، بما يعكس نتائجه على الفرد والمجتمع.

الدراسات السابقة

بعد اطلاع الباحث على بعض الدراسات، تم تحديد الدراسات التي لها علاقة بموضوع الدراسة، لاسيما تلك التي تتحدث عن الأمن الفكري في المؤسسات التعليمية، حيث كانت على النحو التالي

الدراسة الأولى :

دراسة الشبخلي (٢٠١١) حول (هندسة الحوار) ، حيث أشادت الدراسة بأهمية الحوار وضرورة اخضاعه إلى معايير علمية، فإنه لا يكون فعالاً ومنتجاً ما لم يتم على أسس علمية، ومن أهداف الدراسة تناول العملية الحوارية وفق ضوابط علمية من تنظيم، وتخطيط، وأداء، وتقويم، ومن أهم توصيات الباحث ضرورة اهتمام دور التربية والتعليم ومراكز البحث العلمي بموضوع الحوار، من حيث بلورة أهدافه لواقع حقيقي، وضرورة توفير مناخ إيجابي للمحاورين

الدراسة الثانية :

دراسة المغامسي (٢٠٠٥) بعنوان: " الحوار ، أدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية " وهدفت الدراسة إلى التعريف بمعنى الحوار ودواعيه، وعوائقه، وبيان أنواع الحوارات في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان آداب الحوار، كما ركزت الدراسة على الفوائد التربوية للحوار في الأسرة والمجتمع ، مع بيان التطبيقات التربوية لذلك، وخرج الباحث بنتائج كثيرة ، ومنها بيان أهمية الحوار، حيث هو من أفضل الوسائل لحل الخلافات ، ومعالجة الغلو بشى صورته ومنه الغلو الفكري ، كما أن الحوار من أفضل طرائق التدريس التي يجب على المعلم أن يستخدمه في تعليمه للطلاب.

الدراسة الثالثة :

دراسة جبار (١٤١٦) بعنوان " الإقناع في التربية الإسلامية" وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأساليب التي يتم بها الإقناع ، وتطبيقاته التربوية، واستخدام الباحث المنهج الوصفي والاستنباطي، والتاريخي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عديدة من أهمها أن الحوار هو من أفضل وأهم الأساليب التربوية في الإقناع وهذا هو المسلك الذي سلكه المنهج القرآني والنبوي في إقناع وإرضاء الناس ، حيث يقوم على إثبات الحقائق، وتوجيه النظر إلى المسلك الصحيح، ويقوم على أسس شرعية متينة بما يصح المعتقدات والأفكار المنحرفة، وينحوا بها إلى الطريق المستقيم ، وقد أوصى الباحث بوجود الاهتمام بمصادر التشريع الإسلامي، ودراساتها، لاستنباط المنهج التربوي السليم في تربية النشئ والمحافظة على معتقداتهم من الطرق الدخيلة على الإسلام ، كما أوصى بأهمية الاهتمام بالمبادئ التربوية ودعمها للقيام بأدوارها التربوية والتعليمية ، واعداد المعلمين وتدريبهم على استراتيجيات تعلم حديثة ، بما يعكس في بناء شخصية للمتعلم متوازنة من جميع الجوانب، وعدم الاقتصار على الجانب المعرفي

الدراسة الرابعة :

دراسة الظاهري (١٤٢٣) بعنوان " دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب" وقد هدفت الدراسة إلى العديد من الأهداف ومنها بيان موقف القرآن الكريم والسنة المطهرة من الإرهاب ، وتوضيح دور المدرسة الثانوية في مواجهة الإرهاب بالحوار التربوي والقوة الحسنة، واستخدام الباحث المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها، أن الجهل بالدين، والبعد عن المنهج الإسلامي القويم، وعدم التمسك بالشريعة الإسلامية على الوجه الصحيح، هو السبب الأول في الغلو والتطرف، ولهذا يتوجب على التربويين وخاصة المعلم تعريف الطالب بمناهج التربية الدينية، والتعاون مع المؤسسات المجتمعية الأخرى في مقدمتها الأسرة في سبيل مواجهة الإرهاب بكافة صورته ، واتخاذ التدابير الوقائية لحماية الشباب من التطرف والغلو والانحراف والإرهاب .

الدراسة الخامسة :

دراسة عساف (٢٠١١) بعنوان " دور التربية للمواطنة في تعزيز الحوار بين طلبة الجامعات وسبل تفعيله هدفت الدراسة إلى الكشف عن مدى احتياج طلبة الجامعات دور كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من أجل المواطنة ومبررات هذا الاحتياج، وكذلك تعرف دور التربية للمواطنة في تعزيز الحوار بين طلبة الجامعات واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أن درجة الاحتياج الكلية إلى التربية للمواطنة عند الطلبة الجامعيين كانت بنسبة عالية %٨٢، حيث احتلت درجة الاحتياج للتربية من أجل المواطنة الاجتماعية المركز الأول، والمواطنة لسياسية المركز الثاني. وأن أهم مبررات احتياج الطلبة للتربية من أجل المواطنة كان تنامي الذات الفردية والمصالح الخاصة على حساب المصالح الوطنية .

الدراسة السادسة :

دراسة الحارثي (١٤٢٩) بعنوان " إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظر مديري ووكلاء المدارس والمشرفين التربويين، هدفت الدراسة التعرف على درجة أهمية إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، واستخدم الباحث استبانة كأداة للدراسة. وتوصلت الدراسة إلى النتائج منها أن درجة ممارسة الإعلام التربوي لتحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية كانت (متوسطة). وإن درجة الموافقة على درجة أهمية إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة كانت بدرجة (عالية جداً).

الدراسة السابعة:

دراسة الجحني (د.ت) بعنوان " دور حلقات تحفيظ القرآن الكريم في تعزيز الأمن الفكري(رؤية مستقبلية) هدفت الدراسة إلى التعرف على دور حلقات تحفيظ القرآن الكريم في تعزيز الأمن الفكري، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى النتائج كان من أهمها أن تحقيق الأمن الفكري لدى الفرد يكون من شأنه تحقق تلقائي للأمن في الجوانب الأخرى كافة، ذلك لأن العقل هو مناط القيادة العليا الواعية المميزة الموكلة بكل أصناف الأمن. كما أن حلقات تحفيظ القرآن الكريم بعناصرها الأساسية تعد عاملاً هاماً في تربية الأبناء، وذلك بالحوار الهادف والواعي، فمنها يتشرب القيم والعادات والتقاليد حتى تشكل شخصيته وأنماط سلوكه وعاداته واتجاهاته وأسلوبه في التفكير. حيث إن حلقات تحفيظ القرآن الكريم بما تقدمه للأبناء من استقرار نفسي وعاطفي ومادي تشبع في نفوسهم الأمن والطمأنينة، وتجعل عملية غرس القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية أكثر تقبلاً وتمثلاً، مما يساعدهم مستقبلاً على مواجهة المواقف والصعاب التي تعترض حياتهم .

الدراسة الثامنة:

دراسة العاصم (١٤٢٦) بعنوان: "دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة في مدينة الرياض من وجهة نظر الطلاب". استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة، أن الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية غير واضح بالشكل الذي يعينهم على التفريق بينه وبين الانحراف الفكري والإرهاب، والمدرسة لا تملك القدرة الكافية لكشف النزاع والميول الانحرافية لدى بعض الطلاب، الأمر الذي لا يجعلها تؤدي دورها المأمول منها في تقييدهم. كما أن هناك قصوراً ملحوظاً في تعاون المدرسة مع البيت والمجتمع تحقيقاً للتوازن التربوي التكاملية، وبفهام الطلاب المعنى الصحيح للأمن الفكري ومقاصده وطرق تحقيقه، ودور الطالب في ذلك، وتوضيح مخاطر الانحراف الفكري وعواقبه.

التعقيب على الدراسات السابقة :

من خلال الإطلاع على الدراسات السابقة يتضح ما يلي:

- ١- أكدت الدراسات السابقة على أهمية الحوار التربوي وأنه المسلك الأمثل في تعزيز الأمن الفكري ومنه دراسة دراسة الشبخلي (٢٠١١) ، ودراسة المغامسي (٢٠٠٥) ، ودراسة جبار (١٤١٦)
- ٢- التأكيد على أهمية الأمن الفكري في حياة الفرد والأمة، وأثاره على الاستقرار النفسي والنمو الفكري ومن تلك الدراسات ، دراسة الظاهري (١٤٢٣) ، ودراسة عساف (٢٠١١) .
- ٣- أظهرت بعض الدراسات دور المؤسسات التربوية (الأسرة ، المدرسة ، الإعلام، والمسجد) في تعزيز الأمن الفكري لدى أفرادها كما في دراسة الحارثي(١٤٢٩) ، ودراسة (الجحني،د.ت) ودراسة العاصم (١٤٢٦)

مدى استفادة الباحث من الدراسات السابقة:

- ١- التمكن من إعداد الإطار النظري للدراسة.
- ٢- إعداد برنامج مقترح لمنهج الحوار للطالبة في مرحلة الثانوية بما يعزز الأمن الفكري لديها .
- ٣- الرجوع إلى بعض المصادر التي استفادت منها الدراسات السابقة.

ثانياً: الإطار النظري

المبحث الأول

أولاً: ماهية الحوار .

ثانياً: تأصيل مفهوم الحوار في الإسلام .

ثالثاً: سياسة الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية .

المبحث الأول : الرؤية الدينية والوطنية للحوار التربوي

أولاً: ماهية الحوار

١ - مفهوم الحوار

"تناول عديد من الكتاب والباحثين مفهوم الحوار من زوايا مختلفة وكانت غالبيتها تتفق مع ميولهم واتجاهاتهم الفكرية، ومفهوم الحوار هو مفهوم حديث نسبي على الفكر الإنساني، وأرجع بدايات تداول هذا المصطلح إلى الطريقة التي ابتدعها الفيلسوف اليوناني سقراط وسماها بالطريقة السقراطية أو "الطريقة الحوارية"، ومفادها "أنه ليس القصد من التعليم هو صب الآراء في ذهن خال، بل استمداد الحقائق الخالدة من العقل الذي تنطوي فيه، وأبى أن يخضع لسيطرة عقل آخر يملئ عليه آراءه وحكم في كل هذا منطق العقل وحده، أي أن العقل هو وسيلة الوصول إلى المعرفة دون الخضوع لقيود على حرية الفكر" (العمرى، ٢٠٠٦: ١٢)

وينطلق (العمرى) من القرآن الكريم في تأريخه للحوار، حيث يعرض عديداً من المواقف التي استخدم فيها الطريقة الحوارية منها على سبيل المثال لا الحصر؛ الحوار الذي دار بين الله عز وجل والملائكة حول موضوع خلق آدم واستخلافه في الأرض في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٣٠). وتعتقد الباحثة أن الحوار موجود بوجود الإنسانية ومرتبب باحتياجاته، ولكن مع المستجدات الراهنة في ميادين التربية أصبحت الحاجة للحوار وضرورة نشره أكثر إلحاحاً من السابق، مما جعله يحرز اهتمام خاص من قبل التربويين والباحثين، حيث يعد أداة ضرورية ووسيلة هامة لمعالجة مشكلات المجتمعات. وبالنسبة لتمييز الحوار عن بعض المصطلحات المتشابهة ومع اختلاف الباحثون والعلماء في صياغة تعريف موحد للحوار إلا أن الغالبية متفقون على أن الحوار يعد المنهج السليم والأسلوب الأمثل الواجب إتباعه لمعالجة جميع القضايا والمشكلات للوصول إلى حلول إيجابية نافعة، ويمكن عرض بعض التعريفات التي تناولت الحوار فيما يلي:

يعرف الحوار بأنه "حديث بين طرفين أو عدة أطراف لعرض وجهات النظر بينهما (بينهم) حول مسألة متنازع عليها يقصد التوصل إلى حل مناسب أو نتيجة مناسبة" (جعلوك، ١٤١٩: ١١٤). كما يعرف الحوار بأنه "الوسيلة التي تساعد الجماعات المختلفة أن تكشف الموضوعات الصعبة والمعقدة المتحفظ عليها من خلال تعدد وتبادل وجهات النظر، ويقوم الأفراد بتوصيل افتراضاتهم بحرية، ومن ثم يساعدنا على فهم طبيعة فكرنا، والاعتراف بعدم ترابط أفكارنا لأنه من خلال الحوار يستطيع الناس ملاحظة أفكارهم وكذلك ملاحظة أن فكرهم يتسم بالنشاط وليس بالخمول" (هلال، ٢٠٠٧: ١٦).

وبناء عليه فإن الباحثة تعرف الحوار بأنه: نقاش يتم بين طرفين أو أكثر يتم من خلاله التقريب بين وجهات النظر المختلفة، وفهم الأمور والقضايا والمشكلات بأسلوب مقنع وصحيح وشرط الحوار هو توفير بيئية داعمة للحوار وأهدافه، فالمناخ التربوي يسمح لجميع المتحاورين بطرح أفكارهم وآرائهم بحرية ويساعد على نجاح عملية الحوار دون اعتراضات أو مجادلات، وينتهي بالاتفاق والوصول لأفضل النتائج المثبتة بالحجج والبراهين الصحيحة.

٢ - أهمية الحوار

١ - للحوار أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات، وقد أصبح حاجة إنسانية ملحة للمشاركة، والتواصل مع الآخرين، فالحوار البناء يحقق التوازن والاستقلالية للفكر الإنساني، وتزداد الحاجة للحوار في ظل التغيرات السريعة؛ التي أوجدت فجوة دائمة ومستمرة بين ما يمتلكه الفرد من معلومات ومعارف وبين أحدث ما توصل إليه العلم في هذا المجال، وبعد مراجعة بعض الأطروحات العلمية والتجارب العالمية واستعراض انعكاس بعض الثقافات على مؤسساتها التربوية في عديد من البلدان تم التوصل إلى نتيجة مهمة لها علاقة وطيدة بعدم انتماء الطلاب إلى بيئتهم، ويرجع ذلك إلى عدد من الأمور التي من أهمها غياب ثقافة الحوار على مستوى المجتمع عموماً وفي المدارس تحديداً وممارسة، في الوقت الذي تشير فيه

بعض الدراسات الحديثة إلى أن العوامل المؤثرة في رفع مستوى ثقافة الحوار لدى الفرد هي بالدرجة الأولى التربية والتعليم ثم التربية الأسرية ثم تطبيقاتها من خلال الأنشطة الثقافية والاجتماعية، ثم من خلال وسائل الإعلام. (الحسين، ٢٠١١) وللوصول إلى الحوار التربوي الناجح لابد أن يستند على أسس علمية واضحة مدعومة بالحجج والأدلة المثبتة، وأن يتسم المحاور بسمات المحاور التربوي الذي يسعى للبحث للوصول على المعرفة، وليس مجرد طرح الأفكار والآراء المجردة، وعليه فإن السلیمان يرى أن فوائد الحوار التربوي تتمثل فيما يلي:

- ١- يعزز استراتيجيات بناء العلاقات الايجابية بين المربي و النشئ حيث يؤكد الاحترام المتبادل والتقبل ونبذ الصراع.
 - ٢- يبني ويعزز ثقة المحاور بنفسه، ويؤكد من ذاته، وينمي استقلاله، ويشجعه على اتخاذ القرار بنفسه.
 - ٣- يدرّب الشباب على تقبل الاختلافات مع الآخرين.
 - ٤- يدرّب الشباب على تحقيق وتقرير مبدأ القيم المقبولة، فهو مناخ ممتاز لتعديل السلوك.
 - ٥- ينمي المبادرة والمنافسة وحب الاكتشاف، فهو تنمية للروح الاجتماعية.
 - ٦- يظهر الحوار للأباء والمعلمين والمرشدين والمرشحات بشكل صريح ما يعانیه الأبناء والبنات من مشاعر عدائية أو قلق أو صراعات نفسية وإحباطات وكبت، وهذه فرصة يجب أن تنتهز لعلاج تلك المشكلات ودعم النمو الانفعالي والتفيس عن المشاعر، وهذا هو صلب أهداف العملية الإرشادية بالمدرسة.
 - ٧- يساعد الحوار التربوي على رفع مستوى الطالب والطالبة التعليمي.
 - ٨- يساعد الحوار التربوي للطالب والطالبة على اكتساب توطيد العلاقات واكتساب الصداقات.
 - ٩- يعلم الحوار التربوي على الشجاعة النفسية والأدبية في طرح الرأي وقبول الرأي الآخر.
 - ١٠- الحوار التربوي يدعم أهداف التوجيه والإرشاد المدرسي حيث يتم توظيف الحوار في المجالس واللقاءات الإرشادية التي تعقد بين الطالبة وأعضاء المجتمع المدرسي كمهارة الاستماع والنظر وطرح الأسئلة. (السلیمان، ٢٠٠٥)
- ٣- أهداف الحوار

الحوار الهادف هو الذي ينتج عنه الفهم السليم بين المتحاورين وتقريب بين وجهات النظر المتباينة، والخروج بنتائج مرضية لكل الأطراف باختلاف مستويات التفكير. فالحوار هو أداة تربوية لتسيير دفة الحياة والارتقاء والالتقاء في ميادين التربية والتعليم، وهذا ما أكد عليه أمين في وصفه للحوار حيث قال: "إن الإعداد الجيد للحوار وممارسته وفق آليات مخطط لها بدقة، يساعد على تيسير الحوار نحو تحقيق أهدافه، فالحوار الجيد يمكن أن يسفر عنه التخفيف من حدة التشنج والعداء، وإشاعة الفكر الهادئ بين الناس والارتقاء بهم" (أمين، ١٩٩: ٧٠) وترى الباحثة أن جهود كافة الباحثين والعلماء والتربويين من خلال عقد الندوات والمؤتمرات وإعداد الدراسات التي تعني بالحوار واستراتيجياته، ماهي إلا نموذجاً رائعاً يحتذى به لغايات الحوار، حيث يساعد على نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات وتنمية العلاقات السليمة والصداقة بين المتحاورين.

وفيما يلي تعرض الباحثة أهم الأهداف التي ترى أهميتها من خلال مشاركة الشباب في الحوار وأدائه لأدواره التربوية بالحوار:

- ١- تربية الشباب على منهجية الحوار وفهم وجهات النظر واحترامها لكي يكون هذا مسلماً لهم في حياتهم وتعاملهم مع الآخرين.
- ٢- تربية الشباب على منطق الحجة بأسلوب علمي وفتح نوافذ العقل والتفكير للوصول إلى الحقائق والشواهد وتعويدهم على الحوار النقدي البناء.
- ٣- السعي لتخريج جيل صالح قادر على المشاركة في البناء من خلال إبداء رأيه وإعمال فكره وفق منهجية سليمة.
- ٤- تحقيق الطمأنينة للشباب بصفة خاصة ولكافة أعضاء المجتمع بصفة عامة على حد سواء من خلال تحرير النفوس من مشاعر الكبت والخوف والقلق من المستقبل.
- ٥- غرس القيم في نفوس الشباب وتحقيق الانسجام وتعميق التفاهم المشترك والتواصل مع الآخر واحترام رأيه.

٦- التغلب على المشكلات بمختلف أشكالها وتنظيم العلاقات الإنسانية وتعميق التفاهم والتعارف بين كل المستويات الاجتماعية.

٧- تبادل الخبرات الإنسانية وتعميم نتائج التجارب الإنسانية الحديثة بين البيئات الاجتماعية والفكرية المختلفة.

٨- تضيق الفجوة المستمرة في العلم والمعرفة وتنمية روابط من الألفة والمحبة بين المربي والنشئ وكسر حواجز الخوف والخجل السلبي .

٩ - تعزيز ثقة الشباب بأنفسهم من خلال منحهم الفرصة للمشاركة والتعبير عن أفكارهن و توفير بيئة نفسية واجتماعية لممارسة الحوار بحرية تامة.

١٠- تأسيس وعي اجتماعي معاصر على أساس الانطلاق من الماضي والحاضر نحو تحقيق التطلعات الوطنية الكبرى في المستقبل.

١١- إعطاء الشباب فرصة للمشاركة في صياغة القرارات مما ينتج عنه احترام للقرارات والالتزام بها بطواعية.

٤- شروط الحوار التربوي الهادف:

نجاح الحوار و سيره بطريقة جيدة، و خروجه بنتائج ذات قيمة،كل هذا يتطلب العديد من الشروط والتي أوردتها (بكار، ٢٠١١) في مايلي

الشرط الأول: تحديد موضوع النقاش:

مالم يتم تحديد موضوع النقاش، فإن الحوار قد لا يأتي بأي نتيجة، ويدور الحوار غالباً حول المشكلة، و ليس من العسير توضيح أبعاد المشكلة موضع البحث ؛ حتى يتمكنوا من بلورة ما يريدون بلورته على نحو جيد.

الشرط الثاني: إعطاء معلومات للمتحاورين:

قبل الشروع في الحوار لابد من إعطاء معلومات للمتحاورين عن القضية التي سيتحاورون فيها، وهذا ضروري جداً لطلاب المدارس والجامعات.

الشرط الثالث: البعد عن التجريح:

من المهم في كل حوار البعد عن التجريح الشخصي، لأننا بذلك نكون قد ابتعدنا كثيراً عن الأدب الرفيع، و عما يجب أن يسود من اللباقة وتجنب الإحراج.

الشرط الرابع: إدارة الحوار:

عند وجود اختلافات ومداخلات غير منظمة بين المتحاورين من الواجب في هذه الحالة أن يقود الحوار أحد الحضور ؛ ليجعل لكل الحاضرين في المجلس قسطاً من الوقت مساوياً لغيره.

الشرط الخامس: تلخيص أهم النقاط:

وذلك بهدف الخروج بشيء ملموس، و استعراض جميع الخيوط المبعثرة و المشتتة، وتقديمها في ملخص مختصر يشتمل على ما تم الاتفاق عليه، كما يشتمل التلخيص على أهم الفوائد التي وردت في النقاش.

٥- خصائص الحوار التربوي :

يتميز الحوار التربوي بخصائص تميزه عن الحوارات الأخرى ومنها:

١- الحوار التربوي لا يعني بقضايا تحمل الاختلاف أو التناقض التام بقدر ما يعني بمبادئ علمية محسوسة ولا مجال للخلاف فيها.

٢- الحوار التربوي يمتاز بالمرونة، وهذا أمر مناط بنظريات تربوية متفق عليها ، وهذا لا يفسد للود قضية.

٣- لا يشترط أن يقوم الحوار على مبدأ التكافؤ المعرفي بين المتحاورين بمعنى أن المعلم أوسع معرفة من الطالب وهذه خصوصية إيجابية لأن نتائجها تعود على الطالب بالنفع والفائدة.

٤- يمتاز الحوار التربوي بالارتقاء والسمو في الطرح والعرض، لان الحوار يتناول قضايا معرفية وسلوكية وتربوية تتسم بالرقى ويعني ببناء جيل قادر على قيادة مركب الحياة بمنهجية صحيحة.

٥- الحوار التربوي لا يهدف للوصول إلى الحقيقة فحسب كما هو الحال في الحوارات الأخرى، ولكنه يهدف إلى توضيح الحقيقة وتبسيطها وجعلها مفهومة للشباب وتغرس فيهم حب المعرفة والبحث والابتكار.

٦- الحوار التربوي يعني بتأصيل القيم الإنسانية النبيلة وغرس الفضائل في نفوس المشاركين في الحوار وهذا هدفاً تنادي به جميع الأنظمة التربوية والتعليمية على اختلاف مذاهبها ومعتقداتها.

٧- يمتاز الحوار التربوي بقدرته الكبيرة على التغيير. أي تغيير اتجاهات المتحاورين وخبراتهم وتوجيهه السلوك للاتجاه الصحيح فالطلاب مثلاً في مراحل الإعداد والتربية لديهم القابلية على التقليد والتأثير بالمعلم. (الحسين، ٢٠١١)

ثانياً: تأصيل مفهوم الحوار في الإسلام

١- المقدمة

شهد تاريخ الإسلام منذ بزوغ شمس النبوة عناية خاصة بالإنسان وحرية في الرأي لم يشهد مثلها تاريخ من قبل. ولنا في نصوص كتاب الله والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين خير شاهد من خلال المواقف والمشاهد التي تحكي أهمية التحاور والتشاور من هذه الأدلة قول الله تعالى: {... وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..} (النحل: ١٢٥) . وكذلك حديث أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حين حاور ربه في قضية الإحياء والإماتة لتترسخ لديه قضية الإحياء والإماتة فيزداد قناعةً و يقيناً و ذلك فيما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: ٢٦٠). فأراد القرآن الكريم أن يثبت أن الإنسان مستقل فيما يملكه ويقدر عليه لا يفرض عليه أحد سيطرته، بل هو مخير غير مكروه في اختياره ورأيه، ونجد أن حرية الرأي تأصلت مبادئها في عصر النبوة، فبعد انتصار المسلمين في غزوة بدر تمت المشاورة في شأن الأسرى حيث أشار أبو بكر رضي الله عنه "باستبقائهم واستنابتهم، أو فك أسرهم وافتدائهم بالمال" وأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتلهم فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم، برأي أبي بكر رضي الله عنه، وأبدى بعض الصحابة رأيهم في حادثة الإفك، وأشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بتطليق زوجته عائشة رضي الله عنها إلا أن عمر رضي الله عنه قال: من زوجها يا رسول الله؟ قال: الله، قال: أفظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، ووافق القرآن الكريم عمر فبرأها فوق سبع سموات.

وتناقش الباحثة في هذا المجال ماهية الحوار من المنظور الإسلامي من حيث مفهومه وآدابه ومشروعاته وغاياته .

٢- مفهوم الحوار في الإسلام

"ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي:

الأولى: في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة: ١)

الثانية: في قوله تعالى: { وَكَانَ لَهُ تَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } (الكهف: ٣٤)

الثالثة: في قوله تعالى: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا } (الكهف: ٣٧). (عبد الباقي، ١٩٨٦: ٢٢٠).

٣- آداب الحوار في الإسلام

" إن الحوار الذي شرعه الإسلام الحنيف في ظل تأصيل القرآن الكريم والسنة المطهرة يتصف بالعديد من الآداب حيث يكون قول وكلام المحاور كما أراد رب العالمين ومن ذلك:

١- القول السديد: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً } (الأحزاب: ٧٠)

٢- القول الحق: قال تعالى: { أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } (الأعراف: ١٦٩)

٣- القول المطابق للفعل: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } (الصف: ٣، ٢)

٤- القول المعروف: قال تعالى: { قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى } (البقرة: ٢٦٣)

٥- القول الحسن: قال تعالى: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (الزمر: ١٨)

٦- القول اللين: قال تعالى يخاطب موسى وهارون عليهما السلام، بشأن فرعون: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه: ٤٤)

٧- القول الطيب: قال تعالى: { إِنَّهُ يَصْنَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ } (فاطر: ١٠)

" كما حظي مفهوم الحوار في ظل الإسلام باهتمام كبير ؛ وله قيم وسمات رفيعة حيث يتطلب رحابة الصدر و سماحة النفس و طول البال و راحة العقل و تنوع الثقافة مع الثبات و التعامل بعقل مع الأفكار التي تطرح لأنه يرسم شخصية المسلم السوي "(الشيخلي، ٢٠١١: ١٩) " لهذا كان للحوار في الإسلام آداب عظيمة من أبرزها ما يلي:

١- أن المسلم يتأدب بأخلاق الإسلام، و يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، ثم يرتفع بمستواهم تدريجياً حتى يفهموا منه ما يريد.

٢- على الإنسان المسلم الذي يدخل إلى حلبة الحوار أن يكون عنده إيمان قوي بأنه فوق كل ذي علم عليم، وهذا يقتضي منه التواضع، و عظم ثقته في الله، و أن يتمسك بالحق دون تعصب، مما يزيده في مواقف الحق.

٣- الحوار أسلوب من أساليب التقارب والتجاوب والتفاعل و لذلك فإن من آدابه الحكمة وهي جماع العلم و المعرفة، ولذا كان من عناصر الحكمة حسن الفهم، وعمق الوعي، و سعة الإدراك، والقصد والاعتدال، والفتنة، والرشد، والليقظة". (عبيد، ٢٠٠٤: ٣٣- ٣٤)

٤- نماذج الحوار من المنظور الإسلامي

"الحوار في كتابنا العظيم له دلالات عميقة، حيث يضم مجموعة من القيم والمبادئ التي تشكل أساس ثقافتنا وحضارتنا، المتسمة بالبرقي، والاعتراف بالأخر، وإدارة الحديث معه، دون نزاع أو تخاصم وهذا ليس بغريب على ديننا الإسلامي، الذي يحث على سماحة القول ورحابة الصدر وتحكيم العقل بما يحقق التجاوب الفكري والتفاعل العقلي والتعامل الحضاري"(محبوب، ٢٠٠٦ : ١٣٩) والقرآن الكريم حافل بأنواع مختلفة من الحوارات. وتعرض الباحثة نماذج للحوار القرآني، ونماذج للحوار النبوي، وخاصة حوار ه مع الشباب من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

١- نماذج للحوار القرآني

ورد في القرآن الكريم العديد من الصور الحوارية التي دارت بين الحق سبحانه و تعالى و ملائكته، و آدم عليه السلام، و إبليس، و بين الأنبياء و أممهم، و بين أهل الجنة و النار و غيرها، وهناك من يصنف الحوار القرآني إلى الأنواع التالية:

١- الحوار القرآني البرهاني:

"وسمي بذلك لأنه يحمل برهاناً منطقياً يلزم المخاطبين الإقرار بالأمر الذي صيغ الحوار من أجل إقناعهم به وهدايتهم إليه والأمثلة على ذلك كثيرة مثل الحوار القرآني البرهاني مع المشركين الذي يثبت لهم بطلان عبادة غير الله، و يدعو إلى توحيد الله بالعبادة قال تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } (يونس: ٣١) . فالله سبحانه و تعالى يوقظ وعي المشركين الفطري عن طريق الحوار" (النحلاوي، ٢٠٠٠: ٢١).

٢- الحوار القرآني الوصفي:

" وهو الحوار الذي يدور بين الطرفين أو أكثر، و يصف الحالة النفسية لبعض المتحاورين، أو يشعر السامع والقارئ بها؛ بقصد هدايته إلى الاقتداء بالصالحين، وهو على ثلاثة أشكال: أولها حوار بين أهل النار بعضهم على بعض، وقد يتخلله عنصر ثالث يصدر الأوامر أو يعلق على الحوار أو يسأل بعض المتحاورين عن سبب مصيرهم، وثانيها: حوار بين أهل

الجنة بعضهم مع بعض، وثالثها حوار بين أهل الجنة والنار وأصحاب الأعراف، وهم طرف ثالث محايد، يعلق على الكلام أحد الطرفين المتحاورين ليزيد الموقف وضوحاً" (النحلاوي، ٢٠٠٠: ٢٦)

٣- الحوار القرآني القصصي:

"وهو حديث يجري على شكل سؤال وجواب بين شخصيات القصة الذين يقومون بأهم أحداثها أو تتمثل فيهم تلك الأحداث والمفاجآت أو تجري عليهم المآسي والألام التي تتميز بها القصة، مثل قصة يوسف عليه السلام قال تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (يوسف: ٤)} وكما يلاحظ فإن الله سبحانه وتعالى عرض قصة يوسف عليه السلام من بدايتها حتى نهايتها بأسلوب حوارٍ" (المغامسي، ١٤٣١: ٦٢).

٤- الحوار القرآني الخطابى:

وهذا النوع من الحوار يتمثل في نداء الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الموجه إلى جميع أصناف خلقه من جن وإنس مثل قوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ} (الأنعام: ٦). (المشهداني، ٢٠٠٤: ٣٥٥)

٥- الحوار القرآني التعليمي:

وهذا النوع يتمثل في الحوار الإلهي للملائكة ومن ذلك قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: ٢٠، ٢١).

٢ - نماذج للحوار النبوي

باستعراض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، نجد أن حرّية الرأي طبقت تطبيقاً رائعاً منذ عصر النبوة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستطلع آراء أصحابه في الشؤون العامة بل وفي المسائل الخاصة، وكان في الغالب يأخذ بأرائهم وإن خالفت رأيه. (حمدان، ٢٠٠٧). ومن أساليب الحوار في القرآن والسنة.

(١) أسلوب الحوار الوصفي التصوري:

يعتمد فيه صلى الله عليه وسلم على القصة وضرب الأمثلة بهدف تقريب المعاني من إفهام الناس وتثبيتها في أذهانهم، مثاله حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً يبقى من درنه (وسخه)؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئاً، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا". (رواه مسلم، حديث رقم: ١٢٦).

(٢) أسلوب الحوار الاستدلالي الاستقرائي:

يستجوب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم المحاور انطلاقاً من المسلمات، ويشبه الحالة المعروضة أمامه بأخرى قريبة قريبة منها من أجل رفع اللبس وتجليّة الفهم لما اشكل على السائل، مثاله حديث أبي هريرة عن الرجل الذي شك في نسب ابنه إليه، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن جاء رجل من بني فزارة إلى النبي فقال: "إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال النبي هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورك؟ قال: إن فيها لورقا، قال: فأنى أتاه ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزع عرق، قال: وهذا عسى أن يكون نزع عرق" (رواه البخاري، حديث رقم: ٢٢٦)

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه حيث قال: "كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوءه وحاجته فقال لي: سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود" (رواه مسلم، حديث رقم: ٧٥٤)

(٣) أسلوب الحوار التشخيصي الاستنتاجي:

يعرض فيه صلى الله عليه وسلم المشكلة ويحفز المستمع على التفكير للوصول الى الحل بنفسه، أي أنه يشرك المحاور في البحث عن الحل بنفسه، مثاله حديث عبدالله بن عمر الذي يشبه فيه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم بالشجرة وترك الصحابة يبحثون عن اسم هذه الشجرة. وحوار النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صلح الحديبية حيث قال عمر: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وقلت له أأست نبي الله حقا وعدونا على الباطل قال: بلى قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال: بلى، قلت ففيم نعطي الدنيا في ديننا إذن، قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف فيه، قال: بلى، فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قلت: لا، قال فإنك أتية ومطوف به، فلم يصبر عمر حتى أتى أبا بكر رضى الله عنه فسأله مثل ما سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يعصي ربه ولن يضيعه الله أبداً، فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل عليه عمر فأقراه أيها فقال: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: نعم فطابت نفسه وانتهت تلك المحاوره باستجابة عمر رضى الله عنه لنداء الحق". (العبودي، ٢٠٠٥: ٢٧).

٤) حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المراهقين والشباب

لقد كان عامة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شباباً، والنبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الشباب كانوا محط أنظار الصبية والمراهقين، فمنهم يستمدون المثل، ويتعلمون الرجولة، وإليهم يتطلعون في الاقتداء، إنها طبيعة المرحلة خصائص السن. ومن هنا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقربهم وهم إليه يتقاربون، ويضمهم وهم نحوه يهرولون وعلى خدمته ووفقه يتسابقون. والمطالع المتأمل في السيرة النبوية الشريفة يلحظ أن طبيعة علاقته صلى الله عليه وسلم بالمراهقين كانت من القوة، بحيث يعجب المرء للمكانة التي أولاهم إياها، والعوائق التي محاها، حتى صار الفتيان والمراهقون من ألصق الناس به ومن أقربهم إليه، يلازمونه في الليل والنهار والسفر والحضر والجد واللعب، يبيتون معه، وينامون إلى جواره، ويقاسمونه محله نومه ينام صلى الله عليه وسلم. فعن ربيعه بن كعب الأسلمي رضى الله عنه قال: (كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل، فقلت: أسالك مرافقتك في الجنة قال: أو غير ذلك قلت: هو ذلك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود). (رواه مسلم، حديث رقم: ٧٥٤). وحديث سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال (أتى النبي صلى الله عليه وسلم يقدر فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ. قال: ما كنت لأؤثر بفضلي منك أحد يا رسول الله، فأعطاه إياه) (رواه البخاري، حديث رقم: ٢٢٤٧). والملاحظ لأرضية هذا الحوار لايجد تربة أصلح من هذه التربة للحوار. (قيمان، ١٤٣٢)

ثالثاً: سياسة الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية

مقدمة:

لقد بدأ الحوار الوطني في المملكة العربية السعودية، استجابة للمتغيرات الإقليمية والعالمية، حيث برزت قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية لم تكن معروفة من قبل، وفي هذا الجانب تناقش الباحثة ماهية الحوار الوطني السعودي من حيث أهميته وأهدافه وعرض لأهم وأحدث البرامج والفعاليات بمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني والتي تهدف إلى تعزيز الحوار لدى أفراد المجتمع السعودي بوجهه عام وفئة الشباب السعودي والشابات السعوديات بوجهه خاص، بما يوطد المعاني الوطنية لأفراد المجتمع، ويعكس على جيل معتز بدينه ومنتمي لوطنه .

١- ماهية الحوار الوطني السعودي

إن التطورات والاختلافات التي تعرض في كافة المجالات سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية، تحتاج إلى توجيه وضبط ومناقشة وذلك من خلال حوار وطني يرسخ ذلك، ويعزز التمسك بالدين الإسلامي الذي يتأصل في مبادئه الوسطية والاعتدال، والحوار من أهم أدوات التآلف وتوطيد العلاقات ووسيلة فعالة في الاقناع والتأثير في الآخرين، وذلك تنمية الاستعدادات لمواجهة هذه التطورات والتحديات بكفاءة واقتدار. (جريدة عكاظ، ٢٠٠٨). ولا شك في أن نجاح الحوار يعني التوصل إلى حلول علمية وعملية فاعلة قابلة للتطبيق، قد تسهم في معالجة المشكلات والأزمات التي يواجهها المجتمع. من هذا المنطق نجد أن حكومة المملكة العربية السعودية عقدت العزم على استخدام أسلوب الحوار لمعالجة جميع القضايا التي تهم الوطن والمواطن، وتأتي في أولويات اهتمامها قضية الأمن الوطني، وذلك بمشاركة جميع فئات المجتمع وشرائحه بعد أن تمت تهيئة المناخ المناسب الذي يساعد على نجاح الحوارات الوطنية، لكي تقضي إلى نتائج فاعلة قابلة للتطبيق في الواقع العملي. (الشيخلي، ٢٠١١).

وقد حرصت المملكة العربية السعودية على تكريس الجهود والمشاركة الفعالة على الصعيد الدولي والمحلي بشأن نشر ثقافة الحوار، والتأكيد على الحقوق والمواثيق الدولية التي تدعم حق الفرد في الحوار، وكان من ثمار ذلك ما أسفر عنه الخامس من شهر جمادي الآخر (١٤٢٤) حيث أعلن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - عندما كان ولياً للعهد في ذلك الوقت إنشاء مركز متخصص بالحوارات الفكرية و الوطنية تحت اسم: مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، وأكد حفظه الله أن هذا المركز سيسهم في إيجاد قناة للتعبير المسؤول، وسيكون له الأثر الفاعل في محاربة التعصب و الغلو والتطرف، ومن شأنه إيجاد المناخ النقي الذي تنطلق منه المواقف الحكيمة والآراء المستنيرة. ومركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني هو هيئة تسعى في إطار الشريعة الإسلامية على توفير البيئة الملائمة الداعمة، لترسيخ ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع وفئاته وشرائحه بما يحقق المصلحة العامة، ويحافظ على الوحدة الوطنية، ومقره مدينة الرياض، ونظامه الأساسي يمثل الصيغة الإستراتيجية التي يتحرك عبرها ويفعل أنشطته ومنجزاته. (مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ٢٠١١)

٢- أهمية الحوار الوطني السعودي

تكمن أهمية الحوار الوطني من الدعوة للوصول إلى مشاركة وطنية، ومعايشة للحضارات والمجتمعات، على اختلاف أجناسها وأعراقها، والوقوف أمام التحديات، وتحقيق الوحدة الفكرية. وقد أشار الحازمي إلى أهمية الحوار من كونه يساعد على تضيق الفجوة المستمرة في العلم والمعرفة بين من يمتلكها وبين من لا يمتلكها، وتوفر البيئة النفسية والاجتماعية الآمنة وتأسيس فكر واعي معاصر متطلع للأفكار والآراء المستقبلية. (الحازمي، ٢٠١٠) وحيث أن مرحلة الشباب هي مرحلة للإعداد والتسلح بكافة المهارات القيادية، للمشاركة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كان لزاماً على المرابين إعداد بيئة ملائمة لذلك، من خلال التعليم والتدريب المستمر. وفي هذا المحور جاءت دراسة حسانين (٢٠١٤) حول (استخدام برنامج تدريبي في خدمة الجماعة لتنمية المهارات لدى القيادات الشبابية) حيث تحدثت الباحثة عن أهمية تنمية المهارات الأساسية لدى الشباب، ومن أهمها مهارة إدارة الحوار الجماعي، ومهارة العمل الجماعي والاتصال مع الآخر، وأشار إلى أن هناك قصور بمؤسسات التعليم والتربية ومراكز الشباب حول إعطاء الفرصة للشباب في التعبير عن آرائه، وعدم الاستماع للرأي والرأي الآخر، وعدم صقل معارف الشباب، من خلال الأنشطة التي تمارس بالمراكز والمؤسسات التربوية والاجتماعية والتعليمية. وأوصى الباحث بأهمية تنمية وعي الشباب بالانتماء للمجتمع، والذي يتم من خلال تنظيم الحوارات واللقاءات التي تنمي مهارات الشباب القيادية. وحول تدعيم قيم المواطنة لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية جاءت دراسة رشوان (٢٠١٤) والتي تحدثت عن (فعالية استخدام خدمة الفرد الجماعية في تدعيم قيم المواطنة لدى طلاب المرحلة الثانوية) وتكمن أهمية الدراسة في التركيز على دور المدرسة في عمليات التنشئة الاجتماعية، وتحفيز النشئ على المشاركة والحوار في القضايا والمشكلات الاجتماعية، وتعزيز مشاركة الطالب أو الطالبة في العديد من الأنشطة التطوعية على مختلف الأصعدة، كما تعمل على ربطهم بالمجتمع وقضاياها، وكما هدفت الدراسة إلى فعالية استخدام خدمة الفرد الجماعية في تدعيم قيم المواطنة لدى الطلاب في المرحلة الثانوية. وهذه الدراسة تتفق مع أهداف الدراسات السابقة، والدراسة الحالية، من حيث التركيز على دور المدرسة في تعزيز الجهود التي تبذلها الطالب في الحوار التربوي في كافة المجالات، والتي تتوافق مع أهداف مركز الحوار الوطني.

٣- أهداف مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

يحرص مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني إلى توفير البيئة الملائمة الداعمة لإجراء الحوار بين أفراد المجتمع السعودي ذكوراً و إناثاً على حد سواء، وأن يكون الحوار منهج وأسلوب حياة لكل مواطن ومواطنة. وقد خصص المركز برامج موجهة للشباب على وجهه الخصوص وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

- ١- تعزيز الهوية الوطنية بين الفئات الشابة.
- ٢- إتاحة الفرص لتحقيق مفهوم المواطنة الفاعلة.
- ٣- تفعيل الشراكة والمسؤولية الاجتماعية.
- ٤- تطوير قنوات الاتصال بين الشباب ومختلف فئات المجتمع.
- ٥- تنمية معارف المتطوعين وقدراتهم الشخصية والعملية والاجتماعية.

٦- إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية للشباب. ومن برامج مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني والموجهة للشباب والشابات ما يلي:

١- اللقاء السنوي للشباب: حيث يهدف إلى إبراز أدوار الشباب، وحثهم على المشاركة في الأعمال التطوعية، من خلال إقامة ملتقى سنوي يعني بثقافة التطوع والحوار، ويجمع المهتمين بالحوار تحت مظلة واحدة لتبادل الأفكار والآراء والخبرات.

٢- المقاهي الحوارية: وهو مجلس حوارى يقام في أحد الأمكنة العامة، ويجري حوار حول موضوع معين، ويدار من قبل شخص محترف في إدارة الحوار أو عبر استضافة شخصية ما ومحاورته.

٣- برنامج سفير: ويهدف إلى تحقيق التفاهم والتقارب بين الشعوب من خلال تفهم الثقافات الأخرى، والعمل على تعزيز المبادئ المشتركة وتجنب الخلافات، وهو يعمل على تنفيذ مجموعة من البرامج الحوارية واللقاءات التعريفية بين شرائح المجتمع السعودي على المستوى الوطني ونظرائهم من أفراد المجتمعات الأخرى التي تعيش داخل المملكة أو الزائرة لها.

٤- قافلة الحوار: وتقوم فكرة المشروع على انطلاق مجموعة من المركبات إلى محافظات معينة، حيث يقوم المتطوعون المشاركون بتقديم عدد من البرامج، مثل: التدريب وورش العمل للطلبة والأسرة، وتوزيع إصدارات المركز، وحضور خطب الجمعة المتعلقة بالحوار.

٥- جسور للتواصل والحوار الحضاري: حيث يؤصل مشروع جسور أسس الحوار والتواصل الثقافي بين الشباب والثقافات الأخرى، من خلال إصدار سلسلة من الأدلة الإرشادية، والكتب، والقصص، والبرامج التدريبية على أسس الحوار الحضاري.

٦- برنامج تمكين: ويهدف إلى إتاحة الفرصة لكل شباب وشابات المملكة للمشاركة في تقديم مبادراتهم ومقترحاتهم، التي تسهم في خدمة وطنهم، وتوفير المناخ الذي يشجع على طرح ما لديهم من رؤى ومقترحات، لكي يستفيد منها كثير من الجهات المعنية.

٧- برنامج ببادر: وهو برنامج ينظم نشاط التطوع بين المركز وفئات الشباب، حيث أن دور شباب وشابات ببادر في مركز الحوار الوطني هو المساعدة في التنظيم والتنسيق للبرامج، والمشاركة في تنظيم المؤتمرات واللقاءات، وتصميم الشعارات وعمل المطويات والنشرات الدورية التي تعرف بالبرامج الشبابية والمساهمة في الدراسات والبحوث التي تعزز من دور الشباب والشابات في الحوار. (البرامج الموجهة للشباب، مركز الملك عبد العزيز الوطني للحوار، ٢٠١١)

٤- فعاليات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني: والتي تهدف إلى تعزيز الحوار ودور الشباب السعودي في تلك البرامج وتعد اللقاءات الوطنية الفكرية والثقافية من أبرز الفعاليات التي يسهم بها مركز الملك عبد العزيز للحوار، وحيث أن الدراسة الحالية موجهة لفئة الشباب وأهمية الحوار معهم، عليه سيتم عرض أهم اللقاءات الوطنية الفكرية المقدمة من مركز الحوار الوطني والموجهة لفئة الشباب والشابات وهي:

١- لقاء الحوار الفكري (الغلو والاعتدال. رؤية منهجية شاملة، ٢٠٠٤)، حيث تناول اللقاء ظاهرة الغلو والتطرف الفكري لدى الشباب، وارتباطه بالعوامل الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية، والخروج باقتراحات وآليات عمل تساعد على مواجهة ظاهرة الغلو والدعوة إلى الحوار المتمدن.

٢- لقاء الحوار الفكري (المرأة. حقوقها وواجباتها وعلاقة التعليم بذلك، ٢٠٠٤)، ويهدف اللقاء إلى تهيئة البيئة المناسبة للمفكرين للبحث في قضايا المتعلقة بالمرأة السعودية، وواقعها، وسبل تطويره، وفق الثوابت الشرعية، وكذلك تعزيز دور المرأة في المجتمع بالتغلب على المشكلات التي تواجه مسيرتها في مجال العمل، واقتراح آليات تمكين المرأة من حقوقها الشرعية والمدنية وواجباتها، وكفاية مؤسسات التعليم، وتنوع التخصصات في التعليم الجامعي والمهني للمرأة وتطوير الخدمات الاجتماعية المقدمة للمرأة.

٣- لقاء الحوار الوطني (قضايا الشباب، الواقع والتطلعات، ٢٠٠٤)، ويهدف اللقاء إلى تفعيل دور الشباب وإشراكهم في القضايا الوطنية، وتعزيز دورهم في نشر ثقافة الحوار في المجتمع من خلال المؤسسات التربوية كالأُسرة والمدرسة.

٤- لقاء الحوار الوطني (التعليم وسبل التطوير، ٢٠٠٦) حيث توجه اللقاء إلى دراسة واقع التعليم، ورؤية المجتمع نحوه، ودراسة سبل تطوير النظام التعليمي، من خلال تعزيز الحوار التربوي في المؤسسات التعليمية، وتطبيق الحوار في الممارسات والتطبيقات المنهجية، والدعوة إلى الشراكة بين النظام التعليمي والشراكة المجتمعية.

٥- اللقاء الثقافي (الهوية والعولمة، ٢٠١٠) حيث ركز على العديد من الموضوعات التي لها علاقة بالهوية والخصوصية والمواطنة، ومستقبل الحوار السعودي لدى الشباب.

٦- اللقاء الثقافي (الإصلاح والتطوير، ٢٠١١) حيث ناقش مفهوم التطوير والإصلاح في المجتمع السعودي، والدور المجتمعي لتحقيق ذلك، وكذا ركز على دور الشباب في الإصلاح والتطوير والتحديات التي تواجههم، واستشراف مستقبل أفضل للمجتمع السعودي.

المبحث الثاني

الأمن الفكري وسبل تعزيزه

أولاً- الأمن الفكري من المنظور الإسلامي .

ثانياً- مفهوم الأمن الفكري .

ثالثاً- أهمية الأمن الفكري .

رابعاً- ضوابط الأمن الفكري .

خامساً- وسائل تحقيق الأمن الفكري وسبل حمايته.

سادساً- أسباب ضعف الأمن الفكري عند الشباب .

سابعاً- جهود المملكة في تقويم الأمن الفكري للشباب

المبحث الثاني : الأمن الفكري وسبل تعزيزه

١- الأمن الفكري من المنظور الإسلامي :

لعل أكبر دلالة على مفهوم الأمن في الإسلام ما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى: (فليعيدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف) (قریش:٣) . ونتيجة لذلك فإن الأمن هو مواجهة الخوف ، والمقصود به هنا ما يهدد المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وفكرياً . وبشكل عام فإن مفهوم الأمن هو الوصول إلى أعلى درجات الاطمئنان والشعور بالسلام .وقوله تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) (البقرة : ١٢٥) وقوله تعالى:(وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ) (التين :٣). أي أن الأمين يعني مكة وهو من الأمن. وقد بين الرسول أن الأمن أعظم مطلب للمسلم في هذه الحياة ، وأنه بحصوله كان المسلم ظفر بما في الدنيا من ملذات ومشتهيات ، وكل ما يريده في دائرة الحلال ؛ فعن سلمه بن عبد الله بن مَخْصَن الخَطْمِي عن أبيه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا " (ابن ماجه، ١٩٩٩ . ٤١٤١) . وحرّم الله مكة والبيت الحرام إلى يوم القيامة فإليها تشد الرحال وتضاعف فيها الصلاة وأهلها في أمن وأمان لدعوة إبراهيم عليه السلام لهذه البقعة المباركة قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (إبراهيم : ٣٥). وجاء الإسلام ليحفظ على الناس مقاصد الشريعة الخمس وهي حرمة الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، وأول هذه المقاصد وأهمها الدين فكل اعتداء على الدين قولاً أو فعلاً فإن الشريعة الإسلامية تحرمه وتمنع ذلك الاعتداء على عقائد الناس ومحاولة تغييرها والإخلال بأمنهم الفكري، والسعي في انحرافهم، لذلك جعل مصدر التلقي في العقائد والعبادات والقضايا الكبرى في حياة المسلمين موحداً .

٢- مفهوم الأمن الفكري :

لقد تعددت مفاهيم الأمن الفكري، ولكنها في النهاية تصب في معين واحد، فهو عند المسلمين أن يعيش أهل الإسلام في مجتمعهم آمنين مطمئنين على مكونات شخصيتهم وتميز ثقافتهم ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة . ويعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة ، أو الاجنبية المشبوهة، فهو يصب في صالح الدعوة لتقوية هذا البعد من أبعاد الأمن الوطني. وهو بهذا يعني حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق او الاحتواء من

الخارج ، ويعني أيضا الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف . وهو اطمئنان

٧- اللقاء الثقافي (الحراك الثقافي في مواقع التواصل الاجتماعي، ٢٠١٣) وكان موضوعه يدور حول الحراك الثقافي في مواقع التواصل الاجتماعي، والتحدث عن القضايا المتعلقة بالمجتمع السعودي عامة، وقضايا الشباب بصفة خاصة، ولغة الخطاب في ثقافة التواصل الاجتماعي، والمستقبل المأمول لخطاب التواصل الاجتماعي.(اللقاءات والحوارات الوطنية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ٢٠١٥)

الناس على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية . ويعني السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والاقتصادية . ويعني صيانة عقول أفراد المجتمع ضد أي انحرافات فكرية أو عقديّة مخالفة لما تنص عليه تعاليم الإسلام الحنيف أو أنظمة المجتمع وتقاليدِهِ. (مسعد ، ٢٠١١) ويعرفه آخرون بأنه تأمين أفكار وعقول أفراد المجتمع من الأفكار الخاطئة التي تشكل خطراً على قيم المجتمع وأمنه، بوسائل وبرامج وخطط متعددة شاملة لجميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية. فمهما تعددت التعاريف إلا أنها تدور حول هدف واحد وهي تأمين العقل البشري ضد أي نوع من أنواع الانحراف، كما نلاحظ من التعاريف السابقة أن مفهوم الأمن الفكري مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود قيم ومثل عليا وأعراف اجتماعية وثابت تحكم ذلك العقل الذي كرم به الله الإنسان وأعلى من شأنه، ولا يعني ذلك عدم المحاكاة للأخر والاستفادة منه، فالمعيار هنا هو الوسطية والاعتدال وتقبل الرأي والحوار بما ينسجم مع معتقدات وقيم المجتمع .(العصيمي ، ١٤٣٦)

٣- أهمية الأمن الفكري :

يعتبر الفكر البشري ركيزة هامة وأساسية في حياة الشعوب على مر العصور ومقياساً لتقدم الأمم وحضارتها ، وتحل قضية الأمن الفكري مكانه مهمة وعظيمة في أولويات المجتمع الذي تتكاتف وتتآزر جهود أجهزته الحكومية والمجتمعية لتحقيق مفهوم الأمن الفكري تجنباً لتشتت الشعور الوطني أو تغلغل التيارات الفكرية المنحرفة ، وبذلك تكون الحاجة إلى تحقيق الأمن الفكري هي حاجة ماسة لتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي الأمن الفكري له أهمية عظمى، كاهمية تأمين الغذاء والمأوى تماما، وينبغي أن نحمد الله على سلامة العقول والأفكار؛ لأن النعم إذا شُكِرَتْ قَرَّتْ وإذا كُفِرَتْ قَرَّتْ، ومع أن الأمن بمفهومه الشامل سواء كان أمنياً عقدياً أو أمنياً فكرياً، أو أمنياً اقتصادياً أو غير ذلك من أنواع الأمن، فهو مطلب رئيس لكل أمة من الأمم؛ إذ الأمن ركيزة استقرار تلك الأمم، وأساس أمنها واطمئنانها، إلا أن هناك نوعاً يعد من أهم أنواعه بل ومن أخطرها، و بمثابة الرأس من الجسد لما له من الصلة الوثيقة بهوية الأمة وشخصيتها الحضارية، حيث لا غنى لنا عنه ولا غنى لأحد عنه ولا قيمة للحياة بدونه، فهو لب الأمن وركيزته الكبرى ذلكم هو الأمن الفكري. لأن الناس إذا اطمئنوا على ما عندهم من الأصول والثوابت، وأمنوا على ما لديهم من قيم ومبادئ، فقد تحقق لهم الأمن في أسمى صورهِ وأجلى معانيهِ وأنبى مراميهِ، وإذا تلوّثت أفكارهم بمبادئ وافدة، ومناهج دخيلة وأفكار منحرفة وثقافات مستوردة، فقد جاس الخوف خلال ديارهم، وحل بين ظهرانهم ذلك الخوف المعنوي، الذي يهدد كيانهم ويقضي على مقومات بقائهم؛ لذلك حصرت شريعتنا الغراء على تعزيز جانب الأمن الفكري لدى الأفراد والمجتمعات، وكان لها قصب السبق في ذلك عن طريق تحقيق وسائل متعددة، أسهمت في حمايته والحفاظ عليه من كل قرصنة، سواء كانت فكرية أو سمسة ثقافية أو تسللات عولمية، تهز مبادئه وتخدش قيمه وتمس ثوابته. (زياد ، ٢٠٠٠) .

فالأمن الفكري يأتي في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والخطورة ، وتصرفات الناس تنطلق من قناعاتهم التي تستند إلى أرسنتهم الفكرية والاعتقادية ، وبهذا يكون منطلق كل عمل يمارسه الإنسان ويظهر في سلوكه من خير أو شر مركزاً في كيانه الفكري والاعتقادي ومستكناً في داخل النفس وأعماقها ، وأهمية تصحيح المفاهيم والمصطلحات لدى الشباب بما يعزز من قيم الوسطية والتسامح، والاعتدال لديهم ، وإشاعة ثقافة الحوار وتقبل الآخر بعيداً عن التعصب للرأي، وأهمية التنشئة على الحوار لتصحيح المفاهيم، وتقويم الانحراف الفكري والسلوكي بالحجة والاقناع . (الهويش ، ٢٠١٣)

٤- ضوابط الأمن الفكري:

نظراً لأهمية الأمن الفكري يتضح جلياً أن مسألة هذا الأمن ضرورة توجب الإلتزام بها والتمسك بمبادئها وضوابطها التي تجعل من مفردة الأمن واقعاً لا فرار منه لضمان الإستقرار الفكري والعقائدي وهوية الأمة وحضارتها وثقافتها لأجل نموها وتطورها وعليه فقد أورد التيجاني عدة ضوابط للأمن الفكري تتمثل فيما يلي :

١. أن يكون الأمن الفكري هادفاً لتحقيق الوحدة للأمة وتلاحمها.

٢. أن يحافظ علي ثقافة الأمة ومكونات أصالتها وقيمها.
٣. أن ينجح في تحديد هوية الأمة ويحقق لها ذاتيتها ، وأن يبرز لها شخصيتها.
٤. أن يكون الأمن الفكري منبثقاً من ديننا الحنيف ومعتقداتنا الحديثة الراسخة.
٥. أن يحقق مفاهيم الوسطية والاعتدال.
٦. أن تكون مصادره صحيحة.
٧. أن يحقق أعلى درجات السمو في العفة والطهر والنبيل بالفرد والمجتمع.
٨. أن يحافظ على ثقافة الأمة وأصالتها وقيمها.
٩. أن يكون القائمين على أمره والحامون له من ولاة الأمر المخلصين.
١٠. أن يكون واحداً من أهداف تحقيق منظومة الأمن الشامل. (التيجاني ، ٢٠١٠)

وعليه فإنه يجب كذلك على الأمن الفكري أن يكون حاوياً لكل الأفكار التي تدعو للتطور الانساني وتؤمن فكره من الانحراف وأن يكون حاوياً ومتأصلاً علي مفهوم التعاون والفضيلة والحسني. يقول تعالى في ذلك: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... } (الحجرات :١٣). وهذا بالطبع يضيف على ضرورة ضوابط الأمن الفكري أن يكون أكثر مرونة لتحقيق الحرية والعدل والحق والمساواة والحوار ومد الجسور مع الحضارات الأخرى الإنسانية والإمام بشتي المعارف الأخرى.

الغاية من تحقيق الأمن الفكري

إن الغاية من تحقيق الأمن الفكري هي المحافظة على الضرورات الخمس وهي كالتالي :

١ - المحافظة على الدين:

إن المحافظة على الدين تتطلب الإيمان والعبادة، كما تتطلب فيما تحارب الزندقة والابتداع، ولن يحصل ذلك إلا بالمحافظة على أفكار المؤمنين وفق ما شرع الله تعالى ، أي تحقيق الأمن الفكري.

٢ - المحافظة على النفس :

لقد شرع الله عز وجل ما يحقق للنفس البشرية مصالحها، ومنع من الاعتداء عليها بأي صورة، وشرع العقوبات الزاجرة والرادعة لمن يتعدى عليها. ولن يتحقق ذلك إلا بالأمن الفكري، فالواقعون في برائن الإرهاب الفكري تعدوا أول ما تعدوا على النفس البشرية بحججهم الواهية، وأفكارهم المسمومة، فرأينا التكفير والتفجير والحروب الأهلية وغيرها مما وقع ضحيته أنفس بريئة، حرم الله الاعتداء عليها وعصم دمه.

٣ - المحافظة على العقل :

لقد خلق الله عز وجل للإنسان عقله، وأمره بالمحافظة عليه وتنميته بالعلم النافع والتدبر والتفكر في خلق الله عز وجل، كما أمره ألا يشطط في أمور الدين، ولا يغتر به، بل يحكمه بالشرع؛ لكي لا يضل، ولن يتحقق ذلك إلا بالأمن الفكري.

٤ - المحافظة على النسل:

لقد وضع الله عز وجل التشريعات للمحافظة على النسل، كما وضع العقوبات لمن تعدى عليه، والمتأمل في أساليب الغزو الفكري يجد أنه وضع الشهوة الجنسية، والعلاقات المحرمة وكشف العورات من أهم أساليبه التي ركز عليها في غزو البلاد فكراً ؛ ولذلك كان الأمن الفكري وتحقيقه في مجتمعاتنا توفيقاً لكيلا أعدائنا وتحققاً للمحافظة على النسل.

٥ - المحافظة على المال:

المال هو قوام حياة البشر ؛ ولذلك أمر الله عز وجل باكتسابه وشرع له الوسائل المباحة لذلك، ومنعه من الوسائل المحرمة ، كما شرع حرمة التعدي عليه، ووضع لذلك العقوبات الرادعة ، والأمن الفكري يحقق ذلك ، والمتأمل في أفكار أعداء الإسلام يجد أنهم حاولوا غزو المسلمين بأفكار، من ضمنها التكفير لبعض الناس، وبالتالي استحلال دمايهم وأموالهم، كما أن أعداء الإسلام استمالوا بعضاً من المسلمين، وأغروهم بالمال ، ومن المسلمين من انحرف فكرياً فتاجر بالأعراض والأخلاق رغبة في الحصول على المال، فكان تحقيق الأمن الفكري أمراً ضرورياً للعودة إلى منهج الإسلام في المحافظة على المال، سواء من ناحية الكسب، أو من ناحية الإنفاق. (مجلة البحوث الإسلامية ، ١٤٣٢)

٥- وسائل تحقيق الأمن الفكري وسبل حمايته :

يتحقق الأمن الفكري عندما يتم التوافق بين ما تؤمن به الجماعة ، وما تطالب بتأديته. ويتحقق عندما لا تكون شرعية وجود أي مجموعة ، من خلال المنظومة الفكرية والقيمية التي تؤمن بها مهددة بممارسات مفروضة لا تستطيع مداخلتها . ويتحقق الأمن الفكري عندما تتسجم السياسات التنموية مع الثوابت ، وعندما لا تكون تلك السياسات التنموية ، بحكم كونها طريقة تفكير ، وأسلوب حياة ، موضع قلق للشرعية التي يستمد منها الكيان الاجتماعي أو السياسي. كما يتحقق الأمن الفكري عندما يطمئن المجتمع على مبادئه وقيمه وفكره المستنير وثقافته الأصيلة ويأمن على ذلك من لوثات المبادئ الوافدة وغوائل الانحرافات الفكرية المستوردة . إن من وسائل تحقيق الأمن الفكري الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قوله : (إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم) ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أصلاً منهج التلقي، والتمسك والاعتصام بهما كفيلاً - بإذن الله - بحماية الفرد والمجتمع في أمنه وفكره. ثم إنه لن يكون أعلم بهذين المصدرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم، ثم أهل العلم الراسخين الذين استقوا علمهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ثم من هدي السلف الصالح رحمهم الله؛ فهم أعلم الناس وخاصة في أوقات الفتن وكثرة الشبهات والمدلهمات، فالرجوع إلى رأيهم وعدم مخالفتهم حصن حصين بإذن الله في كل وقت وحين. لقد استفاد لصوص العقول وناشرو الفكر المنحرف الضال من حديثي السن أو حديثي التدين أو قليلي العلم فصوروا لهم المنكر معروفاً، والباطل حقاً، وزينوا لهم الشبهات فانطلت عليهم الحيل فوقعوا في أحوال الغلو والتطرف. إن الوسطية في كل شيء ومع كل شيء وصفت به هذه الأمة، وإن من فخرنا أن نكون كما وصفنا ربنا {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة: ١٤٣) هذا هو المنهاج الوسط بلا إفراط ولا تقريط، ولا غلو، ولا تقصير. ثم ونحن نتحدث عن الأمن الفكري نسلط الضوء على أهمية طاعة ولاة أمر المسلمين ولزوم الجماعة وهذه من المسائل العقدية المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة، ولهما تأثيرهما الكبير على الفرد والمجتمع، والإخلال بهما، أو بأحدهما يؤدي إلى عدم استقرار الأمن بجميع صورته. إن مسؤولية الأمن الفكري، والحفاظ عليه، ومسؤولية مشتركة بين كافة مؤسسات المجتمع وأفراده، فالأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، وغيرها، كلٌ له جهده المطالب به، والمسؤول عنه، والموفق من وفقه الله .

فالأسرة مثلاً هي الخلية الأولى في بناء المجتمع، والمحضن الأول للإنسان، ففيها ينشأ ويتربى ويكتسب المثل والقيم والمبادئ والأخلاق الحميدة، وهي جزء لا يتجزأ من بناء شخصية الفرد داخله، فعلى الوالدين العناية بهذا الأمر وتربية الأبناء التربية الصالحة التي تنطلق من منهج الوسطية المأمور به ويحسن بهم الحرص على معرفة أصدقاء أبنائهم وقرنائهم، وتوجيههم متى ما وجدوا ملحوظة على هذا الصديق.

كما ينبغي الحرص أيضاً على مراقبة الأبناء وتوجيههم في تعاملهم مع التقنيات الحديثة وخاصة ما يسمى بالإنترنت؛ فهو بوابة كبيرة لتبادل المعلومات والاطلاع على الثقافات وفيه الصالح والطالح، والحسن والقيح، فعلى الشاب أولاً - المتعامل مع الإنترنت - أن يحرص غاية الحرص، على ألا يجعل لأرباب الفكر الضال على عقله باباً، بالاطلاع على مواقعهم أو كتاباتهم ؛ فقد تقع الشبهة ويصعب تداركها، ويحسن بالآباء مراعاة ذلك والتذكير به. (السمان، ٢٠٠٩)

وسائل حماية الأمن الفكري :

إن القرآن الكريم هو المنهج الإلهي الذي ارتضاه رب العالمين لصالح البشرية في الحال والمآل، ففيه الشفاء والغناء لكل ما يعرض للمسلمين من مشاكل وعقبات، ولعل من المشاكل التي تواجه المسلمين على مر العصور مشكلة الغزو الفكري ، فكان لا بد على المسلمين في مواجهتهم لها أن يأخذوا التدابير اللازمة، وأن يحرصوا أنفسهم بتحقيق الأمن الفكري داخل مجتمعاتهم ، ولن يستقيم لهم ذلك إلا إذا عرضوا أنفسهم على القرآن الكريم متمسكين منه العلاج. ومن وسائل القرآن الكريم لتحقيق الأمن الفكري، وتتمثل في المطالب الآتية :

المطلب الأول : توحيد مصدر تلقي العقائد والعبادات والقضايا الكبرى في حياة المسلمين .

- المطلب الثاني: النهي عن الابتداع في الدين .
- المطلب الثالث: النهي عن الفتوى بغير علم .
- المطلب الرابع: بين القرآن كيفية العلاقة بين المسلم وغير المسلم .
- المطلب الخامس: التربية الإيمانية .
- المطلب السادس: الاهتمام بالدوائر التربوية .
- المطلب السابع: تحقيق التكافل الاقتصادي ومحاربة الفقر والبطالة .
- المطلب الثامن: شغل وقت الفراغ ومحاربة الرفاهية الزائدة .
- المطلب التاسع: الإعلام البديل المنافس .
- المطلب العاشر: الحوار .
- المطلب الحادي عشر: المؤاخاة.
- المطلب الثاني عشر: حب الوطن .
- المطلب الثالث عشر: الوسطية . (مجلة البحوث الإسلامية ، ١٤٣٢)
- وتتطلب حماية الأمن الفكري وجود وسائل وقائية ، وأخرى علاجية وهي على النحو التالي :
- أولاً - بعض الوسائل الوقائية:

- ١ - إظهار وسطية الإسلام واعتداله وتوازنه ، وترسيخ الانتماء لدى الشباب لهذا الدين الوسط وإشعارهم بالاعتزاز بهذه الوسطية .
- ٢ - معرفة الأفكار المنحرفة وتحصين الشباب ضدها : فلا بد من تعريفهم بهذه الأفكار وأخطائها قبل وصولها إليهم منمقة مزخرفة فيتأثرون بها ؛ لأن الفكر الهدام ينتقل بسرعة كبيرة جداً ولا مجال لحجبه عن الناس .
- ٣ - إتاحة الفرصة الكاملة للحوار الحر الرشيد داخل المجتمع الواحد : وتقويم الاعوجاج الفكري بالحجة والإقناع ؛ لأن البديل هو تداول هذه الأفكار بطريقة سرية غير موجهة ولا رشيدة مما يؤدي في النهاية إلى الإخلال بأمن المجتمع .
- ٤ - الاهتمام بالتربية الحوارية والمنهجية الوسطية في المدارس والمساجد والبيوت ، وغيرها من مؤسسات المجتمع الأخرى .
- ٥ - هناك نسبة لا بأس بها من المنحرفين هم من الطلاب ، لذا يجب أن يحصل تفاعل بين المؤسسات التعليمية ومحيطها ، بالحوار الهادف والتربوي وأساليب ناجحة ، بحيث يجعل منها مؤسسات مفتوحة رائدة في تعميم التربية والمعرفة ، مما يسهل لها متابعة رسالتها السامية في إيجاد المواطن الصالح ، بحيث يتهيأ ذهنياً ونفسياً للتوافق مع متطلبات الحياة الاجتماعية .
- ٦ - إن من أهم ما ينبغي أن تقوم به المؤسسات التعليمية أن تضمن برامجها فصولاً عن الأمن الفكري تصب في قناة الوقاية من الانحراف الثقافي والغزو الفكري ، وذلك عن طريق نشر المبادئ الفكرية القويمة ومبادئ الفضيلة والأخلاق بعقد لقاءات وبرامج تتناسب مع خصائص المرحلة وتنسم بالحوار البناء والاستراتيجيات الفاعلة .
- ٧ - من الأهمية بمكان أن يتعلم الطالب كيف يتحقق أمن المجتمع بصفة عامة ، وأمنه بصفة خاصة، من خلال تهيئة نفسية واجتماعية للتكيف مع القيم والأمال وتطلعات المجتمع .
- ٨ - ينبغي ألا نغفل أهمية دور المؤسسات التربوية والتعليمية كالمدراس والجامعات، في الكشف عن المظاهر ذات المؤشر الانحرافي الفكري أو الأخلاقي منذ بدايتها، ودراستها دراسة دقيقة ومعالجتها عبر الإرشاد الطلابي والاتصال بولي أمر الطالب لتنظيم التعاون المشترك قبل استفحال المشكلة ، وعلاجها قبل أن تصبح سلوكاً اعتيادياً .

ثانياً - بعض الوسائل العلاجية:

- ١ - دعوة المخطئ إلى الرجوع عن خطئه، وبيان الحق بالمناقشة العلمية الهادئة .
- ٢ - تجنب الأساليب غير المجدية، فالمصاب بهذا المرض لا يعالج بالتركيز على الوعظ والتخويف من عقاب الله ، لأن هذا الأسلوب في الغالب لا يجدي معهم نفعاً ، فأمثال هؤلاء يرون أنهم على صواب ودين لذا لا بد من توجيه للفكر وتعريفه .
- ٣- وجوب الأخذ على أيديهم، ومنعهم من الإخلال بالأمن الفكري للمجتمع ولو أدى ذلك إلى إجبارهم على عدم مخالطة الآخرين لالتقاء شرهم .
- ٤ - النهي عن مجالسة أهل الانحراف الفكري، الذين يريدون خرق سفينة المجتمع وإغراق أهلها بخوضهم في آيات الله وتجربتهم على الفتيا بغير علم .

٥ - ضرورة التفريق بين الانحراف الفكري الذي لم يترتب عليه فعل ، وبين من أخل بفعله بالأمن في مجتمعه ، فمن ظهر منه عمل تخريبي وثبت عليه شرعاً فيجب محاسبته على ما بدر منه ، وعقابه بما يستحقه شرعاً حتى ولو كان ظاهره الصلاح والاستقامة . (زياد ، ٢٠٠٠)

٦ - أسباب ضعف الأمن الفكري عند الشباب:

من أخطر الأفات التي تُهدد الأمن الفكري هي تلك التي تتصل بالعقل والتفكير ، لأنها تتصل بأجل نعم الله على الإنسان وميزته عن سائر الخلق ، وكان له بسببها التكريم العظيم والقدر السني ، والتفكير حياة الإنسان ، والعقل مناط التفكير وتخرج جميع أفعال الإنسان وتعمل حواسه تابعة لعمل العقل وتوجيهه ، وإذا استقام الفكر استقام السلوك ، وإذا اعوج التفكير اعوج العمل ، وتتعدد أسباب اعوجاج التفكير وشطط العقل ، والمتأمل في الحضارة الإسلامية ليجد كيف تفرد المسلمون في بناء حضارة هي أعظم حضارات الدنيا ، وكيف أقاموا العلوم على مناهج متفردة ، وقواعد ثابتة ، علموا الدنيا كلها واهتدت بحضارتهم الأجيال. وعلى النقيض في الواقع المعاصر فالتأمل في واقع الأمن الفكري في الأمة يُصاب بالذهول وهو يزي كثرة الأسباب والعوامل التي تسعى إلى تقيؤ بنيانه وزعزعة أركانه ولعل أخطر تلك الأسباب :

- ١ - التقصير في جوانب العقيدة وتطبيق الشريعة .
- ٢ - ترك المرجعية الدينية في مجال الفتوى : فأصبحت نسبة لا يستهان بها من الشباب عازفة عن مشايخ البلاد الكبار زاهدة فيما عندهم ووجدت فجوة بينهم وبين علمائهم في مخالفة مؤذنة بالخطر .

٣ - البث الفضائي المرئي والمسموع وظهور شبكة الإنترنت : بما فيها من السلبيات والإيجابيات مما جعل مصادر التلقي في مجال الفكر والتربية متعددة ومتنوعة ولم تعد محصورة في المدرسة والمسجد والأسرة ، إضافة إلى تسويق الانحرافات السلوكية والأخلاقية التي جعلت تيار الوسط يفقد كثيراً من سالكيه لصالح تيار الجفاء والتفريط في ثوابت الفكر والخلق في أكثر الأحيان .

٤ - محاولة البعض تغيير الخطاب الديني : فبعد أن كان التوازن هو سمته الظاهرة سعى البعض إلى تغليب جانب الشحن العاطفي على حساب الجانب العلمي العقلي من الخطاب الديني وتم التركيز على أفضل ما في الماضي وأسوأ ما في الحاضر مما أشاع جواً من اليأس والإحباط والرغبة في إحداث التغيير بطرق بائسة يائسة .

٥- سوء التكيف الاجتماعي ، حيث ينتج عنه ضعف تفاعل الفرد مع المجتمع على اختلاف الميادين ، ورفض كافة القيم والنظم والتقاليد، وكذا عدم تقبل المجتمع ، وقد يكون التقبل ظاهراً ولكن الباطن خلاف ذلك، ويتنوع التكيف الاجتماعي من تكيف أسري إلى تكيف مدرسي، وكذا التكيف الوظيفي والعلاقي ، حيث يظهر في صورته العديدة ، ويؤثر سلباً على سلوك الشباب من حيث توازنهم النفسي واستقرارهم الاجتماعي . (فلمبان ، ٢٠٠٨)

٧- جهود المملكة في تقويم الأمن الفكري للشباب :

الواقع يشهد بأن المملكة العربية السعودية لم تدخر جهداً لتقويم الأمن الفكري في المجتمع، فاتخذت مجموعة من الحلول منها الحل الأمني الذي أدى إلى خفض معدلات العمليات الإرهابية التخريبية، ثم حتمية تأصيل مفهوم الأمن الفكري كأداة مساندة للحل الأمني، ثم برنامج المناصحة والرعاية كأسلوب لمكافحة الفكر المنحرف وفقاً لمنهجية علمية. وبناء عليه يمكن للباحث أن يحدد أطر تقويم الأمن الفكري في المملكة العربية السعودية في المجالات التالية :

أولاً- في مجال التصدي والمواجهة: بعد أن ظهر في المجتمع فئة سيطرت على أفكارها مفاهيم خاطئة، وخيم الجهل عليها فزاد اختصارها للقضايا الوطنية الكبرى، وانصرفت عن العمل، وسلكت طرقاً تكشف عن إساءة بالغة للحرية المسئولة، فجزوا الوطن - بلاد الحرمين الشريفين ومعقل الإسلام الأخير - ليكون ساحة، " كما حدث للعمليات الإرهابية والاقتيال والدمار والخراب وهو ما تأباه و تحرمه الشريعة الإسلامية الغراء في مدينة الرياض يوم الاثنين ٢٠/٦/١٤١٦ هـ، ويوم الاثنين ١١/٣/١٤٢٤ هـ، ومدينة الخبر يوم الثلاثاء ٩/٢/١٤١٧ هـ، ومكة المكرمة يوم الاثنين ١٢/٧/١٤٠٩ هـ، ولم يكن هنالك من سبيل سوى التصدي والمواجهة الحاسمة ، فوضعت الخطط الأمنية ، وتضافرت الجهود لتنفيذ عمليات الشرطة بمفهومها وأصولها العلمية والإجرائية، وقدم الشهداء من رجال الأمن أرواحهم إيماناً منهم بأن الدماء والأرواح ترخص في سبيل الله ثم المليك والوطن." (علي، ٢٠٠٢، ص ١٩).

ثانياً- في مجال الحماية: بعد هذه الأحداث الإرهابية المؤسفة، اعتمدت المملكة سياسة واضحة المعالم لحماية الأمن الفكري للشباب، لتأمينهم ضد مخاطر التيارات الفكرية المنحرفة مهما كانت المغريات أو الدوافع، وقد تبلورت السياسة الوقائية حول مجموعة من المحاور نجمل أهمها في الآتي:

١- ترسيخ وتبيان مبدأ وسطية الإسلام: لقد حثنا المبدأ الرباني على الوسطية في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) ولا ننكر الدور الذي بذل في هذا المجال وما تحقق عنه من نتائج في الحد من صور الانحراف الفكري، بيد أن المنهجية المفترضة تستلزم تحديداً شاملاً لمفهوم ونطاق وأساليب ووسائل تطبيق الوسطية، فضلاً عن الضوابط الموضوعية في اختيار القائمين على ذلك من أهل العلم الشرعي، وأهل الإفتاء لأن أية قضية تقوم على تعريفات ملتبسة أو غير واضحة يكون التعامل معها شائكاً ومرتبكاً، كما أن التفكير السطحي يترع دائماً إلى إدراك بعض مفردات الظاهرة وبعض عللها ، وإذا توافق التفكير السطحي والتحليل السطحي لدى كافة الوسائط التربوية حول حتمية ترسيخ وسطية الإسلام، فإن النتائج لن تكون مرضية في قضيتنا الفكرية.

٢- تحديد بؤر الانحراف الفكري والمشاركة الشعبية: تضافرت الجهود المختلفة في تحديد المواطن التي تتخذها الجماعات الإرهابية لترسيخ القيم العقائدية المشوهة في نفوس الشباب وتغيير اتجاهاته نحو عقيدته ووطنه، إلا أننا نرى أن استمرار تثقيف □ تمع -وبصفة خاصة فئة الشباب- بمواطن الالتباس بين العقل والعاطفة والذات والموضوع يساعد على مزيداً من فرص تحرير عقولهم من سيطرة عواطفهم، خاصة وأنه يكفي لتأزيم الفكر وشل قدراته أن يحمل الإنسان في وعيه مفهوماً خاطئاً عن عقيدته أو ذاته أو بيئته أو حتى عن عدوه، فيقع في الخطأ، ومن هنا كانت ضرورة استمرار البحث عن بؤر الانحراف الفكري لتعديل اتجاهها □ وفق برامج مترابطة وتقنية فكرية مستمرة، لأن استقرار الأمن الفكري لدى فئة الشباب خاصة سيحمي عقول الناشئة ويحفظها من الوقوع في الفوضى أو الخروج عن حدود الحياء الشرعي.

٣- معالجة ظاهرة الإرهاب وما يرتبط به من انحراف فكري : من خلال مناهج البحث العلمي، إيماناً بدور العلم في تحقيق الفهم الواعي، وزيادة القدرة على التنبؤ، فقد حرصت المملكة العربية السعودية على مشاركة النخبة بالجامعات ومراكز البحث العلمي في تقديم معالجة علمية لقضية الأمن الفكري، من خلال فكر علمي يستند إلى كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- لتصحيح العقول المنحرفة التي استوعبت أفكاراً هدامة، وتولدت لديها مفاهيم خاطئة ومن ثم فإن معالجة الظاهرة علمياً خطوة في الاتجاه الصحيح لتأصيل دور الصفة من الفقهاء والعلماء في الدفاع عن قضايا العقيدة والوطن.

٤- تفعيل دور الإعلام الأمني: حيث هو بمثابة نافذة لمواجهة التيارات الوافدة إلينا من وسائل الاعلام المتباينة وما تحمله من غزو فكري يزعزع من أمن الشباب الفكري ،فعمدت المؤتمرات، والندوات وحلقات النقاش، وتصدى المتخصصون، إلى الرد على الفكر المنحرف والمشوش، والفهم الملتبس لفئة الخارجين على أحكام الشريعة- من خلال مناقشة وتحليل وتفسير المستندات والأدلة التي رأت فيها هذه الفئة تجيز لهم ذلك مع الاعتقاد بصحتها - في إطار كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. (الهماش، ١٤٣٠)

ثالثاً- تبني سياسة إعادة الاتجاهات والمعتقدات إلى الصواب : وذلك إيماناً من قياداتنا الرشيدة بأن تعديل السلوك والاتجاهات إنما يجب أن ينطلق من تحديد أسباب وعوامل نشأة هذا الفكر المنحرف، ونطاق انتشاره، ودراسة جميع المؤثرات التي جعلت منه حقيقة واقعة لها أثرها التدميري مادياً ومعنوياً، ثم بيان الحقيقة بالرد على كل شبهة لدى أصحاب هذا الفكر الضال على أساس من الحوار والمناقشة والمقارعة بالحجة والدليل والبرهان، وارتكزت سياسة التغيير على وضع سياسة إصلاحية من خلال تشكيل لجان نوعية متخصصة يشارك فيها أهل العلم والخبرة في العلوم المختلفة على منهجين هما:

(١) المنهج الأول: منهج المناصحة

تم تطبيق برنامج المناصحة في عام ١٤٢٥ هـ ، لتصحيح مفاهيم المحتجزين أمنياً ممن لهم صلة بالأعمال الإرهابية من خلال مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية حيث كان من الأهمية بمكان أن يتم في مرحلة التعامل مع قضايا الأمن الفكري أن تجرى دراسة سلوكية، نفسية، اجتماعية لكل من أفادت المعلومات بأن له صلة مباشرة بالجماعات الإرهابية أو يؤمن بفكرها، وقامت اللجان النوعية المتخصصة بدورها إيماناً منها أن الفكر السليم يقضى على الفكر الضال متى توافرت مقومات الحوار الشرعي والعلمي على أساس من مبادئ (الفهم، التحليل، المقارنة، التطبيق، التقويم وكان من أهم ما يحسب للجان المناصحة من خلال حوار شرعي علمي هادئ، أن تكشف الشبهات لدى الموقوفين أمنياً، وتتعرف على أسباب الانحراف الفكري، بل وتصحيح المفاهيم والاعتقاد لدى الكثير منهم والتوصية بإخلاء سبيلهم .

تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يمر فيها الفرد، حيث تبدأ شخصيته بالتبلور. وتتضح معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف، ومن خلال النضوج الجسماني والعقلي، والعلاقات الاجتماعية التي يستطيع

وبذلك استطاع الحوار أن يزيل جذور الفكر الإرهابي المتطرف لدى هؤلاء الموقوفين وأن يعيدهم إلى جادة الصواب ليشاركوا على هدى من الشرع الصحيح في مسيرة التنمية، فضلاً عن عقد عدد من الدورات العلمية حول الغلو والتطرف وتأسيس منهج الوسطية، تكاملت جهود لجان المناصحة وارتفع مستوى التنسيق فيما بينها .

(٢) المنهج الثاني: منهج الرعاية

أنشئ، بمدينة الرياض في مطلع عام ١٤٢٨ هـ، مركزاً لرعاية من تحققت اللجان النوعية والمتخصصة من سلامة فكرهم وانتهاء محكوميتهم، بهدف تهيئتهم للاندماج في المجتمع من خلال مجموعة من برامج المتابعة والتأهيل النفسي والاجتماعي للتأكد من حقيقة ما ترسخ في عقولهم بعد الجهود التي قامت بها مجموعة للجان التي تعمل في إطار منهج المصالحة، فشملت أكثر من أربعة آلاف موقوفاً واستكمالاً للدور وتحقيقاً للأهداف كان من الحتمي أن يتم إلحاق من تأكدت لجان المناصحة أنه تحقق لديه التوازن النفسي والمعرفي بمجموعة أخرى من البرامج التأهيلية الصافية منها: المجال الشرعي والنفسي والاجتماعي، والإرشاد باستخدام الفن التشكيلي، إضافة إلى المجال الثقافي، فضلاً عن مجموعة من البرامج غير الصافية التي ارتقت بالفكر من حالة التذمر إلى الفهم والتطبيق الواعي، إضافة إلى إمكانية المقارنة، والتقييم، وقد استفاد من البرامج الصافية وغير الصافية التي قدمت استناداً إلى منهج الرعاية اللاحقة أكثر من ٢٠٠ شخص، وأشادت كثير من المؤسسات العالمية والدول بفاعلية وتكامل هذا المنهج في تصحيح الفكر وإعادة الرشد، على أساس من الفهم، والوعي وما تضمنته تقارير هيئة الأمم المتحدة ذات الصلة بالجهود والنتائج التي تحققت في الحرب الدولية على الإرهاب. وما ذهبت إليه وزارة الداخلية البريطانية من الاستفادة من منهج المناصحة والرعاية . (الهماش ، ١٤٣٠)

المبحث الثالث

الشباب والأمن الفكري

أولاً: مرحلة الشباب (المفهوم ، والخصائص).

ثانياً: المنهج الاسلامي في التعامل مع الشباب ورعايتهم.

ثالثاً: أهمية تعزيز الأمن الفكري لطالب وطالبة المرحلة الثانوية باستخدام الحوار.

المبحث الثالث: الشباب والأمن الفكري

١ -مرحلة الشباب (المفهوم والخصائص)

لا يوجد تعريف واحد للشباب، وهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم. وعدم الاتفاق على تعريف موحد شامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم والأفكار العامة التي يقوم عليها التحليل السيكولوجي والاجتماعي الذي يخدم تلك الأهداف. لذلك، " فإن مفهوم الشباب يتسع للعديد من الاتجاهات التالية:

١. الاتجاه البيولوجي: وهذا الاتجاه يؤكد الحتمية البيولوجية باعتبارها مرحلة عمرية أو طور من أطوار نمو الإنسان، الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي، وكذلك نضجه العقلي والنفسي والذي يبدأ من سن ١٥-٢٥، وهناك من يحددها من ١٣-٣٠.)

٢. الاتجاه السيكولوجي: يرى هذا الاتجاه أن الشباب حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة، ولثقافة المجتمع من جهة أخرى بدءاً من سن البلوغ، وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار، حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الاجتماعي. وهذا التعريف يحاول الدمج بين الاشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع (الثابت والمتغير).

٣. الاتجاه السوسولوجي (الاجتماعي): ينظر هذا الاتجاه للشباب باعتباره حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط، بمعنى أن هناك مجموعة من السمات والخصائص إذا توافرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شباباً. (فهومي، دت، ص١٦٢).

خصائص وسمات الشباب:

الفرد صياغتها ضمن اختياره الحر. وإذا كان معنى الشباب أول الشيء، فإن مرحلة الشباب تتلخص في أنها مرحلة التطلع إلى المستقبل بطموحات عريضة وكبيرة.

أما سمات وخصائص الشباب في هذه المرحلة، فهي عديدة وإن كانت هناك خاصيتان أساسيتان للشباب بشكل عام وهما:

١. إن الشباب اجتماعي بطبعه، وهذا يعني الميل الطبيعي للانتماء لمجموعة اجتماعية يعطيها وتعطيه.

٢. إن الشباب طاقة للتغيير والتشكيل.

أما الخصائص والمميزات الأخرى للشباب فهي:

١. طاقة إنسانية تتميز بالحماسة، الحساسية، الجرأة والاستقلالية وازدياد مشاعر القلق، والمثالية المنزهة عن المصالح والروابط.

٢. فضول وحب استطلاع، فهو يبدو دائم السؤال والاستفسار في محاولة لإدراك ما يدور من حوله والإلمام بأكبر قدر من المعرفة المكتسبة مجتمعياً.

٣. بروز معالم استقلالية الشخصية، والنزوع نحو تأكيد الذات.

٤. دائماً ناقد، لأنه ينطلق من مثاليات، ونقده يقوم على أساس أن الواقع يجب أن يتطابق مع تفكيره المثالي.

٥. لا يقبل بالضغط والقهر مهما كانت الجهة التي ترأس هذا الضغط عليه سواء كانت سلطة أو أسرة، وهذا السلوك جزء من العنفوان الداخلي للشباب والاعتداد بالنفس وعدم الامتثال للسلطة.

٦. درجة عالية من الديناميكية والحيوية والمرونة، المتسمة بالاندفاع والانطلاق والتحرر والتضحية.

٧. بدء التفكير في خيارات الحياة والمستقبل، الزواج، التعليم، الثروة.

٨. اضطراب اتزان الشخصية وارتفاع مستوى توترها.

٩. قدرة على الاستجابة للمتغيرات من حوله وسرعة في استيعاب وتقبل الجديد وتبنيه والدفاع عنه، وهذه السمات تعكس قناعة الشباب ورغبته في تغيير الواقع الذي وجد فيه وإن لم يشارك في صنعه. (حمدان، ١٩٨٦)

حاجات الشباب:

لمعرفة استعدادات الشباب وانخراطهم في العمل المجتمعي سواء أكان نشاطاً اجتماعياً أو سياسياً أو تنموياً، فإن المطلوب معرفة الاحتياجات الأساسية للشباب والعمل على تلبيتها أو أخذها بعين الاعتبار لدى صياغة الخطط والبرامج؛ باعتبارها متطلبات ضرورية يجب إدراكها من قبل المعنيين. مع الإشارة إلى أن مفهوم الحاجات مفهوم نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر تبعاً لطبيعة وخصوصيات المجتمع المدني، ومستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي. ويتفق المتخصصون في العمل مع الشباب على الحاجات التالية باعتبارها حاجات عامة تنطبق على جميع فئات الشباب وهي:

١. الحاجة إلى تقبل الشباب ونموه العقلي والجسمي، حيث يسعى لإدراك ما يدور حوله.

٢. الحاجة إلى توزيع طاقاته في نشاط يميل إليه، وخصوصاً أن الشباب لديه طاقات هائلة وعدم تفريغها في أنشطة بناء يزيد من حالة الاضطراب والملل والتوتر لديه.

٣. الحاجة إلى تحقيق الذات، بما يعنيه من اختيار حر وواعٍ لدوره ومشاركته المجتمعية وشعوره بالانتماء لفكره، أو مجموعة اجتماعية لها أهداف عامة.

٤. الحاجة إلى الرعاية الصحية والنفسية الأولية، والتي من شأنها أن تجعل من نموه نمواً متوازناً وإلى عطائه ثقافة صحية عامة تمكنه من فهم التغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة كمرحلة حرجة.

٥. الحاجة إلى المعرفة والتعليم، لما لهما من دور مفتاحي وأساسي في حياة الفرد، ولكونها توسع الآفاق والمدارك العقلية. وهو حق مكتسب وضروري مثل الماء والهواء في عصر ليس فيه مكان للجهلاء.

٦. الحاجة إلى الاستقلال في إطار الأسرة كمقدمة لبناء شخصيته المستقلة، وتأهيله لأخذ قراراته المصيرية في الحياة والعمل والانتماء، بطرق طوعية، بعيداً عن التدخل.

٧. تلبية الحاجات الاقتصادية الأساسية من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن، والتي بدونها سيصبح مشرداً أو متسولاً.

٨. الحاجة إلى الترفيه والترويح؛ فحياة الشباب ليست كلها عمل ونشاط جدي، بل يحتاج الشباب إلى توفير أماكن للترويح ومراكز ترفيهية ثقافية (مسرح، منتزهات، معسكرات شبابية).

٩. الحاجة إلى ثقافة جنسية، خصوصاً في بداية تفتح الشباب، ومعرفة المتغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة، وتوفير حد أدنى من الثقافة الجنسية لتوفير حماية للشباب من الانحراف وتلقي ثقافة جنسية مشوشة ومشوهة.

١٠. الحاجة إلى بناء الشخصية القيادية الشابة من خلال تنمية القدرات القيادية وصقلها للمواهب الواعدة. وغالباً ما يحاولون إثبات وجودهم وتميزهم من خلال الأعمال التي يقومون بها، والتي تتصف بالجرأة والتهور أحياناً داخل ما يسمى بالنظام الاجتماعي للمجتمع. (الأشول، ١٩٨٢: ٦٦).

٢- المنهج الإسلامي في التعامل مع الشباب ورعايتهم:

لأهمية مرحلة الشباب فقد عني الإسلام بهذه المرحلة من العمر عناية خاصة، ووجهها للبناء والخير، وجنبها الهدم الشر. فهو يهدف إلى جعل هذه المرحلة من العمر (مرحلة الشباب) مرحلة خير على مستوى الفرد والجماعة. وإذا تأملنا القرآن والسنة وهما المصدران الأساسيان في التشريع للمسلمين، لوجدنا فيهما اهتماماً خاصاً بمرحلة الشباب، سواء في الثناء وذكر الإنجازات، أو في الإرشادات الخاصة بهذه المرحلة بما يحفظ فكرهم من التغريب والتغيير، ويحفظ سلوكهم من الابتداع والتكفير. كما أن القرآن الكريم قد أثنى على فئة من الشباب الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى وكافأهم على ذلك بزيادة الهدى، حين قال سبحانه وتعالى: {إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى} (الكهف: ١٣). والفتية في اللغة العربية هم الشباب. وأتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلهم من الشباب، فقد آمن به أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وكان عمره نحواً من ثمان وثلاثين سنة، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أسلم ولم يبلغ الثلاثين من عمره، وكذلك علي وعبد الله بن مسعود، وسعيد بن زيد، ومصعب بن عمير، والأرقم بن أبي الأرقم، وخباب، وعشرات غيرهم، بل مئات كانوا شباباً بفئة الشباب على مدار التاريخ وفي جميع الأطوار والأقطار وعلى اختلاف الدعوات، هم أكثر الناس تأثراً وأسرعهم استجابة، بخلاف الشيوخ الذين في الغالب يتمسكون بمعتقداتهم ويؤثرون موروثاتهم، ولو تبين لهم الحق فيما يدعون إليه كما يشير القرآن الكريم أيضاً أن هذه المرحلة من العمر هي مرحلة القوة التي يعيشها الإنسان بين مرحلتي ضعف، كما في قوله سبحانه وتعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بد قوة ضعفاً وشيبة} (الروم: ٥٤) كما أن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - قد اهتم بالشباب اهتماماً خاصاً، ولا عجب بذلك إذا علمنا أن الذين آمنوا معه في بداية الدعوة كلهم من الشباب فأيدوه ونصروه ونشروا دعوته وتحملوا في سبيل ذلك المشاق طلباً لما عند الله سبحانه وتعالى. ومن الاهتمام بعنصر الشباب نجد ما بيّنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكانة الشباب الذي ينشأ على طاعة الله سبحانه وتعالى، فهذا الصنف من الشباب لهم مكانة عالية عند الله سبحانه وتعالى حيث ينجيهم من الضيق والكرب الذي يلحق الناس يوم القيامة فيظلهم الله سبحانه وتعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في طاعة الله سبحانه وتعالى...) (رواه البخاري: ١٤٤٠-١٧٤٠ ومسلم: ١٧١٢، وغيرهما). كما نجد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخاطب فئة الشباب ويوصيهم بوصية عظيمة بقوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). (أخرجه البخاري، كتاب النكاح، حديث رقم ٥٠٦٦). ففي هذا

التوجيه النبوي صيانة للشباب من فساد السلوك والوقوع في الإثم، الذي في الغالب يكون يسببه من الدافع الجنسي، فإن الشهوة الجنسية عند الشاب قوية، وبالتالي فإنها تدفعه إلى ارتكاب المحرمات. ويفيد الحديث أن من قدر على تكاليف الزواج فعليه بالمبادرة، حتى تهدأ نفسه وتسكن شهوته. ولكن من لم يستطع تكاليف الزواج فإن النبي صلى الله عليه وسلم وجهه توجيهاً آخر لحفظ نفسه من عواقب هذه الشهوة، فعليه بالصوم، والجوع يضعف الشهوة الجنسية عند الإنسان، وبهذا يسلم الإنسان من عواقبها السيئة. وفي هذا الجانب وفي إطار حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الشباب وصيانتهم من عواقب هذه الشهوة نقف مع حوار دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أحد الشباب الذي جاء يستأذنه في الزنا جاهلاً بحكمه في الإسلام، وإليك الحوار:

قال الشاب: يا رسول الله انذن لي بالزنا. فقال النبي: ادنه، فدنا منه قريباً، قال فجلس، قال أتحبه لأملك. قال: لا والله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك؟

قال لا والله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم ٢١٧٠٨)

وعناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب تتخذ أشكالاً عديدة منها الوصايا النافعة لهم، التي ترسخ الإيمان في نفوسهم وتحقق الأمن الفكري لديهم، ومن ذلك وصيته لابن عمه عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: (يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقالم وجفت الصحف) (الترمذي) ٣٠٩/٢. فهذه وصية عظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمه الغلام ابن عباس، وصية يتكفل الله سبحانه وتعالى لمن عمل بها أن يحفظه في أموره كلها، ومن جعلتها أعز ما يملكه الإنسان إيمانه بربه، فيحفظه الله سبحانه وتعالى من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة. ويدخل في هذا الحفظ أيضاً حفظ الشاب في ماله وبدنه وأهله وكل أموره. ومن الوصايا القيمة التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم الشباب وصيته لأبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) (سنن الترمذي: ١٩١/٢). وهذه الوصية نفسها أوصى بها الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: يا رسول الله! أوصني، قال: (اتق الله حيثما كنت -أو أينما كنت- قال: زدني قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها، قال: زدني، قال: خالق الناس بخلق حسن) (أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣١٥٥٤). فالوصية (اتق الله حيثما كنت) توقظ في الشباب مراقبة الله سبحانه وتعالى، وخشيته، في كل زمان ومكان.

ومن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب ما كان يعاملهم به من التقدير لحقوقهم والاعتراف بمكانتهم، ويدل على ذلك ما يرويه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: (أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله يا رسول الله لا أؤثر بنصيبك منك أحداً قال فقله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده) (أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأشربة، حديث رقم ٥٦٢٠). فلم يحتقر الرسول صلى الله عليه وسلم الغلام لصغر سنه بل اعترف له بحقه الذي شرعه له الإسلام لأنه عن يمين الرسول، فاستشاره في تقديم الشراب إلى من هو أكبر منه، ومن له مكانة عند المسلمين، إلى أفضل هذه الأمة بعد نبيها وهو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه). فآثر الغلام أن يشرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم فشرب. أضف إلى ذلك ما كان يقابلهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من السرور وطلاقة الوجه - وهو سيد البشر- كما يروي ذلك الشاب جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رأني إلا تبسم في وجهي...) (أخرجه البخاري، الجامع الصحيح ٤٨/٣).

وفي إطار عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب النابعة من فهم عميق بخصائص هذه المرحلة نجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يغفل عن ضبط حماسهم وتوجيههم إلى ما يتناسب وطبيعة أعمارهم. ويدل على ذلك قصة الشباب الثلاثة الذي أبدوا حماساً في العبادة، كما يروي ذلك أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي (صلى

الله عليه وسلم) قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلّي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) (أخرجه البخاري، الجامع الصحيح ٣/٣٥٤). كل ذلك شفقة من الرسول صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الشباب الذين عزموا على ترك بعض ما أحل الله لهم والاجتهاد في طاعة الله سبحانه وتعالى. والعناية بالشباب ليست في عصر دون عصر، ولا في مكان دون آخر، بل هي في كل مكان، وفي كل زمان، ولا عجب في ذلك فقد جاء الإسلام بالخير والسعادة لكل البشرية، فمن وفقه الله لهذا الدين سعد في دنياه وأخراه، ومن ضل عن هذا الدين فهو على خطر عظيم. (العبد، ١٤٢٨)

٣- أهمية تعزيز الأمن الفكري لطالب وطالبة المرحلة الثانوية باستخدام الحوار .

نظراً لخطورة فترة المراهقة التي يمر بها الطالب والطالبة في المرحلة الثانوية وتأثيرها على الناحية العقلية والسلوكية للشخص على مدار فترات حياته التالية ، ودورها في تشكيل سلوكه وانتماءاته ، فإن تعزيز القيم المختلفة ومن أهمها قيمة الحوار البناء يعد من أهم عوامل نجاح التعليم في عملية التنشئة الاجتماعية للطالب ، ولذلك يمكن أن نذكر أن من أهم فوائد تعزيز الأمن الفكري لطالب المرحلة الثانوية باستخدام الحوار تتمثل في الآتي :

تنمية الانتماء لدى الشباب :

إن عدم الانتماء ظاهرة نفسية تعبر عن حالة من حالات الحياد العاطفي بالنسبة للشخص الأخر أو بالنسبة للآخرين، أو بالنسبة للمجتمع، وبهذا المعنى تصبح هذه الظاهرة عرضاً مرضياً مرادفاً للانانية، لأن الشخص الذي لا يشعر بانتمائه للآخر قد تجده لا يهتم إلا بنفسه، أو قد لا يكون بالضرورة منحصراً في مدى اهتمام الشخص بنفسه لأننا قد نجد في بعض الأحيان عند الشباب حالة من الركود مبعثها عدم وجود رغبة أو دافع أو تطلع، أو أنه يشعر بالعزلة، فهو قد فقد القدرة على التفاعل أو قد أصابه شعور غريب يجعله لا نفع منه ولا ضرر بحيث يحوله شعوره هذا إلى شيء يتحرك وقد ترك خيوط التحكم في مقدراته إلى أيد غريبة عنه ، لا يعلم تأويلها ولا توجد لديه القدرة على فهم كنهها. (صبحي ، ٢٠٠٢) وترى الباحثة أنه بالرغم من أن الانتماء يعني توحيد الهدف إلا أنه لا يعني توحيد الفكر ، فالإحساس الجماعي بالانتماء لوطن أو عقيدة أو فكرة يجمع الكل على هدف الإعلاء بالوطن أو سيادة العقيدة أو تنقيتها مما يعلق بها من شوائب ، أو الدفاع عن فكرته ، غير أن الوسيلة والفكر والأصول الواجبة لتحقيق هذا الهدف هي ما تكون في محل للاختلاف، وذلك الاختلاف إما أن يكون حقلاً خصباً للإبداع وإعمال الفكر وإفساح المجال للكامل ليقوم بدوره من خلال علمه واحترام الرأي والرأي الآخر وفي تلك الحالة يكون الانتماء وسيلة لتعزيز الأمن الفكري ، كما قد يكون الاختلاف سبباً في إثارة الفتنة والصراع بين الطوائف المختلفة كل يدافع عن رأيه بأية وسيلة ولو كانت بالتجريح في الآخر أو حتى باستعمال العنف ، ويتوقف تأثير الانتماء على ثقافة الحوار السائدة ، فإذا كانت تلك الثقافة تحث على الإنصات للآخر ومحاولة الاستفادة منه والأخذ منه والرد عليه كانت مطلوبة ، ومن خلال ذلك فإن تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب والطالبات لا يقتصر على تنمية الانتماء للوطن أو للدين أو للهوية الثقافية فقط ، وإنما أيضاً بتروسيخ أسس وأساليب الحوار لديهم .

تنمية القيم الإنسانية والعلاقات الاجتماعية :

إن تنمية أساليب الحوار تؤدي إلى زيادة العلاقات الاجتماعية وبروز أهمية القيم الإنسانية في الحياة الاجتماعية للطالب، ويحدد بعض الباحثين السمات والخصائص الأساسية للقيم التي قد يساهم تحديدها في ترسيخ مفهوم القيمة وإبراز معالمها، فهومي مفهوم اجتماعي يتعلق بماهية الأشياء والنظرة إليها، وهي أكثر ثباتاً، وأصعب تغييراً وتطويراً ، كما أنها عملية مكتسبة تعمل المؤسسات كما يعمل المربون والمعلمون على إكسابها وتنميتها في طلبتهم، ولا يكتمل مفهوم القيم وتمثلها إلا باكتمال عناصرها الثلاث: البعد العقلي(المعرفي) والبعد الوجداني(العاطفي) والبعد العملي المهاري (السلوكي) ، في هذا الإطار يتحدد مفهوم القيم الاجتماعية باعتبارها واحدة من تصنيفات القيم السلوكية حيث ترتبط بمعايير اجتماعية كعلاقة الفرد من الآخرين في المجتمع كما أن القيم الاجتماعية تعكس اهتمام الفرد وميله إلى غيره وتحديد طبيعة علاقته بهم (الخوالدة ، ٢٠٠٥)

حماية الشباب من التطرف

تمثل أزمة التعبير لدى بعض الشباب محوراً رئيسياً لمشكلاته ، فنحن لا نستطيع أن نحدد الأسباب الحقيقية وراء بعض مظاهر سلوكهم ، أو نضع أيدينا على المحاور الرئيسية التي قد تتدخل وتتشابك في تشكيل بعض اتجاهاتهم وتعمل على تحديد مطالبهم ودوافعهم ، ولعل السبب في ذلك أن بعض الشباب قد لا يجدون مجالاً يكتبون من خلاله ما يعتقدون أو

يعبرون فيه عما يشعرون، أو أنهم يفترضون إلى وجود قنوات الاتصال الحقيقية التي من خلالها يعلنون عن مشكلاتهم ويحددونها ، وقد يكون السبب في كل ذلك بدافع من توشي السلامة وإيثار للعافية ، حيث الاستماع إلى المشكلات والشكاوى قد لا تجد استحساناً عند البعض، أو أن هناك من يرى ضرورة الالتزام بقول الخير والإشادة بكل شيء، وإلا فالصمت أفضل من التعبير الشاكي ، ومن هنا تنشأ أزمة التعبير لدى بعض الشباب فإما الصمت أو التطرف ، وكلاهما شر ، حيث أن وسيلة التعامل مع الشباب لا بد وأن تعتمد على الحجة والإقناع والمناقشة والموضوعية الواعية بمشكلاتهم . (صبحي ، ٢٠٠٢) فإذا غابت القيم أو تضاربت فإن الإنسان يعترب عن ذاته وعن مجتمعه ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجه ، لذا عرف العدو كيف يحارب الإسلام فكانت الهجمة على قيم الإسلام والمسلمين جائرة ومنظمة هدفها تشويه صورته وطمس حقيقته والنيل من مبادئه وقيمه ، فوصفوه بأنه دين الإرهاب والعنف والهرج ، وقد لعب الإعلام الموجه دوره في إصاق هذه التهم بالإسلام ، مع أن الإسلام منها براء ، وساعدهم في هذا من لبسوا ثوب الإسلام وهو منهم براء . (عودات ، ٢٠٠٩) .

المبحث الرابع

الحوار التربوي ودوره في تعزيز الأمن الفكري للشباب

أولاً- الحوار التربوي وارتباطه بالأمن الفكري .

ثانياً - الحوار الوطني ودوره في تعزيز الأمن الفكري .

الحوار التربوي ودوره في تعزيز الأمن الفكري للشباب

مقدمة

يزدحم العالم اليوم بالعديد من الأفكار والاتجاهات، وفي ظل التطور التقني في مجال وسائل الاتصالات زادت سرعة تبادل وتناقل تلك الأفكار والاتجاهات، مما حتمَّ على الفرد المسلم الاهتمام باكتساب العلم والمعرفة وتنمية روح الاستقامة وإتقان مزيد من المهارات. وتعد مهارة الحوار من أهم المهارات التي بدونها قد يفشل الإنسان في التواصل الإيجابي مع الآخرين، وفي تبادل الأفكار معهم، وفي تقوية الروابط الاجتماعية بهم والاستفادة مما لديهم. وقد أولى القرآن الكريم الحوار أهمية بالغة، وجعله وسيلة لتوجيه الناس وإرشادهم وجذب عقولهم، وامتاز الحوار في القرآن الكريم بالسهولة والبعد عن الفلسفات المعقدة، وتضمن ألواناً مختلفة من الأساليب حسب عقول ومقتضيات أحوال المخاطبين الفطرية والاجتماعية، وغلفت بلبين الجانب وإحالة الجدل إلى حوار إيجابي يسعى إلى تحقيق الهدف بأحسن الألفاظ وأطف الطرق، قال الله تعالى: { اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ } . (طه : ٣٤-٤٤) وبالتأمل في مجموع النصوص القرآنية الحوارية نجدها تؤكد على أن الحوار أسلوب مهم في دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى، وإيصال الفكرة إلى المدعوين، وحل القضايا الخلافية بين أهل التوحيد وغيرهم. واستخدم رسولنا صلى الله عليه وسلم الحوار في دعوته وتربيته وتعليمه لأصحابه رضي الله عنهم، بل وشمل حتى أعداءه ومخالفيه، وتميز هذا الحوار النبوي باللين في العرض والقوة في البيان والدقة في المعلومة والأفكار وحسن الخطاب للمحاور معهم والصبر عليهم، والشمول والتوازن والالتزام بأداب الحوار. وعلى هذا الهدي النبوي سار علماء المسلمين في تربيتهم وتعليمهم للطلاب والناس، واعتبروا عدم استخدامه أحد أهم أسباب الضعف العلمي والجدل العقيم لدى الشباب .

وفي هذا المبحث سنسلط الضوء على أهمية الحوار التربوي الذي أصله التشريع الإسلامي في تربية الناشئة ورعاية الشباب من كافة الجوانب لتحقيق ركائز الأمن نفسياً وفكرياً بما يسهم وبشكل فاعل في ترسيخ الهوية الوطنية ، ويؤدي إلى تحقيق العديد من النتائج الإيجابية التي تعكس آثارها على الفرد والمجتمع .

١- الحوار التربوي وارتباطه بالأمن الفكري

البحث عن سبب الحاجة إلى الحوار مع الآخر ، يدفع المتأمل لمراجعة التاريخ البشري منذ أقدم العصور ، ليتوصل سريعاً إلى حقيقة ظاهرة مفادها أن حياة الناس منذ القديم ، شابهها اختلاف كبير ، تسبب في صراع مرير . ومنشأ ذلك اختلاف العقول حول مفاهيم الحقائق الكبرى ، التي تقوم عليها حياة البشر ، مثل مفهوم الحق والواجب ، والخير والشر مباشرة على تصوراتهم ، وينعكس على سلوكهم وتصرفاتهم فتفاوتت العقول في إدراك هذه المفاهيم ، أدى إلى اختلاف الناس وصراعهم

وسفك دماهم ، ولعل النتيجة هي التي تنبأت بها الملائكة الكرام منذ اللحظة الأولى ، التي أخبرهم الله تعالى بأنه سيخلق في الأرض كائنا متميزا هو الإنسان . (الصديق ، ١٤٢٥)

إن تعزيز الأمن الفكري يعني تحسين فكر الفرد وعقله من الانزلاق نحو الانصراف أو الخروج عن الوسيطة والاعتدال عند التعامل مع مختلف أمور الحياة ولا سيما القضايا الفكرية التي تشكل مصدر تهديد للأمن الفكري ، كشفت نتائج دراسة ميدانية عن مدى أهمية الحوار الوطني في تعزيز الأمن الفكري حيث أكدت النتائج أن للحوار الوطني دورا عاليا في زيادة وعي أفراد المجتمع بالعقيدة الإسلامية ومقاصدها الشرعية والعمل على ترسيخه في ثقافة المجتمع . والعمل على علاج ظاهرة الغلو والتطرف في المجتمع ، والعمل على تحديد المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالغلو والعمل على تنمية قيم الانتماء والمواطنة لدى أفراد المجتمع كافة ، والتوازن في الطرح الاصطلاحي لقضايا الدين والوطن وفق منهجية علمية ، ورفض الفتوى الفردية في المسائل العامة التي تمس مصالح الأمة ومستقبلها والدعوة إلى تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع متغيرات العصر ومكافحة ما ينشر عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة من انحرافات فكرية وعقدية تدعو إلى الغلو والتطرف في الدين ويجاد ثقافة نقدية لدى الشباب لتميز الحق من الباطل في المجال الفكري في المجتمع . (الحازمي ، ١٤٢٩)

إن معالجة الإرهاب لا تتم بمضاعفة قمع الرأي الآخر وإنفاق المزيد من الثروات على تسليح قوات مكافحة الإرهاب بأحدث معدات القتال بل بالوقوف على الأسباب الحقيقية ومعالجة الأمر بالحكمة والموضوعية ، ولا يمكن أن ينتهي العنف في وطننا العربي وعالمنا الإسلامي إلا بقيام البدائل الديمقراطية التي تركز على مؤسسات دستورية تحترم المواطن وتشاركه القرار وترفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ونقل الفوارق الطبيعية وتحل السلام الاجتماعي ، ومما لا شك فيه أن دخول العرب والمسلمين إلى نادي الديمقراطية أو الشورى هو السبيل الوحيد ليأخذوا مكانتهم اللائقة في هذا العالم ومن المؤسف أن يكون المدخل الأمني هو المدخل السائد والوحيد في مواجهة التطرف والإرهاب في منطقتنا العربية ، إذ تبدو المواجهة بين أجهزة الدولة والجماعات المتطرفة كما لو أنها ثار متبادل متكرر بين الطرفين . إنه من الضروري إتاحة الفرصة أمام الجماعات المختلفة المعارضة للتعبير عن نفسها حتى يتحول التطرف والإرهاب من ممارسة غير شرعية إلى عمل سياسي مشروع بناء . (الهواري . ١٤٢٥) "وذلك ينبغي أن يهدف الحوار الوطني إلى رصد عوامل تفاقم الأوضاع الاجتماعية واحتوائها ، والعمل على تدعيم سبل الاستقرار والتنمية وحتى تصبح الحوارات الوطنية في العالم العربي الإسلامي بمثابة نقطة تحول وانطلاق إلى آفاق جديدة في واقعنا السياسي والاجتماعي وفي الميادين كافة ، ولا بد أن نحرص على الإدارة العلمية والدقيقة لهذه الحوارات، وفي اتجاهنا نحو هذه الغاية لابد أن نفرق أولاً بين مفهومي الحوار وبين عمليات التفاوض الجمعي، وذلك تجنباً للفضى والسير في الإتجاه الخاطئ".(التويجري، ١٩٩٧: ١٩) وإلى هذا المعنى في حق التعبير عن المعتقدات الفكرية في حدود الضوابط القانونية ضرورة لابد منها في دعوة الناس إليه حين دعاهم إلى الإتيان بالبراهين على ما يقولون ويعتقدون ، وتحدهم بأن يأتوا بأقل سورة من مثل القرآن، " ومعلوم أن البراهين مهما بلغت من الضعف والقوة هي نتاج التفكير ولا يمكن الإفصاح عنها على من خلال التعبير الحر فما معنى أن يستقبل الناس ما يسمعون دون ان يكون لهم حق التفكير فيما يسمعون . وحق التعبير عن نتاج تفكيرهم هذا بحرية وأمان من الأذى غير اللجوء إلى الأعمال الإرهابية" (صالح ، ١٤٢٩ ، ص ٢٠٠)

ويمكن تلخيص أهمية الحوار في تعزيز الأمن الفكري في النقاط التالية :

- أنه أحد أساليب التربية الإسلامية الصحيحة فقد اشتمل القرآن الكريم على هذا الأسلوب في الكثير من الآيات كما احتوت السنة النبوية الشريفة على العديد من الأحاديث النبوية التي تتضمن الحوار .

- أنه وسيلة من وسائل الدعوة والإصلاح ، فالحوار الهادف استخدمه الأنبياء والرسل والدعاة والمصلحين في دعوتهم بالتي هي أحسن .

- يعد الحوار من أهم العوامل التي تدعم أواصر التعاون والتلاحم والتواد والتآلف بين أفراد الأسرة والمجتمع والأمة ، والقضاء على الفرقة والنزاع والخلاف ، وذلك أن الحوار البناء يساعد على تبادل الآراء المفيدة وزيادة الثقة المتبادلة ، وزيادة الوعي بالمسئوليات والحقوق والواجبات الاجتماعية على مستوى الأسرة والمجتمع والأمة .

- أنه من الأساليب المشوقة والمحبية للنفس الإنسانية لذا يستخدمه الآباء والمعلمون في غرس القيم والآداب ، وإيصال المعلومات وكسب المهارات .

- يعد الحوار من أفضل الوسائل وأسلم الطرق في الوصول للحق وكشف الباطل ، وبيان الحقائق وتعرية الكذب والافتراء ، وفضح الدعوات الضالة والأفكار المنحرفة .

- يعد الحوار من أفضل الأساليب لمعالجة الخلافات ، وتقريب وجهات النظر المختلفة ، والفروق في المفاهيم والتوجهات والميول والرغبات .

- يعد الحوار أحد الطرق والأساليب المعينة في التربية والتعليم حيث يساعد على غرس القيم والأداب والأخلاق الإسلامية ، وسرعة وسهولة وزيادة المعلومات والمعارف والخبرات ، وذلك لأنه مبني على التفاعل والحيوية .

٢- الحوار الوطني ودوره في تعزيز الأمن الفكري

للحوار الوطني دور فاعل في تعزيز الأمن الفكري ، ويمكن استخلاص أهم الأدوار التي يقوم بها الحوار الوطني في ما يلي :

١- إسهام الحوار الوطني في سد منافذ الفهم الخاطئ، والقياس الفاسد. والاستنتاج الوهمي ، ومن ثم ترسيخ العقيدة الصحيحة، والعصمة من كل ضلال ، ويعيش الشباب في ظلها حياتهم السوية بفكر منير، وسلوك مستقيم. (الركابي، د.ت، ص٤٨)

٢- توجيه الحوار الوطني حتى يسهم في تحقيق الاستقامة، ولزوم المنهج القويم، وتركيز النفوس بالأعمال الصالحة، فيتحقق الأمن الفكري والسلوكي للشباب .

المحور الأول : ما دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟

٣- التركيز على دعم وحفز جوانب التربية على الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، المبنية على التسامح واللين والرحمة ، والبعد عن القسوة والعنف.

٤- إسهام الحوار الوطني في التنشئة القائمة على الالتزام بالأداب الاجتماعية المبنية على التعاون، والتلاحم والتآلف والتكافل، والبعد عن الفرقة والنزاع والخلاف.

٥- إسهام الحوار الوطني في تحقيق زيادة الوعي بأهمية الواجبات والمسؤوليات والحقوق التي تقع على عاتق الأفراد بالمجتمع إتجاه أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم وأمتهم، وتعزيز الانتماء الوطني.

٦- الحث من خلال الحوار على الإسهام في تنمية المهارات التي يحتاجها المجتمع خاصة الشباب في التعامل مع الآخرين، ومنها مهارات الاستماع، وأداب الحديث، والاقناع، واحترام الرأي الآخر.

٧- استغلال طاقات الشباب ونشاطاتهم، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن وجهات نظرهم عن طريق الحوار البناء الهادف بما يشجعهم على البذل والعطاء والمساهمة في بناء الوطن وتحسينهم من الأفكار الضالة. (آل ضرمان، ٢٠٠٧).

الفصل الثالث

نتائج الدراسة والتوصيات

أولاً: الاجابة على تساؤلات الدراسة.

المحور الأول : ما دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟

المحور الثاني: ما دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟

المحور الثالث: ما دور الاعلام الجديد في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب بالحوار التربوي ؟

المحور الرابع : ما أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي ؟

المحور الخامس : ما التصور المقترح للحوار التربوي لتعزيز الأمن الفكري لدى الشباب؟

ثانياً: ملخص النتائج.

ثالثاً: التوصيات.

رابعاً: مواضيع مستقبلية مقترحة للدراسة

المقدمة :

تعد المؤسسات التربوية في المجتمع على كافة أشكالها المنبع الرئيس الذي يكتسب من خلاله الإنسان العلم والمعرفة، وتنمو مهاراته وتتطور سلوكياته وتصرفاته، فيكون لديه الاستعداد والقبول لتلقي ما يمكن أن يؤثر على سلوكه وتصرفاته إما سلباً وإما إيجاباً حسب توجهات المؤسسة التي استقى التوجيه والتربية منها. وعليه فإن المؤسسات التربوية والتعليمية من أهم المؤسسات الاجتماعية التي لجأت إليها المجتمعات الحديثة، لتلبية حاجات تربوية وتعليمية عجزت عن تأديتها المؤسسات الأخرى بعد تعقد الحياة، والأسرة هي المحضن الأول للإنسان التي يستقي منها كافة أصول التربية والتعليم ، ومن ثم ينتقل الإنسان في حياته في سلسلة من المراحل التعليمية بدءاً بالمدرسة ومن بعدها الجامعة ، كما لا نغفل عن دور الأنساق المحيطة بالإنسان والتي تساهم في تشكيل فكره ورسم ملامح شخصيته منها دور الأقران ، والمسجد ، وكذا تأثير الأعلام الموجه . كما تسعى كافة الأنساق إلى تحقيق نمو الناشئة والشباب جسماً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً، وعليه فإن الدور المناط بتلك المؤسسات هام جداً بما يحقق إعداد الفرد وتنشئته التنشئة الاجتماعية ليكون مواطناً صالحاً معداً للحياة .

وفي هذا الفصل سيتم الاجابة على تساؤلات الدراسة الحالية وهي:

المحور الثاني: ما دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟

المحور الثالث: ما دور الاعلام الجديد في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب ؟

المحور الرابع: ما أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي ؟

المحور الخامس: ما التصور المقترح للحوار التربوي لتعزيز الأمن الفكري لدى الشباب؟

حيث سنسلط الضوء على أدوار الانساق التربوية بصفتها مدخلات هامة للإنسان والتي تساهم في دور هام في المحافظة على الفكر السليم من أي انحراف وإلى إعداد الأجيال، وبناء شخصيتهم للدخول إلى معترك الحياة المستقبلية على أساس من التوازن النفسي والمعرفي، وتساهم في هذا الإعداد المتكامل مجموعة متنوعة من العوامل التربوية .

أولاً : تساؤلات الدراسة والإجابة عليها .

المحور الأول : ما دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي ؟

وللإجابة على هذا التساؤل سنعرض دور الأسرة في حماية وتعزيز الأمن الفكري للشباب بالحوار التربوي الهادف حيث أن الأسرة هي النواة الأسرة لتنشئة الفرد ، وهي المحضن الأمثل لحياة مستقرة وآمنة، وعليه فإن هناك مدخلات هامة يستقي منها الفرد داخل أسرته ومنها :

أ- التربية الأسرية ودورها الهام والفعال في استقرار الأمن الفكري حيث تعد الأسرة خلية اجتماعية لها وظائفها المتباينة، وأساليبها وضوابطها سواء في مجال التربية أم في العلاقات والتواصل، فضلاً عن الامتداد والتفاعل. ولاشك أن التحولات المعاصرة كان لها تأثير سلبي على الكثير من وظائف الأسرة وأهم ما يتصل ببحثنا.

ب- التنشئة الفكرية وأهميتها للفرد، حيث تستقي الطفولة من الأسرة ما يحدد معالم شخصيتها، فضلاً عن توفير المناخ المناسب، واستمرار المتابعة والمراقبة الدائمة لما يحيط بالوسط الطفولي من علاقات، وسلوكيات، والكشف المبكر لصور الانحراف الفكري والسلوكي، وتحديد العلاج الملائم

في حينه. إن هذا الدور الديني والتربوي بالنسبة للتنشئة الفكرية خلال هذه المرحلة المفصلية في حياة الأجيال هو الذي يجعلها قادرة على التفكير السوي وإيجاد الحلول في كل ما يمكن أن يصادفها أو يعترض طريقها؛ وذلك بالحوار والمناقشة الهادفة .

ج- استمرار التواصل بين الطفل وأفراد الأسرة ونلاحظ أن الأجيال السابقة كانت أكثر حظاً في تواصلها الأسري من جيلنا الراهن ، رغم محدودية الثقافة لدى البعض منهم ، بل نراهم اخترقوا وأزالوا كافة الحواجز بما يعزز المعنويات، وينمي الشخصية، فضلاً عن كون دورهم في تبصرتنا بكل ما يخفي أو يعترض حياتنا من مشكلات تحول بيننا وبين الشعور بالأزمة الحياتية السلوكية، بما جعلنا قادرين على الاستخدام الأمثل للمعارف والتعبير بموضوعية وأمانة في كل ما يعرض علينا، بل والسعي إلى الابتكار والإبداع في كل ما يسند إلينا من مهام، وإذا كانت التعقيدات الحياتية المعاصرة قد قلصت من أساليب ووسائل هذا التواصل الأسري، فلا يجد غالبية الأطفال الصلبة مع أسرهم، أو الأسوة والقدوة الحسنة، عندها

تقع الواقعة، وقد يجد الإنسان نفسه أسيراً لفكر ضال، أو أجواء انحرافية شريرة ومصير معتم بما يؤثر على الأمن الفكري له ولوطنه.

د- متابعة الأبناء خلال مراحل التعلم واكتساب المعرفة حيث يشكل العلم والمعرفة وسيلة لكل تقدم على مستوى الفرد والمجتمع، والأصل أن الأسرة سواء أكانت متعلمة أم أمية تسعى إلى الارتقاء بمستوى تعليم وثقافة أبنائها، إما استكمالاً لدور، أو تعويضاً لما فات من قيمة، ومما لاشك فيه أن مسؤولية الأسرة في عملية متابعة التعلم، واكتساب المعرفة، يصاحبها في الوقت الراهن أزمة شديدة متباينة الأبعاد بين معرفة متوافرة وغير مفيدة حياتياً وعملياً، ومعرفة منشورة مشوهة، إضافة إلى التكلفة المادية العالية للتعلم، وكيفية الاختيار بين المعارف المتوافرة في عصر الانترنت. إن غاية متابعة التعلم واكتساب المعرفة هي وظيفة أبوية قبل أن تكون وظيفة مؤسسية، ومسؤولية الأسرة في متابعة تحصيل الأبناء واكتساب المعارف يجب ألا تقف عند متابعة دخول الطفل أو الطالب إلى باب المدرسة، بل يجب أن تمتد إلى غاية أكبر وهي أن تتأكد الأسرة أن هذه العلوم والمعارف سديدة وسليمة، أو توافق صحيح الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان، فإذا تبين لها غير ذلك وجب عليها اتخاذ موقف ايجابي لتغيير المنهج التعليمي أو الأسلوب التربوي حتى لا يقع الأبناء في أزمت المعرفة أو ازدواج القيم التي تبعد أمنهم الفكري، وتمس استقرار المجتمع. (الهماش، ١٤٣٠).

وبذلك نخلص إلى أهمية دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري لأبنائها من خلال الحوار بين الآباء والأبناء أو ما يسمى الحوار الأسري من أهم وسائل الاتصال في الأسرة، والذي له تأثير كبير وجلي في بناء أسرة متكاملة، وقوية، و مترابطة، وبالطبع له فوائد نفسية، وتربوية، ودينية، واجتماعية، وأخلاقية تؤثر بشكل كبير على الفرد، وبالتالي على المجتمع ككل. ويجب على كل أب وأم أن يحرصوا على هذا النوع من التواصل، كما يجب على الوالدين الحرص على بناء أسس الحوار السليمة، والتي تعتمد أساساً على احترام الرأي الآخر وتقبله، ولذلك عليهم أولاً البدء بأنفسهم ثم تطوير ذلك إلى الأبناء، وأن يحرصوا على إيجاد وسائل وسبل للحوار تساعدهم في التقرب من أبنائهم، وخلق كل الفرص الممكنة التي تهتئ الجو للحوار الراقي، وأن يمنحوا أبناءهم الكثير من الوقت لمساعدتهم في ذلك.

المحور الثاني: ما دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي؟

وللاجابة على هذا التساؤل سنسلط الضوء على المدرسة ودورها في تعزيز الأمن الفكري من خلال التالي:

أ- المعلم ودوره في تعزيز الأمن الفكري للطلاب

المعلم أحد الركائز المهمة التي تقوم عليها التربية، وتعتمد عليه المؤسسات التعليمية في تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية؛ ولذلك فقد أولته الدول على اختلاف فلسفتها وأهدافها وتوجهاتها اهتماماً بالغاً باعتباره عنصر رئيس ومؤثر في العملية التربوية، وسعت لانتقائه وحسن اختياره وتأهيله، وتطوير أدائه؛ ليتمكن من القيام بعمله على أكمل وجه. وترتبط أهمية المعلم في ما يقوم به من دور ايجابي يتمثل في تحقيق تطلعات المجتمع تجاه النشء، وبذلك فهو يتحمل مسؤولية كبرى، ويقع على عاتقه عبء التربية والتعليم، والتوجيه والإرشاد، وتقويم السلوك وأهمية المعلم توجب عليه أن يكون قريباً من طلابه، يستمع لهم ويناقشهم، ويحاورهم لينفهم حاجاتهم، ويتعرف على ميولهم وتوجهاتهم، ويعرف ما يواجههم من مشكلات، فيساعدهم على إيجاد الحلول المناسبة لها، ولا بد للمعلم أن يسعى لتحويل طلابه من السلبية القائمة على الحفظ والاستظهار وقبول كل ما يصل إليهم دون تمحيص ونقد إلى المشاركة الفعالة من خلال الفهم والتدبر، والجلسات الحوارية الهادفة، ولا سيما في هذا العصر حيث الثورة في مجالات المعلومات، والانفجار المعرفي، وازدياد الارتباط والتقارب بين مختلف الأمم والشعوب نتيجة التطور في وسائل الاتصال والمواصلات. فالمعلم في هذا العصر لم يعد هو المصدر الوحيد للمعلومة، وبذلك أصبح المعلم مرشداً، وموجهاً، وميسراً ومساعداً لطلابهم. وازدادت مسؤوليات المعلم تجاه طلابه في هذا العصر وأصبحت مسؤوليته التربوية القائمة على الإصلاح والإرشاد، وتقويم الفكر، وتنمية السلوك الإيجابي، وغرس القيم النبيلة المنبثقة من عقيدة المجتمع وثوابته تحل مكانة بارزة ضمن مسؤولياته الأخرى (الأهدل، ١٤٣٠: ١٧). "وتنتج أغلب النظم التعليمية المتطورة إلى جعل المعلم موجهاً ومرشداً ومحاوراً ناهجاً لتحقيق مزيد من التدريس الفعال، كما تنتج النظم التعليمية الإسلامية إلى تقوية دور المعلم التربوي في تعزيز سلوكيات حسن الخلق، والتخلق بقيم الإسلام وتعاليمه." (العايش، ١٤٢٩: ١٧)

ويعتقد جنسن (٢٠٠٧) أن من أكبر المنح التي من الممكن أن يقدمها المعلم لطلابهم إدراك العلاقة بين التعليم داخل الفصل الدراسي، والعالم الواعي والمعلم شخصية مؤثرة في طلابه، فهو يلتقي بهم خلال فترة التعلم، ويمكثون معه وقتاً ليس بالقصير، وبذلك فهم "سيؤثرون بهديه وسلوكه، ويُقدون أفعاله وكثيراً من تصرفاته، ولذا ينبغي أن يكون قدوة حسنة لهم

في جميع أحواله ، ويتعامل معهم بالأخلاق الإسلامية " (الأهدل، ١٤٣٠: ١٧) وللمعلم دور يقوم به، ومسؤوليات يضطلع بها تجاه طلابه ومجتمعه ووطنه ، وهي مسؤوليات ترتبط بالدور التربوي والتعليمي الذي يؤديه المعلم ضمن إطار المؤسسة التعليمية ، ويقوم على وقاية الطلاب وتحصينهم ضد مختلف الانحرافات الفكرية والسلوكية ، ومعالجة من أصابه شيء من تلك الانحرافات ، والتي هي ضد عقيدة المجتمع وقيمه ، ومعارضة لمصلحة الوطن وتوجهاته ، قبل أن تترجم إلى أفعال تضر الفرد والدولة ، ومن تلك الأدوار ما يلي :

(١) دور المعلم التوجيهي والتربوي :

- أن يغرس القيم الإسلامية الأصيلة بالحوار التربوي .

- أن تعزز مبدأ الحوار ويشجع عليه .

- أن يشجع الطلاب على الانضمام لعضوية اللجان الحوارية داخل المدرسة وخارجها .

- أن يساعد الطلاب على الانضمام إلى مناشط وندوات حوارية تهتم بالقضايا المعاصرة للشباب .

- أن ينمي لديهم حس الدفاع الفكري عن الوطن وتوجهاته من خلال أدبيات الحوار وفنونه الهادفة .

(٢) الدور الوقائي :

- أن يقوم بدعم الطلاب نفسياً واجتماعياً من خلال تطوير إحساسهم بالانتماء الوطني بعقد لقاءات حوارية .

- أن يشجع أولياء أمور الطلاب على تعزيز لغة الحوار مع أبنائهم داخل الأسرة وخارجها .

- أن يوظف البرامج الحوارية الهادفة عبر وسائل التقنية المختلفة (كالإنترنت، الوسائط المتعددة) لتعزيز الأمن الفكري .

- أن يستمع لطلابه ويحاورهم بالطريقة الصحيحة ، ويتيح الفرصة لهم للتعبير عن آرائهم بكل حرية وبأكثر من طريقة لمعرفة اتجاهاتهم، وفيما يفكرون، وكيف يفكرون؟ .

- أن يساهم بفعالية في تنظيم اللقاءات الحوارية المفتوحة والمعارض التي تخدم توجهات تعزيز الأمن الفكري .

(٣) الدور العلاجي :

- أن يساهم في علاج الطلاب الذين يظهر لديهم مظاهر سلوكية غير سوية بالتعاون مع الاخصائي الاجتماعي بالمدرسة وأهل الاختصاص بالمجال ذاته .

- أن يتعاون مع الأسرة في سبيل تقويم كل سلوك غير قويم لدى الأبناء . (الحسين، ٢٠٠٠)

٢- دور الأنشطة الطلابية:

تعد الأنشطة الطلابية من أهم الفروع التي يجب على المدارس والجامعات والكليات الاهتمام بها نظراً لكونها تستوعب عدداً كبيراً من الطلبة داخلها، فضلاً عن قدرتها على تشكيل شخصية الشباب، وبت مجموعة من الأفكار والقيم التي يمكنها أن تعود بالنفع على نفوسهم، وتعمل على تقليل حاجز الاغتراب النفسي بينهم وبين المجتمع، وتتمثل هذه الأنشطة في الندوات والمؤتمرات وورش العمل والرحلات العلمية والثقافية، وإحياء المناسبات الدينية والوطنية وغير ذلك. وتقدم المدارس والجامعات من خلال الأنشطة الطلابية سلسلة برامج وفعاليات مختلفة (دينية، سياسية، علمية، ثقافية، اجتماعية، ترويحية، تربوية) هدفها تنمية شخصية الطالب في إطار التنمية البشرية الشاملة، وإعداد الطالب للحياة المستقبلية ولما بعد التخرج، وتزويده بالمهارات والخبرات اللازمة؛ حتى يتمكن من معايشة متطلبات الحياة المليئة بالتغيرات، والتي لا تغطيها المناهج الدراسية أحياناً، وللبرامج الحوارية التي يشارك فيها الطلاب أثناء الأنشطة المنهجية واللامنهجية دور رائد في تعزيز الفكر السليم لديهم ، كما تعمل على تنمية مهاراته الحوارية بما يساعد على تقويم شخصيته وتطوير ذاته .

وبذلك نصل إلى أن إكساب أبنائنا ثقافة الحوار على أسس إسلامية تربوية وطنية وممارستهم لها داخل المدرسة وحتى في الجامعة بطريقة منهجية خاضعة للتقويم المستمر، مشروع وطني يعني الاستثمار الاقتصادي الأمثل لجيل المستقبل وبناء شخصيته وإعداده لتحديات الرقي والتطور وتصدية لأي أفكار تسعى لانحرافه أو تمزيق الوحدة التي ينعم بها مجتمعة بفضل الله. وعليه فإن ممارسة الحوار في المدرسة بعد امتلاك أدواتها ومهارتها تعني أن نجعل الطالب يشارك برأيه في

النقد البناء لبيئته المدرسية وفي اتخاذ القرارات وطرق التدريس والأنشطة التي وضعت من أجله، بما يعزز لديه الانتماء الحقيقي للبيئة التعليمية والتي تعكس روح الوطنية الصادقة لدى جيل الغد (المالك، ٢٠٠٥).

المحور الثالث: ما دور الاعلام الجديد في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب بالحوار التربوي ؟

الإعلام الجديد هو مصطلح حديث يتضاد مع الإعلام التقليدي، فالإعلام الجديد لم يعد فيه نخبة محكمة أو قادة إعلاميون ، بل أصبح متاحاً لجميع شرائح المجتمع وأفراده الدخول فيه واستخدامه والاستفادة منه طالما تمكنوا وأجادوا أدواته. ويتميز بالتفاعلية بين كافة شرائح المجتمع ، والمرونة ، والانتباه والتركيز نظراً لأن المتلقي في وسائل الإعلام الجديد يقوم بعمل فاعل في اختيار المحتوى، والتفاعل معه، كما أنه يتميز بدرجة عالية من الانتباه والتركيز، بخلاف التعرض لوسائل الإعلام التقليدي الذي يكون عادةً سلبياً وسطحياً. ومن وسائل الإعلام الجديدة (يوتيوب، تويتر، المدونات، الاستجرام ، السناپ شات ، واستخدامات الهاتف النقال) .

وللإجابة على هذا التساؤل سنسلط الضوء على الإعلام الجديد ودوره في تعزيز الأمن الفكري بالحوار التربوي حيث أنّ دور الإعلام الجديد يشمل كافة وسائط التواصل الاجتماعي كما لا نهمل دور الاعلام التقليدي من برامج ومواد تبث عبر التلفاز والراديو ، فالإعلام أصبح يسيطر على الساحة وهو الذي ينقل الأفكار وينقضها في نفس الوقت. وإذا كان الإعلام ينقل الأفكار الحسنة فلا مشكلة في ذلك ولكن المشكلة تكمن في نقل الأفكار المدمرة بأي شكل من الأشكال سواء كان تدميراً فكرياً أو سلوكياً، وعليه فإن الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات الإعلامية في الأمن الفكري هو التعريف بالفكر الصحيح الذي يوجه الشباب التوجيه السليم الذي يخدم بلادهم، وفضح الفكر المنحرف الذي يتوغل إلى نفوس الناشئة، من خلال برامج حوارية هادفة تتلاءم مع حاجات الشباب وتطلعاتهم ، مع ضرورة رسم استراتيجية واضحة وقوية لتنمية ودعم الأمن الفكري من خلال تلك البرامج . ولذلك فإنّ الحاجة للحوار التربوي يزداد يوماً بعد يوم، لنشر مفهوم الأمن الفكري وترسيخه ولتعزيز الوحدة والتماسك داخل المجتمع. (الجنحي، ٢٠١٣)

كما أن من المعروف أنّ لوسائل التواصل الاجتماعي دوراً مهماً وفعالاً في تعزيز الأمن الفكري لدى فئة الشباب، وإبعادهم عن الإرهاب الفكري الذي تتعرض إليه هذه الفئة كثيراً ، لذا فإنه لا بدّ من أن تتضافر جميع جهود المؤسسات الحكومية والخاصة الدينية والتربوية والتعليمية والاجتماعية والرياضية والأمنية والإعلامية لنشر وترسيخ الأمن الفكري، وتحصين شبابنا من الأفكار الدخيلة الهدامة، وذلك من خلال استقطاب الشباب إلى مواقع حوارية هادفة تحاورهم وتجيب على تساؤلاتهم ، حيث تدار من قبل متخصصين في شتى المجالات، وتقوم بتوضيح الشائعات والملابسات في جميع قضايا الشبهات التي تنتشر، بحيث تكون هذه المواقع كمراجع موثوقة للعامة مع وضع مواد حول الوقاية من الإرهاب توضح كيف يمكن للشباب تحصين أنفسهم من مواقع الإرهاب والتطرف، ومعرفة السبل الناجحة للوقاية منها، والمتابعة والبحث عن جميع المواقع المشبوهة، وإغلاقها ، وضرورة الاستفادة من المتخصصين في مجال مواقع التواصل الاجتماعي، وإشراك الشباب في واحات وندوات حوارية تعمل على تعزيز الأمن الفكري ، وابتكار أساليب حوارية جديدة بما فيها الوسائل الفكاهية والطريفة في سبيل إيصال الأفكار السليمة للشباب بدلاً من طريقة الإملاء والفرص عليهم. مع ضرورة تعزيز دور الشباب في بناء المجتمع وأخذ رأيه واعطاء مساحة من الحرية بدلاً من التهميش الذي يؤدي إلى التطرف. (القاسم، ١٤٣٦)

وعليه فإن العمل على تفعيل دور الحوار عبر وسائل الإعلام الجديدة في تعزيز مجالات الأمن الوطني ضرورة ملحة، والاهتمام بتشجيع أفراد من المجتمع السعودي على المشاركة في الندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية ذات الصلة بالإعلام الجديد. وتذليل العقبات التي قد تُعوقهم، بما يحقق الأهداف المنشودة من رسالة الإعلام الموجه لكافة فئات المجتمع وخاصة الصغار والشباب منهم ، ويخلق جو فكري آمن .

المحور الرابع: ما أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي ؟

للإجابة على هذا التساؤل سنسلط الضوء على أهم المشكلات والتحديات التي تضعف من الحوار التربوي في المجتمع السعودي ومن ثم يتعين تحديد هذه التحديات الأكثر تأثيراً على استقرار الأمن الفكري بمفهومه الشامل على التفصيل التالي:

أولاً: التفكك الأسري

التفكك الأسري وانحراف الشباب من أهم نتائج افتقاد الاسرة للغة الحوار التربوي. فالأسرة مصنع الأجيال، ولكن مهمة رعاية الأبناء أصبحت في يد الخادمة والسائق نتيجة انشغال الابوين. حيث أن الأب والأم لا يعرفان أصدقاء أولادهم ولا يتحريان عن مستوى عائلاتهم. وأصبحت الأسرة مجزأة الى تكتلات لا أحد يعرف عن الآخر شيئاً مما زاد الهوة بين

أفرادها الأم هي أساس الأسرة، لكنها مشغولة اليوم بالخروج الى العمل، ولقاء الصديقات، وتعود إلى المنزل منهكة ولا تقوى على مباشرة ومتابعة دروس ابنائها، مما ترتب عليه غياب الحوار، فلم تعد تعرف مشاكل أولادها مما جعل الشاب والفتاة يشعران بالغرابة والتجاهل وأصبح لكل منهما عالمة الخاص. ومع كثرة القنوات الفضائية والجلوس أمام الكمبيوتر بالساعات قضى على النشاطات الاسرية المشتركة، وأصبح لكل فرد اهتماماته الخاصة، بالإضافة الى التفاوت الكبير بين الاجيال، فالجيل السابق غير راغب في قبول أفكار الشباب ودائماً يوجه إليهم الاتهامات، مما جعلهم يلجأون إلى الآخرين لمناقشة قضاياهم واحزانهم. ، وهذا يشكل خطراً على مستقبلها. إن انقطاع الحوار الاسري يعني فقدان التواصل بين العائلة الواحدة وقطع أواصر التلاحم، والمجتمع العربي بحاجة شديدة إلى الحوار لتوجيه الابناء الذين مازالوا في أول الطريق، ويحتاجون إلى من يرشدهم وينقذهم من العصابات المنتشرة في كل مكان التي تسعى الى السيطرة على عقولهم وأفكارهم. ويضعف من هويتهم الوطنية .

ثانياً - البث المباشر:

قبل أن أشرع في تناول البث المباشر باعتباره أحد التحديات التي تؤثر على استقرار الأمن الفكري تؤكد الباحثة بحتمية الانفتاح المنضبط على التقنية، لأنها على يقين أن عدم التواصل معها أمراً مستحيلًا من الناحية العملية، بل إن الانفتاح على التقنية يسعى إلى المعرفة والعلم لينهل منها ما يتفق وعقيدته وما يساعده في تحقيق ذاته، والمشاركة الايجابية في تنمية المجتمع، فضلاً عن متابعة ما يحدث على المعمورة من أحداث، ومن هذا المنطلق "فإن الارتباط المعاصر بين الإعلام بوسائله المختلفة، والسياسة الخارجية قد أحدث تأثيراً على الأفكار والاتجاهات لدى الرأي العام، حيث خطر الدعاية الاقتصادية والتجارية، وتسليط ثقافة على أخرى فضلاً عما تتضمنه البرامج من مواد إعلامية وثقافية هدامة تؤدي إلى الانحراف الفكري، وتؤكد الباحثة على تأثير البث المباشر حيث أن المجتمعات العربية هي الهدف الأول لهذا البث لأن أكثر البلدان في العالم التي تبث لها الإذاعات الموجهة من كل اتجاه تحت مظلة القرية الالكترونية أو القرية الكونية" . (الخشيم، ٢٠٠١، ص ٨)

ومن أهم أخطار البث المباشر بالنسبة لمجتمعنا:

١-استخدام هذا البث للتشكيك في العقيدة الإسلامية، بالتأثير على العقل وتأصيل المفاهيم الخاطئة.

٢-ضرب الوحدة الوطنية، وتقنين التلاحم الوطني.

٣-نشأة ظواهر وعادات وتقاليده تحت مسمى حرية الفكر والاعتقاد تخالف القواعد الشرعية الثابتة . (العمر، ١٤١٢، ص ٦٥).

ثالثاً : شبكات الانترنت

لقد أثرت شبكة الإنترنت على الأطفال والشباب وجعلتهم منعزلين؛ لِمَا تعرضه هذه الشبكة من برامج تجعل الطفل أو المراهق أو الشاب يبتعد عن والديه، ويقضي ساعات طويلة أمام هذه الشبكة، وظهر ما يعرف بـ(إدمان الإنترنت)، ومن مخاطر هذا الإدمان: الانعزال، وترك الحياة الاجتماعية لهذا المدمن، ونتيجة قضاء ساعات طويلة أمام شبكة الإنترنت فسند الشاب أو المراهق لا يَحْتَلِط بالناس ولا يُعَاثِرهم، وسيصبح منعزلاً متعوداً على الانعزال الاجتماعي، وتختفي لغة الحوار مع أفراد أسرته وأقاربه، على الرغم من أنه كان يحب العشرة والمعاشرَة الاجتماعية قبل الإدمان؛ (سبتي، ٢٠١١) . وفي المقابل فإنّ هذه الساعات تعني العزلة الاجتماعيّة عن الأسرة، وتعني الخمول الجسماني، وتعني الضغط والتوتر النفسي، فضلاً عن التأثيرات السلبية عليهم نتيجة الدخول إلى المواقع غير البريئة واللا أخلاقية. وهذا كله له آثاراً سلبية يشكل من أهم تلك السلبيات انحراف السلوك و زعزعة الهوية ، ونشر الفكر المضلل وبالتالي يؤثر على صحّة الشباب الفكرية (الهماش، ١٤٣٠) .

رابعاً: وجود فجوة في لغة الحوار بين المربين والشباب .

الفجوة بين الآباء والأبناء بكل أبعادها؛ العمرية والفكرية والثقافية وما يرتبط بدخول تكنولوجيات جديدة وتطور على مختلف الأصعدة... وغيرها.كلها من مسببات تأخر دور الحوار بين المربين والشباب ورغم أن لكل عصر خصائصه، فإن هذا ساعد في تباعد الفجوة بين الجيلين.

ومن أهم العناصر المكونة لذلك البعد :

١-الفجوة العمرية:

تعد الفجوة العمرية؛ أكثر الفجوات تأسيساً للاختلافات اللاحقة، فيقدر ما يبتعد جيل الأباء -زمنياً- عن جيل الأبناء، تتسع الفجوات الأخرى، وتضيق مساحة الالتقاء الفكري والثقافي وحتى اللغوي.

٢- الفجوة الفكرية:

لكل عصر طريقة تفكيره وقناعاته وأسلوب دراسة ومعلومات متوافرة، ما يساعد في خلق حالة فكرية معينة لدى أبناء الجيل الواحد، تختلف مع نظيراتها في الأجيال الأخرى. المشكلة الأساسية التي يخلقها وجود فجوات متعددة بين جيل الأباء والأبناء، تتمحور في موضوع التربية على الأغلب، الدينية والخلقية والسلوكية والثقافية والاجتماعية.. وغيرها. مما يتولد عنه اختلاف في لغة الحوار بين الطرفين وقد يصل بالمتحاورين إلى طريق متباين وينحوا إلى مسلك الجدال والاختلاف .

خامساً : ضعف مهارات الحوار التربوي لدى المربين وتأخر أساليبه في وقاية الشباب من الانحراف الفكري .

أن للحوار فنونه وأدبياته التي هي المفتاح الأول في الوصول للأهداف المنشودة منه ، وعليه كان لزاماً على كل مربى إتقان تلك الفنون مع الأبناء ولا سيما في مرحلة المراهقة حيث أنها مرحلة حرجية، ويحتاج التعامل مع الأبناء في هذه المرحلة إلى معرفة ابرز سماتهم الشخصية وخصائص نموهم وحاجتهم ليتم التعامل معهم وفق ذلك قدر الإمكان مع التحلي بالصبر وعدم استعجال النتائج ومن الملاحظ أن بعض الإباء قد يغفل أو يتجاهل أمور كثيرة أثناء التعامل مع ابنه المراهق. وخاصة أثناء الحوار معه ومن أهم الأساليب الخاطئة في الحوار مع الأبناء :

- ١ - عدم تقوية الوازع الديني عند الابن وربطه بخالفه.
- ٢ - عدم تمثيل ولي الأمر بالقوة الحسنة في تصرفاته المختلفة .
- ٣ - نقده أمام الآخرين وخاصة أمام أقرانه من أصدقاء وأقارب... الخ .
- ٤ - التهجم عليه أمام معلميه وزملائه بألفاظ غير مناسبة أو ضربية .
- ٥ - استخدام أسلوب التحدي والمواجهة وإجباره على أفعال وسلوكيات محددة .
- ٦ - إشعاره بشكل مستمر بأنه مراقب .
- ٧ - الشك في صدق كلامه بشكل مستمر .
- ٨ - عدم تكليفه بمسؤوليات أسرية أو اجتماعية وإشعاره بأنه مازال صغيراً .
- ٩ - تلبية جميع مطالبه ورغباته الخاطئة مثل ترك المدرسة وتلبية حاجاته مهما كانت دون قياس الأبعاد وخطورة تلبية بعض الحاجات على الآخرين .
- ١٠ - عدم توجيه الابن إلى كيفية اختيار الصديق السوي وترك الحرية له لاختيار أصدقائه .
- ١١ - ترك الابن يخلو بنفسه لفترات طويلة داخل المنزل.

وبذلك فإن الحوار لا يؤتى ثماره ولا تجنى فوائده ، وتلك من أهم المعوقات التي تجعل الشباب منغلقاً فكرياً ومنعزلاً عن الآخرين مما قد يشكل خطراً عليه من العديد من الجوانب ومنها الاغتراب الفكري ، وزعزعة الهوية الإسلامية لديهم وبالتالي الوقوع في العديد من المشاكل العقائدية ، كما تبعث هذه الأساليب في نفس المراهق الشعور بعدم أهميته وهذا يشعره بعدم الانتماء لهذه الأسرة ، والوقوع في العديد من المشكلات السلوكية والتربوية والنفسية والمدرسية . (فلمبان، ٢٠٠٨)

وبعد عرض أهم المعوقات التي تحد من دور الحوار الناجح في تعزيز الفكر الأمن لدى الشباب، تؤكد الباحثة على ضرورة الحد من تلك المعوقات وتوجيه اهتمام التربويين لحماية النطاق الفكري والثقافي للأبناء وأن تعتبر ذلك أساساً من أساسيات عناصر أمنها الوطني، ولا سيما الهجمة الشرسة التي يتعرض لها شباب المسلمين اليوم من أعداء الإسلام بما قد يوقع الشباب في الانحراف ثقافياً وفكرياً ومن ثم فقد هويتهم الإسلامية. كما أنه لا بد من إعادة النشاط العلمي والبحث الاجتماعي لإعادة دور الحوار المتمدن والمتأصل في المنهج القرآني والسيرة النبوية بما قد يساعد في تحقيق الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية و التغلب على التحديات التي تنزع إلى محو الهوية الثقافية وآليات تعزيز الهوية الوطنية والإسلامية .

المحور الخامس : ما التصور المقترح للحوار التربوي لتعزيز الأمن الفكري لدى الشباب؟

للإجابة على هذا التساؤل قدمت الباحثة برنامج مقترح حوارى لتعزيز الأمن الفكرى لطلاب وطالبات المرحلة الثانوية ، وفق تصور مقترح تضمن جانباً نظرياً علمياً يشمل العناصر الآتية وجانباً تطبيقياً تم تقديمه لطالبات المرحلة الثانوية للعام ١٤٣٦/١٤٣٧ هـ . حيث تم بناؤه وفق استراتيجيات وأدبيات تتوافق مع منهجية البحث العلمى فى بناء البرامج التربوية، وقامت الباحثة بالتأكد من مكونات التصور المقترح من خلال عمليات البناء كإحدى خطوات بناء التصور المقترح وتمثلت مكونات التصور المقترح فى التالى :

١- الأهداف العامة والخاصة للتصور المقترح .

٢- الأسس والمنطلقات للتصور المقترح .

٣- مداخل تطبيق التصور المقترح .

٤- تطبيق التصور المقترح وفق برنامج (حاورينى لتعريفينى) .

اعتمدت الباحثة فى تخطيطها العام للتصور المقترح على النقاط التالية :

أ- الفئة التى تم بناء التصور المقترح لها .

ب- وضع هذا التصور المقترح لطلاب وطالبات المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية .

أولاً - أهداف التصور المقترح .

نجد أن تحديد أهداف التصور المقترح ذو أهمية عالية ويرجع ذلك إلى كونها تساعد على تحديد الخدمات والبرامج والإجراءات والأعمال التى توجه إلى المستهدف من التصور، الذى بدوره يؤدي إلى تحديد الأنشطة والمهارات الخاصة المطلوبة فى الفئة المستهدفة، ومن هنا نجد لأن أهداف التصور المقترح تتمثل فى جانبين :

١ - الهدف العام من التصور المقترح .

ويهدف هذا التصور المقترح إلى تحقيق الهدف العام من دور الحوار التربوي فى تعزيز الأمن الفكرى للشباب .

٢- الأهداف الخاصة من التصور المقترح .

بناء تصور مقترح لتعزيز الأمن الفكرى لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية فى ضوء التجارب المحلية والعالمية المعاصرة للحوار من خلال مدخل مستقل لتعزيز الأمن الفكرى .

ويندرج تحت هذا التصور العام العديد من الأهداف الخاصة وهى :

- تزويد الطالب والطالبة بالمهارات الحوارية اللازمة لتعزيز الأمن الفكرى لديهم .

- تدريب الطالب والطالبة على استخدام المهارات الحوارية للقائمة على تعزيز الأمن الفكرى.

ثانياً : الأسس والمنطلقات للتصور المقترح :

قامت الباحثة عند بناء التصور المقترح بمراعاة بعض الأسس والمنطلقات اللازمة لتعزيز الأمن الفكرى لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية ، وتمثل هذه الأسس والمنطلقات فى :

- إمكانية تنفيذ التصور المقترح وخاصة فى جانبه التطبيقى على طلاب المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية .

- قدرات طلاب وطالبات المرحلة الثانوية والفروق الفردية بينهم ومتطلباتهم وحاجاتهم .

- سياق التصور المقترح أو مفاهيم الأمن الفكرى والحوار ضمن المقررات الدراسية أو أنشطة صفية ولا صفية فى المدرسة الثانوية .

ثالثاً: مداخل تطبيق التصور المقترح

ويتم تطبيق وتنفيذ التصور المقترح لتعزيز الأمن الفكرى لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية من خلال ثلاثة مداخل رئيسية هى

- المدخل المستقل

- المدخل التشريبي

- المدخل التكامل

والجدول التالي يوضح المفاهيم التي يجب أن يجري تشريبها لمقررات الصف الأول الثانوي في المرحلة الثانوية والكفايات الأساسية المتوقع تحقيقها بعد التدريب .

الصف الأول الثانوي	الصف الدراسي
النقاش	المفاهيم
الحوار	
الطرف الاخر	
الإصغاء والاستماع والإنصات	
التعصب للراي	
الغضب	
الفحش في الكلام	
الغلو والتطرف	
الخلاف	
نقاط الاتفاق	
نقاط الاختلاف	
حسن النقاش والحوار	الكفايات الأساسية المتوقع تحقيقها
احترام الطرف الاخر	
حسن الإصغاء والاستماع والإنصات	
البعد عن التعصب للراي	
البعد عن الغضب	
حسن الظن	
البعد عن الفحش في الكلام	
البعد عن الغلو والتطرف	
حق الاختلاف والبعد عن الخلاف	
الوصول الى نقاط الاتفاق والاختلاف	

والجدول التالي يوضح المفاهيم التي يجب أن يجري تشريبها لمقررات الصف الثاني والثالث الثانوي في المرحلة الثانوية والكفايات الأساسية المتوقع تحقيقها بعد التشريب .

الصف الثاني والثالث الثانوي	الصف الدراسي
الكلام الطيب	المفاهيم
البيان	
قصد الحق	
أراء الاخرين	
اللجج ورفع الصوت	
وجهات النظر المختلفة	
الحرية	
التعبير عن الراي	
الديمقراطية	
الاعتدال	
حوار الحضارات	
الموضوعية	
التعددية الثقافية	

الكفايات الأساسية المتوقع تحقيقها	حسن البيان والكلام الطيب
	التجرد بالحديث وقصد الحق
	احترام آراء الآخرين
	عدم اللجاجة ورفع الصوت أثناء الحوار
	احترام وجهات النظر المختلفة
	الحرية في الرأي
	التعبير عن الرأي بحرية تامة
	الاعتدال وعدم الانفعال أثناء الحديث
	الموضوعية أثناء الحوار والحديث
	الإيمان بالتعددية الثقافية في المجتمع

رابعاً : تطبيق التصور المقترح من خلال برنامج (حاوريني لتعرفيني)

يتم تنفيذ التصور المقترح لتعزيز الأمن الفكري لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية في ضوء النماذج والتجارب المحلية والعالمية المعاصرة للحوار، ويتضح ذلك من الشكل التالي :

الهدف	المرحلة	الصف
الهدف العام : تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية في ضوء النماذج والتجارب العالمية والمعاصرة للحوار ويتضمن الأهداف التالية :	الثانوية	الأول
- تزويد الطالب والطالبة بالمهارات الحوارية اللازمة لتعزيز الأمن الفكري لديهم .		الثاني
- تدريب الطالب والطالبة على استخدام المهارات الحوارية القائمة على تعزيز الأمن الفكري .		الثالث

البرنامج المقترح (حاوريني لتعرفيني)





أولاً: مقدمة

إن من أهم أهداف التربية هو إعداد الطلبة إعداداً جيداً للتغلب على المشكلات التي قد تعترضها في حياتها المستقبلية ، و تزويدها بالمعلومات و المهارات التي تفيدها في حياتها، وتعويدها على التكفير الصحيح والمنظم يضمن لها مستقبلاً مزدهراً و حياة آمنة. وحيث أن المدرسة هي قاعدة الهرم التعليمي. لذا فإن حياة الطلبة في المدرسة تشكل العديد من جوانب شخصيتها وتكوين معارفها وتنمية مهاراتها ، من خلال المشاركة و التفاعل في المواقف التربوية داخل الصف و خارجه. وعليه كانت فكرة هذا البرنامج الإثرائي، حيث هدفت الباحثة إلى تزويد الطالبات بالمعلومات العلمية التطبيقية المناسبة لقدراتهم الأساسية ، و مساعدتهم على اكتساب الفهم ، وأنماط السلوك المرغوب من خلال استراتيجيات متنوعة تستخدم فيها لغة الحوار كأداة هامة في تحقيق أهداف المنهج وفق أدبيات و فنون ناجحة تجعل من الحوار لغة مشتركة تبنى جسور العلاقات و تقرب وجهات النظر، و تقبل الرأي الأخر بموضوعية و نظرة حيادية بما يقرب المسافات للوصول إلى رؤية و رسالة مشتركة ترتقي بالطلبة نحو الكمال و النجاح، وتعزز من هويتها الوطنية .

وبناءً على التصور السابق قامت الباحثة بإعداد برنامج تدريبي لطالبات المرحلة الثانوية بما يتلاءم مع مسلمات وأسس التصور المقترح ، ليكون دليلاً عملياً للمعلمة ، يساعدها في تعزيز دور الحوار وربطه في العديد من الميادين التربوية ، بما يتلاءم مع خصائص الطلبة في مرحلة الثانوية، وقد تم بناء هذا البرنامج من مزيج الخبرة الميدانية والبحوث العلمية للباحثة، كما استعانة الباحثة بالعديد من الكتب والدراسات العلمية في تنظيم محتوى البرنامج، و إخراجه، و تبويب بحوثه و إعداد أنشطته .

ثانياً: فلسفة البرنامج

ينطلق هذا البرنامج من مبادئ أهمية الحوار ومشاركة الطلبة فيه من خلال لقاءات وجلسات حوارية تربوية داخل الفصل وخارجه، وتوفير فرص كافية ومتنوعة لتساعدها على ممارسة هذا الدور من خلال أنشطة تعليمية هادفة ومخططة، وذلك وفق أدبيات الحوار وفنونه بإطار مرن واستخدام استراتيجيات حديثة تتجلى فيها روح العمل الجماعي والفريق الواحد تحقيقاً للمعرفة المتكاملة. واستناداً إلى أهم مبادئ التربية التي تلخص في أن (الممارسة تصنع الجودة) PraCtice Makes perfect فالغرض الاساسي من هذا البرنامج هو بلورة أهداف الحوار التربوي إلى واقع ملموس من خلال حوارات متنوعة تنشط المعرفة والثقافة لديها، وتعزز الهوية الوطنية للطلبة وتحقيق ركائز الأمن الفكري لديها .

ثالثاً: خصائص الفئة المستهدفة بالبرنامج:

هذا البرنامج موجه لطالبات المرحلة الثانوية على اختلاف الأنظمة التي تدرس فيها (نظام عام، نظام مقررات، النظام الفصلي.. الخ)، ولكافة المستويات (أولى، ثاني، ثالث) ثانوي.

حيث أن المرحلة العمرية لتلك الفئة تتراوح ١٤-١٧ سنة وتتميز هذه المرحلة بالتوافق والتقارب بين الخصائص العمرية وتتميز بالتغيرات المتسارعة في كافة الجوانب (الجسمية، النفسية، العقلية، العاطفية، الاجتماعية) ومن خصائص تلك المرحلة السعي الى تحقيق الذات والاستقلالية، كما تميل الطلبة في هذه المرحلة إلى تكوين العلاقات والصدقات مع من يتوافق معها في اهتماماتها، وتلك حاجة بيولوجية لا بد من اتباعها، وكذا تشكل لدى الطلبة العديد من المفاهيم والقيم والمبادئ التي ترسم لها طريقاً لمستقبلها.

ومن هنا برز أهمية الحوار وفنونه لتمكين الطالبة من حقها في إبداء الرأي، والمشاركة بالتعبير عن أفكارها وتصحيح معتقداتها حتى لا تنساق خلف تيار الغزو الفكري، وكما أن احتواء الطالبة في مجتمع محاور يتيح لها فرصاً لإشباع حاجاتها وتحقيق النمو المتكامل لشخصيتها.

رابعاً: أهداف البرنامج

الهدف العام للبرنامج:

يهدف هذا البرنامج إلى إكساب طالبات المرحلة الثانوية لمهارات الحوار وآدابه وتدريبهن على المشاركة الفعالة بحيث تكون الطالبة مركز العملية التعليمية بمشاركة المعلمة ومن خلال عرض المواقف التي تعزز من دورها بالحوار، و المناقشة الحرة وتدعم المسؤولية الاجتماعية لديها، بما يعزز الأمن الفكري لديها .

الأهداف التفصيلية للبرنامج:

يتوقع من الطالبة في نهاية هذا البرنامج أن:

تبادر بالمشاركة في الأنشطة والبرامج التي تتضمن حوارات تربوية.

تعرض أفكارها بتسلسل منطقي ومنهجية واضحة.

تتغلب على مشاعر القلق والخجل أثناء الحديث.

توظف مفردات اللغة العربية بطريقة سليمة أثناء حواراتها.

تتابع باهتمام الأفكار التي تطرح خلال جلسات الحوار.

تناقش الطرف الآخر بحجة وبرهان و موضوعية.

ترتقي باهتماماتها الفكرية وتشارك الآخرين بأرائهم واهتماماتهم.

تزاعي معايير السلوك الاجتماعي أثناء الحوار لبناء جسور من الود والاحترام.

تبتعد عن التعصب الفكري وتتقبل الرأي الآخر.

الدافعية عند الطالبة بما يؤدي إلى نموهم الفعلي والمعرفي.

خامساً: محتوى البرنامج:

تم اختيار موضوعات هذا البرنامج لتتناسب مع خصائص مرحلة طالبات المرحلة الثانوية وحاجاتهم وميولهم. مما يزيد من دافعيتهم للمشاركة في الحوار وقدرتهم على تطبيق الموضوعات في مواقف جديدة. وعليه فقد اختارت الباحثة الموضوعات في ضوء الاعتبارات التالية:-

- أن تكون الموضوعات مما يقع في نطاق اهتمامات الطالبات، ويلبي حاجاتهن وميولهن.

- أن تحقق التكامل في شخصية الطالبة المثقفة.

- أن تتناسب وتتكامل مع أهداف المواد الدراسية التي تقدم للطالبة في هذه المرحلة.

- أن ترتبط الموضوعات بالقضايا والمشكلات التي تهم المجتمع في مختلف الميادين.

- أن تحتل الموضوعات الاختلاف وتعدد الآراء بشأنها.

- أن تبتعد الموضوعات عن المسائل التي تثير الطبقية والنزعات القبلية والطائفية بين الطالبات.

وفي ضوء هذه الاعتبارات السابقة تمارس الطالبة دورها بالحوار بمناقشة جماعة الصف والمعلمة المشرفة على سير البرنامج.

سادساً: من المواضيع التي يحتوي عليها البرنامج:- .

كوني سفيرة لوطنك.

حاوريها لا تنازعها.

الفتاة السعودية في عدسة الإعلام.

التوازن سر النجاح.

وقد حددت الباحثة هذه الموضوعات من خلال الرجوع الى الموضوعات المقررة على طالبات المرحلة الثانوية في اللغة العربية والتربية الدينية والمواد العلمية والأدبية، مع الوضع بالاعتبار للقضايا والموضوعات التي تشغل المجتمع حالياً، وتمثل أهمية خاصة بالفئة المستهدفة حيث أن الفتاة لها مكانة خاصة في الاسلام وأخذت تتبلور تلك المكانة في المجتمعات المعاصرة، من كونها طفلة ثم طالبة تتدرج في مراحلها التعليمية إلى حين تبرز إلى المجتمع امرأة مثقفة عاملة وبالوقت نفسه وهي أم عظيمة لأسرة واعية .

وتدور محاور هذا البرنامج حول:-

المحور المعرفي. ويشمل ما يأتي :

تعريف الطالبة بحقوقها وواجباتها.

تعرف الطالبة بأساليب تطوير الذات وبناء المعرفة.

تعرف الطالبة بأسس العلاقات مع الآخرين في ضوء القيم والمعايير الإسلامية.

المحور الوجداني: يهدف الى تأكيد الآتي:-

تنمية روح الأخوة والإيثار وإنكار الذات.

احترام الآخرين و الانتماء إليهم.

تعزيز روح التعايش السلمي مع الآخر المغاير للهوية.

تدعيم معاني الهوية الوطنية.

المحور المهاري: يهدف إلى اكساب الطالبة ما يأتي:

مهارة المبادرة.

العمل الجماعي التعاوني.

مهارة التفكير الابداعي والنقدي.

مهارة إدارة الحوار مع الآخرين.

سابعاً : الاستراتيجيات والأنشطة المقترحة لتقديم موضوعات البرنامج:

تتطلق الأساليب والاستراتيجيات المقترحة في هذا البرنامج من الفلسفة التي يقوم عليها وهي تعزيز دور الطالبة لممارسة فنيات وأداب الحوار في مجالات متعددة ومواقف متنوعة، داخل الفصل وخارجه، وترتبط باهتماماتها وميولها، وتلبي احتياجاتها وتطلعاتها نحو النمو المعرفي والنفسي والاجتماعي المتكامل. وحيث أهمية الوسيلة في تحقيق أهداف البرنامج وتدعيم المفاهيم، تقدم الباحثة بعض من الاستراتيجيات الحديثة التي تعين الطالبة أثناء تقديم البرنامج، بما يحقق تفاعلاً ومشاركةً ومن تلك الاستراتيجيات ما يلي:

المناقشة الجماعية:

مثل عقد اللقاءات والندوات لدراسة موضوع معين بعد الاعداد له.

المناظرات بين الطالبات:

حول أحد الموضوعات التي يختلف آراؤهم حولها.

الألعاب الجماعية:

التي تساعد الطالبات على إتقان فنيات الحوار وأدابه. مثل لعبة البحث والتقصي: والتي تعتمد على قدرة المسابقات في التوصل إلى الحل الصحيح من خلال طرح أسئلة حول شيء ما. حيث تمارس فيه مهارات صياغة الأسئلة وترتيب الأفكار والاستنتاج المنطقي.

الألعاب الفردية: والتي تنمي لدى الطالبة المهارات اللغوية في الحوار ومنها:

لعبة المفردات الغريبة: والتي تبدأ بسرد حكاية قصيرة عن حدث معين ويتدخل طرف ثاني في إعطاء الطالبة مفرد لغوية جديدة بعيدة عن الموضوع وتحاول الطالبة استخدامها ضمن سياق النص بطريقة صحيحة. وفي هذه اللعبة تتدرب الطالبة على مهارة التواصل اللفظي وصياغة الأفكار بسلاسة ومنطقية كما تضيف جواً من المرح والتعاون بين الطالبات.

استكمال حوارات ناقصة:

بحيث تبدأ إحدى الطالبات بسرد موضوع معين وتطلب من المجموعات إكمال الأحداث المتوقعة لنهاية القصة أو الموضوع، مما يساعد على التفكير النقدي والإبداعي وتنمية الخيال الفكري.

تقويم حوارات مسجلة:

من خلال عرضها أثناء البرنامج، ثم يتم مناقشة الآراء حول موضوع الحوار والأفكار التي طرحت وأداء المشاركين، من حيث آليات الحوار وأسلوب التعبير، بما ينمي لدى الطالبة التحليل النقدي والموضوعي .

٧- العصف الذهني:

وتستخدم في استعراض الآراء والأفكار التي عرضت بالبرنامج ومناقشتها، وماهي الآراء الصحيحة والخاطئة، ويتبع جلسات العصف الذهني حلقات حوار جماعية لاستخلاص وتلخيص الأفكار، ثم تدوينها، و طرحها للمناقشة مع المجموعات الأخرى.

التمثيل وتقليد الأدوار:

حيث تنمى الطالبة دور أحد الشخصيات التي هي موضوع الحوار، وتقوم المجموعات معاً على قراءة موضوع الحوار وتقييم المواقف المرتبطة به في جو من التعاون والمرح.

المقابلة التلفزيونية:

تجرى أحد الطالبات حواراً فردياً أو جماعياً، تحكي دور الإعلامية بالقنوات الفضائية وهي تنقل الأخبار الهامة للجماهير، أو تدير مقابلة مع الشخصيات الهامة، ومن خلالها يتم مناقشة موضوع الحوار ومشاركة المجموعات بالرأي والفكر.

ثامناً : الوسائل والأدوات المستخدمة في البرنامج:

جهاز عرض مرئي، الحاسب الآلي، التسجيلات الصوتية لنماذج من الحوارات واسترجاعها، مكبرات الصوت، مقاطع فيديو، السبورة الالكترونية، السبورة الورقية، بطاقات المجموعات، ألعاب تعليمية.

تاسعاً: الأهداف المنشودة

لتحقيق أهداف البرنامج يتطلب من المعلمة ما يلي:

تعزيز دور الطالبة أثناء تقديم البرنامج.

المشاركة في الحوارات والألعاب التي تثرى الحوار بين المجموعات.

تحقيق الانضباط داخل الفصل بالاشتراك مع الطالبات لتعوديهم على تحمل المسؤولية.

توفير بيئة صافية للطالبة تشجعها على الحوار التربوي.

تنمية روح التعاون بين الطالبات وتعزيز العمل الجماعي لديهم.

توفير مصادر متعددة للتعلم لتساعد الطالبة على ممارسة الأنشطة وإنجاز المهام.

تحقيق المرونة في إدارة الموقف في ضوء المواقف المستجدة.

تنمية الثقة لدى الطالبة ومساعدتها على الذات.

تمكين الطالبة من حقها في المشاركة و الحوار داخل الصف من خلال المواقف التعليمية وخارجه.

دعم المبادرات الأدبية والعلمية والمشاركات الابداعية للطالبات على كافة المستويات.

عاشراً: خطة تطبيق البرنامج:

يشمل هذا البرنامج (٤) وحدات حوارية، تضم كل وحدة (٥) أنشطة متنوعة، بحيث تقسم خلال السنة الدراسية الواحدة موزعة بين الفصل الدراسي الاول والثاني بالتساوي ويخصص لكل (نشاط) أسبوعاً كاملاً، لتشارك الطالبات بالحوار من خلال الإذاعة الصباحية، الأنشطة اللامنهجية، مجالس الحوارات المدرسية، الندوات والدورات التدريبية، ورش العمل، البرامج التطوعية. كما يخصص وقتاً يسيراً من الجدول الدراسي خلال اليوم الدراسي الواحد لتقديم موضوعات البرنامج داخل الفصل وذلك قبل نهاية الحصص (ب عشرة دقائق)، وكذا خلال حصص الانتظار.

إحدى عشر: فنيات عند ممارسة أنشطة البرنامج:

قراءة تفاصيل اللعبة أو الاستراتيجية المقترحة قبل تنفيذها بوقت كاف، وذلك لرسم نهج التنفيذ وتقسيمه إلى خطوات عملية، وتحديد الوقت اللازم لكل استراتيجية وفق الوقت المحدد لتنفيذ البرنامج.

رصد الأدوات والوسائل المطلوبة (رسومات، لوحات، مطبوعات، أدوات عرض.. إلخ) والتأكد من صلاحيتها وجودتها قبل الشروع في التنفيذ.

تقسيم الأدوار بين الطالبات خلال الأسبوع الواحد، يبحث تشارك كل طالبة في مجال من مجالات المدرسة بالحوار التربوي ضمن الوحدة المقترحة.

تنويع الاستراتيجيات المستخدمة في تقديم البرنامج مما يحقق أهدافه وتترك الحرية للطالبة في اختيار أساليب العرض والأنشطة المقترحة لتنفيذ موضوع البرنامج.

تحقيق مبدأ الديناميكية والمرونة أثناء تقديم البرنامج بما يتلاءم مع مرحلة الطالبة الدراسية (أولى، ثاني، ثالث) ثانوي، بحيث يتم تطوير عناصر الحوار وآلياته وفق المتغيرات والمستجدات الدائمة داخل المجتمع المدرسي وخارجه.

يسمح البرنامج بإضافة موضوعات أخرى مقترحة من المعلمة والطالبة وبما يتناسب مع المستجدات في الميدان التربوي والتعليمي .

إثنى عشر: قواعد هامة في الحوار:

الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

الانتماء لا يلغي ذاتية الفرد.

لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

نبذ العصبية القبيلة والثقة العمياء.

من قل علمه كثر انتقاده.

ما يجمع البشر من صفات أكثر من تلك التي تفرقهم

الوحدة الأولى



أهداف الوحدة

تعزيز الهوية الوطنية لدى الطالبة في المرحلة الثانوية .

تقديم صور إيجابية للمواطنة السعودية أثناء حوارها مع مختلف الشعوب والديانات .

تبني الطالبة لسياسة التقارب والتعايش بين الحضارات .

النشاط الأول :

لعبة : اختاري ثلاثة من البطاقات التي تحدد هويتك بوصفك مشاركة في حوار الحضارات : الوطن ، اللغة ، العمر ، الجنس ، المنطقة الإقليمية ، الموقع الجغرافي ، المظهر ، الدين ، الحضارة .

ستلاحظي أن الأمور المذكورة جميعها تمثل جزءاً من محددات هويتك . ولكن عليك أن تختاري منها الأمور الأكثر تأثيراً وارتباطاً بحوار الحضارات ولعلك توافقي الرأي أن أبرزها :



خطوات النشاط :

تختار الطالبات بطاقات تحدد هويتهم .

تتحدث كل طالبة عن أهمية التمسك بالدين والالتزام بأخلاقيات الإسلام أثناء محادثة الآخرين .

تتداول الطالبة المقدمة للنشاط مع صديقاتها حول الحقوق التي كلفها الإسلام للمرأة وصونه لكرامتها . ثم يدور نقاش حول أهم قضايا المرأة السعودية بوجه خاص .

تتركز المجموعات أيضاً في حواراتها حول مكانة المملكة العربية السعودية بين الدول ومبادراتها لإحلال السلام في الشرق الأوسط .

تتحدث كل طالبة عن أهم العادات والقيم في المجتمع السعودي وضرورة التمسك بها .

التركيز في الحوار على سياسة التسامح والتعايش والتقارب بين الحضارات .

تعطي كل طالبة مثلاً واقعياً عن أهم الصور الإيجابية التي يجب إبرازها أمام الآخرين لتبلور شخصية الفتاة السعودية المتميزة بتمسكها لدينها وحبها لوطنها .

النشاط الثاني :

مناقشة مقولات لأبرز المفكرين حول دور الحضارة الإسلامية في النهضة ومنها :

مقولة المستشرق سان سيمون : (إن الدراسات لبنيات الحضارات الإنسانية المختلفة لا يمتلكه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية لأوروبا الحديثة) .

خطوات النشاط :

- يبدأ النشاط بمناقشة المقولة واستخراج أهم العناصر التي تركز على دور الحضارة الإسلامية .

- أهمية الإمام بالحضارة الإسلامية استعداداً للمشاركة في حوار الحضارات .
- سرد أهم الإسهامات ونقاط القوة في الحضارة الإسلامية .
- عرض بعض الأساليب الناجحة في الحوار مع الآخر أثناء الحديث عن الحضارة الإسلامية بما يليق بمكانتها.
- تلخص الطالبة المحاور لزميلاتها عن أهم محددات الحضارة الإسلامية التي قامت عليها نهضة الحضارات الإنسانية الأخرى.

النشاط الثالث :

عرض مشهد تمثيلي بمشاركة بعض الطالبات ، بحيث تختار كل طالبة شخصية لإحدى الجنسيات الفتاة (السعودية ، العربية) (أي جنسية تختارها) ، و الفتاة الغربية (أي جنسية تختارها وأي ديانة تختارها) .

خطوات النشاط :

يبدأ المشهد التمثيلي بزيارة الفتاة السعودية لإحدى الدول الأوروبية بغرض الدراسة .
تتعرف الفتاة السعودية على الفتاة العربية خلال فترة إقامتها .
تتعرض الفتاة السعودية للعديد من المواقف الصعبة والحرجة تتجلى فيها شخصيتها الإسلامية وهويتها العربية بما يمثل نموذجاً حياً للفتاة المعتزة بدينها وقيمها ووطنها .
يدور حوار مع الطالبات حول بعض المشاهد المتكررة والمشابهة لهذا المشهد في الحياة الواقعية من قبل طالبات مبتعثات للدراسة خارج المملكة العربية السعودية أو بهدف السياحة أو لأهداف أخرى .
تناقش الطالبة التي تدير الحوار مع زميلاتها أهم الركائز التي يجب اعتبارها أثناء حوارنا مع الآخرين ومنها (الصدق ، أمانة ، السماحة ، التعاون ،... الخ) . ونبذ التعصب والتفرقة العنصرية ، وأسلوب التهيب في الدعوة إلى الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)
سورة (النحل) آية : ١٢٥ . وكذا خطاب الله تعالى لرسوله الكريم في قوله : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك) (آل عمران: ١٥٩) .

النشاط الرابع :

سرد قصة من حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش ، أو مع اليهود ومنها (قصة حلف الفضول ، جنازة اليهودي ، قصة أم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها) .

خطوات النشاط :

تسرد إحدى الطالبات قصة مختارة ، أو تختار أي قصة أخرى من خلال اطلاعها على كتب من صحيح السنة النبوية) .
تنبه الطالبة المسئولة عن النشاط على أهم أدبيات الحوار ومنها : الإنصات والاستماع أثناء سرد القصة .
يدور الحوار بين الطالبات حول أهم المشاهد في القصة والتي يتجلى فيها شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) في حواراته مع الآخرين على اختلاف دياناتهم وأجناسهم .
تلخص الطالبة أهم الفوائد المستخلصة من القصة وكيفية الاستفادة منها في حوارنا مع الآخرين .

في نهاية النشاط :

تناقش المعلمة المشاركة للحوار مع الطالبات إجابات الأسئلة التالية :

- كيف تكونيني محاورة ناجحة مع الآخرين المختلفين عنك في (جنسيتك ، دنيبتك ، وطنك) ؟

- ماهي أساليب الدعوة إلى الله ؟

-هل سبق أن تعرضتي لموقف صعب في حياتك؟ وكيف كانت سمات شخصيتك في هذا الموقف ؟

حلقة نقاش :

أختي الطالبة : ناقشي مع مجموعتك موضوع (هموم مسافرة)

إذا عزمتي على السفر فاتركي همومك ، ولا تحزميها معك في حقائب سفرك .

وتلذذي بكل لحظة من سفرك . فالسفر الحقيقي هو سفر الشعور لا سفر الأجساد وبذلك تكونين متفائلة وسعيدة.

النشاط الخامس :

جلسات العصف الذهني للإجابة على سؤال الوحدة :

كيف تكونيني سفيرة صالحة لوطنك أمام الآخرين؟؟

خطوات النشاط

تكون الطالبة المسؤولة عن النشاط مجموعات للعمل ، بحيث تتكون كل مجموعة من (٦) طالبات . ويتم تحديد القائدة لكل مجموعة .

تختار كل مجموعة اسم لها بحيث يمثل محددات الهوية السعودية .

تبدأ حلقات العصف الذهني للإجابة على سؤال الوحدة (كيف تكونيني سفيرة صالحة لوطنك أمام الآخرين) ولمدة (٥) دقائق.

تطرح كل مجموعة إجاباتها وتناقش الطالبة زميلاتها في محددات الشخصية للفتاة السعودية أثناء حوارها مع الأخر .

تلخص الطالبة من خلال الحوارات أهم الإجابات التي تعد ركائز لشخصية الفتاة التي تمثل دينها و هويتها ومبادئها أمام الآخرين الذين هم من جنسها أو الذين يختلفون عنها في (الدين ، الجنس ، الحضارة) .

أهداف الوحدة

النشاط الأول :

مشهد تمثيلي : بين فتاتان تجلسان مقابل بعضهما في مكان عام ثم يبدأ الحوار بينهما

الفتاة الأولى : تنظر إلى الفتاة الثانية وتعيد النظر عدة مرات .

الفتاة الثانية : تظهر الريبة على وجهها من خلال نظرات الفتاة الأولى .

الفتاة الأولى : تقترب من الفتاة الثانية وتتحدث معها بأسلوب تعالي وغطرسة وبصوت عالي .

الفتاة الثانية : تستغرب من أسلوبها وتحاول أن تنتهي الحوار وتصرف .

خطوات النشاط :

- بعد عرض المشهد التمثيلي يدور حوار جماعي حول مشاهدات الطالبة ورأيهم بتصرف الفتاة الأولى وما هي المبررات التي كانت من وراء سلوك الفتاة .

- تستخلص الطالبات أهم أخلاقيات المحاورة والتي يجب التحلي بها أثناء الحوار .

- يتم التأكيد على أهمية التقارب والتعارف والمعايشة مع الآخرين . مصداقاً لقوله تعالى (وكذلك جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله اتقاكم) السورة : النساء آية : ١٣



النشاط الثاني : لعبة (الوزن الزائد)

فكرة اللعبة :

تعرض الطالبة حقائب تحوي عدد كبير من الكتب - الأدوات الشخصية - ملابس ... إلخ مما يجعل وزن الحقائب ثقيل جداً ثم تطلب من مجموعة من الطالبات المشاركات حمل الحقائب الثقيلة على أكتافهم . وأثناء ممارسة هذه اللعبة يتم التعبير والإفصاح عن مشاعر الغضب أو الإحباط الذي ينتابهم من جراء النزاع أو الصراع خلال الحديث مع بعض الأشخاص المخالفين لنا بالرأي .

وبعد استخراج محتوى الحقائب ووضع الأشياء التي يرونها ضرورية فقط وهي ما يحتاجونها في سفرهم أو مدرستهم وجعلها أقل وزناً ثم إعادة حملها وأثناء ذلك يحاولون التخلص من المشاعر السلبية التي بداخلهم من خلال الحوارات الخاطئة مع الآخرين لأنهم اكتشفوا أنهم لم يعودوا بحاجة حقيقة إليها .

خطوات النشاط :

- بعد شرح خطوات اللعبة يتم اختيار مجموعة من الطالبات للمشاركات باللعب .

- يدور حوار بين المجموعات بمشاركة المعلمة حول أهداف اللعبة ومنها :-

- أهمية الحوار التربوي الذي يتسم بالاستماع والإنصات لوجهات النظر المختلفة .

- التركيز على الهدف الأساسي من الحوار وهو التقارب الفكري لا التنازع القبلي .

- التنكير بأن الخلاف لا يفسد للود قضية .

- أن طرد الأفكار السلبية التي بداخلنا يجعل من شخصياتنا الأثر والفائدة لمن حولنا .

النشاط الثالث :

سرد قصة من القرآن الكريم أو من السيرة النبوية تحكي موقفاً نبيلاً
لشخص المحاور الجيد عند وجود خلاف بين الأطراف المتنازعة للحوار
ومنها (قصة إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه)

خطوات النشاط :

- تسرد إحدى الطالبات القصة المختارة ويستمع الطالبات إليها .
- تكتب كل مجموعة أهم الفوائد المستخلصة من القصة والتي تدعم أهمية الحوار لا النزاع .
- تشارك المعلمة برأيها حول قضية الاهتمام بالحوار السلبي ونبذ الصراع الأعمى .
- تختار الطالبة المشرفة على النشاط قصص أخرى تتناول موضوع الحوار وضرورة الالتزام بأدابه وفنونه والنتائج المترتبة على ذلك .

النشاط الرابع : لعبة (شد الخيط)

فكرة اللعبة : تختار الطالبة المشرفة على اللعبة طالبتان بحيث تمسك كلأ منهما طرف الخيط وتحاولان شده اتجاهها ونزعه من الطرف الآخر . ثم تبدأ عملية الشد بين الطالبتين مع تفاعل لفظي من بقية الطالبات إلى أن ينقطع الحبل وتسقط كلتا الطالبتان على الأرض .

خطوات النشاط :

- يبدأ النشاط بممارسة اللعبة بين طالبتين ويتم مشاركة البقية بالتشجيع والتفاعل اللفظي أثناء اللعب .
- بعد الانتهاء من اللعب تفكر كل مجموعة بالهدف الأساسي لهذه اللعبة ومدى ارتباطها ، بموضوع الوحدة (حاوريتها لا تنازعها) .
- تدون كل مجموعة بعض الأهداف وتعرضها بعد جلسة العصف الذهني مع أعضاء المجموعة .
- تلخص الطالبة المشرفة على النشاط أهم الافكار و النتائج.

- يتم التركيز على ضرورة الحوار والتقارب وعدم التحيز والتعصب والذي يؤدي إلى النزاع وقطع الصلات وهدم العلاقات كما حصل للخيط الذي انقطع من جراء الشد والنزاع عليه من كلتا الطرفين ونتج عنه السقوط والألم لكلتا الطرفين المتنازعين

النشاط الخامس : الاستماع إلى حوار مسجل .

تختار الطالبة حوارات مسجلة تنتهي بالصراع وعدم الاتفاق بين الأطراف المتحاوره مثل (حوار بين والد وابنه ، معلم وطالب ، محلل سياسي أو إعلامي ... الخ) .

خطوات النشاط :

تستمع الطالبات إلى الحوار والذي مدته (٥) دقائق

تسأل الطالبة المشرفة على النشاط الأسئلة التالية :

س : ما أهم أسباب الاختلاف في الحوار ؟

س: حول ماذا كان الاختلاف ؟

س: كيف يمكن أن نجعل من هذا الحوار حواراً ناجحاً؟
تشارك الطالبات بالإجابات وتدون الطالبة أهم الإجابات .
يتم تلخيص أهم المحاور الذي تجعل من الحوارات السلبية والنزاعات الفكرية حواراً تربوياً مثمراً وناجحاً .

في نهاية النشاط :

تناقش المعلمة الطالبات حول

ما الفرق بين الحوار والجدال؟

كيف نبني حواراً هادفاً؟

ماهي أخلاقيات المحاور الناجح؟



حلقة نقاش :

تألمي الخريطة الذهنية التي أمامك ثم حاوري مجموعتك حول عناصر هامة :

ما الأهداف المستفادة من اختلاف وجهات النظر مع الآخرين؟

كيف نتعامل مع الآخرين الذين يختلفون عنا في وجهات نظرهم؟

النشاط الأول : عرض مقطع فيديو أو برنامج إعلامي مرئي لمدة (٣) دقائق تقريباً .

يعرض المقطع أو البرنامج سلوكيات وأفكار لا تتفق مع أخلاقيات الفتاة السعودية وتخالف الدين الإسلامي والعرف الاجتماعي ، والتي قد تم عرضها عبر إحدى قنوات التواصل الاجتماعي .

خطوات النشاط :

بعد مشاهدة المقطع تطلب الطالبة المشرفة على النشاط من صديقاتها تحديد موضوع مناسباً عن المشهد واكتشاف سمات الشخصية التي تتناسب مع أحداث المقطع .

يدور حواراً بين أعضاء كل مجموعة للإجابة عن سؤال هام : من المستهدف بالعرض وما هو الهدف من ذلك؟

تلخص المجموعات إجاباتها ثم تسلّم إلى إحدى الطالبات وتجمع في سلة المعلومات .

تطرح الطالبة الإجابات بالقرعة بين المجموعات ويتم مناقشة بعض الأفكار .

يتم التركيز على دور الطالبة في الدفاع عن حقوقها وأهمية صيانة سمعتها وسيرتها وسلوكها المستهدف بالتشويه وعدم المساعدة في نشر تلك المقاطع أو الإعجاب بها وحذفها مباشرة.

تذكر المعلمة بأهم حقوق الطالبة والتي عززها الإسلام ومنها حق السمعة والكرامة وكيفيات الدفاع عنه .

تتناول المجموعات الحوار حول الواجبات والحقوق والفرق بينهما .

سرد طرق ناجحة تقف أمام التشويه والسخرية من الفتاة السعودية والتي يتم عرضها وتداولها وخاصة في الأونة الاخيرة.

النشاط الثاني : لعبة (المشي في أحذية الآخرين)

فكرة اللعبة :

تعرض الطالبة المشرفة على النشاط بعض الأحذية المختلفة في المقاسات ، وتطلب من بعض الطالبات خلع أحذيتهم ولبس الحذاء الذي أمامهن ثم محاولة السير إلى نهاية الصف وبسرعة دون تردد .

خطوات النشاط :

تشرح الطالبة لزميلاتها الطالبات خطوات اللعبة .

تشارك عدد (3) من الطالبات في ممارسة اللعبة .

يسود جواً من الفكاهة والمرح داخل غرفة الصف أو القاعة .

تنتهي اللعبة ثم تطرح الطالبة سؤالاً :

س : ما الهدف من اللعبة ومدى ارتباطها بموضوع الوحدة (الفتاة السعودية في عدسة الإعلام) .

تبدأ جلسات من العصف الذهني وتدور قائدة كل مجموعة الإجابات .

تستمع المجموعات إلى الأفكار المطروحة وتتبادل المعلمة معهن الحوار .

توضح المعلمة أضرار ارتداء حذاء مخالف لقياس الشخص وبدون التحري والتدقيق لشكله وصلاحيته للسير ، وكذلك يكون التسرع في اختيار كل جديد وبراق من الثقافات الوافدة .فكلاهما يشكلان خطر على المرء ويكون عرضة للانزلاق .

تركز المعلمة على أهمية تمسك الطالبة بدينها وقيمها وثقافتها بما يجعلها نموذجاً مثالياً للفتاة السعودية و يمنعها من الانزلاق والسقوط أمام التحديات والغزو الفكري .

تحاول الطالبة المجموعات حول أهم العوامل المؤثرة على الفتاة ومنها (عدم الثقة بنفسها ، ضعف التمسك بدينها ، عدم الاعتزاز بقيمتها ووطنها ، أساليب التنشئة الخاطئة ، رفقاء السوء ... إلخ) .

النشاط الثالث :

قراءة موجهة من إحدى الكتب أو المقالات المختارة حول (مكانة المرأة في الإسلام) .

خطوات النشاط :

توزع الطالبة المشرفة على النشاط كتب أو مقالات مختارة على المجموعات وتطلب منهن قراءة الموضوعات التي تعزز من مكانة المرأة في الإسلام وتدوين أهم الفوائد المستخلصة منها .

تشارك المجموعات برأيها وتعرض بعض الحقوق التي تعزز من مكانة المرأة ومنها (حق إبداء الرأي ، حق الحياة الكريمة ، حق السمعة والكرامة) .

تحدثت المعلمة مع الطالبات عن دورها في المحافظة على حقوقها وأساليب مواجهة الإعلام الزائف والمشاركة في الندوات واللقاءات والبحوث العلمية التي تعنتي بهذا الموضوع .

النشاط الرابع :

إجراء لقاء صحفي مع طالبة سعودية

خطوات النشاط :



يتم التنسيق مع إحدى الطالبات المتخرجات من الثانوية لإجراء مقابلة معها عبر اتصال هاتفي أو برنامج skype لاستطلاع رأيها حول أهم القضايا التي تثار في الساحة الإعلامية وتستهدف المرأة السعودية على الوجه الخاص.

تستمع الطالبات إلى اللقاء والمحاور الهامة التي تمت مناقشتها .

بعد الانتهاء من اللقاء يتم عرض أهم النتائج من الحوار ومنها :

١- أن الإعلام سلاح ذو حدين .

٢- كيف يمكن توظيف قنوات التواصل الاجتماعي في تعزيز دور المرأة الاجتماعي ؟

في نهاية النشاط :

تناقش المعلمة إجابات الطالبات على الأسئلة التالية :

من المسؤول عن التشويه الموجهة للفتاة السعودية ؟

ماهي الأساليب لتصحيح صورة الفتاة السعودية أمام الآخرين ؟

كيف توظفين قنوات التواصل الاجتماعي في رسم صورة مشرقة للفتاة السعودية ؟



حلقة نقاس : (تحقيق صحفي) تختار المشاركة خبر صحفي .

أختي الطالبة : اقرئي هذا الخبر ثم أجري تحقيقاً صحفياً مع زميلتك حول معطيات الخبر وأهم دلالاته .

النشاط الخامس : تمثيل بعض الأدوار ومنها :

دور المعلمة وهي تحاور طالبتها ، دور الوالدة وهي تحاور ابنتها .

ويتم اختيار موضوع لكل حوار (يترك للطالبات اختيار الموضوع)

خطوات النشاط :

حوار (١) حوار بين طالبتين بحيث تمثل الطالبة الأولى دور المعلمة والطالبة الثانية دور الطالبة ،

فمثلاً (الطالبة تطلب من المعلمة إنصافها في درجات المشاركة الصفية والمعلمة تجادلها وترفض الحوار معها .
حوار (٢) حوار بين طالبتين بحيث تمثل الطالبة الأولى دور الوالدة والطالبة الثانية دور الابنة التي تطلب من والدتها الخروج لرحلة .

تسجل الطالبات مشاهدتهن حول الحوارات و تدوين الأساليب الحوارية الخاطئة التي ظهرت في الحوارات وأدت إلى فشل الحوار .

يتم اعادة تمثيل المشهد باختيار أساليب وأخلاقيات حواريه صحيحة تؤدي إلى نجاح الحوار ومنها : (الهدوء ، الاحترام ، الحجة و البرهان ، الإنصات) .

تذكر المعلمة طالباتها بأدوارهن في بناء جسور من العلاقات بين الأسرة والمدرسة والمجتمع من خلال حوارات هادفة تجسد شخصية الفتاة السعودية المعتزة بدينها وأسرته ووطنها ، بما يصحح المفاهيم والآراء المغلطة حولها من خلال البرامج الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعية المغرضة .

التعرف على مفهوم الحياة المتوازنة .

التعريف بالأدوار الواجبة على الفتاة لتحقيق توازن في حياتها.

الكشف عن مواطن القوة والضعف في الذات وأثرها على الحياة الناجحة .

النشاط الأول :

عرض قصة نجاح (لأحد الشخصيات المختارة) .

خطوات النشاط :

يتم عرض قصة نجاح لمدة (٣) دقائق .

بعد الاستماع إلى القصة تطرح الطالبة سؤالاً على المجموعات ما سر نجاح هذه الشخصية ؟

تبدأ جلسات من النقاش الجماعي حول المبادئ الهامة للشخصية المثالية .

تفسح المعلمة المجال لإضافة الطالبات حول مفهوم الحياة المتوازنة .

تشارك المعلمة طالباتها الحوار بعرض بعض المبادئ التي تمثل جوانب هامة للحياة وهي :

الاستقامة أن تعلمي وتثابري في الطريق الذي يوصلك إلى السعادة والرضا .

المبادرة والمسئولية أن تشاركي في الأعمال بإدارة حرة وتتبني النتائج المترتبة على العمل .

المشاعر والاهتمام أن تظهر حب والاهتمام لما تعمله ، ومع من تتعامل معه .

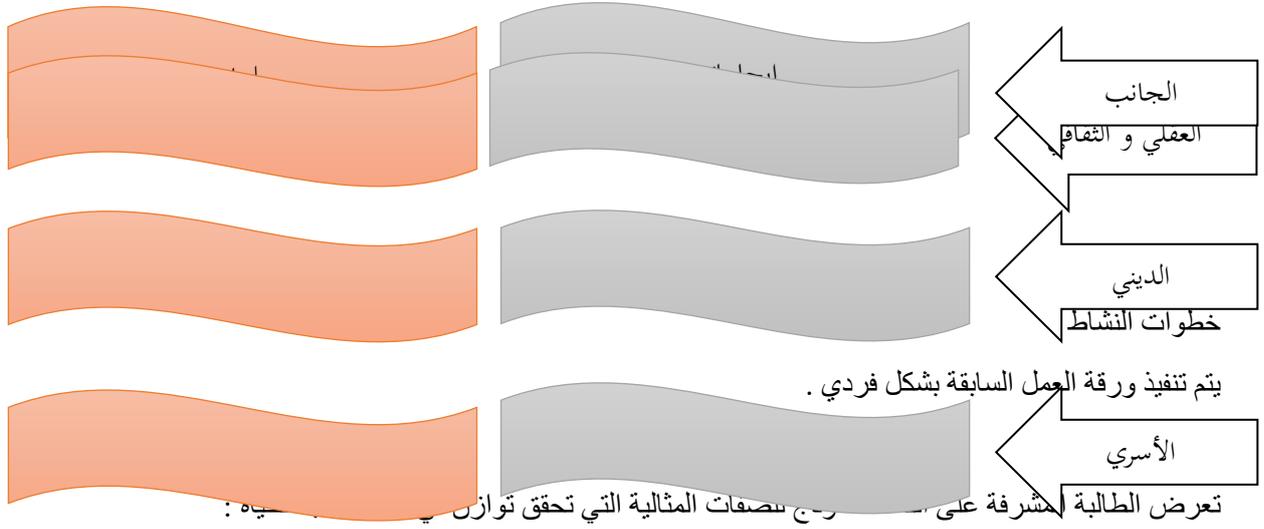
الأثر والبصمة أن تساهمي بأعمال تخلد بين الناس بالذكرى الحسنة .

التخطيط والتنظيم أن تخططي وتنفذي بطريقة صحيحة ومنظمة مع ترك التسويق .

التعاون والمشاركة أن تعلمي مع الآخرين بروح الفريق الواحد لتحقيق أهداف مشتركة .

النشاط الثاني : (نشاط فردي)

اكتبي الأمور الايجابية و التي تزين أنك قمتي بها و الأمور السلبية التي تزين أنك مقصرة فيها و ذلك لكل جانب من جوانب حياتك الست :



النشاط الثالث :

عرض صور لكائنات يظهر فيها عدم القدرة على التوازن في الحركة والمشي مثل طائر بجناح واحد ، سيارة بعجلتين فقط ... رجل بساق واحدة ، ميزان بكفة واحدة . (ترك الحرية لاختيار الصورة المعبرة عن الموضوع)

خطوات النشاط :

تسأل الطالبة صديقتها . ما سبب عدم توازن حركة تلك الكائنات التي أمامك ؟؟

تستمع الطالبة للإجابات وتدونها على اللوح .

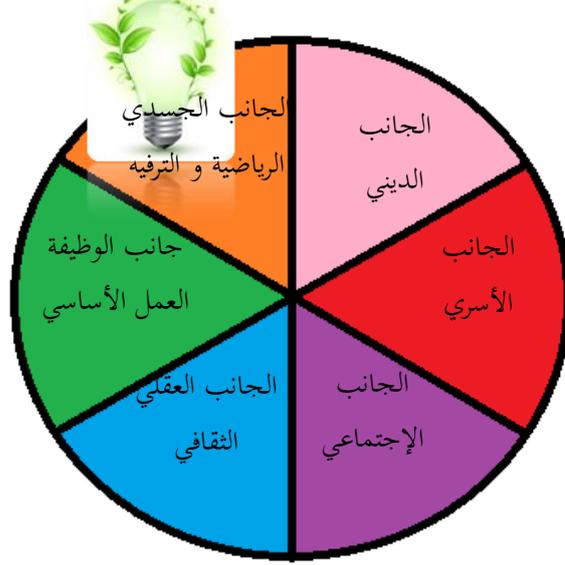
تقرأ الطالبة جميع الإجابات وتعزز من مشاركة صديقتها الطالبات .

تعرض الطالبة مشاهد تحكي قصص لحياة غير متوازنة بسبب عدة عوامل ومنها مثلا : عدم المحافظة على الصلاة في أوقاتها وتأخيرها ، الإفراط في الطعام ، إهمال العلاقات الاجتماعية ، ، ... إلخ) .

تشارك المعلمة الطالبات لقصص مشابهة واقعية والنتائج المترتبة على عدم التوازن في الحياة .

النشاط الرابع : عجلة التوازن (نشاط فردي)

قدري لنفسك درجة من (١٠) في كل جانب من جوانب الحياة. ثم ارسلي عجلة حياتك على الشكل التالي :



خطوات النشاط :

تشرح الطالبة المشرفة على النشاط الجوانب الستة للحياة المتوازنة (الديني ، الأسري ، الاجتماعي ، المهني ، الجسدي) .

تشبه الطالبة جوانب الشخصية الستة بأعمدة التوازن في عجلة الدراجة الهوائية .

كل جانب من الجوانب الستة مدرج في عشر نقاط تمثل المبادئ العشرة للحياة .

ترسم كل طالبة عجلة لحياتها تظهر فيها مواطن القوة والتي يجب استثمارها . ومواطن الضعف التي لا بد من علاجها وتقويتها لتحقيق حياة ناجحة متوازنة .



النشاط الخامس :

قراءة آيات من القرآن الكريم وأحاديث من السيرة النبوية تحكي منهج المسلم المتوازن

في الحياة لتحقيق السعادة والأمن .

خطوات النشاط :

تطلب الطالبة من المجموعات البحث عن شواهد في آيات القرآن الكريم وأحاديث من السيرة النبوية تؤكد على جوانب الحياة المتوازنة . ومنها :

حديث : (إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعطي كل ذي حق حقه) أخرجه البخاري والترمذي

وحديث (أما والله إني لأخشاكم لله لكني أصوم وأفطر أصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) أخرجه البخاري.

تشارك المعلمة الطالبات بالحوار عن منهج الإسلام الوسط والذي يدعوا إلى التوازن في كافة شؤون الحياة .

عرض حقائق من واقع المجتمعات الغربية تحكي أسباب الانتحار والأمراض النفسية .

التأكيد على دور الطالبة في إرساء المبادئ الهامة في جوانب الحياة الستة لتحقيق التوازن الذي هو سبيلاً للسعادة والنجاح .

في نهاية النشاط :

تناقش المعلمة طالباتها حول :

جوانب التوازن في الحياة .

آثار التوازن على النفس والبيئة المحيطة بها .

سبل تعزز من تحقيق التوازن في الحياة .

حلقة نقاش : نماذج رائعة للتوازن في الحياة .

تستمع الطالبة لقصص من السيرة النبوية عن شخصية الرسول الأعظم _محمد صلى الله عليه وسلم_ والتي تمثل النموذج والقوة في الحياة المتوازنة والمعتدلة في كافة شؤون الحياة ثم تستخلص محاور التوازن فيها .

أختي الطالبة :

هذا المربع مخصص لك لتكتبي فيه أهم الأفكار والمعلومات التي تعلمتها من هذا البرنامج الحوارى .

ثانياً: ملخص نتائج الدراسة .

في ضوء ماسبق تؤكد الباحثة على أهمية الحوار التربوي في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب، حيث منهجية الحوار في التصدي للأفكار المضللة هو أنسب أسلوب لتحقيق خير وبناء في العلاقات سواء بين أفراد المجتمع الواحد أو بين مكوناته أو بين الأمم شعوباً ودولاً، أميل إلى تقبل الآخر وتلك هي الفحوى الأصيلة الراسخة للحوار في أبعاده الثقافية والحضارية والمجتمعية، ويعد الحوار مع الأبناء أحد الأدوات الحضارية للمجتمعات المعاصرة ، إذ توسعت أساليب الحصول على المعلومات وتهددت الأفق المعرفية واختلفت المشارب والاتجاهات الثقافية والفكرية وترتب على هذا التحول المعرفي والثقافي تطور أساليب الحوار وآلياته لأن الحوار يلف القلوب ويقرب المسافات ويؤدى إلى إشاعة مفاهيم التنوير المعرفي والتبادل الثقافي وهذا ما أشارت إليه العديد من الدراسات السابقة ، واللقاءات التربوية

ولعلنا نتفق على أن الإرهاب الفكري هو الأداة المؤسسة لكافة أنواع الإرهاب ويقابله الأمن الفكري والذي تعد التوعية من أهم وسائله ومن هنا جاءت أهمية الحوار الهادف والمتمدن من خلال المؤسسات التربوية، ومن أهمها الأسرة ، المدرسة، والإعلام والوسائل الحديثة للاتصال كآلية فعالة لتعزيز التوعية و الأمن الفكري لدى الفرد و المجتمع وبهذا يتجلى لنا الدور المتعاظم لتلك المؤسسات في صنع المعرفة الحق التي تؤهل الفرد والبشرية عموماً لمواجهة عالم شديد التعقيد، وكذلك لإنارة الحقائق وإشاعة القيم النبيلة وتنشيط الحوار العقلاني.

ثالثاً: التوصيات

وفي نهاية هذا الجهد العلمي المتواضع وفي ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة الحالية فإن الباحثة تقدم التوصيات الآتية التي من شأنها التقدم نشر ثقافة الحوار وجني ثمارها النافعة في تعزيز الأمن الفكري للشباب بإذن الله – وهي على النحو التالي:

١. اللجوء إلى استراتيجية اجتماعية متكاملة للمساهمة في الحفاظ على عقول الشباب من الغزو الفكري وتحصينهم ثقافياً من خلال تعزيز الحوار وأدواره التربوية .

٢. نشر الوعي المجتمعي بثقافة الحوار التربوي وأهميته عبر وسائل التقنية الحديثة من خلال البرامج الإعلامية.

٤. وضع استراتيجية مناسبة في آليات التواصل الاجتماعي لحماية الشباب من المعلومات الفكرية الوافدة التي تعزز من البناء الأمن لفكر الشاب المسلم .

٥. أهمية إقرار مواد تطبيقية تدرس للطلاب والطالبات في التعليم العام والتعليم العالي وإحلالها كمادة وطنية ..
٦. تفعيل مجالس الحوار الطلابي وإعطائها شخصية اعتبارية للمشاركة في اتخاذ القرارات المهمة المتعلقة بالطلاب والطالبات على حد سواء.
٧. إشباع البيئة المدرسية والجامعية بجو الحوار الهادف من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية والمسابقات واللقاءات التربوية.
٩. تدعيم الشراكة المجتمعية بين المدرسة والأسرة لإشاعة ثقافة الحوار وتأسيسها داخل الأسرة وبين أعضاء المجتمع المدرسي.
١٠. متابعة كل التطورات في مجال التقنية والعمل على تدريب كوادر بشرية عليها لأجل فهمها والإستفادة منها في مكافحة الغزو الفكري والتغريب بما يضعف الهوية الوطنية لدى الشباب .
١٢. دراسة الفكر الإرهابي ومعالجته من خلال الأجهزة الإعلامية والتربوية والشبابية..

رابعاً: مواضيع مقترحة للدراسة المستقبلية:

- ١- توظيف التقنية الالكترونية في تعزيز الهوية الوطنية للشباب .
- ٢- أثر برامج التواصل الاجتماعي في تعزيز الهوية الوطنية .

الخاتمة

إن الحوار التربوي ماهو إلا حلاً أمثلاً للآزمات المعاصرة التي يعيشها الشباب اليوم،كيف يسلم العقل الانساني وفكره وقد امتلأت معظم الفضائيات بالبرامج الهدامة التي تقود لخراب عقول الشباب بما تبثه عبر أجهزة التقنية المختلفة من انترنت وقنوات فضائية وصحف ومجلات وغيرها من البرامج الأخرى، ومهمة الأمن الفكري لا تنحصر فقط في مكافحة عبر القانون والمحاسبة، ولكن تتعدد في مهامه العديد من البرامج التوعوية والثقافية التي تخالف ماهو مطروح عبر التقنية للشباب لتضليلهم وتغييبهم عن الحقيقة وهي حقيقة أفكارهم الاسلامية الحقبة التي تدعو للتي هي أقوم وأصلح وأنفع، وللأسف فان الكثير من المطروح عبر الأجهزة التقنية صار سهلاً ومقبولاً لدي فئات الشباب. وهنا لابد من الأخذ في الإعتبار أن الدور الأساسي يجب أن تتبناه الأسر في إعادة لغة الحوار فيما بين أفرادها كما يجب على كافة المؤسسات التربوية والتعليمية الأخرى وفي مقدمتها المدرسة أن تتظافر جهودها مع الأسرة في إعطاء الحوار دوراً كبيراً خلال مناهجها ومناشطها ونبذ كل فكر مضلل يدعوا إلى العنف والإرهاب والجريمة بكافة أشكالها وألوانها..

إن موضوع الأمن الفكري أصبح ضرورة وحاجة حتمية لا فكاك منها لتأمين الفكر السليم وحفظه وصونه من مهالك الأفكار الأخرى الضدية، ويتعاطم دور الأمن الفكري كواحد من مفاهيم الأمن الشامل الذي يؤدي دوره في حفظ حياة الإنسان في أعراضهم وممتلكاتهم ومن هذا المنطلق جاءت حتمية جزئية حماية الفكر من الخراب والدمار الفكري نتاج المعلومات التي تبث هنا وهناك. ومن هنا وقع العبء الأكبر على المعنيين بالتربية ، بكافة مجالاتهم وتنوع اختصاصاته، (فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

وفي خواتيم الحديث نشير إلى أن الأمن الفكري قطعاً لا يُقصد به أن نغلق النوافذ والأبواب أن نغلقها عن الثقافة العالمية وننتهها بالغرور العقلي ، إننا نحتاج إلى ثقافات الشعوب الأخرى لناخذ منها ما يفيدنا ويبصرنا فهي ليست كلها فاسدة ، نأخذ منها ما يتوافق وقيمنا وعقائدنا وثوابتنا ومبادئنا وأخلاقنا ونحتاج كذلك بالمثل لنشر ثقافتنا ليستفيد منها الآخرون. ومن هنا يعتبر الأمن الفكري مسئولية اجتماعية مسئول منها كل المجتمع ومؤسساته وأهم وسائل الأمن الفكري إعادة لغة الحوار الهادف بين أفراد الأسرة الواحدة ، وفي ميادين التربية والتعليم، والدعوة إلى مائدة حوار متمدن خلال وسائل التواصل الاجتماعي ، بما يعكس على الاستقرار الفكري، والثقافة الأمنية وهي الحصانة الفكرية ، والتوعية الأمنية لافراد هذا المجتمع ، وخاصة الشباب وتعريفهم بالدور الكبير الذي يضطلع به .

المراجع

أولاً: الكتب

المراجع الدينية

القرآن الكريم .

البخاري, محمد بن إسماعيل (١٤١٨) صحيح البخاري: الأدب المفرد. القاهرة: مكتبة الإيمان.

الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، ٦٦٧/٤.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٨٦) مختار الصحاح. القاهرة: دار الحديث.

إبراهيم مصطفى وآخرون ، (٢٠١٠) المعجم الوسيط . القاهرة : دار الدعوة

سنن ابن ماجة، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة،مراجعة صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ط١. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.

عبد الباقي, محمد فؤاد (١٩٨٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث.

لسان العرب، لابن منظور ط٦٨٤. القاهرة: دار الحديث.

الكتب العلمية :

الأشول، عادل عز الدين (١٩٨٢) علم النفس النمو. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ألفين، توفلر، وهايدي (٢٠٠٨) الثروة واقتصاد المعرفة: ترجمة محمد زياد يحيى كبة. الرياض: جامعة الملك سعود.

البرامج الموجهة للشباب بمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني (٢٠١١) الرياض: إدارة الدراسات والبحوث و النشر.

التركي، عبد الله بن عبد المحسن(د.ت) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام،وزارة الأوقاف السعودية.

التويجري، عبد العزيز بن عثمان (١٩٩٧) الحوار من أجل التعايش. القاهرة: دار الشروق.

الحازمي، خليل بن عبيد (١٤٢٩) الحوار الوطني ودوره في تعزيز الأمن الفكري للملكة العربية السعودية. ط٢. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

الحسين، بدر محمد (٢٠١١) الحوار المدرسي. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

الخشيم، عايض ،حتمية مواجهة السيطرة الإعلامية المعادية . الرياض: المطابع الإسلامية العربية.

الدليل التعريفي لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني (٢٠١١) الرياض: إدارة الدراسات والبحوث والنشر.

السليمان، هاني بن إبراهيم (٢٠٠٥) كيف تحاور الآخرين. عمان: دار الإسرائ.

النشال، انشراح (١٩٩٤) بث وافد على شاشات التلفزيون. القاهرة: دار الفكر العربي.

العبودي، فهد (٢٠٠٥) الحوار منهج و سلوك. الرياض: دار أطلس الخضراء.

العمر، ناصر بن سليمان (١٤١٢) البث المباشر حقائق وأرقام. الرياض: دار الوطن.

العمرى، أحمد بن حسن و العمرى، صالح بن محمد (٢٠٠٦) الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة. إربد: دار الكتاب الثقافي.

اللقاءات الحوارية والوطنية لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني (٢٠١١) الرياض: إدارة الدراسات والبحوث و النشر.

المشهداني، مصطفى (٢٠٠٤) الحوار و دوره في الدعوة و التربية و الثقافة. الدوحة: دار الثقافة.

النحلاوي، عبدالرحمن (٢٠٠٠) التربية بالحوار. دمشق: دار الفكر.

النحلاوي، عبد الرحمن (١٤٢٠) أصول التربية الإسلامية. دمشق: دار الفكر المعاصر.

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، في أصول الحوار (١٤١٩) الرياض.
- الهيوش، يوسف محمد (٢٠١٣) تعزيز الأمن الفكري في ضوء النماذج والتجارب العالمية المعاصرة للحوار، إدارة الدراسات والبحوث . الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- أمين، أمين حلمي (١٩٩٨) الحوار الفكري في القرآن الكريم. القاهرة: دار النهضة الإسلامية.
- بكار، عبد الكريم (٢٠١١) التربية بالحوار. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- جابر ، جابر عبد الحميد (١٤٠٩) مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة: دار النهضة العربية
- جعلوك، محمد بن علي (١٤١٩) الحوار لغة الضعفاء أم الأقوياء. بيروت: دار الراتب.
- حمدان، محمد زياد (١٩٨٦) الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم: دراسة فسيولوجية للماهية، ووظائفها، وعلاقتها ، سلسلة المكتبة التربوية السريعة. عمان: دار التربية الحديثة.
- جنسن، إيريك (٢٠٠٧) "أكثر من ١٠٠٠ طريقة عملية للتدريس الناجح للتدريس الفعال"، ترجمة مكتبة جرير، الرياض: مكتبة جرير.
- صالح، جلال الدين محمد (١٤٢٩) الإرهاب الفكري وأشكاله وممارساته، مركز الدراسات والبحوث. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- صبحي، سيد (٢٠٠٢) الشباب وأزمة التعبير. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- عبد الله، عبد الرحمن صالح (١٤٢٤) مقدمة في البحث العلمي. ط٣. الكويت: مكتبة الفلاح.
- عبدالله، ناجح إبراهيم و علي، محمد علي، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.
- عبيد، منصور (٢٠٠٤) الحوار آدابه و أهدافه. القاهرة: مركز الكتاب للنشر و التوزيع.
- فلمبان، هلال حسين (٢٠٠٨) دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- قيمان، سليمان عوض (١٤٣٢) أسرار الحوار والإقناع: نماذج حوارية من السيرة النبوية. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- محجوب، عباس (٢٠٠٦) الحكمة و الحوار علاقة تبادلية. جدة: عالم الكتب الحديث.
- محمد عطا، إبراهيم (١٤٠٨) طرق تدريس التربية الإسلامية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- مدكور، علي أحمد (١٩٩٧) نظريات المناهج التربوية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- مصطفى فهمي - سيكولوجية الطفولة والمراهقة - مكتبة مصر - د.ت
- هلال، محمد بن عبد الغني (٢٠٠٧) مهارات إدارة الحوار و المناقشات. القاهرة: مركز تطوير الأداء و التنمية.
- وزارة الإعلام، إدارة البحوث والترجمة، دراسة ميدانية حول دور وسائل الإعلام في نشر العنف والجريمة بين الشباب الكويتي، (٢٠٠١).
- ثانيا: الدوريات و المجالات العلمية
- البشري، جهاد (٢٠٠٧) 'مطالبون بتدريس مفاهيم الحوار لدى الأجيال المسلمة'، جريدة عكاظ، ١٤ يوليو (العدد ٢٥٨٤) ، ص. ١٥.
- العاصم، محمد (٢٠٠٥) دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة في مدينة الرياض من وجهة نظر الطلاب، جريدة الوطن السعودية، السبت الموافق ٦ ربيع آخر ١٤٢٦ هـ

العايش، عبد الله حلفان (١٤٢٩) "دور المعلم في تحقيق حسن الخلق وأثره في الأمن الاجتماعي"، مجلة البحوث الأمنية، (العدد ٤١)، الرياض: مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية.

الهاشمي، عبد الرحمن عيد علي (٢٠٠٤) معيار قياس أداء التعبير الشفوي لطلبة المرحلة الثانوية والجامعية، مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد (٣٥)، ص ١٣٠-١٥٩.

حسانين، خالد السيد (٢٠١٤) 'استخدام برنامج تدريبي في خدمة الجماعة لتنمية المهارات لدى القيادات الشبابية'، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الانسانية، (العدد ٥٢)، ص. ٢٤ - ٢٥.

رشوان، بهجت محمد (٢٠١٤) 'فعالية استخدام خدمة الفرد الاجتماعية في تدعيم قيم المواطنة'، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الانسانية، (العدد ٥٢)، ص. ١٠ - ١١.

عبد الهادي، حامد عبد المقصود (د.ت) مقال الشباب والتنمية، مجلة الفيصل، العدد ١١٢

عودات، تميم (٢٠٠٩)، تحليل القيم الواردة في كتب التربية الاسلامية للصفين الثامن والعاشر المقررة في الأردن ومدى انسجامها مع المعايير المستخلصة من رسالة عمان، المجلة الاردنية في العلوم التربوية، مجلد ٥، ع ٤، ص (٣٣٧-٣٥٦).

(مجلة البحوث الإسلامية، العدد الرابع والتسعون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤٣٢ ووسائل القرآن الكريم في تحقيق الأمن الفكري)

مرزوق، دلال (مجلة المعرفة، دور التعليم في ترسيخ الأمن الفكري، ٢٠١٥-٠٩-١٣/٢٩/١١/١٤٣٦)

ثالثا: الرسائل العلمية

آل ضرمان، ضرمان عبد العزيز (٢٠٠٧) الحوار الوطني ودوره في تحقيق الأمن الفكري . دراسة نظرية تقييمية، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

الجنحي، سعيد عبيد (٢٠١٣) الإعلام الجديد ودوره في تعزيز الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية . دراسة تطبيقية على بعض النخب السعودية في مدينة الرياض، رسالة دكتوراه، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

الحقيرة، عبد البصير على على (٢٠١١) الثقافة الإسلامية ودورها في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع. رسالة وصفية، جامعة الأزهر الشريف - فرع طنطا.

الحارثي، زيد بن زايد أحمد (١٤٢٩) إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظر مديري ووكلاء المدارس والمشرفين التربويين، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى.

الحازمي، خليل بن عبيد (٢٠١٠) الحوار الوطني ودوره في تعزيز الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

الحقيرة، عبد البصير علي (٢٠٠١) الدعوة والموروثات في العهد النبوي، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه . جامعة أم القرى.

الحقيرة، عبد البصير علي (٢٠١١) الثقافة الإسلامية ودورها في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع، دراسة استطلاعية، جامعة أم القرى.

الشيخلي، عبد القادر عبد الحافظ (٢٠١١) الحوار الإداري الناجح. دراسة وصفية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

الشيخلي، عبد القادر عبد الحفيظ (٢٠١١) هندسة الحوار. دراسة استقرائية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

العبيد، إبراهيم عبد الله (١٤٢٩) تعزيز ثقافة الحوار ومهارته لدى طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية . رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

المطلق، عبد الله بن مطلق (١٤٢٨) الإرهاب وأحكامه في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى.

المغامسي، خالد بن محمد (١٤٣١) الحوار آدابه و تطبيقاته في التربية الإسلامية. رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود.

حمدان، خالد حسن (٢٠٠٧) حرية الرأي في واقعا المعاصر وآثارها في المجتمع. دراسة ماجستير، الجامعة الإسلامية.

سفران، خالد ناصر (١٤٢٩) اتجاهات المعلمين نحو بعض القضايا الاجتماعية الوطنية. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، الرياض: جامعة الملك سعود .

نور، أميرة بنت طه بن عبد الله (١٤٢٨) مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى كلية التربية.

رابعاً : المؤتمرات و الندوات

الأهدل، هاشم علي (١٤٣٠) "تعزيز الأمن الفكري في مؤسسات المجتمع المدني السعودي جمعيات تحفيظ القرآن نموذجاً" بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري المنعقد في الفترة من ٢٢-٢٥/٥/١٤٣٠ كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود، الرياض.

الجحني، علي بن فايز (د.ب) دور حلقات تحفيظ القرآن الكريم في تعزيز الأمن الفكري (رؤية مستقبلية) الملتقى الرابع للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية

الشدي، عادل علي (١٤٣٥) مسؤولية المجتمع عن حماية الأمن الفكري لأفراده . ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والامن المنعقدة بكلية الملك فهد الامنية ، الرياض: السعودية .

الصادق، أبو بكر علي (٢٠٠٧) أسس الحوار في القرآن بين الكفر والإيمان كما ذكرته قصة الرجلين في سورة الكهف، مؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة/، الامارات، الاثنتين والثلاثاء ٢٨-٣٠ ربيع الاول ١٤٢٨ .

الهماش، متعب بن شديد بن محمد . بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتحديات» ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ - في الفترة من ٢٢ كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

الهوري، محمد (١٤٢٥) الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج ، المؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

إدارة الإشراف التربوي بمنطقة الباحة الانحراف الفكري ودور الإشراف التربوي في تعزيز الأمن الفكري"، بحث مقدم في اللقاء العاشر للإشراف التربوي والمنعقد في الفترة ١-٣/٤/١٤٢٦ ، وزارة التربية والتعليم

عساف، محمود (٢٠١١) دور التربية للمواطنة في تعزيز الحوار بين طلبة الجامعات الفلسطينية وسبل تفعيله، المؤتمر العلمي الرابع لكلية التربية بعنوان التواصل والحوار التربوي نحو مجتمع فلسطيني أفضل المنعقد بالجامعة الإسلامية غزة في الفترة ٣٠ - ٣١ أكتوبر/ ٢٠١١

ورقة علمية حول : (واقع الأمن العربي (البعد الفكري والتقني) الملتقى العلمي حول : (الأمن الشامل: الواقع والمأمول) المنعقد في عمان في الفترة من ٧/٣٠ الى ١٤٣١/٨/٢ الموافق ١٢ - ١٤/٧/٢٠١٠

خامساً: المراجع الالكترونية

الأمن الفكري حقيقته وسبل تحصيله ، متاح على الرابط ، <http://www.assakina.com/mohadrat/٢٠١٣٠.html> تاريخ الدخول: ١٤٣٦/٥/١٢

- السمان، محمد بن عدنان . من وسائل تحقيق الأمن الفكري، صحيفة الجزيرة ، الرياض، متاح على الرابط

<http://www.al-jazirah.com/٢٠٠٩/٢٠٠٩٠٢٠٨/rj1٠.htm> تاريخ الدخول: ١٤٣٦/٤/٢٩

- العبد، سليمان بن قاسم بن محمد . مكانة الشباب في الإسلام . تاريخ الإضافة: ٢٦/١١/٢٠٠٧، متاح على الرابط
http://www.alukah.net/web/eleid/٠/١٩٢٠٢/#ixzz٣q٦O٢MFxphttp://
- القاسم، أحمد (٢٠١٤) فكر الشباب يتأثر بوسائل التواصل الاجتماعي، صحيفة اليوم ، الجمعة ١٤ محرم ١٤٣٦ هـ
الموافق ٧ نوفمبر العدد ١٥١٢٠ ، متاح على الرابط: http://www.alyaum.com/تاريخ الدخول: ١٤٣٧/١/٢٤
- الفاعوري، حنان عواد (٢٠١٠) دور المؤسسات التربوية في الاعتدال الفكري، متاح على الرابط :
www.humania.creatingforum.com ، تاريخ الدخول : ١٤٣٦/٥/١١
- آل الشيخ، هشام بن عبدالملك (١٤٣٥) تعزيز دور المسجد في تنمية الأمن الفكري لدى الشباب ، جريدة الرياض ، الأربعاء
٢٢ ذي القعدة ، العدد ١٦٨٨٦ ، متاح على الرابط http://www.alriyadh.com/ تاريخ الدخول : ١٤٣٦/٥/٤
- المالك، صالح بن محمد (٢٠٠٥) دور المؤسسات التعليمية في بناء الأمن الفكري، كلية الملك فهد الأمنية، متاح على
الرابط: http://www.minshawi.com/vb/threads. تاريخ الدخول : ١٤٣٧/١/١٤
- دور الشباب في عملية التغيير المجتمعي، متاح على الرابط : http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id . تاريخ
الدخول : ١٤٣٧/١/١٥
- زياد، مسعد محمد (٢٠٠٢) دور المدرسة والمعلمين في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب،
متاح على الرابط : http://www.drmosad.com/index٣٠٧.htm . تاريخ الدخول : ١٤٣٧/١/٢٢
- زياد، مسعد محمد (٢٠١٤) دور المدرسة والمعلمين في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب متاح على الرابط
http://www.drmosad.com/index٣٠٧.htm .: تاريخ الدخول : ١٤٣٧/١/١٤
- سبتي، عباس (٢٠١٠) غرفة الدردشة سلبيات، وحلول ، دراسة تقويمية ، الكويت. متاح على الرابط:
http://www.alukah.net/social/٠/٣٨٧٣١/#ixzz٣rAD٧SZrO . تاريخ الدخول : ١٤٣٧/١/٤
- موسوعة الحديث الشريف(٢٠٠٠) حديث مسلم، متاح على الرابط: http://shamela.ws/browse.php/book. تاريخ
الدخول : ١٤٣٧/٧/٥

الفهرس

أثر ترجمة الكتب المقدسة على "حوار الحضارات والثقافات"

دراسة لنماذج من ترجمة فقرات من الكتب المقدسة

(التوراة والانجيل والقرآن)

وبيان أثرها على حوار الحضارات والثقافات.

د تامر محمد محمود متولي

أستاذ العقيدة المشارك

باحث وأكاديمي مصري

Tamer M. metwaly

Egyptian Associate Professor

تقديم

يصدق قول القديس بولس "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر." [٢ تيموثاوس ١٦: ٣] تطبيقاً على جميع الكتب المقدسة، لأن الكتب المقدسة أنزلت لكي يكون الإنسان كاملاً متأهلاً لكل عمل صالح" (١)

وعندما نفتني كتابا كتبه مؤلفه باللغة الإسبانية؛ فإننا نفترض بأن الترجمة الإنجليزية أو العربية هي تعبيرٌ صادقٌ عمّا قاله المؤلف، لكن في لغة مختلفة، وهذا ما يظنه الناس اليوم فيما يتعلّق بالكتب المقدسة، ولكن عندما يتعلّق الأمر بالكتب المقدسة؛ فالأشياء ليست بتلك البساطة للأسباب التالية:

١- إن الكتب المقدسة هي مصدر التلقي الأول عند الإنسان، وهي التي تشكل خلفيته الثقافية والتاريخية، وتصوره حول الله والعالم الذي يعيش فيه، وبناءً على هذا كله يتعايش الناس فيما بينهم، ويتبادلون الأفكار والتصورات والثقافات.

٢- إن " كل كلمة في أية لغة تحمل عادة معاني عديدة، وعلى المترجم في حال كهذه أن يختار معنى واحداً يستخدمه في ترجمته، إذن على ماذا يستند المترجم عندما يختار ذلك المعنى الواحد من بين المعاني المتعددة؟ إنه يختار ذلك المعنى الذي يشعر أنه يتفق مع فكرة القرينة، لكن هل يكون مُصيّباً دائماً في اختياره؟ إنه يظن ذلك، لكن قد يكون هناك مَنْ يخالفه الرأي... المترجم كائن بشري عرضة للخطأ وكلنا خطاة ضعفاء، إن الذي يحدث هو أن المترجم يقوم بتفسير الآية بالإضافة إلى ترجمته، والقارئ الذي لا يعرف اللغة الأصلية للكتاب المقدس سيصبح تحت رحمة المترجم...." ((٢))

٣- إن "الترجمة مهما أبدع مترجمها ليست الأصل، وليس في الدنيا من في استطاعته ترجمة عمل دون تغيير في معالمه اللغوية التي هي في الأصل مركباته البنيوية التي تعطي للعمل الأصلي نصف ما جاء به من منظور الحياة... ففي الولايات المتحدة جمعية تخصصت في مراجعة وتدقيق ترجمات الكتاب المقدس، وأكدت أن كل عصر وأن كل حُكْم لعب دوراً في تفسير معطيات الكتاب" ((٣))

٤- إن الترجمة هي عمل بشري يعنّيه ما يعنّيه كل عمل بشري من الخطأ والجهل وحتى الحمافة. والمترجمون متفاوتون في القدرات والثقافات والخلفيات التي تؤثر في عملهم بشكل أو بآخر، وفي كثير من الأحيان يكونون أيضاً مجهولين.

نظرية أثر القارئ في النص:

(١) تفسير أصحاب ٣ من رسالة تيموثاوس الثانية للقمص تادرس يعقوب (٢ تي ٣: ١٦)

(٢) القس د. كينيث بايلي: مقدمة كتاب الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد للقس غسان خلف طدار النشر المعمدانية بيروت ١٩٧٩: ص ١٦.

(٣) د رضا الجمل: الترجمة بين الفن والفهلوة: مقال منشور في صحيفة الأهرام المصرية في ٢٠|١٢|١٩٨٤.

ما زال النقاد حتى اليوم مختلفين حول إذا ما كانت النصوص لها معاني ذاتية واضحة. بالنسبة لأغلبية المؤمنين، في جميع الأديان؛ هي كذلك. وهذه المعاني لواضحة، هي المطابقة للنصوص التي يُمكن أن تفهم من خلال المناهج القياسية لغة ومعجميا، ومن خلال التفسير التاريخي "المأثور"، تفسيراً "حرفياً" يبنى على أساسه الشريعة والعقيدة، والقاعدة الأساسية عند الجميع أنه فيما عدا الضرورة-العمل بظاهر النص والإخلاص له واجب.

لكن بحسب التعريف، عملية الترجمة نفسها، التي تربط الترجمة بالترجم، تفترض أن الترجمة بدون افتراضات مسبقة هو شيء مستحيل، أي افتراضات المترجم المسبقة، أفكاره، وعقائده، ليس فقط حول النص؛ لكن حول العالم الذي نعيش فيه، وحول الدين نفسه ومقاصده؛ لا يمكن أن نهملها، أو أن تلقى مثل لباس خلق، عندما يتعرض لتفسير نص ما.

في الحقيقة، هناك علاقة تكاملية بين النصوص والتفسيرات: إنه ليس شارحاً أحادي الاتجاه؛ تنتج فيه النصوص معناها، لكنه طريق ذو اتجاهين، فيه المعنى الذي يلبسه الإنسان لنص ما هو الذي يحدد كيف يُقرأ النص وكيف يفهم. لقد ذهب بعض العلماء والنقاد إلى درجة أبعد، مُجادلين بأن العقائد الراسخة، والقيم الثابتة، والرغبات (الظاهرة والباطنة) لدى المفسر هي في الواقع هي التي تحدد معنى النص. بحسب وجهة النظر هذه معنى النصوص لا يتولد أبداً ذاتياً، لكنه يصاغ بواسطة المفسرين، الكائنات البشرية الحية، الذين يرتبطون بشبكة معقدة في بيئات ثقافية، وتاريخية، وفكرية، وسياسية. تلك البيئات التي تُؤثر على شخصية المفسر، من يكون وكيف "يرى" أو "تري" العالم بشكل عام، بما في ذلك النصوص التي فيه. طبقاً لهؤلاء العلماء النظريين، رابطة العوامل هذه تعمل أكثر من تأثير في الطريقة التي تفسر بها النصوص إنها في الواقع تنتج تفسيراً.

المناهج التفسيرية بحسب هذه الفرضية، ضرورية فقط لتفسيرات تمثل الميول الفكرية للمفسرين، ليس لفهم عام مقبول أو معقول أو موضوعي للنص؛ لكن في الحقيقة، حتى المعنى العام للتفسير يتطلب (بحسب التعريف) ارتباط النصوص بالبشر. في الحقيقة كلنا نفسُ النصوص التي تقع بين أيدينا ونُسبُ إليها المعاني التي نفهما، ونحن بذلك "نُعبدُ صياغتها" (لأننا نفسرها لأنفسنا "بتعبيرنا" لكن دون كتابتها). المترجمون، بشكل حرفي أكثر، في الحقيقة يعيدون كتابتها. بناءً على فهم المفسرين للنصوص (بحسب الطاقة البشرية) هم يعدون صياغتها، ليس فقط في عقولهم، أي ما نعمله جميعاً، لكن يكتبونها على الورق. عندما نُعيدُ كتابة النص في عقولنا من أجل تفسير معناه، نحن نفسُ النص في عقولنا؛ لكن عندما يُعيدُ مفسر أو مترجم كتابة نص ما على الورق لئسهل فهم معناه؛ فإنه يُعدّلون النص مادياً. من ناحية هذا العمل يشبه ما نفعله كلنا في كل مرة نقرأ فيها نصاً؛ من ناحية أخرى، إذا أخذنا هذا العمل إلى نهايته المنطقية، فإن عمل المفسرين هو شيء مختلف تماماً عما نعمله. لأن من وجهة نظر الأخرى، هؤلاء المفسرون قد غيروا النص في الحقيقة، لكي يقرأ النص منذ الآن بدون مبالغة نصاً مختلفاً.

هذا يعني، أنه بالرغم من أن تفسير النص هو محاولة لشرحه وبيان معانيه، إلا أنه ليس عملية بريئة. لا ريب، أن التفسير هو عملية ضرورية لشرح النص للأجيال القادمة، لكننا عندما نقوم بذلك نرتكب بعض الأخطاء، على الأقل هي عملية تتضمن تقييماً ذاتياً، أي أن النص يصبح واضحاً لكن مع بعض الخسائر. علاوة على ذلك، في عملية تفسير النص تتداخل أنواع مختلفة من الاجتهاد تؤثر على عمل المفسر، مثلاً عندما يقرر المفسر معنى النص الذي يجب أن يقول ما يفترض هو أنه يعني، بحسب اجتهاده. نظرية "أثر القارئ" لا تهتم بالنص بحد ذاته، أي بالوثيقة باعتبارها نصاً "موضوعياً" يمكن أن تنتخب منه المعاني مثل حبات من العنب تؤخذ من كرمه؛ هي بدلاً من ذلك مهتمة بعملية التفسير ومنهجيته وأثر المفسر في النص.

وجهة نظر "أثر القارئ" هذه تُمثل تحدياً مباشراً وواعياً إلى أحد أسس مبادئ ما يسمى بالنقد الجديد، التي تقول أن معنى النص هو شيء مستقل عن تأثيره على القارئ؛ نفسياً أو غير ذلك. بالنسبة لهذه النظرية، يستقر المعنى في بطن النص أو الشاعر، ومهمة الناقد أن يكتشف ذلك المعنى بتطبيق المعايير التفسيرية والموضوعية والتاريخية واللغوية؛ في عملية التحليل والشرح، فالمعنى عندهم في بطن الشاعر. في المقابل أصحاب نظرية "أثر القارئ" يعترضون على "هذه النظرية، ويُجادلون على العكس من ذلك بأن المعنى لم ولن يوجد بشكل مستقل عن القراء الذين يُفسرون النصوص، بل دليل أن نفس الكلمات يُمكن أن تُعني أشياء مختلفة تماماً، سواء في السياقات المختلفة أو حتى في السياق الواحد، وبناءً على حقيقة أن القراء بفروض مختلفة يُعطون معاني مختلفة إلى نفس النص. حتى نفس القارئ قد يفهم النص بشكل مختلف في كل مرة يقرأ فيها النص؛ وفي كل مرة يعيد قراءته يعيد تفسيره ثانية، وهكذا يعاد تفسير النص تقريباً بشكل مختلف. هكذا نجد مفسرين؛ من نفس الاتجاه في الرأي، أي مجموعة من المفسرين يتشاركون في افتراض أساسي حول طريقة فهم النص؛ يختلفون حول معنى نص واحد، عند مدرسة المنار الإصلاحية مثلاً يُمكن أن تعني النصوص معاني مختلفة، على سبيل المثال، بالنسبة لمدرسة المأثور في القرن الرابع، ولشخص السيوطي في القرن التاسع أو باحث أكاديمي سلفي في القرن العشرين. لا أحد من هؤلاء المفسرين يمكن أن يصدق أنه هو -أو هي- تفسر شيئاً في النص لا يمثل الحقيقة؛ ومع ذلك لا أحد

من هؤلاء يمثل نسخة طبق الأصل له-أو لها-في تفسيراته. اختلافهم، حول معنى النص أكثر من عدد كلمات النص نفسه. بهذا المعنى، القراءة-أو عملية تفسير نصّ ما-لا تختلف جوهرياً عن التأليف، حيث أننا في كل مرة نقرأ النصّ، سواء عمداً أو عرضاً، عرفنا أو لم نعرف، نجدد أو نُعيد كتابة النصّ، فالمعنى أصبح في بطن القارئ. (١)

أهمية البحث:

بناءً على ذلك تظهر أهمية هذا البحث من خلال تقديم أمثلة على ترجمات غير سديدة أثرت ولا زالت تؤثر على عملية "حوار الحضارات والثقافات" وتقف حجر عثرة في سبيله بينما هي لا تعدو كونها أثراً لخطأ في الترجمة، مما يفتح كثيراً من الأبواب المغلقة في وجه الحوار وتبادل الثقافات.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث لتقديم أمثلة على ترجمات كانت-ولا زالت-سبباً يعيق حوار الحضارات والثقافات وأن هذا ليس حكراً على كتاب دون غيره بل هو واقع في جميع ترجمات الكتب المقدسة-التي هي عمل بشري محض يجب أن يفصل بينه وبين النص الأصلي للكتاب المقدس-وإن كان المقام لا يحتمل إلا أمثلة، فإنني أرجو أن تكون كافية ومعبرة عن فكرتي، وإن لم تكن شاملة لكل الحالات؛ فإن هذا له مناسبة أخرى.

المبحث الأول

ترجمة التوراة

المطلب الأول

نصا التكوين والخروج

"فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل" (تك ٢: ٢)

"لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس" (خر ٣١: ١٧)

جاء في سفر التكوين في قصة بدء الخلق عن الله "فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل" (تك ٢: ٢) وجاء في سفر الخروج "لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس" (خر ٣١: ١٧)

الإشكال هنا الذي يعيق التفاهم: كيف يتعب الله ويستريح؟! هل التوراة تشبه الله تعالى بالإنسان؟ فهو يعمل ويتعب ويستريح؟ بل ويلتقط أنفاسه أيضاً!!

يرى الدكتور أحمد حجازي السقا-آخرون-أن التوراة صرّحت بأن الله استراح، لتثبت أن الإنسان الذي يحتاج للراحة قد خلق على صورته، فيقول الدكتور السقا عن كاتب التوراة "فإنه صوّر الله تعالى بصورة إنسان. {فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه} (تك ١: ٢٧) لقد بين أن الإنسان على صورة الله. ولكي يُقرّب صورة الإنسان من الله، أثبت لله صفات هي من لوازم الإنسان التي لا يستغني عنها، وليست هي من لوازم الله أنه يقول {وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله فاستراح} (تك ٢: ٢) وليست الراحة من لوازم الله عز شأنه وجل ثناؤه، فهو لا يدركه الكلال، وإنما الذي يدركه الكلال هو الإنسان، وصار في تأكيد شبه الله للإنسان على هذا النحو. فقال: إن الله قال عن آدم عليه السلام {هوذا الإنسان قد صار كواحد منا. عارفاً للخير والشر} (تك ٣: ٢٢) أي أنه من فصيلة الله، ولا يختلف عنه لا في هيئة الجسم ولا في العلم. وهو يذكر أن الله يحزن كما يحزن الإنسان" (٢).

(١) انظر:

See: Stanley Fish, "Is There a Text in This Class? and "Doing What Comes Naturally."

(٢) نقد التوراة ص ٧٤، ٧٥.

وكذلك د. أحمد شلبي أيضا يقول أن التوراة تضي على الله تعالى صفات البشر، وترسم أسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضة للإله. ((١)) وأن "بنو إسرائيل كانوا يتجهون إلى التجسيم والتعدد والنفعية" ((٢)) وكذلك صابر طعيمة ((٣)) لأن التوراة تقول: إن الله خلق آدم على صورته، وأن الله يمشي وينزل ويتكرر نزوله وكلامه ((٤)) ولأنها تقول إن الله كتبها (التوراة) بإصبعه وكيف يكون لله أصابع!! ((٥))

تنزيه الله في التوراة:

في الحقيقة التوراة بريئة من كل ذلك، والمتهم الرئيس هنا هم من ترجم. لماذا؟

أولاً: لأن التوراة كتاب تنزيه لله تعالى عن كل ما لا يليق به، ودونك الأدلة:

نصوص التنزيه في التوراة:

إن التوراة تنزه الله تعالى كالقرآن تماماً: فكما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] نجد في أسفار التوراة نفس المعنى:

١- في الخروج ١٥: ((من مثلك بين الآلهة يا رب من مثلك معتزلاً في القداسة مخوفاً بالتسابيح صانعا عجائب...)).

٢- وصفات الله تختلف عن صفات الإنسان فالله تعالى ليس إنساناً يوصف بصفات الإنسان، كما يقول فالنص في سفر العدد ١٩٢٣: ((ليس الله انساناً فيكذب ولا ابن انسان فيندم هل يقول ولا يفعل او يتكلم ولا يفى...)).

٣- في سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح ١٧: ((يا رب ليس مثلك ولا إله غيرك حسب كل ما سمعناه بأذاننا))

٤- في سفر صموئيل الثاني: الإصحاح ٧: ((لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بأذننا)).

٥- في سفر أشعيا "إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا" (أش ٤٠: ٢٨).

الترجمة الأصلية:

الفعل العبري (שבת) يعني استراح، توقّف، انقطع عن العمل، وقف، انتهى، قضى يوم السبت، تمسك بالسبت. و (شبات): جلوس، قعود، سكنى، توقّف، انقطاع. ويوم (شبات): السبت، يوم استراحة، يوم عطلة. (٦) ونلاحظ أن بين هذه المادة ومواد: سبت والسبات اشتقاق كبير (٧). وفي استعمال القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَأْسَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [الفرقان: ٤٧]. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] أي: قطعاً للعمل، وذلك إشارة إلى ما قال في صفة الليل: لِيَسْكُنُوا فِيهِ [يونس/ ٦٧] (٨). وقوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. قيل: يوم قطعهم للعمل، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ [الأعراف/ ١٦٣] قيل: معناه لا يقطعون العمل، وقيل: يوم لا يكونون في السبت، وكلاهما إشارة إلى حالة واحدة، وقوله: إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ [النحل/ ١٢٤] أي: ترك العمل فيه، يقال سبت يسبت سبتاً وسباتاً: استراح بعد العمل والملاّل. ويسمى هذا اليوم بالسبت لوقوع الاستراحة فيه بعد الاشتغال في سبّة أيام. (٩)

٢- فعل " שבת " سبت " يعني بالإنجليزية: seat جلس – قعد sitting جلوس وجلسة. ومعناها طبقاً للتشريعة اليهودية "الوقوف والكف" فالله كفّ عن الخلق، ولذلك قال الكتاب " وبارك الله اليوم السابع وقدّسه " لأنه فيه أنهى عمله

(١) شلبي، اليهودية، ص ١٩١.

(٢) شلبي، اليهودية، ص ١٨٦.

(٣) التراث الإسرائيلي ص ٣٥٥.

(٤) البار الله والأنبياء في التوراة، ص ١٨ وص ٢٤. والخولي، التحريف في التوراة ص ٩ و ١٠.

(٥) الخولي ص ٤٢.

(٦) قاموس ديفيد سجين (عبري – عربي) שבת ص ١٧٢٩ وص ١٧٣٥.

(٧) هو اشتقاق كلمة من أخرى مع اتفاقهما في المعنى والحروف الأصلية، دون ترتيب. مثل: رجب، بجر، جبر. وسلم، ملس، لمس، سمل. انظر:

فقه اللغة د. عبده الراجحي ط ١٩٨٨ ص ٢٤٤.

(٨) الراغب، المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٩٢)

(٩) الرازي، مختار الصحاح (ص: ١٤٠)

وتوقف من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً" (تك ٢: ٣) أي أنه توقف عن الخلق وإبداع الموجودات من العدم. والمعنى أن الله كف عن العمل أي توقف عن الخلق، ليس كلاً وتعباً. لأن "إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا" (أش ٤٠: ٢٨).

وهكذا " كل كلمة في أية لغة تحمل عادة معاني عديدة، وعلى المترجم في حال كهذه أن يختار معنى واحداً يستخدمه في ترجمته، إذن على ماذا يستند المترجم عندما يختار ذلك المعنى الواحد من بين المعاني المتعددة؟ إنه يختار ذلك المعنى الذي يشعر أنه يتفق مع فكرة القرينة، لكن هل يكون مُصيّباً دائماً في اختياره؟ إنه يظن ذلك، لكن قد يكون هناك مَنْ يخالفه الرأي." (١)

٣- الترجمة العربية للتوراة لسعديا الفيومي: (٢)

يعد كتاب «تفسير التوراة باللغة العربية. لسعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي، شكلاً من أشكال الترجمة التفسيرية للنصوص. ويقدم سعديا في كتابه تفسيراً لأسفار التوراة الخمسة: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية. ويستخدم في ذلك الحروف العبرية واللغة العربية. وهذا أسلوب كان شائعاً ومتبعاً لدى يهود العصر الوسيط سواء في المشرق العربي أو في الأندلس الإسلامية. ويعرف هذا الأسلوب حديثاً بالعربية اليهودية.

وفيما يتعلق بالنص المشكل هنا فقد ترجمة الفيومي هكذا "وأكمل الله في اليوم السابع خلقه الذي صنعه و عطل فيه أن يخلق شيئاً من مثل خلقه" (٣) ففي اليوم السادس أنهى جميع ما أراد خلقه واليوم السابع لم يخلق شيئاً. وبناءً على هذا لا إشكال في النص، وإنما اختيار المترجم من احتمالات متعددة كان خطأً ترجمي صعباً. أما على الترجمة الصواب "توقف عن الخلق أو بطل أو كف" أو حتى جلس؛ فلا إشكال فيها ففي مبحث صفات الله تعالى التي يتصف بها قسمان صفات ذاتية، وفعلية أي تتعلق بالفعل، مثل الخلق والكلام، فهو تعالى يخلق إذا شاء ويتوقف عن الخلق متى شاء كما أنه "يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ... (٤) فإنه " لم يزل إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت، لم يتجدد له وصف القدرة على الكلام التي هي صفة كمال كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة. وان كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء". وكذلك الخلق فهو يخلق ويترك الخلق وهو الخلاق العليم.

الخلاف بين الإسلاميين:

لقد كانت هذه الكلمة (استوى) بالضبط سبب خلاف كبير بين الإسلاميين.

تفسير الإسلاميين لـ "استوى":

قصة بدء الخلق ثابتة في القرآن تماماً كما في التوراة ما عدا الترجمة. ففي القرآن الكريم ورد ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله، واختلف المفسرون في معنى "استوى" في الآية:

١- قيل إنه العلو والارتفاع. قال البخاري في صحيحه: باب: (وكان عرشه على الماء)، (وهو رب العرش العظيم). قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع... (٥)

وقال مجاهد: استوى: علا على العرش" (٦)

٢- الجلوس والقعود: وأثبت بعض المفسرين تفسيراً للاستواء، (١) وأثبت الحافظ الدارقطني: القعود، في أبيات مشهورة له. (٢)

(١) القس د. كينيث بابلي: مقدمة كتاب الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد للقس غسان خلف ط دار النشر المعمدانية ببيروت ١٩٧٩: ص ١٦.

(٢) سعديا الفيومي. أحد أهم العلماء اليهود في العصر الإسلامي عامة وفي القرن الثالث الهجري على وجه الخصوص. ولد في مصر، وتلقى في قريته الفيوم تعليماً عربياً. كما درس الكتاب المقدس والتلمود، ثم توجه إلى فلسطين حيث أكمل دراسته.

(٣) سعديا الفيومي، ترجمة التوراة بالعربية، تحقيق يوسف درنبرج، ط الأولى ٢٠١٥ المركز القومي للترجمة، ص ٨٤.

(٤) انظر: ابن تيمية "جامع الرسائل" (٢٢٥/١)

(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب رقم ٢٢..

(٦) البغوي التفسير البغوي (٧٨/١)، ونقله الحافظ في الفتح (٤١٧/١٣)، وقال: "وقال أبو عبيدة والفراء وغيرهما بنحوه".

(نص الخروج ٣٢: ٢٤-٣٠)

"وتخلف هو وحده وهو ذا رجل فكان يصارعه إلى الفجر"

هذا النص من النصوص التي أسيء فهمها بسبب التقليد الأعمى، وعدم التحقيق. هذا النص بدا وكأنه عائقاً أمام التفاهم والتبادل الثقافي والحضاري لأن المسلمين لا يقبلون أبداً أن يوصف الله بالضعف والهزيمة. ((٣))

النص هو في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج : ٢٤ "وتخلف هو وحده وهو ذا رجل فكان يصارعه إلى الفجر" ٢٥ "وحين نظر أنه لا يقوى به فجس عرق وركه ولساعته ذبل" ٢٦ "وقال له أطلقني لأنه قد أسفر الصبح وقال له لا أطلقك أو تباركني" ٢٧ "فقال له ما اسمك فقال يعقوب" ٢٨ "قال لا يدعي اسمك يعقوب بل إسرائيل من أجل أنك إن كنت قويته مع الله فكم بالحري لك قوة في الناس" ١٩ "فسأله يعقوب عرفني ما اسمك فقال له لم تسأل عن اسمي وباركه في ذلك المكان" ٣٠ "فدعا يعقوب اسم ذلك المكان فنوائلاً قائلاً رأيت الله وجهاً لوجه وتخلصت نفسي"

وتدل النصوص الأخرى على أن هذا المصارع كان ملكاً: فقد جاء ذلك مصرحاً به في سفر هوشع وهو نص في هذا الباب وذلك في الإصحاح الثاني عشر من كتابه: " (لَكُمْ طَمَعٌ يَعْقُوبُ فِي بَرَكَاتِ الرَّبِّ)، فَقَبِضْ وَهُوَ مَا بَرِحَ فِي الرَّجْمِ عَلَى عَقَبِ أَحِبِّهِ، وَفِي رُجُوتِهِ جَاهِدْ مَعَ اللَّهِ. ٤ تَصَارَعَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَغَلِبَ. بَكَى وَالتَّمَسَ رِضَاهُ وَبَرَكَتَهُ، التَّقَاهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ إِيْلٍ فَخَاطَبَهُ هُنَاكَ. ٥ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيرُ وَيَهْوَهُ اسْمُهُ.)). فأطلق عليه لفظ الله في الموضعين، ولا يخفى أننا أمام نصوص مترجمة من لغة إلى أخرى، سواء كانت لغة التوراة الأصلية هي اللغة المصرية أو كانت الآرامية أو حتى العبرية(٤) ولكل لغة أسلوبها.(٥)

وحينئذ يكون هذا نظير تمثّل الملك الموت لموسى فطمه وفقاً عينه، تمثّل ملك الموت في صورة بشر أمر غير مستغرب ولا ممتع، فقد دلت نصوص القرآن والسنة على ظهور الملائكة في صورة البشر، بما يخفى حالهم على الأنبياء- فضلاً عن عموم الناس - ولا يلزم من ذلك خروج الملك عن ملكيته. وفقء موسى لعين ملك الصورة البشرية التي تمثّل فيها ملك الموت رد فعل طبيعي، يتصف بالشرعية مع رجل غريب اقتحم بيته بغير إذنه يطلب روحه.

إن الله تعالى لا يقدر عليه أحد: ((أيها الرب أنت إلهنا لا يقو عليك إنسان)) [أخبار الأيام الثاني ١٤ : ١٢]، والله تعالى لا يرى في الدنيا: ((٢٠) وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش * ٢١ وقال الرب هو ذا عندي مكان فتقف على الصخرة * ٢٢ ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز * ٢٣ ثم أرفع يدي فتتظر ورائي وأما وجهي فلا يرى)) [خروج ٢٠/٣٣-٢٣]

المشكلة هنا في ترجمة كلمة [LORD] الرب السيد المالك المربي.٦ ونفس الاستخدام القرآني: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢] أي الملك.٧

وأكرر " كل كلمة في أية لغة تحمل عادة معاني عديدة، وعلى المترجم في حال كهذه أن يختار معنى واحداً يستخدمه في ترجمته، إذن على ماذا يستند المترجم عندما يختار ذلك المعنى الواحد من بين المعاني المتعددة؟ إنه يختار ذلك المعنى الذي يشعر أنه يتفق مع فكرة القرينة، لكن هل يكون مُصِيباً دائماً في اختياره؟ إنه يظن ذلك، لكن قد يكون هناك مَنْ يخالفه الرأي"((٨))

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتابه " السنة" (١ / ١٠٥)

(٢) استواء الله على العرش، أبو رملة محمد المنصور إبراهيم، باحث بمركز الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي، سكتوا، نيجيريا.

(٣)) على سبيل المثال: انظر: د. محمد علي عبد الكريم الخولي، التحريف في التوراة، الرياض، الأولى (١٤١٠=١٩٩٠)، ص ٢٥.

(٤) حول اللغة الأصلية للتوراة انظر: فؤاد حسنين علي التوراة... هيروغليفية الأصل، القاهرة، شركة ومكتبة بيبليون (٢٠٠٥).

(٥) انظر: د. علي عبد الواحد وافي، (علم اللغة، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة التاسعة، أبريل ٢٠٠٤ م - وانظر كذلك: السقا، نقد التوراة،

مصدر سابق، ص ٩٠.

٦ انظر: ابن فارس معجم مقاييس اللغة. (٢ / ٣٨١)

٧ انظر: الطبري، التفسير، مصدر سابق.

(٨)) القس د.كينيث بايلي: مقدمة كتاب الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد للقس غسان خلف ط دار النشر المعمدانية بيروت ١٩٧٩: ص ١٦.

قبل ألفين واحدي عشرة سنة خلت، في المكان الذي ولد السيد المسيح-عليه الصلاة والسلام-كان هناك رُعاةٌ يَبْتُونَ في البرِّيَّة، يَنْتَابُونَ السَّهْرَ في اللَّيْلِ على رِعْيَتِهِمْ. فَظَهَرَ لَهُمْ مَلَائِكُ الرَّبِّ فَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكُ: ((لا تَخَافُوا!)) وبشرهم بميلاد المسيح. وَظَهَرَ مَعَ الْمَلَائِكِ عددٌ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيَنْشُدُونَ للتعبير عن فرحة ميلاد المسيح، "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام وللناس المسرة (لوقا ٢: ١٤). ومن البديهي إن الملائكة لم ينشدوا باللغة اليونانية، وإلا كانوا كمن يكلم الفلاحين المصريين باللغة اليابانية. وإن هؤلاء الرعاة السوريين الذين ذُكروا في الإنجيل لم يكونوا من خريجي جامعة أثينا؛ ولا بد أنهم سمعوا الملائكة يترنمون بتلك الأنشودة العجيبة بلغتهم هم، فلا يمكن إذن أن تكون الأنشودة باليونانية، ومن البديهي أنهم كانوا يرتلون التسابيح باللغة السريانية. ومما لا شك فيه أن المسيح عليه السلام نفسه كان يتحدث اللغة السريانية لغة قومه السريان، والنصوص المقدسة نفسها تشهد لذلك:

[١] في العدد السابع عشر من الأصحاح الثالث من إنجيل مرقس: (لقبهما ببوانرجس أي ابني الرعد). Boanerges)
Boanerges = בּוֹנֵי רָעַד (وهي اسم آرامي معناها "أبناء الرعد". (١)

[٢] في العدد الحادي والأربعين من الباب الخامس من إنجيل مرقس: (وقال لها طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي). فطليثا باللغة الأرامية معناها "صبية" (٢)

[٣] في العدد الرابع والثلاثين من الباب السابع من إنجيل مرقس في الترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦: "ونظر إلى السماء وتأوه وقال افتنا يعني انفتح"، وهي كلمة آرامية (مر ٧: ٣٤) هي صيغة الأمر من الكلمة الأرامية "فتنا" يعني "فتح" وهي "فتح" في العبرية פתח والعربية لفظا ومعنى. (٣)

فهذه الشواهد تدل على أن المسيح عليه السلام كان يتكلم باللغة الأرامية التي كانت لغة قومه، لأنه كان سريانيا ابن سريانية نشأ في قوم سريان. فالأنجيل باليونانية هي عبارة عن ترجمة لكلامه صلى الله عليه وسلم. فأقدم نسخة وصلت إلينا من "متى" كانت باللغة اليونانية وإن كان أصل الكتاب قد كُتِبَ باللغة الأرامية ووصل إلينا بقية الكتب المقدسة -أعني العهد الجديد- في اللغة اليونانية. ومنها تُرجمت أيضا هذه الكتب إلى جميع لغات العالم. ((٤))

مشكلة الترجمة عند آباء الكنيسة:

وتعطينا شكوى جيروم إلى البابا ديمسيوس Damasus في القرن الثالث دليلاً على قدم هذه القضية، شكوى جيروم كانت حول الترجمات المتباعدة لنفس الفقرة (مثال على ذلك لوقا ٤، ٢٤-٥ حيث توجد على الأقل ترجمة مختلفة في المخطوطات اللاتينية القديمة) تُوكِّدُ شكوى جيروم إلى البابا ديمسيوس Damasus أن عدد الترجمات تقريباً يساوي عدد المخطوطات، وبعض هذه الترجمات قام بها أشخاص قليلو العلم باللغة، ومثلها ذلك شكوى أوغسطين -أحد آباء الكنيسة في القرن الثاني- من المترجمين الأوائل للعهد الجديد إلى اللغة اللاتينية، لأنهم "متسرعون بحيث أن أي منهم يُحَوِّرُ على مخطوطة يونانية يَتَخَيَّلُ نفسه بارعا في كل اللغات ويتجاسر على تَرْجَمَتَهَا). ((٥))

(١) نقلا عن موقع الأنبا تكلا -Holy-Arabic-Bible-٠٠٢-FreeCopticBooks/Full-Free-Coptic-Books/ Dictionary/٠٢_B/B_٢٣٩.html بتاريخ ٢٠١٨/٠٥/٠٨

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر المادة ومشتقاتها قاموس ديفيد سجييف (عبري - عربي) פתח ص ١٤٨٢-٨٣.

((٤)) ينظر في ذلك: علي عبد الواحد واقفي: الأسفار المقدسة ص ٩ و ص ٨٦ وما بعدها ورحمة الله الهندي إظهار الحق ٤/١١٠٥ وصابر طعيمة الأسفار المقدسة ص ٢٥٥ وما بعدها.

((٥))انظر:

Metzger, Bruce, The text of the New Testament, pp ٩٤-١٢٢.

[نص يوحنا ٧ : ٨-١٠]

" أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. ٨ جَمِيعُ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلِي كَانُوا أَلْصُوصَ وَسُرَاقًا، "

نحن جميعاً -المسلمين واليهود والمسيحيين-(الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت) سنتحير وتعترينا الدهشة بالتأكيد عندما نقرأ نص الإنجيل الرابع (انجيل يوحنا): " أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. ٨ جَمِيعُ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلِي كَانُوا أَلْصُوصَ وَسُرَاقًا، ما ترجمته باليونانية " (ΠΑΝΤΕΣ) لησται και εισιν πρό μου ἦλθον ὅσοι ٧: ١٠-٨).

الإشكال هو: هل كان كل أسلاف المسيح-أنبياء وصالحين-سراقاً جميعاً وقطاع طرق؟

أليس هذا اتهاماً قاسياً لأنبياء العهد القديم أو حتى لعباد الله الصالحين الذين رويت أخبارهم في صفحات العهد القديم؟ لكن هذا النص المشكل وجوده في الترجمات -أو المخطوطات المترجمة- أيضاً مشكل جداً. (١)

بعض الترجمات -مخطوطات مترجمة- لا يوجد فيها هذا النص بهذه العمومية وذلك لأن المترجم حذف كلمة ΠΑΝΤΕΣ (كل) في مخطوطة من مخطوطات التراث الغربي هي (D b). بواسطة هذا الحذف، دعوى المسيح ليست قاسية جداً؛ الآن على الأقل هو لا يوبّخ كل أسلافه.

وفي ترجمة بعض المخطوطات تحذف كلمة πρό μου (قبلي) من وثائق أكثر تنوعاً وقدماً. ٢ طبعاً تغيير الترجمة له تأثير إيجابي، لأن العبارة المنسوبة للمسيح الآن هي أكثر لباقة (٣) أو بتعبير الدكتور بروس Metzger، التغيير يعمل "لتقليل إمكانية أخذ الشاهد باعتباره إدانة عامة لكل الصالحين في العهد القديم." (٤)

"ابن الله"

من أسباب الخلاف والتباعد الثقافي بين الأديان والثقافات والحضارات العقائد الأساسية في المسيحية الخلاف حل طبيعة المسيح، سواء في داخل البيت المسيحي، أو خارجه؛ أي بين المسيحية واليهودية والإسلام. فهل يمكن أن ينسب هذا الاختلاف الذي سبب التباعد بين الناس عموماً إلى خلل في الترجمة؟

العهد هنا على الدكتور شارل جينيبير (٥) إذ يقول: "ولقد اختلط الأمر في فترة من الفترات على بعض المؤمنين الذين لم يكونوا على معرفة كبيرة باللغة الآرامية، إذ أن تعبير ابن الإنسان في هذه اللغة يعني فقط إنسان أو رجل فتهيأ لهؤلاء المؤمنين أن ها التعبير... لا بد وان يحتوي على سر عميق. وقد ربطوا بينه وبين النص المماثل من كتاب دانيال-وهو النص الذي لم يفهموه أيضاً-فقرروا أن ابن الإنسان مرادف مسيحي خاص لكلمة "مسيح" وتحليل النصوص يؤكد خطأ هذا المذهب الذي ذهبوا إليه في تأويل التعبير المذكور. بل إن أغلب الفقرات التي تحتوي على هذا التعبير يبدو أنها ليست من كلام المسيح بل صدرت عن محرري الأناجيل. أما تلك التي يبدو أنها نسبت له بشكل صحيح فلا تعدو أن تكون أربع أو خمس مرات. (هي: متى ٨: ٢٠، ولوقا ٩: ٥٠ و ١١-١٩ و ٧-٣٤ و ١٢-٣٢ و ١٠-١٢ ومرقص ٢: ١٠ و ١٢: ٨) ولا يمكن أن نصفها بأقل من أنها خاطئة في ترجمتها للنص الأصلي ويجب أن تستبدل الترجمة (ابن الإنسان) ب (إنسان)." (٦)

وكذلك يقول إن تعبير "ابن الله" لا يعدو أنه من نفس الباب أي الخطأ في الترجمة، والذي لا يكاد يصدق أن تكون تلك العقيدة نتيجة خطأ في الترجمة! "الأمر لا يتعدى أسلوب حديث معين أو صورة بلاغية، فاليهود كانوا يطلقون عبارة "خادم يهوه" على كل إنسان يظنون لديه إلهاماً" منه. والتوراة السبعينية كثيراً ما تترجم هذه العبارة هكذا $\pi\alpha\iota\varsigma \tau\omicron\upsilon\theta\epsilon\omicron\upsilon$ والكلمة اليونانية $\pi\alpha\iota\varsigma$ تعني في نفس الوقت "خادم" أو "طفل"، تماماً كالكلمة اللاتينية (puer) وعلى هذا يكون التطور في اللغة اليونانية من طفل إلى (ابن) أمر في غاية من البساطة" (٧).

(١) النص المشكل الأطول موجود عند:

Byzpt bo, Clement, Origen, ٧٠٠ ٣٣ ١٢٣ F II W K L D B A p٦٦ وصف من الوثائق الأخرى. هذا الثبوت المتفوق، وغموض النص الأقصر، والتفسير الحاضر للحذف تجتمع لتؤيد أن الفقرة أصلية.

٢ هي (pal copsa. ach ٢ al vsyrs. P. h. Byzpt OL ٢١٤٨ ٨٩٢ ٢٨ Δ ٧٥ vid. p٤٥)

(٣) لكن حتى مع هذه الترجمة تبقى المشكلة لأنه إذا كان المسيح لا يشير لهؤلاء الذين "جاءوا قبله" فماذا عساه يعني ب " كل هؤلاء الذين جاءوا؟" (٤) "تعليق نصي" ص ٢٣٠

(٥) هو شارل جينيبير أستاذ تاريخ الأديان بجامعة باريس، مؤلف مسيحي من أب مسيحي، وأم مسيحية، ونشأ في بيئة مسيحية صميمة، هي البيئة الريفية الفرنسية، كاثوليكي المذهب.

(٦) ينظر شارل جينيبير: المسيحية، نشأتها وتطورها، المكتبة العصرية بيروت، ص ٤٠

(٧) ينظر شارل جينيبير: المسيحية، نشأتها وتطورها ص ١٠٦ ط: المكتبة العصرية بيروت.

"اسمه أحمد"

نصت آيات القرآن على أن الأنبياء بشرى بالنبي العربي صلى الله عليه وسلم حتى ذكره بالاسم (أحمد). لكن السؤال اين هو ذلك الاسم؟ الجواب هو "الترجمة" أو ما يسميه النقاد ظاهرة "تبادل الإسناد" وتغيير الأسماء والألقاب عمل شائع في الترجمات القديمة بين اللغات.

على سبيل المثال:

نص يوحنا ١٩:٤٠، حيث يُهَيئُ يوسف و نيفوذيْموسُ جسم المسيح للدفن: " ٤٠ فَأَخَذَا جُثْمَانَ يَسُوعَ وَلَقَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الطَّيِّبِ (τό ὤμασ του ησου) ". إنَّ كاتب أو مترجم المخطوطة السكندرية Alexandrinus، ربما في زلّة غير مقصودة، يبدلُ يسوع (ησουΙ) بـ الله (θεός) وكان هذا بدون ارتكاب تصرف كبير، لم يتطلب الأمر سوى استبدال حرفين ببعضهما (باعتبارهما اسمين مقدسين nomina sacra، (ΘΥ) بـ (ΙΥ))، حيث اختصار الأسماء المحترمة والمتكررة كان هو المتبع في مخطوطات الكتاب المقدس، و النتيجة أنهما "أخذوا جسم الرب وكفوه." (١)

في البردية p٧٢ في رسالة بطرس الأولى ٥:١، تقريباً كامل التراث يتفق في وصف القديس بطرس باعتباره شاهداً على "الأم المسيح" (των του χριστου παθημάτων) إلا أوراق بردي القرن الثالث، التي تُغيّر الترجمة باستبدال الله (θεός) بـ المسيح (χριστου) والنتيجة المدهشة أن بطرس الآن شاهدٌ على "الأم الله" (των του θευ παθημάτων).

ترجمة مشابهة في التراث في الرسالة لمؤمني روما ١٤: ١٠ حيث يُصرّح بولس بأنّ كلّ المسيحيين ستوف يقفون أمام عرش الله ليحاسبوا. (τω βηματι του θεου). عدد من الترجمات، غيرت الترجمة لتصبح "عرش المسيح" (٢)

في الرسالة الثانية لكورنثوس ٥:٦ و ٨ في عدة ترجمات-النص يقول: " ما دنا مُقيمين في الجسد، نبقى مُعتربين عن الرب،" (فقرة ٦) والمُعترِب عن الجسد هو مُقيم عند الرب (فقرة ٨).

في كلتا الحالتين "الرب" غيّر إلى "الله" (τοῦ θεός - του κυρίου، فقرة ٦؛ τόν θεός - τόν κύριον، فقرة ٨). في بادئ الأمر التغيير يبدو غير مزعج، لكن النص يستمر ليحدد من أمام من يحضر الناس عندما "يتغيرون" عن الجسد: إنهم يحضرون عند "عرش المسيح". بواسطة تغيير "اللورد" إلى "الله" في الفقرات ٦ و ٨، بينما يُحتفظ بفكرة "عرش المسيح" في الفقرة ١١، فقد حسم المترجم المعنى أي أن الغياب عن الجسد يعني الحضور عند الله "المسيح".

هذه الأمثلة تجيب عن سؤال هذا المطلب: أين اسم النبي العربي بين صفحات الكتاب المقدس؟

المبحث الثالث

ترجمة القرآن الكريم المطلب الأول

ترجمة نص سورة المائدة ٥١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

هذه الآية تنهى عن اتخاذ اليهود والنصارى "أولياء" بالضبط هنا المشكلة! ما معنى أولياء؟

"لقد فقدت أحد أعز أصدقائي الغربيين عندما أهديت له مصحفاً مترجماً وعندما قرأ هذه الآية -ربما بطريق الصدفة- فهم أنني أخالف ديني بصحبتني له فاعتذر لي ولم أره منذ ذلك اليوم" (٣)

هل يمكن للمسلم أن يكون له صديق يهودي أو مسيحي؟ يختلف الجواب بحسب ترجمات القرآن الكريم:

في الترجمة الدولية:

do not take the Jews and the Christians as "allies"، O you who have believed (٥١)

هذه الترجمة تعني: حلفاء، الأنصار جمع نصير؛ المناصر والمعين.

(١) انظر:

Bart D. Ehrman, The Orthodox corruption of scripture: the effect of early Christological controversies on the text of the New Testament, P.٨٣.

(٢) في المخطوطات (Byz r syr al) ٠٤٨٠٢٠٩ (C٢ ψ).

(٣) هذه شكاية أحد أقرب أصدقائي الصيدلي البار ع د طارق عيد المولى.

وفي ترجمة مجمع الملك فهد: استخدم المترجم الكلمة العربية وفسرها بين اقواس كما في الصورة. وتفسيره لها "أصدقاء - protectors friends أي حماة وقيام - helpers مساعدون.

وفي ترجمة يوسف على قال:

Friends and protectors: They are but friends and protectors to each other.

أي أصدقاء أو حماة وناصرين وقيما.

وفي ترجمة د. خان للمجمع:

O you, who believe, take not the Jews and the Christians for friends. They are friends of each other.

أما الترجمة الفرنسية لمصحف المدينة فاستخدمت بدون تردد كلمة allies أي حلفاء وأنصار وقيما.

أما تفسير اعلام التفسير لهذه الآية فيبدو منه أن لا علاقة له بالصدقة بل بالعداوة. فقد عدد ابن جرير الطبري اختلاف المفسرين فذلك فخلص إلى الأقوال الآتية:

١- قيل عنى بذلك عبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي ابن سلول، في براءة عبادة من حلف اليهود، وفي تمسك عبد الله بن أبي ابن سلول بحلف اليهود، بعد ما ظهرت عداوتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم= وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسك بحلفهم: أنه منهم في براءته من الله ورسوله كبراءتهم منهما.

٢- وقيل غني بذلك قوم من المؤمنين بعد غزوة أحد كانوا هموا حين نالهم بأحد من أعدائهم من المشركين ما نالهم= أن يأخذوا من اليهود والنصارى حماة في الحرب -وقيل ويرتدوا عن الإسلام-فنهاهم الله عن ذلك، وأعلمهم أن من فعل ذلك منهم فهو منهم.

٣- وقيل غني بذلك أبو لبابة بن عبد المنذر، في إعلامه بني قريظة إذ رَضُوا بحكم سعد: أنه الذبح.

وأما اختيار ابن جرير نفسه فهو كما قال: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان... فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عم، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه. غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهوداً أو نصارى خوفاً على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية التي بعد هذه تدل على ذلك، وذلك قوله: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ الآية." (١)

والواضح من كل هذه القوال أن ذلك يتعلق بأمر الحرب واتخاذ الأحزاب لهذا الغرض. أما الصداقات الشخصية فلا تتعرض لها الآية بل هناك آيات توضح حكم غير المحاربين منها قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ واختيار ابن جرير هو: "عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخص به بعضاً دون بعض،.." (٢)

المطلب الثاني

ترجمة قوله تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

(١) الطبري، التفسير، تحقيق الأخوان أحمد ومحمود شاکر، طبعة دار المعارف، مصر ص ١١٧.

(٢) الطبري، المرجع السابق، ص ٥٥١.

في أحد مواسم الحج حين يجتمع الناس من كل فج عميق، ويتحدثون بالسنة مختلفة، كان فريق منهم -من الناطقين بالفرنسية يقرأون الترجمة الفرنسية لهذه الآية؛ فاختلّفوا اختلافاً شديداً، حول ما إذا كان اليهود والنصارى سيدخلون الجنة -من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً- أم أن هذا كان في الماضي في عصر أنبيائهم، أو أن هذا الحكم "مستمر" حتى يوم القيامة؟

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون معنى "من آمن" وفي معنى هذه الآية عموماً، واختار الطبري: "إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى، حتى جاء عيسى. فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى -كان هالكا. وإيمان النصارى: أنه من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لم يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل -كان هالكا.

وروي ما يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحاً -من اليهود النصارى والصابئين -على عمله، في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

فتأويل الآية إذاً على ما ذكرنا عن مجاهد والسدي: إن الذين آمنوا من هذه الأمة، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين -من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر -فلم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والذي قلنا من التأويل الأول، أشبه بظاهر التنزيل، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بالأجر على العمل الصالح مع الإيمان - بعض خلقه دون بعض منهم، والخبر بقوله: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، عن جميع ما ذكر في أول الآية.

أما الحديثون قال -بعضهم- بقول ابن عباس -أو نصفه- دون النسخ، كما فعل الأفغاني وتلميذه "الأستاذ الإمام" والشيخ رشيد رضا باعتباره ما أسماه "دين المستقبل":

قال صاحب المنار: " (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا) هَذَا بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ؛ أَي مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَحِيحًا ... (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أَي إِنْ حُكِمَ اللَّهُ الْعَادِلُ، سَوَاءٌ وَهُوَ يُعَامِلُهُمْ بِسُنَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا يُجَابِي فِيهَا قَرِيبًا وَيُظَلِّمُ قَرِيبًا. وَحُكْمُ هَذِهِ السُّنَّةِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرَهُمُ الْمَعْلُومَ بِوَعْدِ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ يَخَافُ الْكُفَّارُ وَالْفَجَّارُ مِمَّا يَسْتَقْبِلُهُمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى شَيْءٍ فَاتَهُمْ... فَالآيَةُ بَيَانٌ لِسُنَّةِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي مُعَامَلَةِ الْأُمَّمِ، تَقَدَّمَتْ أَوْ تَأَخَّرَتْ، فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: (لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) وَمَنْ يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ تَقْيِيرًا) (٤: ١٣٣ - ١٢٤) فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا إِشْكَالَ فِي حَمْلِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. . . إِيْحَ عَلَى قَوْلِهِ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) . . . إِيْحَ، وَلَا إِشْكَالَ فِي عَدَمِ اشْتِرَاطِ الْإِيْمَانِ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي مُعَامَلَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - لِكُلِّ الْفُرْقِ أَوْ الْأُمَّمِ الْمُؤْمِنَةِ بِنَبِيِّ وَرَحِي بِخُصُوصِهَا؛ الظَّائِنَةُ أَنْ فُوزَهَا فِي الْآخِرَةِ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهَا مُسْلِمَةٌ أَوْ يَهُودِيَّةٌ أَوْ نَصْرَانِيَّةٌ أَوْ صَابِئَةٌ مَثَلًا، فَاللَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْفُوزَ لَا يَكُونُ بِالْجَنَسِيَّاتِ الدِّيْنِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بِإِيْمَانٍ صَحِيحٍ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى النَّفْسِ، وَعَمَلٌ يَصْلُحُ بِهِ حَالُ النَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ نَقَى كَوْنَ الْأُمْرِ عِنْدَ اللَّهِ بِحَسَبِ أَمَانِيِّ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأُثْبِتَ كَوْنَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعَ الْإِيْمَانِ الصَّحِيحِ." (١)

وفي المجلة قرر أنه سمع من الأستاذ الإمام أن جمال الدين الأفغاني قال له انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة إلى أن يجيء المستقبل فيفسرها. ونقل عنهما عبارة أن هذه الآية هي "دين المستقبل" لكنه توقف في مقصد الأفغاني. (٢)

مشكلة الترجمة:

كيف نترجم هذا المعنى؟ بالنسبة للترجمة المترجم الفرنسي لمعاني القرآن لمصحف المدينة اختار الترجمة التالية:

Certes, ceux qui ont cru, ceux qui se sont judaïsés, les Nazaréens, et les sabéens, quiconque d'entre eux a cru en Allah au Jour dernier et accompli de bonnes œuvres, sera récompensé par son Seigneur; il n'éprouvera aucune crainte et il ne sera jamais affligé.

(١) التفسير: ٢٧٩/١.

(٢) مجلة المنار - المجلد [] الجزء [] ص صفر ١٣٢٧ - مارس (١٩٠٩)

موضع النقاش هنا أيضاً هو الجملة: من آمن بالله واليوم الآخر؛ كيف تترجم؟ هل باختلاف الزمن المستخدم في الترجمة يختلف معنى الآية؟ سواء بالإنجليزية أو الفرنسية:

eux a cru en Allah au Jour dernier, (Who believed in Allah and last day)

الماضي البسيط (Le passé simple). الحقيقة أن المعنى لن يتغير سواء استخدم المترجم في الجملة من آمن والفعل آمن صدق (croire) -eux a cru en Allah- في زمن الماضي المستمر Le passé compose

فالحقيقة هنا أن الترجمة بريئة وأن المترجم نقل النص بما فيه من إشكال المعنى العربي، وبقي الخلاف التفسيري كما هو مما اضطر مراجعو الطبعة الفرنسية إلى إضافة "حاشية" تفسيرية "لتوضيح" معنى الآية كما في الصورة.

1. *Ceux qui ont cru: les Musulmans.*

Les Juifs... etc: il s'agit ici de ceux qui suivaient les prophètes de leurs époques.

صورة ٢ حاشية لجنة الترجمة الفرنسية على الآية ٦٢ من سورة البقرة

الخاتمة

وأهم النتائج والاستنتاجات

١- إن الأديان جميعها من مصدر واحد وتهدف إلى مقصد واحد وطريقها واحد وجميعها يصدق بعض البعض، ويثني الأول على الآخر، ويصدق السابق اللاحق.

٢- إن الاختلاف لا يعود إلى أصل الدين ولكن لأمر خارجية يمكن تجاوزها بكشفها وإزاحتها لفسح الطريق أما التفاهم والتبادل الثقافي والحضاري، أو بتعبير القرآن الكريم "لتعارفوا".

٣- إن ترجمة الكتب المقدسة التي هي (الترجمة) بحسب التعريف كالتفسير عمل بشري يعتريه ما يعتري الأعمال البشرية من ضعف ونقص؛ كانت-ولازت-أحد أهم أسباب التباعد الثقافي والحضاري وسوء فهم الآخرين بعضهم البعض.

٤- كثيراً من أسباب التباعد والتناكر الثقافي كانت على أسس واهية وحجج داحضة وليست ناهضة لاستمرار هذه الحال السيئة.

٥- البحث العلمي والأكاديمي هو أحد طرق للتعارف الثقافي والحضاري، واجتثاث التنافر والتباغض والتباعد.

المصادر والمراجع

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (١٣٩١) درء تعارض النقل والعقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط دار الكنوز الأدبية - الرياض.

ابن حجر الحافظ العسقلاني. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بمصر.

أبو رملة، محمد المنصور إبراهيم، استواء الله على العرش، باحث بمركز الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي، سكتوا، نيجيريا.

البار محمد علي، "الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم"، ط دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، الأولى (١٩٩٠=١٤١٠).

التيمي، أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّمِيمِيُّ (ت: ٢١٠هـ=٨٢٥م)، مجاز القرآن، محمد فؤاد سزكين (محقق)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية، (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).

- علي، حسنين؛ فؤاد علي التوراة... هيروغليفية الأصل، القاهرة، شركة ومكتبة بيبليون (٢٠٠٥).
- الخولي محمد علي عبد الكريم الخولي، التحريف في التوراة، الرياض، الأولى (١٤١٠=١٩٩٠)،
الرازي، محمد بن أبي بكر "مختار الصحاح" السعودية، الطائف، مكتبة المؤيد.
- الراغب، المفردات في غريب القرآن
- الجمال، رضا: الترجمة بين الفن والفهولة: مقال منشور في صحيفة الأهرام المصرية في ٢٠/٢/١٩٨٤.
- الزجاج، إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الرَّجَّاحُ معاني القرآن، ت: د. عبد الجليل الشلبي. ط. عالم الكتب، بيروت. (١٤٠٨هـ)
- زيدان، يوسف مَفْهُومُ الحُؤْلِيَّةِ: تطبيقه في الموسوعة اليهودية. (ندوة الموسوعة اليهودية / جامعة القاهرة، مارس) وهو منشور في موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات، على الشبكة العالمية.
- الفيومي، سعديا، ترجمة التوراة بالعربية، تحقيق يوسف درنبرج، ط الأولى ٢٠١٥ المركز القومي للترجمة.
السقا، أحمد حجازي، نقد التوراة. مكتبة الناظفة. بدون بيانات.
- شارل جينيبير: المسيحية، نشأتها وتطورها ص ١٠٦ ط: المكتبة العصرية بيروت.
- الشرقاوي، محمد عبد الله. "في مقارنة الأديان. بحوث ودراسات، بيروت-القاهرة، دار الجيل، الثانية (١٩٩٠).
- شلبي، أحمد، اليهودية. مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية عشرة (١٩٩٧)
- الطبري، محمد ابن جرير، "جامع البيان عن تأويل القرآن"، ت: محمود وأحمد شاكر، مصر، ط. دار المعارف.
- علي، فؤاد حسنين (٢٠٠٥) "التوراة... هيروغليفية الأصل"، القاهرة، شركة ومكتبة بيبليون.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الفخر الرازي "التفسير الكبير"، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة .
- قاموس ديفيد سجييف (عبري - عربي) שבעה.
- كينيث بايلي: مقدمة كتاب الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد للقس غسان خلف ط دار النشر المعمدانية بيروت ١٩٧٩.
- مارش، وليم (١٩٧٣)، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت.
- مجمع اللغة العربية، (٢٠٠٤) المعجم الوسيط، استانبول، المكتبة الإسلامية.
- الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن. إظهار الحق، تحقيق د. محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ، السعودية، الأولى، (١٤١٠)
- وافي علي عبد الواحد وافي، (١٤١٢=١٩٩١) علم اللغة، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة التاسعة، أبريل ٢٠٠٤ .
- Bart D. Ehrman, The Orthodox corruption of scripture: the effect of early Christological controversies on the text of the New Testament, Oxford University Press
- Metzger, Bruce, A textual commentary in the Greek New Testament, second edition, united bible societies.
- Metzger, Bruce, The text of the new testament, New York. Oxford.
- Oxford New York.

الفهرس

المؤتمر العلمي الدولي الثالث – حوار الحضارات والثقافات الثالث

كلية الآداب في جامعة الطفيلة التقنية

أثر التحيز على حوار الحضارات والثقافات

"التحيز ضد اليهودية نموذجاً"

د تامر محمد محمود متولي

باحث وأكاديمي مصري/أستاذ العقيدة المشارك/جامعة حائل السعودية

مقدمة

إنَّ أعدل نص قانوني وأخلاقي عرفه تاريخ الإنسانية هو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥) وهذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة ٨) أصل في العدل والموضوعية والحياد.

فضلا عن كونها مخالفة دينية وأخلاقية؛ تعتبر ظاهرة التحيز عيباً منهجياً في البحث العلمي. ومن أهم نتائج التحيز؛ بعد كونه مخالفة دينية، وعيباً منهجياً في البحث العلمي، أنه يغفل الصورة الحقيقية للتحيز ضده، وأنه يكون حاجزاً بين الثقافات والحضارات، وصاداً عن التعارف الواجب بين الأمم والشعوب. في هذا البحث المختصر لا يمكنني أن أستوعب الظاهرة، لكن يمكنني فقط إعطاء أمثلة، ربما تكون غير شاملة؛ لكنها أرجو أن تكون معبرة عن الظاهرة وتأثيرها على التبادل الثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب.

هدف البحث:

نعم! لقد ذاقت حضارتنا مرارة التحيز كثيراً، لكننا وقعنا فيه. فجاء هذا العمل لكيلا نكون كمن يرى الشعرة في عين خصمه ولا يرى الشجرة في عين نفسه. فهدي في هذا البحث ليس كشف التحيز ضد امتنا فهو عمل قام به كثيرون قبلي، ولكن هدي في هذا البحث هو بيان أن أننا أيضاً وقعنا في التحيز.

حدود البحث:

حدود هذا البحث الموضوعية هي "التحيز ضد اليهودية" هذا الدين الذي نؤمن به وبنبيه، ولأسباب لا يصعب معرفتها.

ومن جهة أخرى سأقتصر على امثلة من التحيز في كتابات المعاصرين؛ دون غيرهم وإن كان التحيز مثل ظاهرة عامة؛ إلا أن أكثره وقادته هم المصريون؛ أهلي وناسي.

وحدود البحث الزمانية هي العصر الحديث، فسأورد أمثلة على التحيز وأزعم أنه تحيز ليس له مثل في تاريخ امتنا، لكنه ظاهرة معاصرة وحديثة لأسباب غير علمية.

المسح الأدبي:

كل ما وجدته باللغة العربية كان في الاتجاه العكسي، أي في ظاهرة التحيز ضد امتنا؛ ولم يكن لأحد في القرنين الآخرين أن يكتب في الاتجاه الآخر، لأسباب يأتي ذكرها.

أهمية البحث:

١. من ذلك المؤتمر الذي عقد برعاية نقابة المهندسين المصرية سنة (١٩٩٨) بعنوان "إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد"، ونشرت بحوثه بتحرير المسيري، عبد الوهاب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن.

مع التغييرات والحوادث التي تتوالى على عالمنا ترتفع من حين لآخر أصوات كثيرين ومبادرات مصلحين، وكثيراً من علماء ومثقفين، ومن القادة والسياسيين، ومؤسسات دولية ومحلية، وكثيرين من خبراء التربية ومؤسساتها تدعو إلى الحياد الثقافي ولاسيما في المؤلفات العلمية والثقافية، وإلى الحوار الثقافي بين الحضارات ليكون بديلاً عن الحروب المدمرة والمفكرة التي لم يعد فيها منتصر ومهزوم بل مهزوم ومهزوم. ويفتضي ذلك الحوار عدلاً قانونياً وحياداً ثقافياً.

إن إمكانية الاتصال والانتقال بين الشعوب تقتضي قدراً من التسامح الثقافي كي يتحقق الاندماج بينهم، وهذا لا يتم في ظل أي نوع من أنواع التحيز.

خطة البحث:

وخطتي في هذا العمل على التفصيل التالي:

تعريف مصطلحات البحث: التحيز – اليهودية

مظاهر التحيز ضد اليهودية في كتابات المعاصرين.

أسباب التحيز ضد اليهودية في كتابات المعاصرين.

أثر التحيز على حوار الثقافات والحضارات.

ملخص البحث.

الفهارس العلمية.

تعريف مصطلحات البحث

اليهودية:

عرف د سعود الخلف (١٩٩٧، ص ٣٦) بشكل متحيز اليهودية بأنها "دين من يزعمون أنهم أتباع موسى" بينما قد يخلو تعريف طعيمه (١٩٧٩ ص ٣٥٣) من هذا التحيز، وقد عرفها بأنها "أول دين سماوي مكتوب أنزله الله تعالى وحيّاً على نبيه موسى ليعبده بنو إسرائيل ولا يشرك به شيئاً" أو "أنها دين سماوي يقوم على توحيد الواحد القهار" أو "الدين الذي أنزله الله على قلب عبده موسى يناهز بوحدانية الله رب العالمين" وهذه التعاريف الثلاثة متقاربة وتخلو من التحيز الذي ألاحظه في التعريف الأول، لكن هذه الثلاثة ليست جامعة فكل منها يقتصر على جانب أو جوانب مهملاً ما عداها، والتعريف الذي أراه موضوعياً ومطابقاً للواقع هو أن: "اليهودية هي دين سماوي ورسالة صادقة نزلت على نبي عظيم هو موسى عليه الصلاة والسلام، وتمثل التوراة كتاباً سماوياً في أصله؛ يعطي صورة قريبة من الصورة الإسلامية عن الله تعالى وأسمائه وصفاته. وعن الإنسان وتاريخه على هذه الأرض، كما أنها تعطي صورة واضحة عن شريعة إلهية صحيحة لكن نسخ بعضها"

شرح ودليل التعريف:

حتى لا يكون تعريفي لليهودية هو مجرد تعريف شاعري لكاتب في القرن العشرين يكتب متأثراً بشعارات القرن في عدم التمييز على أساس ديني أو لغوي وعرقي بين الناس، يجب عليّ أن أعطي تبريراً لتعريفي:

أولاً: التوحيد في التوراة والقرآن: أو أعظم الوصايا:

كما ذكرت في التعريف فاليهودية وكتابها " يعطي صورة قريبة من الصورة الإسلامية عن الله تعالى وأسمائه وصفاته " فاليهودية ديانة توحيدية تقرر وحدانية الإله المعبود بحق وتقر بوجود آلهة أخرى باطلة، لكن الإله الذي تجب عبادته وحده هو رب إبراهيم والأنبياء من بعده، خالق السموات والأرض. وتكرر التوراة وما ألحق بها من كتب هذه الحقيقة في كل مناسبة، والتوحيد أول وأعظم الوصايا في الكتاب المقدس:

((أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ دِيَارِ عُودِيَّتِكَ. ٣ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ. ٤ لَا تَتَّخِذْ لَكَ تَمَثَالًا، وَلَا تَصْنَعْ صُورَةً مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِ. ٥ لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ، إِلَهٌ غَيْرٌ، أَفْتَقِدُ أَنَامَ الْأَبَاءِ فِي الْبَنِينَ حَتَّى الْجِيلِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِي، ٦ وَأَبْدِي إِحْسَانًا

نَحْوُ أَلُوفٍ مِنْ مُجَبِّي الَّذِينَ يُطِيعُونَ وَصَايَايَ. ٧ لَا تَنْطِقُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهَكَ بَاطِلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ يُعَاقِبُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا
[....] [الخروج ١٢٠-٨]

وتصرح التوراة بوضوح بأن الله واحد في السماء وفي الأرض، فالإصحاح الرابع من سفر التثنية - العدد ٣٥ يقول: (لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره) وفي العدد ٣٩ (فاعلم اليوم وأقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره). وهذا يصدق القرآن الكريم، في مواطن كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِذْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَاكُم ﴾ [محمد: الآية ١٩] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: الآية ٨٤] وفي الإصحاح الخامس والأربعين من سفر إشعيا العدد ٥: ((أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله) ٦ (ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر). وهذا يصدق قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧].

وتنسب التوراة هذه العقيدة للأباء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم حتى موسى. وفي بعض الأحوال ضل بعض بني إسرائيل عن هذه العقيدة وعبدوا آلهة أخرى فعاقبهم الله تعالى لذلك فعادوا إلى رشدهم وعبدوا الإله الحق (التثنية ٩: ١٠-٢٢). وفي الشريعة التوراتية عقوبة من يشرك القتل رجلا كان أو امرأة أو حتى قبيلة بأسرها. [١١٣] التثنية [و] [التثنية ١١٧-٢-٧]

التنزيه وصفات الله تعالى:

تتفق التوراة مع القرآن اثبات صفات الله تعالى، مع التنزيه عن مشابهة المخلوقين، فكما قال الله تعالى: إن التوراة تنزهه الله تعالى كالقرآن تماما: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى ١١] ففي سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح ١٧: ((يا رب ليس مثلك و لا إله غيرك حسب كل ما سمعناه بأذناننا)) وفي الخروج ١٥: ((من مثلك بين الآلهة ١ يا رب من مثلك معترأ في القداسة مخوفا بالتسايبح صانعا عجائب...)) وفي سفر صموئيل الثاني: الإصحاح ٧: ((لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك و ليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بأذناننا)). وصفات الله تختلف عن صفات الإنسان فالله تعالى ليس إنسانا يوصف بصفات الإنسان، كما يقول فالنص في سفر العدد ١٩٢٣: ((ليس الله إنسانا فيكذب و لا ابن إنسان فيندم هل يقول و لا يفعل او يتكلم و لا يفى....))

يقرر ابن تيمية بحق (١٩٩١، ص ٢/٣٥٥). وليس في التوراة ما يقوله نفاة الصفات إن التوراة فيها تشبيه أو كلها من أولها إلى آخرها... فأما التشبيه الذي يعني الإخبار بأن صفات الرب مثل صفات العباد فهذا كذب على التوراة فليس فيها الإخبار بأن صفات كصفات عباده بل فيها نفي التمثيل بالله. ولذلك اخترت في تعريفي لليهودية وكتابها واذكر به الآن- أنها تعطي صورة لله الواحد قريبا من الصورة القرآنية"

الشريعة اليهودية والشريعة الإسلامية:

رغم أن اختلاف الشرائع مسألة قررها القرآن الكريم ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۚ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨] إلا أن أوجه الاتفاق بين الشريعتين تصل إلى حد التطابق إلا قليلاً.

^١ واعترض د صابر طعيمة (متحيزاً) على هذا التعبير "آلهة" كأن التوراة تقر بوجود آلهة مع الله، والجواب أن هذا كقله تعالى في سورة الفرقان ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً.. ﴾ أي آلهة باطلة.. ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله ، وغيره تعالى معبود بباطل . انظر: صابر طعيمة، التراث الإسرائيلي، ص ٣٥٩-٣٦٠.

أوضح مثال على ذلك أهم تشريع توراني وقرآني؛ أعني الوصايا العشر، ولبيان التطابق سأعرضها في الجدول التالي:

الوصايا العشر التوراتية	الوصايا العشر القرآنية
<p>(فَلْ تَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَائَهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) [سورة الأنعام]</p>	<p>لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَىٰ أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تُمَنَّا لًا مَنحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقٍ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتٍ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ. لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلًا. أَذْكَرُ يَوْمَ السَّبْتِ لِتَقْدَسِهِ. أَكْرَمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. لَا تَزْنِ. لَا تُسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيْبِكَ شَهَادَةً زُورٍ. لَا تَنْسَهْ بَيْتَ قَرِيْبِكَ. لَا تَنْسَهْ امْرَأَةً قَرِيْبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أُمَّتَهُ، وَلَا ثَوْرَهُ، وَلَا جِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيْبِكَ. (سفر الخروج الأصحاح ٢٠)</p>

من خلال هذا الجدول يمكن أن نقول إن نسبة الاتفاق بين النصين هي ٩٠% من الوصايا. أنها تعطي صورة واضحة عن شريعة إلهية صحيحة لكن نسخ بعضها.

٢- التحيز: عرف ابن فارس (١٩٦٩، ص ١١٩/٢) التحيز في اللغة من حاز الشيء، ويتضمن معنى الجمع والتجمع وضم شيء إلى آخر. وعرفه الرازي (ص ١٦٢) بقوله "والحيز ما انضم إلى الدار من مرافقها، وانحاز القوم تركوا مركزهم إلى آخر". وعرفه مجمع اللغة العربية (٢٠٠٤، ص ٢٠٦) الانحياز الانضمام، وعدم الانحياز عدم الانضمام إلى فريق دون فريق".

التحيز في البحث العلمي يرد نقيضا للموضوعية والحيادية. ويفرق حنفي (١٩٩٨) بين التحيز والذاتية، فالتحيز عنده هو تبني موقف معين والالتزام به من غير أن يؤثر على نتائج البحث ومساره، أما الذاتية فهي غلبة التصورات الشخصية على نتائج البحث، والأول مقبول بينما الثاني لا يتفق مع الموضوعية في البحث العلمي.

والموضوعية هي عدم تأثير الرؤية الخاصة على الحكم على التصورات والمبادئ الأخرى، وألا تتأثر نتائج البحث برؤية فلسفية للباحث أو رؤية سياسية أو اجتماعية.

فلا يكون الشخص متحيزاً إذا التزم برؤية خاصة؛ إذ هذا شأنه وحده، بشرط أن تكون نتائج بحثه متطابقة مع أدلته الموضوعية. فالحياد الثقافي لا يعني عدم تبني وجهة نظر وإنما يعني الإنصاف مع الآراء المخالفة في تناولها وعرضها، فالكتابات يكون منحازاً إذا عرض ما يخالفه من رؤى ومذاهب بغير إنصاف، إما من خلال تشويه المفاهيم وتحريفها، أو من خلال التحيز في المصطلحات. وقد يكون "التحيز" فردياً يتصل بشخص الباحث أو العالم، وقد يصبح أيضاً تحيزاً ذا طابع جماعي، تكون فيه الجماعة مصدره والباعث عليه، ويتجلى هذا في انتماءات العلماء والباحثين إلى مدرسة نظرية أو فكرية ما دون أخرى.

أنواع التحيز:

ويقسم الصبيح (١٤٢٤هـ) التحيز إلى قسمين كبيرين:

١- تحيز بالموافقة: تحيز الموافقة يبدو في صورة التفصيل وفي صورة التفضيل أو التصريح بالاختيار:

التحيز بالتفضيل: وذلك بأن يختار الباحث وجهة نظر ويتبناها مفضلاً لها على غيرها.

التحيز بالتفصيل: وذلك بأن يفصل الباحث في وجهة النظر التي يعرضها أكثر من غيرها.

وهذا التحيز ليس بالضرورة مذموماً أو خطأ لأن الإنسان لا بد له من رؤية يتبناها، ومطالبته بالبراءة منها أو تجاهلها مطالبته له بمخالفة الواقع، ومطالبته له بما يصعب عليه.

٢- التحيز بالمخالفة:

التحيز بالتقليل: وذلك بأن يقلل من قيمة وجهة النظر المخالفة، ومن التقليل ألا يفى وجهة النظر الأخرى في العرض فيساويها بما يعرضه من وجهات نظر أخرى.

التحيز بالتشويه: والتشويه منه ظاهر جلي ومنه دقيق خفي، ومن الظاهر أن يعزو إلى وجهة النظر المخالفة ما هي بريئة منه، أو يصفها بأوصاف سلبية من غير دليل. ومن الخفي أن يفسر وجهة النظر الأخرى بما لا تقره، وبشرح قيمها ومبادئها من خلال ما يقوله عنها مخالفاً لها.

التحيز بالإهمال: وذلك بأن يهمل وجهة النظر الأخرى فلا يذكرها في موطن يستدعي ذكرها.

التحيز بالرفض وهذا التحيز يأتي في مقابل التبني والتفضيل، فإذا كان الشخص هناك يصرح بتبني وجهة نظر محددة فإنه هنا يصرح برفضها.

مظاهر وأنواع التحيز ضد اليهودية في كتابات المعاصرين:

من خلال تحليل الباحث لكتابات عدد من المؤلفين وجد أن فيها جميع أنواع التحيز:

أولاً: تحيز الموافقة: ومثاله ما قاله حسنين (٢٠١٤) أن الديانة اليهودية ليس فيها ابتكار ولا إبداع، وإنها منقولة عن مصر الفرعونية، عقائد وقصص حتى ولغة، ولم يحدث في التاريخ أن استطاعت حضارة أن تلم بكل شيء بين الإنسان وربّه في الحياة وفي الموت وفي الطريق إلى ذلك. إلى الجنة أو إلى النار، كما فعلت الحضارة الفرعونية.

ومثله الدكتور صابر طعيمة الي امتدح اخناتون "الملك المصري الشاب" (١٩٧٩ ص ١٤٣) وأورد نصوصاً طويلة (١٩٧٩ ص ١٤٣-١٤٧) مفضلاً مناجاته أو مساوياً على أقل تقدير بينها وبين ما ورد من صلوات في سفر المزامير. وشرح ما فيها من صدق الإنسان المصري في المناجاة... الخ.

سبب اضطهاد فرعون لليهود:

من عجائب التحيز الذي وقع فيه المعاصرون ضد اليهودية، التحيز بالإهمال، وذلك بإيراد دعاوى واهية لا مصداقية لها وإهمال الرد عليها قصداً لتشويه الخصم، ومن ذلك ما فعل شلبي عندما نقل عن سميث Smith معلومات غير صحيحة ولا مؤيدة بمصادر أخرى، مقدسة أو غير مقدسة، ليبرر اضطهاد فرعون لليهود ومطاردتهم أخيراً؛ فقد زعم أن موسى كان قائداً في جيش فرعون ثم طلب من فرعون أن يستقل بقومه ولكن فرعون (لأسباب تتعلق بأمن الدولة) لم يأذن له ولهم ومنعهم من السفر، خشية أن يتحالف قائد جيشه (موسى) مع أعدائه في الشمال! (أورده في اليهودية ١٩٩٧، ص ٧٢)

لكن شلبي (١٩٩٧) يقترح سبباً آخر، لكنه سبب جنائي أيضاً، هو ذهب المعاصرين المسروق، فقد أذن فرعون لموسى وقومه بالخروج لعبادة من يشاءون بحسب قانون الحريات الدينية في مصر! إلا أن نساء اليهود قمن بعملية سرقة جماعية لذهب وحلي المصريين فكان فرعون مضطراً لأن يتبع هؤلاء اللصوص ليسترد الأموال التي سرقوها وطبعاً هنا يعزو إلى رواية توراتية ((خروج ٢١١٣)) و((٣٦-٣٥/١٢)) فيما يتعلق بحلي المعاصرين. إذن فرعون كان في مهمة مقدسة وفي مطاردة المجرمين!! أي كانت هذه المطاردة حقاً وعدلاً! بينما يصفها القرآن الكريم بأنها كانت بغياً وعدواً! أي ظملاً من فرعون وعدواناً على اليهود قال تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس الآية ٩٠].

أحمد بدوي "في موكب الشمس":

كتاب "في موكب الشمس" لأحمد بدوي مثال آخر على تحيز الكتاب المعاصرين ضد اليهودية حتى إنه يعتبر هتلر لم يكن "متجنياً ولا ظالماً" عندما حرق اليهود!! ولو بدون محاكمة ولا قانون!! وهذا هو المؤرخ "الثقة" الذي يسجل خيانات اليهود حسب وصف د. شلبي. (أورده في اليهودية ص ١٠١)

هتلر على خطى فرعون:

اعتمد شلبي على مراجع غير محايدة فاعتمد على أحد أعداء اليهود التاريخيين وهو الحاكم الألماني أدولوف هتلر الذي اضطهد اليهود في ألمانيا وحرقتهم في أفران من دون محاكمة، فنقل عنه -من كتابه "كفاحي" اتهمه لليهود بالتجسس و"محاولة السيطرة على مقدرات ألمانيا والتدخل في سياسة الدولة في غير مصلحتها" (أورده في اليهودية ص ١٠١)، وإذا كان هتلر هو الخصم والقاضي والشاهد في القضية اليهودية فهذا هو التحيز والظلم!!!

ومن عجائب مؤلف "في موكب الشمس" أنه جعل مصدره "الكتب السماوية" في كلامه وهو يصف حياة اليهود في مصر، فيصف حياة اليهود في مصر بأنها كانت حياة رعيّة وأنهم كانوا يتمتعون بكافة الحقوق والحرية الدينية في عبادة إلههم.

وقد اقتبس شلبي (ص ٧٠ حاشية ٤) كلامه وأحال (تصديقاً لكلام بدوي) على سفر الخروج الإصحاح السابع. وعندما أرجع إلى القرآن الكريم، الكتاب المقدس عند شلبي وبدوي؛ أجد الصورة مختلفة، فالقرآن الكريم يصف حياة اليهود في مصر بأنها كانت "سوء العذاب".

ومع ذلك فقد عملت بنصيحة الرجلين؛ أحمد شلبي وأحمد بدوي، ورجعت لسفر الخروج الإصحاح السابع وأيضا الثامن والتاسع، فوجدته يردد نفس آيات القرآن الكريم: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ أجد الحياة الرعيّة التي وصفها د. بدوي وكان يحيهاها

اليهود في مصر ويصفها القرآن بأنها سوء العذاب!! فربما كان بدوي يصف المعاصرين الذين يعيشون في أوربا في القرن العشرين، لا اليهود الذين عاشوا في مصر قبل ألفي سنة من المسيح.

مثال آخر: أ.د صابر طعيمة:

يلقى صابر طعيمة (١٩٧٩ ص ٣٦٤-٣٦٥) على نص سفر الخروج الإصحاح الثاني عشر فيقول: "والسؤال الذي يطرح نفسه من خلال هذا النص هو: شعب قادم على شعب مستقر في أرضه آمن في يومه وغده، أفسد الشعب القادم حياة الشعب المستقر المستوطن صاحب الأرض والمعمر لها، ولما قرر الشعب القادم الخروج والهرب سرق الحلى والماشية بناء على أوامر الرب الذي يعبدونه ثم استمطر الشعب الخارج ربه الغضب والنقمة والتدمير لحياة الشعب المضيف"

والسؤال الذي يشغلني هو: من الذي أفسد حياة من؟ من قتل أبناء من؟ من سام من سوء العذاب؟ الشعب المضيف أو الشعب المستعبد؟ وماذا يسمى كلام الأستاذ في ميزان القرآن؟

ثانياً: تحيز المخالفة: ومن الظاهر أن يعزو إلى وجهة النظر المخالفة أو يصفها بما هي بريئة منه. تحيز المعاصرون تحيز المخالفة فمارسوا "التشويه" الظاهر.

بروتوكولات حكماء صهيون:

تقريباً كل من كتب عن اليهودية -كمثال شلبي (١٩٩٧) والمسيري (١٩٩٩) والخلف (٢٠٠٤) -أوردوا كتاب بروتوكولات حكماء صهيون باعتبارها من مصادر اليهودية والدستور الذي تتبعه في أعمالها، وبناء على ما ورد في هذا الكتاب نسب كل شر حدث في أي مكان من العالم إلى اليهودية.

و كلمة «بروتوكول» Protocol كلمة إنجليزية تعني بحسب معجم أكسفورد () «اتفاقية». وبروتوكولات حكماء صهيون وثيقة يُقال إنها كتبت عام ١٨٩٧ في بازل بسويسرا، أي في العام نفسه الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، وأن الهدف من المؤتمر السري الأساسي الأول الذي ضم حاخامات اليهود هو وضع خطة محكمة (بالتعاون مع الماسونيين الأحرار والليبراليين والعلمانيين والملحدين) لإقامة إمبراطورية عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة عالمية يكون مقرها القدس. وتقع البروتوكولات البالغ عددها أربعة وعشرين بروتوكولاً في نحو مائة وعشر صفحات، ونشرت لأول مرة عام ١٩٠٥ ملحقاً لكتاب من تأليف سيرجي نيلوس.

وقد لاقت البروتوكولات رواجاً كبيراً بعد نشوب الثورة البلشفية التي أسماها البعض آنذاك «الثورة اليهودية»، إذ عزا الكثيرون الانتفاضات الاجتماعية التي اجتاحت كثيراً من البلدان الأوربية إلى اليهود.

لقد اعتبر هؤلاء وغيرهم بروتوكولات حكماء صهيون مصدراً من مصادر اليهودية وهو كتاب غامض جداً، ولا يعتبره اليهود مرجعاً، وهو مجهول المؤلف، فمن التحيز ضد اليهود (تحيزاً بالتشويه الظاهر) اعتبار هذا مرجعاً رئيساً يوضع بجوار المصادر المقدسة (التوراة والتلمود) بينما لا يعتبره اليهود كذلك ولا هو مصدراً من مصادر دينهم فضلاً عما يثيره محتوى هذا الكتاب من حقد وكرهية تنتج تحيزاً ضد اليهودية.

قال المسيري (١٩٩٩ ص ٥٣١٥) "والرأي السائد الآن في الأوساط العلمية التي قامت بدراسة البروتوكولات دراسة علمية متعمقة هو أن البروتوكولات وثيقة مزورة، استفاد كاتبها من كتيب فرنسي كتبه صحفي يدعى مورييس جولي يسخر فيه من نابليون الثالث بعنوان حوار في الجحيم بين ماكيافلي ومونتسكيو، أو السياسة في القرن التاسع عشر، نُشر في بروكسل عام ١٨٦٤، فتحول الحوار إلى مؤتمر وتحول الفيلسوف إلى حكماء صهيون. وقد اكتشفت أوجه الشبه بين الكتيب والبروتوكولات حيث تضمنت هذه الأخيرة اقتباسات حرفية من الكتاب المذكور، وأحياناً تعبيرات مجازية وصوراً منه. والرأي السائد الآن أن نشر البروتوكولات وإشاعتها إنما تم بإيعاز من الشرطة السياسية الروسية للنيل من الحركات الثورية والليبرالية ومن أجل زيادة التقاف الشعب حول القيصر والأرستقراطية والكنيسة وبتخويفهم من المؤامرة اليهودية الخفية العالمية."

وهذا ما أثبتته المسيري نفسه ومع ذلك وقع في التناقض بسبب التحيز فرغم نقله الحقيقة العلمية السابقة عن البروتوكولات إلا أنه في مواضع أخرى يعتبرها من مصادرهم وكتبهم المقدسة تعبر عن طبيعتهم وجوهرهم!

أثر هذا المصدر في التحيز: التحيز بالتشويه في العناوين:

وقد ظهر أثر اعتبار هذا الكتاب مصدراً من مصادر اليهودية عند شلبي (١٩٩٧ ص ١٠١-١٠٧ و ص ١٦٢ و ١٨٦ و ١٩٢) في صورة الرفض في جميع أبواب الكتاب من خلال عناوينه الأصلية و الفرعية، ففي جميع أبواب الكتاب بدءاً من الباب الأول الذي يعرض فيه أحمد شلبي تاريخ اليهود بعنوان " اليهود في التاريخ"، وهو أكبر أبواب الكتاب، وفي كل أبواب الكتاب يظهر تحيز أحمد شلبي من خلال عناوينه السلبية بشكل كلي كالتالي:

هتلر يعدد خيانات اليهود بألمانيا.

مؤرخ ثقة يسجل خيانات اليهود ١.

خيانات اليهود في روسيا.

اليهودي يعمل لتحطيم بدن المسيحي.

الاستعمار واليهود يلتقيان.

اختيار المستعمر الذي يناسب أهدافهم.

المحافظة على تخلف الدول العربية.

معبودات بني إسرائيل غير يهوه.

بنوا إسرائيل يشوهون صور أنبيائهم

ديانة عنصرية.

الإثارة وبث الفتن.

التستر خلف أديان أخرى.

خلف وسائل الإعلام.

وبشكل عام، كما يبدو من عناوينه، كل شر في هذا العالم سببه اليهود. وقد اجتمعت فيهم جميع شرور العالم.

اليهود في الظلام:

كل ما سبق من كلام شلبي كان عن اليهود في "النور" لأنه في الباب السادس تحدث عن "اليهود في الظلام" وشرح العنوان قائلاً (١٩٩١ ص ٣٠٦-٣٢٢) "دراسة عن الوسائل والمؤسسات التي ابتكرها اليهود ضد شعوب العالم" حيث نسب أحمد شلبي جميع الجمعيات السرية والمنظمات غير معروفة المصدر إلى اليهودية بمجرد الظن والتخمين و"تحيز التشويه ضدهم" دون دليل. يقول أحمد شلبي: "وإذا تركنا الماضي وعيننا بالحاضر وجدناهم خلف كثير من الجمعيات السرية

^١ ويقصد به أحمد بدوي، ص ١٠١.

الخطرة الموجودة الآن والتي تبذل غاية الجهد للنيل من الأديان والأوطان." وأشار إلى جمعيات الماسونية والروتاري والليونز واليوجا وشهود يهوه.

التحيز بالإهمال والتشويه:

تحيز المعاصرون ضد اليهودية عند مقارنتهم بين العقيدة في القرآن وفي التوراة، وقد ظهر تحيزهم في صورة الإهمال والتشويه في هذه المقارنات واضحاً وسأعطي أمثلة تدليلاً على ذلك:

من مناقب اليهودية وكتابها أنه كتاب توحيد لله تعالى، وهذه منقبة كبيرة لهذا الكتاب الذي احتفظ بهذه العقيدة؛ التي هي أم العقائد، أو كما يسميها الكتاب نفسه "أعظم الوصايا".

لكن كتابنا المعاصرون تحيزوا ضدها بين منكر ومعرض ومشوه؛ لينكر هذا الفضل.

التحيز بالإهمال:

أورد د طعيمة نص الوصايا العشر المتطابق مع نصوص القرآن الكريم في الباب الثالث "الله بين التنزيه والتجسيم في العهد القديم" من كتابه "التراث الإسرائيلي وموقف القرآن منه" فصل العقيدة الدينية والوصايا العشر (١٩٧٩ ص ٣٥١) وفيها "١- لا يكن لك إلهة أخرى أمامي ٢- لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفترق ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. ٣- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً." يعلق الدكتور على هذه الفقرات الثلاث بالضبط فيرى أنه ليس فيه شيئاً يستحق الوقوف أمامه بالنقد أو التعليق! ثم بعد هذا بصفحات يعنون الفصل الثالث من كتابه بقوله: "افتقاد عقيدة التوحيد في العهد القديم" (١٩٧٩ ص ٣٦٣)!

ويتحيز المسيري (١٩٩٩) ضد هذه العقيدة بعد ألا يجد بدأ من إثباتها لكن يصفها بالحلولية! وكان المسيري (٢٠١٣ ص ٧١-٧٣) قد شرح لفظ الحلولية لغة واصطلاحاً ودلالاتها عند في الديانة الطوطمية وعند الصوفية وفي المسيحية وبعض الشيعة، بل وأورد نصوصاً من القرآن يستدل بها الصوفية على صحة هذا الاعتقاد، ولم يشر ابداً إلى اليهودية ضمن هؤلاء الذين اعتنقوا الحلولية في عقيدتهم، وعلى كل حال لم أسمع ولم أقرأ لأحد قبله - ولا بعده - أحداً اتهم التوحيد في التوراة بذلك. مما دفع زيدان (٢٠٠٠) إلى مناقشة مصطلح المسيري ومفهوم الحلولية في موسوعته.

أما د. شلبي رحمه الله (١٩٩٧ ص ١٨٧) فيتخذ طريقاً ثالثاً لنفس الهدف - أي ليشوه عقيدة التوحيد اليهودية مدعيًا: "إن موسى حاول أن يكون أمة من الجماعات التي تبعته، وقد وجد ألا مناص من تحديد إله يرضى جموعهم وتعبده هذه الجموع، ويتم بينه وبين بني إسرائيل نوع من المنفعة المتبادلة، ويرتبط مصير كل بالآخر ارتباطاً دقيقاً، وتبعاً لذلك أعلن موسى "يهوه" إلهاً لبني إسرائيل، ويرى المؤرخون الغربيون أن موسى استعار القول بالوحدانية من إخناتون." والعجب أن يقول مسلم بهذا فضلاً عن أستاذ وباحث في الأديان ولو كان ناقلاً من دون تعقيب. وكان هو نفسه قبل ذلك بقليل (١٩٩٧ ص ١٨٦) يتهم اليهود بأنهم: لم "يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا إليه الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية..." وإن بني إسرائيل لن يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطع موسى أن يمنعهم من ذلك. وإذا أضيف إلى هذه الثلاثة تهمة الحلولية عند المسيري فقد شوهت هذه العقيدة تماماً في اليهودية والحق على خلاف ما قاله الكاتبان، فالتوراة متفقة مع القرآن الكريم تماماً في هذا الباب.

أسباب التحيز ضد اليهودية عند المعاصرين:

ليس صعباً اكتشاف أسباب التحيز ضد اليهودية في العصر الحديث عند كتابنا المعاصرين:

الأول: سبب سياسي: وهو عند المعاصرين الصراع العسكري والسياسي مع اليهود في فلسطين. التي هي بحسب شلبي (١٩٩٧، ص ١٨-٢٠) "مشكلة عصبية بالنسبة للبحث العلمي، ومن الواضح أن اليهود يحاربوننا بكل سلاح وأن سلاح القلم والفكر من أقوى أسلحتهم." هكذا بدأ د. شلبي كتاباً علمياً عن اليهودية بالحديث عما يمثله الصراع؛ الذي شغل العالم كله عشرات السنين، من صعوبات للبحث العلمي، وأطال في الحديث عن الصراع في وقت كان الواقع متخماً بالأحداث والحروب والمواجهات السياسية والعسكرية، وظهر أثر ذلك على الروح العلمية الموضوعية الحيادية. أما المسيحيون فلم يكن بيننا وبينهم صراعات سياسية أو عسكرية فلا مشكلة معهم لأنهم على خلاف اليهود الذين كما يقول "أردنا أو لم نرد

أصبحوا في قلب أمتنا العربية، فلا بد أن ندرس عقائدهم وتاريخهم وصور غدرهم التي سجلها التاريخ، حتى نستطيع أن نتعامل معهم سلماً أو حرباً. أما المسيحيون فيكونون نسبة ما في أكثر البلاد العربية والإسلامية أي أنهم لا يعيشون في أرض مجاورة لنا، بل يعيشون في الشارع الذي نسكن فيه والعمارة التي نطنها!"

كتب د شلبي ذلك سنة ١٩٦٠ (مقدمة الطبعة الأولى لكتابه) ونسي أنه قبل بضع سنين من كتابه كان اليهود " يكونون نسبة ما في أكثر البلاد العربية والإسلامية أي أنهم لا يعيشون في أرض مجاورة لنا، بل يعيشون في الشارع الذي نسكن فيه والعمارة التي نطنها!"

لقد أصدر د شلبي طبعات كتابه الثلاثة الأولى في جو يصفه في الطبعة العاشرة (١٩٩٧، ص ٢٤) بأنه "سنوات الهزائم" وعهد "حقد في النفوس" و "أنين المقهورين وصرخات المظلومين" هذا العصر الذي ألف فيه د شلبي وآخرون كثيرون كتبهم عن اليهودية. ورغم زوال عصر "الحقد" المشار إليه إلا أن آثاره لازالت باقية.

الثاني: سبب مذهبي: والسبب الثالث الذي كان ثالثة الأثافي هو مذهب معظم الكتاب والمؤلفين وما درجوا عليه من قواعد كلامية لاسيما في مباحث الإلهيات والنبوات، ومن لا يتمذهب بمذهبهم تابعهم تقليداً وشغفاً بالطعن في اليهود وديانتهم-لقد كان كل أو جل من كتب عن اليهودية متحيزاً في العصر الحديث هم من أبناء المذاهب الكلامية (معتزلة أو أشاعرة أو ماتريديية). ووفقاً لهذه المذاهب فإن من يثبت ما ورد عن الله تعالى في الكتب المقدسة على ظاهرها من غير تأويل هو مجسم وممثل. وبذلك كانت التوراة في مرمى سهامهم. والحق أن التوراة ليس فيها تشبيه ولا تجسيم بل فيها ما في القرآن من تنزيه واثبات للصفات.

أثر التحيز على أثر التحيز على حوار الحضارات والثقافات:

التحيز يؤدي إلى قبول أو رفض دعوى ما، ليس بسبب قوتها وأدلتها ومؤيداته وبراهينه، لكن لأن هذه الدعوى لا تلائم معتقداته وأفكاره المسبقة. والتحيز يحول بين المرء (المتحيز ومن تأثر به) ورؤية الصورة الصحيحة للآخر. وغلق باب التعارف والتبادل الثقافي والحضاري بسبب عدم الرؤية الصحيحة.

لأن الانحياز يثمر التعصب، واعتماد وجهة نظر واحدة، وغلق باب الحوار لعدم الحيادية. وبالتالي يغلف باب التعارف والتبادل والاعتراف بالآخر وقبوله والتعايش معه. القائم على التنوع واعتراف بالآخر وقبوله على الحالة التي هو عليها. والتحيز عائق يحول دون أخذ الأسباب لتقوية وشائج التعاون الدولي، من خلال الحوار والتقارب بين الثقافات الذي ينتهي إلى التحالف بين الحضارات من أجل بناء مستقبل آمن ومزدهر للإنسانية التي تتخبط اليوم في مآهات عالم غير آمن وغير عادل. بينما يدعو ميثاق المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) إلى "تدعيم التفاهم بين الشعوب في الدول الأعضاء وخارجها، والمساهمة في إقرار السلم والأمن في العالم بشتى الوسائل، لاسيما من طريق التربية والعلوم والثقافة والاتصال". ولأن التفاهم يأتي من الحوار، فإن ميثاق الإيسيسكو ينص أيضاً على: "التعريف بالصورة الصحيحة للإسلام والثقافة الإسلامية، وتشجيع الحوار بين الحضارات والثقافات والأديان، والعمل على نشر قيم ثقافة العدل والسلام ومبادئ الحرية وحقوق الإنسان، وفقاً للمنظور الحضاري الإسلامي". لقد أكد "الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي" على وظائف هذا التنوع الذي نصفه بـ "التنوع الخلاق"، باعتباره يخلق الفرص لتنمية العلاقات بين الشعوب والأمم، ولإرساء القواعد الراسخة للتعاون الدولي مع الاحترام للخصوصيات الروحية والثقافية والحضارية. وعلى سبيل التأكيد لهذه المفاهيم، فقد جاء في هذا الإعلان: "إن التنوع الثقافي عامل أساس من عوامل التنمية والفهم المتبادل والتعايش السلمي والسير نحو التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وتصحيح التباينات والاختلالات في النظام الدولي، واحترام البيئة وحمايتها، وحماية التراث المادي وغير المادي لجميع الشعوب التي يتعرض تراثها الثقافي والحضاري لمحاولات التشويه والتزوير والطمس والتدمير والمصادرة، .. وفي ظل عالم تحوّل إلى قرية كونية بفضل الثورة المعلوماتية والاتصالية وأصبح ينحو نحو التجانس، وأن قيم التنوع الثقافي والتعددية لا تمثل ذريعة لاستبعاد الآخر، بل من الواجب استغلال ما تتيحه العولمة من فرص، وما تنطوي عليه من إمكانات لمزيد دعم التعاون الدولي والتضامن والتعاون والتعايش بين الشعوب والتقارب بين الحضارات. والواقع أن التنوع الثقافي الذي هو حقٌّ من حقوق الشعوب، وفطرة في الإنسان وطبيعة في الحياة وسنة في الكون، يقتضي - بدهاءة - التقارب بين الثقافات، بحكم أن التنوع هو مدعاة للتقارب، بخلاف الانغلاق الذي هو سبيل إلى الانكماش المفضي إلى ضمور الثقافات وسقوط الحضارات."^١

الخلاصة:

التحيز خطأ ديني وأخلاقي، كما أنه خطأ منهجي في البحث العلمي.

التحيز ضد اليهودية ظاهرة عامة لم تختص بتخصص دون تخصص ولا بلد دون آخر، فقد وقع فيها الكتاب والأدباء والمؤرخون.

من أسباب التحيز ضد اليهودية ما يعرف بالصراع العربي الإسرائيلي طوال القرن الماضي الذي بدأت فيه الكتابات عن الأديان المقارنة تظهر من جديد بعد طول غياب.

وكان التحيز أيضاً لسبب مذهبية تتعلق بالخلاف بين الفرق حول اثبات الصفات وتنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقين.

تحيز المعاصرون ضد اليهودية بكل أشكال التحيز، فتحيزوا بالموافقة تفصيلاً وتفضيلاً للمصريين على اليهود، وتحيزوا بالمخالفة بكل أشكالها حتى خرجوا وخالفوا ما يؤمنون به وما جاء في المصادر الإسلامية.

التحيز يؤثر سلباً على التعارف والتعايش والتبادل الثقافي والحضاري بين الأمم.

^١ راجع: ميثاق المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - المصادق عليه من قِبَل المؤتمر التأسيسي المنعقد في مدينة فاس في عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، والمعدل من قِبَل المؤتمر العام الاستثنائي المنعقد بمدينة الرباط عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، والمؤتمر العام الرابع المنعقد في مدينة الرباط عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م، والمؤتمر العام الخامس المنعقد في مدينة دمشق عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، والمؤتمر العام السادس المنعقد في مدينة الرياض عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، وكذلك المؤتمر العام التاسع المنعقد في المقر الدائم للإيسيسكو بالرباط عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، والمؤتمر العام العاشر المنعقد في تونس عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، والمؤتمر العام الحادي عشر المنعقد في مدينة الرياض عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، والمؤتمر الثاني عشر المنعقد في باكو عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

المصادر والمراجع

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (١٣٩١) درء تعارض النقل والعقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط دار الكنوز الأدبية - الرياض ،
- ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤ م) معجم مقاییس اللغة ، ت: عبد السلام هارون، مصر، ط. مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر، الثانية، [١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م].
- ابن كثير إسماعيل بن عمر "تفسير القرآن العظيم" السعودية، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع.
- البار محمد علي، "الله والأنبیاء في التوراة والعهد القديم"، ط دار القلم دمشق، والدار الشامیة بیروت، الأولى (١٩٩٠=١٤١٠).
- بدوي، أحمد (١٩٨٠) في موكب الشمس : في تاريخ مصر الفرعونیة من آخر الضحى إلى أول الاصيل ، ط الناشر: القاهرة : مطبعة لجنة التألیف و الترجمة و النشر.
- النيمي، أبو عُبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُتَنَّى النَّيْمِيُّ (ت: ٢١٠هـ=٨٢٥م)، مجاز القرآن، محمد فؤاد سزكين (محقق)، ط. مؤسسة الرسالة، بیروت، الثانية، (١٤٠١هـ = ١٩٨١م) .
- جمعة، علي (١٩٩٨) كلمة في التحيز (ضمن "إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهد")، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ=.
- الخانز، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر (١٩٧٩) "الباب التأويل في معاني التنزيل" دار الفكر - بیروت / لبنان (١٣٩٩ هـ) .
- الخلف، سعود بن عبد العزيز (٢٠٠٦) "دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية" ط أضواء السلف، السعودية، الأولى.
- الخولي، محمد علي عبد الكريم (١٩٩٠) التحريف في التوراة، الرياض، الأولى.
- الرازي، محمد بن أبي بكر "مختار الصحاح" السعودية، الطائف، مكتبة المؤيد.
- الزجاج، إبراهيم بن السري الزجاج (١٤٠٨هـ) معاني القرآن، ت: د. عبد الجليل الشلبي. ط. عالم الكتب، بیروت.
- زيدان، يوسف (٢٠٠٠) مَفْهُومُ الخُلُويَّةِ: تطبيقه في الموسوعة اليهودية. (ندوة الموسوعة اليهودية / جامعة القاهرة، مارس) وهو منشور في موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات، على الشبكة العالمية.
- الشرقاوي، محمد عبد الله (١٩٩٠) في مقارنة الأديان. بحث ودراسات، بیروت-القاهرة، دار الجيل، الثانية.
- شلبي، أحمد ، اليهودية (٢٠٠٠ م) ، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية عشرة (١٩٩٧)
- الصبيح، عبد الله بن ناصر (١٤٢٤) "ورقة مقدمة إلى ندوة بناء المناهج: الأسس والمنطلقات المنعقدة في الفترة من ١٢-١٣ / ٣/٤٢٤هـ في كلية التربية - جامعة الملك سعود.
- الطبري، محمد ابن جرير، "جامع البيان عن تأويل القرآن"، ت: محمود وأحمد شاكر، مصر، ط. دار المعارف.
- علي، فؤاد حسنين (٢٠٠٥) "التوراه... هيروغليفية الأصل"، القاهرة، شركة ومكتبة بيبليون.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الفخر الرازي "التفسير الكبير"، ط. دار إحياء التراث العربي، بیروت، الثالثة .
- قذري حنفي (١٩٩٨)، قضية التحيز في علم النفس: ملامح من سيرة ذاتية، ((ضمن "إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهد")، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ=.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٩٣٦م) "الجامع لأحكام القرآن"، مصر، ط. دار الكتب المصرية، الأولى.
- مارش، ولیم (١٩٧٣)، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بیروت.
- مجمع اللغة العربية، (٢٠٠٤) المعجم الوسيط، استانبول، المكتبة الإسلامية.
- المسيري، عبد الوهاب (١٩٩٨) "إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهد"، تأليف وتحرير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن.
- المسيري، عبد الوهاب (١٩٩٩) موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية، القاهرة، ط دار الشروق .
- المسيري، عبد الوهاب (٢٠٠٠) حوارات مع المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر دمشق ودار الفكر المعاصر بیروت، الأولى.
- المسيري، عبد الوهاب (٢٠٠٥) رحلتي الفكرية - في البذور والجذور والثمار، القاهرة، ط دار الشروق.
- هنتلر، أدولف "كفاحي" (My Struggle, Passim.)

الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي (١٤١٠) إظهار الحق، تحقيق د. محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط الرئاسة العامة لإدارات
البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ، السعودية، الأولى

وافي، علي عبد الواحد (٢٠٠٤) علم اللغة، القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة التاسعة.

الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر (٢٠٠١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأولى، دار هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

الفهرس

المؤتمر الدولي الثالث حوار الحضارات والثقافات

٢٠١٨/١٠/١٢ - ٢٠١٨/١٠/١٠

جامعة الطفيلة التقنية، الطفيلة الاردن

الاسم : جمال نوار

الدرجة العلمية : طالب دكتوراه

التخصص : علوم سياسية/ الامن والتعاون في العلاقات الدولية والدراسات المتوسطة.

المشرف : البروفيسور- جندلي عبد الناصر

المؤسسة الجامعية : جامعة الحاج لخضر- باتنة ١/ الجزائر

محور المشاركة : المحور الثالث : المواجهة وطرق التوجيه/ دور المؤسسات السياسية في محاربة الارهاب

عنوان المداخلة: دور المقاربة الجزائرية في محاربة الارهاب والتطرف

اشكالية المداخلة : كيف تمكنت الجزائر من بناء مقاربة شاملة في محاربة ظاهرتي الارهاب والتطرف ؟

الملخص

تعتبر الجزائر احدى الدول الرائدة في محاربة ظاهرتي الارهاب والتطرف، نظرا لما اكتسبته من خبرة عميقة في هذا المجال في فترة التسعينات ، وهي الفترة كانت فيها ظاهرة الارهاب لم تلقى صيتا كبيرا في المجتمع الدولي الا بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ولما اتسعت المدركات الدولية بخطورة ظاهرتي الارهاب والتطرف على الامن والسلم العالميين ، اتجهت انظار العالم الى الجزائر للاستفادة من خبرتها في محاربة الظاهرتين سواء في المجال الامني او المجالات الاخرى.

وقد تحولت الجزائر من محاربة الارهاب واشكاله على المستوى الداخلي ، وذلك بعد نجاحها في تفكيكه تدريجيا ومن ثمة القضاء عليه، الى التصدي له ومواجهته عن طريق حرصها على تجفيف منابعه والقضاء على اسبابه اقليميا ودوليا، وهذا راجع الى نجاح التجربة الجزائرية في مكافحة الارهاب ، بفضل تضامر كل الجهود الوطنية لمختلف المؤسسات وعلى راسها المؤسسة العسكرية .

وتحاول الجزائر تسويق مقاربتها في مكافحة الارهاب والتطرف ، على المستوى الخارجي من خلال التنسيق والتعاون، مع مختلف الفاعلين خاصة النطاق الجوازي، سعيا منها الى بناء منطقة آمنة عبر العديد من المبادرات والمشاريع، مكونة بذلك مقاربة شاملة في مكافحة ظاهرتي التطرف والارهاب ، والتي اصبحت مرجعية عالمية يحتذى بها.

خطة الدراسة

مقدمة

المحور الاول : الاطار المفاهيمي للدراسة

اولا : مفهوم الارهاب والتطرف

ثانيا : مفهوم المقاربة الجزائرية لمحاربة الارهاب والتطرف

المحور الثاني : آليات واساليب المقاربة الجزائرية في مكافحة الارهاب والتطرف

اولا : الآليات الداخلية للمقاربة الجزائرية

ثانيا : الآليات الخارجية للمقاربة الجزائرية

المحور الثالث : المقاربة الجزائرية كنموذج عالمي لمحاربة الارهاب والتطرف

اولا : تجربة المصالحة الجزائرية في بناء السلام بين اطراف النزاع المالي

ثانيا : المقاربة الجزائرية كنموذج لحل الازمة الليبية.

خاتمة

مقدمة

يعتبر الارهاب ظاهرة عالمية ، عرفتھا المجتمعات البشرية كافة بدرجات متفاوتة ، وبصور وأشكال مختلفة، وبانت في الوقت الراهن ظاهرة متشعبة تضرب بجذورها في العالم المتقدم والمتخلف على حد سواء ، ويمكن الاختلاف بين هذه المجتمعات في أسباب الظاهرة وفي مدى تطوير آليات واساليب التعامل معها، فهو بالتالي ليس سمة لصيقة بمجتمع دون غيره ، وانما اصبح يمثل تهديد عالمي عابر للقارات والدول ، يتطلب تكاتف وتحالف من الجميع لمواجهة والقضاء عليه.

تمثل الجزائر احدي الدول التي عانت كثيرا من الظاهرة ، الامر الذي أعطاها وأكسبها خبرة وتجربة فريدة في مواجهة ومكافحة الإرهاب سواء على المستوى الأمني أو السياسي والقانوني أو الإنساني وأضحت تجربتها يشار إليها من طرف القوى الكبرى ، وتعتبر المقاربة الجزائرية اليوم و مع مزاجية مقاربات صارمة وهادئة في نفس الوقت ، مثلا ناجحا من اجل القضاء على الإرهاب والتطرف وذلك بفضل آلياتها ووسائلها المتعددة ، وحنكة سياسيتها وصرامة مؤسساتها الامنية والسياسية .

اعتمدت المقاربة الجزائرية منذ باية الازمة السياسية والامنية في البلاد عدة اساليب في محاولة لتغيير النهج الامني ، وذلك بداية بالعودة الى المسار السياسي التعددي سنة ١٩٩٥ و اقرار قوانين العفو ، الى جهود المصالحة السياسية النابعة من تقاليد وثقافة المجتمع الجزائري المتسامح ، وادماج التائبين وايضا وايضا السعي وراء تفعيل القوانين الدولية الرامية الى تجفيف منابع المالية للتنظيمات الارهابية ، وتجريم الفدية في مقابل تحرير الرهائن وكلها مبادرات سعت الى حل الازمة سياسيا وتجنب البلاد مناهات لا تحمد عقبها قد تنعكس على الامن القومي للدولة وبقائها واستمرارها ، وعليه نتساءل :

كيف تمكنت الجزائر من بناء مقاربة شاملة في محاربة ظاهرتي الارهاب والتطرف؟

تندرج تحت هذه الاشكالية عدة اسئلة فرعية منها :

-مفهوم المقاربة الجزائرية في مكافحة الارهاب والتطرف ؟

-ماذا نعني بالارهاب والتطرف ؟

-ماهي آليات واساليب المقاربة الجزائرية ؟

-وماهي استراتيجية المقاربة الجزائرية في التعامل مع التهديدات والاحداث النابعة من الجوار الجزائري؟

الفرضيات

-يرتبط نجاح وفعالية المقاربة الجزائرية في مكافحة التطرف والارهاب بتعدد الآليات والوسائل فيها.

-كلما نجحت الجهود الجزائرية في وضع اليات فعالة في القضاء على ظاهرتي الارهاب والتطرف كلما مكنها ذلك من بناء مقاربة شاملة في محاربة الظاهرتين.

المناهج

اعتمدنا على المنهج الوصفي والتاريخي في وصف الظواهر كظاهرة الارهاب وتاريخها وكذلك المنهج الاحصائي في تقديم بعض البيانات الاحصائية .

ولمعالجة هذه الدراسة ،اعتمدنا على المحاور الرئيسية المندرجة في الخطة المنهجية السالفة الذكر وهي كالتالي :

المحور الاول : الاطار المفاهيمي للدراسة

اولا: مفهوم الارهاب والتطرف

١- تعريف التطرف

التطرف تعريفه اسهل كثيرا من تعريف الإرهاب، و يمكن تعريفه بأنه مماثل للتعصب وللتشدد، و والتطرف الديني هو في معظم الأحيان التمسك بالمظهر دون الجوهر وببساطة هو محاولة اتباع المشايخ والمذاهب المتشددة ، ولتقريب ذلك من الممكن ان يتحول التطرف الديني للعنف فيصبح يقع تحت حكم الإرهابxcv.

٢- تعريف الارهاب

تعريف الإرهاب هو اكثر صعوبة، والسبب الرئيسي ان الامم المتحدة لم تتفق بعد على تعريف محدد للإرهاب ،وهو محل اختلاف كبير حتى بين اوساط المفكرين والاكاديميين ، بحث يوجد اكثر من ٢٠٠ تعريف اكايمي ، ويوجد عدة انواع من الإرهاب ، فعلى المستويات المختلفة هناك الإرهاب الفردي وهناك الإرهاب المنظم ، اما على مستوى الإرهاب النوعي، فهناك الإرهاب الديني وهناك الإرهاب العنصري وهناك ارهاب ضد المرأة ، كما ان هناك الإرهاب الجسدي والارهاب الفكري والارهاب النفسي. xcvi ويعرف الارهاب بأنه :>> محاولة إيقاع الاذى بالعمد وسبق الإصرار على الأبرياء بغرض الانتقام او بغرض تحقيق مكاسب سياسية او مادية او اجتماعية او بهدف فرض الرعب على الأبرياء>>

Terrorism is defined as : "political violence in an asymmetrical conflict that is designed to induce terror and psychic fear (sometimes indiscriminate) through the violent victimization and destruction of noncombatant targets (sometimes iconic symbols). Such acts are meant to send a message from an illicit clandestine organization. xcvi

عرفت الجمعية العامة للأمم المتحدة الارهاب بأنه >> أفعال إجرامية ضد دولة من الدول من شأنها إثارت الرعب في نفوس شخصيات أو شماعات من الأشخاص أو في نفوس العامة لأغراض سياسية و غير مبررة تحت أي ظرف ومهما كانت طبيعة الإعتبارات الدافعة لهذه الأفعال>>xcviii

أ- أشكاله

-تفجير سيارة مفخخة في سوق عام لإلحاق الاذى بمن فيه يعتبر ارهاب.
-اختطاف رهائن بهدف طلب فدية او تحقيق مكسب اقتصادي او سياسي يعتبر ارهاب
-الاعتداء على رموز هامة في الدولة لإسكاتهم يعتبر ارهاب .
-الاعتداء على القضاة ورجال الشرطة والجيش بطريقة منظمة بهدف تخويفهم و إسقاط الدولة يعتبر ارهاب .
-الاعتداء على المدنيين وقت الحرب العسكرية يعتبر ارهاب.
-الاختباء وسط المدنيين اثناء الحرب العسكرية يعتبر ارهاب.
-تلفيق تهمة ازدراء الأديان بدون دليل يعتبر ارهاب فكري
-تكفير كل من يختلف عنك في الرأي يعتبر ارهاب .
-القبض على الأفراد بدون جريمة يعاقب عليها القانون يعتبر ارهاب دولة.
-حرمان الفرد من الدفاع عن نفسه وتعذيبه في المعتقلات للحصول على اعترافات كاذبة يعتبر ارهاب دولة.
-تحصيل اتاوة من الناس بدعوى حمايتهم مثلما تفعل عصابات المافيا وغيرها يعتبر ابتزاز و ارهاب .xcix

ب -عناصره

*- العنف غير المشروع.

*-التنسيق والتنظيم.

*-أن يؤدي العنف الى خلق حالة الرعب والفرع.

*-أن يهدف العمل الى تحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية أو عنصرية او اقتصادية بعيدة عن الغايات الفردية.

ثانيا : مفهوم المقاربة الجزائرية لمحاربة الارهاب والتطرف

تعتبر الجزائر كغيرها من الدول التي تأثرت بالتحويلات والتغيرات الحاصلة على البيئة الأمنية، والتي أدت إلى التوسع في مفهوم ومضمون الأمن، وأصبحت الجزائر تعاني من عدة تحديات وتهديدات أمنية أفرزتها البيئة الجديدة للأمن في أشكالها غير التقليدية على غرار مشاكل الارهاب والجريمة المنظمة وتهريب المخدرات والهجرة غير الشرعية، حيث ألفت هذه التهديدات بظلالها على الأمن الوطني الجزائري، وكذلك على السياسات والآليات المتبعة في تحقيق الأمن، بحيث لم تعد الأداة العسكرية تنفع مع هكذا تهديدات تتخذ أشكالا وأبعادا جديدة أكثر خطورة وتعقيدا من التهديدات التقليدية المباشرة.

اتاح الموقع الجغرافي للجزائر الانفتاح على ليبيا من الشرق، والساحل الافريقي كعمق استراتيجي للأمن الجزائري جنوبا، وانطلاقا من مسلمة ان بناء الامن الوطني وان تعلق بالدولة الوطنية وتحدد بها فان محدداتها اوسع من ان تنحصر في حدوده، ومنهنا فان الاستراتيجية الامنية الجزائرية تركز على نقطتان اساسيتان وهما : الاولى وهي محاربة التهديدات الامنية غير التقليدية واهمها مكافحة الارهاب، الثانية وهي الدفاع وتامين الحدود. ci

١- تعريف المقاربة الجزائرية لمكافحة الارهاب

تستمد المقاربة الأمنية الجزائرية في مكافحة الارهاب توجهها العام من المبادئ الثابتة التي تقوم عليها سياستها الخارجية، حيث تعتبر تلك الأفكار والمبادئ والمعتقدات التي تشكل نظاما فكرياً لمسألة الأمن في الدولة وكذلك نظرتها للارهاب وآليات مكافحته وتعهداتها امام المجتمع الدولي بمدى الالتزام بالحوار وتطبيق الاعراف والقوانين الدولية في مكافحة الارهاب وتجسيد المصالحة وتحقيق السلم الداخلي والخارجي . cii

٢- خلفية الازمة الجزائرية

الحرب على الإرهاب في الجزائر او كما يطلق على فترة الازمة الامنية والسياسية بالعيشية السوداء ، هي صراع مسلح قام بين النظام الجزائري وفصائل الإرهاب المتعددة تتبنى أفكار موالية لـ الجبهة الإسلامية للإنقاذ والإسلام السياسي، بدأ الصراع في يناير عام ١٩٩٢ عقب إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٩١ في الجزائر والتي حققت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزا مما حدا بالجيش الجزائري للتدخل لالغاء الانتخابات البرلمانية في البلاد، بسبب الإرهاب الذي أستعمله الفيس ضد الشعب الجزائري حتى يفوز بالانتخابات.

تعود خلفية الازمة حين استمر الاقتصاد الجزائري بالتدهور في منتصف الثمانينيات ،وزدادت نسبة البطالة وظهرت بوادر شحة لبعض المواد الغذائية الرئيسية ، مما ضاعف من حجم الازمة كان انخفاض أسعار النفط وفي عام ١٩٨٦ من ٣٠ دولار للبرميل إلى ١٠ دولارات، وكان الخيار الوحيد أمام الشاذلي بن جديد للخروج من الازمة هو تشجيع القطاع الخاص بعد فشل الأسلوب الاشتراكي في حل الازمة ، وقوبلت هذه التغييرات بموجة من عدم الرضا وأخذ البعض في الشارع الجزائري يحس بأن الحكومة تظهر لامبالاة بمشاكل المواطن البسيط. ciii.

تصاعد الغضب في قطاعات واسعة من الشارع الجزائري وفي أكتوبر، ١٩٨٨ بدأت سلسلة من إضرابات طلابية وعمالية، والتي أخذت طابعا عنيفا بصورة تدريجية وانتشرت أعمال تخريب للممتلكات الحكومية إلى مدينة عنابة و**البلدية** ومدن أخرى ،فقامت الحكومة بإعلان حالة الطوارئ وقامت باستعمال القوة وتمكنت من إعادة الهدوء في ١٠ أكتوبر بعد أحداث عنيفة، أدت إلى قتل حوالي ٥٠٠ شخص واعتقال حوالي ٣٥٠٠٠ شخص وسميت هذه الأحداث من قبل البعض "بأكتوبر الأسود"، كما يصفها البعض الآخر ب"انتفاضة أكتوبر".

كانت للطريقة العنيفة التي انتهجتها الحكومة في أحداث أكتوبر نتائج غير متوقعة، حيث قامت مجاميع تنتهج الإسلام السياسي بإحكام سيطرتها على بعض المناطق ،وطالبت منظمات عديدة في الجزائر بإجراء تعديلات وإصلاحات ، فقام الشاذلي بن جديد بإجراءات شجعت على حرية الصحافة و**حرية الرأي والتعبير** ، وقام عباسي مدني و**علي بلحاج** بتأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مارس ١٩٨٩ بعد التعديل الدستوري وإدخال التعددية الحزبية، وكان عباس مدني الأستاذ الجامعي ، يمثل تيارا دينيا معتدلا وكان لدوره السابق في حرب التحرير أثرا رمزيا في ربط الحركة الجديدة بتاريخ النضال القديم للجزائر ،وفي الجهة الأخرى وصف الكثيرون علي بلحاج الذي كان أصغر عمرا بأن أفكاره متطرفة اراهابية حيث قال في أحد خطبه "إن المصدر الوحيد للحكم هو القرآن وإذا كان اختيار الشعب منافيا للشريعة الإسلامية، فهذا كفر وإلحاد حتى إذا كان هذا الاختيار قد تم ضمن انتخابات شعبية.

بدأت الجبهة تلعب دورا بارزا في السياسة الجزائرية وتغلبت بسهولة على الحزب الحاكم، جبهة التحرير الوطني الذي كان الحزب المنافس الرئيسي في انتخابات عام ١٩٩٠ مما حدى بجبهة التحرير الوطني إلى إجراء تعديلات في قوانين

الانتخابات وكانت هذه التعديلات في صالح الحزب الحاكم، فأدى هذا بالتالي إلى دعوة الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى إضراب عام، وقام الشاذلي بن جديد بإعلان الأحكام العرفية في ٥ يونيو ١٩٩١ وتم اعتقال عباسي مدني وعلي بلحاج الإرهابيين.

في ديسمبر ١٩٩١ أصيب الحزب الحاكم بالذهول حيث أنه برغم التعديلات الانتخابية واعتقال قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ، إلا أن الجبهة حصلت على أغلبية ساحقة من المقاعد في الدور الأول وهو ١٨٨ مقعدا من أصل ٢٣٢ واتهمت السلطة الفيس بارهاب الشعب في مداخل مراكز الانتخابات ان لم ينتخب (الفيس) سوف تصبح حياته مهددة .

ومحاولة من النظام القائم في الحيلولة دون تطبيق نتائج الانتخابات تم تأسيس المجلس الأعلى للدولة والذي يتكون من ٥ أعضاء وهم الجنرال خالد نزار وزير الدفاع (و علي كافي وعلي هارون والتيجاني هدام ومحمد بوضياف والتي كانت عبارة عن مجلس رئاسي لحكم الجزائر وذلك بعد إجبار الشاذلي بن جديد على الاستقالة وإلغاء نتائج الانتخابات، وكان رئيس المجلس هو محمد بوضياف إلى أن اغتيل في ظروف غامضة من طرف أحد حراسه والمدعو بو معرافي لمبارك في ٢٩ يونيو ١٩٩٢ ليحل محله علي كافي إلى أن تم استبداله باليمين زروال في ٣١ يناير ١٩٩٤ واستمر حتى ٢٧ أبريل ١٩٩٩ خلفه بوتفليقة في انتخابات رئاسية مسبقة CIV .

٣- مرتكزات المقاربة الجزائرية في مكافحة الارهاب

هي نفسها مبادئ السياسة الخارجية الجزائرية ونذكر منها:

-المبدأ الاول وهو التعاون بين الدول المتجاورة، لتفعيل صورة مبادئ حسن الجوار الاجابي في التصور الجزائري، اذ يقوم هذا المبدأ على بعث التعاون الثنائي او الجماعي لصالح اطرافه، ويتم بعثه عبر الحدود عن طريق التشاور قصد تقديم وتنمية علاقات الجوار بين المجموعات المحلية او السلطات الاقليمية التابعة لدولتين متجاورتين او اكثر.

- مبدأ اخر وهو مبدأ حل النزاعات بين الدول المتجاورة بالطرق السلمية وعدم اللجوء الى القوة.

-مبدأ اخر وهو ان الجزائر تحيد العمل على حل النزاعات في اطرافها الافريقي وهذا من اجل منع اي تدخل اجنبي، في القارة السمراء، ومن هنا يبرز بان الموقف الجزائري الرفض للتدخل الاجنبي في المنطقة موقفا مبدئيا في السياسة الخارجية الجزائرية .

-مبدأ اخر وهو عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، واحترام سيادة الدول ، الذي تتبناه وتتقيد به السياسة الخارجية الجزائرية من مبادئ الامم المتحدة والمنظمات الاقليمية التي تنتمي اليها. CV.

المحور الثاني : آليات واساليب المقاربة الجزائرية في مكافحة الارهاب والتطرف

اولا :آليات المقاربة الجزائرية الداخلية

١-الآليات السياسية:

تمثلت الآليات السياسية في عودة الجزائر إلى المسار السياسي التعددي في ١٩٩٥ ، والذي سمح باعادة ادماج جميع الأحزاب في الحياة السياسية من خلال منح الضالين والمغرر بهم طريقا سلميا للتعبير كبديل عن العنف ، كما أن قانون الرحمة قد شجع حوالي ٢٠٠٠ ارهابي على تسليم السلاح خلال الفترة الممتدة بين ١٩٩٥ و ١٩٩٦ .

كما أن جهود المصالحة قد استمرت من خلال المصادقة في سنة ١٩٩٩ على قانون الوئام المدني ، وتوجت في سنة ٢٠٠٥ بميثاق السلم والمصالحة الوطنية الذي تم اقراره عبر استفتاء شعبي، وتنص تلك الأحكام على الغاء جميع المتابعات القضائية ضد الارهابيين ، الذين يوافقون على القاء السلاح ، باستثناء الأشخاص الذين شاركوا في جرائم ومجازر أو اعتداءات بالمتفجرات أو ارتكاب عمليات اغتصاب ، وفي المجموع ألقى ٧٠٠٠ ارهابي إضافة الى جماعات ارهابية اخرى أسلحتهم ، وقبلوا بالعودة الى ديارهم.

كما سمح هذا المسار ، باعادة ثقة الجزائريين في مسؤوليهم ومؤسساتهم الدستورية كما ساهم هذا الميثاق في افشال المنطق المتطرف ، باعطاء الفرصة للتائبين للتعبير عن الآثار السلبية للاعمال الارهابية ، وتشجيعهم على الحديث علنا عن تجاربهم ضمن المجموعات المسلحة وأسباب تخليهم عن العمل المسلح، كما ساهمت دعوة التائبين لوضع حد للعنف هي الأخرى في جعل الارهابيين يحسون بإنسانيتهم، خاصة الذين لم يسلموا أسلحتهم بعد وتني المرشحين لسلوك طريق الإرهاب عن الالتحاق بالجماعات الارهابية ، وتضمنت أحكام الميثاق أيضا ، تعويضات مالية لفائدة ضحايا الماساة

الوطنية بما في ذلك عائلات الارهابيين ، واعادة الإعتبار المهني للتائبين بهدف إعادة ادماجهم في المجتمع ، لان التعويض المالي وامكانيات التشغيل تهدف إلى الحد من الصعوبات الاقتصادية وافشال أي محاولة للعودة من خلال منح التائبين الشعور بالانتماء والمواطنة، وكل هذه الاجراءات ساعدت على حرمان الجهاديين من خزان هام من المجندين المحتملين ، من خلال توفير بديل عن العمل الارهابي cvi.

٢- الآليات الاقتصادية والتنموية

وذلك من خلال اتباع مناهج اقتصادية وتنموية في اطار برنامج النهوض بالاقتصاد والتنمية الذي قاده الرئيس عبد العزيز بوتفليقة ، من اجل تعزيز دولة القانون وتحقيق الاستقرار وتضمن المخطط الجماعي الذي بلغت ميزانيته ٢٨٦ مليار دولار ، شملت الفترة ٢٠١٠- ٢٠١٤ وانشأت عدة هيئات ووكالات متخصصة وهي :

-الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة وهو جهاز موحد للبطالين الذين تتراوح اعمارهم من ٣٠ الى ٥٠ سنة ويرغبون في انشاء مشاريع تنموية واستثمارية

- الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب والذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٣٥ سنة ، ويرغبون في اقامة مشاريع تنموية بالاضافة الى تقديم القروض ومنح الدعم وتخفيض الضرائب cvii.

٣- الآليات الثقافية والاجتماعية

نظمت الجزائر عدة تظاهرات ثقافية وفكرية منها تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية في ٢٠١١ وقسنطينة عاصمة الثقافة العربية في ٢٠١٦ وتنظيم عدة تظاهرات فكرية وذلك لاعطاء صورة حسنة عن الوضع في الجزائر وتسويق حالة الامن والاستقرار في البلاد لدى المجتمع الدولي.

٤- الآليات الفكرية والدينية

تمثل في محاولة الجزائر استرجاع المرجعية الدينية على المذهب المالكي ونبذ العنف ولتزام الوسطية في الاسلام ، وعمل برامج تحسن من تكوين الائمة والدعاة cviii.

ثانيا: آليات المقاربة الجزائرية الخارجية

١- الآليات الاقليمية للمقاربة الجزائرية

في مكافحة الإرهاب تعد الجزائر من بين الدول التي دعت إلى ضرورة التعاون الإقليمي لمحاربة الإرهاب بمختلف أشكاله، حيث نجحت في دفع الدول العربية إلى تبني الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب حيث تم إبرام هذه الاتفاقية في القاهرة بتاريخ ٢٢ نيسان/ أبريل ١٩٩٨، وقد جاء في ديباجتها أن الدول العربية الموقعة قد اتفقت على عقد هذه الاتفاقية منطلقاً في هذا من رغبتها في تعزيز التعاون العربي لمكافحة الجرائم الإرهابية التي تهدد أمن واستقرار ومصالح الأمة العربية، التزامها بالمبادئ الأخلاقية والدينية السامية – لاسيما الشريعة الإسلامية- التي تنبذ كل أشكال العنف والإرهاب، وتدعو إلى حماية حقوق الإنسان، وهي الأحكام التي تتماشى معها مبادئ القانون الدولي وأسسها التي قامت على تعاون الشعوب من أجل إقامة السلام .

كما أسفرت الجهود الكبيرة التي بذلتها الجزائر على المستوى الإقليمي ، عن توقيع الاتفاقية الإفريقية للوقاية من الإرهاب ومكافحته الصادرة عن منظمة الوحدة الإفريقية في ١٤ جويلية ١٩٩٩ بالعاصمة الجزائرية، تعزيزاً لهذه الاتفاقية فقد تمت المصادقة على خطة عمل الجزائر في ٢٠٠٢، تمخض عنها إنشاء المركز الإفريقي للدراسة والبحث حول الإرهاب بتاريخ ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢، إضافة إلى ذلك فقد سبق للجزائر أن شاركت في أشغال مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد في الدوحة شهر ديسمبر ٢٠٠١، هذا المؤتمر أكد أن الإرهاب مخالف للشرائع السماوية والأعراف الدولية، كما أشار إلى ضرورة عدم الخلط بين الكفاح المسلح الذي يراد به خدمة القضايا العادلة ومجابهة الظلم والاحتلال مثلما يحدث في فلسطين cix.

٢- الآليات الدولية للمقاربة الدولية

إن النشاط الخارجي الذي قامت به الجزائر والذي تجلى في عدة جوانب، ستنند إلى قاعدة داخلية صلبة تستوجب تقويتها باستمرار في خضم بيئة جهوية شديدة الهشاشة ، فقد ساهم البرلمان الجزائري في التصدي لحملة الشرسة التي حاولت

تشويه صورة الجزائر في الخارج ، وشكلت قمة الألفية عام ٢٠٠٠ بنويويورك ن مع انعقاد أول مؤتمر لرؤساء البرلمانات الوطنية، وكانت فرصة سانحة للبرلمان الجزائري للتحذير من مخاطر ظاهرة الارهاب .

كما ساهت الجزائر في بناء الاستراتيجية الدولية في محاربة جميع أشكال التمويل الجماعات الارهابية، واستطاعت الجزائر أن تكون وراء اللانحة الأممية التي تجرم وتحرم دفع الفدية للارهابيين لقاء الإفراج عن الرهائن ، وذلك من أجل تجفيف منابع الأموال التي تتغذى عليها التنظيمات الارهابية في المنطقة وتم ذلك على مستوى مجلس الأمن في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٩ ، وقد تجلت أيضا مساهمة الجزائر في مكافحة الارهاب على المستوى الدولي في إطار الجهود الدولية ، لإرساء تعاون وتنسيق في إطار الاستراتيجية العالمية لمكافحة الارهاب .cx

المحور الثالث : المقاربة الجزائرية كنموذج عالمي لمحاربة الارهاب والتطرف

اولا : تجربة المصالحة الجزائرية في بناء السلام بين اطراف النزاع المالي

١- من الدبلوماسية الامنية الى جهود التسوية و بناء السلام في مالي.

أ- المقاربة التنموية وبناء السلام في مالي

تنبت الجزائر مقاربة شاملة، كما سبق الذكر حول مستواها الدبلوماسي، ثم المستوى العسكري، اما الان فهي تحاول الانتقال الى المقاربة التنموية، وبناء السلام في مالي وذلك بطرح تجربتها الرائدة في المصالحة الوطنية ومحاولة تجسيدها في المشهد المالي ، وتحقيق السلام الدائم بين اطراف النزاع في هذا البلد الجار، اذ تتبنى الجزائر رؤية تقوم على سياسة وقائية، وذلك بتوفير البديل الاقتصادي والاجتماعي للتوارق المتواجدين على اراضيها ، عبر جمعهم في قرى ومدن جنوبية وترقية معيشتهم ومحاولة ادماجهم في الحياة السياسية، غير ان هذا لم يكن كافيا لدرء تهديد الحركات الازوادية والحد من نشاطهم المسلح، لان مالي لم تقدم وبشكل مواز لما قامت به الجزائر، اي بديل لتعويض التغيرات التي طرأت على النمط المعيشي للتوارق بشكل يخدم استقرار المنطقة، اما في الاجراءات الاقتصادية في اطار مبدأ التضامن قامت الجزائر بالاستجابة لنداء التوارق من خلال تقديم مساعدة هامة لهم وتوفير الشروط الضرورية حتى تمكنهم من العودة الى بلدانهم في اطار من الامن والكرامة حسب التعبير الرسمي، وهكذا قامت الجزائر وعلى نفقاتها الخاصة ببناء مراكز عبور، ووفرت فيها الشروط الضرورية للحياة، لتجنب الاختلاط بين التوارق اللاجئيين والمهاجرين غير الشرعيين.cxi

تم رصد مشروع تنمية المناطق الحدودية بين الجزائر ومالي والنيجر، بالتعاون مع وزارة الفلاحة

والموارد المائية، لتمويل البدو الرحل في المناطق الحدودية بالجنوب الجزائري ب ١٠٠ مليار سنتيم، كما تستفيد ولايات الجنوب من حواجز مائية وابار سطحية، ومدارس وعيادات في الحدود في خدمة الجزائريين وغيرهم وهذا في اطار برامج تنمية شمالي مالي والنيجر كما قدمت الجزائر هبة تقدر ب ١٠ ملايين دولار لمالي مقابل مباشرة مخطط امني وتنموي شامل، من اجل البنى التحتية وقطاع الصحة والتكوين المهني وتوفير المياه الصالحة للشرب، ايضا اتفاق بين شركة سوناطراك ومالي حول التنقيب عن البترول في حوض توديني، وقبول التوارق المساعدة في البحث عن قواعد متطرفي الاسلامي السياسي الجزائريين باشرت مالي بمشروع مبني على تنفيذ برنامج تجفيف تجارة السلاح مقابل دفع مكافآت مالية وايجاد فرص للعمل لمن يقبل من افراد وعائلات تسليم سلاحه، ويحصى البرنامج ادماج ١٠ الاف شخص اجتماعيا ومهنيا بتمكينهم من الاستفادة من مشاريع تنمية جديدة.cxii

اضافة الى هذه المساعدات وضعت الحكومة الجزائرية مبلغ قده ٢ مليون دولار تحت تصرف الحكومة المالية التي تستعملها من خلال تطبيق الاتفاق الوطني في شراء اجهزة مصنوعة في الجزائر، اوباللجوء الى خدمات شركات جزائرية.

ب-اتفاق السلام بالجزائر بين اطراف النزاع في مالي

وقعت حكومة مالي وست مجموعات مسلحة في شمال البلاد (وقادة الحركات الازوادية)، الأحد ٢٩ فيفري ، اتفاق سلام في الجزائر، ووقع على الاتفاق في العاصمة الجزائرية وزير الخارجية المالي "عبدو لاي ديوب" وقادة ٦ حركات ازوادية تمثل السكان الطوارق في شمال مالي، وهي "الحركة العربية للازواد" و"التنسيقية من أجل شعب الازواد" و"تنسيقية الحركات والجهات القومية للمقاومة" و"الحركة الوطنية لتحرير الازواد" و"المجلس الأعلى لتوحيد الازواد" و"الحركة العربية للازواد".

يتضمن هذا الاتفاق إنهاء حالة الحرب التي عاشتها منطقة شمال مالي لعقود، بين حكومة بماكو والحركات الازوادية، وآليات تكريس الوحدة الوطنية، على أن يتم التفاهم في لجان فنية ، على كيفية نزع كل أشكال السلاح، وبسط سيطرة الجيش

وإدراج عناصر الحركات المسلحة في الجيش المالي والشرطة المحلية، ومكافحة الإرهاب، إضافة إلى تدابير التنمية والرعاية الاجتماعية، خاصة مناطق شمال مالي جنوبي الجزائر القريبة من الحدود مع الجزائر. cxiii

وقع الاتفاق بحضور الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس بعثة الأمم المتحدة المتكاملة متعددة الأبعاد لتحقيق الاستقرار في مالي (مينوسما) "الحامدي المنجي"، وممثلين عن الاتحاد الإفريقي ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

وسبق التوقيع على اتفاق السلام النهائي والمصالحة الوطنية هذا ، اتفاق وقع قبل أسبوعين من هذا التاريخ حول عدم الاعتداء، ووقف الاعتداءات المسلحة بين الحركات الأروادية والجيش المالي، يتضمن ست (6) نقاط تتعلق بالوقف الفوري لكل أشكال العنف في مدن شمال مالي، كمال عزز هذا الاتفاق تدابير اتفاق إطلاق النار الذي تم التوقيع عليه في ٢٤ ماي ٢٠١٤ في الجزائر.

انهى اتفاق السلام النهائي هذا ، حالة الحرب والتوتر في منطقة شمال مالي على الحدود مع الجزائر، واسهم في استتباب الأمن في المنطقة، وعزل المجموعات الإرهابية التي تتحرك في منطقة الساحل، كما يعد نجاحاً كبيراً للدبلوماسية الجزائرية بعد أشهر من الوساطة التي بذلتها قبل هذا التوقيع ، لتسهيل التوافق بين حكومة بماكو والحركات الأروادية المسلحة ، كما يعتبر ايضاً نقطة تحول في المقاربة الجزائرية تجاه دول الساحل ، وهي الانتقال من الدبلوماسية الامنية الى دبلوماسية بناء السلام. cxiv

٢- الرؤية الجديدة للجزائر في مكافحة الارهاب في منطقة الساحل : (التركيز على المصالحة والديموقراطية وتعزيز التنمية).

طرحت هذه الرؤية خلال افتتاح الدورة الرابعة لـ: "المنتدى الشامل لمكافحة الإرهاب" في الجزائر، بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠١٦ ، و التي ناقشت تعزيز قدرات دول الساحل الإفريقي، في إطار مكافحة التطرف العنيف بالمنطقة ، وهي رؤية جديدة للجزائر حول "مكافحة الإرهاب والتطرف" في منطقة الساحل الإفريقي، تركز على المصالحة الوطنية والديمقراطية وتدعيم القدرات التنموية لدول المنطقة.

وشارك في أعمال المنتدى، الذي ترأسته الجزائر وكندا، دام ثلاثة ايام، موظفون سامون وخبراء، وعدد من دول الساحل الإفريقي، إضافة إلى الدول الأعضاء في مجلس الأمن، وممثلين عن الأمم المتحدة، الاتحاد الإفريقي، المركز الإفريقي للدراسات والأبحاث، والمجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، وقال الوزير الجزائري للشؤون المغاربية والاتحاد الإفريقي وجامعة الدول العربية انذاك، والذي يشغل رئيس الدبلوماسية الجزائرية حالياً ، "عبد القادر مساهل" ، في كلمة له خلال الافتتاح: >> إن الهدف من الملتقى تدعيم قدرات دول الجيران لمواجهة الإرهاب كون النشاطات الإرهابية في المنطقة تزداد يوماً بعد يوم <<، وحول رؤية الجزائر لمواجهة الإرهاب، أضاف مساهل قائلاً : >> أن المصالحة الوطنية، وتعزيز الديمقراطية، وتنمية الموارد في منطقة الساحل الإفريقي تعد محاور مهمة في مكافحة الإرهاب ، والجزائر اختارت نهج الديمقراطية، عندما أرادت مكافحة العنف والخطاب المتطرف <<. cxv

وقد استفادت التنظيمات الإرهابية من ضعف الموارد والتنمية في منطقة الساحل الإفريقي، التي باتت وجهة للمقاتلين والإرهابيين الأجانب الذين يغادرون مناطق النزاع الحالية وهو مايعني ان انتشار الإرهاب في منطقة الساحل وتوسعه ، كان بسبب عوامل عدة منها الفقر، والهجرة السرية، وتجارة الأسلحة والمخدرات وتجارة البشر وعمليات الاختطاف، وقد قدمت الجزائر في هذا الشأن وثيقة ، في إطار الأمم المتحدة ، تخص دور الديمقراطية ومكانتها في مكافحة الإرهاب والعنف، و جدير بالذكر أن الجزائر تعتبر عضوا مؤسساً لـ"المنتدى الشامل لمكافحة الإرهاب"، الذي يشكل أرضية غير رسمية ومتعددة الجوانب لمكافحة الإرهاب، تضم ٣٠ بلداً .

تعاني منطقة الساحل الإفريقي، منذ سنوات، من نشاط وهجمات مجموعات إرهابية عدة، أبرزها "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، "بوكو حرام"، و"جماعة التوحيد في غرب إفريقيا"، وشن كل من " تنظيم القاعدة" و"جماعة التوحيد"، عمليات اختطاف بدول الساحل طالبت رعايا من دول غربية، بينها فرنسا ، إسبانيا، إيطاليا، وكندا، وتنسق جيوش كل من الجزائر، مالي، موريتانيا، والنيجر، جهوداً لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة بالمنطقة، في إطار " لجنة الأركان العملياتية المشتركة" التي تم تأسيسها عام ٢٠١٠. cxvi

ثانياً : المقاربة الجزائرية كنموذج لحل الازمة الليبية.

زيادة على الدور الذي تلعبه الجزائر على المستوى القاري منذ سنوات ، من اجل تجسيد مبادا تسوية حل النزاعات والخلافات الافريقية ، وفي اطار جهود المقاربة الجزائرية بغرض تسوية الازمة الليبية بصفة مستديمة وفي اطار حوار

شامل ، يقصي الاطراف التي تغذي الارهاب ، بعيدا عن أي تدخل عسكري مثلما اكدت عليه منذ بداية الازمة ، في الجارة الشرقية وما اعقبها من تدخل لحلف الناتو ، وذلك ان الجزائر تراهن على حوار بين الليبيين يحفظ وحدتهم الترابية ، من خلال توافقات وطنية شاملة تتعدى كل منطق الخلافات ومبنية على اساس لمصالح العلا للشعب الليبي cxvii.

هذا وشارك وزير الشؤون الخارجية عبد القادر مساهل بصفته ممثلا لرئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في اشغال اجتماع لجنة الاتحاد الافريقي الرفيعة المستوى حول ليبيا الذي انعقد اول امس ببرازفيل بجمهورية الكونغو ، وهو الاجتماع الذي يندرج في اطار قرارات مؤتمر رؤساء دول وحكومات الاتحاد الافريقي التي تجدد التزام المنظمة الاقليمية بمساعدة الاطراف الليبية لاجاد حل دائم للازمة cxviii.

ويقول رئيس الكتلة النيابية لحزب التجمع الوطني الديمقراطي (موالاة) محمد قوجي >> إن بلاده هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تقرب وجهات النظر بين أطراف الأزمة بليبيا لدورها المحوري، ولأنها لم تكن يوما ما طرفا في الصراع <<.

ويشدد قوجي في تصريحاته للجزيرة نت على أن المقاربة الجزائرية >> تقوم على تشجيع مبدأ المصالحة بين الليبيين أنفسهم، مع استبعاد التدخلات الخارجية التي تتسبب في تجاذبات وتوترات"، مضيفا أن الجزائر جار لليبيا وتعرف جيدا المنطقة، وهو ما يسمح لها بلعب دور الوساطة.

ويقول رئيس حزب جيل جديد (معارضة) سفيان جيلالي إن الوضع الحالي في ليبيا هش جدا، وله تأثير مباشر على الجيران ومنهم الجزائر، مشيرا في حديث للجزيرة نت إلى تداعيات انهيار تنظيم الدولة الإسلامية بسوريا، ويضيف جيلالي أن الخطر الكبير هو عودة المقاتلين من ليبيا إلى منطقة الساحل والجنوب الجزائري cxix .

خاتمة

مما سبق نستنتج ان المقاربة الجزائرية في محاربة الارهاب والتطرف تعد واحدة من بين المقاربات الرائدة والناجحة علي المستوى العالمي بحيث لا يوجد أي نموذج أو برنامج مثالي لاستسلام الجهاديين كما ان التجربة الجزائرية تشكل نقطة انطلاق مفيدة لتطوير مبادرات لمكافحة التطرف في أماكن أخرى في العالم.

يتمثل الدرس الجوهري المستخلص من هذه التجربة في كون الحل العسكري غير كاف بحد ذاته لأن الجهادية تعتبر قبل كل شيء ظاهرة اجتماعية ، وبالتالي فإن العجز على مواجهته على المستوى الاجتماعي يمكن أن يساعد على الظهور مجددا بأشكال أخرى.

نستنتج ان نجاح الجهود الجزائرية المكرسة في القضاء على الازمة الامنية والسياسية في البلاد باتباع آليات فعالة واساليب نابعة من تراث المجتمع الجزائري وتقاليد ، وكذا الاعتماد على تعاليم ديننا السمحة واتباع الوسطية في الاسلام ونبذ الكراهية والعنف والتطرف والغلو في الدين كل هذا مكن الجزائر من بناء مقاربة شاملة وناجحة في محاربة الارهاب والتطرف.

التوصيات

-لا بد ان تبحث أي مقاربة جزائرية لاجاد حلول اقليمية وعالمية للاخطار والتهديدات التي هي في الحقيقة وان اختلفت حدتها، فهي من دولة لآخرى فهي اخطار جماعية ومشاركة .

-يعتبر اقليم الساحل و جنوب الصحراء اقليم يحتاج الريادة الجزائرية في مكافحة الارهاب والتطرف ، بحكم الخبرة التي تتميز بها المؤسسات الامنية والدبلوماسية الجزائرية في هذا المجال.

-يجب تغليب الوسائل السياسية والدبلوماسية في حل الازمة الليبية والمالية ، وعلى المجتمع الدولي تشجيعها.

الفهرس

عنوان البحث

{ الغلو في الدين حكمه وأثره وسبل علاجه في السنة النبوية }

مقدم إلى جامعة الطفيلة

المؤتمر العلمي الدولي الثالث / حوار الحضارات والثقافات

إعداد

د. خالد مصطفى السراحنة

أستاذ مشارك في السنة وعلوم الحديث

عميد كلية الدعوة الإسلامية

فلسطين

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - .

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ " ١ .

وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " ٢ .

حفاظاً على كرامة الإنسان، وتوفيراً لأسباب العزة والكرامة والشرف له، فقد وضع الإسلام أحكاماً تنظم الحياة، تصون له حرمة وكرامته وتحقق له العدل والخير والسعادة في الدنيا والآخرة حيث جاء الإسلام أمراً بالاعتدال والوسطية في كل أمر ، فميزت وخصت الأمة الإسلامية بذلك، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ٣، وحذرنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم - من الغلو مبيناً أنه سبب هلاك من قبلنا فقال عليه - الصلاة والسلام- في الحديث: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ " ٤ ، والغلو من سبيل الشيطان ، وإن الغلو يساهم في تمزيق وتدمير ما جاءت به الرسالة المحمدية، وفي الغلو بعد عن المنهج السليم والطريق القويم وسبل الهداية . فأحببت أن أشارك في المؤتمر هذا البحث الموسوم بعنوان (الغلو في الدين حكمه وأثره وسبل علاجه في السنة النبوية).

Praise be to Allaah. We praise him and seek him and seek forgiveness from him. We seek refuge in God from the evils of ourselves and from the evils of our actions. Whoever is guided by Allaah is not misguided, and whoever misleads is not guided to Him. I bear witness that there is no God but Allah alone and no partner, and I bear witness that Muhammad is his slave and His Messenger - peace be upon him and his family and companions . Allaah says: "O you who believe. Allaah says "O ye people, fear your Lord, who created you from the same one, and created His husband from her, and sent forth many men and women among them" .In order to preserve the dignity of the human being, and to save

^١ سورة آل عمران : آية ١٠٢

^٢ سورة النساء، آية : ١

^٣ سورة البقرة : آية ١٤٣

^٤ - أخرجه النسائي (٢٦٨/٥) رقم (٣٠٥٧). وابن ماجه (١٠٠٨/٢) رقم (٣٠٢٩) وأحمد (٢١٥/١)، وصححه الحاكم (٤٦٦/١)، ووافقه الذهبي، وصححه - أيضاً- الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣)، وصحيح الجامع رقم (٢٦٨٠).

the causes of pride and dignity and honor, Islam has established provisions governing life, safeguarding his freedom and dignity and achieving justice, goodness and happiness in this world and the Hereafter.

Islam came as a ruler of moderation and moderation in every matter. "And also made you a middle nation to be witness to the people and the Prophet is a witness on us), and the Messenger of Allah - peace be upon him - it was the cause of the loss of us said to him : "You and exaggeration in religion, Was before you excessive in religion, "and the absence of the ways of Satan, and that contributes to the tearing up and destruction of what the message of Muhammad, and it spoils the proper approach and the right way and ways of guidance. In this research, I like to participate this topic "Exaggeration in religion, its rule, its impact, and ways of treating it in the Sunnah".

أسباب اختيار البحث :-

١- إظهار صورة الإسلام الحنيف ومنع المساس والإساءة إليه .

٢- التحذير من خطر الغلو المتزايد .

أهداف البحث :

١- إرشاد الأمة إلى هدي الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - .

٢- بيان أن الإسلام الحنيف تميز منذ فجر الدعوة الإسلامية بالوسطية والاعتدال ، والسماحة ، واليسر ، ودفع الحرج والمشقة .

٣- إظهار حقيقة الإسلام ، وحماية المجتمع من الغلو الذي يؤدي إلى التطرف وهو خلاف الطبيعة البشرية المعتدلة؛ لأن فيه إخلال بالموازن والمعايير التي أقامها الله - سبحانه وتعالى - في الكون .

وقد قسمت البحث الى مقدمة وستة مباحث تقفوها النتائج وتوصيات البحث، وهي على النحو الآتي :-

المبحث الأول : تعريف الغلو لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : الغلو لغة

المطلب الثاني : الغلو اصطلاحاً

المبحث الثاني : أدلة تحريم الغلو في السنة

المبحث الثالث : أنواع الغلو وأسبابه

المبحث الرابع : صور الغلو

المبحث الخامس : الآثار السلبية للغلو

المبحث السادس : وسائل علاج الغلو

النتائج والتوصيات

المبحث الأول

الغلو لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : الغلو لغة

ورد في معجم مقاييس اللغة (غلا الرجل في الأمر غلوا : إذا جاوز حده ١، غلا : جاوز الحد وبالع في ٢، غلا: جاوز المدى وفلان بالدين تصلب وشد حتى جاوز الحد غالى في أمره بالغ ٣، غلا : جاوز فيه الحد ٤)
وهناك ألفاظ ذات صلة بالغلو من أهمها:

- ١- التطرف : وهو تفعل من الطرف ومن قولهم للشمس إذا دنت للغروب تطرفت، ومن تجاوز حد الاعتدال، وغلا يصح لغويا تسميته بالمتطرف جاء في المعجم الوسيط مادة طرف : تطرف : "جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط".
- ٢- التنطع : وهو مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم، الذي يظهر عندما يتعمق الإنسان ويتشقق ثم استعمل في كل تعمق سواء أكان في القول أم الفعل ٥.
- ٣- التشدد : وهو دال على القوة والصلابة " فالشيين والدال أصل يدل على قوة في الشيء "، والمشادة المغالبة والمقاومة ، والمشادة في الشيء التشدد فيه ٦.
- ٤- العنف : العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق والعنيف : الشديد من القول والفعل .

وبالنظر إلى هذه الألفاظ نجد تقارباً بينهما وبين الغلو ، فهي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو . وكلها ما عدا التطرف قد وردت في النصوص الشرعية في الكتاب والسنة .

المطلب الثاني : الغلو اصطلاحاً

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: الغلو: "مجازة الحد بأن يزداد في الشيء في حمده ، أو ذمه ، على ما يستحقه ٧".
قال الحافظ ابن حجر: الغلو: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد ٨".

المبحث الثاني

أدلة تحريم الغلو من السنة النبوية

لا شك أن السنة النبوية أوردت أدلة قطعية على تحريم الغلو، وأنه مرفوض في ديننا الحنيف، ونرد منها على سبيل الدلالة والإثبات، وهي على النحو الآتي:—

١- عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ : " هَاتِ الْفُطْ لِي " ، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَبَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ ، قَالَ : " بِأَمْتَالِ هَؤُلَاءِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفُ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفُ فِي الدِّينِ " ١

^١ احمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢، ١٩٧١م ، (٤/ ٣٨٨) .

^٢ احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، لبنان (٢/ ٦٦٦.٦٦٦) .

^٣ بطرس البستاني ، قطر المحيط ، مكتبة لبنان . بيروت (٢/ ١٥٢٩) .

^٤ الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، ط١، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٩٧٩م .

^٥ ابن الاثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم ، النهاية في غريب الحديث والاثر ، (٥/ ٧٤) .

^٦ الزمخشري ، محمود بن عمر ، اساس البلاغه ، عبد الرحيم محمود ، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٩٧ ، (١/ ٢٣١)

^٧ ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ط٢ ، مطبعة السنة ، القاهرة ، (١/ ٢٨٩)

^٨ ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، (١٣/ ٢٧٨)

فهذا الحديث يدل دلالة قاطعة على النهي عن الغلو في الدين كله، فإنه وإن كانت المناسبة النهي عن المبالغة في حصى الجمار إلا أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أخرجه بلفظ عام يشمل النهي عن الغلو في كل أبواب الدين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وقوله: " وإياكم والغلو في الدين"، عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الذي أهلك من كان قبلنا من الأمم الغلو في الدين، ومما يبينه أن هلاك قوم نوح - عليه السلام - كان بسبب غلوهم في الصالحين حتى عبدوهم من دون الله وسبب هلاك اليهود هو غلوهم في العجل وغلوهم في جانب التفريط حتى قتلوا الأنبياء، وحرفوا الكتب المنزلة ، وكان سبب هلاك النصارى غلوهم في عيسى بن مريم وأمه وابتداعهم شرائع وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان . وسبب هلاك أكثر من هلك من هذه الأمة بسبب الغلو ، إما في مسائل الأسماء والصفات، أو في الصالحين، أو في الحكم على الناس إلى غير ذلك من أسباب الهلاك التي مرجعها إلى الغلو، إما في الإفراط، وإما في التفريط.

٢- وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : قال رسول - الله صلى الله عليه وسلم - "هَلِكُ الْمُتَنَطِّعُونَ ، قَالَهَا ثَلَاثًا" ٣

قال النووي: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. ٣

٣- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ) ٤ .

٤- وعن عبد الله بن عمرو قال: (كُنْتُ رَجُلًا مُجْتَهِدًا، فَرَوَّجَنِي أَبِي، ثُمَّ زَارَنِي، فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: كَيْفَ تَجِدِينَ بَعْلَكَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَا يَنَامُ، وَلَا يُفْطِرُ قَالَ: فَوَقَّعَ بِي أَبِي، ثُمَّ قَالَ: زَوَّجْتُكَ امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَضَلْتَهَا؟، فَلَمْ أَبَالِ مَا قَالَ لِي مِمَّا أَجِدُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْإِجْتِهَادِ، إِلَى أَنْ بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَقَالَ: «لَكِنِّي أَنَامُ وَأَصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، فَتَمَّ وَصَلِّي، وَأُفْطِرُ، وَصُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ، صُمْ يَوْمًا وَأُفْطِرْ يَوْمًا، وَأَقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «أَقْرَأْ فِي خَمْسِ عَشْرَةَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ حُصَيْنٌ: فَذَكَرَ لِي مَنْصُورٌ، عَنْ مَجَاهِدٍ أَنَّهُ بَلَغَ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لِأَنَّ أَكُونَ قِبَلَتْ رُحْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَنَا الْيَوْمَ شَيْخٌ قَدْ كَبُرْتُ وَضَعْفْتُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَتْرُكَ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥ .

٥- عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَإِنَّ لِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ) ٦.

وقوله شره : بكسر الشين وتشديد الراء أي حرصاً على الشيء ونشاطاً ورغبة في الخير أو الشر، وقوله (لكل شره فترة) الفترة بفتح الفاء وسكون التاء أي وهناً وضعفاً ، أي من سلك طريق التوسط والاعتدال نجا وأفلح لأنه يمكنه الدوام على ما ابتدأ من العمل ، ومن غلا واشتد أولاً ثم فرط و أعرض أو أفرط فجاوز الحد الشرعي فقد هلك .

٦- عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، وَلَا تُبَعْضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا سَفَرًا قَطْعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى، فاعْمَلْ عَمَلْ أَمْرِي يَطْنُ أَنْ لَنْ يَمُوتَ أَبَدًا، وَأَحْذَرْ حَذْرًا يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ عَدًّا) ٧ .

١ النسائي ،أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الصغرى، تحقيق:عبدالفتاح أبو غدة ط٢، ١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات الإسلامية-حلب(٢٨٦/٥)، إسناده صحيح على شرط مسلم، حكم الألباني صحيح.

٢ مسلم، مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (٢٠٥٥/٤).

٣ شرح النووي على مسلم، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١/١٦٣٩٢هـ ، (٢٢٠/١٦).

٤ البخاري، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر دار طوق النجاة، ط١ ١٤٢٢هـ ، (١٦/١) ، تعليق مصطفى ديب البغا ٣٩ (٢٣/١) (يسر) ذو يسر . (شاد الدين) يكلف نفسه من العبادة فوق طاقتها

والمشادة المغالبة. (إلا غلبه) رده إلى اليسر والاعتدال. (فسدوا) الزموا السداد وهو التوسط في الأعمال. (قاربوا) اقتربوا من فعل الأكل إن لم تستطيعوه. (استعينوا بالعدوة والروحة وشيء من النلجة) استعينوا على مداومة العبادة

بإيقاعها في الأوقات المنتظمة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل).

٥ ابن خزيمة ، محمد بن اسحاق ، صحيح ابن خزيمة ط١، ٢٠٠٧، دار العثمانية ، (٢٩٣/٣)

٦ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣ (١٨٧/١) ، تعليق الألباني صحيح.

٧ البيهقي ،أحمد بن الحسين ، السنن الكبرى للبيهقي، باب القصد في العبادة، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م، (٢٧/٣).

٧- وعن أبي هريرة وابن عمر-رضي الله عنهما- قالوا قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوهُ، يَتَفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْعَالِينَ، وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ) ١ .

٨- وعن أبي إمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: " (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ) ٢ .

المبحث الثالث

أنواع الغلو وأسبابه

المطلب الأول : أنواع الغلو

يمكن تصنيف الغلو إلى صنفين ونوعين بارزين وهما :

الغلو الإعتقادي : هو المبالغة في العقائد التي يلزم منها تجاوز ضوابط الدين ، ومن أمثلته غلو الخوارج في التفكير ، وغلو الشيعة في حب آل البيت . ومن إشكاله عدم التمييز بين الأصول (التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة) والفروع (التي مصدرها النصوص ظنية الورود والدلالة) . وبالتالي المساواة بينهما في درجه الإلزام وحكم مخالفتهما ، بينما الأولى لا تحتمل التأويل ، ولا يباح مخالفتها ، ومن ينكرها فقد كفر ، أما الثانية فتحتمل التأويل ، وفي تأويلها اختلف المسلمون ويختلفون دون إثم ، فمن أخطأ فهو مثوب مره ومن أصاب فهو مثوب مرتين .

الغلو العملي السلوكي : هو التشدد في العمل (السلوك) والذي يلزم من تجاوز ضوابط الدين ، وينقسم إلى قسمين :

١-الغلو في سلوك الفرد ذاته: تشديد المسلم على نفسه في عمل طاعة من غير ورود الشرع بذلك.

٢- الغلو في الموقف من سلوك الآخرين: تشدد المسلم في حكمه على عمل(سلوك) غيره من المسلمين ، وينتدج من التشدد القولى إلى التشدد العملي : حيث يشمل :

الغلظة في الأسلوب ، والفظاظة في التعامل بخلاف قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } ٣ .

استخدام القوة والعنف لتحقيق الغايات بخلاف قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } ٤ .

إلزام الناس بالعزائم والتشديد .

سوء الظن بالناس بخلاف قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَإِنَّهُمَا لَأَنْفُسٌ عُذِّبَتْ مِنْهُمَا وَإِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ لِّبَنِي آدَمَ } ٥ .

تكفير المسلمين بخلاف قوله تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْنَا مُؤْمِنًا تَبَتَّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ٦ .

إباحة دمانهم بخلاف قوله تعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّعْتَدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } ٧ .

١ التبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب العمري، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣/٩٨٥م، (٨٢/١)، حديث (٢٤٨ صحيح) رواه البيهقي .

٢ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي أبو القاسم، المعجم الكبير، باب ما جاء في ظلم الناس، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط٢(٢٨٦/١)، صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني باب حرف الصاد

حديث(٣٧٩٨)،(٧٠٠/٢).

٣ سورة آل عمران : آية ١٥٩

٤ سورة فصلت : آية ٣٤

٥ سورة الحجرات : آية ١٢

٦ سورة النساء : آية ٩٤

٧ سورة النساء : آية ٩٣

المطلب الثاني: أسباب الغلو

هناك أسباب عدة، تؤدي إلى الغلو، نجلها على النحو الآتي:

أولاً : إعراض أكثر المسلمين عن دينهم ، عقيدة وشريعة وأخلاقا ، إعراضا لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام ،مما أوقعهم في ضنك العيش وفي حياة الشقاء .

ويتجلى هذا الإعراض بأمر كثيرة في حياة كثير من المسلمين اليوم ؛ أفراداً وجماعاتٍ

ودولاً وشعوباً وهيئات ومؤسسات ، ومن مظاهر هذا الإعراض :

١- كثرة البدع والعقائد الفاسدة وما نتج عن ذلك من الافتراق والفرق والأهواء ، والتنازع والخصومات في الدين .

٢- الإعراض عن نهج السلف الصالح وجهله ، أو التنكر له .

٣- العلمنة الصريحة في أكثر بلاد المسلمين ، والتي أدت إلى الإعراض عن شرع الله ، وظهور الزندقة والتيارات الضالة ، والتنكر للدين والفضيلة .

٤- التعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة .

وكل هذه الأمور ونحوها مما يندرج تحت مفهوم الإعراض عن شرع الله تثير غيرة الشباب المتدين ، وحين لا يظهر له السعي الجاد لتغيير الحال وإنكار المنكر ، يلجأ إلى التصدي لهذه الانحرافات بلا علم ولا حكمة مما يفوقه الى الوقوع فيما لا يرضي الله - تعالى- والغلو .

٥- وقوع أكثر المسلمين في التقصير في حق الله - تعالى-، وارتكابهم للذنوب والمعاصي ، والمنكرات وضعف مظاهر التقوى والورع والخشوع في حياة المسلمين اليوم .

٦- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التقصير فيه في أكثر بلاد المسلمين .

ثانياً : شيوع الظلم بشتى صورته وأشكاله، ومنها :

ظلم الأفراد ، وظلم الشعوب ، وظلم الناس بعضهم لبعض ، مما ينافي أعظم مقاصد الشريعة ، من تحقيق العدل ونفي الظلم ، مما ينمي مظاهر السخط والتذمر والحقد والتشفي في النفوس .

ثالثاً : تحكم الكفار في مصالح المسلمين ، وتدخلهم في شؤون البلاد الإسلامية ، ومصائر شعوبها بين طامع وكائد وحاسد. مما أدى إلى تدميرهم وشعور طوائف من شبابهم بالضيم والإذلال و الإحباط وما ينتج عن ذلك من ردود الأفعال والسخط والعنف .

رابعاً : محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنن ، والتضييق على الصالحين والمتمسكين بالسنة، والعلماء والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر في غير بلاد المسلمين .

خامساً : الجهل بالعلم الشرعي وقلة الفقه في الدين :

فالمتمثل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى الغلو والعنف يجد أنه يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين ، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية ، فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة .

سادساً : الجفوة بين العلماء والشباب وبين الشباب والمسؤولين :

ففي أغلب بلاد المسلمين تجد العلماء (بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم) في معزل عن أكثر الشباب ، وربما يسيئون الظن بالكثير منهم كذلك ، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء ، وربما تكون سمعتهم في أذهان الكثيرين على غير الحقيقة ، وبعض ذلك بسبب انحراف مناهج التربية لدى بعض الجماعات ، وبسبب وسائل الإعلام المغرضة التي تفرق بين المؤمنين ، مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات الجائرة والخاطئة التي لا تليق تجاه علمائهم ، وتجاه حكاهم ، وكذلك هناك حاجز نفسي كبير بين النخبة من الشباب ، وبين المسؤولين ، تجعل كل منهم يسيء

الظن بالآخر، ولا يفهم حقيقة ما عليه الآخر، إلا عبر وسائط غير أمينة غالباً، ومن هنا يفقد الحوار الذي هو أساس التفاهم والإصلاح.

سابعاً : الخلل في مناهج الدعوات المعاصرة :

فاغلبها تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية، منها : سياسية واقتصادية، وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصل شرعاً ، والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة. وفي الوقت نفسه تقصر في أعظم الواجبات فتتنسى الغايات الكبرى في الدعوة ، من غرس العقيدة السليمة والفقهاء في دين الله- تعالى- ، والحرص على الوحدة ، وتحقيق الأمن المجتمعي ، والتجرد من الهوى والعصبية ، وفقه التعامل مع المخالفين ومع الإحداث على قواعد الشرع .

ثامناً : قصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة :

ونحو ذلك مما هو موجود لدى بعض الشباب ، فإذا أنضاف إلى هذه الخصال ما ذكرته في الأسباب الأخرى ؛ من سوء الأحوال ، وشيوع الفساد ، والإعراض عن دين الله ، والظلم ، وفقدان الحوار الجاد - أدى ذلك إلى الغلو في الأحكام والمواقف .

تاسعاً : تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام :

وأشباههم للدعوة والشباب بلا علم ولا فقه ، فاتخذ بعض الشباب منهم رؤساء جهالاً ، فأفتوا بغير علم ، وحكموا في الأمور بلا فقه ، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقهاء والتجربة والرأي ، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ولا يعرف لهم قدرهم ، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه ، أو بخلاف موقفه أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير ، أو بالجبن أو المداهنة ، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك ونحو ذلك، مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم ؛ ومن اعتبارهم ، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم .

عاشراً : التعامل والغرور :

وأعني بذلك أنه من أسباب ظهور الغلو والعنف في بعض فئات الأمة اليوم إدعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي والأحكام وقواعد الدين ، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد ، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتناولون على العلماء، وهم من أجهل الناس

حادي عشر : التشدد في الدين والتنطع والخروج عن منهج الوسطية والاعتدال في الدين ، إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين ، وأغلب الذين ينزعون إلى الغلو والعنف اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين .

ثاني عشر : شدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب والمتقنين وغيرهم بلا علم ولا فقه ولا حكمة، مع العلم إن الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، لكن ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة، ومراعاة المصالح ودرء المفاسد. فإذا فقدت هذه الشروط أو بعضها أدى ذلك إلى الغلو والتنطع والشدة والعنف في معالجة الأمور ، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم .

ثالث عشر : فساد الإعلام :

الإعلام في العصر الحديث صار غالباً مطية الشيطان إلى كل فتنة وضلالة وبدعة ورتذيلة ، فإن وسائل الإعلام في أكثر البلاد غالباً ما تسخر في سبيل الشيطان ، وهي من خيله وسبله في الدعوة إلى الضلال ونشر البدعة والزندقة وترويج الرذيلة والفساد ، وهناك الفضيلة ، وبالمقابل فإن إسهام الإعلام في نشر الحق والفضيلة قليل وباهت، ولا شك أن هذا منكر عظيم ومكر كبار ، ويعد أعظم استفزاز يثير غيرة كل مؤمن وحفيظة كل مسلم ، فإذا اقترن ذلك بشئ من قلة العلم والحلم والصبر والحكمة ، وغياب التوجيه الشرعي السليم ، أدى ذلك بالضرورة إلى الصلف والقسوة في الأحكام والتعامل ، وإلى الإحباط والتشاؤم واليأس عند البعض فيندفع إلى التغيير بعنف، لذا فإن علاج هذه الظواهر لن يكون حاسماً إلا بإزالة أسبابها.

المبحث الرابع

صور الغلو

من المعلوم أن الغلو المقصود في الشرع له صور متعددة منها الغلو في الأشخاص بتجاوز الحد في حقهم ورفعهم إلى مالا يستحقونه من الأوصاف، وكذلك الغلو في الأحكام، والغلو في الأفعال التي هي مشروعة في الأصل .

ومن صور الغلو ترك المباح أو المشرع تعبدًا، غير أن الحكم على عمل ما بأنه غلو يجب التثبت فيه ، وينظر إلى العمل بدقة لئلا يحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم ، ولكن الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو فيقع الخلط من هذا الباب .

ومن صور الغلو :

١- تفسير النصوص تفسيراً متشددًا .

٢- تكلف التعمق في معاني التنزيل .

٣- أن يكون الغلو متعلقاً بالأحكام وذلك بأحد الأمور .

. إلزام النفس أو الآخرين ما لم يوجبه الله -عز وجل- تعبدًا وترهيبًا.

. تحريم الطيبات التي أباحها الله -عز وجل- على وجه التعبد .

. ترك الضروريات أو بعضها .

٤- أن يقف الإنسان من البعض موقف المادح المغالي الذي يوصل بشراً ما سواء أكان فرداً أم جماعة إلى درجة لا يستحقها، وجعله مصدر الحق .

٥- أن يقف الإنسان من بعض الناس أفراداً أو جماعات موقف الذام المغالي، فيسم المسلم بالكفر والمروق من الدين أو يسم المجتمع المسلم بأنه مجتمع جاهلي .

٦- التعصب في المسائل الفقهية .

٧- التعصب المذهبي .

المبحث الخامس

الآثار السلبية للغلو

هناك آثار سلبية عدة يخلفها الغلو، فنتمثل هذه الخطورة على النحو الآتي:

١- الخروج عن جادة الحق مع ظن الإنسان بأنه على الحق كما هو الشأن في أولئك الذين يدعون البشر مع الله أو من دون الله، ويطلبون منهم ما لا يجوز طلبه إلا من الله كمغفرة الذنوب ، ورزق الأولاد ، ونحو ذلك .

٢- وكما هو شأن الذين يتخذون الشفعاء الذين لم يأذن بهم الله، وكما هو شأن الذين يغفلون في العبادة .

٣- تفريق كلمة المسلمين وإضعاف شوكتهم على عدوهم ، فالغلو الذي يترتب عليه قتال المسلمين، وتكفيرهم من أعظم أسباب الفرقة والشقاق والنزاع ، مما تضعف معه شوكة الأمة.

٤- إيجاد رد فعل سيئ في واقع الأمة، فإن الغلو قد يحدث بعد التفريط كرد فعل عليه، ومعلوم أن الإرجاء نشأ في الأمة كرد فعل على غلو الخوارج .

٥- قد يترتب عليه استحقاق العذاب والوعيد الوارد على الغلاة بالنسبة للفرد الغالي.

عالمية المشكلة : إن الغلو من السمات الظاهرة في هذا العصر، إذ صار في كل بلد وفي كل حضارة طوائف عرفت بتلك الأعمال ، وتختلف طبيعة كل فئة بحسب الحضارة ، أو الدين والمذهب الذي يعتنقه أفرادها ، كما أن للعالمية وجه آخر : فقد نقل الإعلام المعاصر الأحداث (الإرهابية) من المحلية إلى العالمية .

المبحث السادس

وسائل علاج الغلو

١- أهمية الوضوح والشفافية والصراحة في طرح قضايا التكفير والعنف والغلو وأسبابها والاعتراف بوجودها وأثارها ، لاسيما بعد أن شاعت هذه الأمور عبر وسائل الإعلام والإنترنت ومجالس الناس الخاصة والعامة .

٢- يجب عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع ، فيجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها ، وعدم الخلط بينهما وبين التكفير والعنف والإرهاب والغلو ، والخلط بينهما أدى إلى تعاطف بعضهم مع بعض وإلى التباس الأمور على كثير من الناس ، وإلى تعاطف آخرين معهم كذلك ، لاسيما في الخطاب الرسمي للدولة ، وفي الخطاب الإعلامي الذي يمثلها .

٣- كشف مواطن الأشكال واللبس والغموض في القضايا الحساسة ، وإعلان الوجهة الشرعية فيها ، وتأصيل ما لم يتم تأصيله شرعاً وربطها بنظام الدولة وفتاوى العلماء ، وبعض المواقف والقرارات التي هي مظنة المخالفة الشرعية ، أو الشائعات حول هذه الأمور ونحوها ، فتأصل الأمور ويكشف الزيف علناً وبصراحة ووضوح ، وليس من العيب أن تدافع الدولة عن نفسها بالحجة والبرهان ، بل هو عين الحق والقوة والشجاعة والصواب ، فتحرر جميع المسائل المشككة شرعاً وترتبط بأصولها وقواعدها وأدلتها وفتاوى العلماء ، وربط ذلك كله في نظام الحكم . ثم بيان أنه لو ثبت مخالفة بعض الأنظمة والقرارات والمواقف والمعاهدات للشرعية ؛ فإن المعهود أن الدولة لم تقصد الخروج عن الشرعية ، وأن هذه الأخطاء لا تلغي شريعة الدولة وبيعتها وحقوقها ، لكنها توجب مناصحتها ، وبيان الحق ، والمطالبة بتصحيح الخطأ فحسب .

٤- ثم يتبع ذلك أهمية استقرار شبهات الغلاة وتلبيساتهم أو الأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم ، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي . والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين منهم ، وسأقتراح لاحقاً بعض وسائل ذلك مع أهمية الإشارة إلى أن أصول الغلاة على مختلف فئاتهم ترجع إلى أصول واحدة أو متشابهة يمكن إسقاطها من قبل المختصين ، ويغني عن الخوض في أكثر الجزئيات فمن هذه الأصول :

__ الحفاظ على مصالح الأمة وتحقيقها للدولة شرعاً ، وأنها في عنق كل مواطن في البلاد ووجوب السمع والطاعة بالمعروف

__ العلماء ومرجعيتهم وأنهم على رأس أهل الحل والعقد وهم الذين يشاركون في قرارات المواقف الهامة والأحكام في قضايا الأمة الكبرى ، ومصالحها العظمى .

__ وجوب رعاية مصالح الأمة العظمى ودرء المفاصد الكبرى عنها من الحاكم والمحكومين.

__ اعتبار شرعية المؤسسات القضائية والمدنية والعسكرية في الدولة والنظام وأهل الحل والعقد ، وغير ذلك من الأصول الشرعية المعتمدة .

__ حفظ الأمن وأنه واجب على الجميع ، وأن الإخلال به فساد في الأرض ، والدين جاء بحفظ الضروريات الخمس (الدين والنفس والمال والعرض والعقل) ، ولا يمكن ذلك إلا بالأمن .

أما وسائل العلاج والحوار التي يمكن تفعيلها أو إنشاؤها والمقترحات حول ذلك، فمنها:

١- طرح برامج وخطط علمية مدروسة ومحددة ومبرمجة بعناية؛ لعلاج ظواهر الغلو بالحوار والمناقشة والحجة والتربية والبرامج العلمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية قريبة المدى وبعيدة المدى .

فمن الجانب العقدي والفقهية يجب أن تسهم الجامعات والمؤسسات التربوية، كأقسام العقيدة والفقه والكتاب والسنة والثقافة ، ومراكز البحث ومراكز خدمة المجتمع ، في كل الجامعات؛ لأنه يوجد فيها تخصصات شرعية متعددة وقوية، وتدعم البحوث والدراسات والمواقف الإيجابية، من أجل درء الفتنة .

٢- استنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين والمربين للإسهام في حل المشكلة وتخفيف آثارها والحد من انتشارها بأكثر مما هو حاصل وبكل الوسائل المتاحة - والتقصير في هذا حاصل - فمثلاً لا نعرف أي خطوة رسمية جادة في اللقاء المباشر مع أساتذة الجامعات ، والقضاة والدعاة من قبل المسؤولين في الدولة للتشاور والتعاون في حل هذه المشاكل الكبرى .

فيجب على الجميع طرح المشكلة بوسائل الإعلام ، ومؤسسات التربية والتعليم ، بأسلوب علمي مدروس ، لا بما يحصل في بعض اللقاءات والبرامج والإسهامات شبه العفوية وغير المعدة إعداداً جيد .

٣- التأكيد على أهل الحل والعقد وعلية القوم في المجتمع في ممارسة دورهم الريادي للانفتاح على الناس وضبطهم بالمرجعية الدينية والقبلية والاجتماعية والرسمية .

وأول ذلك : العلماء وكبار المسؤولين في كل منطقة يجب لزاماً التأكيد عليهم بفتح أبوابهم للشباب وعامة المجتمع ، وأن يخصص كل واحد منهم وقتاً يومياً أو أسبوعياً ، يستقبل فيه الناس ويحاورهم ويخصص للشباب المندفع وقتاً يحاورهم ويرفق بهم ويرشدهم ، وإن غالب الشباب المندفع الذي قد يتعاطف مع الغلاة متسعدون للرجوع للحق ، إذا تم حوارهم برفق وسعة صدر وحلم وتذكير بالأصول الشرعية ، وهذا مجرب وناجح ، لكن العلماء غالباً مشغولون عن هذه المهمة ، فانصرف كثير من الشباب إلى الفضائيات والإنترنت ودعاة السوء والفتنه والتيارات المعادية .

وأرى أن يكون ذلك بتكليف رسمي من أصحاب القرار .

٤- يجب إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة رسمية وغير رسمية تعنى بهذه الأمور يكون فيها باحثون ومتخصصون متفرعون يعكفون على البحث والدراسة والحوار ، وتوفر لهم الإمكانيات اللازمة والوسائل العلمية والإعلامية وغيرها .

٥- حبذا لو يكون في أجهزة الدولة ومؤسساتها المعنية مراكز وإدارات متخصصة في العقيدة والفكر والتيارات المعاصرة كالدخالية ، والشورى ، والنواب ، والتربية والتعليم ، والتعليم العالي ، والثقافة والإعلام ، والصحف ، والعمل ، والشؤون الاجتماعية ، والشؤون الإسلامية ، والإفتاء ، وما كان موجوداً منها يطور ويفعل ويدعم؛ ليؤدي الدور الواجب في هذه الظروف .

٦- توسيع دائرة الفتوى والمفتين نوعاً وكماً وكيفاً ، وإنشاء دوائر للفتوى في كل المناطق واسعة الصلاحيات كبيرة الإمكانيات، تتصدى لحاجات المجتمع ومشكلاته وإشكالاته الكبيرة والكثيرة والخطيرة ، وكذلك الدعوة والشؤون الإسلامية .

فالناس في هذه البلاد لا تزال تثقهم بعلمائهم جيدة رغم ما حدث لها من صدع كبير ، لكن لم تتوفر للعلماء الإمكانيات والوسائل المتطورة لسد وكفاية حاجة الناس ، ولا يزال عدد الذين يسمح لهم بالفتوى على نطاق إعلامي محدود جداً .

٧- كبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين بحاجة ملحة إلى دورات مركزة في أصول الدين وثوابته ومسلّماته ، وأصول الغلو واتجاهاته ، والقواعد الشرعية حول الحاكم والسمع والطاعة وضروريات الأحكام ونحو ذلك مما يؤدي الجهل به إلى الاستهانة والاستهجان لمقام المسؤول والحط من قدره .

٨- أهمية تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتقاء بمستواها من حيث الوظائف والإدارة ، والوسائل والإمكانيات والدراسات .

بحيث ينهض بها حتى تصل الى مستوى مشرف وأداء متميز ، وهكذا يجب أن تكون المراكز والجمعيات والمؤسسات؛ لأن هذا سيقضي على كثير من دعاوى الغلاة.

٩- حول الفئة الغالبة واستصلاحها :

أغلب أفراد الغلاة من المتدينين ذوي العاطفة والغيرة والحماس ، لكنهم ينقصهم عمق الفقه والحكمة والصبر والتجارب ، واستهوتهم التيارات والأهواء وأرى حيالهم :

الحوار المباشر ما أمكن من قبل العلماء والدعاة والدولة ، ولو في السجون وأن يكون حواراً متميزاً .

توجيه رسائل وبحوث علمية مؤصلة (ومطويات) تطرح بكل الوسائل المتاحة لا سيما الإنترنت ، وتكون من متخصصين جديرين ، وتعالج القضايا الكبرى بأسلوب ميسر ويتبع ذلك :

الإكثار من الإصدارات والندوات والدورات والمحاضرات واللقاءات في علاج الغلو ، وأن تكون هناك برامج ثابتة في الإعلام لاسيما الإذاعات المقبولة؛ لأن بعض الغلاة يسمعونها وكذلك القنوات المحلية في ذات البلد .

الإسراع بالإذن للجمعيات الخيرية والمؤسسات التطوعية؛ لأنها تستوعب كثير من طاقات الشباب وتسد فراغهم وتمتص عواطفهم .

يجب تسديد وتهذيب الخطاب الديني الرسمي وشبه الرسمي في قرارات الدولة وبياناتها ووسائل الإعلام؛ لأن أغلب صياغات الخطاب الديني وأساليبه غير جيدة ، وبعضها يسير السخرية ، ولذا أقترح أن لا يصدر خطاب أو بيان رسمي أو قرار له علاقة بالشرع والدين حتى يعرض على مستشارين شرعيين .

كما تجد الدولة والعلماء والمفكرين في معالجة مظاهر الغلو والعنف - يجب بالمقابل الجد في معالجة المظاهر المعاكسة من الطعن في العقيدة والأخلاق والسلف الصالح ، من قبل بعض مرضى القلوب والعقول في صحفنا المحلية ، الذين يستنزون كل مسلم عادي فضلاً عن المتدين والغيور .

وهناك أمور يحسن التنبه لها في معالجة الغلو أو ما يسمى (التطرف الديني) :

أن أعظم سبب لوجود التطرف في العصر الحاضر ، هو التطرف المعاكس في رفض الدين أو التساهل والإعراض عنه .

يجب في هذه الحال التفريق (بوضوح) بين التمسك بالدين والسنة وهو الحق ، وبين الغلو والتطرف وهو الباطل .

أن الغلو (التطرف الديني) لا يمكن علاجه علاجاً حاسماً إلا بأمرين ، وهما :

الحوار الجاد والمجادلة بالتي هي أحسن، ومن خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتمدة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمهم المحاور ويعترف بجدارتهم .

ثم الجد والحزم في معالجة أسباب الغلو بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء .

إن أكثر ما يثيره أهل الغلو مبني على أوهام وظنون وشائعات، وتلبيس، ثم أدى ذلك إلى التهajer والقطيعة بينهم وبين العلماء والمفكرين ورجال الدولة أو الحكومة .

فالحل هو كشف الحقائق، والشفافية والحوار الجاد واللقاء المباشر وفتح الأبواب بضوابط .

يجب أن تضبط التعددية وحرية الرأي التي ظهرت الدعوة إليها أخيراً بالضوابط الشرعية ؛ بحيث تكون التعددية في الاجتهادات لا في العقيدة والمسلمات والثوابت ، ولا تكون ترويحاً للفرق والبدع والأهواء .

وأرى أن تجاوز هذه الثوابت من قبل بعض الجاهلين كان من أسباب تصاعد الغلو وذرائعه.

النتائج والتوصيات

النتائج:

١- إن الغلو والتطرف من العوامل التي تؤدي إلى فقدان الأمة لوسطيتها واعتدالها. ٢- الغلو يقضي على لغة الحوار والاختلاف الايجابي وجعل الأمة الإسلامية في آخر الركب.

٣- الغلو يؤدي إلى إضعاف شوكة المسلمين وتفرقهم واختلافهم .

٤- الغلو في الدين أكثر خطر من الغلو في غيره بل الأخطر على الإطلاق. حيث يؤدي إلى إخراج جماعات من الإسلام وإدخالها في الكفر كما ظهرت جماعات مارقة على الدين اختصاصها وشغلها الشاغل تكفير مخالفيها ، ولعل أشهر هذه الجماعات في العصر الحديث ما يقوم منهجها على تكفير وسبي وقتل ونهب مخالفيهم فالمسلم في هذا الوقت كالقابض على الجمر من شدة ما يراه من جماعات متشددة في الدين وأخرى متساهلة .

التوصيات :

١- الإعتماد والتوكل على الله هو السراج المنير في هذه الظلمة الحالكة والصبر على الأذى والبلاء مفتاح الفرج والتمسك بالدين الحنيف والصراط المستقيم وهو السبيل القويم لإرضاء رب العالمين.

٢- كشف الحقائق، والشفافية والحوار الجاد من خلال النصوص الشرعية من قبل المتخصصين واللقاء المباشر وفتح الأبواب بضوابط .

٣- يجب التفريق بين التمسك بالدين والسنة وهو الحق، وبين الغلو والتطرف وهو الباطل .

٤- الحوار المباشر ما أمكن من قبل العلماء والدعاة والدولة، ولو في السجون وأن يكون حواراً متميزاً .

٥- توجيه رسائل وبحوث علمية تطرح بكل الوسائل المتاحة لا سيما الإنترنت، وتكون من متخصصين، وتعالج القضايا بأسلوب ميسر .

٦- الإكثار من الإصدارات والندوات والدورات والمحاضرات واللقاءات في علاج الغلو، وأن تكون هناك برامج ثابتة في الإعلام لا سيما الإذاعات المقبولة؛ لأن بعض الغلاة يسمعونها وكذلك القنوات المحلية في ذات البلد .

٧- الإذن للجمعيات الخيرية والمؤسسات التطوعية التنموية؛ لاستيعاب طاقات الشباب وسد فراغهم وامتصاص عواطفهم .

وأخيراً فإنني أتمنى لهذا المؤتمر أن يوفق في مساعاه؛ لتحقيق نتائج طيبة تخدم الأمة وتعمل على إظهار الصورة الحسنة السمحة المشرفة المضيئة لسنة النبي- صلى الله عليه وسلم- العطرة وتظهر مدى رحمة ووسطية واعتدال وتسامح الإسلام في كل مناحي الحياة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس

الورقة النقاشية السابعة لجلالة الملك عبد الله الثاني

الدكتورة : سناء أحمد القضاة

جامعة الزرقاء

الزرقاء- المملكة الأردنية الهاشمية

المقدمة

منذ تولي جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين مقاليد الحكم في المملكة الأردنية الهاشمية وهو يقود الأردن من نجاح إلى نجاح سيرا على خطى جلالة والده الملك الحسين طيب الله ثراه، وقد عمل جلالتهم على إصلاح الحياة السياسية وتطويرها وصولاً إلى الديمقراطية وإشراك جميع فئات المجتمع في العملية السياسية عن طريق الانتخابات الحرة، وذلك عن طريق ما طرحه جلالتهم من أوراق نقاشية غطت الجوانب المتعددة الكفيلة ببناء المواطنة الفاعلة الموصلة للحياة الديمقراطية المنشودة، وقد توج جلالتهم هذه الأوراق بالورقة السابعة تحت عنوان :

بناء قدراتنا البشرية وتطوير العملية التعليمية جوهر نهضة الأمة

وقد ركز جلالتهم فيها على مستقبل الأجيال القادمة، عن طريق بناء تعليم منظم وخلق جيل من العلماء بتهيئة البيئة الصالحة في دور التعليم على اختلاف مراحلها، إذ إن هؤلاء الطلاب هم عماد المستقبل وأساس نهضة الأمة، بما يتهيأ لهم من ظروف وإمكانات تنمي ملكاتهم وتبرز إبداعاتهم.

وقد قمت بهذا البحث بربط الورقة السابعة بما سبقها من أوراق نقاشية، ثم قمت بدراسة وتحليل الورقة السابعة، وبينت ما فيها من أفكار لنهضة المجتمع بالتركيز على حسن تأهيل العنصر البشري بشكل عام، وتطوير التعليم بمراحله كافة، وتوفير الإمكانيات والمتطلبات الكافية والمستمرة لهذا التأهيل وهذا التطوير، بما ينمي القدرات ويفجر الإبداعات، ويؤدي إلى تطوير المجتمع والحياة بشكل دائم، مثلما عرضت عدداً من الآراء التي تناولت هذه الورقة بالتحليل. وجاء هذا البحث بعد المقدمة تحت العناوين الرئيسة الآتية:

التكوين الثقافي والسياسي لجلالة الملك عبد الله الثاني.

الأوراق النقاشية السابقة لجلالة الملك.

تحليل الورقة النقاشية السابعة وأهم ما جاء فيها

بعض التحليلات للورقة السابعة

الخاتمة - النتائج

أولاً: التكوين الثقافي والسياسي لجلالة الملك عبد الله الثاني

حياته ونشأته:

هو الابن الأكبر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه و الأميره منى الحسين

ولد الملك عبد الله الثاني في ٣٠/١/١٩٦٢م في عمان، ولجلالته أربعة إخوة وست أخوات، وجلالة الملك عبد الله هو الحفيد الحادي والأربعون لنبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الملك الرابع الذي اعتلى عرش المملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ ٧/٢/١٩٩٩م، خلفاً لوالده المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال(١)

تلقى جلالتهم علومه الابتدائية في الكلية العلمية الإسلامية، والتحق بها سنة ١٩٦٦م، ثم انتقل للدراسة في بريطانيا، ثم أكمل دراسته في أكاديمية دير فيلر في الولايات المتحدة واشنطن الأميركية، ثم في جامعة جورج تاون في العاصمة

(١) الموقع الرسمي لجلالة الملك عبد الله بن الحسين: <https://kingabdullah.jo/ar/page>، ومحافظة، علي، واخرون، التربية الوطنية، دار جزيير للنشر، عمان، ط٢ ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، ص٨٢.

الأميركية (١) ثم عاد إلى الكلية العسكرية الملكية ساندهيرست في سنة ١٩٨٠م حيث تلقى تدريبه العسكري فيها وتخرج برتبة ملازم ثاني عام ١٩٨١م (٢)

في عام ١٩٨٣م التحق جلالته بجامعة أكسفورد وذلك لدراسة السياسة الدولية والشؤون العالمية (٣)

وفي سنة ١٩٨٤م انضم جلالته الملك عبد الله إلى صفوف الجيش العربي ثم مسؤولاً ثانياً لإحدى سرايا اللواء المدرع الأربعين برتبة ملازم، ثم تولى قيادة سرية دبابات في اللواء (٩١) برتبة نقيب، ثم التحق جلالته إلى القوات الخاصة الملكية، وأصبح قائداً للقوات الخاصة المختصة في مكافحة الإرهاب برتبة عميد وذلك سنة ١٩٩٤م، ثم عمل مدرسا للتكتيك العسكري في جناح الطائرات المضاد للدبابات في سلاح الجو الملكي، حيث كان جلالته طياراً يقود الطائرات المقاتلة الجوية (الكوبرا) ثم رقي جلالته إلى رتبة لواء عام ١٩٩٨م (٤)

وقد نهج جلالته الملك عبد الله الثاني نهج والده الملك الحسين بن طلال في تحسين مستوى المعيشة للشعب الأردني فقد عمل جلالته على تخفيض نسبة البطالة والفقر بالتنسيق مع الحكومة ووضع الخطط لذلك.

ثم سعى جلالته إلى جعل أبناء الأردن جميعاً في نسيج وطني واحد يعتززون بعروبيتهم وإسلامهم في ظل العدالة الاجتماعية والتسامح والحرية، وأمر جلالته بتأليف لجنة وطنية بهذا الخصوص والتي قدمت توصياتها التي تضمنت إنشاء مملكة دستورية، وتعديل قانون الأحزاب، وتدريب القضاة، وإصلاح مناهج التربية والتعليم، والذي ركز عليه جلالته دائماً لإصلاح العملية التربوية، وخلق جيل متعلم قادر على الإنتاج والتطور، والتركيز أيضاً على التعليم العالي في المملكة.

وكان من ضمن اهتمامات جلالته الملك وضع المرأة في المملكة حيث أوصت اللجنة الوطنية بتخصيص نسبة للنساء في البرلمان الأردني (٥)

ومن ضمن اهتمامات جلالته الدائمة والمستمرة؛ النهوض بالاقتصاد الأردني وتقليل حجم البطالة، وذلك بتشجيع الاستثمار في الأردن، وقد وقعت الحكومة الأردنية بهذا الشأن اتفاقية مع الحكومة الأمريكية لتقديم مبلغ (٧٠٠ مليون دولار) للأردن لتعويض الخسارة أثناء حرب العراق الثانية، واتفاقية أخرى لتسجيل التمويل الأمريكي في الأردن في سنة ٢٠٠٣م (٦)

وقد ركز جلالته الملك عبد الله بن الحسين على التنمية السياسية، وسعى إلى إعداد المجتمع الأردني إلى مجتمع ديمقراطي، متسامح آمن تسوده العدالة وسيادة القانون والحرية وذلك لمواجهة التحديات السياسية والدولية، نظراً للتغيرات والاضطرابات، التي تسود الدول العربية من حولنا، وكان على الأردن أن يقوم بعدة أعمال وإجراءات لمواجهة تلك الظروف، مثل تشكيل لجنة حوار وطني لإجراء حوار حول الإصلاح السياسي والاقتصادي في البلاد وذلك في مارس/ آذار عام ٢٠١١م (٧)

وقد شكل جلالته الملك أيضاً لجنة لمراجعة النصوص الدستورية لتعديل الدستور، وذلك في إبريل سنة ٢٠١١م، وقد خرجت اللجنة بعدة تعديلات منها: إنشاء المحكمة الدستورية ومقرها العاصمة عمان، وتعدّد هيئة قضائية مستقلة بذاتها، وقد تضمنت التعديلات أيضاً إنشاء هيئة مستقلة للإشراف على الانتخابات، وتعزيز الحريات (٨)

وقد سعى جلالته الملك عبد الله بن الحسين منذ توليه عرش المملكة إلى الاستمرار في عملية التنمية الشاملة في جميع المجالات على الساحة الأردنية فضلاً عن اهتمامات جلالته في تطوير العلاقات وتنظيمها مع المجتمع الدولي والعالمي، وقد استطاع جلالته جعل الأردن مواكباً للتطورات الحاصلة من حوله، حيث بدأ المواطن الأردني يشعر بانعكاس التنمية على حياته اليومية (٩)

(١) الموقع الرسمي لجلالة الملك عبد الله الثاني.

(٢) مشاقبة، أمين، وعود مهنا، النظام السياسي الأردني، عمان، ٢٠١٧م، ط١٣، ص٢٤.

(٣) عودة، أحمد عيسى محمد، الأردن من الألف إلى الياء، عمان الأردن، ٢٠٠٢م، ص٦٦.

(٤) ينظر: المرجع نفسه ص٦٨.

(٥) محافظة، علي، وآخرون، التربية الوطنية، دار جريب للنشر، عمان، ط٢٠١٦، ص٨٣. مشاقبة، أمين، وعود مهنا، التربية الوطنية في الأردن، عمان دار الحامد للنشر والتوزيع، ط٨، ص٣٠٤.

(٦) مشاقبة، أمين، وعود مهنا النظام السياسي الأردني، عمان، ٢٠١٧م، ط١٣، ص٢٥.

(٧) محافظة، علي، وآخرون، التربية الوطنية، ص١٢٨.

(٨) مشاقبة، أمين، وعود مهنا النظام السياسي الأردني، ص٤٨.

(٩) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٦.

ولم يأت هذا الشعور من فراغ بل ترجمه جلاله الملك ذلك عملياً بمجموعة من المبادرات الملكية السامية والتي انعكست على الحياة في المجتمع العربي ومن أهم هذه المبادرات: مركز الملك عبد الله الثاني للتصميم والتطوير (كادبي) وهي مؤسسة عسكرية- مدنية وتعنى بالبحث والتطوير؛ لتوفير حلول مثلى في المجالات الدفاعية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمى(١)

ومن المبادرات أيضاً: صندوق الملك عبد الله الثاني للتنمية عام ٢٠٠١م، ويعمل كمنظمة غير حكومية وغير ربحية تسعى لتحقيق التنمية في مختلف محافظات المملكة ومناطقها، والحد من الفقر والبطالة.

وهناك مبادرة مهمة أخرى من مبادرات جلاله الملك عبد الله الثاني وهي: رفع شعار الأردن أولاً، وذلك بهدف جعل أبناء الأردن جميعاً في نسيج وطني واحد، مما يجعلهم يعتزون بعروبتههم وإسلامهم في ظل التسامح والحرية والعدالة الاجتماعية(٢).

وهناك العديد من المبادرات غير ذلك مثل مشاريع الإسكان" سكن كريم لعيش كريماً) عام ٢٠٠٥م، وذلك لتوفير سكن كريم للفقراء والمحتاجين.

وهناك أيضاً مبادرة " كلنا الأردن" عام ٢٠٠٦م، ومبادرة التعليم الأردنية عام ٢٠٠٣م، والتي تهدف إلى تحقيق الإصلاح التعليمي عن طريق تبني تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتوظيفها في قطاع التعليم بالشكل الأمثل(٣)

وعن السياسة الخارجية لجلاله الملك فقد قام جلاله الملك عبد الله الثاني بأعمال كبيرة على الصعيد الخارجي وحقق فيها نجاحات على الساحة الدولية منها على سبيل المثال لا الحصر:

المشاركة في المؤتمرات واللقاءات الدولية والتي تخص القضايا العربية والدولية، وآخر هذه اللقاءات كان مؤتمر القمة العربي الثامن والعشرين والذي استضافته المملكة الأردنية الهاشمية وأقيم في البحر الميت بتاريخ ٢٩ آذار ٢٠١٧م. (٤).

إعلان رسالة عمان في ١٩ / ١١ / ٢٠٠٤م، وكان هدف هذه الرسالة هو بيان طبيعة الإسلام الحقيقي للعالم الحديث، وأن تعاليمه السمحة هي ضد التطرف والإرهاب وتدعو إلى الوفاق والسلام بين شعوب العالم أجمع. (٥).

سجلت الأردن محطات مضيئة وتميزة للدبلوماسية الأردنية خلال عضوية الأردن في الأمم المتحدة على مدى فترات طويلة تخللها عضوية غير دائمة في مجلس الأمن لثلاث مرات في الأعوام ١٩٦٤، ١٩٨٢ في عهد المغفور له جلاله الملك الحسين بن طلال، وفي سنة ٢٠١٤ في عهد جلاله الملك عبد الله بن الحسين.

من أبرز القضايا التي أدى فيها الأردن دوراً كبيراً واضحاً هو دعمه الدائم للشعب الفلسطيني وحقه في العودة إلى أرضه وإقامة دولة فلسطينية مستقلة تتمتع بالسيادة وعاصمتها القدس(٦)..

وآخر هذه النقاط جهود جلاله الملك عبد الله الحثيثة والواضحة لإيجاد حل سياسي للامتنات التي تعيشها الدول العربية المحيطة، وقد لخص جلاله الملك عبد الله الثاني في أكثر من مناسبة وضع الأردن والأزمة التي يعانيها نتيجة تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين السوريين والتي تقدر بحوالي ٣ مليون لاجيء، إضافة إلى أعداد أخرى لجأوا إلى المملكة نتيجة الصراع الفلسطيني والإسرائيلي والنزاع في ليبيا واليمن، وبين ذلك جلالتة في مؤتمر المانحين الذي عقد في لندن بتاريخ ٢٠١٦/٢/٤م. (٧).

الأوراق النقاشية السابقة وأهم ما جاء فيها

توج جلاله الملك عبد الله الثاني نظرتة العصرية ورغبته في الوصول بالشعب الأردني إلى التطور المنشود بما أصدره من أوراق نقاشية بحثت جميع جوانب المجتمع، وغطت العديد من المواضيع العائده على الشعب بالتطور والتقدم، والتي تقوم

(١) المبادرات- الملكية <https://kingabdnlah.jo/ar/page/>

(٢) المبادرات- الملكية <https://kingabdnlah.jo/ar/page/>

(٣) public.Arabic.uspx?site-ID%page-10=٥٤/perra.giv.jo

(٤) www.aljazeera.net/news/arabic/٢٠١٧/٢/٢٩/

(٥) <https://rhc.jo/ar/hm-king-abdullah-ii/>

(٦)مشاقبة، النظام السياسي، ص ١٩٦.

(٧) <https://kingabdullah.jo/en/speeches/during-“supporting-syria-and-region-conference>

على تحفيز الحوار الوطني حول مسيرة الإصلاح، وعملية التحول الديمقراطي، وتهدف إلى بناء التوافق وتعزيز المشاركة الشعبية في صنع القرار(١).

الورقة الأولى (٢) صدرت في ٢٩ كانون الأول/ ديسمبر عام(٢٠١٢م) بعنوان: مسيرتنا نحو بناء الديمقراطية المتجددة، وقد صدرت هذه الورقة مع بدء الحملات الانتخابية لمجلس النواب، وركز جلالته في هذا المجال على أن التنافس بين المرشحين يجب أن يكون الهدف منه هو تحمل المسؤولية وليس من أجل الحصول على منصب، لتحقيق أهداف شخصية.

ورركز جلالته على ضرورة محاورة هؤلاء المرشحين للوقوف على توجهاتهم تجاه القضايا المهمة التي يمر بها المجتمع، وفي مقدمة هذه القضايا الوضع الاقتصادي وقضايانا الوطنية التي لها الأولوية، وكذلك الرؤية المستقبلية للوطن الغالي وطننا الأردن، وغير ذلك من مواضيع تهم الجميع في هذا الوطن العزيز.

ورركز جلالته في هذه الورقة على العديد من الأمور المهمة، ومجموعة من المبادئ والممارسات أهمها الآتي:

أولها: احترام الرأي الآخر أساس الشراكة بين الجميع.

ثانيها: المواطنة لا تكتمل إلا بممارسة واجب المساواة.

ثالثها: الحوار والتوافق واجب وطني مستمر.

رابعها: جميعنا شركاء في التضحيات والمكاسب.

وفي نهاية كلام جلالة الملك عبد الله الثاني دعا جميع المواطنين والمواطنات لتبني المبادئ والممارسات الديمقراطية التي عرضها جلالة الملك في الورقة.

الورقة الثانية (٣) وهي بعنوان: نظامنا الديمقراطي لخدمة جميع الأردنيين، وصدرت في ١٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣م.

لقد بدا جلالة الملك عبد الله الثاني بالقول: إننا جميعاً أفراداً وحكومة نمارس الديمقراطية، وقد شكل الدستور أساس الحياة السياسية والديمقراطية على مدى التسعين عاماً، وهو الأساس، وحتى نستمر بذلك يجب على المؤسسات والقوانين بالتطور والارتقاء نحو الأفضل، وبالفعل حقق الأردن تطوراً نحو هذا بسبب التعديلات الدستورية التي أدت إلى الفصل والتوازن بين السلطات وترسيخ استقلال القضاء، وصون حقوق المواطنين، وإنشاء المحكمة الدستورية وإنشاء هيئة مستقلة للانتخابات، وكل ذلك كان الهدف منه رسم مستقبل الوطن بعدالة وشفافية يشترك بها الجميع.

وكان تركيز جلالته في هذه الورقة على عدة أمور تفوق المجتمع نحو التطور الديمقراطي، وهذه الأمور هي:

الأنظمة الديمقراطية والنموذج الأردني، والديمقراطية الحديثة التي تقوم على مبدأ أساسي وهو اختيار الشعب لممثلين عنه في اتخاذ القرارات الهامة في الوطن، وعرض جلالته عدة نماذج تسير في هذا النهج مثل الأنظمة البرلمانية، والأنظمة الرئاسية، وأكد جلالته على أن النظام السياسي لكل دولة، ولكل نظام يعكس التاريخ والثقافة، وبخصوص الأردن يقول جلالته: إن الأردن نموذج للملكية الدستورية والتي تطورت على مدار تسعة عقود، وسوف نستمر في السعي إلى التطور والتحديث للوصول للخطوة التي تليها وهي آلية تشكيل الحكومات.

الانتقال إلى الحكومات البرلمانية الفاعلة، أكد جلالته أن مسار تعميق ديمقراطيتنا هو في الانتقال إلى الحكومات البرلمانية الفاعلة والتي يتم تشكيلها من قبل الأغلبية في مجلس النواب، وعلى الحكومة البرلمانية هذه أن تحوز على ثقة مجلس النواب وتحافظ على الاستمرار في حصولها على الثقة.

(١) <https://kingabdullah.jo/ar/vision-discussion-babars>

(٢) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية(من الأولى إلى السابعة) ط٣، ٢٠١٢-٢٠١٧م، ص١٣.

(٣) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية، ص٢١.

وتطور نظامنا الديمقراطي لخدمة جميع الأردنيين / <https://kingabdullah.jo/ar/vision-discussion-papars>

ومشاقبة، النظام السياسي، ص١٥٤.

متطلبات التحول الديمقراطي ويتطلب ذلك تشكيل وإبراز أحزاب وطنية فاعلة وقادرة على التعبير عن مصالح المجتمع المحلي ضمن برامج قابلة للتطبيق.

على الجهاز الحكومي القيام بتطوير عمله على أسس من المهنية والحياد.

تغيير الأعراف البرلمانية عن طريق تطور النظام الداخلي لمجلس النواب، والتعاون والتشاور بين الكتل النيابية من أجل مساءلة الحكومة، ونوه جلالته إلى أن دور أحزاب المعارضة يشكل أحد عناصر نجاح تجربة الحكومات البرلمانية.

الورقة الثالثة (١).

وهي بعنوان: أدوار تنتظرنا لنجاح ديمقراطيتنا المتجددة، وصدرت في ٢ آذار / مارس عام ٢٠١٣م.

وقد جاءت هذه الورقة بعد الانتخابات لمجلس النواب السابع عشر، وقد كان لهذه الانتخابات أهمية كبرى، وهي مؤشر على طريق الإصلاح والتغيير، وقد أجريت في جو يسوده الديمقراطية والشفافية وحظيت بإشادة محلية وعربية ودولية غير مسبوقة بالنسبة لعدد المرشحين والناخبين ومشاركة الأحزاب السياسية، ويقول جلالته الملك: إنه عازم على الاستمرار في تطوير هذه التجربة الأخيرة ويدعو كل الأردنيين للمساهمة في عملية التطور، ويقول جلالته الملك عبد الله إن تفعيل ونجاح الحكومات البرلمانية يتطلب إشراك الأحزاب المختلفة القائمة على أسس برامجية متطورة وفاعلة وحتى يتحقق هذا النجاح ركز جلالته على تطوير:

دور الأحزاب السياسية، والتركيز على تطوير الأحزاب ذات البرامج والقواعد الشعبية وهذا الأمر يتطلب من الأحزاب عدة أمور منها:

تطوير وتجذير رؤية وطنية لحياتنا السياسية.

التزام الأحزاب بالعمل الجماعي والتقييد بالمبادئ المشتركة.

تبني الأحزاب لبرامج وطنية واضحة.

دور مجلس النواب، والذي يتمثل دوره الأساسي في تشريع القوانين وممارسة دوره في الرقابة على الحكومة ومساءلتها، ومجلس النواب يخضع لمساءلة المواطنين، وهناك بعض الأمور المتعلقة بمسؤولية النائب منها:

أن يكون هدف النائب هو خدمة الصالح العام.

على النائب أن يوازن بين المصالح على مستوى أو ضمن دائرته الانتخابية، وعلى المستوى الوطني بشكل عام.

التوازن بين مسؤولية التعاون ومسؤولية المعارضة البناءة، وهذا يتطلب من النواب العمل الجماعي مع بعضهم البعض من جهة، ومن جهة أخرى العمل مع الحكومة، وذلك لمواجهة التحديات الوطنية.

أن تربط النائب مع الحكومة علاقة موضوعية، وليست مصلحة شخصية.

دور رئيس الوزراء ومجلس الوزراء، ويتطلب من رئيس الوزراء ومجلس الوزراء إعداد برنامج شامل من أجل التقدم، وتوفير الأمن والأمان لجميع أبناء وبنات الوطن، وعلى رئيس الوزراء أن تكون لديه قدرة على قيادة فريق كفاء من الوزراء، وكذلك مسؤولية التواصل والحوار مع سائر الأطراف على رأسهم مجلس الأمة، وهناك أمور تساعد رئيس الوزراء في تعميق مسؤولياته منها:

نيل الثقة النيابية والمحافظة عليها.

رفع معايير العمل الحكومي المتميز.

تبني نهج الشفافية.

(١) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية، ص ٢٧.

أدوار تنتظرنا لنجاح ديمقراطيتنا المتجددة

<https://kingabdnllah.jo/ar/vision-discussion-papars>

دور الملكية: عرض جلالته أنه في هذا الدور أهم عوامل التطور السياسي هو ارتقاء دور الملكية الدستورية الهاشمية، وبين جلالته حرصه الشديد على اتباع نهج يستشرف المستقبل، وحرصه على حماية قيمنا الأصيلة، وحماية منظومتنا الوطنية للعدالة والنزاهة، وعلى نشر روح الثقة بقدرة أبناء الأردن على التميز والإبداع، وكذلك دفاع جلالته عن القضايا المصرية المرتبطة بالسياسة الخارجية، والأمن القومي، كما أكد جلالته على بقاء مؤسسات الدولة المختلفة مستقلة ومحيدة ومهنية، وعلى الملكية أيضاً حماية التراث الديني والنسيج الاجتماعي وصيانة قيمنا المتمثلة بالوحدة الوطنية والتسامح والاعتدال التي تجعل من الأردن وطناً آمناً مستقلاً وفريداً.

دور المواطن، بين جلالته أن دور المواطن يشكل اللبنة الأساسية في بناء النظام الديمقراطي، وقد ركز جلالته على دور المواطن من ثلاثة محاور هي:

الوعي والبحث المستمر عن الحقيقة، فعلى المواطن متابعة القضايا ومعرفة التفاصيل المبنية على الحقائق.

اقتراح الأفكار والحلول البديلة.

المواطنة الفاعلة، فعلى المواطن الضغط على النائب إذا لم يلتزم بالوفاء بالعهود، وكذلك الضغط على الحكومة بالوسائل المتعددة.

هذا وقد حث جلالته المواطنين على تفعيل دورهم الانتخابي في المجالس النيابية، والبلديات، والنقابات، والجامعات وغيرها للوصول إلى مجتمع ديمقراطي سليم.

الورقة الرابعة (١).

وهي بعنوان (نحو تمكين ديمقراطي ومواطنة فاعلة) وقد صدرت هذه الورقة في ٢ حزيران/ يونيو عام ٢٠١٣م، وكان جلالته قد بين ضرورة إطلاق برنامج التمكين الديمقراطي في خطاب ألقاه في ١٠ كانون الأول عام ٢٠١٢م، في الذكرى الخمسين لتأسيس الجامعة الأردنية، وكان الإطلاق الرسمي تحت مظلة صندوق الملك عبد الله الثاني للتنمية.

يقول جلالته الملك: إن بعض الآراء تقول إن شعوب العالم العربي لا ترغب بالديمقراطية، وغير مؤهلين للتعامل معها، وكلنا في الأردن لا نقبل هذه المزاعم ولن نستسلم لها أبداً، لكن الطريق نحو التجديد واحتضان الديمقراطية ليس بالطريق السهل بل هو مليء بالصعوبات، ولكنه ضروري وحتمي للمجتمع الذي يريد الوصول إلى التطور.

وأشار جلالته إلى أننا في الأردن نعمل على تطوير نموذجنا الديمقراطي الذي يعكس ثقافة واحتياجات وتطلعات مجتمعنا .

وأوضح جلالته أن الهدف الأساسي من الإصلاح؛ تعزيز المشاركة الشعبية في صنع القرار.

وأهم متطلبات التحويل الديمقراطي في تعزيز المجتمع ودوره في مراقبة الأداء السياسي، وتطويره، وذلك عن طريق ترسيخ الثقافة الديمقراطية عند أفراد المجتمع، وهذا هو المحور الأساسي وصلب الورقة النقاشية الرابعة.

ويقول جلالته إن الالتزام والمشاركة هو جوهر المواطنة الفاعلة، وكان جلالته قد تعرض لها في الأوراق النقاشية السابقة، ولكنه ركز عليها في الورقة النقاشية الرابعة، واعتبرها شرطاً أساسياً لتحقيق التحول الديمقراطي.

المشاركة السياسية والمواطنة الفاعلة

تحدث جلالته الملك في بداية هذا الموضوع عن أهمية الانخراط في الحياة السياسية والتحلي بالمواطنة الفاعلة، والتحدث عن الحياة السياسية، المقصود من ذلك بمفهومها الواسع الذي يخص العملية التي يتم من خلالها مناقشة القضايا التي تعني مجتمعنا الأردني.

والقضايا التي تناقش ليست محصورة في القضايا الوطنية التي تناقش في مجلس الأمة فقط، ولكن التي تهم وتمس مجتمعاتنا المحلية وحياتنا اليومية مثل: نوعية التعليم التي تدرس في المدارس، وكذلك هموم المواطنين إزاء قضايا مثل النقل العام وغيرها من الخدمات العامة.

(١) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية، ص ٤١.

نحو ديمقراطي - ومواطنة - فاعلة /ar/vision discussion-papars/ kingabdallah.jo/

ومحافظة، التربية الوطنية، ص ١٢٨.

وقد أكد جلالته أن المشاركة السياسية لا تكون ذات أثر إيجابي إلا عندما يؤمن كل فرد منا بالمواطنة الفاعلة والتي تقوم على ثلاثة ركائز مهمة هي:

حق المشاركة- وواجب المشاركة- ومسؤولية المشاركة، وهذه الركائز مدعومة بعدة مبادئ هي:

إن الانخراط في الحياة السياسية هو حق أساسي لكل مواطن.

إن المشاركة السياسية في جوهرها تشكل مسؤولية وواجباً.

إن المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية تُرتب على كل فرد من أفراد المجتمع مسؤوليات فيما يتعلق بكيفية الانخراط في العمل السياسي، وفيما يتعلق في برنامج التمكين الديمقراطي، وحرصاً من جلالته على إنجاح هذا البرنامج أكد جلالته على مجموعة من المبادئ على العاملين الأخذ والعمل في إطارها وهي:

أن يعمل البرنامج وفق أسس غير حزبية تلتزم الحياد.

أن يلتزم البرنامج في نهجه أسس الشفافية لدى تقديم الدعم.

الورقة النقاشية الخامسة(١).

وهي بعنوان: تعميق التحول الديمقراطي، الأهداف، والمنجزات، والأعراف السياسية، صدرت الورقة النقاشية الخامسة في ١٣/ تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠١٤م، حيث أكد جلالته في بداية الورقة أن الأردن يواجه تحديات إقليمية غير مسبقة ترهق اقتصاد المملكة، ورغم ذلك فإن عملية الإصلاح السياسي في الأردن مستمرة وقد نجح الأردن في إيجاد ربيع أردني خاص به، وكذلك في تسريع وتيرة الإصلاح المبنية على نموذج إصلاحي تطوري يقوم على إشراك جميع فئات المجتمع.

وقد ذكر جلالته محطات الإنجاز التي تم تحقيقها على ثلاثة مسارات هي:

محطات الإنجاز التشريعي، وهي التي تمثل البنية الأساسية لأي نظام ديمقراطي في العالم وأهمها:

إقرار تعديلات دستورية؛ ترسخ منظومة الضوابط والتوازن بين السلطات، وتعزيز الحريات وتستحدث مؤسسات ديمقراطية جديدة.

إنجاز حزمة جديدة من التشريعات الناعمة للحياة السياسية، وشملت قوانين الانتخابات والأحزاب السياسية والاجتماعية العامة.

تطبيق قانون معدل لقانون محكمة أمن الدولة.

التقدم الذي أحرزه مجلس النواب في تطوير نظامه الداخلي ليصبح أكثر فعالية.

محطات الإنجاز المؤسسي، ويضمن تعزيز مؤسسات قائمة، وبناء أخرى جديدة وذلك على النحو الآتي:

-إنشاء محكمة دستورية.

- استحداث هيئة مستقلة للانتخاب.

- تأسيس مجلس النواب مركزاً للدراسات والبحوث التشريعية.

- استمرار العمل في تدعيم السلطة القضائية، وتعزيز منظومة وطنية قوية للنزاهة والشفافية والمساءلة.

- الاستمرار في دعم المركز الوطني لحقوق الإنسان.

(١) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية، ص٤٩.

- متابعة العمل في مسارات برنامج تطوير القطاع العام من خلال البناء على ما تم انجازه من دمج المؤسسات والاستمرار في تحسين مستوى الخدمات الحكومية وتنمية الموارد البشرية، وتطوير آليات صناعة القرار.

٣- محطات التطوير الخاصة بأطراف المعادلة السياسية.

العمل على تحديد القيم والممارسات الجوهرية، وهي في صميم الثقافة الديمقراطية، وممارسات المواطنين، بالإضافة إلى دور الأطراف الرئيسية في المعادلة السياسية، وهناك قيم لا بد من تجديدها في ثقافة المجتمع، والتي تشمل على الاعتدال والتسامح، والانفتاح، والتعددية، وإشراك جميع مكونات المجتمع، واحترام الآخرين، والشعور بهم، واحترام سيادة القانون، وصون حقوق المواطنين.

الورقة السادسة (١). وهي بعنوان: سيادة القانون أساس الدولة المدنية/ صدرت الورقة السادسة من الأوراق النقاشية لجلالة الملك عبد الله الثاني في ١٦/ تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠١٦م، في بداية الورقة السادسة تحدثت جلالة الملك عن الأوراق النقاشية التي سبقتها وما تضمنته من أفكار ورؤى حول مسار عملية الإصلاح السياسي، وفيما يخص الممارسات التي تقوم عليها الديمقراطية والأدوار لكل أطراف العملية السياسية والهدف النهائي المنشود من المشاركة الديمقراطية التي تعتبر من أساسيات البناء والاستقرار للمجتمع.

ثم أشار جلاله الملك في بداية حديثه عن الورقة إلى جهود الأردن وصموده في تحمل آثار الصدمات الخارجية، وتحمل جميع التحديات التي واجهت المجتمع الأردني، وما زالت تواجهه، وقد تحملها بكل مقدرة ومسؤولية وعزيمة، لم يسبقه دولة في التاريخ الحديث في تحمل ذلك.

وهناك آمال وتطلعات وطموح للوصول إلى الازدهار والارتفاع بالأمة من جميع النواحي لذلك لا بد من سيادة القانون للوصول إلى ذلك، وسيادة القانون تعني خضوع الجميع أفراد ومؤسسات لسيادة القانون، فهو أساس الإدارة الحكيمة التي تعتمد على العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص.

على الفرد أن يتحمل مسؤولية ممارسة ترسيخ سيادة القانون، والدولة هي من يقع على عاتقها تطبيق سيادة القانون.

مبدأ سيادة القانون جاء ليحقق العدالة والمساواة والشفافية على جميع الأطراف؛ مؤسسات الدولة وأفرادها.

الدولة الديمقراطية التي تحترم حقوق الإنسان وتصونها لا يمكنها ذلك دون سيادة القانون.

وحتى نحافظ على العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص وقيم المواطنة الصالحة لا بد من القضاء على الوساطة والمحسوبية لأنها تفتك بالمسيرة التنموية والنهضوية للمجتمعات، وهذا مخالف لمبدأ سيادة القانون والعدالة وإتاحة الفرص لمن يستحقها.

مبدأ سيادة القانون يتطلب وجود جهاز قضائي كفاء ونزيه وفاعل، لأن العدل هو أساس كل شيء يطبق على الأرض. كفاء

سيادة القانون هو عماد المدنية، والدولة المدنية هي الدولة التي تحتكم إلى الدستور والقوانين وتطبقها على الجميع دون تفرقة ولا محاباة، وهي الدولة التي تفصل بين السلطات ولا تسمح ان تسيطر سلطة على أخرى وهي دولة تركز على التسامح والعيش المشترك وتخدم التعددية، واحترام الرأي الآخر، وهي ليست مرادفة للدولة العلمانية كما يظن البعض، والدين بالدولة العلمانية عامل أساس في بناء منظومة الأخلاق والقيم، وهو جزء من دستورنا العظيم، كما يقول جلاله الملك: "ولنا أسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كتب ميثاق صحيفة المدينة عند هجرته إلى المدينة المنورة من أجل تنظيم العلاقة بين جميع الطوائف والجماعات فيها

تحليل الورقة النقاشية السابعة وأهم ما جاء فيها.

تحت عنوان: بناء قدراتنا البشرية وتطوير العملية التعليمية جوهر نهضة الأمة

(١) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية، ٥٩.

<https://kingabdnllah.jo/ar/vision-discussion-papers>

ومشاقفة، النظام السياسي، ص ١٧٤

صدرت الورقة النقاشية السابعة في ١٥ نيسان/ ابريل عام ٢٠١٧م

لو استعرضنا العنوان فقط لأدركنا هدف جلالة الملك ومقصوده من هذه الورقة وأهميتها، حيث ركز جلالة الملك على ثلاثة مرتكزات هي: (المتعلم، والعملية التعليمية، ونهضة الأمة) وهذا هو قمة الفهم لارتقاء الأمة وتطورها، لأن أساس النهضة هو العلم، والعلم له مرتكزات وقواعد وشروط ليكون فعالاً ومنتجاً، وهذا يتطلب ارضاً خصبة، ومتعلماً واعياً على التلقي.

وهنا نلاحظ الفهم العميق لجلالة الملك لأطراف العملية التعليمية، والتي بدون تلك الأطراف لا يمكن أن نستطيع بناء قدراتنا البشرية.

لقد أشار جلالة الملك في بداية كلامه عن النقاش المحموم حول ملف التعليم، أو أن ذلك لم يكن يقتصر على أمة دون أمة ولا على بلد دون بلد، وأن ذلك النقاش هو عام في العالم أجمع، وأعرب جلالته عن سعادته أن البلاد العربية طالتها هذا النقاش وكان للأردن نصيب من ذلك، وظهر ذلك جليا في الأردن على العديد من المؤسسات وعلى نواحي كثيرة في المجتمع الأردني.

وهذا النقاش يدل على يقظة ووعي الشعوب وإدراك ما لهذا الملف من فائدة وأثر عظيم في حياة الشعوب والوصول إلى حقيقة يجب أن يدركها الجميع وهي أن العلم ينهض بالأمة ولا بد من التعليم لتصحيح مسيرة بناء الدول، ولإحداث تغيير عالمي إلى الأفضل والأجمل والأكمل كما يقول جلالة الملك، وخاصة في مرحلة مهمة يمر بها العلم في تسابق فيما يسمى اقتصاد المعرفة(١) واستثمار للطاقت البشرية وأشار جلالة الملك إلى أن العلم يعيش في عصر تسارعت خطاه، وحتى نواكب هذا التسارع وتسير دون تأخير لا بد أن نواكب تلك التحديات بأدوات المعرفة الجديدة، أو بوسائل التقنية الحديثة.

ومن ضمن التحديات الكبيرة التي تسيير بتسارع، ولا يمكن تجاهل تلك التحديات التي يواجهها قطاع التعليم، والذي يحتاج منا عدة أمور منها:

أولاً: الاعتراف بتلك التحديات.

ثانياً: بذل الجهود لتجاوز وتخطي تلك التحديات

ثالثاً وضع الحلول الناجحة لتلك العقبات والتحديات حتى نستطيع الوصول إلى نظام تعليمي حديث مواكب لتلك التحديات، ويكون هذا النظام هو الدعامة الأساسية لبناء المستقبل المزدهر المنشود.

وبهذا الخصوص أشار جلالة الملك بأهمية العمل بالتوصيات عن لجنة تنمية الموارد البشرية في العام الماضي، والتي عبرت عن الرؤية الثقافية لجلالة الملك عبد الله الثاني، لأهمية تنمية الموارد البشرية، وذلك من خلال البناء الكامل المتوازن للإنسان الأردني عن طريق تزويده بالمهارات والمعارف التي يستطيع من خلالها المشاركة الفعالة في عملية التنمية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية(٢)

وأهمية استراتيجيات التوصيات أنها تضمنت عدة قطاعات مهمة رئيسه، منها قطاع التعليم العام، ويشمل محور التعليم المبكر للأطفال، ومحور تطوير المناهج الرئيسية، ومحور تدريب المعلمين، وتطوير أساليب التدريس، ومحور إدماج التكنولوجيا في التعليم، ومحور المتابعة والتعليم لمشاريع تطوير التعليم العام، من ضمنه الطفولة المبكرة، لما لهذه المرحلة من أهمية في تنشئة جيل متدرب واعي يسير في خطى صحيحة سليمة(٣).

الاستثمار في مستقبل أبنائنا عماد نهضتنا

وقد ركز جلالته على أبناء شعبه وأنهم هم ثروة بشرية غالية، وهي أعلى ما يمتلك الأردن من الثروات، وهذه الثروة البشرية هي القدرة على التغيير البناء المنشود إن هي أخذت حقها من التعليم الحديث الوافي، وهذه نظره ثاقبة من جلالته

(١) تعريف اقتصاد المعرفة هو: استخدام التقنيات الحديثة وتوظيفها للوصول إلى حياة متطورة في جميع المجالات والأشعة، وذلك باستخدام التكنولوجيا بإطرافها المختلفة في نمو الاقتصاد وتطوير الخدمات والسلع، ينظر: أعمال ٢٠٠٢/١١٤٠٢

تعريف- الاقتصاد- المعرفي/ www.ra2ed.com

وجريدة الدستور الأردني ٢٧/٥/٢٠١٦.

(٢) محليات - توصيات- استراتيجيات

الوطنية- التنمية- الموارد- البشرية ٢٠١٦-٢٠٢٥ ١٠١١٨٤٤ Alrai.com arricle

(٣) ينظر: المرجع نفسه. ٢٠١٦/٢١٠٢٥/١٠١١٨٤٤

لان التطور في العلم والتكنولوجيا في العلم يتسارع بطريقة مذهلة لذلك لا بد من أن يتأهل الفرد ويأخذ حقه من التعليم المتطور والوافي

ويشير جلالته أنه إذا أردنا التغيير والوصول للهدف المنشود علينا أن نستثمر هذه الثروة البشرية في التعليم لأنه كما يقول جلالته: "لا استثمار يدر من العوائد كما يدر الاستثمار في التعليم (١)"

وعن قدرات الشعب الأردني وأبناء الأردن أعرب جلالته أنهم يستحقون الفرص الجيدة في التعليم لأنهم قادرين على الإبداع والنجاح والتفوق والوصول إلى أعلى وأسمى المراتب العلمية بقوة واتزان وإقدام، دون توقف على نهل العلم والمعرفة طالما هو قادر على ذلك، ولا يكتفي بجهة دون أخرى، بل هو منفتح على كل الثقافات المتاحة، يأخذ ما يناسبه ويترك ما يراه غير مناسب، ويسعى دائماً للوصول إلى الحقيقة والتميز والانجاز، والنظر إلى العلياء، وهذا كله لن يتحقق إلا بتضافر جهود الشعب والحكومة ومؤسسات الدولة الخاصة والعامة منها حتى توفر البيئة الصالحة والحاضنة لتلك الطاقات البشرية، للوصول إلى الهدف المنشود.

وتابع جلالة الملك عبد الله الحديث عن الشباب وتأهيله والتركيز على الطاقات للوصول إلى مجتمع متعلم مثقف محصن بالعلم والمعرفة، لذلك ركز جلالته على عدة نقاط كانت غاية في الأهمية بهذا الصدد.

سبيلنا لمستقبل زاهر

وهنا أكد جلالة الملك على المؤسسات التعليمية بجميع مراحلها وحثها على استثمار تلك الطاقات:

فعلينا أن تؤمن أولاً بما يتمتع به أبناء هذا الشعب وبناته من طاقات هائلة وقدرات ومواهب كبيرة متنوعة، وهذا يتطلب منها اكتشاف هذه الطاقات والقيام والسعي لتنمية تلك القدرات وصقل المواهب، وحثها وتحفيزها وإخراج كل إمكانات الشباب إلى أبعد الحدود وأقصاها عن طريق تزويدهم بأحدث الوسائل والأساليب التعليمية التي تدفع الطالب إلى الفهم والإبداع والابتكار والتحليل والتخطيط لا التلقين، أي أن الطالب يصل إلى الحقيقة عن طريق التجربة، وليس عن طريق أخذ المعلومة جاهزة دون فهم، وهذا الأسلوب هو ما يخلق جيلاً علمياً وعملياً وبيدع في الجانبين العلمي والعملية معاً دون أن يكون متلقياً ومقلداً فقط.

أن تشجع الطاقات البشرية والكفاءات على عدم الخوف والتردد من التطوير وكذلك يجب أن تسير تلك الطاقات وتتماشى مع تطوير العلوم والتحديث وأي تردد وخوف هو الآن مرفوض ولا يقبل؛ لأن ذلك من المعوقات للحركة العلمية المتطورة والتي شدد عليها جلالة الملك، وما هو مرفوض أيضاً هدر الطاقات البشرية والإمكانات لدى الشباب أو الطاقات التي يتمتع بها الشباب.

وهناك أمر في غاية الأهمية وهو أن قطاع التعليم قطاع استراتيجي ومهم لذلك لا يجوز وغير مقبول أيضاً أن تكون العملية التعليمية ومستقبل المتعلمين من أبناء وبنات الشعب الأردني عرضة لأن يزج بها في المناكفات السياسية والمصالح الضيقة، وهذا إن حصل قد يؤثر سلبياً على استمرار التطوير والإصلاح، وعلى حاضر ومستقبل الأجيال.

لقد ثبت للعالم أجمع أن التغيير بات ضرورة ملحة ولا بد منها والظروف التي يمر بها العالم تتطلب التغيير، ومن يخشى التغيير أو يخافه هو الخاسر لأن عجلة التاريخ تدور لا مجال للتأخير.

والشعب الأردني هو رائد التحديث والبناء، في الوطن العربي، وهو شعب مبادر ومقدام ورائد، يستلهم ذلك كله من حضارتنا العربية الإسلامية، وأقبل عليها ينهل من علومها بعقل متفتح ونفس راضية ويفتخر بذلك الماضي المجيد ويعتبر ما يأخذه منها مادة للبحث والنظر والتحليل

وليس مادة يكتنفها الجمود والتكرار والتقليد، ولا تبعث على الفرقة والبغضاء.

وكما جاء في بداية الورقة عن الظروف الحاصلة والمتغيرات والتطورات في العالم فلا بد من إدراك أن لكل عصر همومه ومشاكله وكذلك أدواته ووسائله، فأصبح التعليم في وقتنا الحالي ليس فقط قراءة وكتابة، بل له أدوات ووسائل أخرى وهو عصر الانترنت والكمبيوتر، بل تجاوز ذلك وتطلب من المتعلمين إتقان لغات عالمية أساسية حتى يستطيع أن يتواصل مع الآخرين، ويستطيع أن يمتلك القدرة على التحليل والتفكير ليستطيع المساهمة في إنتاج وبناء المعرفة والمساهمة الفاعلة في

(١) عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية ص ٦٩.

التقدم وهذا ليس بعيداً عن حضارتنا وأسلوب الحضارة العربية الإسلامية في الحصول على المعرفة وهذه تعاليم ديننا الحنيف، وقد حثنا رب العزة على ذلك في قوله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (١).

ورغم التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية لنستطيع التواصل مع العالم ومعرفة علوم الأمم الأخرى، ولكن لا بد من إجادة اللغة العربية بل والاعتزاز بها فهي لغة القرآن الكريم، ولا بد من إتقانها حتى نستطيع أن ننهل من العلوم التي وضعها من أجاد اللغة العربية وتفوق بها، واللغة العربية بالنسبة للمتعلمين تشكل ثقافتهم وتكوين بنائهم المعرفي الأصيل.

رؤيتنا للأردن منارة العلم والمعرفة

وقد أعرب جلالته عن تأملاته وتطلعاته لأردن قوي، يدعم ويساعد أبناءه ويقدم لهم التعليم المناسب ليستطيعوا من خلاله مواجهة تحديات الحياة وليصلوا إلى بناء مجتمع قوي متماسك وذلك بتعلم أعمال وحرف قيمة تساعدهم على ذلك، وهذا على الصعيد الداخلي.

ومن أهداف وتطلعات جلالته الوصول بالأردن إلى درجة عالية ومكانة في مصاف الدول التي سبقت الأردن، ووصلت إلى درجة عالية ومتقدمة بفضل المثابرة والاجتهاد.

بوابة الأردن نحو المستقبل المنشود تكون ببناء القدرات البشرية عن طريق التعليم المتميز وتجويد مخرجاته، مما له أكبر الأثر بخلق مجتمع متصالح متسامح، بعيداً عن الغلو والتعصب، وأن أي إصلاح يطرأ على المجتمع يكون مرتبطاً بالنهضة العلمية مهما كانت الظروف والتحديات، أي أن أي تطور إيجابي لصالح المجتمع يكون أساسه التعليم، وقد ابدا جلالته الملك بعض طموحاته في تحديث التعليم في الأردن ومنها:

أن يكون الأردن هو قائد مسيرة تحديث التعليم.

أن يتأسس الأردن بتجربته العلمية جميع الدول العربية، وأن يكون هو قائد مسيرة تحديث التعليم، وأن يكون رائد التحول في مجتمع المعرفة يستطيع مواجهه التحديات الحاصلة، ولا يتم ذلك إلا بتوحيد الجهود وتبادل الخبرات.

وقد أعرب جلالته عن أمله ورغبته وتطلعه أن تكون المدارس والمعاهد والجامعات الأردنية هي مصنع العقول المفكرة والخلاقة، والأيدي العاملة الماهرة، وتقجير المواهب والطاقات، ويريد جلالته الملك أن تكون المدارس عبارة عن مختبرات تكشف من خلالها ميول ورغبات ومواهب الطلبة ونمى تلك الميول والرغبات للاستفادة من تلك القدرات بالطبع لصالح الفرد والمجتمع للنهوض بالعملية التعليمية الشاملة.

أن يتخرج من المؤسسة العلمية وهو قادر على استقبال الحياة ومواجهة كل التحديات الحاصلة والتي قد يواجهها الطالب عند خروجه لمواجهة الحياة.

أن تخرج المدارس والجامعات طلبة يعرفون كيف يتعلمون وكيف يفكرون ويغتتمون الفرص ويستطيعون مواجهه ما قد يتعرضون له من مشاكل وعقبات وأن يشارك هذا المتعلم وان يكون عضواً فعالاً في رسم الوجه المشرق لأردن الغد والارتقاء بالأردن لأفضل وأجمل صورة.

كل ذلك لا يكون إلا بإتباع المنهج العلمي الصحيح والحديث المواكب للتحديات الحاصلة التي تستطيع توسيع مدارك الطلبة وتحفزهم على العلم والمعرفة والبحث والتمحيص والتمييز بين العلم النافع والعلم الذي لا يخدم مجتمعنا بشيء.

وكذلك تقوي الاعتزاز بالنفس وتعطيهم الثقة والإقدام وعدم الخوف في التغيير البناء حتى يوصلهم هذا الإبداع إلى العالمية

على مؤسساتنا العلمية أن ترسخ في الطلبة الاعتزاز بهويتنا الإسلامية العربية والتراث المجيد الذي استمد من الأباء والأجداد.

وهناك موضوع غاية بالأهمية أيضاً إضافة إلى المتعلم والمؤسسة العلمية وهو المنهاج الذي يتلقاه الطالب في المؤسسة العلمية، فكل التطلعات المنشودة لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود مناهج دراسية تساعد على عمق التفكير والإبداع، وتحفز الطلبة للعلم والمعرفة، وتكون قادرة على تشجيع الطلبة على طرح الأسئلة، وموازنة الآراء، وثقافة الحوار، وعدم التعصب لرأي دون آخر أي أن يعرف الطالب آداب الاختلاف.

تخلق في الطالب وتنمي ملكة النظر والتدبر والتحليل، أي أن نصقل العقول ونوجههم لما فيه خيرهم وخير بلدهم.

(١) سورة طه الآية (١١٤)

هنالك عنصر آخر أو طرف أو قطب آخر في إنجاح العملية التعليمية مهم جدا وهو المعلم لأنه هو العقل المحرك للعملية التعليمية فإذا لم يحسن التصرف، وتوصيل المعلومة باقتدار وتصرف سليم وبأسلوب علمي صحيح ستكون النتائج خطيرة على منظومة التعليم بشكل عام، فعلى المعلم أن يمتلك القدرة والمهارة على إيصال المعلومة السليمة إلى الطالب لأن المعلم هو القدوة للمتعلم وهو من يدير العملية التعليمية، وهو في موقع حساس بالنسبة للطالب والعملية التعليمية، وإليه يرجع مناط إعداد أجيال الغد القادرين على رفع البلد إلى مصاف الدول المتطورة والمتقدمة بفضل العلم الصحيح الخلاق الذي يعتمد على أسس علمية صحيحة، وليس على خزعات وأقويل لا تسمن ولا تغني من جوع.

أن يكون المعلم الواعي من يزرع في عقول الطلبة حب الوطن والبعد عن الكره والبغضاء والفكر المتطرف الذي لا يأتي على الفرد والمجتمع إلا بالويلات والمصائب، فعلى المعلم أن يقوم بهذه المهمة لأن الطالب قد يتأثر في رأي المعلم ويعمل به أكثر من تأثيره برأي أسرته، فإذا وصفنا المدرسة كما وصفها جلالة الملك بمعمل العقول فإن المعلم أو المدرس هو من يستطيع أن يضع المعلومة الصحيحة البعيدة عن مآرب شخصية في عقول الطلاب وتخرج النتيجة لصالح الفرد والمجتمع مرضية ومنتجة ومفيدة وصالحة.

وفي نهاية الورقة أعرب جلالته عن سعادته بهذا النقاش حول تنمية الموارد البشرية، والذي يمس مستقبل الأمة ووعده جلالته لما لهذا الموضوع من أهمية في خروج الأردن بصوره مشرقة وعد بدعم هذا دعماً كبيراً، ولكن على جميع أفراد المجتمع من مؤسسات ومعلمين وطلبة وأهالي التكايف، وأن يكونوا يداً واحدة للوصول إلى الهدف المنشود دون تردد أو تأخير لأن ذلك ليس لصالح أبنائنا.

طرح جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين معظم عددا من الأوراق النقاشية لتطوير الحياة في المجتمع الأردني في المجالات المتعددة: السياسية والاقتصادية الاجتماعية، وقد توج جلالته هذه الأوراق بالورقة السابعة بعنوان: بناء قدراتنا البشرية وتطوير العملية التعليمية جوهر نهضة الأمة، وإذا انعمنا النظر بهذه الورقة ندرك أنها على جانب كبير من الأهمية لأنها اهتمت بالعملية التعليمية لجميع أطرافها من الحضارة حتى التعليم الجامعي، فاهتمت بالمتعلم والمعلم والمنهاج الدراسي والبيئة التعليمية بشكل شمولي لما لذلك من أثر بالغ في تكوين الفرد من الطفولة حتى خروجه إلى العمل والتعامل مع المجتمع الخارجي، بحيث يكون محصننا بالعلم الصحيح والإدراك الواعي لما يحيط به، وتكون التأثير السلبي عليه ضعيفاً، حتى نصل إلى مجتمع متطور ويخلو من الانغلاق والعنف والإرهاب.

وترتبط الورقة السابعة بما سبقها من أوراق ارتباطاً وثيقاً إذ لا مجال لأي تقدم أو صلاح سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي إلا إذا وجد تعليم قوي متطور قادر على مواكبة نهضة العالم العلمية والتكنولوجية، وهذا ما أكد عليه جلالة الملك مع عدم إغفال الأخذ بتراث حضارتنا العربية الإسلامية الأصيلة، والتي هي أساس نهضة العرب وأمم أخرى غيرهم، فقد حث ديننا الحنيف على العلم والتعلم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

بعض التحليلات للورقة السابعة

أثارت الورقة النقاشية السابعة العديد من الآراء والاهتمام من قبل الخبراء والكتاب لدراسة الورقة وتحليل محتواها نظراً لأهمية تلك الورقة لما احتوته من أفكار مثمرة بناءة تعود بالفائدة على المجتمع الأردني بكافة فئاته، حيث أشار بعض الخبراء والمختصين الأكاديميين، على أن ما جاء في هذه الورقة النقاشية يُعدّ بمثابة خطة شاملة متكاملة لتحسين وتطوير التعليم ومناهجه ومخرجاته، بما يتلاءم ويتوافق مع متطلبات العصر وحاجات المجتمع المحلي.

هذا وقد تصدى العديد من الكتاب والخبراء لتحليل هذه الورقة ودراسة ما جاء فيها من بنود وفي الآتي سوف أبين بعض الآراء لهؤلاء الخبراء.

الدكتور: مفلح الزيدانين(١) جاء في إثناء حديثه عن الورقة النقاشية السابعة، أنها جاءت بعد دراسة البيئة المحلية والخارجية، وهذا هو المحور الأساسي في بناء الخطة الاستراتيجية وهذا يساعد على تحول نقاط الضعف إلى نقاط قوة، وتجعل من التحديات الحاصلة فرصاً حقيقية.

لذلك أكد جلالة الملك على محور وزارة التربية والتعليم وهو محور مهم وأساس من محاور استراتيجيات التخصصية والقائدة، ومحور التعليم هو أساس بناء القدرات البشرية، وتطوير العملية التعليمية.

(١) تم نشره يوم الثلاثاء ١٨ نيسان/ أبريل ٢٠١٧م ٩٥٢٢٨٨ <http://www.addustour.com/articles/952288>

كما أشار د. مفلح إلى أن الورقة النقاشية السابعة جاءت في الوقت المناسب في ظل الحوار والنقاش الدائر حول تطوير التعليم، وجاءت لتكون الركيزة الأساسية لعملية التعليم وتطويرها بعيداً عن من يريد محاربة التغيير بحجة المحافظة على الإرث التاريخي، ومحاربة كل ما هو جديد.

وأشار د. مفلح أن جلالة الملك يسعى إلى إشراك المواطن في صياغة القرار الاستراتيجي في المؤسسة التعليمية، وكذلك في جميع المؤسسات من أجل ذلك أكد جلالة الملك على بناء القدرات البشرية، وقد ركزت الورقة النقاشية السابعة على الشباب وهم عماد النهضة العلمية المبنية على العلم والمعرفة، وتشكل هذه الورقة خارطة الطريق للوصول إلى الأهداف المنشودة

الأستاذة كوثر صوالحة(١) عند تحليل الباحثة كوثر صوالحة للورقة النقاشية ذكرت أن تركيز الورقة على التعليم هو دليل واضح لنظرة جلالته لمستقبل الأجيال القادمة، وأن هذه الورقة تدعو إلى البناء والعمل وأنها تجاوزت كافة الدساتير العلمية والخبرات التربوية، وهي واضحة المعالم، واضحة النقاط التصورات.

وتقول الباحثة أن جلالة الملك ومن خلال الورقة السابعة سهل الطريق للخبراء والمختصين في الشؤون التربوية إلى نقاش موسع، وإلى وضع آليات للتطبيق دون التوقف أمام محاور من الواضح أنها تشكل عقبات أمام مسيرة التقدم.

كما أشارت الباحثة إلى تركيز جلالته أن من حق كل أردني أن يتعلم ويبدع، وإن جلالته ركز على أهمية التعليم، وما يساعد على رفع العملية التعليمية، وهي التركيز على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والتركيز على الحضارة العربية الإسلامية.

نايف القاضي(٢) أشار في حديثه حول الورقة النقاشية السابعة إلى أن هذه الورقة جاءت في الوقت الذي يمر به العالم العربي في المشرق والمغرب بظروف وتطورات بالغة الخطورة، بما فيها من صراعات وحروب، حتى بات العالم ينظر إلينا على أننا أمة يهددها الإرهاب المتطرف والعنف البشع، وأضاف القاضي أن هزيمة الإرهاب لن تكون إلا بمواجهته بالفكر المضاد الذي يعمل ويتسلح بأدوات العصر، ويرتكز على الثوابت التاريخية والعقيدة الراسخة في وجدان وأعمق الأجيال، وأن تلك الحضارة والعقيدة هي التي مهدت وأسست لحضارات أمم أخرى وزادتها علماً وثقافة لم يسبق أن شهد التاريخ مثلها.

ونوه القاضي إلى أن جلالة الملك كشف في هذه الورقة عن رؤيته الثاقبة لمستقبل التعليم الزاهر في الأردن، على أساس أن التعليم هو رمز حضارتنا وازدهارها ورفقها بين الدول فكراً وعلماً وعملاً، فالأجيال القادمة هي ثروة الأردن الحقيقية، والتي ستكون على قدر حمل المسؤولية ومواجهة التحديات، وصنع التغيير، إن هي نالت حقها من التعليم السليم.

الدكتور: محمد حمدان(٣) ذكر إن محاور الورقة النقاشية السابعة واضحة وأنها تدعو وتبشر أن هنالك حوار حول تطوير التعليم والعملية التعليمية، وهذا الأسلوب هو سنة عودنا عليها جلالة الملك، فهو يرغب دائماً بإقامة الحوار والاستماع إلى الآخرين، وقد نوه د. محمد حمدان إلى عدة نقاط ومحاور رئيسية في الورقة منها: ان الموارد البشرية تعد هي الثروة الأعلى للأردن، كذلك إعداد المواطن الذي يستطيع أن يواجه التحديات الحاصلة بأدوات المعرفة الجديدة بالتركيز على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتعلم اللغات، وكذلك من حق كل أردني أن يُعطى فرصة للإبداع، وأن يكون الأردن قائداً لمسيرة التحديث في وطننا العربي.

وقد أوصى الدكتور محمد حمدان الاستفادة من مضامين الورقة السابعة وتوحيد الجهود على المستويين العربي والعالمي والسعي والانطلاق نحو تطوير المناهج بالاستفادة من تجارب عالمية والاستعانة بخبراء عرب وأجانب في موضوع تطوير المناهج.

الدكتور ذوقان عبيدات(٤)

(١) تم نشره يوم الثلاثاء ١٧ نيسان/ ابريل ٢٠١٧م <http://www.addustour.com/articles/٦٥٢٢٨٨>

(٢) جريدة الرأي الأردنية، الأورق النقاشية الملكية، الورقة السابعة، تاريخ النشر: ٢٠١٧/٤/٣٠ على موقع: <http://alrai.com/article/١٠٢٨٨٦١>

(٣) مركز الرأي للدراسات http://www.alraicenter.comew_Articleclear.aspx?type=٢&ID=١٩٠٠ بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢م.

(٤) مركز الرأي للدراسات http://www.alraicenter.comew_Articleclear.aspx?type=٢&ID=١٩٠٠ بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢م.

عند حديث د. عبيدات عن الورقة النقاشية السابعة قال: إن ورقة الملك السابعة في طريقها إلى التطبيق لأسباب:

وجود شعور وإحساس عام لدى المجتمع أنه بات من الضروري تطوير التعليم رغم وجود فئة معينة قائمة على العملية التربوية غير مقتنعة بضرورة التغيير، ويشير د. عبيدات أن نتائج الطلاب في الاختبارات وطرق تفكيرهم يدل على وجود خلل ما، إضافة إلى وجود خلل في أداء المعلمين ومحتوى الكتب التعليمية أي المنهاج.

كذلك وجود بعض القيادات التربوية مؤمنة بضرورة التغيير.

وأضاف د. عبيدات نقطة مهمة للغاية أن ثالث الأسباب يتمثل في انحسار التنظيمات التي تدعم التطرف والإرهاب نتيجة الخسائر العسكرية التي لحقت بالإرهابيين، وهذا مما يساعد على تحرير الدولة من بعض المخاوف التي كانت تحسب لها حساباً، وهذا يعني أنه جاء الوقت لمواجهة الفكر المتطرف، أو لم يعد لتلك الجماعات خطر داهم، ويشير الدكتور هنا أن مواجهة الفكر المتطرف يتطلب إعداد الطلاب والمعلمين لمواجهة ذلك، حيث يحتاج إلى طلاب يفكرون نقدياً، ومعلمين منفتحين على التفكير النقدي، وهنا يصف د. عبيدات الأمر بالصعب جداً.

وأكد عبيدات على أهمية وجود خبرات محلية تستطيع تنفيذ ما جاء بالورقة السابعة من أبعاد فنية وتربوية، وأكد أن المطلوب من وزارة التربية هو مدها للمجتمع.

الأستاذ مصطفى الراوشدة(١) عند تحليله للورقة النقاشية السابعة يقول الأستاذ مصطفى الراوشدة: إن أي أمة ليس لها إرث تاريخي وحضاري، لا يمكن أن تبني حضراً أو مستقبلاً مشرقاً، وأنا جزء من أمة لها إرث تاريخي وحضاري، وهذا يؤهلنا لأن نبني مستقبلاً مشرقاً كما يريد لنا جلالة الملك عبد الله الثاني، كذلك أضاف الأستاذ الراوشدة أن الورقة السابعة جاءت استكمالاً لأوراق نقاشية سابقة ركزت على الموضوع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ثم جاءت هذه الورقة والتي ركزت على التعليم.

الدكتور أحمد الشناق(٢): وتحت عنوان النظرية والتطبيق طالب د. أحمد الشناق بتطبيق الورقة النقاشية للملك فيقول: إن الفلسفة التي تسود العالم وتقوده اليوم هي فلسفة النقاش والدولة الحديثة هي القادرة على التواصل مع المجتمع، وأضاف إن أكبر تحدٍ يواجه هذه الورقة هو كيف يمكن التوفيق بين النظرية والتطبيق، وقد أشاد د. الشناق بالكفاءات الأردنية، وأشار إلى أن أهمية هذه الورقة أنها تحدثت عن عقل الدولة أي " التربية والتعليم" والتي مهمتها الرئيسية هي إنتاج الإنسان الأردني وتوجهه إلى طريقين: إما إلى سوق العمل، وذلك لممارسة مهنة معينة، وأما إلى الجامعة لمواصلة التعليم، وذكر الشناق أن ميزة هذه الورقة أنها زاوجت بين الأصالة والمعاصرة، ويقول أيضاً أنه لا سبيل للوصول إلى عالم المعرفة العالمية إلا بطرق أبواب العالمية، ونوه أيضاً إلى أن ما وصلت إليه الحضارة الأوروبية الغربية عن طريق العلم التجريبي كان نتاج ما وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية فالإسلام حضارة وتقدم، وفي نهاية قوله تمنى الشناق على الاتجاهات الإسلامية الموقرة إعادة النظر والتحليل في الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٣) مطالباً في تشكيل لجنة متخصصة لبناء الإنسان الأردني وتقبله للحوار مع الآخرين لأننا أمة الحوار، ويقول الشناق عن الورقة السابعة أنها أتت بمرحلة عصبية على الأمة العربية، ومرحلة تتطلب من الأردنيين عدم العودة للوراء، ومرحلة لا تحتل الانتظار طويلاً لأن القطار يسير سريعاً، ولا ينتظر المنتظرين على أبواب المحطات، وقد نوه إلى دور وزارة التنمية السياسية في تطبيق هذه الورقة وعليها أن تقيم حواراً مع الأحزاب مشيراً إلى أن التحدي الأكبر ليس الوصول إلى العالمية بل هو تجاوز النظرية نحو التطبيق في مواجهة التحديات.

الدكتور مصطفى العساف(٤): أشاد بالورقة وقال: إن كل محور من محاورها يحتاج إلى النقاش بصوت عالٍ ومحاورها مهمة وعديدة وتثري النقاش، وأن هذه الورقة جاءت في لحظة تاريخية فارقة تمر بها الأمة العربية والأردن خصوصاً.

ويقول العساف إن الورقة تضمنت آية ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١) وهذا الاستشهاد يدعونا إلى أن نبقي مرتبطين بمناهجنا وتفكيرنا وعقولنا بالقرآن الكريم وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

(١) مركز الرأي للدراسات http://www.alraicenter.comew_Article.asp?type=٢&ID=١٩٠٠

بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢م.

(٢) مركز الرأي للدراسات المرجع نفسه

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣

(٤) مركز الرأي للدراسات http://www.alraicenter.comew_Article.asp?type=٢&ID=١٩٠٠

بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢م.

ويرى العساف أن الورقة النقاشية أعطت الدراسات الإنسانية قيمة مهمة، ودعا إلى أن تكون لهذه الدراسات الإنسانية المكانة المرموقة في المنظومة التعليمية.

الدكتور إبراهيم العوران(٢): تحت عنوان صناعة القيادات تحدث الدكتور إبراهيم العوران عن الورقة النقاشية السابعة أنها الورقة المركزية للأوراق السبع جميعاً، وأنها رؤية ورسالة، فجلالة الملك يؤكد على الإبداع والمعرفة في الرسالة، وذلك وفق تبني مجتمع أردني مثاق في ظل التحديات الحاصلة في العالم، كما أكد العوران أن الأردن بحاجة إلى صناعة قيادات تكون بحجم المرحلة.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، وبعد تحليل ما جاء في الورقة النقاشية السابعة لجلالة الملك عبد الله الثاني، نجد أنها في غاية الأهمية بما احتوته من محاور ونقاط تخص العملية التعليمية بجميع أطرافها، ولو طبقت بشكل صحيح لخرجنا بمجتمع قوي متماسك مسلح بالعلم الصحيح والمتطور والمواكب للتكنولوجيا المتسارعة والتي لا تنتظر من يتخلف عنها، أو من كان متردداً أو ضد التغيير والتطور، فالصواب أن ننطلق من ثوابت حضارتنا للتقدم والرفي متجاوزين المرحلة الصعبة التي تمر بها الدول العربية، وان نكون رواد العلم والمعرفة والتطوير في العالم العربي والاستفادة من كل ما هو جديد ومفيد بحيث يعود على مجتمعنا بالخير والصلاح.

وخلصت من هذا البحث إلى إبراز بعض النقاط كنتائج أولية قد يمكن الاستفادة منها أو البناء عليها:

توظيف أدوات المعرفة الحديثة والمتطورة حتى تستطيع مواكبة تحديات العصر.

قطاع التعليم يواجه تحديات كبيرة يجب عدم إغفالها والاعتراف بها ووضع حلول لها.

على المؤسسات التعليمية أن ترعى وتتبنى الطاقات والقدرات والمواهب التي يتمتع بها أبناء وبنات هذا الشعب.

إبعاد الخلافات السياسية والمصالح الضيقة عن مستقبل أبناء الأمة العلمية والتعليمية.

أن تكون المؤسسات التعليمية عبارة عن مصنع لعقول الشباب المفكرة ومدرية للأيدي العاملة الماهرة.

تضافر جميع فئات المجتمع بتطوير العملية التربوية دون استثناء.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

عبد الله الثاني ابن الحسين، الأوراق النقاشية لصاحب الجلالة الهاشمية (من الأولى إلى السابعة) ط٣، ٢٠١٢-٢٠١٧م، ص١٣.

عودة، أحمد عيسى محمد، الأردن من الألف إلى الياء، عمان الأردن، ٢٠٠٢م

محافظة، علي، وآخرون، التربية الوطنية، دار جرير للنشر، عمان، ط٢ ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

مشاقبة، أمين، وعواد مهنا، النظام السياسي الأردني، عمان، ٢٠١٧م، ط١٣

الموقع الرسمي لجلالة الملك عبد الله بن الحسين، <https://kingabdnillah.jo/ar/page>، ومحافظة، علي، وآخرون، التربية الوطنية، دار جرير للنشر، عمان، ط٢ ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

(١) سورة طه الآية ١١٤

(٢) مركز الرأي للدراسات <http://www.alraicenter.com/Article.aspx?type=٢&ID=١٩٠٠>

بتاريخ ٢٠١٧/٢/٢٠.

محلّيات – توصيات- استراتيجيات الوطنية- التنمية- الموارد- البشرية ٢٠١٦-٢٠٢٥ ٢١٠٢٥٤٤ ١٠١١٨٤٤ Alrai.com article

أعمال ٤٠٢ LL / تعريف- الاقتصاد- المعرفي/ www.ra2ed.com

جريدة الرأي الأردنية، الأوراق النقاشية الملكية، الورقة السابعة، تاريخ النشر: ٣٠/٤/٢٠١٧ على موقع:

<http://alrai.com/article/١٠٣٨٨٦١١>

نحو- بناء- ديمقراطي-ومواطنة-فاعلة/ ar/vision discussion-papars/ https://kingabdnlah.jo/

تطور نظامنا الديمقراطي لخدمة جميع الاردنيين/ ar/ vision discussion-papars/ https://kingabdnlah.jo/

المبادرات- الملكية/ page/ https://kingabdnlah.jo/ ar/

مركز الرأي للدراسات ID=١٩٠٠ &type=٢ http://www.alraicenter.comew_Articlear.aspx?

<http://www.addustour.com/articles/٩٥٢٢٨٨>

public Arabic.uspx?site-ID٢^page-١٠=٥٤ /perra.giv.jo

www.aljazeera.net/news/arabic/٢٠١٧/٣/٢٩/

https://rhc.jo/ar/hm-king-abdullah-ii

الفهرس

التطرف الديني من وجهة نظر الشباب الجامعي الجزائري

دراسة ميدانية بجامعة حمه لخضر

المحور الثاني : التطرف، أسبابه، ، العوامل المؤدية إلى التطرف

غنايم شهرزاد د. بداوي عبد القادر

باحثة سنة أولى دكتوراه علوم علم الاجتماع، تخصص أستاذ مساعد (أ)، علم الاجتماع اتصال جامعة الأغواط -
المنظمات والمناجمنت (مدرسة الدكتوراه) الجزائر
جامعة حمه لخضر - الوادي - الجزائر nadarahman6@gmail.com
chahrazedghe@gmail.com
ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء عن موضوع التطرف الديني من منظور الشباب الجامعي الجزائري كونهم الفئة الاجتماعية الأقرب لهذه الظاهرة والأكثر تأثراً بها.

وقد اعتمد الباحثون على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل نتائج الدراسة الميدانية التي اتخذت من شباب جامعة ولاية الوادي بالجزائر مجتمعنا أصلياً للدراسة، وذلك من خلال أخذ عينة عرضية قوامها ٣٩ فرداً، مسّت أغلب التخصصات العلمية بهذه الجامعة.

ولجمع البيانات تمّ استخدام الاستبانة كأداة بحث وحساب النسب المئوية بواسطة نظام spss للحصول على جداول تكرارية ومتقاطعة.

وكانت أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة كالتالي:

أنّ معظم أفراد المبحوثين يؤكّدون أنّ مشكلة التطرف والإرهاب ليست نابعة من الدين وأنّ الشباب الجامعي الجزائري، في أغلبه، يهتمّ بقضايا أمته بالرغم من أنّ هناك فئة قليلة لا تولي لمثل هذه الأمور أهميّة

كما وجدت الدراسة أنّ هناك وعياً لدى هذه الفئة ومعرفة بخلفيات وأساليب الدعاية التي تنتهجها الجماعات المتطرفة لكسب ولاء الشباب والتأثير عليهم.

لنوصي، في الأخير، بالاهتمام برأي هذه الفئة الاجتماعية بحيث يجب أن تولي لها عناية الدراسات الأمنية والاجتماعية وحتىّ الدينية لتقاطع ظاهرة التطرف الديني مع قضايا الإرهاب والعنف الاجتماعي، وتكثيف الدراسات الميدانية لاستطلاع رأي الشباب ومعرفة اتجاهاته وتطوّرها، قبل وفوات الأوان.

الكلمات المفتاحية : التطرف، التطرف الديني، الشباب الجامعي.

:ABSTRACT

This study aimed to shed light on the subject of religious extremism from Algerian young university graduates perspective. The later are considered the Social category which is the closest to this phenomenon and the most affected by it . The researchers adopted the descriptive analytical method to analyze the field study which took the students of El-Oued university ; City in South Algeria; as original community of this study, that is through a sample consist of ٣٩ individual and the study included most of specialties in the university.

To collect data we used the resolution as a means to research, The calculation of percentages by "spss" system to get alterative and intersecting tables .

The most important results which reached by this study are:

-Most respondents individual confirm that the problem of extremism and terrorism is not derived from religious and most Algerian students care about their nation's issues , on the other hand , there is small category who do not pay any importance for things like this .

- The study also find that there is awareness of this category .

- At the end, the study reached that we have to take care of the opinion of this social category in which we should take care of the security studies, social and even religious about them in order to boycott extremism phenomenon withterrorism and social violence issues and intensify field studies to reconnaissance the opinion of the youth and to know their trends and its evolution before it's too late .

I الجانب النظري:

الإشكالية:

تعدّ ظاهرة التّطرّف من أكثر القضايا التي تشغل بال المجتمعات وسياسات الدّول وتورقها، سواء النّامية أو المتقدّمة لكونها تشكّل الدّافع الفكري للإرهاب الذي أصبح مشكلة العصر؛ لأنّه أصبح يأخذ اتّجاها تصاعديا وشموليا وانتقل كشأن محلي إلى شأن دولي لكونها ظاهرة لا تعرف دينا ولا وطنا ولا هوية وقد بات خطرا يهدّد كيان الدّول بلا استثناء، وتقويض حياة الإنسان وحياة الأجيال القادمة.

"ولعلّ التّغيّرات الحادّة والعميقة التي تمرّ بها المجتمعات العالمية المعاصرة، والعربية الإسلامية خاصّة والتي أفرزتها التّغيّرات العالمية من ناحية والصراعات العربية العربية من ناحية أخرى، أصبحت تموج بظاهرة لها مخاطرها على بنية المجتمعات العربية وتوجّهاتها ألا وهي ظاهرة التّطرّف الديني"^١؛ الذي يعتبر من الطّواهر الدينيّة الخطيرة، ومن بين أكثر التّحدّيات التي تواجه السّاحة العربية الإسلامية وتهدّد كيانها الداخلي والخارجي وتمنعها من مواكبة الرّكب الحضاري.

وقد عاشت بعض الدّول العربية نكسات هذه الظّاهرة منذ بداية الخمسينيات، مثل ما حصل في مصر، وكذا في الجزائر، في التّسعينيات حيث عاشت عشرية دموية حصدت الأخضر واليابس. وإنّ الشّيء الذي زاد من خطورة هذه الظّاهرة بشكل ملفت للنّظر، أنّ غالبية من يقعون في برائتها هم فئة الشّباب والجامعي منهم خاصّة، "وهم الذين يعدّون الدّعامة التي تعتمد عليها المجتمعات والأمم والدّافع لنموّها وتطوّرها، بالإضافة إلى أنّها تشكّل الأساس الذي يبني عليه التّقدّم في كافّة المجالات، فضلا على أنّهم أكثر شرائح المجتمع حيوية وقدرة ونشاطا وإصرار على العمل والعطاء، ولديه الأساس الجيّد والرّغبة الأكيدة في التّغيير مما يجعله يهتم بسبل علاج المشكلات ولتحقيق ذلك يعتمد على ما لديه من قدرات إبداعية وابتكاريه فضلا عن نظرتة المستقبلية وتطلّعه إلى كلّ ما يريد."^٢

ولهذا سعت دراستنا إلى معرفة ظاهرة التّطرّف الديني والوقوف على بعض أسبابها، وما إذا كان نتيجة لعوامل نفسية أو عوامل أخرى لدى الشّباب، وما هي أسباب التّطرّف الديني من منظور الشّباب الجامعي الجزائري؟

الكلمات المفتاحية: التّطرّف، التّطرّف الديني، الشّباب الجامعي.

١ تساؤلات الدراسة:

١,١ ما هي آراء الشّباب الجامعي حول أسباب التّطرّف الديني؟

٢,١ هل يرى الشّباب أنّ ظاهرة الإرهاب لها ارتباط بالتّطرّف الديني فقط؟

٣,١ ما هي مظاهر التّطرّف الديني من منظور الشّباب الجامعي الجزائري؟

١- شريف رزق العملي: ظاهرة الغلو في الدين لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، أسبابها وعلاجها في ضوء معايير التربية الإسلامية، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في أصول التربية بكلية التربية في الجامعات الإسلامية، بغزة، ٢٠١٠م.

ص ٠٢.

٢- إبراهيم أحمد حسني: متطلبات تفعيل دور الريادة الطلّابية في مواجهة ظاهرة التّطرّف لدى بعض طلاب الجامعة. دراسة مطبقة على بعض كليات القيوم، مجلة كلية الخدمة الاجتماعيّة، جامعة الحلوان، ص ٤٥٣.

٢ أهداف الدراسة:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى معرفة أسباب التَّطَرَّف الديني خاصة من رؤية الشَّبَاب الجامعي الجزائري، ومحاولة الاستفادة من نتائجها لإثراء البحوث الأكاديمية في هذا الموضوع الذي يعتبر موضوعاً شائكاً ومعقداً، والإجابة عن تساؤلات الإشكالية.

٣ أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع بالأساس، لأنه موضوع يمسّ كل المجتمعات بلا استثناء، سيما المجتمعات العربية والإسلامية التي أصبحت تعاني من تبعات التَّطَرَّف بكل أشكاله.

تحديد مفاهيم الدراسة:

٤, ١ التَّطَرَّف لغة:

فعل "تَطَرَّف" يتطَرَّف، تطَرُّفاً، أي "أتى الطَّرْف" أي منتهى الشيء، تطَرَّف في إصدار أحكامه، أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط، والتَّطَرَّف، هو المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطير ومدمر للفرد والجماعة " تبذل بعض الدول جهوداً مضنية للقضاء على التطرف ١.

٤, ٢ التَّطَرَّف:

التطرف مصطلح يضاد مصطلح "الوسطية" الذي هو من الوسط "الواقع بين الطرفين". كما يقول "الأصفهاني" في مفردات غريب القرآن، وهو يحمل في طياته معنى "العدل" وفي القرآن الكريم ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ سورة البقرة، الآية ١٤٣، أي أمة عدل.

وإذا كان "التطرف" يعني "التشدد وتجاوز الحد" فإن مصطلح "الوسطية" يدل على "العدل" و"السماحة" ٢.

ويشير "حسين الجبالي" (١٩٩٠) إلى التطرف "على أنه يكون بالمسايرة المفرطة دينياً أو سياسياً أو شعوراً بالعداوة، وأيضا المضادة والمغايرة عن المؤلف" ٣.

يعرفه "علي ليلة" أيضا على أنه "حالة من التعصب للرأي لا يعترف معها المتطرف بوجود الآخرين وجموده على فكرة جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الآخرين، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم والأخذ بما يعد ذلك أنصح برهاناً وأرجح ميزاناً" ٤.

كما تعرفه "إيلي عبد الستار" (١٩٩٢) "أن التطرف ليس مجاوزة حد الاعتدال أو الخروج عن المؤلف وإنما هو مرتبط بالجمود العقلي (الذوجماتية) والانغلاق الفكري، وهذا هو في الواقع هو جوهر الاتجاه العام الذي تتمحور حوله كل الجماعات المسماة المتطرفة إذ أن التطرف بهذا المعنى هو أسلوب مغلق للتفكير الذي يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات أو آراء تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة" ٥.

والشيء الذي يجدر بنا الإشارة إليه أنه في كتب القدماء لم يتم إيجاد المعنى المقصود اليوم من كلمة التطرف، ولكن هناك ألفاظ أخرى ذات المعنى وهي كلمة الغلو وهي الكلمة التي وردت في القرآن الكريم.

ويعرف "الحافظ ابن حجر" الغلو بأنه "المبالغة في الشيء والتشديد فيه يتجاوز الح" ٦

ونسبة الغلو إلى الدين بقوله (الغلو الديني) أو (التطرف الديني) تجوز في العبارة إذ الغلو إنما هو أسلوب التدين لا الدين نفسه، ولذلك جاءت الآية الكريمة ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]

١- عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١م، ١ط، دار العالم للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٣٩٦.

٢- الرواشدة علاء زهير: التطرف الإيديولوجي من وجهة نظر الشباب الأردني. دراسة سوسولوجية للمظاهر والعوامل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٣١، العدد (٦١٣) ٨١-١٢٢، سبتمبر ٢٠١٥، الرياض، ص ٨٨.

٣- الحجيمان محمد بن عبد الله: دراسة إرشادية علاجية لتعديل السلوك المتطرف لدى الشباب ص ١٨٩.

٤- إبراهيم أحمد حسني: مرجع سابق، ص ٤٦١.

٥- الريمي يوسف أحمد: التطرف بين طلاب الجامعة والعوامل وسبل المواجهة- دراسة نظرية- مجلة كلية الآداب، بغنا، جامعة جنوب الوادي، العدد ٢٥، ٢٠٠٨، ص ٢٣٣.

٦- دواية محمد محمود محمد: الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة. مذكرة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التربية قسم علم النفس، جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، ٢٠١٢، ص ٢٦.

وقال صلى الله عليه وسلم: " إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " ١

والتطوع: هو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة ٢.

ومما سبق يعرف الباحثان التطرف بأنه "اتخاذ الفرد أو الجماعة مواقف المبتعدة عن الوسطية في المواقف الدينية والاجتماعية والسياسية، تترجم في شكل سلوك قد تستخدم فيه وسائل حتى العنيفة، مما يترتب عنه نتائج سلبية يرفضها أي مجتمع".

٣، ٤ التطرف الديني:

إن مصطلح التطرف الديني استعمل أول مرة في إسرائيل، والذي يصف المقاومة الفلسطينية إرهاباً ويصبغه تحت مبرر التطرف الديني ٣.

ولقد أطلق العلماء قديماً، كلمة التطرف الديني على القائل المخالف للشرع، وعلى القول المخالف للشرع وعلى الفعل المخالف للشرع ٤.

والحكم في هذه الحالة هو الشرع في حد ذاته، مع علمنا بأن أي فعل لتطبيق حكم شرعي لا يقبح أو يحسن إلا ما قبحه أو حسنه الشرع، لكن هناك طرح جدلية وهي من يحدد رأي الشرع؟ هل هو النص المقدس سواء كان قرآناً أو حديثاً نبوياً؟ أم أنّ هناك من له خصوصية في فهم القصد والمعنى؟

ونحن هنا لا نريد الخوض في هذا الإشكال لكن ما هو متعارف عليه هو أن فهم النصوص الشرعية فهماً بعيداً عن المقصود الشارع وروح الإسلام؛ فالتطرف في الدين هو الفهم الذي يؤدي إلى إحدى النتيجتين المكروهتين، هما الإفراط والتفريط ٥.

والتطرف في الدين "هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهديه، فكل مغال في دينه متطرف في دينه متطرف فيه مجاف الوسطية، يسره" ٦.

كما يعرفه "حسن عبد الحميد" بأنه "حالات الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو المنكور في الدين" ٧.

ومنه يعرف الباحثان التطرف الديني "بأنه مجموعة من القناعات الدينية الفردية المتعصبة تتشكل من أفكار خاطئة الفهم الناتج عن نقص في الوعي ويترجم في سلوكيات سلبية".

٣، ٤ الشباب الجامعي:

عند تفحصنا لمختلف التعاريف التي جاءت لتحديد مفهوم الشباب ندرك بأنه ثمة اختلاف بين الباحثين في تحديد هذا المفهوم، فعن مفهوم الشباب لغوياً نذكر ثلاث أسماء للمعاجم.

١، ٣، ٤ فقد جاء تعريف كلمة الشباب في "معجم منجد اللغة" الشباب مصدر والشَّبِيْبَة (مصدر) وجمع الشَّبِيْبَة شَبَابٌ وهو الفتَاء في سن البلوغ إلى الثلاثين تقريباً. وأول الشيء نحو "شباب النهار" ٨.

وفي "معجم الرائد" الشباب جمع شبان وشبَّبة، مفردة شَابَة جمع شَوَاب وشبَاب والشباب من العمر: ما بين البلوغ إلى نحو الثلاثين ومن الشيء أوله ١.

١- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وثنىء من قهها وفوائدها. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٩٩٥، ج٣، ص، ٢٧٨.

٢- العسلي شريف زرق: ظاهرة الغلو في الدين لدى طلبة الجامعات الفلسطينية أسبابها وعلاجها في ضوء معايير التربية الإسلامية. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في أصول التربية، بكلية التربية في الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠، ص١٠٩.

١- الصاوي صلاح: التطرف الديني الرأي الآخر، الأفاق الدولية للإعلام والنشر، ب ن، ص ٠٤.

٢- الطبطيناني محمد عبد الرزاق: التطرف في الدين- دراسة شرعية- بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ٢٠٠٤.

٥- المنصورى محمد الطاهر: ظاهرة التطرف الديني والفكري في المجتمعات المسلمة وأثرها على الوحدة، مقال على موقع www.wasatia.org، تاريخ الاقتباس ٢٠١٧/٠٥/٠١، h٢١:٠٠٠

٦- خلف بشير: قراءة في الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال، مقال على موقع: www.grenc.com تاريخ الاقتباس ٢٠١٧/٠٥/١٥، h٢١:٠٠٠

٧- عواج كميلية: التطرف الديني وأثره على التماسك الأسري- دراسة ميدانية ببلدية المعذر- متكرة لنيل شهادة الماجستير علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باقنة، ٢٠١١، ص ٤٠.

٨- المنجد في اللغة والإعلام، ط ٣١، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٧١.

وفي "معجم اللغة العربية المعاصر" الشباب جمع شبَّ، شَبَّتُ، يَشْبِبُ، أَشْبَبْتُ/شَبَّبْتُ، شباباً، وشبيبة، فهو شاب، شب الغلام: أدرك طور الشباب، صار فتياً، شَبَّ عن الطُوف: كَبُرَ واعتمد على نفسه، بلغ مبلغ الرجال. ٢

٢,٣,٤ مفهوم الشباب اصطلاحاً:

لقد اختلف الدارسون في تحديد الشباب من حيث بدايتها ونهايتها والفترة الزمنية التي تستغرقها، نظراً لتداخل مراحل العمر لدى الأفراد.

ولقد عرفت مرحلة الشاب بأنها "هي الفترة العمرية التي يصبح فيها الفرد مؤهلاً للقيام بأدوار اقتصادية واجتماعية وسياسية في المجتمع، وهي الفترة التي تقع ما بين ١٨-٣٥ سنة على اعتبار أن معظم المجتمعات العربية يعتبر الفرد البالغ من العمر ١٨ سنة فأكثر هو شخص منفرد بذاته له الحق في استخراج بطاقة شخصية، وانتخابية، ومن ناحية أخرى فإن الفرد البالغ من العمر ٣٥ سنة قد بلغ مرحلة نضجه واستقراره الشخصي والوظيفي، بمعنى انتهاء مرحلة من حياته، بداية مرحلة أخرى. ٣

وحسب البعض أيضاً "هي فترة من الحياة تبدأ من نهاية الطفولة إلى سن الرشد... الشاب هو منتج العصرية ومعايير الاستقلالية، التفتح، الحرية الفردية". ٤

والجدير بالذكر أن المفهوم الدولي للشباب "يتناول من تتراوح أعمارهم بين ١٥ إلى ٢٥ سنة". ٥

أما عن الشباب الجامعي فهناك من ينظر إليهم "على أنهم أتموا فترة تعليمهم الثانوي والتحقوا بالكليات والمعاهد العليا، وهم لا ينفصلون بأي حال من الأحوال عن عامة الشباب". ٦

كما يعرف الشباب الجامعي أنهم "هم تلك الفئة من المجتمع الذين يتابعون تحصيلهم العلمي بعد حصولهم على الثانوية العامة الذين تتراوح أعمارهم بين (١٨ - ٣٥) سنة". ٧

ويمكن تعريف الشباب الجامعي إجمالاً في ظل الدراسة الحالية على أنه " كل طالب أو طالبة أكمل تعليمه الثانوي والتحق بالمرحلة الجامعية ويكون ضمن الفئات العمرية من سن (١٨ - ٣٥) سنة ويعيشون ضمن النطاق الجغرافي لدولة الجزائر".

II إجراءات الدراسة الميدانية:

١ الإطار المنهجي للدراسة: اعتمد الباحثين على المنهج الوصفي التحليلي الذي يلبي غرض الدراسة

١,١ حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة على الحدود التالية:

١,١,١ الحدود المكانية: تم إجراء الدراسة الحالية بجامعة حمة لخضر - الوادي- الجزائر

١,١,٢ الحدود الزمانية: امتد إجراء الدراسة ما بين شهر أبريل ٢٠١٧ إلى شهر ماي من نفس السنة.

١,١,٣ الحدود البشرية: أجريت الدراسة الحالية على عينة من الشباب الجامعي بجامعة حمة لخضر بالوادي، الجزائر.

١- جبران مسعود: الرائد، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٩٩٢، ص ٤٦٣.

٢- عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصر - ١٠، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١١٦٣.

٣- بوزيان عبد الغني: استخدامات الشباب الجزائري للبرامج الثقافية التفرزيونية للغاة الأرضية والإشاعات المتحركة منها-، دراسة ميدانية-، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تخصص الاتصال والتنمية المستدامة، جامعة باجي مختار، ٢٠٠٩، ص ٣٠.

٤- نيار نعيمة: الخلفية المهنية والاجتماعية للشباب الممثلين للمؤسسات المضغرة، دراسة ميدانية لعينة من الشباب المستمر في الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب، فروع الجزائر وسط - بنر توتة - زرالدة - حسين داي. رسالة ماجستير في علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٣.

٥- ميهوبي فوزي: اتجاهات الشباب الجامعي نحو المواطنة في الجزائر. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٤، مارس ٢٠١٤، ص ٧٣.

٦- جابر محمود زكي، ناصر علي مهدي: دور الجامعات في تعزيز مفاهيم المسؤولية لدى طلبتها- دراسة ميدانية مقارنة بين جامعتي حلوان (ج، م، ع) وجامعة الأزهر- غزة (فلسطين) -. ٢٠١١، ص ٤، الموقع الإلكتروني

www.grenc.com www.qou.edu/arabic/conferences/socialResponsibilityConf/dr_nasserMahdi.pdf تاريخ الاقتباس ٢٢/٠٥/٢٠١٧، h٢٣:٠٠

٧- أحمد علي كنعان: الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة - دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق-. مجلة عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٨، ص ٤١٢.

٢,١ مجتمع الدراسة:

النسبة المئوية (%)	التكرار	التخصص
٧٧,٣	٣٤	من ١٨ سنة إلى أقل من ٢٨ سنة
٠٧,٧	٠٣	من ٢٨ سنة إلى أقل من ٣٨ سنة

رُكزت الدراسة على مجتمع الشباب الجامعي في الجزائري والذي يعد الفئة النشطة علميا وثقافيا، وهي القاعدة التي تنطلق منها عناصر النهوض الحضاري بتكوين الطاقات الإبداعية للنخبة.

٣,١ عينة الدراسة:

اعتمد الباحثون على العينة العرضية في اختيار أفراد الدراسة قوامها ٣٩ مفردة.

أدوات الدراسة:

تم استخدام استمارة الاستبيان للحصول على البيانات المتعلقة بمتغيرات الدراسة، وذلك بعدها عرضها على مجموعة من الأساتذة من ذوي الاختصاص وإجراء ما يلزم من تعديل (حذف، إضافة، إعادة صياغة العبارات)، وبعد جمع استمارات الاستبيان اعتمدنا على تفرغ البيانات الميدانية أليا واكتفينا بالجداول التكرارية والمتقاطعة، وحساب النسب المئوية مبتعدين عن القوانين الإحصائية الأخرى؛ لأن هدف الدراسة في الأساس معرفة آراء الشباب الجامعي ومعرفة تصوره لمشكلة التطرف الديني فقط.

٢ عرض نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها وتحليلها:

١,٢ الخصائص العامة للعينة للدراسة:

الجدول رقم (٠١): يمثل توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس

النسبة المئوية (%)	التكرار	الجنس
٥٦,٤	٢١	الإناث
٤٣,٦	١٨	الذكور
١٠٠	٣٩	المجموع

تبين المعطيات الكمية للجدول (٠١) أن نسبة أفراد العينة متفاوتة؛ بحيث قدرت نسبة الإناث بحوالي ٥٦,٤ % بما يعادل ٢١ طالبة، وفي المقابل نجد أن نسبة الذكور منخفضة أقل مقارنة مع نسبة الإناث حيث قدرت بحوالي ٤٣,٦ % أي بما يعادل ١٨ طالبا.

ومن هذه المعطيات يمكن أن نلاحظ مدى تجاوب الإناث مع موضوع دراستنا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام الفتاة الجامعية في الجزائر بقضايا التطرف والإرهاب التي قد تمس المرأة في الدرجة الأولى، إضافة إلى زيادة الوعي لديهن من خلال ربما الإعلام التقليدي والإعلام البديل.

الجدول رقم (٠٢): يمثل توزيع أفراد العينة حسب متغير العمر.

من ٣٨ سنة إلى أقل من ٤٨ سنة	٠١	٠٢,٦
من ٤٨ سنة فأكثر	٠١	٠٢,٦
المجموع	٣٩	١٠٠

يتبين من خلال معطيات الجدول أن غالبية أفراد العينة بلغت أعمارهم من ١٨ سنة إلى أقل من ٢٨ سنة وذلك بنسبة ٧٧,٧% أي بتكرار ٣٤ مفردة، في حين تقدر نسبة عدد المنتمين إلى الفئة العمرية من ٢٨ سنة إلى أقل من ٣٨ سنة بـ ٧,٧% أي بتكرار ٠٣ أفراد، أما النسب الأقل فكانت بين الفئات العمرية من ٣٨ سنة إلى أقل من ٤٨ سنة، والفئة العمرية من ٤٨ سنة فأكثر.

الجدول رقم (٠٣): يمثل التخصص الجامعي للمبحوثين.

من الجدول أعلاه نلاحظ أن نسبة الطلبة الذين شملتهم الدراسة ينتمون إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية وذلك بنسبة ٥٩% أي بتكرار ٢٣ مفردة، تبعهم الطلبة الذين ينتمون إلى كلية الشريعة والعلوم الإسلامية بنسبة ٢٠,٥% بتكرار ٠٨ مفردة، أما النسب الأقل فكانت ما بين كلية الحقوق والعلوم الهندسية وكلية الآداب واللغة حيث تراوحت نسبهم ما بين ١٠,٣% و ٠٢,٦%.

ويعتبر هذا التوزيع العرضي للعينة ناتج عن كون عدد الطلبة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والتي تشمل كل فروع العلوم الإنسانية مثل التاريخ والفلسفة وعلوم الاتصال وعلوم التربية وكذا علم النفس وعلم الاجتماع هي كلية تستوعب أعدادا كبيرة من الطلبة، إضافة إلى كلية العلوم الإسلامية، مقابل العدد القليل للكليات العلمية الأخرى.

ويمكن أن يكون لطبيعة هذا التجاوب من طرف الطلبة لموضوع دراستنا نابعا من طبيعة التخصص الاجتماعي والديني، فكون موضوع التطرف الديني موضوعا يشمل الجانب الاجتماعي والنفسي والديني والفلسفي هو الذي ربما دفع الطلبة بروح المبادرة بالمشاركة برأيه.

التخصص	التكرار	النسبة المئوية (%)
كلية الآداب واللغات	٠٣	٠٧,٧
كلية الحقوق	٠١	٠٢,٦
كلية العلوم والهندسة	٠٤	١٠,٣
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	٢٣	٥٩
كلية الشريعة والعلوم الإسلامية	٠٨	٢٠,٥
المجموع	٣٩	١٠٠

من الملاحظ للجدول أعلاه والذي يدل على وضعية المبحوثين الاقتصادية تبين أن جل الطلبة الجامعيين بلا عمل وذلك بنسبة ٦٦,٧% أي ويتكرر ٢٦ طالب من عينة البحث، في حين تساوت نسبة ١٢,٨% لكل من الطلبة الذين يمارسون أعمال حرة، والطلبة الذين يستفيدون من منحة الإدماج التي تعتمدها الدولة الجزائرية كمنحة تعويضية للبطالة في فئة الشباب الجامعي، بينما مثلت نسبة ٠٧,٧% لطلاب يعمل حكومي ثابت ومستقر.

ومن خلال البيانات المستقاة يتبين أن الطلبة الجامعيين ليس لديهم عمل ثابت أي أنهم ذوا دخل محدود، وهذا أمر طبيعي نتيجة التزام ارتباط الطالب بالدارسة للحصول على الشهادة التي قد تقربه إلى سوق العمل، ويمكن بالتالي أن نقول أن عمر الطالب الجامعي الذي يقع ما بين سن ١٨ سنة و ٢٨ سنة هي فترة حساسة يمكن أن تجعل الطالب عرضة للتأثر بأفكار التطرف بمختلف أصنافه والتطرف الديني بصفة خاصة، وهو ما يمكن أن تستغله الجماعات والفرق عبر الترغيب بالمال والمناصب الكبيرة والمنافع المادية الأخرى، ولهذا فالوضعية الاقتصادية للطالب الجامعي قد تكون محمدا أساسيا لتوجه وموقف الشباب من الانخراط في الجماعات الإرهابية أو المتطرفة ويمكن أن تكون للوضعية الاقتصادية لأسرة الشاب

الجامعي ذات أهمية في تحديد رأيه وموقفه اتجاه الأفكار المتطرفة والتطرف الديني، و هو ما يمكن ملاحظته من الجدول التالي:

الجدول رقم (٥٠): يبين حالة الأسرة الاقتصادية ورأي الشباب في كون التطرف الديني هو سبب وجود الإرهاب

الخبرة الإجابات	حالة سيئة	حالة متوسطة	حالة جيدة	النسبة % المجموع
لا	٠٥,١٢	٣٥,٨	٢٠,٥	٦١,٥
قليلا	٠٠	٠٥,١٣	٠٨	٠٧,٧
نعم	٠٠	١٧,٩٦	١٢,٨٣	٣٠,٨
المجموع	٥,١٢	٥٨,٩	٣٥,٩	١٠٠

تظهر نتائج الجدول أعلاه أن معظم أفراد المبحوثين يؤكدون أن مشكلة التطرف والإرهاب ليست نابعة من التطرف الديني و ذلك بنسبة ٦١,٥% بتكرار ٢٤ مفردة توزعت حسب الحالة الاقتصادية للأسرة بنسبة ٣٥,٨% حالة أسرهم الاقتصادية متوسطة، و٢٠,٥% حالة أسرهم جيدة، أما نسبة ٥,١٢% فهم من أسر حالتها الاقتصادية سيئة. وبالمقابل كانت نسبة الآراء التي تعتقد بوجود علاقة بين الإرهاب والتطرف الديني فكانت ٣٠,٨% بتكرار ١٢ مفردة من أفراد العينة، وتوزعت هذه الإجابة بنسبة ١٧,٩٦% حالة الأسرة الاقتصادية متوسطة، ونسبة ١٢,٨٣% من أسر حالتها الاقتصادية جيدة. أما الذين كان رأيهم بوجود علاقة قليلة بين التطرف الديني والإرهاب فكانت بنسبة ٧,٧% بتكرار ٣ مفردة.

ومن خلال هذا يمكن أن نستنتج بأن الحالة الأسرية الاقتصادية للشباب الجامعي ليست محددًا أساسيًا في اعتقاد الشباب في كون التطرف الديني هو سبب الإرهاب؛ فوعي الشباب وإطلاعهم على الأحداث السياسية وثقافتهم الدينية ربما تكون هي التي تحدد هذا الرأي، وهذا ما أكده العديد من المبحوثين إذ يرون بأن هناك أطرافًا خارجية خفية هي التي تزيد من حدة التطرف وزرع مثل هذه القضايا بين أوساط المجتمع الإسلامي والعربي لتحقيق مصالحها مقترنة بالمشاكل السياسية داخل هذه البلدان، في حين أن الدين الإسلامي يحث على الوسطية والاعتدال ونبذ العنف والإرهاب والغلو في الدين.

الجدول رقم (٥٦): يبين ما إن كان المبحوثين مهتمين بأحوال العالم الإسلامي وما يجري حوله.

النسبة المئوية	التكرار	الأسباب	النسبة المئوية	التكرار	الاحتمالات
١٧,٩٤	٠٧	لأن اهتمامي راجع من تعاليم ديني	٤٨,٧	١٩	نعم
٢٥,٦٣	١٠	لأنني لا أحب أن أكون جاهلا لأحوال أممي			
٥,١٢	٠٢	لأنني أساند قضايا الحريات وحقوق الإنسان			
٣٠,٧٥	١٢	لا أستطيع أن أغير شيء	٤١	١٦	لا إطلاقا
١٠,٢٥	٠٤	ليس لي حب الاطلاع على أمور البلدان			
١٠,٣	٠٤	قليلا			
١٠٠	٣٩	المجموع			

تظهر معطيات الجدول أعلاه بأن نسبة ٤٨,٧% من أفراد العينة بتكرار ١٩ مفردة هم يهتمون بما يجري في العالم الإسلامي والعربي، أو عزت الأسباب حسب أفراد العينة الذين أجابوا بنعم إلى أن هذا الاهتمام نابغ في الأصل من تعاليم الدين حسب ذلك بنسبة ١٧,٩٤%، في حين هناك من يرى بأن لا يمكنه أن يكون جاهلاً لأحوال أمته بنسبة ٢٥,٦٣% وهذا دليل على الاهتمام الكبير من طرف الطلبة الجزائريين ميدان الدراسة الذين يسعون للتعرف على أحوال وقضايا العالم الإسلامي وما يدور حولهم، بينما يرى ٥,١٢% أن الاهتمام هو مجرد مساندة لقضايا الحريات وحقوق الإنسان، كما أشار الجدول أعلاه بأن هناك من أجاب بأنه لا يهتم مطلقاً بقضايا العالم الإسلامي وقد جاءت نسبتهم بـ ٤١% من أفراد العينة أي بتكرار ١٦ مفردة، وكانت أسباب عدم الاهتمام الكبير بقضايا العالم الإسلامي والعربي هي اعتقاد الشباب بعدم قدرتهم على تغيير الأوضاع بالرغم من تعاطفهم وحماسهم قد عبرت على هذا الموقف نسبة ٣٠,٧٥% وهي نسبة معتبرة من الشباب بتكرار ١٢ مفردة، أما من يرى أن عدم اهتمامه الكبير بقضايا الأمة فهو راجع إلى عدم حبه ورغبته في معرفة لأحوال العالم الخارجي ككل قد عبرت على ذلك نسبة ١٠,٢٥% بتكرار ٠٤ مفردات. أما الشباب الذين يهتمون بقضايا العالم الإسلامي والعربي إلا قليلاً فقد كانت بنسبتهم ١٠,٣% بتكرار ٠٤ مفردات

من خلال هذه الأرقام يمكن لنا أن نرى أن الشباب الجامعي الجزائري في أغلبه يهتم بقضايا أمته، بالرغم من أن هناك فئة قليلة لا تولي لمثل هذه الأمور، أي اهتمام يذكر على أساس أن هذا الاهتمام قد يكون نابغاً من كون الإسلام هو الذي يوجب على الفرد المسلم أن يهتم بأمور إخوانه المسلمين، إلا أننا نلاحظ في نفس الوقت تذبذباً من طرف فئة لا يستهان بها من الشباب الذين يقل اهتمامهم أو ليس لهم الرغبة في الاطلاع على أحوال العالم الإسلامي والعربي، وهو ما يعد مؤشراً سلبياً في تغير اتجاهات الطلبة والشباب المثقف بالخصوص نحو اللامبالاة بالآخرين يمكن إرجاع هذا الأمر لتسارع الأحداث وتشابكها وعدم قدرة الشباب في تغيير الوضع، مما أرغمه على تبني موقف التجاهل لكل الأحداث، وربما توجيه اهتمامه لقضايا أخرى مثل الرياضة أو الترفيه.

الجدول رقم (٠٧): يبين رأي المبحوثين حول التطرف الديني وماذا يمثله لهم.

النسبة المئوية	التكرار	الأسباب
٠٧,٧	٠٣	التزامات الإنسان بالنصوص والتفسيرات البالية
٢٠,٥	٠٨	التعصب للقديم ومحاربة كل ما هو حديث
٢٨,٢	١١	الدعوة إلى نبذ رأي الآخر وتكفيره
٤٣,٦	١٧	الالتزام بالدين دون علم وإتباع الأهواء
١٠٠	٣٩	المجموع

نلاحظ من الجدول أعلاه والذي يشير إلى وجهة رأي المبحوثين حول ماذا يمثل لهم التطرف الديني ونتيجة لعدم وجود مفهوم واضح للتطرف الديني بالنسبة للطلبة حيث يرى كل شخص بمنظوره الخاص نتيجة اختلاف القضايا الإسلامية التي تؤدي إلى التطرف الديني فكانت نسبته ٤٣,٦% من أفراد العينة ترى أن التطرف الديني هو عدم الالتزام بالدين دون علم وإتباع الأهواء، وتطبيق الدين دون دراية بما تحتويه هذه القضايا الدينية، مما ينجم عنه إتباع ميولهم وأهوائهم وتكليفها حسبها، وهذا ما يؤدي إلى التعصب والتشدد في القضايا الخلافية في الدين وبالنتيجة تظهر بوادر التطرف الديني.

وما تشهده القضايا الراهنة في العالم الإسلامي خير دليل على ذلك ما يترك الانطباع السيئ على الدين الإسلامي ونحن في غنى عن هذه القضايا التي تسيء إلى الإسلام ككل، في مقابل ذلك هناك رأي آخر يرى بأن التطرف الديني الدعوة إلى نبذ رأي الآخر وتكفيره وكانت النسبة بـ ٢٨,٢%، وهذه لربما أصعب نقطة باعتبار تكفير المسلم لمسلم ليس بالأمر الهين، وبالتالي تزيد من حدة التطرف الديني وقضايا الإرهاب المسلح والجماعات المتشددة التي تجاهد تحت غطاء مجاهدة الكافرين والعديد من التسميات التي تسوق لها من منطلقه الفكري المغلوط، بينما ما مجموعه ٢٧,٢% أرجع الأسباب إلى التزامات الإنسان بالنصوص والتفسيرات البالية والتعصب للقديم ولمحاولة محاربة كل ما هو حديث، وبالتالي فالتطرف الديني هنا يبقى يتأرجح بين التقليد وإتباع الهوى.

الجدول رقم (٠٨): يبين العلاقة بين الفئة الاجتماعية الأقرب لتبني أفكار التطرف

النسبة المئوية	التكرار	الاحتمالات
٣٠,٨	١٢	المراهقين
١٠,٣	٠٤	الشباب المتعلم
٤١	١٦	الشباب البطل
١٧,٩	٠٧	الشباب المنحرف
١٠٠	٣٩	المجموع

تشير نتائج للجدول أعلاه بأن أغلبية أفراد العينة يرون أن الفئة الاجتماعية الأكثر تبنيًا للأفكار التطرفية تشمل فئة الشباب البطل، إذ نجد ما نسبته ٤١% يؤكدون ذلك ولربما تكون بسبب البطالة وصعوبة الحياة الاجتماعية؛ الأمر الذي يجبر الشباب إلى تبني هذه الأفكار التي أصبحت غاية للوصول إلى تحقيق مكاسب مادية وليست عن قناعة، في حين أكد الباحثين بنسبة ٣٠,٨% أن فئة المراهقين هي الفئة المعرضة لتبني أفكار التطرف، وهذه الفترة العمرية هي الأصعب في حياة الأفراد، والتي يريد فيها المراهق إثبات ذاته سواء على الصعيد الاجتماعي أو المالي، فمن السهل إغراؤه أو بلبلة أفكاره من خلال الوسائل الإعلامية، كما تبين من آراء الشباب الجامعي أن فئة الشباب المنحرف قد تكون هي الأخرى معرضة لخطر التطرف وكانت هذه الآراء بنسبة ١٧,٩%

بينما فئة الشباب المتعلم هي أقل تعرضاً لخطر التطرف حسب رأي أفراد العينة، حيث كانت الآراء المؤيدة لهذا بنسبة ١٠,٣% إذ ربما هذه الفئة لديها من وعي ودراية بالوسائل الدعائية للأفكار المنحرفة والمتطرفة تمكنها من تفادي خطر التطرف.

والجدول التالي يمكن أن يعطينا فكرة عن تصور الشباب الجامعي لوسائل تجنيد الشباب والتأثير عليهم من طرف الجهات التي تسوق للأفكار المتطرفة.

الجدول رقم (٠٩): يمثل رأي الباحثين في أهم الوسائل التي تؤدي إلى افتتان الناس بالأفكار المتطرفة

النسبة المئوية	التكرار	الاحتمالات
٤٣,٦	١٧	الإغراء بالمال
٠٥,١	٠٢	الإغراء بالنساء
١٧,٩	٠٧	تهديد وتوعد
٣٣,٤	١٣	وسائل دعوية عبر وسائل الإعلام
١٠٠	٣٩	المجموع

تظهر نتائج جدول أعلاه بأن الباحثين تباينت آرائهم حول الوسائل التي تؤدي إلى افتتان الناس بالأفكار المتطرفة، فنجد أن بنسبة ٤٣,٦% من أفراد العينة يرى بأن الإغراء بالمال يأتي كمرتبة أولى للتأثير، وهذا أمر طبيعي في العديد من مجتمعاتنا التي تعرف وجود الفئات الهشة خاصة في المجتمعات العربية، فالمال يمثل أحد أهم الأسباب التي من الممكن أن يؤدي بالشباب إلى تبني أفكار التطرف الديني حتى وإن كان على غير قناعة ذاتية منه، كما أن الجماعات المتطرفة تغري بالمال الكثير من الشباب بالمال خاصة إذا كان بدون عمل.

بينما نجد أن للوسائل الدعوية في وسائل الإعلام دوراً في التأثير ونشر الأفكار المتطرفة، حيث أن بنسبة ٣٣,٤% من أفراد العينة يرون ذلك باعتبار أن الإعلام في الوقت الحالي أصبح له دور سلبي أكثر منه إيجابياً وأصبح سلطة في يد جماعات مجهولة الهوية.

ويأتي التهديد والتوعد كوسيلة لنشر الأفكار المتطرفة حسب أفراد العينة و ذلك بنسبة ١٧,٩% فربما يكون هناك ممن يتبنى الأفكار المتطرفة ليس بقناعته الشخصية وإنما تحت طائلة التهديد.

كما نجد أن نسبة ٥١,٣% من الآراء التي ترى بأن أسلوب الإغراء بالنساء له دور في نشر الأفكار المتطرفة، وليس خافٍ على كل مختص في مجال دراسة الجماعات الدينية المتطرفة التي تستعمل النساء كمثير لجلب الأتباع.

الجدول رقم(١٠): يبين رأي الشباب الجامعي في ما إن كانت المجتمعات العربية واعية بخطورة التطرف الديني.

النسبة المئوية	التكرار	الاحتمالات
٣٠,٧	١٢	لا
٥١,٣	٢٠	قليلا
١٧,٩	٠٧	نعم
١٠٠	٣٩	المجموع

نلاحظ من الجدول أعلاه أن الشباب الجامعي، يعتقد ويرى أن الدول أو الشعوب غير واعية بخطورة التطرف الديني فقد كانت نسبة ٥١,٣% من أفراد العينة ترى أن الوعي بالخطورة هو بقدر قليل، وهو ما دعمته ٣٠,٧% بالإجابة على [لا] التي تزيد من كتلة الأمراء التي تقول بعدم وجود الوعي الكافي بهذه الظاهرة. ثم تأتي نسبة ١٧,٩% من الإجابات ترى أن الدول والشعوب العربية تدرك خطورة التطرف الديني، وبالتالي فإن هذه النتائج تدل بأن الطلبة الجزائريين قد يرون أن قلة وعي الشعوب بخطورة التطرف الديني ربما يرجع إلى أن أغلب شباب الفئات الاجتماعية في الجزائر غير مهتمة بما يدور في المجتمعات العربية والإسلامية مما تزيد من حدة التفرقة بين هذه المجتمعات.

وهذه أصعب مشكلة يواجهها العالم الإسلامي، وما نستنتجه من هذا أن أحد أسباب التطرف الديني في العالم الإسلامي حسب الطلبة الجزائريين، هو عدم الاهتمام بقضايا المجتمعات الإسلامية والعربية، والتي تزيد من عدم فهم وتقارب الأفكار الدينية السليمة للدين الإسلامي.

وهو ما يمكن أن تدعمه نتائج الجدول التالي التي من خلالها يمكن معرفة إلى ما سند الشباب الجامعي في الجزائر أسباب الإرهاب.

الجدول رقم(١١): يبين رأي الشباب الجامعي في أصل وسبب الإرهاب المسلح.

النسبة المئوية	التكرار	الأسباب
٢٨,٢	١١	التطرف الديني
٥٩	٢٣	تدهور الحقوق والعدالة الاجتماعية
١٢,٨	٠٥	ضعف العلماء في التأثير على الناس
١٠٠	٣٩	المجموع

يتبين من خلال الجدول أعلاه بأن الإرهاب المسلح يرجع حسب عينة البحث، إلى تدهور الحقوق والعدالة الاجتماعية. وكان هذا الرأي بنسبة فاقت ضعف مجتمع البحث أي بـ ٥٩% وبتكرار ٢٣ مفردة، وهذا السبب ربما هو الذي يشغل كل الفئات الاجتماعية في كل البلدان، ولعل إشكالية العدل وحقوق الإنسان أصبحت قضية وسائل الإعلام والمحافل الدولية، وعليه فالشباب هم الفئة الأكثر حساسية من هذا الجانب الحقوقي والإنساني، وقد يعد العامل الأول الذي تركز عليه الجماعات الإرهابية في إقناع الشباب لحمل السلاح ضد الأنظمة، وزرع هذه الفكرة للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم وحقوقهم المسلوبة، وربما في نظرهم في مقابل ذلك ترى نسبة ٢٨,٢% بأن التطرف الديني هو السبب إلى الإرهاب المسلح، ووجوده نابع من التطرف والتعصب للأفكار الدينية المغلوطة، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات السابقة التي درست الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب المسلح والتي من أهمها التطرف الديني، وكنتيجة للتطرف الديني ترى عينة البحث بأن هذا التطرف هو نتيجة ضعف العلماء في التأثير على الناس وعلى المجتمع ككل، فكانت نسبة الاستجابات التي ترى هذا هي ١٢,٨% من أفراد

العينة، وهذا ربما راجع إلى طبيعة العلماء والدعاة التي أضحوا من حين لآخر هم سبب زيادة حدة التطرف، وانعكس دورهم المنوط بهم والذي هو الحث على نبذ العنف والابتعاد عن التطرف، وإتباع الهوى بكل الأشكال وبالتالي تحقيق الاستقرار.

٣ نتائج الدراسة: (الاستنتاج العام)

من خلال عرضنا لبعض معطيات الدراسة الميدانية والتي هدفت إلى الإجابة عن التساؤلات المطروحة، استخلصنا عددا من النتائج الهامة والتي نذكرها كعناصر فقط وهي:

١,٣ أن معظم أفراد المبحوثين يؤكدون أن مشكلة التطرف والإرهاب ليست نابعة من التطرف الديني حيث بلغت نسبة هذا الرأي ٦١,٥% بتكرار ٢٤ مفردة .

٢,٣ أن حالة لاقتصادية لأسر الشباب الجامعي ليست محددًا أساسيا في اعتقاد الشباب في كون التطرف الديني هو سبب الإرهاب.

٣,٣ أن الشباب الجامعي الجزائري في أغلبيه يهتم بقضايا أمته، بالرغم من أن هناك فئة قليلة لا تولي لمثل هذه الأمور أي اهتمام يذكر، وعلى أساس أن هذا الاهتمام قد يكون نابعا من عامل الدين، إلا أننا لاحظنا في نفس الوقت تذبذبا من الشباب الذين يقل اهتمامه أو ليس لهم الرغبة في الاطلاع على أحوال العالم الإسلامي والعربي.

٤,٣ أما عن رأي المبحوثين حول التطرف الديني وماذا يمثله لهم فقد فكانت نسبته ٤٣,٦% من أفراد العينة ترى أن التطرف الديني هو عدم الالتزام بالدين دون علم، وإتباع الأهواء بينما نسبة ٢٧,٢% أرجعت الأسباب إلى التزامات الإنسان بالنصوص والتفسيرات البالية والتعصب للقديم.

٥,٣ أن أفراد العينة يرون أن الفئة الاجتماعية الأكثر لتبني الأفكار التطرفية تشمل فئة الشباب البطال إذ نجد ما نسبته ٤١%، ثم تأتي فئة المراهقين وذلك بنسبة ٣٠,٨% من آراء أفراد العينة، وهو ما يمكن أن نستدل به في كون أغلب المنخرطين في الجماعات المتطرفة هم من المراهقون إضافة إلى الشباب العاطل عن العمل، وأن التربية والتعليم والتوعية هي السبيل لتفادي أو التقليل من انجرار الشباب نحو التطرف.

٦,٣ أما عن أهم الوسائل التي يعتقد الشباب الجامعي أنها كفيلة بالتأثير على الشباب لتبني الأفكار المتطرفة أو الانضواء تحت الجماعات المتطرفة فهي الإغراء بالمال، حيث كانت نسبة ٤٣,٦% من أفراد العينة تعتقد ذلك، ثم تأتي وسائل الإعلام الدعوية بنسبة ٣٣,٤% من الإجابات تعتقد هذا، ونسبة ١٧,٩% تعتقد أن لأساليب التهديد والتوعيد دورا في ذلك.

الخاتمة

لقد سعت الدراسة الحالية إلى هدف رئيس وهو معرفة رأي الشباب الجامعي في الجزائر، كعينة للشباب العربي المثقف في موضوع التطرف ونخص الجانب الديني فقط، كون الشباب هم الفئة الأكثر تقبلا للتغيير الثقافي والاجتماعي فهي الفئة الأغلب والأكثر انخراطا في الجماعات الفكرية أو الدينية لمميزات تخص نفسية الشباب واجتماعيتهم، ونعني بها الخصائص الفكرية والشخصية التي تمتاز بالحدة في اتخاذ القرارات وتبني كل جديد، وكذا حب الاطلاع والفضول الفكري والحماسة الدينية وغيرها من محددات الشخصية لدى فئة الشباب.

هذا وبالرغم من كل المؤثرات السياسية والإعلامية والاجتماعية فقد وجدنا أن هناك وعيا لدى شبابنا وحصانة فكرية أمام مظاهر التطرف الديني لوجود خلفية تاريخية وخصوصية سياسية أدت إلى وجود ربما هكذا أمر، ونعني بالخلفية التاريخية ما شهدته الجزائر في تجربتها الديمقراطية في أواخر القرن الماضي، وما شهدته من دمار واضطراب في البلاد.

ونحن لا ننكر أن عوامل أخرى لها من الخطورة الشيء الكثير قد تدخل في التأثير على منظور الشباب للتطرف الديني، ونخص به عولمة الاتصال ودخول البدائل الإعلامية من شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الأخرى، والتي أصبحت في نظرنا تمثل الرافد الأكبر لمعلومات الشباب ومصادر معرفته للعالم المحيط به.

لهذا استنتجت الدراسة في الأخير ضرورة تكثيف الدراسات الميدانية والاستطلاعية لجس نبض الشباب، وقياس رأيه ومعرفة اتجاهاته لمثل هذه الظواهر الاجتماعية ذات الصبغة السياسية والاقتصادية وأثارها المدمرة للشبكة الاجتماعية وعلاقات المواطنة في البلاد العربية.

المراجع:

الكتب:

١ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ط ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٥.

٢ الصاوي صلاح: التطرف الديني الرأي الآخر، الأفاق الدولية للإعلام والنشر، ب ن.

المعاجم:

٣ المنجد في اللغة والإعلام، ط ٣١، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١.

٤ جبران مسعود: الرائد. ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

٥ عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة. م ١، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.

الرسائل:

٦ دواية محمد محمود محمد: الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة. مذكرة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التربية قسم علم النفس، جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، ٢٠١٢.

٧ العسلي شريف زرق: ظاهرة الغلو في الدين لدى طلبة الجامعات الفلسطينية أسبابها وعلاجها في ضوء معايير التربية الإسلامية. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في أصول التربية، بكلية التربية في الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠.

٨ عواج كميلية: التطرف الديني وأثره على التماسك الأسري- دراسة ميدانية ببلدية المعذر-. رسالة لنيل شهادة الماجستير علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة ٢، ٢٠١١.

٩ بوزيان عبد الغني: استخدامات الشباب الجزائري للبرامج الثقافية التلفزيونية للقناة الأرضية والإشباع المتحققة منها- دراسة ميدانية-. مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تخصص الاتصال والتنمية المستدامة، جامعة باجي مختار، ٢٠٠٩.

١٠ نيار نعيمة: الخلفية المهنية والاجتماعية للشباب المنشئ للمؤسسات المصغرة- دراسة ميدانية لعينة من الشباب المستثمر في الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب، فروع الجزائر وسط - بئر توتة - زرادة - حسين داي. رسالة ماجستير في علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧.

المجلات والبحوث العلمية:

١١ الجعيमान محمد بن عبد الله: دراسة إرشادية علاجية لتعديل السلوك المتطرف لدى الشباب.

١٢ الطيببائي محمد عبد الرزاق: التطرف في الدين- دراسة شرعية-. بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ٢٠٠٤.

١٣ المنصوري محمد الطاهر: ظاهرة التطرف الديني والفكري في المجتمعات المسلمة وأثرها على الوحدة. مقال على موقع www.wasatia.org، تاريخ الاقتباس ٠١/٠٥/٢٠١٧، ٢١:٠٠ h.

١٤ خلف بشير: قراءة في الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال. مقال على موقع www.grenc.com تاريخ الاقتباس ١٥/٠٥/٢٠١٧، ٢١:٠٠ h.

١٥ جابر محمود زكي، ناصر علي مهدي: دور الجامعات في تعزيز مفاهيم المسؤولية لدى طلبتها- دراسة ميدانية مقارنة بين جامعتي حلوان (ج، م، ع) وجامعة الأزهر-غزة (فلسطين)-. ٢٠١١، الموقع الإلكتروني www.grenc.com ، www.qou.edu/arabic/conferences/socialResponsibilityConf/dr_nasserMahdi.pdf ، تاريخ الاقتباس ٢٢/٠٥/٢٠١٧، ٢٣:٠٠ h.

[] لأن اهتمامي نابع من تعاليم ديني ..

[] لأنني لا أحب أن أكون جاهلا لأحوال أمتي .

[] لأنني أساند قضايا الحريات و حقوق الإنسان.

إذا كان الجواب (لا) ما هو سبب عدم اهتمامك؟ اختر إجابة واحدة.

[] لأنني اعلم أنني لا أستطيع أن أغير أي شيء .

[] لأنه ليس لي حب في الاطلاع على أمور البلدان الأخرى.

[] أسباب أخرى حددها

٩ - في رأيك هل مشكلة التطرف و الإرهاب نابعة من التطرف الديني؟

[] لا .. [] قليلا . [] نعم ..

في كل الأحوال اذكر كيف ذلك:

١٠ - في رأيك هل التطرف الديني يتمثل في :

[] التزامات الإنسان بالنصوص و التفسيرات البالية.

[] التعصب للتقديم و محاربة كل ما هو حديث .

[] الدعوة إلى نبذ رأي الآخر و تكفيره .

[] الالتزام بالدين دون علم و إتباع الأهواء.

١١ - في رأيك هل الدول العربية قادرة على القضاء على مظاهر التطرف الديني؟

[] نعم . [] قليلا . [] لا .

لماذا؟

١٢ - في رأيك ما هي الفئة الاجتماعية الأقرب لتبني أفكار التطرف؟

[] المراهقين [] الشباب المتعلم . [] الشباب البطال . [] الشباب المنحرف

١٣ - في رأيك ما هي وسائل افتتاح الناس بالأفكار المتطرفة؟

[] الإغراء بالمال . [] الإغراء بالنساء . [] تهديد و توعد . [] وسائل دعوية عبر وسائل الإعلام.

١٤ - في رأيك هل نسبة التطرف في المجتمع زادت بفعل ؟

[] زيادة القنوات الدينية . [] بزيادة شبكات التواصل الاجتماعي . [] بزيادة انغماس الناس في الانحراف عن الدين.

١٥ - هل تعتقد أن الأفكار المتطرفة يمكن القضاء عليها بفضل الإقناع و التعليم الديني الجيد ؟

[] نعم . [] قليلا . [] لا .

١٦ - هل ترى أن الجو السياسي الديمقراطي كفيلا بتخفيف حدة التطرف ؟

[] نعم . [] قليلا . [] لا .

١٧- كيف هي نظرتك للمتدين المتطرف ؟

[] احترمه مهما كان مظهره .

[] دوما اشك في تصرفاته .

[] لا اهتم بمظهره بل لأقواله .

[] أتمنى ان أكون مثله لأنني أخالف أفكار التحرر في مجتمعي .

١٨ - هل المجتمعات العربية و الإسلامية في رأيك واعية بخطورة التطرف الديني؟.

[] لا . [] قليلا . [] نعم .

١٩- في رأيك هل الإرهاب المسلح سببه .

[] التطرف الديني . [] لتدهور الحقوق و العدالة الاجتماعية . [] لضعف العلماء في التأثير الناس .

٢٠ - في الأخير هل مررت بتجربة التطرف الديني؟

[] لا . [] قليلا . [] نعم .

الفهرس

المحاولات الإرهابية للحشاشين (الإسماعيلية) لإغتيال

السلطان صلاح الدين الأيوبي

أ.د. شوكت عارف محمد الأتروشي

قسم التاريخ- فاكولتي العلوم الانسانية – جامعة زاخو

اقليم كردستان العراق

ملخص البحث

تُعد الحركة الإسماعيلية (الحشاشون)، من الحركات الباطنية الهدامة التي ظهرت في العصر الوسيط ، وكان لها دور خطير في اضعاف المجتمع الإسلامي من خلال بث الأفكار المنحرفة، والمُتطرفة البعيدة عن الإسلام، كما تسببت بالكثير من الويلات والكوارث نظراً للجوء تنظيماًتها السرية لعمليات العنف والقتل، وإغتيالهم للعديد من العلماء والقادة المسلمين، فأثاروا بأعمالهم الوحشية الذعر والخوف، وفقدان الأمن مما تسبب في اضعاف الجبهة الإسلامية أمام الصليبيين، ومن هذا المنطلق جاء البحث لدراسة الطبيعة الإرهابية للحركة الاسماعيلية من خلال مُحاولاتهم المُتكررة لإغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي.

وقد قُسم البحث الى ثلاثة مباحث وخاتمة. تطرق المبحث الأول : الى التعريف بالحركة الإسماعيلية، ونشأتها ، ومناطق نفوذها وانتشارها. أمّا المبحث الثاني : فقد تطرق الى المحاولات الإرهابية للإسماعيلية لإغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي. والمبحث الثالث والأخير : فقد حُصص لبحث دور واستراتيجية السلطان صلاح الدين الأيوبي في مواجهة الإسماعيلية، والحد من نفوذهم .

المبحث الأول:التعريف بالحركة الإسماعيلية، ونشأتها:

مرّ العالم الاسلامي في القرن في ٥هـ/ ١١م بمرحلة حرجة من التفكك والانحلال والضعف السياسي مما مهد لظهور حركات ارهابية (١) معادية للخلافة العباسية، وكانت تلك الحركات الارهابية مُستترة في الغالب بالدين لكي تستطيع أن تنتشط بين الناس، وتكسبها الى جانبها، ثم تستخدمها لتحقيق أهدافها في مناهضة الخلافة العباسية، وهدم المجتمع الاسلامي، وتفتيته مادياً ومعنوياً، كما مهّدت تلك الحركات الارهابية للعدو الخارجي المتمثل آنذاك بالصليبيين لكي يجراً على اعتداءاته، ويحقق الكثير من أهدافه في المنطقة.

ولعلّ من أبرز تلك الحركات (الارهابية) الهدامة التي نشطت خلال فترة الحروب الصليبية: هي الحركة الباطنية أو (الحشاشين) التي تزعمها الحسن بن الصباح(٢)، والذي يُعد المؤسس لهذه التنظيم المتطرف الذي ظهر في بلاد فارس بعد انشاقه على المذهب الاسماعيلي التقليدي(٣)، وأخذ يعمل على ضرورة نشر المذهب الاسماعيلي في أرجاء العالم الاسلامي بوسائل جديدة اكثر فعالية من الدعوة الاسماعيلية التقليدية القديمة من خلال انتهاج أتباعه العمل ضمن تنظيمات سرية تمكّنها من السيطرة والانتشار في بلاد فارس، وخارجها لملأ الفراغ الذي تركته الدولة الفاطمية التي ضعفت كثيراً، ولم يعد بمقدورها نشر المذهب الاسماعيلي، أو الوقوف بوجه الخلافة العباسية السنية (٤).

وقد أطلق المؤرخون على الحركة الاسماعيلية الجديدة تسميات عديدة منها:" الحشاشين Assassins وهو اصطلاح عام للجماعات الفدائية السرية التي تقوم بالاغتيالات(٥)، واعتقد آخرون بأن كلمة (حشاشين) جاءت صفة للإسماعيلية لأنهم كانوا يتعاطون الحشيش المخدر(٦)، فضلاً عن تسميات أخرى اطلقت عليهم من قبل خصومهم: كالمحمرة، والملاحدة(٧).

كما اطلق عليهم أيضاً (الباطنية)، وذلك لانهم يقولون أنّ لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، واستباحوا لأنفسهم تأويل احكام الشريعة، فجعلوا لكل حكم من احكام الشريعة باطناً يتفق وأهدافهم، ولا يحيط به الا أهل العلم منهم(٨)، ولغله من المناسب هنا أن نؤكد عدم الربط بين مصطلحي الشيعة، والباطنية بمعنى أنه اذا كان الباطنية قد انحرفوا عن المذهب الشيعي فليس معنى ذلك أن كل شيعي باطني، وبعبارة اخرى اذا كان الباطنية قد تفرعوا عن الشيعة الا أنهم يمثلون جناحاً

أصناف، وهم السذج من الناس الذين قلت ابصارهم في امور الدين، وأصحاب العاهات من الذين يريدون الوصول الى المراكز بطرق غير شرعية، وأولئك الذين انقطعت الدولة عن أسلافهم بدولة الاسلام من المجوس والنصارى، كذلك جماعة الملاحدة، وأصحاب الملاهي، والفسوق وبعض الفلاسفة، من الذين وجدوا في رجال الحركة الاسماعيلية عوناً لهم وأنصاراً، وكان المجتمع الاسلامي من قبل قد نبذهم، أضف الى ذلك جماعة من المسلمين ممن انخدع بمذهبهم وحسبه أنه يمثل الحق(٢٣).

وقد اتبع الاسماعيلية أساليب دقيقة وجديدة في الدعوة الى مذهبهم اطلقوا عليها اسم (البلاغ الاكبر) يمر فيها الشخص المراد كسبه للدعوة قبل هي تسع مراتب واهمها: التغريب، والتانيس، ثم التشكيك، ثم الربط، واخيراً الخلع، ثم المسخ . نجمها بما يلي: كان الدعاة يبحثون عن الشخص الملائم حتى اذا ما اطمأنوا الى أنه أصبح يضع ثقته فيهم أظهروا له ما تناقض من امور عقيدته بعدما يخفون عقيدتهم هم، ثم بعد ذلك يجعلون الشخص يرتبط بهم ويقسم لهم القسم الغليظ بعدم اباحة الأسرار ليدخل أخيراً في دور المصارحة والتنظيم، بعدما يكون قد سلخ من عقيدته الاصلية(٢٤).

مما سبق يبدو واضحاً أن الحركة الاسماعيلية كانت كغيرها من الحركات الإرهابية التي حاولت التستر بالدين لتخفي واره أهدافها وتطلعاتها السياسية، فالدين بحكم ما له من سطوة على القلوب والنفوس صار في نظرهم أصلح حجاب يمكنهم أن يستتروا خلفه لتبرير جرائمهم ضد المجتمع، والتخطيط للتخلص من القوى التي يعتقدون أنها تشكل حاجزاً يحول بينهم وبين تطلعاتهم، وأهدافهم الهدامة، ومن تلك الأهداف تعطشهم للوصول الى السلطة، والتحكم في الثروات لنهب الأموال، وقطع الطرق، والهجوم على القوافل، وقتل الامنين من النساء، والشيوخ، والاطفال، وحالات الخطف، وغيرها من الاساليب التي حاولوا بها نشر الرعب بين الناس، لا رغامهم على الخضوع والاستسلام لنفوذهم(٢٥).

ويمكن القول أن نشاط الحشيشية في بلاد الشام قد اتخذ اتجاهين أولهما- وهو الاتجاه الرئيسي الذي استهدف مقاومة المذهب السني، واغتيال زعمائه، وقادته، ورموزه، وثانيهما - هو الاتجاه الفرعي الذي استهدف اغتيال بعض الزعماء الصليبيين وغيرهم ممن وجدو فيهم عائقاً أمام نشاطهم، وما عدا ذلك فانهم لم يتخرجوا من مخالفة الصليبيين حيناً أو مساعدة بعض زعماء السنة ضد خصومهم أحياناً مما جعل منهم عصابة من الارهابيين المأجورين يعملون لحساب هذا الجانب أو ذاك وفقاً لما تتطلبه مصالحهم أو لما يعود عليهم من كسب.

ومن الجدير بالذكر أن هناك ظاهرة تسترعي الانتباه ولا سبيل لانكارها، وهي أن معظم الحركات الارهابية التي برزت في تاريخ الدولة الاسلامية، ونخرت بنيانها في كثير من حلقات التاريخ كان مصدرها بلاد فارس، فمن هذه البلاد خرجت العديد من الحركات المتطرفة التي كانت تتمسح بالاسلام وتتخذ منه قناعاً تخفي وراءه اتجاهات هي ابعد ما تكون عن جوهر الاسلام، ربما لأن الفرس كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب حضارة عريقة صدموا لما حدث في صدر الاسلام من نجاح العرب المسلمين في فتح بلادهم، وكان الفرس قبل الاسلام يحقرون العرب ويقولون من شأنهم ولا يرون فيهم الا قبائل بدوية لا حضارة ولا جذور لها لذلك ظهر من بينهم الكثير من المتطرفيين الذين أخذوا يفسرون تعاليم الاسلام تفسيرات خاطئة تتفق وأهدافهم وظهت فرق ومذاهب ذات آراء بعيدة عن روح الاسلام، وفي هذا السياق يمكن القول أن حركة الحشاشيين تمثل امتداداً لتلك الحركات التي انبعثت من بلاد فارس، وانطلقت الى العديد من بلاد الشرق الأوسط لتلعب دوراً خطيراً في عصر الحروب الصليبية، حيث لم تتوقف عملياتهم الارهابية في اغتيال القادة، والأئمة، والعلماء من السنة، حيث قتل منهم جمع كثير(٢٦)، ولم يستسلم سلاطين السلاجقة أمام خطر الباطنية، واستمروا يواصلون جهودهم لمطاردة الارهابيين، والعمل لاستئصال شافتهم.

المبحث الثاني: المحاولات الإرهابية لإغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي:

تتخصر العلاقات السياسية بين صلاح الدين والاسماعيلية في نطاق فترة البحث (٥٧٠-٥٨٩هـ / ١١٧٤-١١٩٧م) بمجموعة أعمال تمثلت في محاولتين للقضاء على صلاح الدين سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥-١١٧٦م) أعقبها هجومه غير المتكامل على حصن مصياف الاسماعيلي سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م(٢٧)، والانتهاه بعقد صلح بين الطرفين انسحب بموجبه من حصار القلعة، وقد وردت روايات عن رسائل تهديد كان يرسلها الاسماعيليون الى صلاح الدين في تلك الفترة، ثم في عملية مقتل المركيس (كونراد) صاحب صور سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م وعلاقة صلاح الدين بمقتله(٢٨).

ومن الجدير بالذكر ان تاريخ الاسماعيلية في بلاد الشام هو تاريخ الاغتيالات التي قاموا بها ضد قادة ورموز السنة بصورة خاصة، فلم يقاتل الحشيشية عادة الاثني عشرية أو الشيعة الآخرين، ولم يديروا سكاكينهم ضد النصارى أو اليهود

المحليين (٢٩)، وهذا مما يدفع الى التساؤل عن حقيقة التعاون بين الاسماعيلية والصليبيين من جهة، وبينهم وبين اليهود من جهة ثانية.

ان اتهام الحشيشية بالتواطىء مع الصليبيين من قبل أعداء الحركة للطعن فيها الا أنّ الاغتيالات التي قاموا بها ضد رموز السنة وتعاونهم مع اليهود، ووجود بعض الأدلة التي تثبت تعاونهم مع الصليبيين في مراحل مختلفة لهي أدلة ترجح صحة تلك المهمة، ففي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م أرسل راشد الدين سنان - كما ذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري - وفداً الى امريك ملك بيت المقدس لعقد اتفاق بين الطرفين ضد نورالدين، ولوح له بأنه وقومه يفكرون بالتحول نحو النصرانية، وطلب منه مقابل ذلك الغاء الضريبة التي فرضها فرسان الداوية من الصليبيين على بعض القرى الصليبية، وقد استقبل امريك وفد الاسماعيلية بحفاوة بالغة، واکرام لأنه أدرك النتائج الايجابية التي ينطوي عليها ذلك الاتفاق (٣٠).

ولما عاد وفد الاسماعيلية من القدس سقط في كمين لفرسان الداوية دمّر على أثره مما أثار غضب امريك فبعث بكتاب توبيخ للجنة وطلب من مقدم الداوية سجنهم، كما أرسل الى سنان مُعتذراً وأعلمه أن الجنة نالوا عقابهم فدفع موقف ملك بيت المقدس الايجابي هذا الى بقاء العلاقات الطيبة بين الجانبين (٣١).

وبعد وفاة نورالدين محمود تجدد العهد المعقود بين الصليبيين، والاسماعيليين على مناهضة صلاح الدين، والقيام بانقلاب داخل القاهرة للاطاحة بالحكم الايوبي، واعادة الخلافة الفاطمية، وكانت الخطة المرسومة تقتضي ان يقوم اموري ملك بيت المقدس الصليبي، وامير صفلية بالهجوم على مصر، وفي الوقت الذي يتقدم صلاح الدين لصد الهجوم يتأمر الاسماعيلية في القاهرة ضد الحكم الايوبي، ويطيحون به (٣٢)، وقد اتفق الطرفان ان يكون موعد المؤامرة شهر نيسان ٥٦٩هـ / ١١٧٤م لانه الوقت الذي تكون فيه العساكر متباعدة في تواحي اقطاعاتهم، وعلى قرب من موسم غلاتهم، وانه لم يبق في القاهرة الا بعضهم (٣٣)، ولكن المؤامرة الاسماعيلية - الصليبية فشلت بسبب وفاة اموري ملك بيت المقدس وتأخر وصول الاسطول الحربي الصقلي بقيادة تانكرد حتى حزيران من السنة ذاتها، وخرج صلاح الدين منتصراً بعد سحق المؤامرة الثلاثية على حكمه في مصر (٣٤).

ويرى بعض المؤرخين أن نجاح صلاح الدين في توحيد الجبهة الاسلامية قد الى تخوف كل من الصليبيين الاستبارية، والحشيشية، فزاد ارتباطهم وتحالفهم للوقوف ضد صلاح الدين والامراء التابعين له، ويبدو واضحاً أن الحشيشية كانت تنشر دعوتها المتطرفة تحت حماية فرسان الاستبارية الذين أصبحوا حماة لها، وأن أولئك الذين اغتيلوا من الصليبيين على يد الحشاشين انما كانوا أعداء للاستباريين، وقد أيد البعض وجود مثل تلك العلاقة، وأن هناك اشارات واضحة لذلك كمحاولة الاسماعيلية قتل الامير الصليبي ريموند سنة ٦٠٨هـ / ١٢١٣م في كنيسة انطرووس مدفوعين من قبل الاستبارية، وكذلك مقتل بوهيمند الرابع الذي قتل بسبب الاختلافات التي كانت بينه وبين جماعة الاستبارية الذين استخدموا الاسماعيلية لقتله (٣٥).

كما تعاونت الحركة الحشيشية الاسماعيلية مع اليهود فقد كان راس الجالوت وهو زعيم الطائفة اليهودية في المشرق يحث اليهود سراً على التعاون مع الاسماعيلية، وقد أشار الرحالة بنيامين التطيلي الذي زار المنطقة سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م الى وجود حوالي أربعة الاف يهودي مع الحشيشية في بلاد الشام، ياتمرون بأمرهم، ومنهم علماء في الدين تابعين الى راس الجالوت (٣٦).

ومن الجدير بالذكر أنّ علاقة مماثلة كانت بين الحشيشية ويهود القدس علماً بأن كاتب الرسائل الاسماعيلية الموجهة الى ملك بيت المقدس الصليبي للاتفاق معه على القضاء على الحكم الايوبي في مصر سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م أثناء المؤامرة سابقة الذكر كان يهودياً (٣٧).

وقد وجد هؤلاء الاسماعيليون في صلاح الدين عدواً كبيراً لهم فقد قضى على دولتهم الفاطمية بمصر وتقدم الى الشام لتوحيده وضمه الى مصر، أضف الى ذلك أنه من القادة السنبيين، وبطل الجهاد الذي وهب نفسه لتخليص المسلمين من خطر الغزاة، وفي هذا ما يهدد الكيان الاسماعيلي في الشام تهديداً خطيراً لذلك تعاونوا مع الصليبيين، وبقايا الزنكيين لأجل القضاء عليه، غير أنّ محاولاتهم لم تفلح ففي شهر جمادى الاخرة سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م عندما كان صلاح الدين مُنهكاً في حصار حلب راسل سعدالدين كمشتكين - اتابك الملك الصالح بن نورالدين - راشد الدين سنان وبذل له أموالاً كثيرة، وعدداً من الضياع والقرى (٣٨) ثمناً لقتل صلاح الدين، فأرسل سنان جماعة من فداوييه الى المعسكر الايوبي، فلما وصلوا راهم امير اسمه خمارتكين فعرفهم لان بلاده قريباً من بعض حصونهم فقال لهم: "ما الذي اقدمكم وفي اي شيء جئتم؟" (٣٩)، وكيف تجاسترتم على الوصول وما خشيتكم" (٤٠) فهجموا عليه وقتلوه وحمل أحدهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه، وقاتل الباقيون من الاسماعيلية حتى قتلوا جميعاً بعد ان قتلوا جماعة من العسكر الايوبي (٤١).

وقد اعتبرت هذه العملية ناجحة بصورة عامة لأن صلاح الدين لم يتمكن من فتح حلب في تلك السنة على أقل تقدير، فالمحاولة كانت خطيرة لأنها كانت نفتاح العلاقة بين الجانبين في منطقة الشام، فقد أوضحت لصلاح الدين أن له أعداء حقيقيين من غير الزنكيين والصليبيين، وأنه يجب عليه أن يحسب لهم حساب.

وعلى الرغم مما قيل من تحريض كمشتكين لراشد الدين سنان غير أنه من المستبعد أن يكون ذلك التحريض هو المحرك الأساس الوحيد للقيام بتلك العملية لان سنان كان يعمل لأسباب خاصة به وهو أن صلاح الدين منذ أن دخل الشام أصبح العدو الرئيس للحركة الاسماعيلية لأنه كان يهدف الى اقامة وحدة السنين هناك، ومن الواضح ان اقامة مثل تلك الوحدة سيهدد كيان الحركة الاسماعيلية تهديداً خطيراً ، كما أن تحقيق الوحدة السياسية بين مصر والشام يهدد امارات الزنكيين، لذلك اصبح التقارب بين الامراء الزنكيين والاسماعيلية أمراً طبيعياً، لأن صلاح الدين أصبح بالنسبة لهما العدو المشترك، وعلى هذا الأساس قبل سنان مساعدات كمشتكين المادية الى جانب كسبه لتأييد امراء حلب الزنكيين في سبيل تنفيذ مهمة قتل صلاح الدين.

غير أن فشل هذه المحاولة دفعت بسنان - مقدم الاسماعيلية - الى التخطيط مجدداً للنيل من صلاح الدين فأرسل اليه في ٤ ذي القعدة سنة ٥٧١هـ - ٢٢ ايار سنة ١١٧٦م (٤٢) جماعة من أتباعه بزي الأجناد دخلوا بين العسكر الأيوبي، وباشروا الحرب معهم أثناء محاصرة قلعة عزاز - حصون حلب - وامتزجوا مع الجند الأيوبي انتظراً لفرصة مواتية يجهزون فيها على صلاح الدين فيقتلوه(٤٣)، وكانت هذه المحاولة أكثر خطراً من الأولى، وقد تهيئت لهم الفرصة عندما دخل صلاح الدين الى خيمة الأمير جولي الاسدي لتشجيع الجند على مواصلة القتال، وفي أثناء ذلك هجم عليه أحد الاسماعيلية، وضربه بسكينه على راسه (٤٤) ، ولكن صلاح الدين كان محترزاً على حياته قد اتخذ جملة احتياطات لحماية نفسه فكان: " لا ينزع الزردية عن بدنه، ولا صفائح الحديد من راسه"(٤٥)، وحين ذهبت الضربة الأولى هبأ ثنى الارهابي بضربه اخرى جرحت صلاح الدين في وجهه فخدشه وسال دمه، ولكن صلاح الدين أمسكه بقوة من يده، وجعله لا يقدر على الضرب بالكلية ثم أدركه أحد قادته الامير سيف الدين يازكوج وقتله، ثم هجم اسماعيلي آخر على صلاح الدين فاعترضه الامير داود بن منكلان وقتله، غير أنه اصيب بضربة سكين توفي على أثرها، ثم هجم ارهابي ثالث لتنفيذ المهمة غير أن الأمير علي ابو الفوارس عانقه، ولم يطلق سراحه حتى طعنه ناصر الدين محمد بن شيركوه بسيفه وقتله وخرج آخر من الخيمة مُنهزماً فلحقه الجند وقتلوه .

لقد أذهلت المحاولة الثانية القادة والجند في معسكر صلاح الدين، كما وانها تركت أثراً واضحاً في نفسية صلاح الدين، وقد توقف القتال في ذلك اليوم كله بسبب الحادث، واستعرض جنده، واخرج منه كل جندي انكره أو لم يعرفه، كما اتخذ احتياطات جديدة وشديدة لحماية نفسه من أية محاولة غادرة قد يقوم بها الحشيشية، وضرب حول خيمته " على مثال خشب الخركرة"(٤٦)تأزيراً وأوثقه تحجيراً، وجلس في بيت الخشب، وبرز للناس كالمحتجب"(٤٧) بسبب خطورة وسرية العمليات الارهابية للحشيشية التي استطاعت ان تتغلغل داخل معسكره دون أن يكشف امرها، وقد هذه تركت الهجمة صدى بالغاً الأثر في نفوس الجند الأيوبي، فقد توقف القتال بسببها ذلك اليوم ، وهاج الناس واضطرب الجند حتى خاف بعضهم من بعض فالجات الحال الى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر ، ولم تثن تلك المحاولة من عزم السلطان، ومواصلته بحصار قلعة عزاز الحصينة نحو ثمانية وثلاثين يوماً حتى تم له اقتحامها بكرة الاربعاء ١١ ذي الحجة من سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م ، ولما فرغ منها سار الى حلب لمحاصرتها لأن من فيها من الامراء كانوا أحد اسباب هذه المحاولة الغادرة(٤٨).

ويمكن القول أن ما تحقق من انتصار في قلعة عزاز هو دليل على حنكة صلاح الدين، وصبره، فعلى الرغم من تعرضه لمحاولة الاغتيال الا أنه واصل حصار القلعة حتى أخذها، وكانت شجاعته محل اشادة ابن الاثير رغم كرهه له وانحيازه للزنكيين(٤٩).

المبحث الثالث:مواجهة السلطان صلاح الدين للحركة الاسماعيلية :

لقد حتمت اعتداءات الباطنية السافرة المتكررة على السلطان صلاح الدين الأيوبي أن يسرع بالرد عليها حيث قرر في ٢٠ محرم من سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م البدء بمهاجمة حصون الحشيشية في بلاد الشام على امتداد جبال لبنان بقصد تخريبها، وحاصر بعضها، ونصب عليها المجانيق(٥٠)، كما تمكن من اقتحام بعض قلاعهم مثل حصن الكهف، والقدموس، والعليقة(٥١)، ولكن استعصى عليه حصن مصياف على الساحل الشامي قرب مدينة طرابلس(٥٢)، ورد أحياناً في المصادر باسم مصيات أو مصياب(٥٣)، وكان من أمنع الحصون،لذلك اتخذ زعيم الحشيشية راشد بن سنان مركزاً لاقامته منذ أن استولى عليه سنة ٥٣٥هـ/١١٤١م (٥٤)، وذكر أبو شامة المقدسي أن صلاح الدين قرر الانسحاب عن

حصن مصياف بعد اسبوع من الحصار، ويبدو أن المبادرة من أجل إيقاف القتال قد جاءت من راشد بن سنان بعد ان استشعر الخطر الكبير على وجوده، وقد لعب خاله شهاب الدين الحارمي الذي كان أميراً على حماة المجاورة لبعض حصون الحشيشية دوراً في التوسط بين السلطان صلاح الدين وزعيم الحشيشية من أجل رفع الحصار ، وانهاء حالة الحرب بينهما(٥٥).

وتختلف الروايات فيما حدث، ولماذا انسحب صلاح الدين منها قبل أن يتم فتحها؟، وتروي بعض المصادر الاسماعيلية روايات خيالية مفادها أن صلاح الدين انسحب من مصياف خوفاً من سنان، وحفاظاً على حياته مما رآه وسمعه من الخوارق التي كان يقوم بها سنان ضده، ومن الروايات التي قيلت أن صلاح الدين راسل سنان، وطلب منه التسليم فأجابه سنان بالرفض، وذكر استعدادة لمحاربتة، وفي الليلة نفسها أرسل اليه سنان أحد فدائييه فتمكن من دخول خيمة صلاح الدين، ووضع له عند راسه أشعاراً تنطوي على بعض التهديد، ومن أمثلة الأشعار التي أرسلها سنان الى صلاح الدين ما قيل:

قام الحمام على البازي يهدده وكشرت لاسود الغاب اصبعه

انا منحنك عمراكي تعيش به ان رضيت والاسوف ننزعه (٥٦)

وفي الليلة التي أعقبها ضرب صلاح الدين حول خيمته نطاقاً من الحراس، وأمر بنشر الطحين حوالها، وفي الصباح وجد صلاح الدين سليماً، وقد بدّل محل مصايح خيمته، علماً بأن أحد من الحراس لم يشاهد أي زائر من البشر يدخل الى الخيمة، فاستولى على الجند الرعب لا سيما وقد هبطت اليهم رسالة بواسطة سهم من مصياف جاء فيها: " الا فاعلموا أننا نروح ونغدو كما كنا في السابق ولن تعوقونا بحال من الأحوال" (٥٧).

وقد نقل المؤرخ الانكليزي روزيلت bousebaul عدداً من الروايات الاسماعيلية حول سبب مغادرة صلاح الدين مصاييف نذكر منها ما يلي: حاصر صلاح الدين سنان مع اثنين من مساعديه وعندما أراد التقدم اليهم ببعض امرائه للقبض عليهم وجدوا أنفسهم غير قادرين على التقدم لقد سيطرت عليهم قوة مخدرة جردتهم من قدرتهم، وقد انزعج صلاح الدين مما حصل، واعتقد أنّ هناك قوة خفية تعمل لصالح عدوه لذلك طلب مصالحة سنان وكسب جانبه.

اذن يرى الاسماعيلية أن الخوارق التي كان يعملها سنان والتهديدات التي كان يرسلها لصلاح الدين هي التي عملت على فشل حصار مصياف، والحقيقة أنّ هذه الروايات ضعيفة، فبالإضافة الى عدم وجود ما يسندها تاريخياً وعقلياً فإن الاسماعيلية حاولت اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، ولم تفلح في مسعاها ولو صح أنها تمكنت منه – كما قالت هذه الروايات لقتله(٥٨).

أمّا الرواية الثانية فتقول أن عساكر صلاح الدين لما قتلت الاسماعيلية، وخربت ديارهم شفع فيهم خاله شهاب الدين - صاحب حماة- إذ كان راشد الدين سنان قد راسله في ذلك لأنه جيرانه، فقبل صلاح الدين شفاعته خاله فيهم وترك حصار مصياف(٥٩) خاصة وأنه رأى من بعض امرائه " ميلاً الى الانكفاء"(٦٠)، وقد أشار ابن الأثير الى الرواية الثانية غير أنه ذكر أنّ راشد الدين سنان لم يرسل شهاب الدين ويطلب منه التوسط لدى صلاح الدين بالكف عن حصار مصياف من باب الترجي أو التوسل انما قال له: " ان لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين وامرائه"، ويضيف ابن الأثير الى ذلك بأن العسكر الصلاحي مل من طول الانتظار لعدم التمكن من فتح مصياف، وكانت أيديهم مملوءة بالغنائم التي كسبوها من عسكر الموصل وبلد الاسماعيلية فطلبوا العودة الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم صلاح الدين وسار هو الى مصر(٦١).

والواقع أن فشل حصار مصياف لم يكن لتهديدات سنان لصلاح الدين، ولخاله شهاب الدين فحسب إنما كان خوفاً من هجوم الصليبيين على بلاد المسلمين، ورغبة في عدم استنزاف المزيد من الوقت، ففي الوقت الذي كان فيه صلاح الدين محاصراً للبلد أغار الصليبيون على بعض البقاع فخرج اليهم شمس الدين محمد بن عبدالمك ابن المقدم – متولي بعلبك – فقتل منهم جماعة وأسر أكثر من مائتين واحضروهم عند صلاح الدين على مصياف فخاف أن يهيج الصليبيون في الشام الأعلى وهو بعيد عنهم فصالح سنان وعاد الى دمشق(٦٢).

ومما يدل على صحة هذا الرأي ما ذكره العماد الاصفهاني في البرق الشامي بقوله: " لولا هذا الحادث لم يصرف عنها الأحداث" (٦٣) اي لولا هجوم الصليبيين – سابق الذكر – لم ينصرف صلاح الدين من الحصار، مما يعني أن السلطان صلاح الدين كان راعياً عندئذ في توجيه كل طاقته ضد خصومه الصليبيين لذلك أخذ بنصيحة خاله شهاب الدين الحارمي، وتخلّى عن الاستمرار في حصار مصياف .

وقد وقع ابن الأثير في أخطاء حيث ذكر اشارات تدل على وجود تعاون بين صلاح الدين والاسماعيلية وأنه استخدمهم لاغتيال أعدائه من الصليبيين ففي ١٣ ربيع الاخر سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م قتل المركيس (كونراد) أمير مدينة صور(٦٤)،

والحقيقة أن صلاح الدين لم يكن له أية علاقة بقتل الاسماعيلية للمركيس لأن العملية كانت مدبرة بين راشد الدين سنان، وريتشارد قلب الأسد ومما يدل على ذلك أن المركيس كان قد عقد مع صلاح الدين معاهدة أظهر له فيها الطاعة من أجل التصدي لريتشارد الذي عاداه ورجب بالانفراد بزعامة الصليبيين في الساحل الشامي دونه(٦٥)، وكان صلاح الدين من جهته يرغب بالاتفاق مع المركيس، ومن مصلحته أيضاً أن يبقى المركيس حياً لتستمر المعاهدة بين الجانبين من أجل اضعاف قوى الصليبيين في الشام عن طريق اثاره النزاع بين المركيس وريتشارد، وقد دل ذلك العماد الاصفهاني بقوله: " ولم يعجبنا قتله وأن كان من طواغيت الضلالة لأنه كان عدو ملك الانكليز ومنازعه"(٦٦).

ولا شك أن اتفاق صلاح الدين مع المركيس كان يشكل تهديداً لمصالح ريتشارد في الشام لذلك لا تسعد الكثير من المصادر حصول اتفاق بين ريتشارد وزعيم الحشيشية لتصفية المركيس، لا سيما وأن الاسماعيلية كانوا من أنصار الاسبتارية، وكان المركيس من جماعة فرسان الداوية الصليبيين(٦٧).

على أية حال فإن الصلح تم بين الاسماعيلية وصلاح الدين، ولم توجد في المصادر التاريخية بعد هذه الفترة أية اشارة لهجوم الاسماعيلية عن صلاح الدين أو العكس، والذي يبدو ان صلاح الدين اتبع معهم سياسة حكيمة جعلتهم يقفون على الحياد ليتفرغ للصليبيين بعد أن قضى على الدولة الفاطمية. علماً بأن الاسماعيلية رغبوا في الصلح قبل صلاح الدين لفشل محاولاتهم المتكررة لاغتياله وعدم وجود قوة عسكرية اسماعيلية تتمكن من التصدي للقوات الأيوبية لذلك فضلوا وقوف صلاح الدين على الحياد على أن يكون عدواً مباشراً لهم، وكان صلاح الدين من جهته يرغب بمصالحتهم لحصانة قلاعهم وتهديدهم لحياته وامنه، ورغبته في التفرغ الى الجانب الأكثر خطورة على مستقبل سياسته ودولته، وكانت تلك الخطورة متمثلة في تفكك الامارات الزنكية، ورغبته بتوحيدها وضمها اليه أولاً والقضاء على قوى الصليبيين في الشام وتحرير القدس ثانياً .

الاستنتاجات

في نهاية هذا البحث، من المفيد أن نُجمل أهم ما تمخض فيها من نتائج ندونها في النقاط التالية:

من خلال المسار التاريخي لحركة (الحشاشين) تبين أنها تمثل في حقيقتها حركة اسماعيلية جديدة تفرعت عن الاسماعيلية التقليدية التي أقامت الدولة الفاطمية، وقد اطلق عليها تسميات مختلفة ك(الملاحدة)، و(الباطنية)، وذلك لإعتقادهم أن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، كما اطلق عليهم تسمية (الحشاشون) لكونهم كانوا يتعاطون الحشيش المخدر.

كالكثير من حركات التطرف المستترة بالدين كان بداية ظهور الحركة الحشيشية في بلاد فارس، ثم استطاعت أن تمد نفوذها ونشاطها الارهابي الى بلاد الشام منذ أواخر ٥٠٠هـ / ١١م مُستغلة انعدام الاستقرار السياسي، وغياب الوحدة السياسية، فضلاً عن الطبيعة الجغرافية المساعدة، ووجود المناطق الجبلية العصية التي ساعدتهم على التواجد والسيطرة على العديد من القلاع والحصون .

يمكن القول أن تاريخ الحشاشين الاسماعيلية في بلاد الشام اقتصر بالدرجة الأساس على العمليات الارهابية، والاغتيالات التي طالت المسلمين، لا سيما رموز وقادة السنة، مُستغلين كافة الوسائل من أجل مد نفوذهم وسيطرتهم على بلاد الشام مصر، ولم يتورع قادة الحشاشين مثل راشد الدين سنان من الدخول في تحالفات مشبوهة مع الكثير من القوى المعادية لمشروع الوحدة الاسلامية الذي تبناه بعض قادة المسلمين السنة كالسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي تعرض لمحاولتي اغتيال نجا منها باعجوبة .

أضعفت تحالفات الحشاشين مع بعض القوى الصليبية، فضلاً عن تعاونهم مع اليهود، وامراء الانفصال من بقايا الزنكيين آنذاك الجبهة الاسلامية كثيراً، مما شجّع الأعداء من الصليبيين للمضي قدماً في اعتداءاتهم على المسلمين في ظل تنسيقهم المستمر مع هذه الحركة الارهابية التي عملت من خلال تنظيماها السرية، وتسترها بالافكار الدينية المتطرفة، ولجؤها الى

العنف وعمليات الاغتيال على بث الرعب والفرع بين الناس، والعمل على تفتيت المجتمع الاسلامي، وكل ما يُمثله من قيم ومثل، وارث حضاري، وقد راح ضحية أعمالهم الوحشية عدد كبير من الأبرياء من القادة، والعلماء المسلمين.

حتمت اعتداءات الحشاشين المتكررة على السلطان صلاح الدين الأيوبي أن يسرع بالرد عليها حيث قرر مهاجمة الكثير مراكز وجودهم، وقلاعهم الحصينة في بلاد الشام، وقد تمكن من اقتحام الكثير منها، وكان على وشك تصفيتهم نهائياً بعد حصاره لقلعة (مصيف) التي كانت تمثل مركز اقامة زعيم الحركة راشد الدين سنان، لولا أنه قرر فك الحصار، والانسحاب بعد أن استجدت ظروف جديدة تمثلت هجوم الصليبيين على بعض البقاع الشامية لذلك قرر الانسحاب من مصيف بعد أن لقتهم درساً بليغاً لكي لا يستنزف المزيد من الوقت، والجهد ليتفرغ لهجوم الصليبيين، و " لولا هذا الحادث لم يصرف عنها الأحداث " كما قال العماد الاصفهاني، لذلك فإن الانسحاب من مصيف لم يكن يمثل فشلاً أو تخاذلاً من قبل السلطان صلاح الدين، وانما كان يمثل ضرورة بفعل المستجدات العسكرية آنذاك، وقد أثبتت الوقائع فيما بعد صحة اجراءاته العسكرية .

هوامش البحث والإحالات

(١) الارهاب: جاء من لفظ رهب، أي خاف. ومن هذا الجذر اشتق لفظ ارهب بمعنى اخاف، وارهاب بمعنى اثاره الخوف والفرع. جمال الدين محمد ابن منظور(ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، مادة(رهب)، دار صادر، بيروت ، د/ت، مج ١/ ص ٤٣٦. وقد شاع استخدام لفظ (الارهاب) في عصرنا الحديث وصار مصطلحاً لكل الحركات التي تسعى الى بث الخوف والرعب تحت تأثير التهديد بالقتل والاغتيال.

(٢) الحسن بن الصباح : هو الحسن بن علي بن محمد الحميري، ولد في قم وكان كوالده من الشيعة الاثني عشرية غير أنه وقع تحت تأثير أحد الدعاة الفاطمية، وتنفق على عدد من الدعاة الاسماعيليه، وفي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م جاء داعي ابن العطاش الى الري والتقى بالحسن الصباح ورجاه الذهاب الى القاهرة فذهب اليها بعد أن عمل كوكيل لابن عطاش في اصفهان لمدة سنتين. برنارد لويس، الدعوة الاسماعيليه الجديدة(الحشيشية)، ترجمة. سهيل زكار، بيروت، ١٩٧١ ، ص ٥٢ .

(٣) يبدأ تاريخ الاسماعيليه بوفاة الامام جعفر الصادق(ع) سنة ١٤٨هـ/ ٧٠٢م حيث انقسم اتباعه الى فرقتين: الأولى جعلت الامامة الى موسى الكاظم، فالائمة من نسله حتى الامام الثاني عشر - الامام الغائب- وهم المعروفون الاثني عشرية، والفرقة الثانية: جعلت الامامة الى اسماعيل بن جعفر الصادق، ثم الى ابنه محمد بن اسماعيل، فالائمة من ابناؤه هم المعروفون بالاسماعيليه، وتسلم الامامة بعد محمد بن اسماعيل ابناؤه، ومنهم (رضي الدين عبدالله) الذي خلف والده سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، وفي عهده انتقلت الدعوة الاسماعيليه من طور التأسيس الى طور العمل والظهور من أجل تأسيس دولة اسماعيلية قوية، وقد نصّ على ولده من بعده (عبدالله) الذي توجه الى المغرب، وأعلن الخلافة الفاطمية هناك، ثم انتقلت الى مصر سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م واستمر خلفاء الدولة الفاطمية حتى مجيء المستنصر الذي ازداد في عهده نفوذ الوزراء الفاطمين، فقد استأثر الوزير بدر الدين الجمالي بالسلطة في مصر، وغالى ابنه الافضل باغتصاب حقوق ولي العهد (نزار)، وقيل ان الامام المستنصر نصّ على امامة (نزار) من بعده الا ان الوزير الجمالي عين (المستعلي بالله) بدلاً عنه، لذلك غادر نزار القاهرة صحبة اتباعه، وتسبب ذلك في انقسام الدعوة الاسماعيليه، وقد عارض البعض البيعة (للمستعلي بالله)، واعلنوا ولائهم لامامة نزار، واولاده من بعده، وكان على راس هؤلاء (الحسن بن الصباح). للمزيد. ينظر: ابو العباس احمد بن علي القلقشندي(ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، القاهرة، ١٩٦٣، ج ١٣ / ٢٣٦، غالب مصطفى، تاريخ الدعوة الاسماعيليه، دمشق، ١٩٥٣، ص ١٨٢-١٨٣، برنارد لويس ، اصول الاسماعيليه ، ترجمة. خليل احمد جلو ورفيقه، القاهرة، د/ت، ص ٩٥- ٩٦ .

(٤) بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، القدس: ١٩٢٨، ص ٩٢ .

(٥) برنارد لويس، الدعوة الاسماعيليه الجديدة ، ص ١٢-١٣ .

(٦) دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ٥٧٠-٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٦، ص ٣٦٧ .

(٧) ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني(ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، القاهرة: ١٣٢٠هـ، ج ٢٩/٢

(٨) الشهرستاني، المصدر نفسه ، ج ٢/٢٩، احمد حميد الدين الكرمانى (من القرن ١١هـ/١١م)، راحة العقل ، تحقيق. مصطفى غالب، بيروت: ١٩٦٧، ص ٤٩.

(٩) قلعة الموت : قلعة حصينة تقع في سلسلة جبال اليز باقليم مازندان على بعد خمسين فرسخاً شمالي بحر قزوين. دائرة المعارف الاسلامية. قلها الى العربية. احمد الشنتناوي، القاهرة، ١٩٣٣، (مادة: حشاشين)، ٤٣٥/٧.

(١٠) محمد كامل حسين، طائفة الاسماعيلية ، تاريخها تنظيمها عقائدها، القاهرة، ١٩٥٩ ص ٦٣. دريد، ص ٣٧٠.

(١١) برنارد لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ١١٣-١١٤ ..

(١٢) برنارد لويس، المرجع نفسه، ص ١١٥.

(١٣) كان مودود رجلاً تقياً، مجاهداً، اغتاله الحشاشون بعد انتهاءه من صلاة الجمعة في شهر ربيع الاخر سنة ١١١٣/٥٠٧م، ينظر: ابو يعلى حمزة ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق. امدروز، القاهرة: ١٩٠٨، ص ١٨٧.

(١٤) ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(١٥) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص ٢١٥.

(١٦) عز الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن شداد (ت: ٦٨٤هـ / ١٣٠٦م) : الاعلاق الخطيرة بذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق. سامي الدهان ، دمشق: ١٩٦٢، ق ٢، ج ١٤١/٢.

(١٧) عز الدين ابي الحسين علي ابن الاثير(ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٦٦، ج ١٠ / ٦٥٧، عمادالدين اسماعيل ابو الفدا (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)، المختصر في اخبار البشر، بيروت، د/ت، المختصر في اخبار البشر، ج ٧/٥.

(١٨) راشد بن سنان: من أهالي عقر السودان قرية قرب البصرة ذهب الى حصن الموت، ولما ظهرت له نباهة وعقل سيره صاحب الموت الى حصون الشام لتزعم قيادة الاسماعيلية، وتوفي سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م . جمال الدين ابو المحاسن يوسف ابن تغري بردي(ت: ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٣٥، ج ٦/ ١١٧.

(١٩) يوسف ابراهيم الشيخ عيد الزاملي، اثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، ١٩٨٨، ص ٣٦-٣٧.

(٢٠) محمد عبدالفتاح عليان، قرامطة العراق، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٩.

(٢١) محمد الديلمي، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، استانبول، ١٩٣٨، ص ١٥.

(٢٢) (برنارد لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ٤٠.

(٢٣) الغزالي، فضائح الباطنية ، الدار القومية للطباعة والنشر(القاهرة: دت)، ص ٣٣-٣٦.

(٢٤) الديلمي، بيان مذهب الباطنية، ص ٥.

(٢٥) ابن الاثير، الكامل، ج ١١ / ٢٨٠، ٣٩٢، ٣١٤، ج ١٢ / ٢٩٧.

(٢٦) يوسف الزاملي، اثر الحركات الباطنية ، ص ١٨٣-٢٠٥.

(٢٧) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج ١ / ٢٦١.

(٢٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١١ / ٧٨-٧٩.

(٢٩) برنارد لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة، ص ١٥٣.

(٣٠) Eliseeff, Nikita ; Nur Ad-Din ١١١٨-١١٧٤, Tome ١١١ Damas , ١٩٦٧, ١١, p., ٦٨٨.

(٣١) Elisseeff, Nur Ad-din, ١١, p., ٦٨٨.

(٣٢) Elisseeff, Nur Ad-din, ١١, p., ٦٨٨.

(٣٣) شهاب الدين أبو محمد بن عبدالرحمن أبو شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، ١٢٨٨هـ، ج١/٢٢١.

(٣٤) بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد (ت: ٦٣٢هـ/١٢٥٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٤٧ وما بعدها.

(٣٥) حامد زيان غانم زيان الصراع السياسي والعسكري بين القوى الاسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٣، ص ٩٨.

(٣٦) الربيع بن يامين بن يونة التطيلي (ت: ٥٦٩هـ/١١٩١م)، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عن العبرية عزرا حداد، بغداد: ١٩٤٥، ص ١٥٣.

(٣٧) قوام الدين ابو الفتح علي بن محمد البنداري (ت: ٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، سنا البرق الشامي وهو مختصر لكتاب البرق الشامي للعماد الاصفهاني، تحقيق. رمضان ششن، بيروت، ١٩٧١، ج١/٨٢.

(٣٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١/٤١٩.

(٣٩) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج ١/٢٣٩.

(٤٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١/٤١٩.

(٤١) البنداري، سنا البرق الشامي، ج١/١٨١.

(٤٢) جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل الحموي (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني ايوب، تحقيق. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧، ج٢/٢٤.

(٤٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٥٢.

(٤٤) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١/٢٥٨.

(٤٥) ابو شامة، المصدر نفسه، ج١/٢٥٨.

(٤٦) الخركاه: لفظ فارسي معناه نوع من الخيم يتكون من قطع الخشب معقود بينها على شكل قبة، ويقال أنه أيضاً قبة تركية وتغطيها قطع من البلد. البنداري، سنا البرق، ج١/٢١١، ابن شداد، النوادر السلطانية ص٢٨، هامش (٣).

(٤٧) البنداري، سنا البرق، ج١/٢١٢.

(٤٨) ابو شامة، الروضتين، ج١/٢٥٨-٢٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢/٤٤-٤٥.

(٤٩) المنور عواد، صورة صلاح الدين في كتابات ابن الاثير الجزري، مجلة الدراسات الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثلجي بالاغواط، الجزائر، العدد (٥) س(٢٠١٤)، ص ٥٤٦.

(٥٠) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١/٢٦١.

(٥١) القلقشندي، صبح الاعشى ج ٤/١٤٦-١٤٧.

(٥٢) شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د/ت، ج ٥/١٤٤.

(٥٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١/١٣٦، عماد الدين ابن ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٥٧٧٤هـ/١٤٣٩م)، البداية والنهاية، القاهرة، ١٩٣٢، ج١٢/٢٩.

(٥٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٣٣، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١١/٣٩.

(٥٥) أبو شامة، الروضتين، ج ١/٢٦١.

(٥٦) عبدالحى الحنبلي ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مكتبة القدس، ١٣٥٠هـ، ج/٢٩٤-٢٩٥.

(٥٧) دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ص ٣٨٤.

(٥٨) المرجع نفسه، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٥٩) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١/٢٦١.

(٦٠) البنداري، سنا البرق الشامى، ج١/٢١٨.

(٦١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١/٤٣٦.

(٦٢) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١/٢٦١.

(٦٣) البنداري، سنا البرق، ج١/٢١٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢/٢٩٥.

(٦٤) كان سبب قتله- كما ذكر ابن الاثير ان صلاح الدين هو الذي راسل مقدم الاسماعيليه في الشام - راشد الدين سنان - وبذل له عشرة الاف دينار ثمناً لقتل ريتشارد فلم يمكنه قتله ولم ير سنان مصلحة له في ذلك فعدل عنه الى قتل الماركيس فأرسل اليه اثنين في زي الرهبان الى صور مكثاً في خدمته سنة أشهر حتى تمكنا منه وقتلاه، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١١/٧٨-٧٩، يوسف الزامل، اثر الحركات الباطنية، ص ٦٧ - ٦٨.

(٦٥) عمادالدين بن عبدالله محمد الاصفهاني(ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)،الفتح القسي في الفتح القدسي، ليدن: ١٨٨٧، ص ٣٩٨.

(٦٦) الاصفهاني، المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٦٧) رجحت غالبية المصادر تبرئة صلاح الدين من الاشتراك في عملية قتل الماركيس هي: الاصفهاني، الفتح القسي، ص٤٢٠-٤٢١، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٠٨، ابو شامة، الروضتين، ج٢/١٩٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢/٣٨٢. أما الروايتان التي اتهمت صلاح الدين بتدبير العملية فهي رواية ابن الاثير الذي كان يكره صلاح الدين. ينظر: الكامل، ج١١/٧٨-٧٩.

الارهاب

أسبابه وطرق الوقاية منه

أ.د. طه فريح صالح

أ.م.د. اسراء كريم عبدالله

الجامعة العراقية – كلية التربية للبنات الجامعة العراقية – كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

ان الامة اليوم تعيش اوضاعاً مأساوية لم تشهدها من قبل حيث تسيطر الجماعات الارهابية على ارض واسعة وتشن حروب لا أول لها ولا آخر تستنزف الأمة أموالاً وارواحاً وفتح الباب على مصراعيه لتدخلات اجنبية لا أول لها ولا آخر .

واستقواء البعض على البعض الآخر ونزاعات مختلفة الأهداف والاسباب وانتشار السلاح وكثرة الهرج والم-رج ، فوضى لا حدود لها ، وقد صدق من قال في هذا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادو

ونحن اليوم امام كل هذه التحديات بحاجة الى اعادة النظر في كل ما يدور حولنا وما يحدث من أحداث جسام من كل هذه الاسباب كان اختيارنا لهذا الموضوع (الارهاب أسبابه وطرق الوقاية منه) ليساهم ولو بشكل بسيط في تنبيه الناس الى مخاطر هذه الآفة ووجوب مكافحتها والسبل اللازمة للوقاية منها .

مشكلة الدراسة

لا بد لكل بحث أو دراسة ان تكون مبنية على مشكلة محدودة تريد هذه الدراسة معالجتها وايجاد الحلول المناسبة لها من خلال البحث والدراسة .

ومشكلة هذه الدراسة هي ما تعانيه الامة اليوم من مشاكل جسيمة لعل اهم اسبابها هو التطرف والغلو الذي اصبح منهجاً لبعض المسلمين او مدعي الاسلام .

اذ ليس هناك من مشكلة اليوم هي اعظم خطراً على الامة والافراد من هذا التحول الفكري الذي يتبناه البعض ويروج له ويحاول جذب الشباب اليه ، وخاصة ممن لديهم ظروف معينة تساهم بشكل أو بآخر في انخراطهم مع هذه التيارات الضارة التي لم تجلب للأمة عموماً وللأفراد خصوصاً الا الويل والثبور .

أسئلة الدراسة

إن لكل دراسة لابد أن تحاول الإجابة على بعض الأسئلة التي تثيرها الدراسة أو يثيرها الباحث ، وقد حاول الباحثان الإجابة على الأسئلة التالية :

ماذا يعني الارهاب؟ ، وما هو مفهومه إسلامياً ودولياً .

ما موقف الإسلام من الارهاب ؟ .

هل استعمل القرآن الكريم كلمة الارهاب في مفهومنا الحاضر أو لمعنى آخر؟

ما الأسباب المباشرة لبروز ظاهرة الارهاب ونموها ؟

ما هي السبل للوقاية منه ؟

ما أهم الأفكار التي تحتاج إلى مراجعة وتصحيح كي نساهم في محاربة الارهاب ونبذه ؟ .

اهداف الدراسة

لابد لكل دراسة من اهداف تريد الوصول اليها من خلال البحث ، وهكذا هو الحال لهذه الدراسة اذ وضع الباحثان نصب اعينهم بعض الاهداف التي يريدون الوصول اليها من خلال هذه الدراسة ، وهي كما يأتي :

اهمية الوصول الى تعريف واضح للإرهاب ، جامع مانع لكل اشكاله وانواعه .

بيان وتوضيح موقف الاسلام من الارهاب .

الوقوف على الاسباب التي تؤدي الى ظهور الارهاب ونموه وانتشاره .

محاولة توضيح بعض المفاهيم التي غالبا ما يدور الكلام عنها وتثار الشبه حولها ، وبيان الموقف والفهم الصحيح لها من خلال القرآن والسنة النبوية المطهرة .

وضع الحلول المناسبة لمعالجة ظاهرة الارهاب وكيفية محاربتة فكريا وعقليا.

الدراسات السابقة

كتب الكثيرون عن الارهاب مفهوماً واسباباً وطرق معالجة ، وسأذكر بعض الدراسات على سبيل المثال ، لا الحصر :

الارهاب وطرق مكافحته ، د. عبد الرحيم بن حمادي ، وتناول البحث تعريف الارهاب لغة واصطلاحاً ، واحصائيات عن مخلفات الارهاب ، والارهاب والنظام العالمي، والأصولية ، والفرق بين الجهاد والشهادة والارهاب ، واسباب ظاهرة الارهاب ، وسبل معالجة الارهاب .

ظاهرة الارهاب ، التشخيص والحلول، د. محمد بن حمود الهدلاء ، تناول البحث تعريف الارهاب وانواع الارهاب (الارهاب الفردي والجماعي) واسباب الارهاب ، وسبل مكافحة الارهاب ، واستخدام وسائل الاعلام ، والتعاون بين المواطن والاجهزة الامنية .

الارهاب اسبابه ، وآثاره ، والوقاية منه ، يحيى بن موسى الزهراني ، تناول البحث : تعريف الارهاب ، واسباب الارهاب ، وآثار الارهاب ، وسبل الوقاية من الارهاب .

الارهاب ، المفهوم والاسباب وسبل العلاج ، محمد الهواري ، تناول البحث : تعريف الارهاب ، وورد كلمة الرهبة واشتقاقاتها في القرآن ، واصناف الارهاب ، والاسباب والدوافع الى التطرف ومنها : الاسباب الاقتصادية ، وغياب العدالة الاجتماعية ، والظروف السياسية ، وتطبيق دائرة الشورى والديمقراطية ، وازمة التعليم ومؤسساته ، والفراغ الفكري ، والتشدد والغلو في الدين ، وسياسة الهيمنة الاجنبية .

الارهاب ، مفهومه واسبابه ، وتوصيات للحد منه ، سوسن شاكركر مجيد ، تناول البحث تعريف الارهاب لغة واصطلاحاً ، والارهاب في القوانين الوضعية ، واسباب الارهاب ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتوصيات التي من شأنها التي تحد من ظاهرة الارهاب .

منهج الدراسة :

لقد اتبع الباحثان المنهج النظري الوصفي ، حيث اعتمدنا على توصيف الحال على الواقع المشاهد ثم حاولنا معالجته من خلال القرآن والسنة ، بعد عرض الحالة وتحليلها والوقوف على مشكلاتها .

خطة البحث :

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يقسم الى خمسة مباحث مع مقدمة وخاتمة :

المبحث الأول : تعريف الارهاب لغة واصطلاحاً، وكان فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : تعريف الارهاب لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : تعريف الارهاب في القانون الغربي

قال تعالى : **ج و و و ي ي ج** (١) يعني تخيفون به عدوا الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب : **ج و و و ي ي ج** .
نا **ج** (٢) أي فارس والروم (٣)، كل أعدائكم سيكون الخوف ديدنهم لو علموا فيكم القوة والمنعة .

وهنا لا يمكن لعاقل ان يقول بان في هذه الآية دلالة على الارهاب ، لأن القرآن لم يأمر بالاعتداء على احد ثم ان اعداد القوة لمواجهة جيش العدو ولم يأمر القرآن بان توجه هذه القوة إلى الامنيين من المدنيين في كل بقاع الارض وعلى هذا فان من حق كل دولة ، وهذا ما يعترف به القانون الدولي من امتلاك الاسلحة التي تعينها على مواجهة اي اعتداء محتمل ، وليس القرآن وحده من يقول بهذا ومن تشبث بهذه الآية لاتهام المسلمين بالارهاب فانه ليس فيها دليل على ذلك والامر باعداد القوة لمواجهة الاعداء امر متعارف عليها بين شعوب المعمورة كلها ن بل ان الغرب اليوم يعمل بهذا النص حيث يمتلكون ترسانة قوية من الاسلحة يجعل من يفكر في غزوهم اعادة حساباته ألف مرة قبل القدوم على ذلك وما جعل الغرب اليوم يعيش في امان الا قوته العسكرية التي يمتلكها ويقابل هذا الضعف قوة الدول الاسلامية ولهذا استباحت من قبل جيوش الغرب.

المطلب الثاني : وصف المنافقين بالخوف من المسلمين اكثر من الله .

قال تعالى : **ج و و و ي ي ج** (٤) والمعنى (انكم انتم ايها المسلمون اشد خوفاً ورهبة في صدور المنافقين واليهود من رهبة الله فيهم يخافون منكم اكثر من خوفهم من الله بسبب انهم قوة لا يعلمون قدر عظمة الله حتى يخشوه تمام الخشية ولو فقهو لعلموا ان الله تعالى احق بالرهبة منه دونكم) (٥).

وهنا ليس في الآية دليل على أن المؤمنين هم من اخاف المنافقين ، بل ان المنافقين هم اشد خوفاً من المؤمنين من الله ، أي انهم يخافونهم ولا يخافون الله وما هذا الا بسبب نفاقهم وكفرهم وبعدهم عن التصديق بكتاب الله وما جاء به رسول الله ، ولو انهم صدقوا لكان خوفهم من الله أعظم ، وعلى هذا فليس في الآية دليل على ان الاسلام يحث على العنف والارهاب أو يأمر به. والله اعلم.

(١) سورة الانفال : آية ٦ .

(٢) سورة الانفال : آية ٦ .

(٣) ينظر: الجامع لاحكام القرآن : ٣٠/٨ .

(٤) سورة الحشر ١٣ .

(٥) الوسطية : ٢٦٢٨/٣ .

المبحث الثالث

رأي الاسلام في الارهاب

المطلب الأول: التطرف وأثره في تشويه سمعة وصورة الاسلام

لعل الغلو والتطرف في الدين ووضع الامور في غير وضعها هو امر اجتمعت الامة منذ زمن الخلفاء الراشدين والى يومنا هذا على نبذه وان فاعله خارج عن الملة ولهذا سميت هذه الطائفة بالخوارج،(وهم قوم من أهل الاهواء لهم مقالة واحدة ... وسموا بهذا لخروجهم على الامام أو عن الناس أو عن الدين أو عن الحق)(١).

قال ابن حجر(اما الخوارج فهم جمع خارجة ، أي طائفة ، وهم قوم يبتدعون سمو بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين)(٢) .

يقول عنهم ابن عمر ؓ وقد كان يراهم شرار الخلق، قال : (أنهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكافرين فجعلوها على المؤمنين)(٣) ، وقد روي عن النبي ﷺ قال فيهم (يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم الى صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية) (٤)، وقد اتفق اهل العلم على ان الخوارج الذين يكفرون بالذنب ويستحلون دماء المسلمين واموالهم الا من خرج معهم فهؤلاء اتفق على قتالهم ودفعهم وقطع شأفتهم ، وقد أكد النبي ﷺ ان حملة العلم هم وسطاء الناس وعقلائهم وشأن هؤلاء انهم يدفعون عن هذا الدين غلو الغالين وتطرف المتطرفين حيث قال ﷺ (يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)(٥)

فهؤلاء عدول الأمة وحملة العلم ودورهم في الحياة نفي التطرف والغلو عن هذا الدين (إن هذا الدين متين فأوغلوه فيه برفقاً)(٦).

وقوله ﷺ (أن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)(٧)، ثم امر الله سبحانه وتعالى الى المجادلة بالحسنى : ج ه ع ع ع ك ج (٨)

كل هذا وسواها من الادلة اعرض عنها بعض من كان التطرف ديئنه وركوب العنف سبيله ومنهجها فكان من شأنهم انهم ضلوا وأضلوا ودمروا الحرث والنسل وافسدوا في الارض بعد اصلاحها ، اخذوا العلم من بطون الكتب ولووا اعناق النصوص وكفروا اهل العلم فضلا عن عوام الناس واستحلوا دمائهم.

وكان من اثر هذا التطرف فوق ما فعله انه شوه صورة الاسلام حيث استغل اعداء الاسلام هذا المنهج ليركزوا عليه اعلامهم وليظهروا الصببية الخارجيين على ان الاسلام هو هؤلاء وما يفعلون فكانت ردة فعل عكسية حيث عزف الكثير عن منهج الاسلام ليتبنى منهجاً اخر وقل عدد الداخلين في الاسلام بعد ان كان في ازدياد مستمر وقد تعاون مع هؤلاء بالدعم والارشاد اعداء الاسلام فهينوا لهم كل متطلباتهم المادية وسخروهم لخدمة اغراضهم ومنها تشوية صورة الاسلام من خلال الدماء وينتهكون الحرمات وكل هذا والاسلام والمسلمين الاصلاح براء منه ، وعلينا وعلى الامة بعلماءها واعلامها وقادتها الوقوف بوجه هؤلاء الصببية الذين شوهوا الاسلام وابرز صورة الاسلام الناصعة التي حكمت العالم لقرون عم فيها العدل والانصاف وازدهرت فيها الحضارة وكان دولة الاسلام رائدة في العالم في العلم والتقدم.

المطلب الثاني : عقوبة الارهابيين في الاسلام :

(١) تاج العروس للزبيدي: ٣٠/٢.

(٢) فتح الباري : ٢٨٣/١٢.

(٣) المصدر نفسه : ٣٥٠/١٢.

(٤) اخرجه مسلم ٧٤٣/٢، فتح الباري : ٣٥٠/١٢.

(٥) مسند الشاميين : ٣٤٤/١.

(٦) مسند الامام أحمد بن حنبل : ١٩٨/٣.

(٧) سنن البيهقي الكبرى : ١٨/٣.

(٨) سورة النحل ١٢٥.

أما الصنف الثالث من الارهابيين الذي يطلق عليهم هذا الوصف فهم بعض المسلمين المتطرفين الذين لديهم نزاعات طائفية تطرفية ، ولعل بعضاً من هؤلاء قد وقع عليهم حكم أما من قبل دولهم أو مجتمعاتهم ، فالسجون والمعتقلات في البلاد الاسلامية اصبحت مدرسة لتخريج الارهابيين وذلك عن طريق :

الأول : ما يتعرض له كثير من الناس من ظلم وتعذيب واذى يؤدي بالنتيجة الى ان يتحول هذا الشخص الى انسان عدائي يضر الشر وتثور لديه نوازع الانتقام .

فان لم يستطع الانتقام ممن آذاه سيوجه ذلك الى عموم الناس ظنا منه انه بذلك يشفي ما في نفسه من مرض .

الثاني : ان بعض هذه المعتقلات اصبحت ملاذاً امنياً لينشر منه الارهابيون افكارهم في الدين الذي يعيشون فيه ، فالكثير من الناس دخلوا السجون ظلماً وان لم يكن لهم هذه النزعات وخاصة في زمن الاحتلال الامريكي ثم خرجوا بعد سنوات من معتقلات الامريكان وهم يحملون افكاراً مريضة ونزعات ارهابية خبيثة وطبعاً كل ذلك كان يجري امام انظار الامريكان ورعايتهم .

ولذا نعتقد أن من سبل مواجهة الارهاب والقضاء عليه لا يكون الا بالقضاء على اسبابه ومنها الظلم الذي يقع على بعض شرائح المجتمع .

قال تعالى : **جَاءَ كَيْفَ كَذَّبُوا وَوُؤُوا وَوُؤُوا** (١)

فلا بد من العدل لانه به تستقر الحياة ويعيش الناس آمنين على انفسهم واموالهم واعراضهم .

وقد حرم الله الظلم وجعله محرماً بين الناس فقال تعالى في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه : ((يا عبدي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) (٢)

ويقول ﷺ : ((اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة)) (٣)

نخلص الى نتيجة مفادها أنه لا يمكن القضاء على ظاهرة الارهاب الا من خلال القضاء على اسبابها ولعل من اهم الاسباب المباشرة وجود هذه الظاهرة هو ما يتعرض له بعض الناس من ظلم واذى يدفعهم الى سلوك طريق مرفوض شرعاً و عرفاً وقانوناً للوصول الى غاياتهم في الانتقام ممن ظلمهم .

فمهما كان من اسباب فالامر مرفوض والغاية لا تبرر الوسيلة ... ولذا يجب الاحتكام الى صوت العقل والشرع وعدم الجروح الى مخططات الاخرين وافكارهم . والله أعلم .

المطلب الثاني : اقامة العدل بين الناس

ايقاف الظلم امر مهم في محاربة الارهاب ، لكن ايقاف الظلم وحده لا يكفي مالم يتبعه امر اخر وهو اقامة العدل ، واقامة العدل معنى كبير لا حدود له ، إذ ان رد الحق الى صاحبه وتعويض المتضررين من جراء ما وقع عليهم من ظلم امر مهم ليشعر هؤلاء الناس بان هناك من يرد لهم حقوقهم ويعوضهم عما فقدوا وتعرضوا له مادياً ومعنوياً فيزيل هذا الامر من نفوس وعقول هؤلاء امراض الانتقام ورد الاعتبار الذي يعلو نفوس الكثيرين منهم .

كما ان شعور الكثير من الناس بالتهميش والاقصاء وعدم المشاركة في بناء الدولة وحرمان الكثير منهم من الوظائف والاشغال العامة .

كل هذه الامور تبعث في نفوس البعض الحقد والعداء لمن خرجت من يده هذه الاشياء او كان سبباً فيها .

وقد يكون ذلك سبباً الى ان يدفع بهم الى حمل السلاح من اجل استرداد حقوقهم وجعلهم عرضة بتخطفهم اصحاب الافكار المنحرفة ليخرجوا بهم عن جادة الصواب الى طرق غير مشروعة وغير مرضية تؤدي بالنتيجة الى نتائج كارثية على الجميع ، فلم يكن صاحب الافكار المتطرفة وحدهم المتضرر بل سيتضرر الجميع ولا ينجو احد من نتائج ذلك وهذا ما حصل ويحصل الان في بلاد المسلمين .

(١) سورة المائدة: ٨

(٢) صحيح مسلم : ١٩٩٤/٤ ، رقم الحديث (٢٥٧٧)

(٣) صحيح مسلم : ١٩٩٦/٤ ، رقم الحديث (٢٥٧٨)

فالعدل لا يعني ان يوقف الظلم فقط بل يعني ان ترد للناس حقوقهم وان يعيش الناس في بلادهم لا فرق بين اسود أو ابيض ولا بين قومية وقومية ولا بين دين واخر ، فالجميع سواسية لكل منهم واجبات وله حقوق، وعلى ولاة الامر ان يراعوا ذلك وينتبهوا الى هذا الفلتريق بين الناس على اسس دينية او عرقية ستخلق العدا والتطرف وتجعل المجتمع والبلد يعيش ازمان لا نهاية لها .

ولذا قال النبي ﷺ (يا ابا هريرة عدل ساعة افضل من عبادة ستين سنة وقيام ليلها وصيام نهارها) (١)

وقوله ﷺ " سبعة يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام مقسط ورجل لقينته امرأة ذات جمال ومنصب فعرضت نفسها عليه فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجل تعلم القرآن في صغره فهو يتلوه في كبره ورجل تصدق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله، ورجل ذكر الله في برية ففاضت عيناه خشية من الله عز وجل، ورجل لقي رجلاً فقال: إني أحبك في الله فقال: له الرجل وأنا أحبك في الله " (٢)

وقديماً قالوا : دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة .

ولهذا نقول اذا اردنا ان نقضي على الارهاب فلا بد ان نحارب اسبابه ولعل من اهم هذه الاسباب اقامة العدل بين الناس في كل شيء حتى يمكننا ان نبني مجتمعاً سليماً من الآفات والامراض بعيداً عن العنف والارهاب . والله أعلم .

المطلب الثالث : التخلف والامية

لعل من أهم اسباب ظهور الارهاب هو التخلف والامية التي يعيشها كثير من الناس والمجتمعات ولعل الناظر الى حال هؤلاء الارهابيين يجد انهم يتصفون بصفات كثيرة منها التخلف والجهل والامية .

إذ لا يحسن كثير منهم القراءة والكتابة أو أنه سمع أو قرأ بعض الكتب وهو لا يعرف شيئاً فيأول النصوص ويفهم الامور على غير مقاصدها فيضل ويضل ، ولذا قالوا من أخذ العلم من بطون الكتب فقد ضل واضل .

كما أن هؤلاء الناس الذين يتصفون بالامية والجهل يسهل اقناعهم وقيادتهم من قبل اصحاب الافكار المنحرفة والضالة .

ولعل الناظر الى اتباع هذه المناهج الارهابية المنحرفة تجدهم من بسطاء الناس قليل ما نجد فيهم متعلماً ومن كان كذلك فان الدافع له كان احد الاسباب الاخرى لوجود الارهاب .

وهنا يظهر الواجب جلياً على علماء الامة اولا وقادتها ثانياً ان فالعلماء هم من يتصدى لهذه الافكار بنشر الوسطية العدل وتنفيذ المزامع الضالة والافكار المنحرفة والوقوف بوجه هؤلاء وبيان شرهم وضلالهم للناس ، وتحذيرهم منهم ومناقشتهم ورد ما يستدل به هؤلاء حتى ندفع الشبهة عن الاسلام اولاً ونمنع انتشار هذه الافكار ثانياً.

ولذا قال النبي ﷺ واصفاً لهؤلاء العلماء (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالبيين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهليين) (٣)

ان في هذا الحديث الشريف العلاج النافع لهذه الظاهرة حيث حدد النبي ﷺ هو العلم بانهم عدول الناس وإن واجبهم يكون في ثلاثة أمور

إن من واجب العلماء انهم ينفون عن العلم ويدفعون عنه تحريف الغالبيين المتشدديين الذين يأخذون بأجزاء الآيات والاحاديث للاستدلال على اقوالهم .

كما انهم يدفعون عن العلم والدين انتحال المبطلين الذين ينتحلون الادلة ليأتوا بأفكار باطلة خارجة عن الدين ، وهؤلاء يحاولون ايضا لوي اعناق الادلة للاستدلال على آرائهم وغالبا ما يعتمدون الفلسفة طريفاً الى ذلك .

ثم ان واجب العلماء انهم يقفون بوجه الجهلة الذين لا علم لهم ، حيث يأول هؤلاء النصوص من غير علم فيضلون الناس بغير علمه . وهنا يبرز واجب العلماء في صد هؤلاء والوقوف بوجه تأويلاتهم التي لا تستند الى علم أو دليل .

(١) ضعيف الترغيب والترهيب للالباني : ٧٠/٢ رقم الحديث (١٣١٨)

(٢) صحيح البخاري : ١٣٣/١ رقم الحديث (٦٦٠)

(٣) السنن الكبرى للبيهقي : ٣٥٣/١٠ رقم الحديث (٢٠٩١١)

اما الواجب الثاني فيتعلق بالحكام وولاية الامر إذ انهم المسؤولون عن توفير فرص التعليم لجميع الناس وجعل التعليم الزامياً على الجميع وان يكون هناك اهتمام كبير بالعلم والتربية ويكون من أولوياتهم .

ولنا في اليابان وسنغافورة المثل الشاهد على اهتمام الدولة بالعلم وما وصل اليها حيث تعد هذه البلدان من اول البلدان علماً وثقافةً وصناعةً وتقدماً في كل شيء .. وعندما سئل امبراطور اليابان عن سر النهضة بعد الحرب العالمية الثانية قال : (اعطينا للمعلم راتب وزير وهيبة ضابط وسلطة قاضي) (١) ولما سئل رئيس سنغافورة عن سر تقدمهم قال : جعلنا الاهتمام بالتعليم اولاً وقدمناه على كل شيء حتى الجيش.(٢)

ولعلنا اذا عدنا الى القرآن وجدنا أن اول آية نزلت في القرآن الكريم تحت على العلم حيث قال تعالى : **چ چ چ چ چ** (٣)

فقدم العلم والقراءة على كل شيء حتى العبادة لاهمية ذلك . والله أعلم .

(١) www.Alarab.co.uk

(٢) [mubasher . Aljazeera.net](http://mubasher.Aljazeera.net)

(٣) سورة العلق ، آية ١

المطلب الرابع : مكافحة الفقر ويجاد فرص عمل

لعل من الاسباب المهمة وراء ظهور الارهاب وانتشاره هو الفقر ، الذي تعيشه بعض الشرائح وعدم وجود فرص عمل في المقابل .

نجد أن هؤلاء الارهابيين لديهم الامكانيات المادية العالية حيث يقدقون على من يعمل معهم بالمال والسلاح والراحلة وهذا ما يفسر لنا سبب اقبال كثير من الشباب اليهم .

فالفرق سبب مهم من الاسباب التي تدفع صاحبه الى سلوك طرق وعرة لبلوغ غايته بالحصول على المال والغذاء له ولأولاده .

فاذا انقطعت به الاسباب للحصول على لقمة العيش فان جميع السبل تصبح مفتوحة امامه بغض النظر عن شرعيتها ام لا .

وهنا يجب على الدولة ان تراعي هذا الامر وان توفر لقمة العيش وفرص العمل وهذا من أولى اولوياتها ، حيث قال ﷺ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) .(١)

فالسultan راع وهو مسؤول عن رعيته ، ولهذا كان عمر ﷺ يقول (والله لو أن بغلة في ارض الشام عثرت لخفت ان يحاسبني الله عليها لم لم تعبد لها الطريق يا عمر) (٢).

فبالعمل وتوفير لقمة العيش نكون قد فوتنا الفرصة على دعاة الارهاب للوصول الى غاياتهم واستقطاب الشباب معهم .

اذ الجميع مشغول بعمله وليس لديه وقت لان يسمع لهؤلاء ، فضلاً عن اتباعهم والعمل معهم .

المبحث الخامس

الفهم الصحيح لبعض المبادئ خطوة في طريق الاصلاح

المطلب الاول : الاعتدال في العلم والعبادة

لعل المتأمل لهذا العنوان لاول وهلة يتسائل وهل هناك فهم خاطئ وممارسات خاطئة في العلم والعبادة ، ونحن نقول ان كل عمل يبدأ بفكرة وفهم ثم يتحول الى ممارسة وعمل ثم انتشار واعلام وهذا ما يؤدي بالنتيجة الى انتشار الفكرة وقبولها بين جمهور من الناس .

وهنا نريد ان نبرز اهمية ان يكون المتعلم والمعلم على السواء معتدلاً في فهمه ومعتدلاً في ممارسته وعمله .

ولعل الانحراف في الفهم للعلم والعمل والعبادة قد يؤدي إلى ممارسات خاطئة تؤدي بالنتيجة الى اعمال خاطئة تؤدي بالنهاية الى خروج صاحبها عن جادة الطريق الصحيح وتجعل صاحبها يدخل خاتمة الارهاب وما يلحق به من ممارسات

ان اي تصحيح للمفاهيم يبدأ من نظرتنا الى المعلم الأول والقائد الاكرم نبينا ﷺ وكيف عالج هذا الفهم الخاطئ من قبل بعض الصحابة ، ولذا فنحن اليوم بحاجة الى العودة الى منهج النبي ﷺ واقواله وافعاله الدالة على الوسطية والاعتدال في كل شيء ، من ذلك في باب العلم قوله ﷺ ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالبيين وتأويل الجاهليين وانتحال المبطلين))(٣)

ولعل هذا الحديث الشريف يبين لنا كيف ان النبي ﷺ حدد مهمة العالم العدل في نفسه والعدل في تصرفاته وهي في حدود الحديث الشريف تكمن في محاربة ومجابهة ثلاثة اصناف من الناس وكان النبي ﷺ ينظر الى الامة الآن فيشاهد الامراض ويضع لها الدواء الشافي لما تعانيه من امراض.

(١) صحيح البخاري : ٢٦/٧ رقم الحديث (٥١٨٨)

(٢) محض الصواب : ٦٢١/٢ .

(٣) سبق تخريجه

هذه المهمة الشاقة للعلماء يحددها الحديث الشريف في معالجة اصناف من الناس يكونون سبباً في اضلال الناس ودخولهم في متهات لا أول لها ولا آخر ، وتتلخص هذه المهام بالتالي:

تحريف الغالبيين : وهؤلاء هم المتطرفون الذين يحاولون توظيف بعض النصوص أو جزء من هذه النصوص من اجل اهدافهم ومآربهم وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك (ان هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين احداً الا غلبه ، فسدوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)(١) وقوله (ان هذا الدين لمتين ، فاوغل فيه برفق ، ولا تُبغض الي نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا ارضا قطع ، لا ظهر ابقي)(٢)

وكل هذه الاحاديث تدم التطرف وتحاربه وتحاول اعادة الناس الى طريق الوسطية والاعتدال .

تأويل الجاهلين : ولعل هذه الصفة ايضاً من الصفات التي تلازم المتطرفين والمتشددين اليوم حيث نجد اغلب هؤلاء هم ممن يجهل ببسط الامور ، بل الكثير منهم من فشل في دراسته وحياته فلجا الى هذا الطريق اعتقاداً منه ان ذلك يعوضه النقص الكبير الذي يشعر به .

ليبدأ هؤلاء بتأويل النصوص تأويلاً جاهلاً لجهل صاحبه باللغة والقرآن والحديث ، كما ان كثير من هؤلاء من قرأ بعض الكتيبات من غير ان يكون له معلم أو شيخ يرجع له ، ليبدأ فهم النصوص وتأويلها كما يعتقد ويريد ، وقد جاء في الأثر (من أخذ العلم من بطون الكتب فقد ظل واصل)

لذا الواجب على من يريد العلم أن ياخذ من العلماء العاملين وان لا يجعل من نفسه عالماً ياخذ من الكتب ليبدء بالتظير والافتاء من غير علم او بصيره.

انتحال المبطلين : هذا صنف اخر من الناس من أهل الباطل يحاولون تحريف الدين والآيات بأمر جديدة ما انزل الله بها من سلطان وهؤلاء صنف من الناس قد يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ليبدءو بنشر افكار ضالة منحرفة لتشويه الدين واخراج الناس عن الطريق الصواب الذي اراده الله ورضيه لنبيه والمسلمين ﷺ (من) (٣).

اما الجانب الثاني فهو جانب العبادة عندما يحاول بعض الناس اعتقاداً منه انه يجوز له ان يعبد كما يشاء وكيف يشاء ظناً منه ان ذلك انما يكون في جانب مرضاة الله تعالى ، وهذا الامر ظهر قديماً في حياة النبي ﷺ وعالجه علاجاً حكيماً ، فقد ورد في الأثر ان بعض اصحاب النبي ﷺ جاءوا الى بيته ﷺ يتساءلون عن عبادته ، فلما علموا عبادته وهو الذي يغفر الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر استحضروا اعمالهم الى اعماله وعبادتهم الى عبادته فقال احدهم : أما أنا فاقوم ولا انام ، وقال الآخر : اصوم ولا افطر ، وقال الآخر : انا ساعزل النساء ، فسمع النبي ﷺ بخبرهم فارتقى المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم ذكر ما سمع ثم قال : (أما أنا فاصلي وأنام وأصوم وافطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٤) .

يظهر من خلال هذا الحديث كيف ان النبي ﷺ عالجه ما كان يميل اليه الله البعض ظناً منه انه يعمل الخير ، وجعل الوسطية والاعتدال في العبادة سنة من سنن النبي ﷺ ، وان من يحيد عن هذا سيخرج عن منهج النبي ﷺ ودينه ، فالعبادة لا تعني الكثير والزيادة بل تعني الاتباع والافتداء ، لذا كان يقول ﷺ (صلوا كما رايتموني اصلي)(٥) ، ويقول : (خذوا عني مناسككم)(٦)، فلا اجتهاد في معرض النص . والله أعلم.

المطلب الثاني : مفهوم الردة والتكفير

ان مما اشكل على الكثيرين اليوم هو قضية الحكم على الناس بالكفر والردة ، فاصبح هؤلاء القوم يسلكون اقصر الطرق لقتال الناس وانتهاك حرمتهم وذلك عن طريق الحكم عليهم بالردة والكفر ، فالموظف في الدولة مرتد عندهم ومن يعمل في سلك الشرطة أو الجيش مرتد ايضاً ومن يعمل في حزب معين أو إطار ما كل هؤلاء مرتدين ، والردة توجب الكفر ، والكفر يوجب القتال ، وأن يستحل ماله وعرضه ودمه ، وهذه الافكار ضالة ليس لها في الدين من اصل ، بل اصول الاسلام وتعاليمه تقول غير ذلك وتخالف وتعارض كل هذه الافكار ، يقول النبي ﷺ (امرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله

(١) سنن البيهقي : ١٨/٣ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي : ٢٧/٣ ، رقم الحديث (٤٧٤٣)

(٣) سورة المائدة ، جزء من الآية ٣ .

(٤) صحيح البخاري : ٢/٧ ، رقم الحديث (٥٠٦٣) ، وصحيح مسلم : ١٠٢٠/٢ ، رقم الحديث (١٤٠١).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي : ٤٨٦/٢ ، رقم الحديث (٣٨٥٦)

(٦) السنن الكبرى للبيهقي : ١٢٥/٥ ، رقم الحديث (٩٧٩٦)

إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة ، فأن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) (١)

في هذا الحديث دلالة واضحة وصريحة بعدم جواز تكفير كل من ينطق بالشهادة ويؤدي اركان الاسلام فليس من مهمتنا محاسبة الناس على ما يبطنون ، بل على ما يظهر من اقوال وافعال.. والحساب على الاخلاص والنوايا من خصائص الله عزوجل .

فلا يجوز لاحد ان ينصب نفسه نائبا عن الله يحاسب الناس على ما يبطنون ، ولهذا كان النبي ﷺ يعامل المنافقون على ما يظهر من الشهادة لا على ما يبطنون من الكفر والنفاق ، وليس هناك أوضح من قول النبي ﷺ لعبدالله بن عبدالمطلب وكان ابوه رأس النفاق عندما قال : لأن رجعتا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، ويقصد انه العزيز ورسول الله الدليل حاشاه من ذلك ، فوصل الامر الى ولده وكان من خيار الصحابة بأن رسول الله يريد قتل والده لتلك المقولة ، فجاء الى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله انت كنت امرا احداً بقتل والدي فمرني انا اقتله ، فقال ﷺ (بل نحسن صحبته ما دام فينا)(٢).

وكان ﷺ يمنع اصحابه من قتال وقتل المنافقين (حتى لا يقول الناس أن محمد يقتل اصحابه)(٣).

فكان ﷺ حريصاً على ان يكون المجتمع خال من التكفير والحقد والضغينة ولان لا ينشب قتال بين ابناء المجتمع الواحد ، بل ذهب الى اكثر من ذلك حيث كان يعفوا عمن يحصل منه خطأ غير مقصود وهو يعلم خلاف ذلك .

من هذا ما حصل مع حاطب بن ابي بلتعة عندما بعث برسالة الى قريش يخبرهم بقدم النبي ﷺ بجيشه لفتح مكة فانزل الله جبريل (عليه السلام) ليخبر النبي ﷺ بالخبر فارسل النبي ﷺ علي بن ابي طالب معه بعض الصحابة ليلحقوا بالمرأة التي كانت تحمل الكتاب فلما عادوا بالكتاب فاذا به من حاطب بن ابي بلتعة الى قريش ، فارسل رسول الله الى حاطب فقال رسول الله والله أن ايماني بالله لم يتزعزع واني اعلم ان الله ناصرك وان هذا لن يغني عن قريش شيئا وكلهم عنده من يرعى له اهله وماله الا انا فارتدت ان تكون لي يد عند قريش ، قال بعض الصحابة يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقد نافق(٤)، لكن رسول الله ﷺ عفا عنه.

فانزل الله قوله : ﴿ تَتَذَكَّرُ فَتَنْقُصُ فَتُفَوَّقُ فَاذْكُرْهُ ﴾ (٥)

فوصفه الله بالايمن ولم يصفه بالكفر والنفاق ، وهكذا ينبغي أن نعامل الناس بالحسنى ونعفو حتى لا تنشأ مجتمعات تملئه الاحقاد والكرهية ، ولا تتور فيه ثائرة العصبية والجهل واخذ الثأر والقتل لاتفه الاسباب .

بل ان النبي ﷺ عفى عن اهل مكة الذين قاتلوه واخرجوه فلما فتح مكة قال لهم (ما تظنون اني فاعل بكم ، قالوا أخ كريم أو ابن اخ كريم ، قال : اذهبوا فانتم الطلقاء) (٦).

المطلب الثالث: مفهوم النصر والقتال

إن من المفاهيم الشائعة بين شريحة الشباب وقد فهمت فهماً خاطئاً وانبنى على هذا الفهم مشاكل كثيرة لا عد لها ولا حصر بل ليس على مستوى الشباب فقط بل أصبح هذا الامر على مستوى العلماء والطوائف والدول والساسة الفهم الخاطئ لحديث النبي ﷺ (انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً) (٧)

فاكتفى الجميع بهذا الشطر من الحديث وفهموه وفسروه حسب ما تملبه عليهم افكارهم وتطلعاتهم وتوجهاتهم الاثنية والطائفية ، فاصبح الشباب ينتصر بعضهم لبعض والطوائف تنتصر بعضها لبعض متجاوزة الحدود والبلدان وكذا البلدان تتخالف وتتمدد وتنتصر على خلفياتها الدينية والاثنية والعرقية ، وهذا ما اوقع الامة في مشاكل طائفية لا حدود لها ، فشرد

(١) صحيح البخاري : ١٤/١ ، رقم الحديث (٢٥)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٢٩٣/٣ .

(٣) صحيح البخاري : ١٥٤/٦ ، رقم الحديث (٤٩٠٥)

(٤) صحيح البخاري : ٥٩/٤ ، رقم الحديث (٣٠٠٧) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٩٨/٢ .

(٥) سورة الانفال : ٢٧ .

(٦) السنن الكبرى للبيهقي : ١٩٩/٩ رقم الحديث (١٨٢٧٦)

(٧) صحيح البخاري : ٢٢/٩ رقم الحديث (٦٩٥٢)

الانسان ودمر البنيان وكثر الهرج والمرج وضاعت البوصلة واختل الميزان واصبح الكيل على اساس الدين والطائفة والمذهب .

ولو أن الجميع وقفوا عند الحديث بتمامه و عرفوا معناه ومفهومه وكماله لما حصل ما حصل .

(قالوا يارسول الله نصره مظلوما فكيف نصره ظالماً فقال بان تبيينوا له الحق) فذلك نصرتك لأخيك

إذاً ننصره مظلوماً عندما نقف معه لرد الظلم عنه ومساعدته ودعمه مادياً وعسكرياً ، لكن نصره ظالماً نحتاج منا الى وقفة ، فلا يجوز نصره الظالم إلا بحدود ما بينه الحديث عندما نبين له الحق ونمنعه من ظلم الآخرين ونأخذ على يده لمنعه من التمادي لظلمه ، اما ان نقف معه في كل احواله فهذا الذي لا يجوز اطلاقاً وعلينا اعادة النظر في هذا كله .

ثم لا بد من الوقوف عند قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ كَانَ كَيْسُ كُفْرُ الْوَيْلِ وَالْوَيْلِ وَالْوَيْلِ ﴾ (١)

وهذا هو الفصل في تحديد بعض المفاهيم :

أولاً : إن الله وصف كلا المتقاتلين بالايمن عندما قال (طائفتان من المؤمنين) فلم يسلب احدهما وصف الايمان ولم يحكم بالكفر على احدهما او كلاهما .

ثانياً: واجب الامة وباقي الاقوام الاصلاح بين المتقاتلين وعدم الخوض في نزاع على اساس مذهبي او طائفي نصره لمن يجتمع معه بالمذهب والطائفة .

ثالثاً: فان لم يستجب احد الاطراف لمساعي الاصلاح واستمر في تعنته وتعديه فعلى باقي الامة الوقوف مع المظلوم او الطرف الثاني الذي قبل بالصلح والسلم ضد الطرف الباغي.

وهنا لا بد لنا ان نعي ان قضية القتال في سبيل الله لا تكون لاجل القتال فقط بل لا يكون القتال واجباً الا لرد الصائد عندما يهاجم الدولة أو الامة عدواً خارجي فيكون الدفاع عنها واجب وهو فرض عين .

وعند البغي من احد الاطراف المؤمنة المتقاتلة كما حددته الآية او لنشر الاسلام في بقاع الارض وهنا لا بد من شروط ، لذا يجب ان يراعي الناس المفاهيم الصحيحة في كل عمل وان ينظر الى ذلك من جوانبه وان يكون العمل قد استكمل شروطه واركانه وينبني على جلب المصالح ودرء المفاسد عن الاسلام واهله اما اذا كانت المفاسد اكبر فعلياً ان نتوقف عند ذلك مليئاً . والله اعلم .

المطلب الرابع : مفهومي الحوار والدعوة

من المفاهيم التي يجب على المسلم الوقوف عندها ومراجعتها مفاهيم الدعوة الى الله والحوار مع الآخر ، إذ أجد ان هناك تلازماً وارتباطاً بين هذين المفهومين فمتى يكون المسلم داعياً الى الله عليه ان يعرف آليات الحوار واهدافه وكيف يكون الحوار بناءً بعيداً عن العصبية والقبيلة ليصل بالمحاورين الى نتائج ايجابية .

اننا عندما نشاهد ونسمع كثير من المحاورين اليوم لا تسمه منهم ولا نرى الا الشتائم والسباب والالتهام الباطل وتخوين البعض للبعض الاخر ومحاولة فرض الفكرة التي يرددها بمنطق علو الصوت والصراخ ... وهذا منهج خاطئ وفهم مجانب للصواب لا يصل بالنتيجة الا الى زيادة في الاحقاد وبث الكراهية في قلوب الناس وزيادة استجلاب الانصار من منطق التعصب الطائفي والاثني . ولذا نجد ان رسول الله في غزوة من الغزوات اختلف غلام من الانصار مع غلام من المهاجرين حتى وصلا الى الاقتتال فصاح الانصاري بالانصار وصاح المهاجر بالمهاجرين ، فتجمع الناس من كلا الطرفين فسمع النبي ﷺ بالخبر فخرج مسرعاً ومداركاً الموضوع ومهداً الناس قائل لهم (دعوها فانها ننتة) (٢) اي دعو العصبية القبلية فانها ننتة لا تحمل في طياتها الا الضغائن والمشاكل والفتن ، فلا بد لكلا المتحاورين ايا كان توجههم وانتماهم ان يجعلوا نصب عينهم الناس الذين يتبعونهم فلا يثيرونهم بكلماتهم ولا يبعثون فيهم روح العصبية ولا يأججون في نفوسهم الخلافات والمشاكل بل عليهم ان يكونوا سبباً في المودة والاحترام المتبادل بينهم.

(١) سورة الحجرات ، آية ٩

(٢) صحيح البخاري : ١٥٤/٦ ، رقم الحديث (٤٩٠٥)

ففي الايمان عن هؤلاء رغم صلاتهم وصيامهم لانهم لم يحفظوا لسانهم وتجاوزا على الناس بكلامهم ولسانهم. نخلص الى ان الاختلاف والخصومة لا ينبغي ان تكون بابا لاخذ الحقوق او اتهام الناس لتثويهم سمعتهم او الاعتداء عليهم ، بل لابد ان يكون حال الجميع قول القائل (الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية) وهكذا ينبغي على الجميع ان يكونوا وخلاف ذلك يعني الخروج من دين الاسلام الى غيره من الاديان والمعتقدات . والله اعلم .

الخاتمة

بعد هذه العجالة مع مفهوم الارهاب وطرق الوقاية منه نخلص الى الآتي:

لا بد من الاتفاق على مفهوم واحد للارهاب ليشمل الجميع ولا يستثنى منه احد.

ان اتهام الاسلام بالارهاب امر مجاف للصواب فليس هناك من صلة بين الارهاب والاسلام ، وان كان البعض قد ينتمي الى الاسلام .

إن جذور الارهاب قد بدأت في الغرب اولاً فهم الذين قتلوا ملايين البشر في الحرب العالمية الاولى والثانية وهم من القوا القنابل النووية على اليابان ، وهم من قتلوا ملايين البشر من الهنود الحمر ، وهم من اقاموا قبلنا محاكم التمييز لقتل المسلمين بالجملة في اسبانيا ، وهم من قتلوا الالف المسلمين في البوسنة والهرسك، وهم من احتلوا بلاد المسلمين لمرات عديدة.

لا بد من تجفيف منابع الارهاب من خلال القضاء على اسبابه .

لا بد من توعية الامة وشبابها الى بعض المفاهيم لأجل القضاء على الارهاب فكرياً.

الاعتدال وعدم التطرف هو سمة المسلمين على مر العصور .

ان الارهاب اصبح اليوم بابا من ابواب الاحتلال لدولنا العربية من قبل الاستعمار الغربي فاصبح الارهاب حجة لاستعمار البلاد.

التوصيات :

توظيف وسائل الاتصال الحديثة من اجل تجفيف منابع الارهاب .

تفعيل المؤسسات التربوية والدينية من اجل تنوير الشباب الى مخاطر الارهاب.

معالجة كل الاسباب التي تؤدي الى التطرف والارهاب.

الدعوة الى مؤتمر اسلامي عربي من اجل توحيد الموقف وتعريف الارهاب ومحاربه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الادب المفرد ، محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الاسلامية - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ.

الارهاب الدولي والنظام العالمي الراهن ، د. أمل اليازجي ، ود.محمد عزيز شكري ، دار الفكر .

الارهاب وارهاب الدولة الامريكية ، شاكور محمود السيادي .

الأم: للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن أدريس بن العباس القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.

تاج العروس للزبيدي من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المطبعة الاميرية القاهرة ١٣٠٤هـ .

الجامع لاحكام القرآن :أبو عبد الله القرطبي ، دار الفكر بيروت ، دار الكتب المصرية ، مكتبة الايمان ، ط٢ ، ١٩٣٥ .

زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، تحقيق: شعيب وعبد القادر الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ .
السنن الكبرى للبيهقي ، احمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ت ١٩٩٤ م.

السياسة الشرعية لابن تيمية ، دار الكتاب العربي .

السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري ، ابو محمد ، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ) تحقيق : مصطفى السقا و ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة ، ط٢ ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

صحيح البخاري: لمحمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ ، ١٤٢٢ هـ.

صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت
ضعيف الترغيب والترهيب : محمد ناصر الدين الالباني (ت ١٤٢٠ هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي.

القاموس المحيط، للفيروزآبادي أبي طاهر مجد الدين محمد الشيرازي (ت ٨١٧ هـ) بيروت، الرسالة.

لسان العرب: تأليف محمد بن مكرم بن منظور الانصاري (ت ٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ

المبسوط: محمد بن أحمد شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٢ هـ) دار المعرفة، بيروت ١٤١٤ هـ .

مجل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

محض الصواب في فضائل امير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي ، جمال الدين ، ابن المبرد الحنبلي (ت ٩٠٩ هـ) تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

مسند الامام أحمد بن حنبل ، احمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة القاهرة ، الاحاديث مزيلة باحكام شعيب الارنؤوط عليها .

مسند الشاميين ، سليمان بن احمد بن ايوب ابو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

مصنف ابن ابي شيبة ، ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) تحقيق : محمد عوامة .

المغني: تأليف أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٣٠ هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

الموقع الالكتروني

ZM۲pq۶U۴jVb۲۸۳GZkCPNukjeyb۲YZ۲u۱۹

الفهرس

المؤسسات الأكاديمية حصنٌ منيعٌ لمواجهة التطرف والإرهاب

د. عاطف خلف العيادة

الأردن/ الطفيلة/ assal_atef@yahoo.com

من المعلوم لدينا أنّ الإرهاب عملٌ خارجٌ عن إطار الإنسانيّة، ومعادلةٌ مغايرةٌ لمنطق الأمن الذي وهبهُ الله لعباده عندما استخلفهم لعمارة الأرض، وقد أصبح الإرهاب يشكّل تحدّيًا فكريًا وأمنيًا في المنطقة العربيّة والإسلاميّة من العالم، ويستدعي بذلك تضامر الجهود من جميع المؤسسات وعلى رأسها المؤسسات الأكاديميّة التي تعتبرُ مناراتٍ للفكر، وحاديّةً لركب التقدّم العلميّ، ونشر الوعي الثقافيّ في أوساط النشء والشباب كقناةٍ مستهدفةٍ.

وانطلاقًا من هذا الفهم سأقفُ في دراستي هذه الموسومة (بالمؤسسات الأكاديميّة حصنٌ منيعٌ لمواجهة التطرف والإرهاب) على أدوار المؤسسات الأكاديميّة بدءًا من رياض الأطفال، وانتهاءً بالجامعات والمعاهد التي لم يعد دورها مقتصرًا على منح الشهادات العلميّة، فهي تُعدُّ بالإضافة لدورها الرياديّ في ترسيخ قواعد العلوم بشتّى أنواعها خطّ الدفاع الأوّل في الوقوف أمام تيارات التطرف والإرهاب، من خلال عملها المنظم والمبرمج والمحدّد بأهداف واضحة، في سبيل نشر الوعي، ودفع عجلة التقدّم للأمام مع المحافظة على النسيج الاجتماعيّ، انطلاقًا من مرتكزات الدين الإسلاميّ، والعقيدة الصّحيحة.

الكلمات الدالّة: المؤسسات الأكاديميّة، التطرف، الإرهاب.

Abstract

Academic institutions are a bulwark against extremism and terrorism

Atef Khalaf Al-Ayyeda

Jordan / Tafila / assal_atef@yahoo.com

Terrorism has become an intellectual and security challenge in the Arab and Islamic region of the world. This calls for the concerted efforts of all institutions, especially the academic institutions that They are beacon of thought, one-stop for scientific progress, and the dissemination of cultural awareness among young people as a target group.

Based on this understanding, I will be standing in the studies of these academic institutions as a bastion of the waves of extremism on the roles of academic institutions ranging from kindergartens to universities and institutes whose role is no longer limited to the granting of scientific degrees. In addition to its pioneering role in establishing science bases It is the first line of defense to stand up to the currents of extremism and terrorism, through its organized, programmed and clearly defined activities, to promote awareness, advance progress and maintain The social fabric, from the foundations of the Islamic religion, the right doctrine.

Keywords: academic institutions, extremism, terrorism.

المؤسسات الأكاديمية حصن منيع

لمواجهة التطرف والإرهاب

توطئة:

لقد أضحت الإرهاب ظاهرة عالمية مقلقة لجميع المجتمعات الإنسانية؛ لما له من أضرار على البشرية جمعاء، وعلى المكتسبات الحضارية للدول في جميع المجالات، فلا يوجد دولة من الدول على وجه البسيطة لم تتعرض لعدوان إرهابي نال من حياة أفراد مجتمعاتها، ولم ترق أيدي العابثين والمخربين والقتلة والمجرمين دماء الأبرياء من الناس، ولم تلحق بها الضرر النفسي والمادي، ولم تخلخل منظومة الأمن لديها، للدرجة التي لم يعد الناس يأمنون على حياتهم في ظل وجود أيادي الغدر المتسلسلة من فجوات الظلام، فـ"ظاهرة الإرهاب من أخطر الظواهر التي أثرت بشكل سلبي على واقع المجتمعات في العالم، خاصة في جانبها الإنساني" (١).

وقد تحول الإرهاب إلى صفة الجريمة، وأصبح ظاهرة عالمية ترتبط بجماعات سياسية أو دينية، أفرزتها الأفكار المتطرفة، وقد شهدت السنوات السابقة تصاعداً واضحاً في العمليات الإرهابية التي استهدفت كثيراً من الدول، وأدت إلى وقوع الآلاف من الضحايا والأبرياء الذين لا ذنب لهم، ومن هنا " يرى الكثير من الكتاب والمفكرين والسياسيين أن التاريخ السابق يمثل علامة فارقة في تاريخ الإرهاب لم يقتصر على الدول الغربية فقط، وإنما هبت رياحه على الدول العربية" (٢)، التي نالت وجبتها الدسمة من فلول الإرهابيين الذين تربصوا بالمكر والجبن للمواقع التي يرتادها الناس، ونفذوا مخططاتهم الشيطانية بكل دناءة وخسنة.

وعلى الرغم من الانفلات السريع في تمدد أذرع المنظمات الإرهابية لم نلمس على أرض الواقع عملاً ممنهجاً يشكل تدبيراً أمنياً كاملاً، تحد من انتشار الظاهرة وسط المجتمعات، وتؤدي إلى القضاء عليها قبل تفاقمها، وانعدام السيطرة عليها " خاصة أنها أصبحت إحدى الأسباب المؤدية لانتهاك حقوق الإنسان، والاعتداء على حرّياته الأساسية" (٣)، والإرهاب بصورة المتنوعة ضد الإنسانية مهما تعددت أسبابه، وبررت منطلقاته من قبل منفيديه والمخططين له.

فالأعمال الإرهابية مرفوضة شرعاً، وفي كل الديانات وعلى رأسها الإسلام الذي حفظ كرامة الإنسان، وهياً له كل سبل الأمن والعيش بسلام، فلم يكن الإسلام يوماً ديناً إرهابياً يحمل أصحابه فكراً متطرفاً، كما تدعي الفئة الضالة ممن يقومون بأعمال إرهابية من شأنها ترويع الأمانين؛ بحجة تديتهم المتشدّد، فما هذا الذي " يفعله بعض من ينتسبون إلى الإسلام من أعمال إرهابية إلا نزيفاً داخلياً في جسد الأمة المثخنة بالجراح، وهو فعل قد حكّم علماء الإسلام بتحريمه وتجريمه" (٤).

ولأن قضية الأمن مشتركة بين مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية فقد أصبح من المؤكّد إدراكه أنّ منظومة الأمن لن تتحقّق دون التعاون بينها، وللمؤسسات التعليمية دور بارز في هذا المجال، إذ تعتبر مكمّلة لدور الأسرة في " أن يتسرّب فيها الناشئة القيم الاجتماعية والثقافية" (٥)، وصولاً إلى اكتساب القيم الثابتة التي تلعب في خط الدفاع الأول، تحسباً لحدوث أيّ اعتداء على المجتمع وعلى الدولة، وبالتالي ردم الفجوة التي من الممكن للعابثين التسلسل عبرها، والقيام بأعمال

(١) سبع، رنا مولود، دراسة بعنوان: ماهية الإرهاب، وتأثيره على واقع حقوق الإنسان (فرنسا وبريطانيا نموذجاً)، مجلة دراسات دولية، ص ١٥٥.

(٢) اليوسف، عبدالله بن عبد العزيز، دراسة بعنوان: دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، موقع حملة السكنية الإلكتروني (www.assakina.com)، ص ٢.

(٣) سبع، رنا مولود، دراسة بعنوان: ماهية الإرهاب، وتأثيره على واقع حقوق الإنسان (فرنسا وبريطانيا نموذجاً)، مجلة دراسات دولية، ص ١٥٧.

(٤) الظاهري، خالد بن صالح (١٤٢٤هـ)، دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه منشورة، الرياض، دار عالم الكتب، ص ٣٠.

(٥) اليوسف، عبدالله بن عبد العزيز، دراسة بعنوان: دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، موقع حملة السكنية الإلكتروني (www.assakina.com)، ص ٣.

إرهابية مخططة لها على أكمل وجه، مستهدفين إضعاف النسيج الاجتماعي للدولة المقصودة، أو نيل مكاسب مادية، أو " لفت انتباه وسائل؛ لحشد الرأي العام حول قضايا تلك الفئة في سبيل تحقيق مطالبهم " (١).

ولأن سلامة المجتمعات تسعى لكلّ الدول التي تحترم أدمية الإنسان فقد أصبح الإرهاب قضية سائدة العدو اللدود لجميع الأنظمة السياسية بكافة معتقداتها وتشريعاتها، ذلك الإرهاب الذي لا يؤمن بمبدأ الحوار واحترام وجهات نظر الآخرين، ويعتمد اعتماداً مباشراً في فرض رأيه على العنف المنظم والإكراه والتهديد والتخريب والتدمير، وإشاعة التوتر والقلق وإراقة دماء الأبرياء، وقد اتسعت هوة الإرهاب للدرجة التي أصبح يشكّل كابوساً خانقاً يفلق نوم الأبرياء من الشعوب المستضعفة، فهو "أي الإرهاب" عمل من طبيعته أن يثير لدى شخص ما أو مجتمع معين الإحساس بالتهديد لأي كان، سواء كان من جهة حكومية، أو مؤسسة غير رسمية، وبأى صورة كان " (٢)، ومن هنا فقد صار الإرهاب قضية خطيرة تستدعي الوقوف عندها بالدراسة والتحليل، وتقديم المعلومات بحثاً عن وضع محددات وعقبات خفياً من امتدادها؛ وعدم السيطرة عليها.

فكثير من الدول النامية والمتقدمة فشلت فشلاً ذريعاً في التصدي للمنظمات الإرهابية، والقضاء على هذه الآفة الخطيرة التي باتت تسري في المجتمعات سريان المرض في الجسد التحيل، والأسباب حيال ذلك كثيرة ومتعددة، إذ إن النظرة إلى مجندي المنظمات الإرهابية لا تقف عند حد القبض عليهم، وإحالتهم للقضاء؛ لإسقاط العقوبات الرادعة عليهم باعتبارهم مجرمين، فمكافحة الإرهاب عمل منظم وتشاركي بين جميع مؤسسات الدولة دون إقصاء، وهو يبدأ من الأسرة الصغيرة التي تشكل نواة للمجتمع الأرحب، فيها ينشأ الفرد، ويتجرع أولى مشارب التربية الاجتماعية.

ومع ظهور الكثير من المؤسسات والمنظمات التي تدافع عن حقوق الإنسان تطوّر الوعي في المجتمعات التي تشهد ابتعاداً عن الدين؛ لتدرك كل المجتمعات أن مستقبلها أمام خطر الإرهاب مهدد، وأن وجودها يعتمد على خلق مناخ إنساني آمن؛ لاستكمال مسيرة بناء البشرية دون منغصات كـ "التعصب والتشدد والغلو والطائفية والعنف والإرهاب وغيره، حيث يعدّ التطرف المغذّي الرئيس لكل تلك الطواهر " (٣)، فمكافحة الإرهاب ليس عملاً مقتصرًا على الأجهزة الأمنية وحدها، واجتثاثه من ينباعه يحتاج إلى التفاف المجتمع بأفراده ومؤسساته؛ ليضطلع كل واحد بدوره الوطني في التكاتف والتوحد حول هدف واحد مشترك، وهو اقتلاع شوكة الإرهاب والتطرف.

فقهّر الإرهاب والمرهين وردعهم عمل مخطط له، ويعتمد اعتماداً كبيراً على تحقيق متطلبات ممنهجة تسير ضمن صورة صحيحة وبناءة، لا نكتفي فقط بمعالجة كل قضية على حدة، ومن ثمّ التلويح بالنصر عليها، والتعني بالقضاء على عدد محدود من الأشخاص الذين سولت لهم أنفسهم الشريرة العبث بأمن الناس، وهنا يقع على عاتق الدولة ممثلة بأطرافها المجتمعية، وبمؤسساتها الرسمية وغير الرسمية فهم المشكلة، والتعامل معها بكل وعي وتعاون، من أجل اجتثاثها من الجذور، بعدما هبّ ربح التطرف الذي " أفقد القيم الروحية والأخلاقية القديمة أهميتها ومكانتها، خاصة بعد انهيار الأدوار الأسرية الأساسية، والتشنج الاجتماعية، والتربية والتوجيه والتوعية لجيل الشباب " (٤).

وتعتبر التوعية من الإجراءات الوقائية التي تحول دون الوقوع في براثن الجريمة التي ارتفعت وتيرتها في مجتمعاتنا وفق ما نرى ونسمع يومياً، أما ممارسة السلوك الإرهابي المنظم فهو تطوّر سلبي في مجتمعاتنا، وهو نابع من الإهمال وسوء التربية أولاً، ثم من محصلة العوامل المتعلقة بالظلم الاجتماعي بقضايا المتنوعة، كالفقر والبطالة والانحراف والتشنت الأسري وقلّة الوازع الديني وتطبيق الأنظمة والقوانين الوضعية، وكلها في نهاية ذلك تصب في مستنقع واحد يتسبب الفكر المتطرف الذي تنامي في بيئة خصبة لذلك، وتشكّل من خلال أشخاص كان لديهم الاستعداد الواضح لممارسة الإرهاب بأقذر صورته؛ بغية الحصول على مكاسب مادية، وقليل منهم لقناعات متخيلة ترسخت لديهم بفعل الثقافة السطحية، والإرادة الضعيفة.

(١) سبع، رنا مولود، دراسة بعنوان: ماهية الإرهاب، وتأثيره على واقع حقوق الإنسان (فرنسا وبريطانيا أنموذجاً)، مجلة دراسات دولية، ص ١٥٩.

(٢) محمد، هيثم عبد السلام (٢٠٠٥م)، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٢٧.

(٣) الرواشدة، علاء زهير (٢٠١٥م)، التطرف الأيديولوجي من وجهة نظر الشباب الأردني، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، مج: ٣١، ع: ٦٣، ص ٨٦.

(٤) بحث بعنوان: الإرهاب الدولي، وأولى حروب القرن، منشور على الرابط الإلكتروني:

وللمؤسسات التعليمية أهمية كبيرة في بناء جيل من النشء الصالح، وذلك إذا ما كان النظام التربوي المعمول به نظاماً مدروساً، ومنسجماً مع متطلبات العصر، ومنبثقاً من مصادر أصيلة تحث على احترام الإنسان، وتدعو إلى الدفاع عن حقوقه في العيش الكريم، وتقلص من فجوة التمييز العنصري والطائفي والتعصب لفكر أو لمنهج أو لجماعة معينة، فهذه المبادئ الهامة هي المنبث الخصب لزراعة القيم الفضيلة والنبيلة لدى المتعلمين، ومن هم على مقاعد الدراسة منذ مراحل تعلمهم الأولى، وحتى انتهاء آخر درجات سلم التعليم، وتسلم الشهادة الورقية التي هي عنوان العلم والمعرفة والثقافة.

فعلى المؤسسات التعليمية أن تقوم بدورها الوقائي ضد أعمال العنف والتطرف انطلاقاً من " محور الوقاية والمقصود به وجود دوافع داخلية لدى الأفراد تمنعهم من ممارسة سلوك العنف والتدمير في المجتمع " (١)، وذلك عن طريق مراقبة سلوكيات الطلبة، والتركيز على الأنماط السلبية والعادات السيئة التي يمارسها الطلبة، وحصنها وتشخيصها ودراستها، ومن ثم وضع برامج علاجية لها، بالتنسيق مع القائمين على إدارة النظام التعليمي في الوزارة وفي المديرية التابعة لها، وكذلك مع الأسرة ممثلة بالأب والأم.

فلمؤسسة التعليم أثر فعال في الحد من العنف والتطرف عن طريق وضع استراتيجيات تربوية للعاملين للتعامل مع السلوكيات السلبية الطارئة على مجتمعاتنا، بالاعتماد على النظام التربوي السائد، والنسق الاجتماعي للطلبة؛ لإحداث عملية التغيير نحو القيم الإيجابية، فالتعليم هو أساس رقي المجتمعات وتطورها، وهو قاعدة تماسكها وقوتها، ومن خلاله تتم تنمية جيل صالح منقّب، يحمل علماً ومعرفة، ولديه من مقومات الانتماء الوطني والمجتمعي ما يجعله ساجاً أمنياً للاستقرار والطمأنينة.

والذي يقود عملية إضفاء القيم الإيجابية على النشء هم المعلمون أنفسهم، إذا ما كانوا على قدر كبير من العلم والأخلاق والانتفاء والحرص على بناء منظومة أخلاقية منسحبة على أجيال متتابعة، مع التنويه على صلاحية مظلة النظام التربوي المعتمد بكافة أشكاله ومتطلباته، بدءاً من الفلسفة والرؤية والتشريعات والدساتير الصادرة عنها، وكذلك البرامج والمناهج والأساليب والاستراتيجيات المعتمدة، وكل ذلك يشكل بطبيعة الحال كلاً متكاملًا لا يفصل ولا يتجزأ.

فالمعلم هو قنود الطالب مهما تعددت البيئات التي يعيشها، وهو الأكثر تأثيراً في شخصية الطالب، ومن هنا يتعين على المعلمين توخي الحذر في دورهم في التعامل مع الطلبة، غير متناسين أنهم يمثلون بالنسبة للطلبة قنوداً صالحةً يحذون بها، ومنازلةً يهتدون بها إن ظلوا طريقهم، فأدوار المعلم والأستاذ الجامعي لا تقتصر على الجانب التعليمي فقط، بل تعدى ذلك الدور الأساسي في امتلاك المعرفة إلى إكساب المتعلمين الخبرات والقيم التي تؤهلهم لبناء مستقبلهم بوعي واضح المعالم.

فالمعلم في المدرسة والأستاذ في الجامعة وجميع العاملين في المؤسسات التعليمية قنوداً للطلبة؛ لتكريس مفاهيم الانتماء المجتمعي، وزرع الحرص في المحافظة على الممتلكات العامة والخاصة في نفوسهم، واحترام الآخرين، وعدم التسبب بإيذائهم، ومن هنا تتحقق مقولة الأمن والأمان بعقلية عصرية قائمة على الانفتاح والتواصل بعيداً عن التعصب والتطرف، والانحياز الجامد للرأي الواحد، مع التركيز على أن التنشئة الأسرية والمنظومة التربوية والتعليمية والمؤسسات بكافة أنواعها مجتمعة لها الدور الكلي في توجيه الرؤية الواضحة نحو مكافحة الإرهاب قبل أن يستشري، ويتحول إلى ظاهرة طاغية لا يمكن الخلاص منها،

فالمدرسة فبمفهومها الصحيح هي التي تكسب النشء علماً ومعرفةً وسلوكيات تضعه على الدرجة الأولى في سلم الحياة والمستقبل، ليتدرب عبر صفوفه المتصلة والمتسلسلة وصولاً لدخول بوابات المعاهد والجامعات التي تتغير فيها صورة اكتساب المعرفة، وتكبر فيه تمارس المكتسبات الاجتماعية والثقافية، وتتفتح آفاق التواصل، ثم ليجد الطالب نفسه منصهراً في تيار فكري قد يقوده بكامل إرادته إلى دهاليز مظلمة، أو يضعه على بداية الطريق النير المفتوح على جميع الاتجاهات.

والإرهاب في هذا السياق تيار جارف لا يكون وليد اللحظة، بل له دوافع وأسباب ونواتج تعتمد على التنشئة بشكل رئيسي؛ لأن " جريمة الإرهاب شأنها شأن أي جريمة أخرى وليدة خليط من العوامل البيئية والشخصية التي تؤثر وتتأثر بعضها ببعض " (٢)؛ وتجدر الإشارة إلى أن للمناهج الدراسية أهمية بالغة في ترسيخ القيم الفاضلة المستقاة من العقيدة الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتي دعت في سياق نصوصها إلى تكريم الجنس البشري، وعززت قيم التسامح والأمن والكرامة والسلامة، وحرمت قتل النفس إلا بالحق، وانتهاك الأعراض، والاعتداء على ما

(١) اليوسف، عبدالله بن عبد العزيز، دراسة بعنوان: دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، موقع حملة السكنة الإلكترونية (www.assakina.com)، ص ٣.

(٢) عبد، محمد فتحي (١٤٢٠هـ)، دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،

حرّم الله، بذريعة التطرف الفكريّ الذي هو " مخالفة ما تجمع عليه الأمة سواء أكان دينياً أم اجتماعياً أم سياسياً، وهو بذلك قد يكون اختطاً طريقاً مغايراً لما تقوم عليه الأمة من أفكار، وإن من الانحرافات الفكرية ما قد يتخذ شكلاً فردياً أو جماعياً "(١).

لذا يجب وضع الأولويات الماسية من القيم والأخلاق بين مفردات المناهج المدرسية؛ كيما تتحقق الرسالة المنشودة في توجيه الأجيال نحو تحكيم العقل في تمحيص الآراء، بالاستناد على الأدلة والبراهين والحجج الدامغة عند تقديم الآراء، ومحاورة الآخرين ممن خرجوا عن المألوف في أفكارهم الهدامة المتطرفة، وأخذوا يبتون سمومهم بين الناس؛ حتى وصل بهم الحال إلى تشكيل عصاباتٍ ظلاميةٍ غادرةٍ تروغ الأمنين، وتقتل الجماعات من الأبرياء بدم بارد، مع الأخذ بعين الرعاية والاهتمام مواكبة الأحداث والمجريات على الساحة السياسية، إذ " يجب أن تكون المناهج التعليمية قابلةً للتعديل حسب مقتضيات العصر، وألا تكون قالباً جامدة لا يمكن تغييرها أو المساس بها "(٢).

وفي سياق تناول المؤسسات التعليمية نعلم جميعاً أن المعاهد والجامعات عالمٌ مفتوحٌ على جميع الاتجاهات والمعتقدات والمستويات الاجتماعية والثقافية، يعكس المدرسة على نطاقها الصيقي الذي لا تختلف فيه المعايير السابقة بين الطلبة أنفسهم، وهذا من شأنه تأثر الطلبة بالأفكار والمعتقدات التي يحملها بعض من الأشخاص، ويحاولون بسطها بين يدي الكثيرين، وقد تكون للوهلة الأولى مغلفة بطابع عصريّ جديد لا يثير الشك، بل يسحر الألباب، ويترك صدى مجلجلاً في نفوس المتأثرين به، وهذا هو المدخل الذي يتسلل منه أصحاب الأفكار المتطرفة بغية تحقيق أهدافهم بعيدة المدى، ومن تمثلت الأسباب الأخرى التي تسببت في انجراف الشباب المتعلمين داخل أسوار الجامعات والمعاهد " في ضعف الوازع الديني لدى الطلاب، وغياب القدوة الصالحة للشباب، وتفشي ظاهرة البطالة بين خريجي الجامعات، وغياب العدالة الاجتماعية بين فئات المجتمع، وانتشار الرشاوي والاختلاسات، وتدني المستوى الاقتصادي "(٣).

وهنا يقع على عاتق المؤسسات التعليمية بدءاً من المدرسة وحتى المعاهد والجامعات العمل على غرس القيم الإيجابية، وتعزيز ثوابت الانتماء المجتمعي، وتشجيع المشاركة في الحياة العامة، وتزويد المتعلمين بالمعرفة والمعلومات المتنوعة في الدين والسياسة والاقتصاد؛ لتكون جميعها أطراً دفاعيةً أمام مهددات الأفكار المتطرفة التي تهدد حياة، وتشكل خطراً محدقاً على الأمن الذي هو أساس الحياة، والقضاء على التطرف الذي تحول إلى " ظاهرة مرضية تدفع لطريقة في الحياة تحبذ العنف؛ لكي تعطي الشخص أو الجماعة إحساساً بالحياة، ويتم ذلك أحياناً من خلال تدمير الحياة نفسها، كما يحدث في التفجيرات الانتحارية "(٤).

(١) الصاوي، صلاح، التطرف الديني_الرأي الآخر، القاهرة، الأفاق التولية للإعلام، ص٨٦.

(٢) اليوسف، عبدالله بن عبد العزيز، دراسة بعنوان: دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، موقع حملة السكنية الإلكتروني (www.assakina.com)، ص١٧.

(٣) البرعي، وفاء محمد (٢٠١٣هـ)، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، رسالة دكتوراه منشورة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص١٠٦.

(٤) الرواشدة، علاء زهير (٢٠١٥م)، التطرف الأيديولوجي من وجهة نظر الشباب الأردني، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، مج: ٣١، ع: ٦٣، ص١٢٢.

الخاتمة:

مما تقدّم تخلصُ الدّراسة إلى أنّ الإرهاب والتّطرّف قضيتان شغلَت جميع دول العالم، وقد ارتبطت بمجموعةٍ من العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية، ولا يمكن القضاء عليها دون الانسجام بين مؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية، وجميع أطراف المجتمع.

على أنّ للمؤسسات التعليمية ممثلةً في المدارس والمعاهد والجامعات أدورًا رئيسةً في تأسيس منظومةٍ من القيم والأخلاق استكمالاً لدور الأسرة، وذلك من خلال إيجاد نظامٍ تربويٍّ صالح، وبراغي الثوابت القيمة والأخلاقية المنبثقة عن الدين، ويواكب متطلبات العصر الحديث.

وأخيرًا: الحمد لله الذي تتم به الصالحات، وما توفيقني إلا بالله

المراجع:

_ البرعي، وفاء محمّد (١٤٢٣هـ)، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، رسالة دكتوراه منشورة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

_ الرواشدة، علاء زهير (٢٠١٥م)، التطرف الأيديولوجي من وجهة نظر الشباب الأردني، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، مج: ٣١، ع: ٦٣.

_ الصّاوي، صلاح، التطرف الديني_ الرأى الآخر، القاهرة، الأفاق الدولية للإعلام .

_ الظّاهري، خالد بن صالح (١٤٢٤هـ)، دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه منشورة، الرياض، دار عالم الكتب.

_ اليوسف، عبدالله بن عبد العزيز، دراسة بعنوان: دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، موقع حملة السكينة الإلكتروني: (www.assakina.com).

_ بحث بعنوان: الإرهاب الدولي، وأولى حروب القرن، منشور على الرّابط الإلكتروني: www.moqatel.com

_ سبع، رنا مولود، دراسة بعنوان: ماهية الإرهاب، وتأثيره على واقع حقوق الإنسان (فرنسا وبريطانيا أنموذجًا)، مجلة دراسات دولية.

_ عيد، محمد فتحي (١٤٢٠هـ)، دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

_ محمد، هيثم عبد السلام (٢٠٠٥م)، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الفهرس

د. لعمى عبد الرحيم ، د لغزالي صليحة

المؤتمر الدولي الثالث

حوار الحضارات الثقافية

المحور - واقع ثقافة التواصل في المجتمع الدولي المعاصر

عنوان الورقة البحثية : العولمة الثقافية و الخصوصيات المحلية بين مفهوم الأنا و الآخر

الملخص : ثمة سؤال جوهري أود طرحه من خلال الورقة البحثية باعتباره يقض مضجعي على حد تعبير أهل اللغة هل العولمة الثقافية بأجنحتها الإعلام و الوسائل التواصل الاجتماعي سبب في تكوين جيل عالمنا العربي الإسلامي المستوى فكريا يشعر بالانتماء إلى الغير رغم تشبعه بثقافته و لا يوارى لأية أهمية لثقافته الشرقية و كأنه يعيش الانقسام الثقافي إن جاز المصطلح .

أجزم معتقدا أن ما تقدمه العولمة الثقافية ممثلة في أنماط و انساق للعالم لدول الشرق العربي الإسلامي تحديدا لفرض تلك الأنساق الثقافية محاولة لطمس الخصوصيات الثقافية المحلية ، أليس ذلك ضرب من فرض الأنا الثقافي الغربي على الآخر ؟ أليس للآخر خصوصياته كيف يمكن الحديث عن التطرف اللفظي و الجسدي و كل أشكاله في العالم ما دام هناك فرض و هيمنة ثقافية فالتطرف الثقافي لا يولد إلا التطرف و إن تعددت أشكاله فخلفياته هي محاولة طمس الآخر و لو ثقافيا فالثقافة هي الوجه الروحي للحضارة

المقدمة : تحاول الكثير من الدول عبثا معالجة مفهوم التطور كحلقة أحادية دون الربط بجملة ترابطات أخرى لعل أهمها الجانب الثقافي

عولجت الظاهرة أمينا ففشت المقاربة الأمنية و إعلاميا و كان النتيجة كسابقتها تحدثوا عن التمويل و التهويل و عن القواعد الخلفية الفكرية و المالية و العقديّة و عن المشارب و لا احد تحدث عن العولمة الثقافية و الاستعمار الجديد الذي كون جيلا مهمشا في أوطانه مشوه في أفكاره مبرمج لأي عمل عدائي فكري أو ثقافي و لأوطانه من حيث أن العولمة الثقافية تريد فرض عينات ثقافية غربية و شل الثقافات الأخرى بل تعتبر أن العالم لا بد أن يسوده نظام ثقافي معين قسرا أو بطيب خاطر وفق عقيدة غربية يرى منظورها أن العالم مطالب بالعض عليها بالتواجد و بإتباعها فدخلت كل بيت و سلبت كل عقل بأساليب الإعلام و التواصل مما اثر سلبا في بعض أشكاله على الجيل و بالضبط العربي الإسلامي الذي رأى أن ثقافته رؤية الدونية و الاحتقار و أنبرى يقلد ثقافة الغرب مأكلا و ملبسا و فكرا و اعتقادا فأضحى طيعا لان يراد به ما يراد تلك جملة من التوجسات الفكرية دفعتني إلى السؤال إشكالي مؤداه ما رؤية العولمة الثقافية و هي الطرف الآخر لخصوصياتنا و التي تمثل الأنا الثقافي العربي الإسلامي ؟ اهي علاقة احترام ؟ ام تنافر ما موقفنا نحن من العولمة هل لا بد من الانصهار ام نواجهها في ظل التحديات

قسمت الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور خصصت المحور الأول الى تحديد المصطلحات على غرار مفهوم الثقافة و العولمة الثقافية لما لهما من علاقة وطيدة تصب في مضمون البحث و أما المحور الثاني فارتأينا أن أوضح فيه مفهوم الخصوصيات الثقافية و الجانب التراثي فيها و علاقتنا مع خصوصياتنا ثم المحور الثالث و درجنا فيه إلى الحديث عن فجوة بين فرض العولمة الثقافية و رفض الآخر . ما هي الأسباب و الحلول المقترحة منيلا بحثي بخاتمة مقدما توصيات للإشكالية المطروحة

المحور الأول : في مفهوم الثقافة و العولمة الثقافية

التعامل مع مصطلح الثقافة تعامل مميز و خاص يخضع لرؤية معرفية و منهجية خاصة ، انتجت هذه الرؤى تعاريف متعددة لمفهوم الثقافة فقد جاء في المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا " الثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية و جعل بعض الوظائف البدنية سوية و منها تنقيف العقل و تنقيف البدن و منها الثقافة الرياضية و الثقافة الأدبية و الفلسفية " (١)

و طرح في منظمة اليونسكو عام ١٩٧٠ تعريف مؤداه ان الثقافة كل ما يجعل الإنسان مختلفا عما سواه من الحيوان " (٢)

يرى بعض الباحثين أن الثقافة هي الثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع من البيئة معتبر عنها أو موصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك فهي مجموع المعلومات التي يقوم عليها نضام حياة أي شعب من الشعوب فهي أسلوب حياته ونظريته للحياة تكون نابعة من ظروفه واحتياجاته و جغرافية البيئة التي نشأ فيها و تطوره التاريخي فهي إذا محلية (٣) فتتأثر أمة دولة أو أمة هي عملها الواعي الذي تتوارثه الأجيال و تسير به في شؤون حياتها أي هي طبيقتها في الحياة و بذلك تشمل اللغة و نظام المعيشة من بناء و أكل و لباس و علوم و ما ثورات شعبية و هو نفس الطرح الذي مال إليه الانتروبولوجيون إذ يقول تي اس اليوت أي اعني بالثقافة أسلوب حياة مجموعة من البشر يعيشون معا في مكان معين و تتضح تلك الثقافة في فنونهم و في نظامهم الاجتماعي و في عاداتهم و تقاليدهم و في دينهم و لكن تلك الأشياء معا لا تؤلف ثقافة فالثقافة أكثر من مجرد مجموعة فنون و عادات و معتقدات دينية فكل تلك الأشياء يؤثر بعضها في البعض و لكي تتمكن من فهم إحداها بشكل تام يجب فهمها جميعا " (٤)

و لعل انسب التعاريف للثقافة باعتبارها جماعا لأفراد يتشاركون ذات الدلالات الرمزية للأساطير و المعتقد و الفنون و التاريخ و السلوكيات و الاتجاهات الأخلاقية إزاء ما هو حق و ما هو باطل " (٥)

فالملاحظ ان جل التعاريف المقدمة سواء من حيث طرحها اللغوي و الاصطلاحي و الانتروبولوجي أيضا مؤداه أن الثقافة بكل أبعادها الفكرية و الفنية و السلوكية تختلف باختلاف المكان المحدد جغرافيا و هي أيضا امتداد زمني لحيل بعد جيل و هنا أود أن أعرج على مفهوم الثقافة المعولمة أو عولمة الثقافة ما هي العولمة الثقافية و ما هي مقاصدها و أهدافها ؟

العولمة الثقافية في الحقيقة هي هيمنة التصور الغربي للثقافة على بقية أرجاء العالم و لو دققنا الأمر أكثر لقلنا فرض التصور لثقافة الناطقين باللغة الانجليزية و لو شئنا المزيد من الدقة قلنا التصور الأمريكي للثقافة (٦) فما هي العولمة الثقافية ؟

اذن فحين يسعى الباحث الى تعريف العولمة لن يعثر على مفهوم واحد فتعريفها متعددة و لا يمكن حصرها في تعريف واحد و ما يهمنا بالذات هو هوية العولمة و اديولوجيتها فالعولمة في نظر بعض المفكرين أنها مرحلة جديدة من مراحل تطور الحضارة تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي بروابط اقتصادية ثقافية و سياسية (٧) و يعتقد هؤلاء أنها ليس إلغاء للمحلي و إحلال العالمي مكانه هذا الرأي يعارضه رأي آخر إذ يؤكد بعض العارفين بهوية العولمة أنها تقوم على أساس تصبير المحلي عالميا و ان تكون للعالم لغة واحدة او لغات مشتركة و أن يسود فيه نظام اقتصادي و سياسي واحد و أنها تسود فيه عقيدة واحدة تكون فيه للناس قيم مشتركة و أن يكون هناك أدب عالمي يتذوقه الناس هذا هو الهدف النهائي للعولمة"

تدعو العولمة من خلال إستراتيجيتها إلى التعامل على أساس المصلحة و عدم الاهتمام بالقيم لأنها تعيق التواصل الكوني و تسويق مشروعها الفكري فلا غرابة ان يصرح الرئيس الولايات المتحدة السابق بيل كلينتون ان أمريكا تؤمن أن قيمتها صالحة لكل الجنس البشري ثم ان علينا تحويل العالم إلى صورتنا (٨) فكل منظومة فكرية و ثقافية و دينية و سياسية تعد في مشروع العولمة الثقافية إرهابا يجب إزالته فهي تسعى اعني العولمة إلى شل كل الحركات الثقافية المحلية الوطنية و من ثمة قطع جذور و أصول انتماءات الشعوب الثقافية و الحضارية مما قد يحدث في المنظومات الثقافية المحلية نوعا من الضياع و اللانتماء الهوياتي الثقافي فتضيع الخصوصيات الثقافية فلا يستطيع النموذج

المحلي الصمود و المقاومة أمام القالب الثقافي فتؤدي بالضرورة إلى الذوبان الثقافات المحلية و السبب راجع لكون الثقافات المحلية تعاني من عدم توفر الإمكانات لحمايتها من الفيضان الذي يتلقاه الفرد من خلال الوسائط الناقلة للمعلومات و قنوات الاتصال الثقافية (٩)

تعتمد العولمة الثقافية على نشر القيم الاستهلاكية معتمدة على تقنيات الحبكة و الإتقان و الصغة البحثية خصوصا في أجهزة الإعلام و الانترنت و غيرها و تحمل هذه البرامج في داخلها سموما ثقافية كالاستعلاء العنصري و تمجيد العنف المضمهر جسديا و روحيا و ابتذال الجنس بل تحويله إلى سلعة رخيصة و تجريده من قيم المشاركة و الإبداع أي من قيم الحب بل أن الأمر أدهى و أمر و هو طمس جانب الفكر النقدي و التأمل و جانب من الانجازات الفلسفية و الأدبية و العلمية و الفنية (١٠)

المحور الثاني : في مفهوم الخصوصيات الثقافية و الجانب التراثي

تظم الكرة الأرضية ثقافات متعددة جديرة بوضعها بالعالمية كالثقافة البوذية و الكنفوشيوسية المهيمنة على الشرق الأوسط و الثقافة الإسلامية التي تتربع على العالم العربي و الإسلامي و الثقافة المسيحية الارثوذكسية على روسيا و اليونان فيما تهيمن على بقية العالم و اوروبا الثقافة المسيحية الكاثوليكية و البروتستنتية و هي الثقافات عابرة للحدود و لعل اتفاقيات

GAT او ما يسمى باتفاقيات حقوق الإنسان تكفل بإعطاء الدول القدرة على حق الحفاظ على الخصوصيات الثقافية داخل كل دولة مهما كان مدى الاختلاف بين النمط الثقافي المحلي و النمط الذي يسود على انه عالمي فأهلا و سهلا بكل من يتصل بتبادل المعارف بين هذه الثقافات جميعا و للاطلاع على جميع الثقافات المحلية و العالمية لأنه من المستحيل في عصر التواصل المعجم ان تنفصل الحركة الثقافية المحلية عن حركة التطور الشامل و التبادل للمشاريع الثقافية الأخرى من جهة نظر المثاقفة و عشقنا نحن العرب للتراث باعتباره معين أساسي لثقافتنا و هويتنا ليس انغماسا في الماضي بل هو العودة إلى حقيقة وجودنا و جوهر للوعي بهويتنا و دفاعنا عن وجودنا ذاته (١٢)

فإذا خسرت معركة الهوية كما يقول الرئيس الكولومبي السابق سامبر " نكون قد خسرتنا معركةنا الكبيرة للسيادة .تلك التي تجعل من أوطاننا "و أود الإشارة هنا انه لا بد أن لا تكفي بالتراث و التعتني به مهما كان هو الهوية و الخضوع له مما يجعلنا في حالة جمود لا تسمح بالتقدم فالتراث في خصوصيات المجتمع العربي باعتباره مكون أساسيا لا لم و لن يشكل حاجزا او حجرة عثرة للتطور و الارتقاء و دخول عصر العولمة بإشكالها و لكن لا يجد ران يرى إلى التراث بنظرة تحليلية نقدية اصطفاوية يعطى للماضي أماده و للمستقبل آفاقه و ان نتعامل بتعامل خلاق و واعي و مستنير من منطلق البحث في جوهر التراث و نشر حقيقته دون زيف أو شك أو تدليس و التعريف به للنشء و للأخر أي الثقافات الأخرى بكثير من الموضوعية و العقلانية و الالتزام بمنطق البحث (١٣)

المحور الثالث : في الحديث عن الفجوة بين الثقافة المحلية و العالمية.

تعيش الشعوب النامية و منها الأمة العربية منعطفا خطيرا و تقف في مواجهة تحديات مصيرية و من أهمها التحدي الثقافي فرقص العولمة بمفهوم الهيمنة لا يعني رفض الأخر فموقف الثقافة المحلية لا ينبغي ان يكون موقف الذوبان و الانصهار في عالمية الثقافة و لا موقف النفي و الإنكار و إنما هو بالضرورة موقف الحوار و التفهم و التسامح علاقة اخذ و عطاء (١٤) فنحن و الغزو الثقافي أية علاقة اعتقد أن العلاقة معقدة بين الثقافات المحلية و الثقافات الإنسانية العالمية بجوانبها المختلفة ثم أن الغرب الأخر ليس واحدا و بعبارة أدق ليس هناك غرب مطلق معمم مجرد إذا افترضنا تسميته الأنا شرقا فهناك غرب التعصب و هناك غرب الاستعمار المضر و الاستقلال و هناك الغرب المتخفي تحت أقنعة العولمة و المؤسسات الدولية و هناك الغرب المدافع عن العقلانية و الحرية و هناك الغرب المحب للفن و الإبداع و المغامرة الفكرية (١٥)

و من هذا المنطلق حري ان نقول إننا إما إشكالات متعددة و معقدة أولها أننا أمام أخر متعدد و المطلوب تحديد الأخر الواجب ان نعايشه و نناقشه و يحترم خصوصياتنا و نحترم وجهة نظره قصد ضبط علاقات ثقافية تعتمد على أسس الحوار و النقاش و المثاقفة و أيضا الوعي بالأنا و بذاتنا و يبني الوعي مع المصالحة مع التراث و فهمه و تمحيصه و فراءته قراءة عقلانية و من تلك العناصر المشكلة لنا الاهتمام بالثقافة و اللغة هي الحاملة للقيم الاجتماعية و الأخلاقية و لكنوز الفنون و الأدب و العلوم (١٦)

الخاتمة :

و أخيرا ما مصير الثقافة المحلية إما شبح العولمة و ما هي الإجراءات التي يمكن تفعيلها لحماية الثقافات المحلية سواء الرسمية او الشعبية من مخاطر العولمة الثقافية :

انه من الأمور الواجب القيام بها هو التفعيل الحقيقي للمظاهر الثقافية المحلية لأنها تعطي كل مجتمع عناصر التمييز و الاستقلالية و تقوي الوحدة الثقافية بكل مكوناتها الفسيفسائية و ذلك لتنوعها و يكون التكفل علميا و إعلاميا و تسويقيا يمتاز بالأمانة فالثقافة هي الجانب الروحي للحضارة و جزء ثابت من تاريخ شعوبنا ، فالدراسات العلمية للثقافة و جمعها و تدوينها و صيانة موادها و التعريف بها على أوسع نطاق هي المهمة الأساسية و الأولى و كما يمكن تسخير الوسائل السمعية و البصرية لإحياء الهويات الثقافية و إنشاء بنك للمعلومات على الانترنت ليكون مرجعا يعود إليه قصد الاطلاع .

الهوامش و قائمة المصادر و المراجع

١- محمد عبد السلام الجفائري ، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي ، دار العربية للكتاب ، تونس، ١٩٨٤، ص ١٠٠

٢- حسين مؤسس، الحضارة ،عالم المعرفة ،الكويت ١٩٧٨، ص ٣٦٢

٣- المرجع نفسه ص ١٠

- ٤- آدم كوبر، ترجمة تراجي فتحي، الثقافة التغيير الانتروبولوجي - عالم الفكر، مارس - العدد ٣٤٩ ، الكويت ، ٢٠٠٨ ، ص ٥١
- ٥- جيروم كيفان ترجمة صديق محمد ، جوهر الثقافات الثلاث في القرن الحادي والعشرين-عالم الفكر- العدد ٤٠٨ يناير ٢٠١٤ ، ص ١٣٩
- ٦- حسين نصار، اللغة العربية و تحديات عصر العولمة مجلة العربي ، العدد ٥٠٣، الكويت ، اكتوبر ٢٠٠٠ ، ص ٢٤
- ٧- غربي محمد تحديات العولمة و آثارها على العالم العربي مجلة اقتصاديات شمال افريقيا ، العدد السادس ، ص ٢١
- ٨- عبد الإله العيشي، الثقافة و العولمة بوصفها خطايا منطرفا، مجلة السكينة ، ص ٠٦
- ٩- محمد سعدي ، مستقبل الثقافات الشعبية ، مجلة فيلاديفيا الثقافية ، ص ٢٨
- ١٠- ريتا عوض ، نحو نهضة ثقافية عربية في عصر العولمة مجلة العربي، العدد ٦٤٢ ، ماي ٢٠١٢ ، ص ٢٨
- ١١- حسين نصار، اللغة العربية و تحديات عصر العولمة مجلة العربي ، العدد ٥٠٣ ، الكويت ، اكتوبر ٢٠٠٠ ، ص ٢٤
- ١٢- نجاح العطار التراث ذاكرة المستقبل ، العدد ٥٨٢ ماي ٢٠٠٧ ، ص ٧٤
- ١٣- مرجع نفسه ص ٧٦
- ١٤- ريتا عوض ، نحو نهضة ثقافية عربية في عصر العولمة مجلة العربي، العدد ٦٤٢ ، ماي ٢٠١٢ ، ص ٣٤
- ١٥- ادوارد الخراط ، عن الثقافة العربية و العالمية ، مجلة العربي، العدد ٥٠٣ ، اكتوبر ٢٠٠٠ ، ص ٣٠
- ١٦- المرجع نفسه ص ٣١

الفهرس

بحث بعنوان

(التطرف واثره على المجتمع)

تقديم

الدكتور عبد هادي فريح القيسي ، الدكتور ياسين خضير مجبل

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الأنسان مالم يعلم، واصلى واسلم عليه سيد العرب والعجم، محمد وعلى آله وصحبه وسلم. التطرف لم يكن وليد لحظته بل هو ظهر منذ القدم في الديانات الوضعية وغير الوضعية. وهو بعيد كل البعد عن الاسلام، بل اصبح دخيلاً عليه، لان الاسلام جاء للارتقاء بالامم وسير بها الى التطور والازدهار في جميع مجالات الحياة. وعلى ذلك نجد أن أوربا سار فيها التطرف واثر عليها تأثيراً كبيراً، واقرب شاهداً على ذلك محاكم التفتيش التي هي اساس الارهاب والتطرف والتشدد حتى هذا العصر.

لذلك أردت أن ابين بأن الاسلام قد نهى عنه وزجر من سار عليه واراد المسلمون أن يتعدوا عنه لانه هلاك الامم وهدم المجتمعات ولهذا اخترت موضوع (التطرف واثره على المجتمع) وقد بينت في هذا البحث الذي شمل على مقدمة ثم تلاها تعريف التطرف وتاريخه وتكلمت عن اسبابه وعلاماته واساليبه في المجتمعات الاسلامية، ثم وضحت اثره على المجتمع وانه اداة هدم وتخريب ثم اعقبت ذلك بخاتمة بينت فيها اهم النتائج ثم قائمة بمصادر التي اقتبست منها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تعريف التطرف:-

التطرف لغة:-

التطرف في اللغة من طرف يدل على حد الشيء وحرفه عن سبيله(١).

أما في الاصطلاح:-

مفردة التطرف من المفردات الحديثة والتي تعني بشكل عام الخروج عن العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية المبنية على أسس صحيحة، ولكنها غير مألوفة عند العامة. ومع هذا فان كثير من الباحثين قد عرفوا هذه المفردة كل منهم حسب نظرتة اليها، ومنها:-

فقد عُرف التطرف بأنه: (التنطع في أداء العبادات والتعمق فيها ومجاوزة الاقوال والافعال فيها، أو مصادرة الاجتهادات السابقة في المسائل التي يجوز الاجتهاد فيها والاصرار على رأي قد سمعه أو قرأه وترك الاراء الاخرى)(٢).

ومنهم من عرفه بعدة الفاظ منها: الغلو والتشدد التنطع ، وكلاهما يدل على الابتعاد عن الوسطية والتضييق على الناس(٣).

ومن هذه التعاريف بالإمكان تعريفه: سلوك فردي أو جماعي خرج عن حدود الشرع بما يحمله الفرد من افكار منحرفة وقرضها على المجموع بالقوة معتمداً على ماسمعه أو قرأه، فأصبح غايته هو الوصول الى هدفه.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس بن زكريا القزويني ت٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ٤٤٩/٣.

(٢) ينظر: التطرف الديني الرأي الآخر، صلاح الصاوي، ط١، مطبعة الافاق الدولية، ١٩٩٣م، ص١٠.

(٣) ينظر: الصحوة لاسلامية بين الجمود والتطرف، يوسف القرضاوي، ط١، دار المشرق للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١م، ٢٤.

ولذلك نجد أن الانحراف الفكري يوصل صاحبه الى التطرف والتشديد في أمور الدنيا والدين مجاوزة لحدود الله واحكام شريعته السمحة.

تاريخ التطرف:-

المسلمون في عصر النبي (ﷺ) لا يعرفون التطرف، لانهم ملتزمون بما يقوله (ﷺ)، وما يوحى اليه من ربه عز وجل، فكانوا يرجعون كل ما يختلفون فيه اليه (ﷺ) لانه المرجع في حل مسائلهم الخلافية والنزاعات القبلية، فلا قول فوق قول النبي (ﷺ).

فكانوا مؤمنون حقاً فلا يخوضوا بالتساؤلات الفكرية والانتاجات العقلية مكتفين بالتعاليم الدينية السمحة دون الخوض بأي مسألة فكرية أو عقائدية، فكيف يخوضوا وفيهم نبي الرحمة الذي جاء بما يزيل الظلام عن الامم ويرتقي بالمجتمعات الانسانية الى الكمال.

فلم يعرف في زمن النبي (ﷺ) وجود تطرف في المجتمع، وإن كان هناك بعض الانحرافات الفكرية التي عالجها النبي (ﷺ)، والتي كانت تدل على فهم محدود لما سُمع عن الرسول (ﷺ)، ولكنه (ﷺ) عالجها معالجة حكيمة عندما جاء ثلاثه رهناء الى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادته، فلما أخبروا فقالوا: اين نحن من النبي (ﷺ) وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، فقال احدهم: أما أنا فأصلي الليل ابداء، وقال آخر أنا اصوم الدهر ولا افطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فسمع بذلك النبي (ﷺ) فجاء اليهم وعالج هذا الانحراف الأني، وبين لهم أنهم لم يصيبوا الحق فقال لهم (ﷺ) (إني لأخشاكم لله واتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، واتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)(١).

وهذا النهي نهي عن التشديد على النفس في أمور دنياهم بمسائل دينهم، ففهم للدين وما يقربهم لله تعالى جعلهم ينحرفون فكرياً وسلوكياً، بما سمعوه من غير النبي (ﷺ)، فأولوا ذلك بما تهوى أنفسهم بقصد انه يوصلهم الى الله عز وجل، لكنه كان فهماً يغير النصوص عن حقيقتها وعن هدفها الصحيح.

ولكن بعد وفاة الرسول (ﷺ) حدث خلاف في مسألة الخلافة وما حدث في سقيفة بني ساعدة، ولكن هذا الخلاف سرعان ما قضى عليه بجمع أغلب الآراء لاختيار ابي بكر (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين(٢).

إذ إن هذا الخلاف لم يأت بتطرف ولا التشدد، وانما كان خلافاً بشيء غير معهود عندهم بعد وفاة رسول الله (ﷺ).

ولكن بعد مقتل الخليفة الثالث ظهر الخوارج، وكانوا متطرفين في كل شيء، ولذلك نجدهم قد خرجوا على الامام علي (رضي الله عنه) فعاثوا في الارض الفساد وسفكوا الدماء واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب ويقروا بطن أمراءه، وقتلوا نسوة وأولاد، بعد أن حاول الامام علي (رضي الله عنه) اقناعهم بشئى الاساليب والطرق ليعودوا الى رشدهم ويتركوا غيهم وافترائهم، لكنهم أصروا على ما هم عليه من ضلال وخروج عن الاسلام(٣).

ولاننسى ما فعله الخوارج بتطرفهم عندما كانوا السبب في قيام فتنة بين معسكر الامام علي (رضي الله عنه) ومعسكر السيدة عائشة والتي كانت تعرف بموقعة الجمل، فكان للخوارج دورٌ في إقاد نار القتال بين المعسكرين مما أدى الى إنشقاق الصف الاسلامي واثار ذلك على الاسلام والمسلمين. وما عقب ذلك إلى تدبير مؤامرة لقتل الامام علي (رضي الله عنه) والتي أدت بحياته.

فهذا كله بسبب التطرف وفهم الخاطى لكثير من نصوص الشرع الاسلامي، فال ذلك الى دخول أمور كثيرة على ما جاء به الاسلام مما أثرت على حياة المسلمين بشكل عام.

لذلك نجد بأن التطرف ما دخل في مكان إلا أفسده، وما دخل مجتمعاً إلا أراد أن يغيره، ويجعله يسير على الافكار التي تشرب منها على إنها من الاسلام، لكن في الحقيقة هي إجتهدات خاطئية أرادت تغيير مجرى النصوص الشرعية عن طريقها الصحيح. وتناست تلك الافكار بأن الشريعة الاسلامية شريعة سمحة وسطية بعيدة عن التشدد والتطرف صالحة لكل زمان ومكان(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم ٥٠٦٣، ٢/٧.

(٢) ينظر: الاسس الدينية للاتجاهات السلفية، كريم السراجي، ط١، دار السلام، بيروت، ٢٠١٠م، ٥٠.

(٣) ينظر: البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي ت٣٥٥هـ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٣٥٥-١٣٦٦: تيارات الفكر الاسلامي، محمد عماره، ط٢، دار الشروق للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م، ١٤-١٥.

(٤) ينظر: ميزان العمل، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، تحقيق سليمان دينا، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ٢٦٧.

اسباب التطرف:-

لا يوجد انحراف فكري أو تطرف سلوكي في اي مجتمع من المجتمعات الانسانية يتكون عشوائياً بل لابد من اسباب أدت الى ظهوره وتجاوز الاعتدال والتوسط فلا بد من معرفة هذه الاسباب لكي نعالجها بعقارٍ مناسب يعالج هذا التطرف، أو يحد منه لكي يسلم المجتمع من هذا الداء العضال.

وعلى ذلك فإن سبب هذا التطرف ليس سبب واحد بل عدة أسباب متنوعة، فلا بد لنا أن نبين هذه الاسباب. فيقول أبو بكر الطرطوشي: (فالخطأ لا تنحصر سبله، ولا تتحصل طريقه، وإنما الذي تنحصر مداركه وتنضبط مأخذه فهو الحق، لأنه أمر واحد مقصود، يمكن اعمال الفكر والخواطر في استخراجها)(١).

ومن ذلك لابد من ذكر هذه الاسباب وهي:-

أولاً:- الاسباب الاجتماعية والبيئية:

فالشخص يتأثر بمجتمعه وبيئته سواء أكان في الارياف أم في المدن، أم البادية، فكل منهما له عاداته وتقاليده، وقد تكون في البادية أكثر من الارياف لان الطابع الاساسي للبادية هو الشدة والقسوة، ولذلك فالفرد يكتسب من بيئته الشيء الكثير، وقد تكون ملازمة له مع عيشه في عزلة، ولنا مثال على ذلك اليهود الذين يعيشون في حالة عزلة لانهم عاشوا منذ نشأتهم في عزلة عن المجتمعات الانسانية يسودها التوتر والخوف من جيرانها مهما بلغت قوتها وسطوتها(٢).

ويبدو من ذلك: لانهم عصوا الله عز وجل وحرفوا الكلم عن مواضعه وتشددوا في كثير من المواضع، فشد الله عليهم، فيقول ابن خلدون: أن البيئة التي ينشأ الفرد فيها تلقي بسلوكها عليه من حيث لا يشعر، فإن النفس البشرية إذا ألفت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون(٣).

ولذلك نجد الكثير من المتطرفين هم يعيشون حياة البداوة والجهل فيكونوا أرض خصبة لكل ما يسمعه ويشاهده، وبذلك يصبحوا أداة من أدوات التطرف والتشدد.

فالمجتمع البدوي الذي يعمه الجهل يكون البذرة الأولى لنشأة التطرف، أو نشأة الانحراف الفكري الذي يوصل الى التطرف بكل اشكاله سواء أكان تطرفاً سلوكياً أم سياسياً أم اجتماعياً.

وعلى ذلك يمكن اجمال هذه الاسباب كما يلي:

١- تأثر الفرد بمجتمعه وبيئته تأثراً سلبياً أو إيجابياً.

٢- الانحراف الفكري يوصل الى تطرف سلوكي يخرج عن الاعراف والعادات الصحيحة.

٣- الانعزالية الاجتماعية تؤدي الى التطرف ومخالفة الاتجاهات الصحيحة المتمركزة في البيئة التي يعيش فيها.

٤- الجهل المطبق له دوره في انحراف الفرد وتطرفه والابتعاد عن النهج السليم، ثم وصوله الى العنف والارهاب في حياته اليومية؟

ثانياً:- الاسباب النفسية والذاتية:

هذه الاسباب لها دورها في وجود التطرف والتشدد ومن هذه الاسباب:

١- الدعاية:- للدعاية دور في نفوس المتطرفين، فلها التأثير والسيطرة على عقل الجماهير من خلال:

أ- الاحاح بالاقوال والاعمال.

ب- الترغيب بالاموال.

(١) الحوادث والبدع، محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري ابو بكر الطرطوشي ت٥٢٠هـ، تحقيق: بن حسن الحلبي، ط٣، دار ابن الجوزي، ١٩٩٨م، ٢٢.

(٢) ينظر: جنود الفتنة أجيال بني اسرائيل الأولى، محمد عصمت بكر، بلا، ٣٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ١٩٩٠.

علامات التطرف:-

هناك علامات ذكرها بعض المفكرين بينت التطرف والمتطرفين وهي من السمات الظاهرة عليهم، وسأذكر أهمها:-

١- اسقاط الآخرين بهابوية التكفير: عندما يسقط فرد مجموعة من الناس في الكفر ويستبيح دمهم واموالهم، ولا يراعي حرمة ولا ذمة بتهمة الخروج من الاسلام، فهذا يمثل قمة في التطرف، ويتهم من يخالفه بالكفر. فالرسول (ﷺ) قد تعايش مع المخالفين له في العقيدة ولم يحل دمهم ولا يذهب اموالهم ولا يستحي نساءهم ماداموا في البلاد الاسلامية، فهم يخالفون الرسول (ﷺ) بفعلهم وتكفيرهم للغير، بل هم خارجون عن التعاليم الصحيحة(١).

٢- من علامات التطرف:- الجهل بتعاليم الدين الاسلامي، فالناظر لاعمالهم يجدهم يتسمون بالجهل والسطحية في جميع شؤونهم الحياتية، ويسيطر عليهم الغلو والامراض النفسية، واجتهادات خاطئة بل مخالفة لجميع تعاليم الدين الحقيقي، لذلك فهم يتناولون على النصوص الشرعية وعلى ائمة الدين، فخطوا لهم منهجاً مغايراً لتعاليم الاسلام ونهجه القويم وساروا عليه واعدوا من يخالفهم كافراً بعيداً عن الاسلام(٢).

٣- ترويع الناس بالعنف، فترويح المسلم وتخوفه حرام على لسان النبي (ﷺ) عندما قال: (من اشار الى اخيه بحديدة لعنته الملائكة)(٣).

لذلك نجدهم يخالفون ماجاء به الرسول (ﷺ) وهو الرحمة المهتدة.

لذلك نجد أن الاسلام جاء محرماً لكل ما يلحق الضرر بالنفس وما دونها، لكي لا يصيب المجتمع خلل بأمنه واستقراره، لكن هؤلاء البعيثون كل البعد عن الاسلام بما يفعلونه وما يقومون به ضد المسلمين دليل على هدمهم للاسلام، واذا دل هذا على شيء بدل على إنهم مسيروون من قبل أعداء الاسلام لهدم الاسلام من داخله.

٤- إتهام المخالفين بتهم تخالف أوامر الله (ﷻ). لذلك فهم يقومون بتهمة من يخالفهم بأي قضية أوامر مصطنع لكي يقدموه للعدالة بزعمهم، وكان حجتهم بذلك إن المتهم حسابه على الله، فهم ينظرون للأخر بمنظار واهن يخفي حسناتهم على حين يضخم سيئاتهم، لذلك فهم يسيئون الظن والاتهام لأدنى سبب، فلا يلتمسون العذر للأخر. فهمهم هو ترويع وتعنيف المسلم لكي لا يخرج عن طوعهم الباقين(٤).

٥- من علامتهم: إنهم يتعصبون للرأيهم وعدم السمع لرأي الأخر فهم يأخذون آرائهم بالجد والتمسك بها وترك جميع الآراء الأخرى، ولا يقنعون بأي شيء الا بما ينهونه من اسيادهم الظالمين، ويعدون رأيهم دائماً صواب لا يقبل الخطأ وبهذا فهم يخالفون أوامر الله عز وجل وعدم الاخذ بها اذا كانت تتعارض مع مصالحهم وغايتهم(٥).

٦- عدم قبولهم للحوار:- لان الحوار يغيضهم ويسمح للأخر أن يفهم ويدحض حججهم، ولا يسمحون للأخر بالكلام عكس مايفعلونه، ولا يقبلون بمعارضته، واذا خالفهم فالقتل أولى له. فهم يجمدون مقاصد الشريعة بهذه الافعال، فهم يبتعدون عن افعال واقوال الرسول (ﷺ)(٦).

اساليب المتطرفين للسيطرة على المجتمع:-

١- توظيف النصوص الشرعية لمصالحهم وغاياتهم، فهذا التوظيف يعقبه طموح عندهم لاقتناع الناس فاذا تم الاقناع فإن المجتمع سيخضع لهم، ويسيروا على نهجهم، وينفذ مايطالبونه منه.

(١) ينظر: موقف الاسلام من العنف والعدوان وانتهاك حقوق الانسان، حسن محمود خليل، تقديم محمد سيد طنطاوي، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٤م، ٣٠-٣١؛ موسوعة الفرق والمذاهب والاديان المعاصرة، ممنوح الحربي، ط١، شركة الفا للنشر،

مصر، ٢٠١٠م، ١٦٤-١٦٥.

(٢) ينظر: التطرف الديني الرأي الأخر، صلاح الصاوي، ٢٠-٢١، موسوعة الفرق والمذاهب والاديان المعاصرة، ممنوح الحربي، ١١٢.

(٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت٢٧٩هـ، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، ط٢، شركة مصطفى الباني، القاهرة، ١٩٧٥م، رقم الحديث ٢١٦٢، ٤٦٣/٤.

(٤) ينظر: موقف الاسلام من العنف والعدوان وانتهاك حقوق الانسان، حسن محمود خليل، ٢٧-٢٨.

(٥) ينظر: تاريخ المذاهب الاسلامية، محمد أبو زهرة، ٢٠١، الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف، يوسف القرضاوي، ٣٥-٣٦.

(٦) ينظر: المصادر نفسها.

٢- احالة من سألهم التمسكن حتى التمكن، بمعنى يأتون بأسلوب متواضع يتمسكون للمجتمع وينزلون الى أدناهم في بادئ الامر، ولكن بعد أن يتمكنوا يكشروا أنيابهم ويظهروا خبثهم، يقتلون العلماء والشيوخ ويهجروا ما يهجرونه وينهبوا الاموال بل عمل هؤلاء اكثر مافعله اليهود بالمسلمين(١).

٣- من اساليبهم السيطرة على المراكز الدينية، لكي تساعد على نشر افكارهم، ويتخذونها مركزاً لما يقومون به، وكذلك تكون مركزاً لدعاياهم التي يروجونها بين ابناء المجتمع الذي يعيشون فيه.

٤- من اساليبهم توزيع مساعدات للأفراد وبذلك يحثهم على البقاء وعدم الهجرة عنهم، فهذا يقتنعون اعداد قليلة، وخاصة الذين يجهلون مايعمله هؤلاء الدخلاء على المجتمع.

٥- من اساليبهم: تلقين الاطفال في المدارس أم خارجها بافكارهم الهدامة التي تؤثر تأثيراً كبيراً في الاسلام بل تشوه صورته أمام القاضي والداني، ويعلمونهم القسوة والشدة مع المخالفين لهم، سواء اكان بالقول أم بالفعل.

٦- من أساليبهم: نهب ثروات المجتمع الذي يسيطرون عليه، من النفط والمعادن والاموال الاخرى، لكي يسددوا نفاقهم من جهة، وينهبوا مايقى لانفسهم من جهة اخرى.

أثره على المجتمع:-

فالمجتمع الاسلامي في زمن النبي (ﷺ) لم يعرف التطرف ولا التشديد في أمور الدين والدنيا، وحتى في زمن الخلفاء الأربعة ، وقد سارت الفتوحات الاسلامية بصورة لا مثيل لها، فتحت بلاد كثيرة في المشرق والمغرب، وكان المسلمون متمسكون بالتعاليم الصحيحة يسيرون عليها في حياتهم، مما جعلهم يتطورون ويتقدمون في جميع مجالات الحياة.

لكن عندما دبت الفتن في صفوف المسلمين بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) وخروج الخوارج على الامام علي (رضي الله عنه) الذين أدخلوا على الاسلام ما ليس منه، فحدثت مواجهات وحيكات مؤامرات وقتل ابرياء وصنعت أفتراءات مما جعل المجتمع الاسلامي آنذاك يعج بالفتن التي صنعها هؤلاء الخوارج، فلا يأمن الناس على اموالهم ولا على انفسهم، فتغير مجرى الحياة الاجتماعية تغيراً سلبياً في ذلك الوقت(٢).

وعلى ذلك: فإن التطرف اذا دخل مجتمعاً يؤثر عليه تأثيراً سلبياً سواء أكان من الناحية الفكرية أم السياسية أم الدينية أم الاجتماعية، لان بعض من ضعفاء النفوس والجهال فإنهم يكتسبون منه مايكتسبون ويصبح ذلك منهجاً في شؤونهم الحياتية(٣).

فالمجتمع هو يتأثر بالمتطرفين بصورة مباشرة وغير مباشرة، فإذا مال الى التفريط والتشديد فقد ساهم في صناعة التطرف بما ناله من افكار المتطرفين، وإن حافظ على الاعتدال والتوسط وبقي بعيداً عنهم فإنه يكون مستقراً في حياته وعقائده وجميع شؤون حياته. وعلى ذلك فإن التطرف لا يأتي: لا بأثار سلبية للمجتمع تبعده عن التقدم والازدهار(٤).

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (هلك المتنطعون)(٥)، اي المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في اقوالهم وافعالهم، والمتنطع المتعمق في الشيء المتكلف للبحث عنه(٦).

فأي تكلف وتشدد في الفعل والقول يوصل صاحبه الى الابتعاد عن الحقيقة الى المغالاة في جميع امور الحياة. فهذا يؤثر على تأثيراً على تقدم المجتمع، وهذا التأثير يؤدي الى:-

١ - تفرقة المجتمع الى فرق متعددة.

(١) ينظر: أثر الانحراف الاعتقادي على الارهاب العالمي، اليهودية نموذجاً سعد بن علي بن محمد الشهراني، ط١، الرياض، ٢٠٠٥م، ٢٥٢٤.

(٢) ينظر: البدء والتاريخ، المقدسي، ١٣٥/٥-١٣٧، تيارات الفكر الاسلامي، محمد عمارة، ١٤-١٥.

(٣) ينظر: رسالة الغفران، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، ط٩، دار المعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٧٥.

(٤) ينظر: الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة، سامي الغريزي، ط١، مطبعة تكارش، ١٤٢٤هـ، ٤٨.

(٥) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ابو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠١٠م، برقم ٢٦٧٠.

(٦) عيون المعبود، شرح سنن ابي داود، محمد اشرف العظيم ابادي، ت١٣٢٩هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٢/٢٣٥.

٢- تناهر المجتمع الواحد وابتعاده عن الوحدة.

٣- أبتعاد ابناء المجتمع عن العلم والتعلم والسير بطريق الجهل.

٤- الابتعاد عن الشرع الاسلامي ومابه من تطور وتقدم للمجتمع وأدخال المجتمع بدائرة ضيقة تؤدي الى التخلف.

٥- المغالات والتطرف يؤدي الى نشر تعاليم الدين بصورة خاطئة بين صفوف المجتمع.

٦- التطرف يؤدي الى هدم الحضارة ونسف التراث ونشر افكار منحرفة تؤدي الى تخلف المجتمع وابعاده عن التقدم.

٧- التطرف يؤدي الى الابتعاد عن المحبة والتعاون فيما بين أفراد المجتمع. لان كل منها له وجهته في العمل الذي يعملها (١).

فلا بد من الحذر من المتطرفين لكي نسير في سبيل الإصلاح، وتحقيق الخير للمجتمع، وهذا هو هدف اساسي في بناء المجتمعات وتقدم (٢).

وعلى ذلك فالتطرف لازيد في المجتمعات: لا الشر والتخلف والابتعاد عن التقدم والتطور، لانه لا يعترف بأن الشريعة الاسلامية جاءت لخدمة المجتمعات، وانها تريد الرقي لها على العكس مما يفعله التطرف.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين.

بعد اكمال هذا البحث المتواضع فإني سجلت بعض النتائج وهي:-

١- التطرف هو الغلو والتنطع والتشدد فأصلهما الابتعاد عن الوسطية والاعتدال بل هو تضيق على الناس في امور الدنيا والدين.

٢- الاسلام لايعرف التطرف والتشدد إلا بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وظهور الخوارج وقاتلهم الامام علي (ع) ونكل بهم .

٣- نهى الرسول (ص) على التطرف والتشدد وازجر كل من اراد التشدد بأمر الدين ونهاهم عنه.

٤- توجد عدة اسباب للتطرف منها اجتماعية وبيئية ونفسية وذاتية وهناك اسباب سياسية، كلها تؤدي الى التطرف وظهور المتطرفين .

٥- الجهل بأمر الدين وعدم التعلم يوصل الى التطرف الذي يهلك المجتمع ويدخله في أضيقات الحلقات.

٦- استخدم المتطرفون اساليب عديدة لكي يوصلوا الى غايتهم واهدافهم ، وبذلك يسيطروا على المجتمع ويفرضوا سطوتهم عليه.

٧- للتطرف اثر سلبي على المجتمع لانه يوصله الى الفرقة والعداوة والبغضاء ويؤدي به الى التخلف وعدم التطور في جميع مجالات الحياة.

المصادر

* القرآن الكريم

أثر الانحراف الاعتقادي على الارهاب العالمي، اليهودية انموذجاً، سعد بن علي بن محمد الشهراني، ط١، الرياض، ٢٠٠٠م.

(١) ينظر: فلسفة التربية في الاسلام، د.احمد رجب الاسمر، ط١، دار الفرقان، الاردن، ١٩٧٧م، ٢١٣-٢٢٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣١٧.

- الاسس الدينية للاتجاهات السلفية، كريم السراجي، ط ١، دار السلام، بيروت، ٢٠١٠م.
- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي ت ٣٥٥هـ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- تاريخ المذاهب الاسلامية، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- التطرف الديني الرأي الآخر، صلاح الصاوي، ط ١، مطبعة الأفاق الدولية، ١٩٩٣م.
- تيارات الفكر الاسلامي، محمد عمارة، ط ٢، دار الشروق للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، (ت : ٣١٠هـ)، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ١، ٢٠٠١م
- جذور الفتنة أجيال بني اسرائيل، محمد عصمت بكر، بلا.
- الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة، سامي الغريزي، ط ١، مطبعة نكارش، ١٤٢٤هـ.
- الحوادث والبدع، محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري ابو بكر الطرطوشي ت ٥٢٠هـ، تحقيق: بن حسن الحلبي، ط ٣، دار ابن الجوزي، ١٩٩٨م.
- رسالة الغفران، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطبي، ط ٩، دار المعارف الاسلامية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩هـ، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، ط ٢، شركة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٧٥م.
- الصحة الاسلامية بين الجمود والتطرف، يوسف القرضاوي، ط ١، دار المشرق للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ابو الحسن القشيري النيسابوري، (ت : ٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠١٠م .
- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري، تحقيق: زهير بن ناصر الدين، ط ١، نشر دار طرق النجاة، ٢٠٠١م.
- عون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد اشرف العظيم ابادي ت ٣٢٩هـ، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- غسيل المخ كيف يغيب العقل ومتى، نبيل راغب، دار غريب للطباعة، مصر.
- فلسفة التربية في الاسلام، د. احمد رجب الأسمر، ط ١، دار الفرقان، الاردن، ١٩٧٧م.
- مقدمة ابن خلدون،
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس بن زكريا القزويني ت ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- موقف الاسلام من العنف والعدوان وانتهاك حقوق الانسان، حسن محمود خليل، تقديم محمد سعيد طنطاوي، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- موسوعة الفرق والمذاهب والاديان المعاصرة، ممدوح الحربي، ط ١، شركة الفا للنشر، مصر، ٢٠١٠م.
- ميزان العمل، ابو حامد محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ، تحقيق: سليمان دنيا، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

د. علي عبود المحمداوي

الفهرس

دور الجامعات الشرعية في محاربة الارهاب

"جامعة الزيتونة التونسية أنموذجاً."

الأستاذة عفاف جعواني

الجمهورية التونسية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلم الأول والمرشد الأعظم، وعلى آله وصحبه والسائرين على الصراط الأقوم.

الإرهاب آفة خطيرة عانت وتعاني منها البشرية ولم تُستثنى مجتمعاتنا العربية والإسلامية من مخاطره المدمره.

فهو ثمرة خبيثة لفكر الغلو والتطرف، وافارز لعوامل مركبه كالجهل والحرمان والإحباط. وقد استنفرت الجهود للتصدي لظاهرة الإرهاب وتجفيف منابعه، اذ لا تقتصر هذه المواجهة على الحلول الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، بل تحتم تدعيم ذلك بمواجهة فكرية، تدحض زيف الأفكار المتطرفة وتحريف المغالين وتبرز الفكر الإسلامي الوسطي المستنير وابعاده الإنسانية التي تنبذ الغلو والتطرف والانغلاق.

إن المؤسسات العلمية والتعليمية، له يّ خير مرشح لتكون في صدارة هذه الرسالة الفكرية والعلمية.

فما هي التجليات المضمونية والمنهجية الأنجع لتحقيق الجامعات الرسالة الشرعية والتاريخية؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في بيان أثر الجامعات الشرعية في صناعة فكر إنساني مستنير، يسعى من خلاله الفرد والمجتمع، إلى بناء حضارات إنسانية قائمة على فكر وسطي معتدل ومناف لأفكار الارهاب.

أهداف البحث

بيان تأثير الجامعات الشرعية في بناء فكر معتدل منافي لفكر الإرهاب.

التأكيد على شمولية الحضارة الإسلامية من مختلف الجوانب الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والأبستمولوجية.

بيان دور العلماء والمصلحين الزيتونيين في بناء مجتمع حضاري ذا رؤية استثنائية واعدة وجادة من خلال تحرير العقول وصياغة الأفكار التي ترتبط بمقومات البلد وهوية التونسيين فكار وتدينا.

إشكالية البحث

تتبلور إشكالية البحث في طرح الاستفهامات التالية:

إلى أي مدى تساهم الجامعات الإسلامية في بناء فكر إنساني وسطي معتدل من خلال ما تقدمه للطلبة ؟

كيف توازن جامعة الزيتونة بين الأصالة والمعاصرة و بين الحفاظ على هويتها والانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى؟

ما هو دور جامعة الزيتونة في الحد من ظاهرة الإرهاب ومواجهة هذا الفكر؟ وهل نظام الجامعة الشرعية وحده يكفي للحد من هذه الظاهرة؟

منهج البحث

سأعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وكذلك المنهج الاستقرائي حيث سأقوم بشرح مفاهيم البحث وهي الفكر، التطرف والإرهاب .

كما سأتطرق إلى أهم الجوانب الرئيسية في بناء الفكر الإنساني ضمن المؤسسات الجامعية، من خلال المقررات الدراسية وبيان دور الأساتذة في ترسيخ فكر إنساني متوازن يتوج بتخرج جيل من الباحثين الواعدين. كما سأعتمد لازماً إلى المصادر الأصلية في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . كذلك الحرص على الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائلها.

خطة البحث

قسّمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة وفهارس.

المقدمة وتشمل خطة البحث.

التمهيد وفيه بيان مفاهيم البحث.

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن جامعة الزيتونة.

المطلب الثاني: دور جامعة الزيتونة في بناء فكر معتدل منافي لأفكار التطرف والإرهاب.

المطلب الثالث: أثر جامعة الزيتونة في إصلاح المجتمع.

الخاتمة

الفهارس

وأخيار لا أزعم أن ما وصلت إليه هو كمال البحث ولكن حسبي أنني ساهمت في هذا الموضوع وحاولت إثرائه.

المبحث

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول مفهوم الفكر

المطلب الثاني مفهوم الإرهاب

المطلب الثالث مفهوم تطرف

في اللغة

جاءت مادة "فكر" في "لسان العرب" بمعنى إعمال الخاطر في الشيء^١، و"فكر؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكّر، إذا ردّد قلبه معتباراً، ورجل فكّير: كثير

الفكر^٢.

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعا^٣، ولكنّها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾^٤ أي فكر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وقدر فيما يقول فيه^٥.

(لسان العرب، ابن منظور: مادة (فكر)

(مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عن دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مادة (فكر) ، الجزء الرابع - ص ٤٤٦.

(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، عن المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، بدون تاريخ) ، مادة (فكر) - ص ٥٢٥.

(سورة المدثر: الآية ١٨

(تفسير الطبري ، ج ٢٤ - ص ٢٣.

في الاصطلاح

أما الفكر اصطلاحاً فقد جاء في " المعجم الوسيط" "فكر" بمعنى: إعمال العقل في الشيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى المجهول^١، أو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول^٢.

فالفكر إمّا أن يارد به الكيفيّة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي أعمل فيها عقله، فيكون الفكر عندئذٍ بمثابة الأداة أو الآليّة في عمليّة التّفكير، وما يلحق بها من طاقات وقوى وملكات عقليّة ونفسية.

وإمّا أن يارد به ما نتج عن ذلك من تصوّرات وأحكام وراوى حول القضايا المطروحة، ثمّ تتّسع دائرة مفهوم الفكر أو تصديق تباعاً لمنطلقات المحدّد لمفهوم الفكر، فإذا اتّسع مفهوم الفكر اشتمل على الموروث الفكري للإنسان في جميع ميادين المعرفة والعلوم على الصّعيد النظري، على أنّ هناك من يدخل العلوم التجريبيّة والتّطبيقيّة داخل مفهوم الفكر، فيشتمل على التّشاط الإنساني عامّة بما يخرج مفهوم الفكر عن الفكر ليشتمل على مفهوم النّفاة بل الحضارة أي اضا.

١) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية (بدون تاريخ) ، الجزء الثاني مادة

(فكر) - ص ٦٩٨.

٢) المصدر نفسه- ص ٦٩٨ .

المطلب الثاني: مفهوم الإرهاب في اللغة

تعتبر كلمة (الإرهاب) مشتقة من الفعل المزيد (أرهب)، ويقال: (أرهب فلانا) أي: خوَّفه وفزعه، وهو المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب)، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو

(رهب يرهب رهبة ورهبا) فيعني: خاف، فيقال: (رهب الشيء رهبا ورهبة أي: خافه، والرهبة: الخوف والفزع) (١).

وكلمة "إرهاب" تشتق من الفعل المزيد (أرهب)؛ ويقال أرهب فلانا: أي خوَّفه وفزعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب)، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رهب)، يرهب رهبة ورهبا ورهبا فيعني خاف، فيقال: رهب الشيء رهبا رهبا أي خافه. والرهبة: الخوف والفزع، أما الفعل المزيد بالتاء وهو (ترهب) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الارهب والارهبنة والرهبانية...، وكذلك يستعمل الفعل ترهبا بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا: أي توعد، وأرهبه ورهبه واسترهبه: أخافه وفزعه. وترهب الرجل: إذا صار رهبا يخشى الله. والارهب: المتعبد في الصومعة (٢).

(ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٣٧.

(انظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، باب الباء فصل الرء، ص ١١٨.

مصطلح (الإرهاب) ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (terrorisme)، التي استحدثت أثناء الثورة الفرنسية، وهي ترجمة حرفية أي اضا للكلمة الإنجليزية (terrorisme)، ويعتقد أن الترجمة الصحيحة للمصطلح الأجنبي هي كلمة (إرهاب، وإخافة شديدة)، وليس (إرهابا) (١).

ويقول قال الارغب الأصفهاني: الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطرب (٢).

وفي المعجم لابن فارس: (رهب الارء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة، فالأول الرهبة، تقول: رهبت الشيء رهبا، ورهبا، ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْغُ الإبل من الحوض، وذباؤها، والأصل الآخر الرهب، الناقة المهزولة) (٣).

في الاصطلاح

عرفه الفقيه الإسباني سالدانا Saldana ضمن أعمال مؤتمر كوبنهاجن لتوحيد القانون الجنائي (٥٣٩١) بأنه "كل جنائية أو جنحة سياسية أو اجتماعية يترتب على تنفيذها أو حتى مجرد الإعلان عنها إشاعة الفزع العام لما لها من طبيعة منشئة لخطر عام" (٤).

ونقلت موسوعة نضرة النعيم عن معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية تعريف الإرهاب بأنه: بث الرعب الذي يثير الرعب في الجسم والعقل، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف (٥).

(عبد الرحمن، الهوارى: التعريف بالإرهاب وأشكاله، ص ١٩.

(الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص ٢٠٤.

٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ٢، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٨٢.

(محمد محي الدين عوض، تعريف الإرهاب: تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، الندوة العلمية الخمسون، ٠٧ - ٠٩ ديسمبر ١٩٩٨ الرياض، سنة ١٩٩٩، ص ٥٥.

(موسوعة نضرة النعيم / مجموعة من المختصين، ط الأولى، ١٤١٨، دار الوسيلة، عن معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٣٨٢٨.

أما لجنة الخبراء العرب في تونس، وفي الفترة من ٢٠ حتى ٢٢ محرم ١٤١٠ هـ) الموافق ٢٢-٢٤ أغسطس سنة ١٩٨٩م) اجتمعت لوضع تصور عربي أولي عن مفهوم الإرهاب والإرهاب الدولي والتمييز بينه وبين نضال الشعوب من أجل التحرر، ووضعت تعريفاً شاملاً واضحاً، حيث ينص على أن الإرهاب " هو فعل منظم من أفعال العنف أو التهديد به يسبب فزاعاً أو رعباً من خلال أعمال القتل أو الاغتيال أو حجز الرهائن أو اختطاف الطائرات أو تفجير المفرقات وغيرها مما يخلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب، والذي يستهدف تحقيق أهداف سياسية سواء قامت به دولة أو مجموعة من الأفراد ضد دولة أخرى أو مجموعة أخرى من الأفراد، وذلك في غير حالات الكفاح المسلح الوطني المشروع من أجل التحرير والوصول إلى حق تقرير المصير في مواجهة جميع أشكال الهيمنة أو قوات استعمارية أو محتلة أو عنصرية أو غيرها، وبصفة خاصة حركات التحرير المعترف بها من الأمم المتحدة ومن المجتمع الدولي والمنظمات الإقليمية بحيث تنحصر أعمالها في الأهداف العسكرية أو الاقتصادية للمستعمر أو المحتل أو العدو، ولا تكون مخالفة لمبادئ حقوق الإنسان، وأن يكون نضال الحركات التحررية وفاقاً لأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة وسواء من قرارات أجهزتها ذات الصلة بالموضوع"١.

١) الدكتور خالد عبيدات، ظاهرة الإرهاب، محاضرة نشرت في صحيفة الرأي الأردنية في عددها (٤٤) الصادر يوم الأربعاء

١١/٢٦/١٩٩٧م، نقالا عن الإرهاب في العالمين العربي والغربي، ص ١٣، ٢٥

المطلب الثالث: مفهوم التطرف في اللغة

حَدَّ الشَّيْءِ وَحَرَفَهُ، وعلى عدم الثبات في الأمر، والابتعاد عن الوسطية، والخروج عن المألوف ومجازة الحدِّ، والبُعد عما عليه الجماعة١.

في الاصطلاح

لم نجد في كتب القدماء هذا المعنى المقصود اليوم من كلمة " التطرف " ، ولكن هناك لفظة أخرى كثر استخدامها في هذا المعنى، وهي كلمة " الغل و " ٢ ، وهي كلمة وردت في القرآن الكريم، ووردت على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن من خلال المفهوم السائد

الآن، يمكن أن نقول: إنه تجاوز حد الاعتدال، سواء كان في العقيدة، أو في الفكر، أو في السلوك.

وجاء في مجلة البحوث الإسلامية٣: الغلو في الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة، فالغلو في الكفن هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه.

والغلو أخص من التطرف، إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد، والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبارة أخرى: سلاباً أو إيجاباً، زيادة أو نق اصا.

(تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرَّبِيدِي (المتوفى:

١٢٠٥ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن،) لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري

(المتوفى: ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

(تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي) المتوفى: ٧٧٤هـ، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

يعد جامع الزيتونة المسجد الثاني في أفريقيا بعد مسجد عقبة بن نافع في القيروان، وأمر القائد المسلم حسان بن النعمان ببنائه في سنة ٧٦ هجرية، واكتمل بناء الجامع في عهد القائد عبيد الله بن الحبحاب، واستغرق بناؤه أعوام عدة حيث تميز المسجد بفخامة بنائه وحسن زخرفته، وتروى العديد من الروايات حول أصل التسمية إلا أن الأرجح أنها أطلقت لوجود شجرة زيتون مكان الجامع، فأصبح اسمه استثناسا بهذه الشجرة .

كانت تونس تمثل نقطة هامة للوجود الإسلامي في أفريقيا، وجذبت إليها آلاف المهاجرين ليعمروها ويعيشوا في ربوعها الخضراء، وكانت هذه البلد المدخل الطبيعي لأفريقيا لموقعها الاستراتيجي وبقيت كذلك لقرون طويلة، وقصد الأئمة والفقهاء والعلماء جامع الزيتونة ليصبح منارة للعلم في أفريقيا، ويعتبر الجامع قبلة لطالبي العلم، وي وفده الداخلون الجدد في الإسلام لتلقي علومهم والعودة إلى مواطنهم في أفريقيا لينشروا تعاليم الإسلام السمحة.

عندما تأسست دولة الأغلبية في تونس لقي الجامع المزيد من العناية والاهتمام، ليصبح أول مدرسة فكرية ومعهد علمي نموذجي في الإسلام وفي العالم، وليس مستغربا أن يُعد الزيتونة أول جامعة في العالم حيث توسعت العملية التعليمية و نُظمت، وظهرت العديد من الأسماء الكبيرة في التاريخ الإسلامي في جامع الزيتونة ومنهم أسد بن الفرات الفقيه المالكي المعروف، وأيضا المفسر الفقيه محمد ابن عرفة ومؤسس علم الاجتماع ابن خلدون.

م تّل الجامع أيضا همزة الوصل بين المشرق العربي ودول المغرب، فكان يمثل مدخلا طبيعيا للثقافة المغربية المتميزة، وأثنى العديد من أعلام المشرق على دور الجامع الديني والعلمي ومنهم الأمير شكيب أرسلان الذي ياره بجانب الجامع الأزهر والمسجد الأموي من الحصون للدفاع عن اللغة العربية والشريعة الإسلامية، وهذا مثال واضح على الدور المثالي الذي يتحمله المسجد في الحياة الإسلامية، فلا يقتصر دوره على أداء العبادات ولكن يتخطى ذلك إلى دور اجتماعي وتنموي فاعل.

بقي الجامع طيلة القرون الماضية يخ رج العلماء والفقهاء الذين استطاعوا أن يثبتوا الوجود الإسلامي في إفريقيا، ومنه تخرج رجال الدولة فلا تقتصر قائمة من تلقوا علومهم في الجامع على إباراهيم أرياحي ومحمد النخلي ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الخضر حسين الذي أصبح شيخا للأزهر، وتوسع دور الجامع ليكون في طليعة النضال الوطني كمثل الجامع الأزهر في مصر، ومنه تخرج الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، وردف الجامع الحياة الأدبية والثقافية بالكثير من رموزها وروادها ومنهم الشاعر الكبير أبو القاسم الشابي.

اهتم حكام تونس على تعاقب دولهم بالجامع الذي أخذ يشغل مكانة رفيعة وأثيرة لدى كل حاكم لتونس، فكان التنافس بينهم على العطاء الجزيل للجامع وإدخال التوسعات والقيام بأعمال الصيانة والترميم، وأصبح الاحتفال بالمناسبات الدينية طقسا يحرص عليه ملوك تونس وأمرؤها.

وفي التاسع عشر من رمضان ١٤٧٥ هجرية) ١٩٥٦ م) أصدرت الحكومة التونسية قرار بتحويل جامع الزيتونة إلى جامعة عصرية حملت نفس الاسم، وبدأت الجامعة تدرس بأساليب عصرية اعتبار من تلك السنة ومن خلال خمس كليات وأضيفت العديد من المعاهد العالية أهمها المعهد العالي لأصول الدين ومعهد الحضارة الإسلامية، وتمنح الجامعة شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، واحتوت على قسم مهم لدارسات العمارة الإسلامية والفنون التراثية الإسلامية، وتدرس الجامعة أيضا تخصصات أخرى بالإضافة إلى الدارسات الإسلامية مثل علم الاجتماع، وعلم النفس والانثروبولوجيا، وعلم الاقتصاد، واللغات الأجنبية.

ويدرس الآن في الجامعة أكثر من ألف ومائتي طالب في مرحلة البكالوريوس) الاجازة) وأكثر من ثلاثمائة وخمسون طالبا في الدارسات العليا، وتناقش الجامعة سنويا أكثر من خمسين رسالة علمية وتصدر الجامعة مجلتيين متخصصتين هما المشكاة و التنوير ، وفيها العديد من المكتبات أهمها المكتبة المركزية التي تضم قسما متخصصا ونادرا للمخطوطات الإسلامية ١.

وكان للجامع دور عظيم في تثبيت العقيدة الإسلامية، وبث علوم الشريعة والآداب العربية، كما كانت له إسهامات مباركة في إشعاع الحضارة الإسلامية على تونس وأرجاء البلاد التي قَدِم منها طلاب الزيتونة، ولقد خَرَج الزيتونة نحارير الفقهاء

من أمثال الشيخ سالم بوحاجب، والشيخ محمد الطاهر النيفر، ومحمد النجار، ومحمد العزيز جعيط، وغيرهم من أئمة المذهب المالكي، ومن علماء الحنفية الكبار أحمد حميدة بن الخوجة، وأحمد كريم.

١ (تاريخ نشأة وتطور جامع الزيتونة: مقال نشر في الوسط التونسي بتاريخ ٠٩ - ١٠ - ٢٠٠٩

تعتبر الدروس والمحاضرات التي تقدمها جامعة الزيتونة لطلبتها ضمن برامجها ومقرراتها، المنطلق والأساس لمدهم بالعلوم والمعلومات المناسبة.

ذلك لأن هذه البرامج والمقررات لا تحدد ارتجالاً، وإنما ضمن رؤية وأهداف علمية ومنهجية، تهدف إلى ترسيخ فكر منفتح مستنير يحافظ على مرجعيته الإسلامية ويفتح علي القيم الإنسانية، ضمن منهج الوسطية والاعتدال ونبذ التعصب والغلو والانغلاق، والوقوف في دائرة الإرهاب والتطرف.

ومما سهل وأشاع هذا الفكر ما تميز به التراث الزيتوني من فكر مقاصدي مثل الشيخ العلامة ابن عاشور.

وإن للمناهج والمقررات الدراسية دور كبير في صياغة ذهن الطالب وتكوينه، وتعمل بدرجة كبيرة على تحديد كيفية تعامله مع مجتمعه، وطريقة تعامله مع المستجدات والنوازل من حوله، وذلك وفق التصورات التي عُرس في ذهنه في مراحل الدراسة والجامعية المختلفة؛ ولأهمية هذه المناهج، دأب دكاترة الجامعة ورؤساء الأقسام على أن تتضمن هذه المقررات مفاهيم محددة، لها علاقة جد وطيدة ببيان خصائص الشريعة الإسلامية، وصلاحياتها لكل زمان ومكان، وليصبح الطالب المسلم مواكبا للتطورات الواقعة في مجتمعه.

ولتوضيح وبيان ذلك نتخير بعض النماذج من مقررات جامعة الزيتونة:

علوم القرآن:

وهو أنواع المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمة له، أو دل القرآن على مسائلها وأحكامها. علوم القرآن هو عبارة عن مباحث أساسية ينبغي للإمام بها لكل مقبل على فهم ودارسة القرآن الكريم وإلا ضل عن سواء السبيل. لذا يمكن تعريفه بأنه : (أنواع المعارف والعلوم الخادمة للقرآن الكريم كعلم النزول ، وعلم الرسم ، وعلم التجويد والقراءات، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم التفسير ونحو ذلك...).

الفقه المقارن:

من خلال هذا المقرر يقف الطالب على ما تميزت به الشريعة الإسلامية من شمول ويسر، وذلك من خلال إحاطته بالأراء المتعددة في المسألة الواحدة، فيأخذ بالأري المناسب لما يعرض له من وقائع، كما تعينه على الوصول إلى حكم ما يستجد من قضايا .

مقارنة الأديان:

وهو علم مقارنة الأديان من العلوم الهامة في تكوين طلاب العلوم الشرعية علمي ا، ومن الجدير بالذكر أن هذا التخصص أمر جديد في زمرة العلوم الشرعية.

وعادة ما يقابل بالرفض والغاربية والاستهجان في الكثير من الجامعات الإسلامية، الشأن في ذلك كالشأن في علم الفلسفة والمنطق قديما. ومن هنا لا يكاد يُعترف به كتنخصص في الجامعات الإسلامية؛ هذا من حيث النظرة الأكاديمية. أما من حيث موقف عامة المسلمين منه فهو المعرفة السطحية الطبيعية؛ فغالبا ما يكون أول ردة فعل على ذلك هي: لا مقارنة بين الأديان، كيف نقارن بين الإسلام وغيره وهو أفضل الأديان، إن الدين عند الله الإسلام، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه.

لكن رغم ذلك حافظت جامعة الزيتونة على هدفها وتم اعتماد هذا المقرر ضمن برامجها، ويبرز مقرر مقارنة الأديان تحت قسم العقيدة، ويضم العديد من الطلبة الذين يتجهون إلى هذا التخصص كذلك نجد في الجامعة مئات بحوث التخرج ماجستير ودكتوراه ضمن تخصص مقارنة الأديان بإشراف العديد من الدكاترة الزيتونيين.

علم المقاصد:

يُمكن هذا العلم طلبة العلوم الشرعية من التعرف على علم المقاصد الشرعية وحجتيه، وتاريخ نشأته، ومكانته بين علوم الشريعة، وأهميته في الاجتهاد الشرعي خاصة في المسائل المستجدة. كما يمكن التمييز بين أنواع المقاصد الشرعية ومكملاتها، مع بيان صلتها بالأدلة الأصولية الشرعية، والأحكام التكليفية والوضعية، والقواعد الفقهية، وفقه الخلاف.

ويعمل دكاترة الزيتونة في هذا التخصص على تعليم الطالب أساليب الكشف عن المقاصد الشرعية من خلال الطرق العلمية الخاصة بهذا العلم، وتدريبهم على تطبيق القواعد التنزيلية المرتبطة بتحقيق المقاصد الشرعية وبيان وسائلها.

كما يسعون جاهدين إلى تقديم التدريبات العملية للطلاب، من خلال إجراء الضوابط والقواعد المقاصدية على المسائل والنوازل المستجدة في العصر الحديث كي يكون الطلاب على ارتباط وثيق بواقعهم الحياتي.

إذ لم تقتصر جامعة الزيتونة في مقرراتها على الجانب الشرعي فقط وإنما واكبت العصر والتقدم وأدمجت تخصصات ومقررات حديثة ضمن رحابها والتي سوف أذكرها في ملحق هذا البحث.

❖ علم الحديث

علم الحديث واحد من فروع العلوم الشرعية، يُعنى بما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، ويدرس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها .

أثر جامعة الزيتونة في إصلاح المجتمع

في خضمّ بحث العقل الإنساني عن اكتشاف سبل الانبعاث الحضاري، يجدر الالتفات للمؤسسات العلمية، والدينيّة منها بالأساس، فيما أنتجته وما تنتجه من وعي ورؤى ومفاهيم، وتمعّن في المحتوى والمنتج المعرفي والخريج العلمي.

ومن ثمة تبيّن الدور الحضاري المعرفي للمؤسسة، في فضاءها العائدة إليه بالنظر والمرتبطة به. وتعتبر جامعة الزيتونة من أعرق الفضاءات التعليمية في العالم الإسلامي، بالمعنى المؤسسي الشامل، والتي استطاعت أن تحافظ على استمراريتها عبر القرون رغم المحاولات العديدة لردع تقدمها وتطورها والاضطهاد الذي مرت به في الفترات السابقة.

وقد اهتمت الفئة المفكّرة في المجتمع بالإصلاح من منظور موقعها في المجتمع، وقد ظهر عدة مفكرين ذو نزعة إصلاحية مثل سابقهم، ولكن ضمن شروط جديدة عاشوها دون أن يكون لمن سبقهم فرصة معاينة وقائنها.

ومن رواد هذه الحركة الإصلاحية نذكر خير الدين التونسي الذي نعتبره مرجعا أساسيا للدعوة للأفكار الإصلاحية في الشمال الإفريقي أو في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور رائد الفكر الإصلاحي في تونس، وهو من أبرز علماء الزيتونة لا في عصره فحسب، بل وفي العصور السابقة، كما أنه من ألمع علماء الإسلام لما اتصف به من حدة ذكاء وتعمق في العلوم الدينيّة واللغويّة والأدبيّة، ومن اعتماد على العقل والنقد، مع تثبت ومقارنة في البحث.

وكانت هذه الصفات مدعّمة بمثابرة نادرة، وقدرة ممتازة على العمل الفكري، وعزيمة على الإنجاز والإتمام معززة بوضوح وتصميم المنهج، وبلاغة كبيرة في التحرير والخطابة.

فلا ريب حينئذ في كونه ينتمي إلى أرفع طبقة من علماء الإسلام، طبقة المفكرين المجدّدين المعتمدين على العقل والاجتهاد. ١١

وقد حمل الشيخ راية الإصلاح في تونس ما يزيد عن نصف قرنٍ من الزمان، حيث كرس عمره الذي بلغ التسعين في خدمة العلم والإصلاح، سواءً في مجال التربية والتعليم، أو على الصعيد الوطني. ولم تكن جهوده الوطنية قاصرة على مجال

التعليم والتربية، إلا لاعتقاده بأن نهضة الأمة الإسلامية، إنما تتم بتغيير فكرها ووعيتها، وذلك يستدعي تغيير أساليب التعليم .

وكان يرى أنّ أسباب الخلل في التعليم ترجع إلى فساد المعلم، وفساد التأليف، وفساد النظام العام، حيث كان المجتمع التونسي آنذاك يرزح في ضلال الاستعمار الفرنسي، الذي ظلت آثاره ممتدة بعد استقلال تونس.

ولا يخفى عنا أنّ صلاح المجتمعات إنما يكون بصلاح الدول، وامتثالها لأمر الله عز وجل .

فإن بناء المجتمعات يكون من بناء خلاياها، وإن خلايا المجتمع هي الأسر في البيوت ، فلو أصلح الناس بيوتهم، وعملنا بالنصيحة الشرعية الموافقة للكتاب والسنة فيما بيننا لعَمَّ الخير ولقلَّ الشر.

فرغم الصعوبات التي اعترضت الجامعة في تجديد مناهجها، ورغم الثغرات التي تخللت مقرراتها وبرامجها، فقد وُفقت إلي بعث أجيال من الأساتذة والدكاترة والباحثين، الذين نهلوا من تلك المضامين العلمية والتعليمية فمثلوا حلقة وصل لترسيخ فكر إسلامي وإنساني مستنير

١ - مقال بعنوان الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٩٧٣-١٨٧٩) منشور بدائرة المعارف التونسية، الكراس ١/١٩٩٠م
(من ص

٤٠ إلى ص ٤٦).

ومنفتح في أجيال متعاقبة من الطلبة. مما ساهم بفاعلية في تحصين مجتمعنا وشبابنا من موجات التشدد والارهاب التي غزت عالمنا الواقعي والاقتصادي، وتسببت في موجة من الأعمال الإرهابية المدمرة كما ساهمت في إنارة الطلبة والرأي العام بالقيم المشرقة والإنسانية وبالتالي تكريس المنهج الإصلاحية في كل مجالات الحياة العلمية والثقافية والفكرية.

ولقد كان هذا التأثير العلمي والمنهجي شاملا، فلم يشذ عليه أساتذتها وباحثوها وطلبتها إلا القليل الذي يُحفظ ولا يقاس عليه. فقلما تجد في جامعة الزيتونة أستاذا أو باحثا تشعب بهذه المضامين ثم جنح إلى منهج الارهاب.

الخاتمة أهمّ النَّاتج

يمكن أنّ نستخلص من هذا البحث أهمّ نتائجه والتمثّلة بالخصوص في:

بيان دور كليات الشريعة في خدمة المجتمع، وحمايته من الأفكار الإرهابية.

بيان أهمية ما تقدمه الكليات الشرعية من خدمة جليلة للعلوم الشرعية.

إبراز دور العلماء والمفكرين في إصلاح منظومة المجتمع وبت القيم الإنسانية والأخلاقية فيه.

دور جامعة الزيتونة في صناعة فكر متحضر بعيد عن الأفكار المتطرفة والارهابية من خلال ما أنجبته من علماء ومفكرين يشهد لهم التاريخ.

دور الجامعة في صناعة مجتمع متحضر ذو فكر وسطي معتدل، قائم على مبادئ وأسس إنسانية أخلاقية.

أهمّ التوصيات

وإلى جانب ما وصلت له من نتائج في هذا البحث فإنني أوصي بما يلي:

الاستفادة قدر الإمكان من المقررات التي تطرحها الجامعات الشرعية وتوظيفها ضمن مجال التخصص.

العمل على توظيف كل ما تقدمه الجامعات الشرعية لخدمة الحضارة الإسلامية.

دعوة الجامعة إلى تطوير مناهجها وإدخال مقررات إضافية تكون مواكبة للعصر محافظة على أصول الشريعة كتخصصات التقنية والشريعة منها اذكر، تخصص الموارد والحاسوب، الحديث والحاسب الآلي.

والله وليّ التوفيق

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

اقتضاء الصراط المستقيم ، ج ١ .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

تيسير العزيز الحميد.

تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين..

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة..

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، تحقيق سامي بن محمد سلامة..

تاريخ نشأة وتطور جامع الزيتونة: مقال نشر في [الوسط التونسي](#) بتاريخ ٠٩ - ١٠ - ٢٠٠٩.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) صحيح البخاري(، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر.

جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزي .

لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم.

مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي.

المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون.

مقال بعنوان الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٩٧٣-١٨٧٩) منشور بدائرة المعارف التونسية، الكراس ١/١٩٩٠م.

التعريف بالإرهاب وأشكاله، عبد الرحمن الهواري .

المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني.

محمد محي الدين عوض، تعريف الإرهاب: تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي.

الدكتور خالد عبيدات، ظاهرة الإرهاب، محاضرة نشرت في صحيفة الرأي الأردنية/ عدد ٤٤ سنة ١٩٩٧.

الحوار الديني وسيلة من وسائل القضاء على العنف والارهاب

تعارف الحضارات:

مشروع السلام الذي لم ينجز بعد.

د. علي عبود المحمداوي

استاذ الفلسفة المساعد في كلية الآداب- جامعة بغداد

مقدمة:

يسعى هذا البحث إلى أن يقدم قراءة جديدة لفكرة وواقع العلاقة بين الهوية الحضارية الغربية والشرقية، أو الإسلام والغرب، أو الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وبمختلف تلك التسميات فيما بينها، إذ نسعى إلى تبيان أهم ملامح تلك العلاقة، وآلياتها، والنظريات التي طُرحت لتصفها أو تستشرف مستقبلها، كما سنبيين ماهية الخطاب الذي يحكم هذه الهويات المتكونة، والمكوّنة، بعناوينها الأنفة الذكر، وكيف يكون لفكرة الحضارة المركزية أو المحورية في التصدي لتفسير العلاقة، وفي الوقت نفسه كيف تكون مقبولة ومسوغة.

ولعلنا يمكن أن نكشف النقاب عن بعض جزئيات هذا التسويغ، في تحليل الحضور لمفهوم الحضارة، التي تظهر في حادثة الدراسات المنصوية تحت هذا العنوان، فضلاً عن ما تمثله لفظة الحضارة من تمثيل لهوية شعوب، ومجتمعات، ممكن أن يتم التعامل من خلالها مع الآخر، فالحضارة في بدايتها ومنتهاها ترافق مفهوم الهوية، وتعمل على توسعته ليشمل كل من يصطبغ بصبغة الحضارة التي تصنع هذه الهوية وتجعلها قريناً لها، أو تصطنع هي بعامل الهوية فتعود كتغذية راجعة لتنمية مفهوم الهوية.

أولاً: صدام وصراع الحضارات :

من الممكن ان يكون و استجابة لما دعا إليه ارنولد توينبي في كتابه: "الحضارة في الميزان"(cxx) وفي تنبؤه لماهية الحادثة الكبرى في المستقبل قائلاً: " إنها لن تكون إحدى الحوادث السياسية والاقتصادية المثيرة أو المفجعة التي تشغل عناوين الصحف وتحتل مكانة الصدارة في أذهاننا... ولكنها ستكون من الحوادث التي لا نكاد نشعر بها... أظن أن مؤرخي المستقبل سيقولون أن الحادثة الكبرى في القرن العشرين، هي اصطدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمة في العالم، إبان ذلك العصر"(cxxi)، انه قد كتب هانتنتغتون * Samuel Huntington، مقالة بعنوان صراع الحضارات في مجلة أمريكية اسمها شؤون خارجية أو اجنبية "FOREIGN AFFAIRS" وذلك في صيف عام ١٩٩٣ وطورها فيما بعد إلى كتاب اسماه ب (صدام الحضارات وأعاد صياغة النظام العالمي)، والنظرية وان لم تكن جديدة، إذ إن البداية كانت مع توينبي، وهناك بعض الآراء ترى إن أصل النظرية تاريخياً عائد إلى برنارد لويس وان هانتنتغتون قد استقاها منه(cxxii)، ورأى آخرون إن فكرة صدام الحضارات كان لها أصول مع مهدي المنجرة الكاتب العربي المغربي وذلك مع صدور كتابه (الحرب الحضارية الأولى) وان الكلام عن الصدام الحضاري ليس بالجديد لأننا كنا ننعى مواجهتنا ضد الغرب على إنها مواجهة حضارية(cxxiii) و سواء اطلع هانتنتغتون على ما صاغه"توفلر" وأسس له - بما يخص مفهوم صدام الحضارات- أم لا(cxxiv)، فإن هنالك إبداع فكري لهانتنتغتون في صياغة النظرية وهو "في المنهجية التي اخرج فيها هذه المقولة، ووضع لها بنية من المعارف التاريخية على قدر من المنهجية، فالجديد ليس في المقولة، وإنما في الافتراضات التي تخرج بها وفي التحليل التاريخي والربط المتناسك لأجزاء متناثرة من الأحداث والوقائع التاريخية والمعاصرة"(cxxv).

كما وان الجدة في النظرية تتركز في "بنيته الفكرية الجديدة التي صاغها هانتنتغتون وحساسة الوقت الذي جاءت فيه فضلاً عن نوعية المصدر والجهة التي عبرت عن هذه الفكرة"(cxxvi)، فهي من جانب :

حساسة الوقت = ظهرت" في وقت كانت أمريكا تتطلع إلى دور عالمي متعظم حسب رؤيتها للانفراد بإدارة النظام العالمي"(cxxvii) وبداية مدة انتهاء الحرب الباردة وانهايار الاتحاد السوفيتي وبيان معالم التفرد الأمريكي في قيادة العالم .

ومن جانب نوعية المصدر = صمويل هانتنتغتون - منصباً وهويّةً - هو مسؤول عن بعض الدراسات الإستراتيجية والعسكرية الأمريكية وذو هوية وأصل يهودي،"ومن المعروف أن هانتنتغتون مؤلف كتاب (صدام الحضارات) قريب من مراكز القرار الأمريكي، وقد عمل من قبل في إدارة الرئيس الديمقراطي السابق (جيمي كارتر) مسؤولاً عن التخطيط في مجلس الأمن القومي، كما انه رئيس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية وعضو في تحرير مجلة السياسة الخارجية"(cxxviii).

ومن جانب الجهة التي عبرت عن الفكرة ونشرتها = مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية، المعتمدة لدى صناع القرار الأمريكي والمتضمنة الكتابات المستشرفة والإستراتيجية المتخصصة بشؤون العلاقات الأمريكية مع الآخر.

والفحوى العامة للنظرية هي (كما يرى هانتنتون) إن العلاقات بين الدول والجماعات من حضارات مختلفة، لن تكون وثيقة، وغالباً ستكون علاقات عدائية، فضلاً عن ذلك، فبعض العلاقات الحضارية المتداخلة ستكون عرضة للصراع أكثر من الأخرى... وأكثر خطوط الصراع عنفاً ستكون بين الإسلام وجيرانه... وعلى المستوى الكلي، يكون التقسيم بين الشرق والغرب مرتبطاً بصراعات شرعية بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الآسيوية من جهة والمجتمعات الغربية من جهة أخرى. والصدامات الخطيرة في المستقبل من المحتمل أن تتبع من التفاعل مع العجرفية* الغربية، وتسامح الدين الإسلامي، والإصرار الصيني(cxxix).

وفي الطرف الآخر الذي يمثله الجانب الإسلامي تتنامى فكرة الهوية وتتعاظم تجاه الغرب ولاسيما أمريكا ، لما لها من اثر انطباعي سلبي بسبب الحروب والولايات التي ذاقتها الشعوب المسلمة والعربية وما افرزه الفكر الأصولي من رؤية دموية وعنيفة في ردود الأفعال، وعلى الرغم من أن قضية ١١ أيلول ٢٠٠١، التي وان كان عليها ما عليها من النقد والرفض وإعادة النظر في المبررات والآلية والهدف المرتجى منها (cxxx)، والصورة السلبية التي انعكست على العالم الإسلامي أولاً ثم الإسلام كنظرية ومنهاج ثانياً، إلا أنها استطاعت أن تؤكد وجود الهوية الأخرى الراضة للغرب والمتحدية له (وان مثلت الجانب المتطرف إسلامياً) حتى إن هانتنتون نفسه يرى أن بن لادن ملأ الفراغ الذي أحدثه إنهيار الاتحاد السوفيتي، فيقول : حينما" هاجم أسامة بن لادن أمريكا وقتل آلاف من الناس، فعل شينين آخرين أيضاً، ملأ الفراغ الذي أحدثه غورباتشوف بعدو جديد خطير بلا شك، وحدد هوية أمريكا بدقة كأمة مسيحية"(cxxxii) ويقول هانتنتون : "عندما انتهت الحرب الباردة في أواخر الثمانينات، علق جورج أرباتوف، مستشار غورباتشوف قائلاً: "إننا نفعل شيئاً رهيباً لكم حقاً - فنحن نحرّمكم من عدو". ويتفق علماء النفس بصفة عامة على أن الأفراد والجماعات يحددون هويتهم بتميز أنفسهم عن الآخرين ووضع أنفسهم في تعارض معهم، وعلى الرغم من أن الحروب يكون لها في بعض الأحيان تأثير يقسم المجتمع، فإن العدو المشترك يساعد في كثير من الأحيان على تعزيز الهوية وإيجاد تلاحم بين الشعب وضعف العدو المشترك أو عدم وجوده يمكن أن يفعل نقيض هذا تماماً"(cxxxii).

ومسألة الهوية، ومن نحن؟ ومن الآخر؟ سارية المفعول كمحرك أساس في عملية التعامل الدولي والعلاقات السياسية وحتى حادثة أيلول ٢٠٠١، فإن البعض يرى أن من الأجدر السؤال عن هوية الفاعلين وانتماهم، لا أسباب ذلك الهجوم والعمل - الذي أعده أنا وغيري الكثير- إرهابي وعمل غير إنساني، ويضع ماتياس بروكرز* عبارة (سأل من فعلها؟، لكن لا تسأل بحق السماء، لماذا فعلها؟) عنواناً للقسم الثالث من كتابه المؤامرة، منوهاً بالمؤامرات التي حضرت لتفجيرات أيلول ٢٠٠١، والأيدي الخفية التي ساندت بن لادن في تنفيذ عملياته الإرهابية حينها، من اجل التركيز على قضية الهوية دون مراعاة الأهمية والانتباه إلى الأهداف أو الأسباب (cxxxiii).

وعلى أساس تحديد الهوية بدأت حروب أخرى أعلنها بوش (الذي لا يقل أصولية عن الآخرين) أمام الكونغرس في خطابه يوم ١٢ أيلول ٢٠٠١ والتي توعدها بالإرهاب"متجسداً بهوية الفاعلين" بالحرب والصراع والوعد بالقضاء عليهم، مخاطباً العالم اجمع، إما معنا أو مع الإرهابيين(cxxxiv).

من اجل إيقاف التنظير والممارسة لصراع الحضارات :

إذا كانت النظرية (صراع الحضارات) يوحشيتها وقسوتها ضد الانسانية والبشرية جمعاء تهدف الى إلغاء الآخر او التنوع الثقافي من اجل وحدوية وعولمة أمريكية غربية فان مثال هذا النموذج الفكري طرح فكري غير مقبول وممارسة لاتمت بصلة الى أي نوع من أنواع التسامح والمعاملة السلمية التي تهدف اليها المنظمات الدولية وترغب فيها الثقافات المغايرة، وعلى ما سبق من طرح للنظرية فان فكرة صراع الحضارات تلفها التناقضات من جهة وتعوزها المبررات من جهة أخرى فمن اهم التناقضات هي مسألة الصراع والتوقع او الانعزال فالأمر بقدر ما يمثل دعوة الى المواجهة فهو بجانب منه يمثل نظرية نحو الانزواء كما عبر عنها إدريس هاني في موقع آخر في نقده للنظرية وهذا يناقض البنية الفكرية للنظرية كما ان فكرة الصراع التي استشهد لها بوقائع تاريخية لم تكن لتبرر مشروعية استدامة هذا الصراع والعمل على جعله استراتيجية تنفيذية للعسكرة الأمريكية السائرة من اجل قولبة العالم ومسح تعاليمه وثقافته وفنونه المغايرة، وهذا ما يبرهن افتقار النظرية لمبرر وجودها اصلاً.

ولم يتوقف الفكر الإسلامي عن طرح البديل بعد نقده لأطروحة صدام الحضارات ورفض اعتبارها صيغة للتعامل المستقبلي بين الإسلام والغرب بالخصوص، بل عمل على وجوب تصحيح مسارات التعامل الحضاري حسب المنظومة الفكرية الإسلامية إلى ما يضمن لكل أساس التعايش السلمي واللاعنف وقبول الآخر لان" نظرية صراع الحضارات...

مشحونة بعنصرية خفية تشذ العواطف نحو المواجهة، (و) لأنها تقوم على أساس نفي الآخر، واعتبار حضارته شراً مطلقاً، وهي بذلك مجرد دعوة للمواجهة، وليست نظرية لاستشراف المستقبل” (cxxxv)، وحاول الانتقال من الهفوات والثغرات والملاحظات التي سجلت على نظرية صدام الحضارات، إلى تسمية جديدة وأسلوب جديد ومغاير لمنهجية التعامل الصدامي بين الحضارات ومن هذه البدائل المطروحة أساساً فكفر غربي وتم تبنيها من مفكرين إسلاميين هي نظرية حوار الحضارات.

ثانياً: حوار الحضارات:

وأما فكرة حوار الحضارات التي مثات الأطروحة المغايرة أو الأسلوب الآخر لتعامل الحضارات، والتي عبرت عن توجهات اللغريبيين عموماً وكرد فعل على ما طرح من نظريات الصدام والنزاع والصراع ، وان كان هنالك من قال بها من الغربيين أنفسهم**، إلا أن الأطروحة نالت اهتماماً شديداً نظراً لثقلها الكثير من الكتاب والباحثين والمتقنين العرب والإسلاميين وعملوا من أجل ترسيخها وتكريس مبادئها، وتتصور النظرية على أنها أطروحة موازية ممتدة أفقياً بموازاة غيرها من نظريات التعامل الحضاري أو أطروحة بديل لصراع الحضارات التي يجب أن تنفي الصراع وتؤسس للحوار، ولكن هذا النوع من الإبدال النظري والتعاملي عموماً، هو ليس كما يتصور البعض من انه رضوخ أو ضعف أو خنوع أو عمالة، إذ يتصور جلال أمين أن التاريخ سيسجل إن العرب والمسلمين في نوفمبر ٢٠٠١ في حين كان الإسرائيليون والأمريكيون والأوروبيون يضربونهم.. ويشبعونهم شتى أنواع الإذلال والإهانة، عقد متفقهم مؤتمراً تحت عنوان حوار الحضارات تواصل لا صراع، وانتهوا فيه إلى عدة نتائج أهمها إن العرب والمسلمين بسبب ما فيهم من عيوب شتى ونقائص خطيرة، يستحقون هذه المعاملة (cxxxvi) إلا إن هذا التصور قاصر لأنه مبتني على عدة أسس واهنة وعدة مصادرات منها ؛ إن هذا القول نابع من ردة الفعل ضد تصرفات الغرب (لا ككل بل بعض المؤسسات أو الأشخاص) مع المسلمين أو العرب، ومن جهة أخرى فإن الغرب ليس هو من يستخدم الإذلال والمهانة وحده وبحق الإسلام فقط، فالمسلمون الاصوليون fundamentalists يقتلون وما من رادع، والقوميون العرب يعدمون وما من مواجه، والعلمانيون من الشيوعيين وغيرهم يقيمون المجازر وما من معاقب، فإزدواجية المعايير أو ثنائية المقياس، تجعل جلال أمين في موقف استفهام كبير من الذي يحصل في العالم الشرق أوسطي عموماً، إذ إن الحاجة الملحة اليوم هي في النقد الذاتي ومراجعة الأنا مع التنظير للتعامل مع الآخر، وهذا ليس الوجه الوحيد في فهم النظرية والتعامل معها بل على العكس نجد إن البعض من المفكرين العرب رأوا إن” الحوار بين الحضارات والثقافات... هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية” (cxxxvii) .

أهم ما ميز واسند حوار الحضارات كنظرية:

ومن أهم ما جعل نظرية حوار الحضارات تنال كثيراً من الاهتمام والعديد من المميزات والدعم، إعتبارات عدة منها :

اعتبار عام ٢٠٠١ سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة - حسب طلب السيد محمد خاتمي.

العمل على إنشاء مؤسسة كبرى لحوار الحضارات وبرعاية المفوضية الأوروبية(cxxxviii).

إصدار العديد من الكتب والبحوث والدوريات وإقامة الندوات المتخصصة بموضوعة الحوار بين الحضارات في سبيل ترسيخها ودعمها وإتمامها .

إنشاء العديد من البرامج والمراكز المهمة بمشروع حوار الحضارات منها مؤسسة المعهد الدولي للحضارات، الذي أسسه روجيه غارودي في عام ١٩٧٦ م والذي هدف من خلاله إلى أن يبرز دور البلاد غير الغربية وإسهامها في الثقافة العالمية(cxxxix)، و برنامج حوار الحضارات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة والذي ترأسه الدكتورة نادية مصطفى، و مركز حوار الحضارات في الخرطوم والمتضمن العديد من الدراسات والبحوث والتنظيرات التي من شأنها دعم وتبني فكرة الحوار بين الحضارات، والمركز الدولي لحوار الحضارات برئاسة الدكتور محمد خاتمي والذي تأسس بتاريخ ديسمبر ١٩٩٨، وذلك على اثر نجاح خطوة السيد محمد خاتمي الخاصة بالحوار بين الثقافات و الحضارات والتي طرحها على الرأي العام العالمي من خلال مبادرته الشهيرة في اجتماع منظمة الأمم المتحدة في سبتمبر من العام ١٩٩٨ م والتي تقرر خلالها إعلان العام ٢٠٠١ م عاماً للحوار بين الحضارات، ومركز دراسة الحضارات

المعاصرة في جامعة عين شمس وغيرها من المراكز. ومن الكتابات المميزة والتي تعتبر اللبنة الأساس في إشاعة وتبني و طرح لنظرية حوار الحضارات، هو عمل روجيه غارودي* في كتابه (في سبيل حوار الحضارات) أو (من أجل حوار بين الحضارات).

غارودي وحوار الحضارات :

يقول غارودي: "الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسع مع اختراع المستقبل ذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع" (cxI)، وعليه فإن "حوار الحضارات بين الغربيين واللاغربيين هو.. الشرط الرئيس للتغيير الثقافي ولسائر ألوان التغيير، الاقتصادي والسياسي..". (cxIi). لذلك نجده يدعو في كتابه "حوار الحضارات" الغرب إلى أن يعيد النظر إلى ذاته والآخر الحضاري من خارج محيطه الغربي والانفتاح عليه وأكثر من ذلك حيث يعتقد غارودي إن من الواجب على الغرب أن يتعلم من الحضارات الأخرى بصورة أساسية، وأن الحضارات اللاغربية تعلمنا بادئ ذي بدء إن الفرد ليس مركز كل شيء وإن فضلها الأعظم يرجع إلى إنها تعلمنا كيف نكتشف الآخر وكل الآخر دون فكرة مبيتة تضمر التنافس والسيطرة (cxIii).

وتعد أطروحة غارودي، هذه، دعوة لتغيير طريقة ومنهجية التعامل الغربي مع الآخر، فالمشكلة حسبها تكمن في امكانية "إحداث تغيير جذري في الأنموذج الغربي لعلاقتنا مع الطبيعة بفضل حكمة الصين وأفريقيا والهند والإسلام، مشكلة إقامة توازن في مفهومنا ذي النزعة التقنية بالإفادة من تجربة حية، شعرية صوفية، هيب تجربة اتصالننا ومشاركتنا في طبيعة لا نملكها بل تملكنا، وأن حوار الحضارات هذا ليؤلف مرحلة لازمة على الصعيد الاقتصادي في التساؤل الإنتقادي وفي التغيير الجذري لطراز تنميتنا" (cxIiii)، ولا يمكن ان يكون حوار الحضارات حقيقياً ولا جائزاً إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزءاً من ذاتي، يعمر كياني، ويكشف لي عما يعوزني (cxIiv).

آليات ومقومات حوار الحضارات عند غارودي :

وهي ثلاث نقاط مهمة يعدها غارودي لضرورة لحصول المشروع "حوار الحضارات" :

يجب ان تولى الاهمية لدراسة الحضارات اللاغربية في المجال الاكاديمي والثقافي العام منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية الثقافة الغربية.

أن يشغل مبحث الجمال منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية تعليم العلوم والتقنيات.

أن تعادل أهمية النظرة الأمامية – فن تخيل المستقبل – والتفكير في الغايات والأهداف، أهمية التاريخ على الأقل (cxIv)، "فالإستقبالية – الدراسات المستقبلية - غير متعارضة مع التاريخ بل هي على العكس متصلة به اتصالاً وثيقاً" (cxIvi) وذلك لأنها تعتمد على الحوادث التاريخية كمادة معلوماتية وبيانات تقوم عليها النظرة المستقبلية .

تتلخص الرؤية العامة لغارودي حول آلية تحقيق حوار الحضارات بالعمل على تسليط الضوء حول مسألة التكافؤ والحقوق المتساوية - المعرفية- التي تعطى أو توجه أو تفهم عن الغرب والآخر، فتساوي الطرح أو التعرف أو التعريف بالآخر بنفس درجة ما يمتاز به الغرب من اهتمامات معرفية تعريفية، هذا هو الهدف الأساس والمحور في نقل حوار الحضارات من النظرية إلى الواقع حسب غارودي.

عقبات في طريق حوار الحضارات :

وفي سبيل إكمال النظرة حول أطروحة حوار الحضارات من حيث المبادئ والمرتكزات والأهداف والمشاكل يتوجب علينا النظر والبحث في مسألة العوائق التي تقف بوجه تطبيق هذه النظرية ويحدد بعض الباحثين تلك المشاكل والعوائق بعدة نقاط منها (cxIvii):

التفاوت بين المتحاورين : ونقصد به عدم التساوي في القدرات والإمكانات وهذه مشكلة أساسية تكمن في فكرة الحوار بين الحضارات فالتفاوت الحاصل بين أي من الحضارات مع الأخرى ولاسيما الغرب مع الآخر، لا يجعلها تسعى أو تدعو إلى حوار مع الحضارات الأخرى، وذلك ينم عن شعور عدم الحاجة إلى الآخر، والاختلال غير المتوازن بين الأطراف المتحاوره يمثل عقبة ليست يسيرة، إذا ما تمسك احد أطرافه بمركزية تفوقه وريادته. (cxIviii)

الاختلال المفاهيمي للأفكار والعقائد: وهاهنا نقطة مهمة إذ إن مشكلة الاختلاف في فهم العقائد أو تأويلها تجعل من الآخر قريباً إلى العداوة وعدم التحاور، وعلى المتحاورين تجاوز هذه العقبة وإن كانت صعبة التجاوز خوفاً من أن تلقي الاختلافات القائمة بين الإسلام والمسيحية بظلالها على مسألة الحوار الحضاري. (cxlix)

التعصب الأعمى: ويقصد به عدم التجاوب مع الآخر ولا الالتفات له حتى ولو كان مصيباً ومحقاً، مع أننا نعتقد بقول القرآن الكريم (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) (٢٢: سورة الزخرف)، والأكثر من ذلك إن التعصب للرأي والتشبث به قد يؤدي إلى الإرهاب الفكري، وينتج الصراع والنزاع، ويفشل الحوار بين الطرفين.

نقص المعلومات عن الآخر: و من ضمن العوائق التي تقف بوجه الحوار بين الحضارات نقص المعلومات بين الأطراف المتحاوره مما يشكل عقبة أمام تفعيل الحوار ونجاحه، ولأن نقص المعلومات تجعل احد الأطراف لا يعرف شيئاً عن الآخر، وهذه إشكالية تسبب سوء الفهم، وسوء الفهم أو قلة العلم يقود إلى إعاقة الحوار المستمر من الانطلاقة الايجابية (عدم التعارف).

تناقض المصالح: يعد تناقض المصالح احد العوائق القائمة بين الأطراف المتحاوره، إذ يقف عائقاً حقيقياً أمام نجاح الحوار، ويعود السبب في ذلك إلى أن كل طرف من الأطراف يحاول أن يقدم مصالحه الذاتية، ويقدمها أحياناً فوق أو على مصالح تكون اكبر من المصالح التي يدافع عنها، وربما تحقق للمجموع أفضل ما تحقق للفرد أو الجماعات، وهذه الإشكاليات عاشتها أمم وحضارات في عصور أمنة مختلفة، و إن حل إشكالات تناقض المصالح عند التحاور يكمن في التوازن بين كل من الأطراف المتحاوره وإعطاء التنازلات المتبادلة.

ثالثاً: تعارف الحضارات :

موافقة او مخالفة لنظريات الصراع او الحوار الحضاري، حق لنا التساؤل عن امكانية وقدرة الفكر الاسلامي في إنتاج أطروحة بديلة في نظريات تعامل الحضارات، امكانية انطلاقتها من أسس ومبادئ إسلامية، وتستطيع ان تستشرف المستقبل وتقرأ الواقع وأحداثه الماضية والمعاصرة؟، وهل استطاع إنتاج أطروحات لا تأتي من مبدأ رد الفعل على المصير المرسوم من قبل هانتنتغتون (للإسلام، من انه يجب أن يصطدم بالغرب وعلى الغرب الجاهزية لهذا الصدام مع الإسلام والشرق الصيني ؟، وهل كان بمقدور الفكر الإسلامي أن يؤسس لنظرية موازية لما جاء به هانتنتغتون في صدام الحضارات أو غارودي في حوار الحضارات كتنظير منهجي وموازية معرفية ؟، كل هذه التساؤلات وغيرها تتجلى لها إجابات في بحثنا في نظرية تعارف الحضارات التي ظهرت كحالة بديلة تأسست كما يرى صاحبها "زكي الميلاد" على أسس إسلامية – قرآنية، وطرحت بمنهجية واضحة، وجاءت موازية لما طرح كصدام بين الحضارات ورد الفعل في حوار الحضارات وكإجابة للتحديات الثقافية، إذ استطاعت أن توظف بإطار النتاج الفكري الإسلامي الإبداعي والإنشائي في تحديد صيغة التعامل الحضاري مع الآخر (ci)، ومن منطلق " أن الجميع يتفقون على إن هناك أزمة عالمية ذات بعد قيمي - ثقافي، والإسلام قادر على أن يقدم رؤية تساهم في تقنين الرؤية التي تجري صياغتها للعالم، وترى أن المسلمين في حاجة إلى خطاب غير اعتدائي، (متبينة)... مشروع (تعارف الحضارات) من منطلق قرآني، لأننا بحاجة إلى خطاب ينطلق من الذات الإسلامية وخصائصها، وبمبادرة تجاه الآخر، لا بانفعال أمامه، حتى يتحقق التوازن في الرؤية الذي هو أساس الفاعلية" (cii)، ومن كل تلك المبررات والضرورات والحاجة الى تكوين او انشاء رؤية ونظرية (موازية ومخالفة ومصححة) موازية معرفيا ومخالفة لفكرة الصراع وما يمكن ان ينتج عنه ومصححة ومقومة لفكرة الحوار.

ولفكرة التعارف بعدها الاجتماعي الذي يقترب من مفاهيم الاتصال الاجتماعي ونبذ آليات وخطابات وممارسات الانقطاع والانفصال الإنساني، إذ ان ذلك هو ما صرح به الميلاد معتقداً ان نحت هذا المفهوم "التعارف" وصياغته يعطي معنى قريب من مفهوم التواصل عند "هابرماس" * الألماني المعاصر، إذ أن فكرة التواصل عنده تقوم على تجاوز ما يصطلح عليه بفلسفة الذات، والعمل على الوصول إلى فلسفة الآخر، وهذا ما تسعى إليه مقولة التعارف أيضاً التي تتجاوز الذات أو فلسفة الذات إلى بناء الجسور والوصول إلى الآخر، من خلال بناء معرفة وتعارف، والفرق بين المفهومين أن التواصل عند هابرماس يرتبط بحقل المعرفة أو هكذا حاول ربطه، فتحددت علاقته بالعقل، أما التعارف فيرتبط بحقل الاجتماع، فتحددت علاقته بالمجتمع والجماعة والناس. (cii) ويدعم هذه الرؤية إدريس هاني بقوله إن خطاب التعارف موجه للحامل الاجتماعي أي للإنسان – الشعوب والقبائل - (cliii).

ما بين التواصل Communication والتعارف Acquaintance :

التواصل في جوهره يمثل وصف للعلاقة بين طرفين ما توصف بعدم الانقطاع وانطلاقاً من الاعتراف بوجود الآخر، وهو يهدف الى الانتقال من المستوى الفردي الى الجماعي من خلال هدفه في خلق رمز او علامة تشكل اللغة التي تعمم لاحقاً على اساس جعلها مشتركة بين مجموعة من الافراد (cliv)، وهذه اللغة المشتركة تصل الى معنى التعرف والاعتراف بالآخر والتعامل معه على اساس ما يمتلكه الطرفين من مشتركات بلغة التقبل له وقبوله في منهجية التعرف المقصودة في البحث.

كما انه من خلال” التواصل يكتسب (الفرد) وعيه بذاته في سياق استبطانه لعلامات وتجارب الآخرين، والاستفادة من سلوكيات ودروس الافراد الذين يحثك بهم ويتفاعل معهم” (clv) وهذا ذاته ما يقصد من التعرف في كونه يهدف الى الاستفادة من عملية التفاعل الحاصلة من خلال منهجية التعرف بين حضارتين او امتين او مجموعة من الشعوب، اذ ان ذلك التعامل التعارفي بالتاكيد انه سيمكن الطرفين من الاستفادة المتبادلة.

وكذلك فالتواصل يقتضي التعريف بالمجهول إذ يعد من ادوات التعريف فهو” يخبر المتلقي بشيء كان يجهله في السابق” (clvi)، وذلك ما يبتغيه تعارف الحضارات من كسر حواجز الجهل واللامعرفة بالآخر او تصفية المعرفة المشوبة والمشوشة عن الآخر في (المتخيل الاسلامي والمتخيل الغربي) *، كما وان التواصل يتعامل مع” ازمة الكائن البشري في نظريته لذاته وللآخرين” (clvii)، وهذا يشارك تعارف الحضارات في كونه يهدف الى معالجة النظرة الى الآخر والى الذات من خلال تصحيح ما مكنون لدى الذاكرة الاسلامية او الغربية تجاه الآخر وتصحيح سلوكية التعامل معه على اساس التعرف عليه والاعتراف به، واذا كان التعارف منهجاً واداة وغاية، من خلال المسيرة التفاعلية بين الحضارات، فالتواصل يهدف كذلك ان يجمع بين كونه اداة لمخاطبة ومعرفة الآخر وبين كونه غاية ترتجى من التفاعل الحاصل بين الطرفين. (clviii).

وإذا كان التواصل عند هابرماس هو” الفاعلية الوحيدة التي في امكانها اعادة ربط الصلة بين اطراف هذا العالم المتقطع الاوصال” (clix) فإن التعارف لا يروم الا جمع شتات التمزق الحضاري والذي يسير منذ فترة لا يستهان بها نحو الصراعات والتمزقات الى توحيد المتنوع الحضاري تحت عنوان يقبل الآخر دونما يلغي ذاته ويحافظ على هويته دونما يفرضها، هذا هو تعارف الحضارات، كما واعتبرها البعض* بأنها السبيل الى الخلاص بقوله:” أن مصلحتنا كعرب ومسلمين أن يسود فكر تعارف الحضارات من باب قوة العقلاء وليس من باب التخاذل” (clx) وفي عبارته الشيء الكثير من الصحة فهو ربط بين المصلحة الإسلامية العربية وان كانت في الواقع (مستوى نظرية تعارف الحضارات) أعلى من مستوى الخصوصية العربية أو الإسلامية التي يتبناها عمرو خالد، فانا نعتقد انها مصلحة إنسانية عامة وهي في أن يسود فكرة تعارف الحضارات والقبول بالآخر، ومن ثم لا نتبنى هذا الفكر على أساس إننا مستسلمون خاضعون ومتخاذلون، لا بالعكس فاتخاذنا لهذا المنهج يجب أن ينبع من إيماننا به كمفهوم إسلامي ونظرية إسلامية أولاً ومن ثم على انه الكفيل الحقيقي لتحقيق المصالح الإنسانية في العيش السلمي والتنوع بلا عنف أو تطرف أصولي يرفض الآخر.

ماهية التعارف :

اما بالنسبة لما يمثله التعارف في نظرية اجتماعية او في فلسفة الحضارة، فانه بالياته التواصلية الاجتماعية يعد حلقة وسيطة كما انه يمثل فهو منهجاً متكاملأ لنظرية في العلاقات الحضارية (وفلسفة الحضارة)، إذ انه من جهة الوساطة، يؤدي إلى نزع الجهل بالآخر ورسم صورة حقيقية مصاحبة للاعتراف به، تقود إلى مرحلة نجاح العلاقة معه والتعايش السلمي وقبوله على أسس التسامح معه، ومن جهة المنهج فهو نظرية متكاملة – على الأساس الديني الإسلامي القرآني، تسعى إلى تأسيس أسلوب للتعامل مع الآخر اللإسلامي عموماً ومن خلال منطلقات الاعتراف به والتعرف عليه وقبول التعايش معه ونبذ الصدمات والصراعات التي من شأنها العنف والدماء والحروب، لكي يسود بذلك الأمن العالمي، وهذا المشروع له جذوره التي تمتد الى كانت وأطروحته في السلام الدائم والتي تضمنت ككفالة للأمن والسلام العالمي أسس عدة منها وجود قانون دولي عام، ويمكن مقارنة ذلك من مفهوم التعارف الذي يسعى الى إحياء ذلك الواجب الأخلاقي القاضي بفض النزاع والصراع والاعتراف بالاختلاف والتنوع على انه سمة طبيعية ليست كحق طبيعي فقط وإنما ووجوب دعم ذلك التنوع وإثراءه واغناءه.

في سبيل التعارف :

في سبيل التعارف ومن اجل إنجاح هذا المشروع والمطلب، توجب البحث بجانبين، الاول : كيفية والية إنجاح المشروع، والثاني: البحث في العقبات والمشكلات التي يمكن ان تقف بالصد منه.

أولاً : آليات لإنجاح التعارف :

من اهم ما يمكن أخذه بالحسبان هو واقعية المقومات والآليات لذلك فإن تشكيل مجموعات أو لجان من المثقفين والعارفين والمختصين بشؤون الأديان والحضارات والدول والأمم والمجتمعات، من اجل التعريف بالآخر والاعتراف به من مكونات الحضارات وثقافتها وأديانها، ولتأخذ هذه اللجان على عاتقها مهمة تشكيل وفود أو اختيار لشرائح من المجتمعات المختلفة ومن الأفضل أن تكون من عامة الشعوب والأمم، وليس من الأشخاص المميزين منصباً سياسياً أو دينياً لأن الغرض المبتغى منها هو تعريف المجتمعات والشعوب ببعضها وهي التي ستكون الصورة المطلوبة للممثل السياسي أو الديني وان كان التعارف (على المستوى السياسي والديني مطلوب لكنه من الأفضل أن يتشكل على أساس رسمي لا شعبي) والعمل على توفير فرصة لزيارة ومعايشة الحضارات الأخرى على ارض الواقع مع الشرح لهم وتعريفهم (أي للشرائح المختلفة) بالحضارة التي ينوون زيارتها أو التي زاروها، والهدف من هذه الزيارة والتعايش هو لغرض التعارف والمعرفة بالآخر، وكذلك سيؤدي هذا الأمر إلى تشكيل رؤية مخالفة لما كانت مشكلة على أساس الجهل وردود الفعل بالآخر، وتكرار هذه المعاشات الواقعية ومن كلا الطرفين ومن مختلف الحضارات وأخص الطرفين الإسلامي والغربي، فضلاً عن حضارات الشرق عموماً ً سيؤدي بالنتيجة إلى تغيير الرؤية والأسلوب والمنهج التعاملى بالنسبة لكل طرف من الأطراف وهذا الأمر وان بدا ذو مسافة زمنية طويلة إلا انه هدف جدير بالسعي والعمل.

كما وان تأسيس مؤسسة للترجمة والطباعة والنشر تختص بمجال المعرفة الحضارية والتعارف بين الحضارات من خلال ترجمة الكتب التي تعرف وتبين وتفهم ماهية حضارة ما للحضارات الأخرى ومن مختلفها الى الآخر، على شرط ان يؤخذ المعنى وتؤخذ المعرفة من أصحاب الحضارة وليس ممن كتبوا عنها لكي يوضحوا للآخر من هم وماهي حضارتهم ويحددوا معالمها ومرتكزاتها الأساسية وأسس تعاملها مع الآخر، ومنه سيتبين مدى اللبس والغموض والخطأ القائم على أساس المعرفة المغلوطة بالآخر الحضاري عموماً وبالإسلام خصوصاً.

وتأسيس منتدى أو هيئة أو مركز يقوم بعملية التنسيق والدعم والتوجيه لفكرة التعارف يأخذ على عاتقه التخطيط والبحث والدراسة والتنفيذ لمشاريع من شأنها أن تصب في مصلحة تعارف الحضارات.

ثانياً : تعارف الحضارات وما يواجهه من عوائق ومشكلات:

ونعتقد بأن هنالك عوائق وعقبات أخذت بالتمركز والتمحور في الجانب المقابل لنظريات الحوار والتعارف عموماً (وما يهمنا هو التعارف)، والعقبة الرئيسية المعاصرة اليوم هي مسألة العولمة والتي لا يمكن التغاضي عنها اليوم والتي مثلت جزء منها أو بأسلوب من منهجها تلك الوسيلة المدنية الإنسانية التي قدمت خدمة في تقريب بني البشر وخلق التواصل فما بينهم وتطويره عبر وسائل الاتصال وثورة المعلومات وهي من هذا الجانب تمثل الداعم الأساس لقضية تعارف الحضارات لأنها سهلت المهمة من خلال تطبيع سرعة الاتصال وسهولته وربطه للعالم واختراع اللغة الوسيطة الناقلة للمعلومة والتواصل لكنها من جانب آخر حينما مست الجانب الهوياتي أو جانب الانتماء الحضاري فإنها انقلبت (أي العولمة) إلى كونها أضخم وأقوى المعوقات والعقبات في سبيل وطريق التعارف الحضاري لأنها تهدده من الداخل (التركيب الحضاري = الهوية)* وليس من الخارج كما في مكملات التعامل الحضاري عموماً من معرفة واحترام واعتراف وتبادل، فإنها تعتمد الى البنية الداخلية للحضارات وأساس تنوعها وتعدد ثقافتها، وهي ان هدفت الى تعميم مبدأ حضاري او ثقافي واحد، فهي بذلك تهدف الى طمس الهويات الحضارية،وهي بذلك تسعى الى القضاء على التنوع الإنساني، وعليه تجعل الحديث عن حضارات شيء ليس في محله، فالتعارف بين تلك الحضارات قائم على أساس العلاقات بين الحضارات المتنوعة، ومع العولمة (بجانبيها الأخير) لا وجود لهذا التنوع والتعددية الحضارية وسنتناول في مبحثنا الآتي، معنى العولمة وآثارها السلبية والإيجابية، وما يهمنا من العولمة الحضارية او المدنية، هو مكامن التهديد الذي تتعرض له فكرة التعارف الحضاري.

العولمة ما لها وما عليها (المرفوض والمقبول من العولمة) :

هنالك عولمتان واضحتا المعالم أو أسلوبيين من العولمة يأخذ كل منهما حظه من التأثير في المجال المخصص له، الأول هو العولمة التي تمس المدنية ، والثاني هو الذي يمس الحضارة والهوية والانتماء.

عولمة المدنية :

هي العولمة التي تحتك وتمس قضايا وأشكال مدنية مثل قضايا التطور العلمي و تكنولوجيا المعلومات وثورتها والتغير الكبير في وسائل الاتصال، فكل ذلك له من الأثر الإيجابي ماله حيث انه بهذه الصورة يعتبر من مؤيدات وخطوات العمل وتنفيذ نظرية ومشروع تعارف الحضارات لأنها سهلت الاتصال بين أفراد وشعوب وأمم المعمورة عموماً، وأن هناك اعتقاداً بدأ يتأكد بين الحضارات، هو أن هذه الحضارات لا تعرف بعضها بعضاً كما ينبغي، وتفتقر إلى جسور التواصل في عالم تطورت فيه تقنيات الاتصال وأنظمة المواصلات، التي باتت تربط العالم، وتجعل منه أشبه ما يكون بقربة صغيرة. لهذا يمكن الاستفادة من العولمة في تطوير وتعميم فكرة التعارف بين الحضارات، وتقليص المسافات التي تفصل بينها، وإزالة كافة صور الجهل أو عدم الفهم أو غير ذلك فيما بين هذه الحضارات (clxi) ولقد "أضحى التعارف بين الحضارات في الوقت الحاضر أيسر منه في أي وقت مضى بسبب التقدم الكبير في وسائل الاتصال ونقل المعلومات والمعارف" (clxii) وهذا يجد مكانته الإيجابية من خلال إيصال المعلومة والتواصل معها، وهي بذلك تعتبر من الإيجابيات الفكرية المعاصرة التي يجب تدعيمها والعمل من أجل أن تأخذ أعلى مستويات عملها وإنتاجيتها وتعميمها، إذ لا يمكن أن تسير بخلاف حاجات الحياة الرئيسية التي هي عبارة عن مسخرات جعلت لخدمة الإنسانية والبشرية وهذا ما لا يمكن الوقوف ضده ورفضه، لكن هناك أمر آخر في عولمة المدنية له أثر سلبي كبير وهو ما يمس الاقتصاد فالعولمة الاقتصادية هي من أخطر أوجه العولمة ومشاريعها، وما يمارس ويعطى من دور كبير للشركات المتعددة الجنسيات على المستوى الاقتصادي العالمي ليس إلا تطبيقاً لفكرة العولمة ونقل الملكية من الأفراد داخل الدولة والمتضمنين تحت مظلة الدولة من دخل وضرائب وفوائد وصادرات وواردات ومسألة المنتج الوطني وبالتالي دعم الاقتصاد الوطني والقومي للبلد، كل هذا يضرب مع العولمة وفكرة الشركات متعددة الجنسيات ويرى الجابري إن الشركات والمؤسسات المتعددة الجنسية التي تتولى التسيير والتوجيه والقيادة عبر العالم هي التي تحل محل الدول في كل مكان وتمارس دورها (clxiii) وهذه الشركات "لا تساهم إلا بنسبة 7% في التشغيل العالمي، ولا تؤدي إلا 9% من مجموع الضرائب العالمية، بينما تحتكر 80% من التجارة الدولية" (clxiv).

عولمة الحضارة والهوية أو الانتماء :

وهي العولمة التي تمس قضية الانتماء والهوية الحضارية، واغلب ما يقال أو يعترض بشأنه هنا على فكرة العولمة هو ما يمكن تناوله تحت عنوان عولمة الحضارة، ف" الغرب الذي ابتكر مفهوم العولمة، هو الذي حدد لها مضامينها وهويتها ومكوناتها الفكرية والاقتصادية، وهو الذي يقود حركتها في العالم ويروج لهذا المفهوم، وهذا أحد أهم مصادر التوجس والخوف الذي تظهره الأمم والحضارات تجاه قضية العولمة، لأن الغرب لا يريد إلا أن يرى نفسه وحضارته في هذا العالم، ولا زالت نزعة التمركز حول الذات هي التي تشكل عقلته،... لأن الغرب ليس فقط حاول أن ينفرد بالحضارة، وإنما قاوم انبعاث الحضارات الأخرى، وقام بأكبر عملية تدمير للحضارات في العالم" (clxv) ففرض النموذج الثقافي والذي يمثل احد مكونات الحضارة لا بل فرض نموذج حضاري متكامل لا يخلو إلا من شرط الجغرافية والمكان على انه هو الأوحيد وأنه ما يجب أن يؤخذ به، هذا ما لاقى وما زال يلاقي اشد المعارضات من قبل الشعوب والأمم الأخرى والحضارات المغايرة للغرب، وأمريكا بالخصوص، لأن "التشبيث بالهويات لا يمكن أن يقتلع بين عشية وضحاها من ضمائر الشعوب وفكر الأمم" (clxvi).

فهل العولمة صيغة جديدة لفكرة الهيمنة الغربية على الآخر والحضارة الأخرى ؟ وهل هي جزء من المواجهة الحضارية التي يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب والحضارات ؟

إذا كانت العولمة بهذا الاتجاه فإنها سوف تضعف الاستقرار العالمي من خلال تعارضها مع قانون التنوع الثقافي والحضاري وهي بهذا المعنى تضرب الهوية الحضارية والثقافية وتعطل أساس التعايش الثقافي بين الشعوب كما إنها بجانبها القسري الشمولي ستؤدي إلى الفوضى على المستوى العالمي في الفكر والسلوك والآداب والفنون والعلوم. (clxvii)

وعليه يتساءل الكثير من الباحثين إنه : "كيف يتسنى المحافظة على الهوية الثقافية والحضارية في ظل العولمة الباسطة نفوذها اليوم على المجتمع الدولي ؟،... إن اتجاهات العولمة تسير نحو التأثير السلبي على الهوية والسيادة معاً" (clxviii) وأنه يجب أن نحد من "الأثار السلبية للعولمة في شكلها المتجهم الذي لا يقيم إعتباراً للهويات الثقافية والحضارية لشعوب العالم" (clxix) فالعولمة... تهدد وتلحق الأذى بالثقافات والتقاليد، والممارسات، أو الهويات المحلية الأصيلة" (clxx). ومن خواص العولمة كما يرى محمد البشير أنها "تحمل أسلوب حياة مادية زاحفة في اختراق عنيف للهويات والثقافات والتصينات الأخلاقية بغرض المجانسة والمحاكاة في السلوك والتصرفات الشكلية" (clxxi)

وما ظاهرة الدفاع عن الهوية والانتماء الحضاري بل وحتى بداية تنامي التطرف كما ذكرنا انفاً إلا نتيجة طبيعية للعولمة ومحاولة تعميم النموذج الواحد ورفضه، ويرى السيد ولد أباه إن ظاهرة الاحتماء والتمسك بالهويات الثقافية

والحضارية جاءت في مقابل حركة العولمة التي جاءت كصيغة قسرية وجبرية لأنموذج غربي (أمريكي) (clxxii). وهذا التعدد الحضاري والاختلاف الإنساني بدلاً من أن يكون سبباً في الاختلاف المؤدي إلى الصراع وإقصاء الآخر ونفيه فإنه يجب أن يكون إقراراً بالاختلاف ومن ثم وعي وفهم لهذا الاختلاف ثم تحويل الآخر ووجوده إلى مكون فاعل وأساس في تشكيل الهوية والتنمية الحضارية لأمة ما (clxxiii). ويرى بعض المفكرين الغربيين أن للحاق بركب الحضارة الغربية والانضمام إلى سبيل التغريب هو ما يتحتم على الشرق الأوسط أو الحضارة الإسلامية والعربية والذوبان في الحضارة العالمية الغربية (clxxiv) – حسب تصورهم – وما فكرة نهاية التاريخ إلا تداعياً لمفهوم وظاهرة العولمة بل في بعض الأحيان تفهم العولمة على إنها الوجه الآخر لنظرية نهاية التاريخ وذلك بعد أن بينا أن النموذج المعولم هو النموذج الأمريكي وهو ذاته ما توصل فوكوياما إلى قفل مسيرة التاريخ خارجه وخلق النماذج السياسية أولاً والحضارية عموماً ثانياً وعليه، فالاحتذاء والاقتران (بالنموذج المعولم) بالغرب = أمريكا، هو الواجب على اللاغرب عموماً.

والعولمة تتخطى حقيقة تنوع العالم من إرادات وانتمايات وثقافات وتطلعات ومثل هكذا توحد أو عمل من أجل التوحد لا يعترف بالتنوع سيؤدي إلى توتر يفجر نزعات التعصب المغلقة (clxxv) والتي أسميناها بالأصولية ونموذج الفكر الواحد.

إشكالية الفكر الواحد ومفهوم العولمة

ما الذي دعا إلى التطرف والأصولية اللاغربية – الإسلامية؟ وما الذي حدى بها من أن تتخذ لها موقفاً عدائياً من الغرب؟ وهل هو انعكاس لأصولية أخرى أم أن العداوة هو مكنون في أصل الفكر الإسلامي؟ اعتقد أن الإجابة عن هذه التساؤلات تكمن في إن مثل هكذا أصوليات هي ليست إلا رد فعل وتجلياً ما ضد أصولية أخرى تحاول أن تفرض نفسها عليه، وهي بذلك تنطلق من مبدأ الفكر الواحد، وما فكرة العولمة إلا استجابة لنموذج الفكر الواحد والية لتطبيقه وهي التي أوجدت التطرف وخلفته وطورته والذي جاء كردة فعل أو رفض للنموذج الأصولي – الأمريكي المراد تعميمه وفرضه أو جعله يبدو لزاماً أو فرضاً لا يمكن تجاوزه.

وان كان النموذج المراد تعميمه تحت مظلة العولمة هو النموذج الأمريكي وهو الحقيقة، فإن النموذج بديمقراطيته وليبراليته ورأسماليته، يستدعي تناقضاً صارخاً، فهو يجعل من أيديولوجية الفكر الواحد المفترض تعميمها تناقضاً داخلياً وذاتياً مع مبدأ الديمقراطية الذي يعني إرادة الشعوب واختيارها، كما يربط ذلك تلقائياً مع الحريات الشخصية - الفردية والجماعية، وذلك يعني ما يرتبط بالليبرالية التي تنافي مبدأ النموذج الواحد (العولمة)، ولذلك تداعياته أيضاً على المستوى الاقتصادي والذي كان الأساس في ظهور مفهوم العولمة وتكونه على ما هو عليه من مفهوم، إذ أن الرأسمالية الأمريكية تستدعي الاقتصاد الحر للشركة والجماعة والأفراد أو التحالفات الدولية وذلك يعارض سياسية الفكر الواحد أما ما ينظر له على أنه عولمة من تبادل السلع التجارية وتنوعها من حيث التنشئة والصنع والاستهلاك، هذا لا يعني العولمة وان ظهر المفهوم مرتبطاً بها إذ أن مثل هكذا مسائل لا تعدو كونها انتفاع متبادل وتنوع يصب في مصلحة المجتمعات المتعاملة كان منذ فجر تكوين الاجتماع البشري وما زال وسيبقى لأنه حاجة إنسانية مستمرة، وبمنظرة فاحصة يتبين من هذه المعطيات الألفة الذكر من اثر في خلق بيئة فكرية (لمفهوم العولمة) متناقضة وغير متزنة.

معالجات ضرورية لفكرة النموذج الواحد والعولمة :

وفي محاولة للحد من ظاهرة نموذج الفكر الواحد المفروض ومحاولة تعميمه التي انطوت العولمة عليه وحاولت تأكيده والعمل من أجله وعملت ذلك من جوانب عدة، فإنه يتوجب الحث على فكرة إغناء التنوع البشري والحضاري والقبول بنماذج مختلفة من الفكر والهوية والتأكيد على دعم اختلاف الانتماء وتنوعه لأجل التقارب وهذه العبارة تستدعي أن يكون الاختلاف في نفس اللحظة يتضمن اتئلاً معيماً والقصد هو تطبيق نظرية تعارف الحضارات التي تستند على النص القرآني الذي ربط بين الأصل الإنساني الواحد وبين التنوع البشري الواقعي المتعدد وجعله يرتبط بـ(التعارف) الذي يشكل المنهج له، والوصول به إلى غاية خلق المحبة والسلام والأمن،”ولعل من أكثر الآيات القرآنية التي عبرت عن رؤية الإسلام في هذا المجال قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣) (ف) مفهوم التعارف في هذه الآية ينطبق على المجتمعات الصغيرة والكبيرة، فهو يؤكد على التعارف على المستوى الإنساني العام، وفي هذه النطاق أيضاً يأتي التأكيد على ضرورة الانفتاح والتواصل الثقافي والعلمي والتربوي في النطاق العربي والإسلامي، وتعزيز التضامن الاجتماعي والسياسي، العربي والإسلامي، الحكومي وغير الحكومي، إلى جانب النهوض والتكامل الاقتصادي، وزيادة التبادلات البينية في ظل إجراءات جمركية وتشريعات قانونية ميسرة، وإعطاء الأولوية للاستثمار وحركة الأموال بين هذه الدول في ظل أجواء حقيقية من الثقة، والسعي نحو تأسيس سوق إسلامية مشتركة، ومنظمة اقتصادية إسلامية متحدة، أما على المستوى العالمي فنحن بحاجة لتكوين فهم جديد، ومعرفة معمقة للعالم وتحولاته وتغيراته المتعاطمة، لكي نعرف موقعنا في هذا العالم، وكيف نستفيد من منجزاته، وخبراته

الحضارية" (clxxvi) وكل تلك الغايات لا تتم إلا بتجاوز الفكر الأصولي الذي مازال يدعو لأن يكون هو فقط دون الآخر، على مستوى الوجود والحضارة والثقافة، ولا يمكن تجاوز هذه الآثار السلبية للتطرف إلا بالدعوة إلى التسامح Tolerance الذي أساسه قبول الآخر والتعرف عليه والتسامح هو محور تعارف الحضارات لأنه يقوم على مبدأ مراعاة الآخر والاعتراف والاهتمام به، وإلا لما كان دعا إلى التسامح معه.

التسامح - حلول لازمة الفكر الواحد وعقبات التعارف :

عُرف التسامح على انه: "رؤية (أو التصور) متفهمة أو متحررة فكرياً حيال العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة، لعقائد الشخص المتسامح وممارساته" (clxxvii).

ويورد صليبا عدة معاني واصطلاحات للتسامح منها: "الأول: احتمال المرء بلا اعتراض كل اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه... الثاني: أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وإن كانت مضادة لآرائك... والثالث: هو أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده إنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة" (clxxviii). و التسامح هو الموقف الايجابي المتفهم للعقائد والأفكار والذي يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة على أساس شرعية الآخر سياسياً ودينياً (clxxix). وعليه ف" التسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق، وتعبير عن موقف فكري من جهة، وموقف أخلاقي من جهة أخرى، موقف فكري يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى النظر، وموقف أخلاقي يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى العمل" (clxxx)، و يرادف شبستري بين التسامح والاعتراف بحقوق الآخرين وبهم أولاً (clxxxii)، و ما يفهم من معنى التسامح هو اللين في تقبل الآخر على جميع مستوياته الوجودية والفكرية والسلوكية، وأساء ما يمكن أن يتصور هو أن لا نتسامح في وجود الآخر = الإنسان، وذلك عادة ما يتم عبر الانتماء لدائرة دينية ضيقة الفهم، تتخذ من ترسانة التعصب دعماً لها ومن التخلف منهجاً داعماً لها، وهو ما نعتناه في بحثنا بالأصولية، والتي ترى نفسها هي من يستحق الوجود ومن يحمل الفكر والغير مطلقاً.

إذن علينا أن نقوم" بمراجعة جذرية لطروحات الغلو والتطرف داخل الخطاب الإسلامي التي لا تنهض على قاعدة التسامح" (clxxxii).. كما يتوجب الدعوة إلى "تجديد ديني ينهض على قاعدة التسامح والتنوير والتواصل مع الآخر" (clxxxiii).. وعلينا أن نراهن على مشروع ما بعد الأصولية، الذي ينهض كذلك على قاعدة التسامح فالمشروع الأصولي فشل فشلاً ذريعاً في حل المشكلات الاجتماعية الداخلية والخارجية وما يدعم هذا المشروع (ما بعد الأصولية) هو ظهور وبروز تيار إسلامي عقلائي (متسامح) في العالم الإسلامي والعربي، من شأنه أن يكون رداً حضارياً على موجة الأصولية التي أغرقت العالم بالعنف. (clxxxiv)

وهذا (أي التسامح) يرتبط مؤكداً بفكرة تعارف الحضارات من جانب إن المعرفة والتعارف الحضاري يقتضيان التسامح من جانبين :

أولهما : التناسي والتعاضى والتسامح عن التاريخ الدامي للعلاقة بين بعض الحضارات ولاسيما الغربية والإسلامية.

وثانيهما : التأسيس لفكرة قبول الآخر المختلف في إطار التسامح واللين واللاعنف في التعامل معه على أساس رفض الصراع كلغة تعاملية من خلال ترويح وإلغاء أسلوب التعصب والنموذج الفكري المطلق الواحد الحق المنزل الذي لا غبار عليه ولا خلل يشوبه، وذلك عبر منهج تعارف الحضارات الذي يتضمن من طرف قبول الآخر ومعرفة ومن طرف آخر الاعتراف به والسعي إلى شراكته في الوجود والفكر وإثراء ما يمتاز به بالإضافة إلى مميزات كينونتتنا وهويتنا وبذلك أغناء للتنوع الحضاري والبشري عموماً، وحينها يتوجب علينا تفعيل التسامح في أسلوب التعامل، فتكون نقطتي أو محوري التسامح في قراءة الماضي واستشراف المستقبل، من خلال البدء من حاضرنا لتبني رؤية ونظرة التعارف والاعتراف بالآخر الحضاري لتصحيح المسارات المبتنية على المتخيل عن الآخر وللتنبؤ بما هو أفضل من خلال التأسيس له من حاضرنا

خاتمة ونتائج:

يمكننا القول إن نظريات التعامل الحضاري جاءت تارة واصفة للواقع العلاقتي بين الحضارات أو تفسيرية له، أما مع نظرية تعارف الحضارات فإن النظرية ارتفعت إلى أن تكون نظرية إنشائية واستشرافية للمستقبل المعتمد على الإصلاحات في الواقع الإسلامي والعربي ومدى انعكاس فكرة التواصل مع الآخر الذي لا يمكن أن يلغى لأنه مختلف، بل يجب التوافق والاتفاق معه ومعاملته على أنه مكمل للانا والذات لا مقابل او عدو لها.

تعد فكرة تعارف الحضارات من الأفكار الإسلامية الأصيلة والتي ارتبطت بالأستاذ زكي الميلاد والذي صاغ ونحت مفهوم يعد اليوم من أبرز مفاهيم المنظومة الفكرية الإسلامي في التعامل مع الآخر على مستواه الاممي والحضاري.

فكرة التعارف الحضاري هي قبول التنوع الحضاري وتأسيس سلوكية جديدة في التعامل بين الحضارات تقوم على معرفة الآخر وما لديه والاعتراف به على اختلافه واحترام ذلك الاختلاف والعمل على الإفادة من عملية المعرفة تلك في سبيل كسر حواجز الجهل المتبادل الذي كان مصدرا للنزاعات في اغلب التعاملات الحضارية كما وتهدف النظرية إلى خلق نسق إسلامي يهدف إلى تغيير كل المتخيل (الإسلامي أو الغربي).

إن تعارف الحضارات هو إنتاج فكري تواصلية، يتضح تارة على أنه احد أساليب التواصل الهابرماسي، أو احد أهداف ووسائل الحوار الحضاري، ومع هذا وذاك يبقى هو منهج موازي لنظريات التعامل لحضاري الأخرى والذي اكتملت صياغة آلياته التعليلية وأدواته المعرفية بداية واكتمالا مع "زكي الميلاد" وبعض الباحثين العرب والمسلمين الذين تضمن البحث بعض افكارهم.

إن التسامح هو محور من المحاور الأساس لفكرة "تعارف الحضارات" إذ أنه هو الكفيل بإنهاء فكرة التعصب والواحدية الأصولية التي تريد قولبة وعولمة الفكر ونفي كل أشكال التنوع والتغاير والتي يثريها التسامح من خلال فكرة "القبول بالآخر" المختلف واحترامه والعمل على إيجاد سبل للشراكة الوجودية والفكرية والسلوكية معه.

إن أفضل الدعوات لحل العلاقة بين الطرفين اللذين تتصورهما(بشئى الهويات) سواء على الصعيد الحضاري أو الديني أو الجغرافي، هي الدعوة إلى التعايش السلمي والتعارف بين الطرفين والحوار بينهما، وسواء كانت كردة فعل على دعوة أو تنبؤ الصراع أو جاءت كضرورة حضارية كما مع غارودي أو رؤية إبداعية كما يرى الميلاد في التعارف، فإنه يحتاج إلى الكثير من النقد الذاتي ومعالجة المشاكل الداخلية على المستوى الشرقي (الإسلامي - العربي) وعلى مراجعة آلية الخطاب والرؤية الاستعلانية على المستوى الغربي، وكلا الأمرين في غاية الصعوبة لما للمشكلتين من تجذر وبناء تراكمي داخل المنظومتين الفكريتين، والعمل على هدم ما لدى الغرب أو بناء ما لدى الشرق إن لم يكن مستحيلا فهو من الصعب جدا أن يجد حيزه على المستوى الواقعي لا الفكري، وهذه الصعوبة أو الاستحالة تحدد بنا إلى فكرة العقم والقصور الذهني الثقافي تجاه المشاكل السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي تخص هذا الهم العلاقتي، وان صحت فإن الدعوات إلى الكثير مما يتعلق بعلاج أو بحث هذه الثنائية المحمومة لا يخرج عن عده هواء في شبك أو ممارسة لا تتجاوز معنى الميتافيزيقيا عند الوضعية المنطقية لأنها لا تعدو أن تكون كلاماً فارغاً.

الهوامش:

الفهرس

صفحات تاريخية لأشكال الإرهاب الديني بالمغرب الإسلامي : الشيعة

الإسماعيلية نموذجاً

د. فتحي جمعة محمد عربي

دولة ليبيا

جامعة غريان

مقدمة:

لعب الشيعة الإسماعيلية دوراً بارزاً في تاريخ بلاد المغرب، وأثروا في أحوالها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد وجدوا في هذه البقعة من العالم الإسلامي الجو المناسب لزرع أفكارهم لاسيما بعد تحمس البعض من قبائل المغرب لنصرتهم وعتناقهم الفكر الشيعي، الذي وجدوا فيه الفرصة المناسبة للتخلص من حكم الأغلبية أتباع الخلافة العباسية السنية، ورفع علم الثورة ضدّهم، وانتهى بهم الأمر إلى إقامة الدولة الإسماعيلية العبيدية.

يلاحظ المتتبع لتاريخ ظهور الشيعة على مسرح الأحداث ببلاد المغرب، أنه مرر بمحطات فاصلة نتجت عنها في بعض الأطوار تحولات عميقة وظاهرة على مستوى الخريطة الدينية والعقائدية في بلاد المغرب، لعل أكثرها دلالة وتأثيراً الصراع الفكري العقدي بين فقهاء السنة والشيعة الروافض، لما انطوى عليه من حدة وعنف بتنوع أساليبه من ناحية، ولما تمخض عنه - من ناحية أخرى - من نتائج على المستوى الديني وذلك بأجنتات الفكر الشيعي من أرض المغرب وتحديد الهوية الدينية والمذهبية لكل البلاد المغاربية.

وتأتي أهمية البحث في كونه موضوع تاريخي ديني خاص بالمذاهب والتيارات والصراع فيما بينها ببلاد المغرب العربي الإسلامي، وما خلفه هذا الصراع في النهاية من انتصار للعقيدة السنية على العقيدة الشيعية وبالتالي تحديد الهوية المذهبية والعقائدية لبلاد المغرب إلى وقتنا الحاضر.

وبما أن التاريخ كعلم له منافع كبيرة بالنسبة للإنسانية، من حيث أنه يستقري ماضيها وماضي الأمم والشعوب والأفراد، ويقف وقفات طويلة عند نقاط الضعف ونقاط القوة، لكي تستلهم منه العبر والدروس وفائدة الاقتداء، لذلك كان الهدف من طرح هذا البحث استلهام الدروس من السلف في الطريقة المثلى لتصدي الفكر الشيعي المتطرف - ومن جهة أخرى - ترسيخ العقيدة السنية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ودحض ما سواها من أفكار ومعتقدات باطله، ظاهرة للعيان في هذا الوقت أخطرها على الأمة الإسلامية عقيدة الروافض الشيعية، التي تعتبر الخطر المعتقد الأكبر الذي يواجه الأمة الإسلامية.

وقد نهج الباحث منهج البحث والتحليل، مع تتبع الأحداث، ومحاولة استقراء الذهنية في مغرب العصر الوسيط مع التركيز على إشكالية محورية متصلة بخلفيات الصراع يمكن صياغتها في حقل استقهامي يأتي كالآتي:

ماهي الأسباب والدوافع التي جعلت بعض القبائل المغربية تعتنق الفكر الشيعي وإلى مدى تقبل أهالي المغرب بوجه عام هذا الفكر؟ كيف نفسر إذاً المقاومة الشديدة التي تعرض لها الشيعة بعد ترسيخ أركان دولتهم ببلاد المغرب؟

وعلى هذا المنوال، سنعمل على مناقشة إشكالية البحث ضمن تصميم قسمته إلى أربعة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: سنتطرق فيه إلى زرع البذور الأولى للفكر الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب مروراً بالدعوة المنظمة للشيعة الإسماعيلية على يد الداعية أبي عبد الله الشيعي. والمبحث الثاني تناولنا فيه السياسة العقيدية والفكرية التي أتبعها الدولة الشيعية بالمغرب ضد مناوئتهم في المذهب لاسيما أتباع المذهب السني، والمبحث الثالث: تناولنا فيه مظاهر التصدي لفكر الإسماعيلي وأشكالها من قبل فقهاء السنة وعلمائها، والمبحث الرابع: عالجت فيه نتائج التصدي على المستويين السياسي والعقدي.

المبحث الأول: زرع الفكر الإسماعيلي ببلاد المغرب.

من المعروف أن مصطلح التشيع ظهر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتداول الخلافة، وحرمان علي منها، حيث تحولت الجماعة التي رأت حقه فيها إلى نواة حزب عرف باسم الشيعة،^(١) ورفضوا إمامة أبي بكر وعمر لذلك سمو بالرافض^(٢).

اكتسبت الحركة الشيعية الصبغة الدينية، بعد أن كانت في بداية أمرها حركة سياسية، وخصوصاً بعد اغتيال الخوارج لعلي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م وانتقال الخلافة إلى منافسيه من بني أمية، الذين اعتبروا عند الشيعة مغتصبين للخلافة، لذلك لم يعترفوا بحكمهم، بل إنهم ولوا على أنفسهم أئمة من ذرية علي بن أبي طالب، وأمّنوا أن الواجب يملي عليهم أن يعملوا جاهدين ليجمعوا لهؤلاء بين الخلافة التي تمثل السلطة الزمنية، والإمامة التي تمثل السلطة الدينية الروحية^(٣). لذلك، فإن الحركة الشيعية لم تهدأ أو تستكين، بل تشيع الكثيرون لاسيما من الموالي بسبب سياسة التمييز العرقي بينهم وبين العرب التي اتبعها خلفاء بني أمية، فكان منهم مخلصين لقضية علي وأبنائه، وآخرون لم يحملهم على التشيع سوى كرههم للأُمويين^(٤). الدين أرهقهم بالجبايات المجحفة بصرف النظر عن تماشيها مع مبادئ الإسلام أم لا. فليس من الصدفة إذن أن نجد عددا كبيرا من الموالي في المشرق والبربر في المغرب يعتقد الدعوتين الخارجية و الشيعية لكي يتخلص من هذه السياسة الاقتصادية والاجتماعية الجائرة^(٥).

ورغم اعتناق البربر الإسلام وانضمامهم للعرب الفاتحين، وتكوينهم نواة الجيوش الإسلامية التي أتمت فتح المغرب والأندلس، لم يعاملهم الأمويين معاملة الند للند، وأرهقهم بالضرائب وتعسفا في جمعها، فاتخذوا من الأمويين موقفاً معادياً، بسبب سياسة التفرقة العنصرية والمعاملة السيئة من قبل العرب المسلمون فلم يأخذوا نصيبهم من الغنائم أوقات الحرب كما أساء لهم خلفاء بني أمية وولاتهم بالمغرب، وفرقوا بينهم وبين المشاركة في المعاملة^(٦).

قام الشيعة فترة الحكم الأموي بالعديد من الثورات لاسيما بعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب مع بعض أهل بيته في واقعة كربلاء سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م، هذه الحادثة التي منحتم قمة الشعور بالثأر^(٧).

انقسمت الشيعة فيما بينها إلى جماعات و فرق، على أساس الاختلاف في المبادئ والتعاليم، وفي تعيين الأئمة^(٨)، ومن أبرز الفرق التي تهمنا في هذا الإطار: فرقة شيعية عرفت عبر التاريخ بالإسماعيلية، لمناداتها بإمامة إسماعيل أكبر أبناء جعفر الصادق وأحبهم إليه، بعد سلسلة الأئمة كما رتبهم ابن خلدون: «من علي إلى الحسن ثم الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق كل هؤلاء بالوصية وهم ستة أئمة لم يخالف أحد من الرافضة في إمامتهم، ثم افترقوا فرقتين وهم عشرية والإسماعيلية»^(٩).

توارى أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق عن الأنظار، واتخذوا أسلوب التخفي والتمويه، بسبب مطاردة العباسيين لهم قصد التتكيل بهم، فما كان منهم إلا أن انتشروا في ربوع العالم الإسلامي لاسيما محمد بن إسماعيل الذي عمل على بث الأفكار الإسماعيلية بواسطة دعائه، وهو في مهجره ببلاد فارس في مدينة سمرقند والمعروفة الآن بـ «محمد أباد»^(١٠).

نشط دعاة الشيعة، وأحرزوا نجاحاً كبيراً لاسيما عندما أحسوا بضعف السلطة العباسية، وصار الخلفاء ألعبوبة بأيدي عناصر أجنبية من الجند، وحلت الفوضى^(١١). في هذه الفترة، أصبحت بلدة سلمية^(١٢) في بلاد الشام دار هجرة ومكان انطلاق دعاة الإسماعيلية لنشر الدعوة^(١٣) وتقديم الغالي والنفيس خدمة لمذهبهم، لدرجة أنهم كانوا يتنازلون عن خمس دخلهم لزعيمهم من أجل تمويل الدعوة^(١٤).

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص. ١٩٥

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص. ١٦

(٣) محمد السعيد جمال الدين، الدعوة الإسماعيلية، ص. ٣

(٤) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص. ٦٩

(٥) الحبيب الجحاني، دراسات مغربية، ص. ٢٧، ٢٨

(٦) الطبري، الرسل والملوك، ص. ٢٥٤، ٢٥٥؛ محمود إسماعيل، الخوارج، ص. ٣٤

(٧) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص. ٥

(٨) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ١، ص. ٢٢٢، ٢٢٣

(٩) العبر، ج ٤، ص. ٣٨

(١٠) عارف تامر تاريخ الإسماعيلية، ص. ١١٨، ١١٩

(١١) أيمن فواد سيد، الدولة الفاطمية، ص. ١٢١، ١٢٢

(١٢) هي أرض حصص من بلاد الشام. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص. ٨٨

(١٣) كمال عدالة، المجتمع الشيعي، ص. ٣٧

(١٤) النعمان، الهمة، ص. ٦٩

تيقن دعاة الشيعة بالمشرق أن بلاد المغرب مكان صالح لنشر المبادئ الشيعية، التي بدأت تأخذ المنحى الدعوي. فكثيراً من المؤرخين من بينهم القاضي النعمان يرجعون أول تسرب يأخذ المنحى الدعوي للشيعة الإسماعيلية في بلاد المغرب، قد تم قبيل منتصف القرن الثاني الهجري بقليل، وذلك في عصر سادس الأئمة العلويين جعفر الصادق(١)، الذي رأى أهمية الدعوة إلى آل البيت في هذه الأرض البعيدة عن الدولة العباسية، ومن جهة أخرى استغلال أوضاعها التي كانت تمزقها الاضطرابات والانقسامات وكذلك تدمير البربر من ولاية المشرق كما نوهنا سابقاً.

لذلك بعث جعفر الصادق في آخر حياته باثنين من الدعاة هما عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني، وأبو سفيان الحسن بن القاسم، سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢م، وأمرهما بأن يبسطا ظاهر علم الأئمة، وأوصاهما بالتوغل في بلاد المغرب(٢) قائلاً لهما: «اذهبا إلى المغرب، فإنكما تأتيا أرضاً بوراً، فأحرثاها [...]، ودلاها إلي أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها مذلة فيبدر حبة فيها»(٣) وكان نشاطهما في نشر الدعوة الشيعية غاية في الحرص والتروي. فقد حرصا أن لا يثير عليهما السلطة الحاكمة آنذاك، ومن ناحية أخرى استطاعا تعبيد الطريق لمرحلة كبرى تأتي فيما بعد لنشاط الإسماعيلية، فاعتنق مذهبهم عدد كبير من سكان المغرب(٤) ومنهم من أدرك الداعية أبا عبد الله الشيعي، فقد ورد عند النعمان أن أبا عبد الله الشيعي التقى بمكة بحجاج من كتامة كانوا قد تشيعوا بسبب الحلواني(٥).

مما ذكرنا آنفاً، يتجلى لنا أن مهمة الداعيين الحلواني وأبو سفيان كانت محددة في التمهيد للدعوة الكبرى ذات المغزى السياسي والمذهبي المتمثل في صاحب البذر الداعي أبو عبد الله الشيعي، فقد جرى حديث بين أبا حيون المعروف بابن المفتش الذي تشيع على يد الحلواني وهو صغير وصاحب البذر لما نزل بأرض كتامة يؤيد ما ذهبنا إليه: «والله أنى لأظنك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني»(٦).

يبدو أن الدعوة الشيعية المبكرة نجحت بشكل كبير، حيث مهدت الطريق أمام الدعوة الإسماعيلية الكبرى بزمن طويل، وأصبح لها أتباع مهينين من سكان المغرب لتقبل دعوتهم، بعد أن سخر هؤلاء كل الوسائل لأجل خدمة الأغراض المذهبية(٧).

المبحث الثاني، السياسة العقديّة والفكرية للشيعة الإسماعيلية:

مثّل قيام دولة شيعية في (٢٩٦هـ/٩٠٨م) منعطفاً جديداً في تغيير معالم المنطقة سياسياً وعقدياً، فقد اتبعت الشيعة الإسماعيلية اتجاهاً عقدياً مخالفاً للاتجاه السني، فالشيعة تعتقد بضرورة الإيمان بالإمام على التعيين من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بإمام من ذريته ومن بعده، وجعلوا الإمامة إحدى دعائم الدين وأهمها بعد النبوة، وأنه لا يستقيم الدين إلا بها، كما قالوا بالوصية، فقد كان علي بن أبي طالب الوصي الوحيد للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأن الإمامة لا تجوز إلا له ولذريته من بعده إلى يوم القيامة، وعلى ذلك تكون الإمامة الفاطمية وراثية من وصاية علي بتسلسل الحكم فيه وذريته من أبناء فاطمة إلى يوم القيامة، وهذا ما جعل الشيعة يطعنون في خلافة أبي بكر، وعمر(٨).

واختص للشيعة بالعديد من التأويلات، فهم يرفضون ما روي عن غيرهم من المذاهب، وينكرون الإجماع العام كأصل من أصول التشريع(٩)، لأنه يسلم إلى الأخذ بأقوال غير الشيعة، كما أنهم ينكرون القياس والاستحسان والاستدلال لأنه رأي، والدين عندهم لا يؤخذ بالرأي إلا من قول الله تعالى والرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن الأئمة المعصومين(١٠)، على حد زعمهم، وهم لا يعترفون بالاجتهاد(١١)، وعمل أهل المدينة وقول الصحابة(١٢).

وكان من البدهي جداً، أن توجد بوادر الخلاف والتناقض بين الشيعة الإسماعيلية وأنصار السنة لاسيما وأن كل ما ينكره الشيعة يعتبر أصلاً من أصول السنة. كما إن أهل السنة لاسيما المالكية تدين أي شكل من أشكال التمرد على السلطة حتى

- (١) النعمان، الافتتاح، ص. ٢٦، ٢٧
- (٢) حسن علوي، الدعوة الشيعية ببلاد المغرب، ص. ٩١
- (٣) النعمان، الافتتاح، ص. ٢٩
- (٤) الحميري، الروض المعطار، ج ١، ص. ٥٧٨
- (٥) النعمان، الافتتاح، ص. ٣٤
- (٦) النعمان، الافتتاح، ص. ٤١
- (٧) المقرئ، اعطاء الحنفا، ج ١، ص. ٥٥
- (٨) عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ص. ٧٥
- (٩) النعمان، اختلاف أصول المذاهب، ص. ١٠٢
- (١٠) النعمان، اختلاف أصول المذاهب، ص. ٤٩، ٤٤، ١٩٦
- (١١) نفسه، ص. ٣٧
- (١٢) النعمان، دعائم الإسلام، ص. ٨٥

ولو جارت، فقد كان سحنون يقول ويدعو إلى «عدم جواز حمل السلاح على الإمام ولو كان جائراً»^(١)، من هنا يأتي التعارض بين الإسماعيليين وعلماء السنة. فالإسماعيليون، غاصبون للسلطة والعلماء هم حراس المذهب وأسس الشرعية السياسية، وعليه فإن أي موقف يصبغ الشرعية على عليهم يعتبر خروجاً عن السنة إن لم يكن مروقاً عن الدين، لذلك نظر علماء القيروان إلى كل من اقترب منهم أو انخرط في خدمتهم نظرة استهجان وإنكار وكانت العبارة الشائعة في النصوص هي عبارة التشريك أي اتبع المذهب الفاطمي. هذا فضلاً على أن الخلاف بين الطرفين ليس مجرد اختلاف فقهي في الفروع كما هو أختلاف المالكية مع المذاهب السنية الأخرى، إنما هو اختلاف عقائدي يمس جوهر العقيدة وأصولها، فالصراع بين علماء القيروان وزعماء المذهب الفاطمي يشمل جملة من الأسباب العقدية التي تتعلق بالعبادات والنبوة وبالنظر إلى السلف الصالح^(٢).

فما مدى تقبل اهالي المغرب لاسيما اتباع السنة للفكر الشيعي الاسماعيلي؟ كيف كانت ردة فعلهم؟ وإلى أي مدى وصلت هذه الخلافات؟ وما انعكاساتها على مجتمع بلاد المغرب؟

تمكن أبو عبد الله الشيعي بفضل قدراته الدعائية الناجحة إلى استقطاب أكبر قبائل البربر إلى صفه، وهي قبيلة كتامة الذي أستعمل مع أبرز عناصرها أسلوب المرونة والتدرج في نشر الأفكار الشيعية. ^(٣)

فهل قبول الكتاميين بأفكار أبي عبد الله الشيعي الدعوية ومناصرته لتحقيق أهدافه السياسية والعسكرية، كانت تتم عن قناعة منهم وإيمان بالمذهب الشيعي؟ وخصوصاً إذا عرفنا أن المغاربة عجزوا في استيعابهم للمعتقد الإسماعيلي بتأويلاته المتعددة^(٤)، أم أن هناك غايات أخرى سعوا لتحقيقها عن طريق التحالف مع هذا الداعي؟

للإجابة على هذا التساؤل لابد من معرفة الوضع السياسي لبلاد كتامة، هذه القبيلة التي كانت كغيرها من القبائل البربرية حاكمة ناقمة على الحكم العربي في بلاد المغرب في كل العهود، وذلك لما تعرضوا له من ظلم وتعسف من قبل السلطة الأغلبية إذ تذكر بعض المصادر أن إبراهيم الثاني الأغلبي عُرِفَ بظلمه واستبداده وسفكه للدماء وتقلب مزاجه، لدرجة أنه كان يقتل بالشبهة^(٥). فضلاً عن أنه كان يتسلط على «ذوي الأقدار والأموال فيقمعهم» مبرراً فعله بقوله إنه «لا ينبغي أن يظلم إلا ملك»^(٦).

لذلك كانت هذه القبيلة وغيرها يتوقون إلى الخلاص من هذه الحكومة الجائرة، وكانوا على استعداد إلى اعتناق ومناصرة أي معتقد دخيل يحقق لهم طموحاتهم، فكما اعتنقوا وناصروا في فترة سابقة الفكر الخارجي، ولنفس الأسباب، اعتنقوا هذه المرة الفكر الشيعي لاسيما وأن هذه القبيلة كانت أكثر قبائل البربر عدداً، وأشدّها شوكة، وأصعبها مراساً على السلطان^(٧)، مما وفر لها نوعاً من الاستقلال الفعلي عن السلطة الأغلبية. وهذا ما يفسر لي اختيار أبي عبد الله الشيعي لهذه القبيلة بالذات، لتكون القوة التي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق مشروعه العقائدي والسياسي.

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن قبول السكان بأي فكر معتقدي، يتوقف دائماً على نوعية التعامل من قبل السلطة الحاكمة، اتجاه الرعية، وهذا ما يفسر قيام الحركات المعارضة ضد الشيعة الإسماعيلية بمجرد تخليهم عن سياستهم المرنة واستبدالها بسياسة قاسية كما سنوضح لاحقاً.

المهم في الأمر وأين كانت الأسباب التي جعلت الكتاميين يتحالفون مع أبي عبد الله الشيعي، فإنه تولدت بين الطرفين غاية مشتركة هو إزالة الدولة الأغلبية وجميع الدول التي كانت تحكم البلاد المغربية وإخضاعها للسلطة الإسماعيلية. وفعلاً تم لهم ذلك.

تواصل أسلوب أبي عبد الله الشيعي في التدرج والمرونة في نشر الأفكار الشيعية مع جميع المدن المفتوحة فبمجرد دخوله القيروان غرة رجب سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م^(٨)، انتهج مع سكانها سياسة سليمة، لذلك رحبوا به «وسلموا عليه وأظهروا له

(١) الطاهر المنصوري، علماء القيروان، صص. ٤٧- ٥٦.

(٢) نفسه، ص. ٤٩.

(٣) النعمان، الافتتاح، ص. ٤٩.

(٤) حسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، ص. ٢٦١.

(٥) ابن جداري البنيان المغرب، ج ١، ص. ١٧٢.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ص. ٧٦.

(٧) ابن جداري، البنيان، ج ١، ص. ١٢٥.

(٨) نفسه، ج ١، ص. ١٥٠.

الرغبة في دولته وسألوه الأمان فأمنهم ووعدهم بالإحسان والعدل»(١)، وكذلك فعل مع المناطق الأخرى مثل رقادة وسوسة وغيرها(٢)، وخرج بعضهم لاستقباله، ولعل هذا الفعل يمكن تفسيره على أنه نوع من الاستسلام للأمر الواقع.

أما علماء المدينة وفقهاؤها وتجارها، فقد أظهر لهم الود والتسامح وأمنهم على أرواحهم وأموالهم(٣) نظرا لمكانتهم الاجتماعية وتأثيرهم على العامة لاسيما فقهاء المالكية وعلمائها وما عرف عن المذهب المالكي من أنه مذهب عامة الشعب، فهو بذلك يرمي إلى استمالة المالكية إلى صفه.

لم يكن الشعور بشيء من الاطمئنان، بين الحين والآخر، الذي شاع في عهد أبي عبد الله الشيعي بين سكان المغرب إلا شعوراً عابراً، سرعان ما تبدد وحلت محله المخاوف والهواجس، وذلك في أول يوم نزل فيه عبيد الله المهدي، رقادة غرة رجب سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م(٤)، فقد شعر سكان إفريقية وعلمائها أن للشيعة سياسة تتعارض مع تطلعاتهم المذهبية والاقتصادية.

فمن الناحية المذهبية، لقب عبيد الله المهدي نفسه بأمرير المؤمنين كدلالة على قيام خلافة شيعية مضاهية للخلافتين السنيتين: العباسية في المشرق، والأموية في الأندلس، وأمر بإسقاط الدعاء على منابر المساجد في المغرب للخليفة العباسي والدعاء لعبيد الله المهدي(٥). من جهة أخرى عمل على نشر مذهبه بالقوة في القيروان، مركز المالكية، وأعطى أوامره لدعاته «بإحضار الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى مذهبهم فمن أجاب أحسن إليه ومن أبي حبس فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس - وهم قليل - وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم»(٦).

والواقع أن سياسة عبيد الله المهدي المذهبية تجاه سكان المغرب، تختلف اختلافاً كلياً عن سياسة داعي دولته أبي عبد الله الشيعي من ناحية الإعتدال والسلوك السلمي. فقد جاءت سياسة المهدي بتحد واضح لمشاعر أهل السنة عامة، فحسب ما نقل لنا ابن عذاري أنه «أظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي(صلى الله عليه وسلم) وأزواجه حاشى علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي(صلى الله عليه وسلم) ارتدوا بعده إلا هؤلاء»(٧). كما عمل المهدي على إلغاء فقه عبادات السنة، وأمر بتعطيل تعليم أصول الشريعة على مذاهب السنة، ومنع شيوخ القيروان من إلقاء دروسهم، فقد وردت في كتب الطبقات عند ترجمتها لفقهاء السنة، إن الفقهاء لا يلتقون في مجالس العلم إلا خفية خوفاً من بطش الشيعة(٨).

لقد بالغ عبيد الله المهدي في إظهار نحلته الشيعية، وأرغم الناس على فقه عبادات الشيعة التي تخالف العقيدة السني وعمل على إحكام قبضته المذهبية على مختلف المذاهب الأخرى، وخاصة المذهب المالكي صاحب القاعدة الاجتماعية العريضة في الأوساط المغربية والمنافس الوحيد للمعتقد الإسماعيلي، بل إنه شكل أكبر عقبة في سبيل انتشاره. ومن هذا المنطلق سلك المهدي سياسة التصلب والبطش والترهيب بعلماءه عن طريق قاضي دولته المرزورودي الذي عمل على قتل وتعذيب عدد كبير من فقهاء المالكية، ففي سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م «قتل الفقيه الصالح أبي جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي، حيث أمر به فأدخل إلى مجلس عبيد الله المهدي وبتح على ظهره وطلع السودان فوق سريره ففقزوا عليه بأرجلهم حتى مات وأخذوه وحملوه على بغل وألقوه في حفير، ونهبوا [...] ماله، وأخذ مولدة كانت له، وجعلوها مع خدمه، وذلك من أجل جهاده على دين الله تعالى وبعضه لبني عبيد»(٩). كما قتل في سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م، بالقيروان الفقيه «عروس المؤذن، بعد أن ضرب بالسياط وقطع لسانه إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنه أذن ولم يقل حي على خير العمل»(١٠). وقتل أيضاً في سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م الفقيه حسين بن مفرج والزاهد أبو عبد الله السدري، لأنه وصل إلى مسامع عبيد الله المهدي أنهما يقولان كلام عن مذهب لم يرق له(١١).

(١) نفسه، ج ١، ص. ١٥٠

(٢) نفسه، ج ١، ص. ١٥٠

(٣) نفسه، ج ١، ص. ١٥٠

(٤) إنقزوا، التيارات الفقهية، ص. ٢٩١

(٥) البائنا، الألقاب الإسلامية، ص. ٩٣ وما بعدها

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص. ٤٦١ المبريزي، الخطط، ج ٢، ص. ٣١

(٧) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص. ١٥٩

(٨) المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص. ٢٨٧؛ عياض، المدارك، ج ٥، ص. ١٢١

(٩) الدباغ، معالم الإيمان، تحقيق، محمد الأحمد، ج ٢، ص. ٢٨٩، ٢٩٠

(١٠) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص. ١٨٢، ١٨٣

(١١) عياض، المدارك، ج ٥، ص. ١٣٠، ١٣١

و يمكن تقدير من قتل من فقهاء السنة وعامتهم على يد أعوان عبيد الله المهدي حسب أحد الدارسين بـ «أربعة آلاف بين عابد ورجل صالح» (١)، أمثال عبد الله محمد بن إسحاق الحبلي قاض بركة المتوفى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م الذي قتل لأنه لم يفطر بالإفطار الشيعي ورفض أن يأمر الناس بالفطر في رمضان (٢)، وفي سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م قتل عبد الله بن محمد بن يحيى الرعيني من أصحاب سحنون، ومحمد بن موسى التميمي وإسحاق بن إبراهيم بن أبي عاصم الفارسي، وأبو جعفر أحمد بن منصور وغيرهم (٣).

وفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م امتحن، الفقيه محمد بن العباس الهذلي، بأن ضرب بالدرة في الجامع عريانا، وصفع ففاه حتى جرى الدم من رأسه، وبرح عليه في أسواق القيروان بأن شهد عليه قوم من المشاركة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك (٤)، ولنفس السبب ضرب وحبس محمد بن العباس بن الوليد الزهري من قبل القاضي الشيعي عبد الله محمد بن عمران النفطي (٥)، فقد كان «أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الإهتضام والتستر كأنهم ذمة تجري عليهم في أكثر الأيام محن شديدة» (٦).

وعموماً إن الاستهانة بالمشاعر السنوية من قبل المهدي وسياسة الترهيب والتكيل بفقهاء السنة وعلمائها، كأسلوب لفرض الفكر الشيعي، لم يزد السنة لاسيما المالكية منهم إلا تمسكاً وتعلقاً بمذهبهم ودخلوا في صراع مع الشيعة وكان صراعاً حاداً عقدياً واجتماعياً وسياسياً، وقد مدح صمودهم الدباغ، بقوله: «جزى الله مشيخة القيروان خيراً، هذا يموت وهذا يضرب، وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة، رحمهم الله ورضي عنهم» (٧).

المبحث الثالث، التصدي السني للفكر الإسماعيلي:

اتخذت المعارضة الفكرية للشيعة الإسماعيلية عدة أوجه وتنوعت أساليب هذه المقاومة بين المقاطعة والدعاية المضادة والمناظرات والتأليف وغيرها.

لقد مثل أسلوب المقاطعة جزءاً من المقاومة السلمية التي اتبعتها فقهاء السنة المالكية كردة فعل للارهاب الشيعي وكأسلوب للتعبير عن بغضهم لهم بمقاطعتهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينيًا، ورفض التعامل معهم، وإعلان العصيان المدني ضدهم، وقد قرروا أن يكونوا سداً منيعاً أمام تسرب عدوى التشيع إلى العامة، بل إنهم حرصوا على معاداتهم ومقاطعتهم في كل المجالات (٨). فقد حرص الفقيه المالكي جبلة بن محمود بن عبد الرحمن الصدي المتوفى سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م أهل القيروان على مقاطعة الشيعة مذكراً إياهم بخطر الشيعة وأنهم أخطر من الروم النصاري، وقد عبر عن ذلك بقوله: «كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر والآن حل هذا العدو بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك» (٩).

لقد حرصت السلطة الشيعية السكان على الدخول في المذهب الشيعي، وهو ما عارضه فقهاء و علماء المالكية، ونهجوا في ذلك أسلوب المقاطعة، ففي خطوة أولى انغلقت على أنفسهم بالإنكفاء داخل البيوت، ونفروا من الإختلاط بالشيعة (١٠)، وهجر بعضهم رقادة، وقاطعوا قاصديها تعبيراً عن تمسكهم بالمعتقد السني ورفضهم للمذهب الشيعي (١١)، وينقل لنا عياض ما مفاده أن الفقيه أبو محمد يونس الورداني المتوفى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، هرب إلى البادية لكي لا يقابل الشيعة ويسلم من فتنهم (١٢).

وعمد فقهاء المالكية إلى مقاطعة صلاة الجمعة التي أصبحت خطبها تقام باسم الخليفة الشيعي وعلى حسب التعاليم الشيعية، وفي هذا الشأن يروي أصحاب كتب التراجم أن جبلة «جلس عند المنبر فسمع خطبتهم، فلما سمع ما لا يجوز سماعه قام قائماً وكشف عن رأسه والناس ينظرون إليه حتى خرج من الباب وهو يقول قطعوها قطعهم الله» (١٣)، فمن حينها لم

(١) زكار، الفكر الإسماعيلي، صص. ٢٨ - ٤٣

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص. ٤٠٤، ٤٠٥

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص. ١٨٣

(٤) نفسه، ج ١، ص. ١٨٨

(٥) الجودي، تاريخ قضاة القيروان، ص. ١٠٠

(٦) عياض، المدارك، ج ٥، ص. ٣٠٣

(٧) معالم الإيمان، ج ٢، ص. ٢٩٢

(٨) الهنتاتي، المذهب المالكي، ص. ١٦٥

(٩) عياض، تراجم، ص. ٢٨٤

(١٠) الهنتاتي، المذهب المالكي، ص. ١٦٦

(١١) المجذوب، الصراع المذهبي، ص. ٢٠٨

(١٢) تراجم، ص. ٣٣٧

(١٣) المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص. ٤٣

يحضر الجمعة، فكان يصلي الظهر أربعاً، فسأله بعض المالكية: «كيف جاز لك أن تصلي أربعاً والجامع يجمع؟ فقال: ألم يمر بك قول مالك في المسجونين أنهم يجمعون في السجن، لأنهم منعوا من الجمعة؟ ونحن منعنا من الجمعة، فأقمنا أنفسنا مقام المسجونين»(١). فحذا الكثير من أهل السنة حذوه في مقاطعة صلاة الجمعة بعد أن نبههم إلى ذلك(٢).

و تعد هذه الخطوة من قبل جيلة سناً دينياً لأهل القيروان، وإشارة واضحة بالتصدي للبدع وإرشاد الناس إلى الإمتناع عن الاختلاط بالشيعة كي لا يتأثروا بأفكارهم ومعتقداتهم.

ومن أمثلة المقاطعة التي جبل بها فقهاء المالكية، هو رفضهم عبارة «حي على خير العمل» في الأذان والإستمرار في قول «الصلاة خير من النوم» كأحد الإجراءات العملية للتصدي للشيعة، لذلك قتل الشيعة عروس المؤذن؛ لأنه امتنع عن القول بـ «حي على خير العمل»(٣).

أما فيما يخص صلاة الجناز، فقد امتنع فقهاء المالكية عن الصلاة وراء أئمة الشيعة واعتبروها باطلة، فقد رفض الفقيه المالكي إسحاق الجبنياني الصلاة على جنازة رجل كتامي معتقد للمعتقد الشيعي، وانصرف إلى جنازة امرأة من عامة السنة وصلى عليها وحضر مراسم الدفن، وحذا أصحابه حذوه، ولما فرغوا من ذلك عبر له أصحابه عن خوفهم من رد فعل الشيعة، فلم يكثر لذلك، وازداد تصلباً وإصرار على مقاطعة الشيعة بقوله: «اللهم إن كنت أخافهم دونك فسلطهم علي»(٤). كما أن فقهاء المالكية ومن حذا حذوهم من عامة الناس لا يلقون تحية السلام عليهم وكذلك يرفضون مناكحتهم(٥). ومن هنا نلاحظ مدى الشجاعة التي تمتع بها أهل السنة في مواجهة الشيعة.

ومن ضمن الوسائل والأساليب التي اتخذها السنة لمقاطعة الشيعة، هو مقاطعة الدروس التي كانت تلقى بالفقه الشيعي، والاستمرار في إلقاء الدروس بالفقه السني، رغم التصييق الشديد عليهم ومنعهم من إلقاء الدروس بمذهبهم، إلا أنهم في كثير من الأحيان يتحدون كل هذه الإجراءات، ويأخذون مبدأ التقية من أجل إيصال رسالتهم إلى الناس(٦).

وعمل فقهاء السنة على إطلاق فتاوي تمنع التعامل بنقود الشيعة، ورفض هداياهم العينية، والنقدية(٧)، فقد رفض الفقيه سعدون الخولاني المتوفى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م مبلغاً من المال ودابة قدمت له من عبيد الله المهدي، لاستقطابه لمعتقده(٨)، وبنفس الأسلوب رفض الفقيه أبو الفضل الممسي المتوفى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م بعض الهدايا، لأن مكوناتها من ضياع السلطان الشيعي، وقد اعتبر أن جميع ما تحت يد السلطان من أموال وأملاك هي مغتصبة(٩). ولعل هذه الإجراءات اتخذت من أجل حث الناس على مقاطعة الشيعة اقتصادياً من خلال العزوف على شراء منتجاتهم مما قد يسهم في إنهاك وضرب اقتصادهم.

ووصلت درجة التمسك بمقاطعة الشيعة ومعتقدتهم إلى أن بعض فقهاء المالكية حرموا أنفسهم من طيبات العيش حتى يقضوا على الشيعة، فربيع القطان مثلاً أثر على نفسه ألا يشبع من طعام ونوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد(١٠)، وكذا الفقيه أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن التبان المتوفى سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، الذي تحدى أبو عبد الله الشيعي علانية، وفضل الموت على الدخول في معتقده عندما قال قولته الشهيرة: «لو نشرتي في اثنين ما فارقت مذهب مالك»(١١).

أما بالنسبة للمناصب الإدارية، فقد امتنع بعض فقهاء المالكية تولي هذه المناصب لاسيما وظيفة القضاء، فابن اللباد مثلاً عرض عليه عبيد الله المهدي تولي قضاء صقلية فرفض ذلك(١٢)، وكذلك الحسن بن نصر السوسي المتوفى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م الذي تولى العديد من المناصب أيام الأغالبة، رفض عرضاً مغرباً قدم له من المنصور بالله لتولي بعض المناصب

(١) نفسه، ج٢، ص. ٣٦، ٣٧

(٢) نفسه، ج٢، ص. ٤٣

(٣) ابن عذاري، التبان، ج١، ص. ١٨٢، ١٨٣

(٤) عياض، المدارك، ج٦، ص. ٢٣٩

(٥) المجذوب، الصراع المذهبي، ص. ٢٠٩

(٦) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص. ٢٨٧

(٧) إنغزو، التيارات، ص. ٣١٤

(٨) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص. ٢٥٩

(٩) عياض، المدارك، ج٥، ص. ٣٠٠

(١٠) المجذوب، الصراع المذهبي، ص. ٢٠٩

(١١) الدباغ، معالم الإيمان، ج٣، ص. ٩٣

(١٢) نفسه، ج٣، ص. ٢٣

في الدولة (١)، كما عرض هذا الأخير قضاء القيروان على أبي ميسرة أحمد بن نزار المتوفى سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م لكنه امتنع (٢).

إن هذا الرفض للمناصب الإدارية ليس من باب المقاطعة وحسب، وإنما إدراك فقهاء المالكية أن هذه المناصب هي بالنسبة لهم شكلية لا تحقق تطلعاتهم، يكون فيها صاحب الوظيفة الإدارية تابعاً للسلطة الحاكمة.

ومن الأشكال الأخرى الفكرية التي أخذها علماء السنة لمقاومة التشيع هي الدعاية المضادة أو ما يعرف عندنا في الوقت الحاضر بـ«الحرب الإعلامية»، وذلك عن طريق قطع جسور التواصل التي حاول الشيعة مدها للعامة من أجل تمكين معتقدتهم وقد نجح الفقهاء في إبقائهم أغراباً منبوذين من عامة الناس بعدة وسائل منها: إلقاء الخطب الحماسية ضدهم، والإفتاء بتكفيرهم والدعاء عليهم أمام الناس، وهجائهم بالشعر، وترويج الشائعات ضدهم والتشكيك في نسبهم.

لقد أعتلى الكثير من فقهاء السنة منابر المساجد، وألقوا على الناس خطبا حماسية تحثهم على التصدي للشيعة ومقاطعتهم، وتحرضهم على الثورة ضدهم، فما هو أبو الفضل الممسي المتوفى سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م مثلاً في أحد خطبه يحرض الناس على جهاد الشيعة مبيناً لهم ما في ذلك من ثواب «يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله تعالى وغير أحكام الله عز وجل وسب نبيه وأصحاب نبيه وأزواج نبيه». فقد لاقت هذه الخطبة أذاناً صاغية عند الناس وتأثروا بها (٣).

كما جاهر فقهاء المالكية بالدعاء على الشيعة أمام الناس في عدة مناسبات، فقد كانوا يدعون عليهم بالزوال والهلاك والفناء وما إلى ذلك من المتمنيات تعبيراً عن بغضهم لهم، ورفع الهمم لدى الناس لمقاطعة ومحاربة الشيعة، يقول المالكي أن أبا بكر المؤدب الهواري المتوفى سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م، كان يدعو بأعلى صوته على أبي عبد الله الشيعي، ويقول: «اللهم العن ذا الأمير الصنعاني» (٤)، وفي عهد المعز يوجه وجهه صبرة المنصورية عاصمة الخليفة الثالث المعز لدين الله ويدعو ويقول: «اللهم العن ذا الأمير الديصاني» (٥) يعني الخليفة المعز، ثم يأخذ عصاه فيطعن العمود وهو يقول: «ابن باديه (يعني المعز) هذه في قلبك، هذه في بطنك، هذه في عينك، وهو في جهد حتى عرق عرقاً عظيماً» (٦). وهذا دليل على إصرار السنة على إزالة كل أثر للشيعة.

ومن الوسائل السلمية التي اتبعتها المالكية في حربهم الإعلامية ضد الشيعة ترويجهم للشائعات والأراجيف ضدهم، ومن ذلك التشكيك في أصولهم الهاشمية وإشاعة بأن نسبهم يرجع إلى اليهود، وإصاق بهم بعض الأسماء المشينة مثل الرافضة، والزنادقة، والمجوس، وغير ذلك من النعوت التي تجعلهم في نظر العامة كفاراً مارقين عن الإسلام، لا يجوز شرعاً إتباعهم وكذلك تكفيرهم، لإحباط مساعيهم الدعوية وتأليب الرأي العام ضدهم (٧).

وفي نفس السياق، اتهم الشيعة بأنهم يمارسون بعض المعتقدات البعيدة عن الإسلام كالسحر والشعوذة (٨)، ومن ذلك أنهم كانوا يعبدون رأساً يتحدثون ويسجدون له من دون الله فيغدق عليهم الأموال (٩). وقد تصدى المعز لما يروجه أعداء المذهب حول هذا الموضوع مشتملاً مما يقولونه موضحاً أنهم إن كانوا يعبدون في رأس، فإنه رأس الخالق رب العالمين نافياً عبادة أي شيء سواه (١٠).

إن الدعاية المضادة التي شنت على الشيعة وما ألصق بهم من اتهامات من قبل السنة المالكية، في مجملها أدت في النهاية إلى نتائج إيجابية تخدم الفكر السني ومعتقدهم، فقد عرفت عامة أهل السنة وغيرهم من المذاهب الأخرى حقيقة المعتقد الإسماعيلي وما يهدف إليه. وأدرك عبيد الله المهدي جسامة السلاح الإعلامي، وأحس أنه سيعود عليه بنتائج عكسية، لذلك غير من سياسته وأمر عماله بمعاينة المسؤولين عن تلك الأعمال، وحاول التبري من الاتهامات وإبعاد الشبهة عن نفسه وإصاقها بالدعاة (١١)، كما بدأ المعز في عدة مناسبات أسفه وعدم رضاه على أفعالهم واعتبرهم السبب الحقيقي وراء هذه

(١) المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص. ٤٠٢، ٤٠٣.

(٢) نفسه، ج ٢، ص. ٣٦١.

(٣) المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص. ٣٤٢، ٣٤٣.

(٤) نفسه، ج ٢، ص. ٤٠٣.

(٥) الديصاني يعني: الزنديق، وقد قُلت نسبة إلى ميمون بن ديصان أحد كبار الزنادقة في صدور الدولة العباسية، وقد أرجع السنة العبيديين إلى هؤلاء الزنادقة. المالكي، نفسه، ج ٢، ص. ٤٣٠ هامش. ٦٥.

(٦) نفسه، ج ٢، ص. ٤٣٠.

(٧) الهنتاتي، المذهب المالكي، ص. ١٦٧.

(٨) عياض، المدارك، ج ٧، ص. ٢٧٨.

(٩) النعمان، المجالس، ص. ٤١٧.

(١٠) نفسه، ص. ٤١٧.

(١١) ابن جداري، البيان، ج ١، ص. ١٨٦.

الاتهامات أو الشائعات التي ألصقت بالمذهب الإسماعيلي، فهم على حسب قوله «لا يعرفون شيئاً من ظاهر دين الله من حلال وحرام» (١)، ونعتهم «بالغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون إمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفى صدور عباده» (٢)، لذلك حاول المعز تدارك أخطاء غيره وإزالة الجفوة التي حصلت بين الشيعة والعمامة إلا أنه فشل في ذلك، وكان يقول وهو مستاء من هذا الجفول: «والله ما ندري أي وجه نقصده بهم، فنجد فيه راحة مما نحاوله ونزاوله من أمرهم، قد قلنا الله عز وجل أمورهم، واستخدمنا في تقويم أسبابهم ورعايتهم وهم من سوء الحال وقلة الإنصاف منهم وعدم الخير فيهم في غاية المكروه» (٣).

وحتى بعد انتقال الفاطميين إلى مصر تواصل هذا الجفول، واستمر فقهاء المالكية في حربهم الإعلامية خصوصاً في الإفتاء بتكفير الشيعة، وذلك ما للفتاوى من تأثير كبير على الناس لاسيما أنه أظهر

عندما تكون صادرة من أشخاص موثوق بهم ويمثلون مرجعية ورموز يقتدى بها، أمثال ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، وأبي الحسن القابسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٦م وغيرهم ممن نالوا رضى العمامة بتقواهم وزهدهم وصلاتهم (٤) وبالتالي أصبحت الفتاوى في العهدين الفاطمي والزييري أحد الأسلحة التي أشهرها فقهاء السنة ضد أعدائهم الشيعة لاجتثاث بدعتهم، وكان الإجماع بينهم في جميع مراحل الصراع على تكفير الشيعة واستحلال دمائهم وأن حالهم «حال المرتدين والزنادقة، بما أظهره من خلاف الشريعة، فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل فيقتلون بالزندقة» (٥)

وبهذه الأحكام والفتاوى المسبقة واجهت عامة المالكية الشيعة على أساس أن قتل الشيعة يعتبر من أفضل الأعمال التي ترضي الله ورسوله، وهذا ما زرعه فقهاء المالكية وعلماؤها في عقول الناس، لذلك عملوا على تقبيلهم في كل مكان معتبرين أن الذي يحدث لهم هو عقاب من الله، فالمصادر تصور أن الذي يجري مع الشيعة هو عبارة عن «صيحة من الله سلطها عليهم» (٦).

تنوعت وتباينت الفتاوى التي صدرت في الشيعة إلا أنها في مجملها تصب في مكان واحد هو زيادة وثيرة الحقد على الشيعة من قبل عامة الناس، وذلك لتحقيق الهدف الأسمى وهو اجتثاثهم من أرض المغرب، وهذا ما يفسر لنا ذلك الزلزال الذي انفجر تحت أقدام الشيعة سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م، فقتلوا أينما وجدوا كما سنوضح لاحقاً.

ومن الوسائل الناجحة التي أتخذها علماء السنة لمقارعة الفكر الشيعي المناظرات التي تعتبر ضمن نشاط عقائدي وثقافي قائم خلال العصر الوسيط، ونالت بلاد المغرب نصيباً كبيراً منه عن طريق الحوار بين النخبة العالمية لمحاولة إقناع الطرف الآخر أو تكريس حق الاختلاف. وتطور المناظرة عادة في أجواء هادئة داخل المسجد الجامع، أو قصر الأمير، أو في فضاء مفتوح، وتحول أحياناً إلى مقابلة بين فريقين، وإنها في كثير من الأحيان تكون سابقة للمواجهة المسلحة أو فاتحة لها، وفي أحيان أخرى تعبر هذه المناظرات عن تعابش سلمي بين المجموعات البشرية داخل المجالين الحضري والبدوي (٧). ونظراً إلى الحركة الثقافية المميزة لتلك الحقبة في كامل مجال الغرب الإسلامي عموماً وبلاد المغرب خصوصاً، فقد تعددت المناظرات بين المذاهب المختلفة، من بينها المناظرات التي جرت بين علماء السنة والشيعة الإسماعيلية.

لقد بينا سابقاً أن الشيعة استعملوا أسلوب القوة والإكراه لتمكين معتقداتهم وعدم السماح للمعتقدات المذهبية الأخرى بالظهور على السطح وخصوصاً المعتقد السني. غير أنه بين الحين والآخر تكون هناك مرحلة من الحوار والجدل يهدف كل طرف من ورائها إلى تحقيق أمور جسام لاسيما في عهد أبي عبد الله الشيعي.

فمن الجانب الشيعي، كان الهدف هو محاولة إقناع أهل السنة بالمعتقدات والأفكار الشيعية، مراهنين في ذلك على قصور الفكر السني في علم الكلام.

(١) النعمان، المجالس، ص. ٤٤٩

(٢) النعمان، المهمة، ص. ٥٣

(٣) النعمان، المجالس، ص. ٥٠٧

(٤) محمد بن عبد الجليل، كيف قامت المالكية التشيع، ص. ١٦٠

(٥) عياض، المدارك، ج ٧، ص. ٢٧٧

(٦) عياض، المدارك، ج ٧، ص. ١٠٦

(٧) محمد بن موسى حسن، المناظرات، صص. ٤٣ - ٥٩

أما الهدف عند الجانب السني، فيأتي في إطار مقاومة الشيعة، والتصدي لهم في المجالين السياسي والديني قولاً وعملاً، وذلك بإبطال معتقداتهم أمام الناس عن طريق الجدل والمناظرة والتساؤل والاعتماد على الحجة والدليل.

وتكشف لنا كتب طبقات المالكية عن هذه المجالس والقضايا التي كانت تثار فيها وأساليبها، أبرزها على الإطلاق كتاب «رياض النفوس» للمالكي، وكتاب «معالم الإيمان» للدباغ، إذ تميزت أخبارهما عن هذه المجالس بالدقة ووفرة المعلومة.

لقد ارتكزت المناظرات حول مسائل دقيقة ومعينة، تمس الجانبين العقدي والسياسي، مثل مفهوم بعض النصوص الدينية في العقائد وخصوصاً في مسألة الإمامة والتفضيل وصلاة التراويح ومنزلة السنة في التشريع. ويعارض كل فريق بما أوتي من بيان وحجة.

تمت جل هذه المناظرات في بيت الحكمة برقادة، وكانت أول مناظرة التقى فيها الشيعة وأهل السنة بهذه المدينة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م، وقد مثل فيها أبو عبد الله الشيعي النصيب، الأكبر من الشيعة، وجرت أيضاً مناظرات بحضور القاضي المرؤوذي، وهي نحو الأربعين مجلساً يعقد مرة في كل أسبوع، يستدعي له مشاهير المتكلمين من أهل القيروان (١).

لقد عدت كتب الطبقات الكثير من الفقهاء ممن ناظروا الشيعة، أمثال ابن أبو ربيع سليمان القطان المتوفى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م، وابن التبان المتوفى سنة ٣٧١هـ / ٩٨١م، وأبرزهم على الإطلاق أبو عثمان سعيد بن الحداد المتوفى سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م، لسان أهل السنة ورائدهم في علم الكلام، والتأويل اللغوي للنصوص، مما كان له أبلغ الأثر في رجوح كفة المالكية على الشيعة في علم المناظرة (٢).

أما زمن عبيد الله المهدي الذي تميز بالتشدد المذهبي ومنع الحوار، فلم يكن في عهده الكثير من المناظرات باستثناء بعض المجادلات التي واجه فيها ابن التبان المتوفى سنة ٣٧١هـ / ٩٨١م، الفقيه القيرواني الذي عرف عنه العلم والذب على مذهب أهل السنة، إذ سار على نهج سعيد ابن الحداد وحذا حذوه في الرد على مجادلبيه لاسيما في قصة تفضيل «عليّ» على «أبي بكر»، فكان رده على مناظريه بنفس رد ابن الحداد (٣).

أخذ ابن الحداد العلم والفقه من أوائل فقهاء المدرسة المالكية، أمثال الإمام سحنون، له مقامات مشهورة في علم الكلام والرد على فرق المخالفين للسنة لاسيما الشيعة (٤)، فناظرهم ولم يخش غائلتهم وصمد في وجههم وثبت على مبادئه، حتى أن أهله سألوه التقيّة إشفاقاً عليه فرد عليهم بقوله: «حسبي من له خرجت وعن دينه دَبَّيْتُ» (٥)، إيمانا منه بالقضية التي يحارب من أجلها، لذلك حسب له الشيعة ألف حساب ليس من ناحية تصلبه وعدم خوفه فقط، وإنما معرفتهم بقدرته على فن المجادلة والمناظرة، لدرجة أن خافوا من افتتان أتباعهم من الإسماعيلية بأرائه، فقد ورد عند المالكي أن بعض المقرّبين من السلطة الإسماعيلية تأثروا بأفكاره (٦) هذا ما جعل الشيعة تكتم مجالس المناظرة على ابن الحداد، ووضعته تحت المراقبة كي لا يفتتن الناس بأرائه، وعندما وافته المنية طير إليهم الخبر، ففرحوا وابتهجوا لذلك، لانزياح أكبر غمة كانت جاثمة على قلوبهم (٧).

بالمقابل، يعد رحيل ابن الحداد عن الدنيا نكبة أصابت المالكية خاصة، وأهل السنة عامة، إذ ترك فراغاً كبيراً في عالم الجدل والمناظرة، ولم يستطع أحد تعويضه من أصحابه أو من جاء بعده من العلماء فقد خلت المرحلة التي أعقبت وفاته من مناظرات ذات قيمة جدلية مماثلة لما كان من أثر لمناظراته مع الشيعة الإسماعيلية (٨)، فلم نجد في كتب التراجم والطبقات التي بين أيدينا لمناظرات مهمة حدثت زمن المنصور والمعز والزيّريين بين الشيعة وفقهاء السنة، مثلما كان زمن سعيد ابن الحداد، ويمكن أن نعزي ذلك أيضاً إلى ضعف سلطان التشيع ودعائه، فلم يعد هناك علماء شيعة يمكن الاعتماد عليهم في علم المناظرة والجدل، خاصة بعد رحيل الشيعة إلى مصر.

ومها يكن من أمر، فإن المناظرات بين المذهبيين مثلت معرفة وطرق بحث للمناقشة مع الخصوم، وعصمة الذهن عن الخطأ في المباحثات الجزئية، كما أنها تعد شكلاً من أشكال التواصل السلمي بين الجانبين اعترفت فيه السلطة الشيعية بالفكر السني بطريقة غير مباشرة، بمجرد التناظر مع فقهاء المالكية، كما اتسمت هذه المرحلة باحترام الرأي المخالف، هذا

(١) حسن حسني عبد الوهاب، ورققات، ج١، ص. ٢٠٥

(٢) الإدريسي، الجدل الفكري، صص. ١٢٧ - ١٤٠

(٣) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع ينظر الدباغ، معالم الإيمان، ج٣، ص. ٩٢

(٤) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص. ٥٨؛ الدباغ، نفسه، ج٢، ص. ٢٩٨؛ الخشني، الطبقات، ص. ٦٢

(٥) المالكي، نفسه، ج٢، ص. ٧٥، ٧٦؛ الخشني، نفسه، ص. ٦٢

(٦) المالكي، نفسه، ج٢، ص. ٦٣، ٦٤

(٧) حسن حسني عبد الوهاب، ورققات، ج١، ص. ٢٥٨

(٨) الإدريسي، الجدل الفكري، ص. ١٣٥

بالإضافة إلى أن هذه المناظرات زادت في ترسيخ الفكر السني وعمقته عن طريق الحجج العقلية والآثار النقلية ورد سبة المبطلين، وقمع الضال، بإلزامه إذ كان سائلاً، وإقحامه إن كان معللاً، بذلك تعمق الفكر السني وأضيف له نصراً علمياً جديداً، وازداد الناس تمسكاً به، وعمت الفائدة الجميع. هذا فضلاً عن أن الخلافات التي كانت قائمة بين المدرسة الحنفية والمدرسة المالكية في المراحل السابقة زالت واشترك الجميع في مناظرة الشيعة الإسماعيلية (١).

أما في مجال تأليف الكتب عند علماء السنة في الرد على بدعة التشيع تطالعنا كتب التراجم والطبقات بعناوين كثيرة ألفها علماء المالكية في العهد الزييري تجاوزت الثمانين، وقد تطايرت هذه المصنفات في جميع انحاء الغرب الإسلامي وتداولها الناس بينهم، ففي الأندلس وحدها وجد بها أكثر من ستة وعشرين كتاباً ألفها علماء المغرب (٢) وهذا دليل على أنهم تخلصوا من القيود الفكرية التي كانت مفروضة عليهم، ولم تقف أمامهم سلطة تمنعهم من التأليف، ولا منافس ينافسهم في هذا المجال لاسيما بعد انتقال الشيعة إلى مصر (٣).

اشتهر في مجال التأليف من علماء المالكية ابن أبي زيد القيرواني، عمدة المدرسة المالكية القيروانية في وقته، حيث برع في العلم، وتعبص للفكر السني، ودافع عنه، وسار على نهج الإمام سحنون، وقلده في كل شيء، فكانت الرحلة إليه من الأقطار من الأندلس والمغرب الأقصى وغيره "لخص المذهب، وضم نشره ودب عنه" (٤) لذلك عرف عند تلامذته ومترجميه بـ«مالك الصغير» (٥).

فقد أعاد ابن أبي زيد في وقته النشاط والحيوية الفكرية للمدرسة المالكية بالقيروان، وكان له الدور الريادي في إعادة إحياء السنة، وتعظيم المذهب المالكي وتحقيق الانتصار النهائي على العقيدة الشيعية وكل العقائد المناوئة للمذهب المالكي، عن طريق إنشاء حياة فكرية والشاهد على ذلك انه وحده ألف تسعة وعشرين مصنفاً في الفقه وعلم الكلام، أهمها كتاب «الرسالة» التي اختصت في العقيدة المالكية والفرائض والعبادات، وقد أصبحت من أمهات المذهب المالكي، بعد الموطأ ومدونة الإمام سحنون، بل إنها نافستهم، لذلك تطايرت شرقاً وغرباً «ووقع التنافس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب» (٦).

يعتبر كتاب «الرسالة» وغيره من الكتب أمثال كتاب «الذب عن مذهب مالك»، وكتاب «الافتداء بأهل المدينة»، ورسالة «النهج عن الجدل»، وكتاب «فضل قيام رمضان» وكتاب «النوادر والزيادات» وغيره، دعاية مضادة للعقيدة الشيعية، وتكريساً للفكر السني على مذهب الإمام مالك في بلاد المغرب كله والأندلس، وصقلية، وبغداد، وباقي بقاع العالم الإسلامي (٧)، وأن لهذه المصنفات دور عظيم في تغليب العقيدة السنية على العقيدة الشيعية، ونخص بالذكر الرسالة (٨).

خلف ابن أبي زيد القيرواني في رئاسة المذهب المالكي، أبو الحسن المعروف بابن القابسي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م، إمام المالكية في وقته في القيروان بعد ابن أبي زيد، ذكرت كتب التراجم للقابسي العديد من المؤلفات في الفقه وعلم الكلام (٩).

فعهد القابسي، وابن أبي زيد القيرواني عهد التجديد للسنة والحاملين لوائها فوقع على عاتق هاذين العالمين تحمل مسؤولية حمل راية السنة والودود عنها (١٠).

صفوة القول، إن كثرة التأليف في العهد الزييري بالمقارنة بالعهد الفاطمي يدل دلالة واضحة على التحرر الفكري الذي لقيه أتباع المالكية مستغلين في ذلك العلاقات الطيبة مع أمراء بني زييري وخصوصاً في عهد المعز بن باديس، وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه المؤلفات سواء كانت من ابن أبي زيد ومن في طبقته كأبي الحسن القابسي وغيره إنما جاءت بدافعين:

الأول، التصدي للمد الشيعي الإسماعيلي عقدياً.

الثاني، نصره للعقيدة السنية، وإلغاء ما عداه من المعتقدات البعيدة عن الفكر السني.

(١) الخفني، الطبقات، ج٦، ص. ٢٠٢

(٢) التليسي، الاتجاهات، ص. ٢٤٨

(٣) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج١، ص. ٢١٤

(٤) عياض، المدارك، ج٦، ص. ٢١٦، ٢١٧

(٥) نفسه، ج٦، ص. ١١٦

(٦) ابن مخلوف، شجرة النور، ج١، ص. ١٤٤

(٧) التليسي، الاتجاهات، ص. ٣٣٣

(٨) ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، ج١، ص. ٩

(٩) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص. ٩٢، ٩٣

(١٠) التليسي، الاتجاهات، ص. ٣٣٧

المبحث الرابع، نتائج التصدي سياسياً وعقدياً:

بعد فترة المحن التي مر بها أهل السنة زمن الحكم الإسماعيلي، يبدو أنهم في عهد الزيريين تطلعتوا إلى عهد جديد تحرروا فيه من القيود السياسية والمذهبية التي فرضت عليهم، وبالتالي بدأت مظاهر الانحياز في موقف أمراء بني زيري للسنة لاسيما المالكية منها تظهر على السطح، وخاصة في فترة حكم الأمير الزيري الرابع المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٤ هـ/ ١٠١٥-١٠٦٢م)^(١)، يشهد على ذلك محدودية الإشارات في كتب التراجم والطبقات التي تدل على تعرض فقهاء السنة لمحن أيام الزيريين، وهذا يقودنا إلى تفسيرين:

أولاً: عدم حرص أمراء بني زيري على نشر المذهب الشيعي، ولعل سبب ذلك راجع لعدم ارتباط الزيريين بالفكر الشيعي عند نشأة الدولة الإسماعيلية، بل إن تحالفهم كان مرحلياً اقتضتها المصالح، على عكس العناصر الكتامية التي كان لها دورا محدد في تأسيس الدولة الشيعية، واتخذوا المذهب الشيعي بدون ضغوطات أو غايات مصلحة ضيقة، لذلك سعوا إلى تكريس الفكر الشيعي الإسماعيلي بالمغرب، بينما كان الزيريون أقل تمسك بالمذهب الإسماعيلي، ومما يدل على ذلك أنه لم يبدر منهم ما من شأنه أن يمكن للتشيع في البلاد، كما لم يقوموا بعمل يريدون به حمل الناس على الدخول في دعوة الفاطميين.^(٢)

ثانياً: يمكن تفسير تعاطف أمراء بني زيري مع المالكية وكسب ودهم ونيل تأييدهم إلى اعتبار أنهم يمثلون القاعدة الشعبية ببلاد الغرب الإسلامي، التي يمكن أن تساندهم في التصدي للعناصر الزناتية التي تمثل خطراً خارجياً يهدد كيان الإمارة الزيرية، وكذلك سالموم لكي يفرغوا للمخالفين في المغربيين الأوسط والأقصى^(٣)، ومن جهة أخرى يمكن للزيريين من خلال المالكية إضفاء نوع من الشرعية لحكمهم للوصول إلى تحقيق الحلم الزيري الأكبر، وهو الانفصال النهائي عن الدولة الإسماعيلية. غير أنه قبل تحقيق هذا الحلم أي قبل عام ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م، ظل المذهب الشيعي المذهب الرسمي السائد في الدولة الزيرية، وذلك تماشياً مع بعض المصالح الاستراتيجية للزيريين في القاهرة. ومن تجليات ذلك استمرار نقش أسماء خلفاء الشيعة على النقود وفي الطرز والبنود^(٤)، وصيغة الأذان استمر كما تركوها قبل رحيلهم إلى مصر، وكذلك الجمعة كانت تقام باسم الخليفة الشيعي^(٥).

استغلت المالكية أسلوب الملاطفة والملاينة من قبل أمراء بني زيري، لتحقيق غايتهم في الانتقام من الشيعة، وإزالة معتقداتهم المذهبية من جميع أنحاء بلاد المغرب، وخصوصاً في عهد المعز بن باديس (٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م) هذه الفترة من الحكم الزيري التي احتدم فيها الصراع بين الطرفين وراح فيها الكثير من الضحايا، وخاصة في صفوف الشيعة الذين يبدو أنهم فقدوا ما اعتادوا عليه أيام وجود السلطة الإسماعيلية من الحظوة والتبجيل والدعم السياسي.

كل هذه الأحداث حصلت زمن المعز بن باديس وهو لا يحرك ساكناً، ولا يوجه أي نوع من العقاب لمرتكبي مثل هذه الجرائم في حق الشيعة. وهذا يقودنا إلى التساؤل عن سبب عدم هذا الاكتراث لما يحصل للشيعة؟ وكيف نفسر التعاطف المنقطع النظير الذي أبداه المعز لأتباع المذهب المالكي؟

يمكن إرجاع ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسية، الأول والثاني استراتيجيين، والثالث سبب عقدي.

السبب الأول، يمكن إرجاعه إلى سعي المعز لتحقيق حلم جده المنصور بن بلكين الذي حاول جاهداً الإستقلال عن السلطة الإسماعيلية بالقاهرة، ولن يستطيع المعز جعل هذا الحلم واقعا إلا بنيل التأييد الشعبي من السواد الأعظم من سكان إفريقية المتمثل في المالكية وإضفاء الشرعية على حكمه، ومن جهة أخرى يتخلص من شيعة إفريقية بما فيهم رؤوس الأموال الموالين للسلطة الإسماعيلية والعارض الأول في تحقيق طموحات بني زيري عن طريق المالكية.

السبب الثاني، يمكن تفسيره بالتنافس الشديد بين المعز بن باديس من جهة، وبني حماد المعتنقين الجدد للمذهب السني^(٦). والأمويون المالكيون بالأندلس من جهة أخرى، على من يكسب القاعدة الشعبية من المالكية إلى صفه، لذلك

(١) سعود، العامة بإفريقية، ص. ١٢٤، ٥١٦.

(٢) سعود، العامة، ص. ١٢٤.

(٣) محمد بن عبد الجليل، كيف قارمت، ص. ٧.

(٤) الدباغ، معالم الإيمان، ج٣، ص. ١٦٧.

(٥) الفرد بل، الفرق الإسلامية، ص. ١٦٥.

(٦) أعلن ابن حماد استقلاله عن الإمارة الزيرية، وقطع دعوته للخليفة الفاطمي، ودعا لبني العباس واتخذ المذهب السني المذهب الرسمي لإمارته، فخرج باديس لحربه إلا أن هذا الأخير توفي وهو محاصر = بحالقة حاضرة حكم بني حماد سنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٥ م. للمزيد من التفصيل انظر ابن خلدون، العبر، ج٦، ص. ٢٠٧ وما بعدها روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج١، ص. ١٥٤.

حاول المعز بن باديس كسب المالكية إلى جانبه وضمان عدم تأييدهم لأعدائه بني حمّاد في القلعة، والأمويين في الأندلس(١).

السبب الثالث، هناك العديد من الإشارات وردت في بعض المصادر التاريخية، تؤكد أن المعز بن باديس منذ صغره نشأ على العقيدة السنية، وحبها لها وبغض وكره للشيعية، يقول ابن خلدون: «وكان المعز منحرفاً عن مذاهب الرافضة منتحلاً للسنة»(٢).

هذا الحب للسنة الذي جبل به المعز لم يكن عن طريق المصادفة أو هيبته الأقدار، وإنما كان بتلقيه من بعض الشخصيات التي كان لها تأثير مباشر عليه أمثال وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال، المتوفى سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م الذي «أدبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة»(٣).

ومما يدل أيضاً على عقيدة المعز السنية ما ورد في كتاب شجرة النور الزكية من أن أحد فقهاء المالكية، وهو أبو بكر عتيق السويسي المتوفى بعد سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م، قدم له المعز هدية كانت عبارة عن مجموعة من الكتب الجليلة وتشمل المدونة والنوادر والمؤازية وغيرها مما له قيمة كبيرة من أمهات كتب المذهب المالكي(٤).

إن جميع الأسباب سالفة الذكر، هي التي جعلت المعز بن باديس يحاول أن يتقرب من المالكية ويتلطف لهم، وهذا ما علل سكوته، وهو سكوت يعبر عن رضا تام لما قام به المالكية من تنكيل وقتل للشيعية، وأن فقهاء المالكية شعروا أن المعز يميل للتخلص من الشيعة، وأدركوا أنه لن يغضب لقتلهم. ففي سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ومع بداية عهد المعز بن باديس، بدأت مظاهر المحنة تشتد على الشيعة من قبل مالكية القيروان، بمساندة السلطة الزيرية، فقد تعرضوا إلى هجوم مباغت راح ضحيته عدد كبير من الشيعة يزيد عن الثلاثة آلاف قتيل(٥)، لذلك سمي موضع قتل الشيعة «ببركة الدم»(٦).

والسؤال المطروح في هذا السياق، هل مثل العامل المذهبي الدافع الوحيد وراء هذا الحقد على أتباع المعتقد الشيعي لاسيما وأن هؤلاء تشبثوا بمعتقدهم وبقوا على وفائهم للإمامة الإسماعيلية بالقاهرة، أم أن هناك دوافع أخرى وراء ذلك؟

إذا كان الدافع العقدي هو المحرك الأساسي للحقد على الشيعة، فإن هناك مجموعة عوامل تضافرت فيما بينها، ومثلت في مجملها ازدياد وثيرة الحقد على الشيعة منها السياسة المحقفة التي عومل بها الناس في الميدان الجبائي، الذي ظل خاضعاً لتوجهات جهاز من الموظفين أغلبهم من الشيعة، وكذا سلوكيات بعض قضاة الشيعة الذين كانوا يقاضون الناس في مناطق من المغرب على أساس المعتقد الشيعي(٧).

زادت النقمة على الوجود الشيعي أكثر فأكثر، وأيقن المالكية أن وجود الشيعة في أي جزء من العالم الإسلامي يشكل خطراً على العقيدة السنية بشكل عام، لذلك لم تستثن المالكية من القتل والتنكيل من أرادوا الخروج من أرض المغرب فاراً بجلده. (٨).

إن ما تعرض له الشيعة من التنكيل والقتل زمن الزيريين يعتبر حسب اعتقادنا أمر غير مسبوق في تاريخ الشيعة، حتى في بلاد المشرق، فقد قدر عدد القتلى في صفوفهم ما بين سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م وسنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م بأكثر من عشرين ألف(٩).

شعر الشيعة بالخطر الذي بات يحيط بهم من كل جانب وأحسوا بعدم الاطمئنان والأمان بأرض المغرب وخصوصاً بعدما تخلت عنهم السلطة الزيرية وأنها غير مستعدة لتوفير الحماية لهم، لاسيما وأن علماء المالكية كانوا يتمتعون بنفوذ قوي، فقد حاولوا الضغط على المعز وجره للتحالف معهم ضد الشيعة، وأن يشرف بنفسه في كثير من الأحيان على عمليات التنكيل

- (١) إنغزو، التيارات، ص. ٣٦٦
- (٢) العبر، ج٦، ص. ٢١١
- (٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص. ٢٧٤
- (٤) ابن مخلوف، شجرة النور، ج١، ص. ١٥٩
- (٥) ابن عذاري، البيان، ج١، ص. ٢٧٤
- (٦) نفسه، ج١، ص. ٢٧٤
- (٧) رشيد السلامي، حول حسم الخلاف المذهبي، ص. ٧٠
- (٨) ابن عذاري، البيان، ج١، ص. ٢٦٩
- (٩) الهنتاتي، دراسة حول المذهب المالكي، ص. ٤٤٦

والقتل بأهل الشيعة، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن خلدون: «فأعلن بمذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة، ثم صار إلى قتل من وجد منهم»(١).

بدأ المعز يفكر جدياً في إحياء المشروع الانفصالي عن الدولة الإسماعيلية، وأيقن أنه لا مستقبل سياسي وعقدي للشيعة في بلاد المغرب لاسيما وأن مدة حكمه صادفت انهيار الأوضاع بالأندلس منذ أواسط سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م انهياراً تاماً، وهو ما أعطى صورة للمعز تجعل منه الشخصية الأبرز في المناطق المغربية، هذا بالإضافة إلى أن معظم الدراسات تؤكد أن فترة المعز تعتبر أزهى عصور العهد الزيري في شتى الميادين الثقافية والاقتصادية، مما خلف عنده نوعاً من التعالي والغرور، الذي وصل به إلى عدم الرضا بأن يدين بالتبعية للإسماعيلية أو أية سلطة أخرى مهما كانت قوتها(٢).

كل هذه العوامل وغيرها، عززت لدى المعز رغبة متزايدة في الاستقلال، كما أيقن أنه من الأفضل له ولدولته الاعتماد على الأغلبية الساحقة من السكان المتمثلة في السنة المالكية لنيل الدعم والتأييد الشعبي لاسيما وأن الضغوطات من فقهاء المالكية كانت تتزايد عليه يوماً بعد يوم لتنفيذ مشروعه الانفصالي، الذي بدأ يعد له في اتجاهين: اتجاه داخلي، وقد سبق أن أشرنا إليه، وهو انحيازه للمالكية مقابل الشيعة، واتجاه خارجي دبلوماسي، وهو التحرك في مسارين متوازيين لنيل التأييد الخارجي:

المسار الأول، الاتصال بالأعداء التقليديين للدولة الفاطمية لاسيما مع الروم البيزنطيين «ففي سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م، وصلت إلى المعز بن باديس من ملك الروم هدية لم ير مثلها في كثرة ما اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخر وغير ذلك»(٣).

المسار الثاني، تمثل في قطع التبعية المذهبية للشيعة الإسماعيلية، وذلك بالتقارب مع الدولة العباسية السنية وإعلان التبعية المذهبية لها وخلع طاعة الإسماعيلية(٤)، فابتهج الخليفة العباسي في بغداد بهذا الإجراء الذي اعتبره نصراً للسلطة العباسية من الناحية السياسية، ونصراً عقدياً وفكرياً لأهل السنة من الناحية العقدية، لذلك «ووردت عليه (من بغداد) الخلع والتقليد ببلاد إفريقية»(٥).

من خلال هذه الوقائع والتطورات، تغيرت خارطة العقدية والسياسية ببلاد المغرب، التي بدأت ملامحها تظهر منذ انسحاب الإسماعيليين إلى مصر وتوجه نحو حسم الصراع العقدي بين السنة والشيعة في عهد المعز بن باديس.

ومهما يكن من أمر، فإن المواقف الصارمة التي اتخذتها طبقة السنة المالكية من المعتقد الشيعي مع تضايف مجموعة من الأسباب هو الذي جعل الشيعة يتخلون نهائياً عن فكرة الاستقرار في المغرب، ويتجهون صوب مصر، كما أرغموا السلطة الزيرية على إعادة النظر في المذهب الرسمي للبلاد(٦).

والخلاصة، إن الجهود تضافرت بين المالكية وبين الزيريين من أجل القضاء على الشيعة، إذ وظف المعز هذه الأحداث لصالحه بأن وضع حداً للمعتد الشيعي بالبلاد، واستمر على هذا النهج إلى أن توجه في سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م عندما قرر أن يكون المذهب الرسمي للبلاد المذهب المالكي وإعلان القطيعة العقدية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية مع الدولة الإسماعيلية نهائياً، والدخول تحت لواء الدعوة العباسية السنية(٧).

إن الانتصارات التي حققها السنة المالكية على الشيعة ببلاد المغرب فسح لهم المجال ليحتلوا مرتبة الصدارة في مقاومة التشيع، وقد مكنهم هذا الموقع من اكتساب رصيد نضالي جعلهم يحظون بشعبية كبيرة في جميع أنحاء الغرب الإسلامي ساعدهم في النهاية على الصمود والانتصار، ومن خلال الأدلة والبراهين والشواهد التي أشرنا إليها في هذا البحث، وكذلك من خلال الواقع المذهبي اليوم ببلاد المغرب أن السلطة السياسية والمذهبية للشيعة الإسماعيلية، لم تستطع أن تفت في عضد المالكية ولم تستطع تغيير واقع مذهبي تجدر في مجتمع المغرب منذ قرون، فقد «حاولوا محوه فلم يتييسر لهم»(٨). وأصبح الانتماء لأهل السنة والجماعة، واعتناق مذهب إمام دار الهجرة اختياراً نهائياً ليصير بعد ذلك وإلى يومنا هذا محدداً أساساً

(١) العبر، ج٦، ص. ٢١١.

(٢) عمر بن حمادي، القيروان وإفريقية: الفترة الزيرية، صص. ٢٦٧ - ٢٧١.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج١، ص. ٢٧٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص. ٢٣٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص. ٢٦٥.

(٦) الدباغ، معالم الإيمان، ج٣، ص. ١٦٧، ١٦٨.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص. ٥٢.

(٨) الناصري، الاستقصاء، ج١، ص. ١٩٤.

للهوية الدينية والمذهبية. وأصبح حصناً لمقاومة ظهور الطوائف والفرق والتشردم بل أصبح قومية مغربية، لذلك نجد بلدان المغرب الإسلامي تحافظ على هويتها السنية المالكية.

النتائج والتوصيات:

وأخيراً وبعد مناقشة الإشكالية توصل الباحث في ختام هذا البحث إلى بعض النتائج الأساسية والتوصيات:

أولاً، نتائج البحث:

١- أثبتت الدراسة أن السياسة المعتمدة على أسلوب الترهيب والإقصاء، ولدت نوع من النفور والحقن على السلطة القائمة أين كان معتقدها، فهذه السياسة من قبل السلطات المتعاقبة لبلاد المغرب لبربر المغرب، وأرهاقهم بالجبايات المجحفة بصرف النظر عن تماشيها مع الشريعة الإسلامية، وسياسة التفرقة العنصرية جعلتهم يعتقدون أي فكر دعوي متطرف دخيل على البلاد من أجل الخلاص من السلطة القائمة، فقبول السكان بأي فكر معتقدي، يتوقف دائماً على نوعية التعامل من قبل السلطة الحاكمة فقد اعتنق الكثير من أهل المغرب الدعوة الشيعية وقبلها الدعوة الخارجية لكي يتخلصوا من السياسة الاقتصادية والاجتماعية الجائرة.

٢- اثبتت الدراسة أن الكثير من أهل المغرب في البداية تعاطفوا مع الشيعة وأعتنق الكثير فكرهم لتحقيق أمور جسام، ولكن بمجرد إنتشار هذا الفكر بالمغرب وعجز السكان على استيعابهم للمعتقد الشيعي بتأويلاته المتعددة، ظهرت بوادر المعارضة لهذا الفكر لاسيما بعد قيام الدولة الشيعية ومحاولتها زرع أفكارها بالقوة، وطمس معالم الفكر السني.

٣- اثبتت فقهاء السنة المالكية وعلمائها قدرة فائقة في التصدي للمعتقد الشيعي، وأبدو صموداً قوياً، وقد دام هذا الأمر إلى عهد الزريين، حينما أزال المعز بن باديس كل رسوم التبعية للخلافة الشيعية، هذا إلى جانب أن أسلوب الترهيب والتكثيف والمحن، ولد عندهم نوع من الأبداع الفكري والعقدي الذي تمثل في كثرة التأليف، والمناظرات التي عمقت الفكر السني وابطلت الفكر الشيعي فكان ذلك إيذاناً بانتصار السنة، وبذلك تغيرت الخريطة الدينية في بلاد المغرب كلياً لفائدة المعتقد السني المالكي إلى يومنا هذا.

ثانياً، توصيات البحث:

١- يحاول الشيعة الصوفيون في عصرنا هذا بكل السبل زرع معتقداتهم الباطلة البعيدة عن النهج الإسلامي الصحيح في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويرصدون ميزانيات خاصة لهذا الشأن، لذلك أوصي بالتفطن لمثل هذه المخططات وإنشاء مراكز بحثية على المنهج السني، - تخصص لها ميزانيات خاصة - تضم كوكبة من المفكرين والباحثين من أجل تكثيف البحوث والندوات والمؤتمرات العالمية من أجل التصدي للفكر الشيعي الضال.

٢- إن الشباب هم أول المستهدفين من دول الشيعة بزراع الأفكار الضالة المتطرفة في عقولهم، مستغلين أوضاعهم الاقتصادية السيئة، لذلك أوصي بالإهتمام بالشباب وتحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، مع التركيز على تحصينهم من الناحية الفكرية والعقدية، كي لا تضطرهم الحاجة لتبني إي فكر إرهابي متطرف بعيد عن العقيدة السنية القويمة.

٣- أن سياسة الإقصاء والترهيب والتمييز بين الرعية، تولد عندهم نوع من التدمير والحقن على ولي الأمر، وبالتالي القبول بأي فكر متطرف يحقق لهم ما يصبو إليه، لذلك أوصي بالعدل والمساواة بين التراكيبات الاجتماعية والعرقية المتعددة في الوطن الواحد، فالعدل أساس الملك.

٤- أن التاريخ نستلهم منه العبر والدروس لذلك كان الهدف من هذا البحث فائدة الإقتداء بعلماء السنة وفقهائها في الطريقة المثلى للتصدي للفكر الشيعي ومعتقداته الباطلة، والتمسك بالعقيدة السنية ودحض ما عداها من معتقدات متطرفة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ تحقيق، أبي الفداء عبد الله القاضي، الأجزاء، ٦، ٨، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧ .

- الأشعري (أبي الحسن)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلمرت ريتز، الجزء الأول، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (دون تاريخ).
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٢م.
- الجودي (محمد)، تاريخ قضاة القيروان، تحقيق، أنس العلاني تونس، بيت الحكمة ٢٠٠٤م.
- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، الجزء الأول بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- الخشني، طبقات علماء إفريقية، تحقيق، محمد زينهم عزب، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م.
- الخشني، طبقات علماء إفريقية، الجزء السادس، بيروت، دار الكتاب اللبناني (دون تاريخ).
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى «العبرُ وديوان المبتدأ والخبر»، ضبط خليل شحادة الجزآن، ٤، ٦، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، الجزء، الخامس، بيروت، دار صادر (دون تاريخ).
- الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق، محمد ماضور، الجزء الثالث، تونس، المكتبة العتيقة، (دون تاريخ).
- الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق، محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضور، الجزء الثاني، مصر: مكتبة الخانجي، تونس: المكتبة العتيقة (دون تاريخ).
- ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، الجزء الأول، دار الفكر، (دون تاريخ).
- الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، بيروت، مكتبة خياط، (دون تاريخ).
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الرابع، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية (دون تاريخ).
- ابن عِدَارِي، النَبِيَّانِ الْمُعْرَبِ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، تحقيق، ج. س كولان و إ. ليفي بروفنسال، الجزء الأول، بيروت، دار الثقافة (دون تاريخ).
- عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق، محمد بن تاويت الطنجي، الأجزاء، ٥، ٦، ٧، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- عياض، تراجم أغلبية، تحقيق، محمد الطالبي، تونس الجامعة التونسية، ١٩٦٨م.
- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، الجزء الثاني، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٣م.
- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق، بشير البكوش، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء الأول، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف «بالخطط المقرئزية»، تحقيق، محمد زينهم ومديحه الشراوي، الجزء الثاني، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.
- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال، الجزء الأول، القاهرة، وزارة الأوقاف، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

- الناصري (السلوي)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء الأول، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م.
- النعمان ، افتتاح الدعوة، تحقيق، فرحات الدشراوي تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م.
- النعمان، اختلاف أصول المذاهب، تحقيق، مصطفى غالب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- النعمان، المجالس والمسائرات، تحقيق، الحبيب الفقي وإبراهيم شيوخ ومحمد اليعلاوي، تونس، الجامعة التونسية، ١٩٧٨م
- النعمان، الهمة في آداب إتباع الأئمة، تحقيق، محمد كامل حسين القاهرة، دار الفكر العربي، (دون تاريخ).
- النعمان، دعائم الإسلام، تحقيق، أصف علي أصغر فيضي، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٥م.
- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، عبد المجيد ترحيني، الجزء الرابع والعشرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
- ثانياً، المراجع:
- محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٥م.
- محمد إنقزو، التيارات الفقهية والدينية بإفريقية، شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، سنة ١٩٩٣-١٩٩٤م.
- حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، الدار الفنية، ١٩٨٩م.
- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، لبنان دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
- عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، لندن و قبرص، رياض الريس، ١٩٩١م
- بشير التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- جمال الدين محمد السعيد جمال الدين، الدعوة الإسماعيلية في إيران منذ بدايتها إلى قيام الدولة، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٧٥م.
- الحبيب الجحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٠م.
- إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، الجزء الأول، بيروت دار الجيل، ١٩٩٦م.
- حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧م.
- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، الجزء الأول، ترجمة، حمادي السالحي بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.
- توفيق سعود ، العامة بإفريقية خلال الفترة الفاطمية - الزيرية (٢٩٦-٤٤٣هـ / ٩٠٨-١٠٥١م)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، ٢٠٠٧م.
- أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية بمصر، مصر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- كمال عدالة ، المجتمع الشيعي بإفريقية من أواخر القرن الثالث إلى بداية النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- عبد المنعم ماجد التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٩٨م.

- عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بإفريقية، تونس: دار سحنون، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٨م.
- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، تونس، تير الزمان، ٢٠٠٤م.
- نجم الدين الهنتاتي ، دراسة حول المذهب المالكي بإفريقية منذ منتصف القرن ٢هـ/ ٨م إلى منتصف القرن ٥هـ/ ١١م تاريخ إعلان القطيعة عن الفاطميين، شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس سنة ١٩٩٣ - ١٩٩٤م.
- ثالثاً، المقالات:
- علي الإدريسي ، «الجدل الفكري في القيروان من خلال كتاب رياض النفوس للمالكي»، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١١٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، صص. ١٢٧-١٤٠.
- عمر ابن حمادي ، «القيروان وإفريقية الفترة الزيرية»، ضمن موسوعة القيروان منشورات الدار العربية للكتاب، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، ٢٠٠٩م، صص. ٢٦٧-٢٧١.
- محمد بن موسى حسن، «المناظرات بين الإباضية الوهبية والفرق الأخرى ببلاد المغرب»، ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨م، صص. ٤٣-٥٩.
- سهيل زكار، «الفكر الإسماعيلي في تطوره الإفريقي»، ملتقى القاضي النعمان بالمهدية من ١٢ إلى ١٥ أوت، منشورات الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية تونس، ١٩٧٥م، صص. ٢٨-٤٣.
- رشيد السلامي ، «حول حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة بإفريقية في عهد المعز بن باديس الزيري»، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب تنسيق حسن حافظي علوي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٥٧، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨م، صص. ٥٧-٨١.
- الطاهر المنصوري، «علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي»، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٥٧، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨م، صص. ٤٧-٥٦.
- محمد بن عبد الجليل، «كيف قاومت المالكية التشيع من أول عهد الدولة الزيرية إلى عهد المعز بن باديس الصنهاجي»، أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني بقرطاج من ١١ إلى ١٧ أبريل، عدد خاص، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٧٧م، صص. ٥-١٦.
- حسن علوي، «الدعوة الشيعية ببلاد المغرب»، ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ٢٠٠٨م، صص. ٩١-١٠٦.

الفهرس

ورقة عمل بعنوان: التطرف الديني التاريخ والنشأة
مقدم للمؤتمر الدولي الثالث حوار الحضارات والثقافات
المنعقد في جامعة الطفيلة التقنية
إعداد: د. لحظه كريم الجعافرة

٢٠١٨

الفهرس

٣	الملخص.....
٤	مقدمة.....
٥	التطرف لغة.....
٦	التطرف اصطلاحاً.....
٨	التطرف: النشأة والتاريخ.....
٨	التطرف والغلو لدى أهل الكتاب.....
٨	التطرف في التاريخ الإسلامي.....
١٢	التوصيات.....
١٣	المراجع.....

الملخص:

هدفت هذه الورقة التعرف على ظاهرة التطرف الديني من حيث، نشأته والمراحل التاريخية التي مر بها، وقد تم الإشارة إلى تعريف مصطلح التطرف لغة واصطلاحاً، وذلك بغية توضيح المعنى بشكل أكثر شمولية، وتعريف الإرهاب أيضاً، للترابط الكبير بينهما، كما تطرقت هذه الورقة إلى التعرف على النشأة التاريخية لمفهوم التطرف والتطورات التي شهدتها، وقد أشارت نتائج البحث إلى أن ظاهرة التطرف لا تتعلق بشعب معين أو أمة بعينها أو بديانة محددة، بل التطرف ينتشر في كافة أنحاء المعمورة فهو يرتبط بطبيعة النفس البشرية التي تتفاوت في تقبل الآخرين من شخص لآخر.

وقد أظهر البحث حقيقة عالمية التطرف، والذي تم إصاقه ظلماً وبهتاناً في الدين الإسلامي والمسلمين، فالتطرف الديني يرتبط بظهور الأديان، وبالتالي لا يجوز بأي حال من الأحوال اختزال هذه الظاهرة بالدين الإسلامي لأنه أخطر الرسالات السماوية، فالأحداث التاريخية تشير إلى تأصل التطرف الديني في الأمم السابقة، كما تُبين بأن أنصار الديانات السابقة للإسلام قد مارسوا أشكالاً مختلفة من التطرف والإرهاب، فقد قتل اليهود أنبياء الله، كما ظهر غلوهم في عبادة آلهة دون الله، على الرغم من تحذيرهم من قبل الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لهم، كما ادّعوا بأنهم أبناء الله وأحبّاءه، وكذلك تطرفهم في التعامل مع الفلسطينيين، بعد احتلالهم لفلسطين عام ١٩٤٨ باستخدام أساليب التنكيل من تهجير وقتل وتضييق والاستيلاء على أرضهم دون وجه حق، متذرعين بأنها أرضهم قبل مجيء العرب والمسلمين إليها، مستشهدين بتاريخ الدولة العبرانية في فلسطين، كما مارست الديانة النصرانية التطرف الديني في الأندلس ومارست أشكالاً مختلفة من التعذيب والتنكيل والقتل بأبشع الطرق والأساليب الممنهجة.

وعلى الرغم من أن التطرف في الوقت الحالي يُنسب للإسلام، وذلك بسبب ظهور عدد من التنظيمات الإرهابية والتكفيرية كداعش وتنظيم القاعدة وغيرهما، فإن التاريخ لا ينسى أبداً تطرف وإرهاب دول الاستعمار، التي استولت على مناطق واسعة من العالم ومن ضمنها المنطقة العربية، حيث تم تقسيمها بين الدول العظمى آنذاك (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا) ومارسوا شتى أنواع القسوة والعنف. وقد خُصّ البحث لمجموعة من التوصيات منها: التعريف بالقيم الإسلامية السمحة داخلياً وخارجياً، التخلق بأخلاق الإسلام، تحسين مستوى المعيشة لأفراد المجتمع وخاصة المناطق الأقل حظاً وبؤر الفقر، التركيز على فئة الشباب رعاية واهتماماً ومتابعة، وهي الشريحة الأكثر استهدافاً من قبل الجماعات الإرهابية.

مقدمة:

انتشر الإرهاب في شتى أنحاء المعمورة فلم يعد أحداثاً فردية، بل أصبح ظاهرة شديدة الخطر، تهدد أمن واستقرار الدول وتعيق خطط التنمية وتُضعف العلاقات الدولية وتصيبها بالفتور وأحياناً بالتوتر والحذر، وظاهرة الإرهاب كأي ظاهرة أخرى تحدث في المجتمع تتغير وتتطور مع تطورات العصر، فأرهاب أمس غير كإرهاب اليوم، فمن المتوقع زيادة الإرهاب وتطوره أسباباً ودوافعاً ووسائل وأساليباً. وعند الحديث عن الإرهاب لا بد من التطرق لأيدولوجية الإرهابي، فقد رُبّطت حوادث الإرهاب التي حدثت على مدار تاريخ البشرية وخاصة بعد ظهور الأديان السماوية، بالتطرف الديني وهو الأكثر انتشاراً وتأثيراً، وقد شغلت ظاهرة التطرف الديني الرأي العام العالمي في الآونة الأخيرة، وكثُر حولها الجدل من قبل كثير من العلماء والمفكرين، لذلك فإن محاولة التشخيص والعلاج على أساس محلي ضيق يؤدي إلى خطأ في التشخيص وبالتالي خطأ في العلاج.

وأصبحت هذه الكلمة مصطلحاً شائعاً على ألسنة الناس ووسائل الإعلام، وهي تستعمل للدلالة على معارضة العُرف الاجتماعي السائد أو الشرعية الوضعية القائمة باسم الإسلام، ونلاحظ بأن الحكومات رفعت شعار الفصل بين الدين والسياسة، على الرغم من استخدام الدين وتوظيف العلماء، لإضفاء الشرعية على سياسة الحكومات (الصاوي، ١٩٩٣: ٣) ولا يقتصر التطرف على مجتمع معين أو منطقة جغرافية محددة أو جماعة بذاتها، فهذه الظاهرة معولمة وتتخذ صوراً

وأشكالاً تختلف باختلاف الظروف والمجتمعات، ولا يقتصر التطرف على التطرف الديني فحسب وإن كان أكثرها جدلاً، إلا أنه لا بد من الإشارة للتطرف الفكري الذي يمثل الخروج عن القواعد الفكرية التي يرتضيها المجتمع، والتطرف في المظهر بحيث يخرج الشخص بمظهر غير مألوف وغير مقبول في المجتمع الذي يعيش فيه، والتطرف السلوكي الذي يؤدي للعزلة والسلبية والانسحاب من المجتمع، واستخدام العنف كوسيلة للتعبير عن الرأي وفرضه على الآخرين، والتطرف السياسي الذي يصل إلى حد الاغتيالات (أبو الروس، ٢٠٠١: ١١) ولأن مصطلح التطرف قد خلق إشكالية فكرية وسياسية وعسكرية، فإنه وجب التعرف على معاني هذا المصطلح في الثقافات الأخرى.

أهداف الورقة:

هدفت هذه الورقة التعرف على ظاهرة التطرف الديني من ناحية المقصود بهذا المصطلح، ونشأته والمراحل التاريخية التي مر بها، وذلك لما يشوبه من لبس وغموض في تحديد معناه، ولصعوبة تتبع التطورات التاريخية لظاهرة التطرف، فقد تم تناولها بصورة شمولية عامة، نظراً لتعسر الإحاطة بجميع أحداث التطرف في العالم، ولدى الأمم السابقة، بعكس ما نراه هذه الأيام، فكل شيء أصبح موثقاً وعلانية، بفعل التكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الاتصال.

الأصولية والتطرف

تم استخدام مصطلح التطرف في المنطقة العربية بشكل واضح في إسرائيل، وذلك عندما بدأ الشباب في الأرض المحتلة يرفض الاحتلال ويقاومه، ويقابل مصطلح التطرف في الشرق مصطلح الأصولية في الغرب، وهو تعبير شاع استخدامه في الأوساط الغربية للدلالة على ظاهرة التطرف أو السلفية والعودة للنصوص المقدسة، وعليه فيجب التفرقة بين المعنيين في الشرق والغرب، فالغرب لديهم عذرهم في رفض هذا الاتجاه، لأن العودة للكتب المقدسة لديهم تعني العودة للجهل والخرافات والسحر والشعوذة، وذلك لما أصاب هذه الكتب من عبث وتحريف، إلا أن الأصولية في العالم الإسلام على النقيض من ذلك، لأن العودة للكتاب والسنة النبوية، تعني العودة إلى طريق الحق والصواب (الصاوي، ١٩٩٣: ٤) "إننا نزلنا الذكر وإننا له لحافظون" آية (٩) سورة الحجر. ومن أجل الوقوف على حقيقة أي ظاهرة تحدث في هذا العالم، يجدر بنا التعرف على المصطلح لغة واصطلاحاً، قبل التطرق للحديث عن الظاهرة بعينها.

التطرف لغة:

الوقوف في الطرف، فهو طرف كل شيء ومنتهاه، أو النأي إلى جهة قصوى ومخالفة الآخرين، وتجاوز الحد ومجانبة الصواب، وهو يقابل التوسط والاعتدال أو مجاوزة حد الاعتدال أو عدم التوسط، كما يعني أيضاً الهروب للأطراف المحاذية والهامشية، وتطرفاً عن الحق والصواب والخروج عن المألوف والابتعاد عن الخط المستقيم (ابن منظور، ٢٠٠٣) ويربط الكثيرون بين التطرف والغلو، "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" (آية ٧٧) سورة المائدة. والغلو هنا بمعنى التطرف أي مجاوزة الحد وإتيان حد الشيء بإطلاق، والتطرف أعم من الغلو، وهو بالتضاد من مصطلح الوسطية، الذي هو من الوسط الواقع بين طرفين. "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" (آية ١٤٣) البقرة.

والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فهو يُعَلَى من شأن التيسير وينهى عن البخل والشح لأنهما تطرف في التعامل في المال كما هو البذخ والإسراف، فالتطرف يأتي بمعنى التشدد وتجاوز الحد، في المقابل مصطلح الوسطية يدل على العدل والتسامح وسهولة التعامل مع الناس، ويعتبر التطرف شكلاً من أشكال الانحراف الفكري الأيديولوجي (الرواشدة، ٢٠١٥: ٨٨) إلا أن الحديث عن التطرف اقتصر على جانب المغالاة والإفراط، وقد تم فهمه بشكل مغلو، بعد أن أصبح يقتصر على الجماعات التي تنحو إلى الغلو في فهم أحكام الدين والتزمت في تفسيرها، واستخدام القوة في تنفيذها، وهذا لا يمثل الحقيقة كاملة (الصاوي، ١٩٩٣: ٩) وعند الحديث عن نشأة ظاهرة التطرف، لا بد من الإحاطة بجوانبها المختلفة لتساعدنا في فهم الظاهرة، بشكل أكثر وضوحاً.

التطرف اصطلاحاً:

لم ترد كلمة التطرف في الكتابات القديمة عند العلماء والفقهاء من عرب ومسلمين بهذا المصطلح إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، بل كانت لفظة الغلو والتشدد أو لفظة التنطع، والتي كانت تُعبّر عن التطرف والتشدد والمبالغة في ممارسة الطقوس الدينية والشعائر إلى درجة مجانبة الصواب (حمداوي، ٢٠١٧: ٢٠٦) والتعصب للرأي الواحد والتشبث بقيم صارمة متشددة وهو محاولة طرف أو شخص أو جماعة ما، فرض تصوراتها ومعتقداتها الدينية أو الأيديولوجية على الآخرين، وعدم تقبل الآخر وهو نتيجة للفهم الخاطئ حيث يغلو الفرد ويتشدد في تفسير معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إذن التطرف هو مصادرة غير شرعية للحرية الإنسانية وعدم الاعتراف بالآخر وإنكار شرعية الاختلاف وعدم

القبول بالحوار المتبادل، وثمة مصطلحات أخرى تترادف معه مثل: الغلو، الإرهاب، التكفير، العنف، التشدد، الأصولية، التعصب، أما نقيضه فهو الاعتدال، التسامح، التعايش، الحوار، الإقناع، الاقتناع وشرعية الاختلاف.

كما يشير التطرف إلى الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة لها، ويعتبر اللجوء من قبل الجهة المتطرفة لفرض قيمها ومعاييرها ورأيها بالقوة، هو شكل من أشكال الإرهاب، بمعنى أن التطرف الفكري والديني هو أحد المنابع التي تغذي ظاهرة الإرهاب، خاصة وأن ٩٥% من حالات الإرهاب التي اجتاحت العالم خلال السنوات الماضية كانت نتاجاً للتطرف، وهذا الخطر يزداد يوماً بعد يوم وينتقل من طوره الفكري الاعتقادي والنظري إلى طور الممارسة الفعلية على أرض الواقع سلوكاً ظاهراً للعيان، ويغير عنه بأشكال مادية باستخدام العنف والقتل والتهريب لتحقيق أهدافه، وقد تم ربط التطرف والإرهاب مؤخراً في الإسلام، مع ظهور جماعات دينية تكفيرية متطرفة مثل: تنظيم داعش وغيره من التنظيمات الأخرى (أحمد عامر، ٢٠١٨: ٢)

ولذلك تغيرت نظرة المجتمع للأشخاص المتدينين والذين يظهر التزامهم من خلال ملابسهم التي يرتدونها عند الخروج، ومن أجل تقريب الصورة نسرد المثال التالي: مثلاً موقف المجتمع من شاب يرتدي جلباباً قصيراً ويطيل لحيته، وفتاة ترتدي فستاناً قصيراً، كاشفاً مفاتها، نجد بأن هجوماً شديداً على الشاب وتعنيفه لفكره والسخرية من رجعيته وتزمتة، يقابل ذلك تغاض واضح عن الفتاة، بل ويصل الأمر للدفاع عنها، واعتبار ذلك من باب الحرية الشخصية في ارتداء ما تراه مناسباً لها، بغض النظر عن رأي المجتمع وقيمه الإسلامية وعاداته وتقاليده، ولنفرض جدلاً بأن الشاب تطرف في لباسه وفي فهمه للدين، ولكن ألم تُفرط الفتاة في تنفيذ تعاليم دينها وتحدي تقاليد مجتمعها؟ أليس هذا نوع من أنواع التطرف؟ علماً بأن ارتداء الجلباب وإعفاء اللحية ليس من التطرف في شيء، فهذا اللباس هو سنة يرفعها البعض من العلماء لمرتبة الواجب (الصاوي، ١٩٩٣: ٩)

ولا يجوز في أي حال أن يتم إصاق التطرف في المسلمين، فهناك مسيحي متطرف ويهودي متطرف وماركسي متطرف وليبرالي متطرف ... وتندرج مظاهر التطرف لتصل إلى استخدام العنف المتمثل بالإرهاب، ومظاهر التطرف هي سوء الظن في الآخرين وعدم افتراض حسن النية أبداً، والعنف في التعامل والقسوة في الأسلوب والغلظة في العلاقة مع الآخرين. " فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" (آية: ١٥٩) سورة آل عمران. أما أخطر مظاهر التطرف فهو التكفير واتهام عامة الناس بالخروج عن الإسلام واستباحة دماءهم وأموالهم ونساءهم وأعراضهم (المويل، ٢٠١٢). كما لا بد من التطرق لتعريف الإرهاب بعجالة نظراً للارتباط الكبير بينهما. فالإرهاب Terror لغة، يشير إلى الرعب والفرع والهلع وترويع الناس وإثارة الخوف في نفوسهم، وتتصل الجريمة الإرهابية بالعنف violence أو القسوة أو الشدة والسلوك العنيف (العيسوي، ٢٠٠٥: ٢٤٩) وقد ارتبط ظهور المصطلح بُعيد الثورة الفرنسية، حيث تم اتهام الخارجين عن مبادئ الثورة آنذاك بتهمة الإرهاب، وتم إعدامهم أمام الملائ. وتوجد إشكالية كبيرة في تعريف الإرهاب، فكل من لا يروق له تصرف الآخر يتهمه بالإرهاب، فأصبح المصطلح يطلق جزافاً، فالبعض يرى بأن النضال ضد المستعمر إرهاب، ويراها البعض عملاً مشروعاً، فالظاهرة تستوجب تحليل جوانبها الذاتية والموضوعية (العموش، ٢٠٠٠: ٧١) كما أن بعض الدول الكبرى لا تريد الوصول إلى تعريف جامع لأن ذلك يتعارض مع مصالحها ويحد من استخداماتها لأشكال القوة التي قد ترتقي إلى الإرهاب، ولذلك لا ترغب في الوصول إلى توافق دولي حول مضمونه (شعبان، ٢٠١٧: ١٤)

أما الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة عن مجلس وزراء الداخلية والعدل العرب ١٩٩٨، فقد نصت في المادة الأولى من الفقرة الأولى على أن الإرهاب هو: كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو أحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها والاستيلاء عليها. (الصاوي، ١٩٩٣: ١٤) وعُرف الإرهاب قانونياً بأنه: الخروج والانحراف عن الضوابط الاجتماعية والقانونية التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع، وهو يتفاوت بين فعل يستنكره المجتمع إلى فعل يشكل جريمة يحاسب عليها القانون (حمزة، ٢٠١٢)

التطرف: النشأة والتاريخ:

تعتبر ظاهرة التطرف ظاهرة قديمة تضرب جذورها في أعماق التاريخ، فهي ليست ظاهرة حديثة، فكثيراً ما تم ربطها بالاديان فظهور دين جديد أو مذهب معين يقابله فريقان، فريق معتدل وآخر متطرف، والتطرف لا يقتصر على الجانب السياسي، فهو ظاهرة لها أبعادها الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية أيضاً، وتنشط هذه الظاهرة في البيئة التي يُقع فيها الاعتدال وتقيد الحريات، ولعلاجها يجب الوقوف على حق الناس في الحياة وإعطائهم حرياتهم في الرأي والاجتماع والتعليم والعمل والمساواة والعيش الكريم كمدخل لعلاج هذه الظاهرة (المويل، ٢٠١٢)

ويذكر التاريخ العالمي بأحداث متطرفة منذ الأزل، وقد كان في قصص الأنبياء نماذج من التطرف والغلو والتشبه بالرأي ونبذ الرأي الآخر، حيث تجلت مظاهر الغلو والتطرف في عبادة الأصنام في قوم نوح عليه السلام، حتى أصبحت أسماء هذه الأوثان تستخدم تعبيراً عن الآلهة لدى العرب فيما بعد، فنجد بأن العرب اتخذوا هذه الأصنام آلهة لهم، ودّ لدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمراد ويعوق لهمذان ونسر لحمير، وهي أسماء رجال صالحين بعد موتهم أوحى الشيطان لقومهم أن ينصبوا لهم أنصباً سموهم بأسمائهم، والنصب هو صنم ينصب للميت تخليداً لذكراه، وهو من باب الغلو والتطرف في تعظيم الأشخاص (الشبل، ٢٠٠٤: ١٥)

التطرف والغلو لدى أهل الكتاب

لقد استباح اليهود والنصارى دماء وأعراض كل منهما الآخر، وقد ادّعى اليهود بأنهم شعب الله المختار، وبأنهم أبناء الله وأحبّؤه، ولذلك فقد تطرفوا في الظلم والبغي والاعتداء على الناس، وقد تطرفوا أيضاً في وصف الذات الإلهية. "إن الله فقير ونحن أغنياء" آية ١٨١، سورة آل عمران. وكذلك وصفهم الله بالبخل والطمع، يقول تعالى: "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً" (آية ٦٤)، سورة المائدة. كما اتهم اليهود الله سبحانه وتعالى، بصفة التعب والإعياء في خلق السموات والأرض فيقول تعالى: "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب" (آية ٣٨) سورة ق. والتطرف لا يقتصر على الغلو في الكلام بل يتعدى ذلك لاستخدام العنف والإرهاب، وقد أشتهر اليهود بقتلهم الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إليهم.

كما أنه لا بد من الإشارة إلى ممارسات النصارى في الأندلس عندما سقطت في أيديهم، حيث تم التنكيل بالسكان المسلمين هناك، وقد نُصبت محاكم التفتيش التابعة للكنيسة لاضطهاد المسلمين وتطهير إسبانيا من كل ما هو إسلامي والقضاء على الإسلام وإبادة المسلمين، حيث بدأت أكبر حملات الاضطهاد في التاريخ، وقد أجبرت محاكم التفتيش المسلمين على اعتناق المسيحية وخيروهم إما الرحيل إلى شمال إفريقيا أو التحول للمسيحية (السرجاني، ٢٠١١: ٦٩٧)، وأصدرت محاكم التفتيش قوانين تنص على حظر استخدام اللغة العربية أو ارتداء الملابس العربية أو إقامة أي مهرجانات أو احتفالات إسلامية، كما أصدر فيليب الثاني ملك إسبانيا قراراً بهدم الحمامات العامة التي بناها المسلمون، والذين تميزوا بالنظافة والوضوء، وتم حظر حيازة القرآن الكريم أو أي كتاب باللغة العربية (علي قطب، ٢٠١٨: ٤٩)

وتعرض المسلمون أيضاً لعمليات واسعة لمصادرة أموالهم وإرغامهم على العيش في حالة من الفقر والجوع، وقد تم القضاء على التراث العلمي الثقافي للمسلمين في الأندلس عبر تجميع الكتب العربية وحرقها في الميادين العامة، حتى وصل الأمر إلى حد أن كل من كان يغتسل يوم الجمعة يحكم عليه بالموت، وكذلك من يتزين يوم العيد، (السيد: ٢٠١٥) ويقدر المؤرخ ليوزنتي عدد ضحايا المسلمين الذين ماتوا حرقاً ب (٣١٩١٢) شخصاً، فيما يرى المؤرخ الإسباني نافاريتي أن عدد المنفيين من إسبانيا قد بلغ ثلاثة ملايين مسلم.

التطرف في التاريخ الإسلامي:

جاء الإسلام لإخراج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة رب العباد، وقد كان العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام، لدرجة الغلو والتطرف الشديد في ترك هذه العبادة، ليصل الأمر لاستخدام العنف في مقاومة الدين الجديد، وبعد أن استقر الإسلام، ظهرت فرق متطرفة كالخوارج والمعتزلة، سعوا بالفتنة والخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان وحصاره وشتمه وذمه ثم قتله، ونتيجة لغلوهم وتطرفهم، كان لا بد من استخدام العنف في استئصالهم من المجتمع المسلم. كما ظهرت السبائية نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي وهو أول من أحدث الزندقة في الإسلام، وقد وصل الغلو والتطرف لدى الزنادقة بالإدعاء بأن علي إله وأنه ربهم، وقد كانت هذه الطائفة أساس مذهب التشيع وظهور الرفضية فيما بعد (الشبل، ٢٠٠٤: ٣٠) والتطرف بنية لا تقبل الآخر ولا ترى مكاناً للنقاش السلمي، وقد وصف الرسول عليه الصلاة والسلام الخوارج وغيرهم من الفرق المتطرفة التي ظهرت فيما بعد على شاكلة الخوارج، بهذا الحديث النبوي بعدة صفات "قوم سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان".

وقد وقع أحد علماء المسلمين في قبضة الخوارج وسألوه عن هويته، فقال مشرك مستجير يريد أن يسمع كلام الله، فقالوا له لك الحق علينا أن نجبرك ونبلغك مأمناً وتلوا " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " آية ٦، سورة التوبة. ولو قال لهم مسلم لقطعوا رأسه (المويل، ٢٠١٢) لقد لجأ المتطرفون إلى تحويل الخطاب السلفي من التاريخ للعقيدة، مستشهدين برواية ذبح أحد أشهر المتكلمين في أسماء الله وصفاته في أوائل المائة الثانية للهجرة في عيد الأضحى، وهو يُدعى الجعد بن درهم على يد الوالي خالد بن عبد الله، وتزكية كتب العقائد السلفية لهذه الذبيحة واعتبارها قرباناً شرعياً مع التحريض على تكرار نفس طريقة القتل وهي الذبح للمخالفين، واتخاذ هذه الحادثة أصولاً للاستدلال

والقياس في معاملة أشباه الجعد (أمعارس، ٢٠١٧: ٧) فكثرت فتاوى العنف التي تسوغ للقتل والسبي والاعتداء واتهام الناس بالردة والشرك (النقاز، ٢٠١٧: ٦)

وإذا كانت البلدان العربية والإسلامية تعاني اليوم من ظاهرتي التطرف والإرهاب، وتشهد نزاعات دينية وطائفية وأثنية، فقد سبقتها أوروبا والتي شهدت حرب المائة عام بين بريطانيا وفرنسا، وحرب الثلاثين عام وما حدث في البوسنة والهرسك من مجازر في حق المسلمين هناك وحرب كوسوفو (شعبان، ٢٠١٧: ٧) والحرب الأمريكية والغربية على أفغانستان واستهداف الأبرياء بحجج واهية ما أنزل الله بها من سلطان وبحجة محاربة الإرهاب، حيث تكثرت مشاهد قصف المدنيين الأبرياء ولم يسلم الأطفال من هذا الإرهاب الأعمى، وقد شاهد الناس في أنحاء العالم قصف التحالف الغربي بالتعاون مع سلاح الجو الأفغاني، لمدرسة تحفيظ القرآن للأطفال في ولاية قندوز الأفغانية، حيث راح ضحيتها ١٠٠ طفل و ٥٠ جريحاً، ممن يرتادون هذه المدرسة. ومع ذلك فقد جاهد الغرب في محاولاته لإصاق تهمة التطرف والإرهاب بالعرب والمسلمين، حيث يستخدم الغرب الإسلام فوبيا (الرهاب من الإسلام) في محاولة لتعميم هذه الفكرة في العالم أجمع، وربط الأعمال الإرهابية المتطرفة بالإسلام والمسلمين.

ومما عزز هذه الاتهامات والإدعاءات، ظهور تنظيم القاعدة في العراق بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، فأصبح النشاط الإرهابي واسعاً ومكثفاً، فظهر تنظيم القاعدة وتنظيم داعش، وظهر خطاب الكراهية ضد الأقليات في المجتمع، وتم رفض اعتبارهم جزءاً من النظام الاجتماعي، ووصفهم بأنهم عملاء أجانب لا يستحقون التعاطف، وتكمن الكارثة في حالة سيطرت تلك الجماعات على السلطة السياسية، أو أن يحتل المتعاطفون معهم أو مع أفكارهم مناصب مهمة ومؤثرة. ونظراً لأهمية الخطاب الديني في توجيه الناس وقيادتهم، فقد أشار المفكرون لذلك، فقد تحدثت باسكال قائلاً: "أن الناس لا يقتربون الأعمال الشريرة بشكل كامل مثلما يفعلونها مدفوعين بالعقيدة الدينية" (سراج الدين، ٢٠١٥: ٩٦) وما سيطرة التنظيمات الإرهابية على مناطق ودول من العالم إلا دليل على أهمية الدين في حياة الناس، فقد سيطر تنظيم القاعدة في العراق بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ على ثلث الأراضي العراقية، واحتل داعش أيضاً ثلث الأراضي السورية، واعتبار مدينة الرقة (عاصمة الخلافة).

لقد استفحلت ظاهرتي التطرف والإرهاب استفحالياً لدرجة مريعة بعد موجة الربيع العربي ٢٠١١ بتفشي الفوضى وانفلات الأمن وضعف هيبة الدولة الوطنية وتآكلها مثل: اليمن وليبيا، وقد لعبت التكنولوجيا دوراً مساعداً في انتشار ظاهرتي الإرهاب والتطرف الديني والفكري، ونظراً للتأثير الكبير لمضامين المواقع الإلكترونية على الأمن الفكري للأفراد وضعف الوازع الديني والحصانة الثقافية الفكرية ونقص الوعي لدى فئات الشباب وخاصة المراهقين، فإن السلبيات قد طغت على الإيجابيات، فعززت بعض مواقع الشبكة العنكبوتية بعض المفاهيم السلبية والقيم المتطرفة، مما دفع الكثيرين إلى التحزب في شلل فكرية، وبور ثقافية دخيلة على المجتمع العربي، فالمكان أصبح مناسباً للنشر والتواصل من دون قيود رقابية أو ضوابط تكنولوجية، حيث لا يكلف إنشاء موقع أو بناء منتدى، إلا مبالغ مالية زهيدة، فقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي وسيط مغربي للجماعات المتطرفة لنقل خططها وتهديداتها وبرامجها (الفقهاء، ٢٠١٦: ٤٢)

وعليه فإن التطرف يعني فيما يعنيه إدعاء الأفضليات فالأنا أفضل من الهو والنحن أفضل من الأنتم وديني أفضل من الأديان الأخرى، تلك البذرة الأولى للتعصب والتطرف والعنف والإرهاب، ولم يكن القضاء على الفكر المتطرف بالقوة والعنف واستخدام السلاح والعمل العسكري، فالأمر يحتاج إلى معالجة الظاهرة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتربوياً ودينياً وقانونياً، بالقضاء على الفقر وتحقيق العدالة والمساواة، وخلق بيئة مناسبة لقيم السلام والتسامح وحل الخلافات بالحوار والتفاهم.

التوصيات:

التعريف بالإسلام والسموح وقيمه النبيلة، داخلياً وخارجياً.

التخلق بأخلاق الإسلام والابتعاد عن تقليد الشباب الغربي في حياتهم وسلوكياتهم اليومية، لأنها لا تتناسب والبيئة العربية.

توعية الناس بشكل عام والشباب بشكل خاص، بأساليب المتطرفين والإرهابيين على المواقع الإلكترونية.

تحسين مستوى المعيشة لأفراد المجتمع، وتوفير فرص عمل مناسبة.

المحاولة الجادة من قبل الدول في تحقيق المساواة والعدالة والفرص المتكافئة للجميع

المراجع:

القرآن الكريم

السنة النبوية

- ابن منظور، محمد(٢٠٠٣) لسان العرب، الجزء التاسع، حرف الطاء، مادة طرف، بيروت، لبنان: دار صادر
- أبو الروس، أحمد(٢٠٠١) الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث
- أحمد عامر، كمال(٢٠١٨) التطرف والإرهاب ومواجهته، التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، تاريخ الوصول ٢٠١٨/٢/١٤ . Pdf<https://imcte.org>
- أمعارس، محمد(٢٠١٧) تأصيل الذبيحة البشرية في العقائد السلفية، فهم التطرف الديني: الأسس الأيديولوجية والحالات الاجتماعية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، صالون جدل الثقافة، الرباط، المغرب
- حمزة، محمد(٢٠١٢) مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية، منشورات وزارة الداخلية، القاهرة، مصر. <https://repository.nauss.edu.sa>
- حمداوي، جميل(٢٠١٧) التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري، القاهرة، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، www.almajles.gov
- الصاوي، صلاح(١٩٩٣) التطرف الديني الرأي الآخر، القاهرة: الآفاق الدولية للإعلام
- الرواشدة، علاء(٢٠١٥) التطرف الأيديولوجي من وجهة نظر الشباب الأردني دراسة سوسيولوجية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد ٣١، العدد ٦٣، (ص ٨١-١٢٢)
- السرجاني، راغب(٢٠١١) الأندلس من الفتح إلى السقوط، القاهرة، مصر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة
- السيد، علاء الدين(٢٠١٥) أبرز حالات الاضطهاد والمجازر التي وقعت ضد المسلمين في أوروبا، ساسة بوست، <https://www.sasapost.com>. ٢٠١٥
- النشيل، علي(٢٠٠٤) الغلو في الدين معناه وتاريخه وأسبابه، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٤، الرياض، السعودية
- شعبان، عبد الحسين(٢٠١٧) التطرف والإرهاب إشكاليات نظرية وتحديات عملية مع إشارة خاصة للعراق، مصر، الإسكندرية، مكتبة مرصد
- علي قطب، محمد(٢٠١٨) محاكم التفتيش في الأندلس، المكتبة الوقفية للمكتب المصورة، pdf
- العموش، أحمد(١٩٩٩) أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، مكافحة الإرهاب، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية
- العيسوي، عبد الرحمن(٢٠٠٥) سيكولوجية الإرهابي، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية
- المويل، كمال(٢٠١٢) التطرف تاريخه شرحاً مفصلاً، البداية الجديدة، تاريخ الوصول ٢٠١٢/١١/١٤، albedayahttps://www.masress.com
- الفقهاء، قيس(٢٠١٦) دور شبكات التواصل الاجتماعي في الترويج للفكر المتطرف من وجهة نظر طلبة الجامعات الأردنية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية
- النقاز، إسماعيل(٢٠١٧) جدلية التطرف الديني، فهم التطرف الديني: الأسس الأيديولوجية والحالات الاجتماعية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، صالون جدل الثقافي، المغرب، الرباط

الفهرس

د. ليلي بيده

محور المداخلة: واقع ثقافة التواصل في المجتمع الدولي المعاصر.

مقدمة:

إن الحياة بكل متطلباتها تفرض على الإنسان والشعوب عملية التواصل، وهذا التواصل لا يتم إلا بالحوار وهذا الأخير يتطلب طرفا آخر الذي قد يكون موافقا أو مباينا ومغايرا في العرق والانتماء والجنس والثقافة والرأي والموقف، وربما تصل المغايرة الى درجة العدا والصراع^١، وقد عرف الأستاذ حسين جمعة الحوار بأنه: "مراجعة الكلام في شأن، أو رأي ما لتعزيه أو تصويبه أو تطويره، والوصول فيه الى التماثل أو التجانس أو التفاهم أو التكامل، فهما كان الخلاف عظيما بين الدول والشعوب والأشخاص في التصور والثقافة والمواقف والتصرفات فعملية أن تلجأ الى ثقافة الحوار واعتباره مبدأ من أجل التكيف فيما بينها^٢.

إن تنوع ثقافات الشعوب من أديان وعادات وتقاليد ومعتقدات وفنون وغيرها، سواء داخل المجتمع الواحد أو عدة مجتمعات أمر واقع فرده الطبيعة البشرية وهو سمة مميزة لها، وهذا ما أكدته ديباجة اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي^٣، فمن أجل أن تتعايش هذه الشعوب وتتكيف فيما بينها كان عليها اللجوء الى الحوار، لأن هذا الأخير هو أداة اتصال وتفاهم وتوافق وتقريب للخلاف بين الرؤى والمشاعر والعقائد والثقافات والعادات والتقاليد فضلا عن إشاعة قبول الآخر وإشاعة المحبة ونبذ الكراهية والتعصب^٤، وقد أكد "الاعلان المتعلق بتعزيز الحوار والتفاهم المتبادل بين الأديان والحضارات لسنة ٢٠٠٧" على أن تعزيز الحوار المتبادل فيما بين مختلف الأعراق والأديان والحضارات والثقافات لا يكون إلا باحترام حقوق مختلف الأعراق والأديان (أي الثقافات بصفة عامة)، فبالإمكان تفادي العديد من مصادر عدم الاستقرار داخل الدول وفيما بينها من خلال حل المشاكل التي تواجهها الأقليات الدينية والثقافية الأصغر حجما، وذلك باحترام القيم التقليدية التي تعتنقها الأكرليات الدينية^٥.

إن وجود حوار هادف ومؤثر وتفاعل فعال بين الثقافات و الحضارات يتطلب احترام متبادل وقيامه على قواعد القانون الدولي من أجل يتسم بالشرعية الدولية، لأن هذه القواعد تشكل القواسم المشتركة بين جميع الشعوب والحكومات في عالمنا المعاصر، فهي المرجعية المتفق عليها، في حين جميع المرجعيات الدينية والثقافية والحضارية محل اختلاف وخلاف ومحل تنازع ونزاع^٦.

إذا كان اختلاف ثقافات الشعوب داخل المجتمعات وفيما بينها أمر واقع ومفروض، فإن العيش المشترك والتعاون من الأساسيات التي قام عليها المجتمع البشري منذ القدم، وهذا يتطلب وجود حوار قائم على قواعد القانون الدولي بما فيها الحق في التنوع الثقافي بناء على ما جاء في ميثاق الأمم المتحدة والعهد والاتفاقيات التي تحكم علاقات التعاون الثقافي بين المجموعة الدولية^٧، وعليه ماهي طبيعة الحوار القائم بين أطراف المجتمع الدولي المعاصر، هل هو قائم على قاعدة من قواعد القانون الدولي التي تحكمه، والمتمثلة في الحق في التنوع الثقافي، أم أنه انصهر أمام متطلبات العولمة التي اجتاحت هذا المجتمع وجعلته منقادا للثقافة الغربية الغالبة؟.

وعليه سنتناول في هذه المداخلة العناصر التالية:

١- مفهوم التنوع الثقافي.

١- أ.د. جمعة حسين، ثقافة الحوار مع الآخر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٤، العدد ٣ و٤، ٢٠٠٨، ص ١١.

٢- نفس المرجع، ص ١٥.

٣- جاء في ديباجة اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي أن "التنوع الثقافي هو سمة مميزة للبشرية".

٤- أ.د. جمعة حسين، المرجع نفسه، ص ١٥.

٥- الاعلان المتعلق بتعزيز الحوار والتفاهم المتبادل بين الأديان والحضارات، أوهريد (مقدونيا) ٢٠٠٧.

٦- د. النويجري عبد العزيز بن عثمان، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، طبعة ٢، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيكو-المغرب، ٢٠١٥، ص ١٥.

٧- د. النويجري عبد العزيز بن عثمان، المرجع السابق، ص ١٦.

٢- أهم النصوص الدولية المكرسة للتنوع الثقافي.

٣- مدى تكريس التنوع الثقافي في المجتمع الدولي المعاصر الذي اجتاحتها العولمة.

أولا- مفهوم التنوع الثقافي:

يعد موضوع التنوع الثقافي من الموضوعات المثارة منذ القرن ١٩ ميلادي على المستويات الفكرية والفلسفية والاجتماعية، وحتى على المستوى السياسي، ففي هذا القرن غلبت رؤية الجماعات الثقافية الى القول بأن الأقليات التي تمثل جماعات ثقافية صغيرة غالبا ما تتخلى عن ثقافتها الموروثة، وتسعى الى الانضمام الى ثقافة الأمم الأقوى، ولقد تبنى هذا الرأي العديد من المفكرين، لكن الآن هناك فلاسفة يدافعون عن الأقليات في جميع أنحاء العالم ويطالبون بما يعرف بالتعددية الثقافية^١.

يعتبر التنوع الثقافي حقيقة واقعة بحيث هناك العديد من الثقافات المتباينة والتميزة، مما جعل الوعي بهذا التنوع اليوم أمرا شائعا، كما يسرته عولمة التبادلات وتزايد تقبل المجتمعات لبعضها البعض فأصبح بذلك هذا الحق اهتماما رئيسيا من الاهتمامات الاجتماعية، لأنه مرتبط بتزايد تنوع القواعد الاجتماعية المعمول بها داخل المجتمعات، وفيما بينها^٢.

باعتبار الثقافة هي المكون الأساسي للتنوع الثقافي، والتعددية الثقافية مترابطة مع هذا الأخير كان لزاما علينا تحديد هذين المفهومين فيما يلي:

١/ مفهوم الثقافة:

يتميز مفهوم الثقافة بطبيعة تراكمية ومستمرة، فهي ميراث اجتماعي لكافة المنجزات البشرية وعليه فإن محاولة إعطاء تعريف لهذا المصطلح مسألة صعبة نتيجة تعدد التعريفات بحسب تنوع العلوم^٣.

أصل كلمة ثقافة مشتقة من الفعل اللاتيني COLERE، وتعني الزراعة، وأصبحت هذه الكلمة تستخدم لتعبر عن زراعة الأفكار والقيم^٤.

بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو UNESCO) غداة الحرب العالمية الثانية أصبحت الثقافة تعني أساسا الانتاج الفني والفنون الجميلة وعلم الآداب، ولقد عرف اعلان "بوغاتا" المعتمد خلال المؤتمر المشترك بين الحكومات حول السياسات الثقافية في أمريكا اللاتينية وفي الكاريبي عام ١٩٧٨، الثقافة بأنها: "مجموعة من القيم والابداعات في المجتمع، والتعبير عن الحياة في حد ذاتها تعد أساسية لهذه الحياة وليست مجرد وسيلة أو أداة ثانوية في النشاط الاجتماعي"^٥.

كما توصلت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة الى اعطاء تعريف للثقافة^٦ خلال مؤتمراتها الاقليمية التي عقدتها تحضيراً لمؤتمر السياسات الثقافية المعقود بمكسيكو سنة ١٩٨٢، بأنها: "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق العيش، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، والتي تجعل منها كائنات تتميز بالإنسانية، المتمثلة في العقلانية والقدرة

١-سميح الزين أميمة، التنوع الثقافي...إثراء انساني أم صدام حضاري، أعمال المؤتمر الدولي الثامن، التنوع الثقافي، ٢١-٢٣ ماي، طرابلس ٢٠١٥، ص٥. www.jilrc.com تاريخ الاطلاع ٢٢/٠٤/٢٠١٨.

٢-بلحنافي فاطمة، مبادئ القانون الدولي الثقافي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الدولي والعلاقات السياسية الدولية، جامعة وهران محمد بن أحمد، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٦، ص ٢٢.

٣- بلحنافي فاطمة، المرجع السابق، ص ٢٢.

نفس المرجع، ص ٢٢. ٤

٥-كوشير وماتسورا، الرهان الثقافي في صلب العلاقات الدولية، ترجمة عياش سلمان، ص ٥. ٣

٦-disponible sur le site :www.diplomatie.gov.fr,consulté le ١٦/٠٤/٢٠١٨.

٦- كما قامت المنظمتان الاقليميتان المتعلقتان بالثقافة وهما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو ALECSO) والمنظمة الاسلامية للتربية والعلم والثقافة (الإيسيسكو ISESCO) بتعريف الثقافة.

على النقد، والالتزام الأخلاقي، ومن خلالها نهتدي الى القيم ونمارس الخيار، كما أنها وسيلة تعرف الانسان على نفسه و على ذاته كمشروع غير مكتمل، والى اعادة النظر في إنجازاته والبحث عن توازن مدلولات جديدة إبداع، أعمال يتفوق بها على نفسه"١.

٢/- مفهوم التعددية الثقافية:

يعني التعامل مع الجماعات المتميزة ثقافيا، إلا أنه لا يعني بالضرورة تعدد المكونات الثقافية للمجتمع، فهو يشتمل على قبول ورضا كافة تلك المكونات بواقعها المجتمعي المتعدد والاعتراف به رسميا، وبناءا على ذلك الاعتراف يتم اقرار آليات لتحديد كيفية التعامل مع هذا التنوع الثقافي، وفي ظل توافر مثل هذا الاعتراف، وتلك الآليات يمكن وصف المجتمع بأنه تعددي متبني للتعددية كنهج للتعايش والتسامح بين مكوناته الثقافية٢، كما اعتبر إعلان اليونسكو بشأن التنوع الثقافي، التعددية الثقافية بأنها الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي، فهي تيسر المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الابداعية التي تعتبر من ضمانات التنوع الثقافي٣.

بعدما بينا مفهوم الثقافة والتعددية الثقافية ذي الصلة بمفهوم التنوع الثقافي بإمكاننا تحديد مفهوم التنوع الثقافي فيما يلي:

يشير مفهوم التنوع الثقافي الى اتسام الثقافة البشرية بسمه التنوع والاختلاف، بحيث يتجلى هذا التنوع من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الانسانية٤.

عرفت اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي، التنوع الثقافي في المادة ٤ منها بأنه:"تعدد الأشكال التي تعبر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافتها وأشكال التعبير هذه يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات وفيما بينها، ولا يتجلى التنوع الثقافي فقط من خلال تنوع أساليب التعبير عن التراث الثقافي للبشرية واثرائه ونقله بواسطة أشكال التعبير الثقافي المتنوعة، بل يتجلى أيضا من خلال تنوع أنماط إبداع أشكال التعبير الفني ونتاجها ونشرها وتوزيعها والتمتع به، أيا كانت الوسائل والتكنولوجيات المستخدمة في ذلك".

يقوم التنوع الثقافي على تعدد المعتقدات وقواعد السلوك واللغة والدين والقانون والفنون والتقنية والعادات والتقاليد والأعراف والنظم الاقتصادية والسياسية، فيسعى كل مجتمع جاهدا نحو الحفاظ على هويته وما يميزه ويمنحه خصوصية واستقلالية عن باقي الثقافات الأخرى، فهو عامل مهم في التعرف على الثقافات الأخرى في المجتمع من عادات وتقاليد وقيم، كما أنه يؤدي الى الاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى باعتبارها جزء لا يتجزأ من المجتمع، مما يؤدي الى تحقيق الاحترام المتبادل بين الثقافات داخل المجتمع الواحد وداخل المجتمع الدولي ككل، فالتنوع الثقافي يقوم على المساواة الكاملة بين الشعوب واحترام الاختلاف الموجود بينها، والنظر الى هذا الاختلاف بوصفه مصدر غنى يؤدي الى التفاعل وتبادل الخبرات وبالتالي المحافظة على العلاقة القائمة على الحوار بين المحلي والعالمي، الخاص والعام٥.

يعد التنوع الثقافي من العوامل الداعمة لحقوق الانسان وتراثا مشتركا للانسانية وثروة العالم الثقافية مع تحفيز الابداع والابتكار الذي يقودنا الى التعددية الثقافية وسلامة البنية الاجتماعية، ويعد تعزيزه تكريس لمعنى التسامح الذي حددته الأمم المتحدة عند اعتمادها مبادئ التسامح في المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين بباريس في ١٩/١١/١٩٩٥، بقولها: "التسامح هو الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري للثقافات...."٦، كما أن ضمان الحق في التنوع الثقافي يعد تأكيد على الخصوصية الثقافية لكل شعب من شعوب العالم وإبراز للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية التي تشكل في مجموعها الهوية الانسانية العامة القائمة على أساس وحدة الجنس البشري ووحدة الصفات المشتركة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الطبيعة الانسانية، وهذا ما نصت عليه المادة ١ من إعلان مبادئ التعاون الثقافي٧، صف الى أن تعزيز هذا الحق يؤدي الى تقوية التعاون الدولي، وذلك من خلال الحوار والتقارب بين الثقافات الذي ينتهي الى التحالف بين الحضارات من أجل بناء مستقبل آمن ومزدهر للانسانية التي تعاني من ويلات عالم غير آمن وغير عادل٨.

١-لحناني فاطمة، المرجع نفسه، ص٢٥.

٢- منيغر سناء، التنوع الثقافي من منظور الامن المجتمعي، رسالة ماجستير في القانون العام، جامعة سطيف ٢، كلية ٢.

٣-الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٤، ص٥.

٤-المادة ٢٤ من اعلان اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي. ٣

٥-المادة ١ من الاعلان العالمي للتنوع الثقافي. ٤

٦-سميح الزين أميمة، المرجع السابق، ص٨.

٧-لحناني فاطمة، المرجع السابق، ص٢٥.

٨- سميح الزين أميمة، المرجع السابق ص٨.

٩- د.التويجري عبد العزيز بن عثمان، المرجع السابق، ص١٦.

١٠-سميح الزين أميمة، المرجع نفسه ، ص٦.

إن احترام التنوع الثقافي يساهم في اشاعة الأمن والسلام بين الشعوب المختلفة الثقافات، فليس في تنوع الهويات وتعدد الخصوصيات ما يتعارض وقضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأمم في إطار التعاون الانساني القائم على قاعدتي التعارف والتعايش^١، وقد بينت أبحاث حديثة قام بها علماء بأن التباينات الثقافية وتعايش مجموعات متميزة ثقافيا لا يشكل بحد ذاته سببا لنزاعات عنيفة، بل أن بعض العلماء من يقول أن التعددية الثقافية تخفف من خطر النزاع، وقد قدمت الدراسات تفسيرات لهذه الحروب على أنها نتيجة التفاوتات الاقتصادية بين المجموعات، ونتيجة للصراعات على السلطة السياسية أو الأرض أو قيم اقتصادية أخرى، فمثلا في جزر فيجي قام الفيجيون الأصليون بانقلاب ضد الحكومة التي يهيمن عليها ذوو الأصل الهندي، لأنهم خافوا من امكانية مصادرة أراضيهم، وعليه فإذا ثبت بأن الاختلاف في الهويات الثقافية ليس سببا للنزاعات، إلا أنه قد يكون محركا للتعبئة السياسية، على سبيل المثال كانت الاجحافات المترسخة في جنوب إفريقيا السبب الكامن واره اضطرابات سويتو سنة ١٩٧٦ إلا أن الشرارة إنطلقت من محاولات فرض اللغة الافريقانية على مدارس السود^٢.

يمكن للمجتمعات المتنوعة أن تجني مكاسب حقيقية بفضل الدينامية والقدرة الابداعية اللتين تتولدان نتيجة التفاعلات بين المجموعات الثقافية المختلفة، فالمنافع تأتي من التفاعلات بين البلدان عبر التجارة وتبادل الخبرات، والأمثلة كثيرة في ذلك، فمثلا نجد اليابان أحد أغنى بلدان العالم اقتصاديا ولعل من بين أسباب ذلك أنها متفتحة على العالم وهي ضد السياسات الانعزالية، ومطبقة لمبدأ "اطلبوا المعرفة في كل أنحاء العالم"، كما تعد ماليزيا من البلدان المعترفة بالتنوع بحيث تضم بين سكانها شعوب من ثقافات متنوعة من أهل الملايو، من أصول صينية وهندية وغيرها، وقد ساهم ذلك في نموها الاقتصادي وصنفت في المرتبة العاشرة من حيث النمو الاقتصادي ما بين ١٩٧٠ و ١٩٩٠، ضف الى ذلك الهند ذات الثقافات المتباينة والمعتمدة لعدة لغات رسمية قامت بتحقيق تقدم ملحوظ في النمو الاقتصادي والصحة والتعليم، وعليه قد تتولد منافع عن التفاعلات بين المجموعات، كما يمكن جذب المؤسسات التجارية ورجال الأعمال الى المدن والمجتمعات التي تزدهر فيها الحرية التعددية والثقافية، وقد بينت دراسة بأن ١١ من المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية المتسمة بأكبر قدر من التعددية صنفت ضمن ١٥ المناطق الأولى ذات التفانة المتقدمة^٣. (أهمية التنوع الثقافي)

ثانيا/- أهم الصكوك الدولية المكرسة للتنوع الثقافي:

لقد تعددت الاتفاقيات الدولية المكرسة لاحترام الخصوصية الثقافية التي يقوم عليها مبدأ التنوع الثقافي بما فيها اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ المتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية، الاتفاقية المتعلقة بالتدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة لسنة ١٩٧٠ والاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي للعالم لسنة ١٩٧٢، والاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه لسنة ٢٠٠١، والاتفاقية المتعلقة بصون التراث غير المادي لسنة ٢٠٠٣، بالإضافة الى المواثيق الدولية المكرسة لحقوق الثقافة بما فيها الاعلان العالمي لحقوق الانسان(المادة ٢٧ منه) والعهد الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية(المادتين ١٣ و ١٥ منه)، والتي تعد مجالا مدعما للتنوع الثقافي، لان تكريس الحقوق الثقافية يعزز هذا الأخير، وهذا ما أكده اعلان اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي(المادة ٥ منه)، إلا أن أهم صكين دوليين مكرسين صراحة للتنوع الثقافي هما اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي لعام ٢٠٠١ واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي لسنة ٢٠٠٥، واللذين سنتطرق اليهما بنوع من التفصيل موضحين المبادئ التي جاء بها تكريسا للتنوع الثقافي وذلك فيما يلي:

١/- اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي لسنة ٢٠٠١:

منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أصبحت السياسات الثقافية وترقية التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات في صدارة الانشغالات السياسات، وأصبح الجميع يبحث عن اطار أخلاقي عالمي تستنبط مبادئه من مجموع السياسات الوطنية والدولية مؤكدا للمساواة في الكرامة بين الثقافات باعتباره أمرا ضروريا وملحا^٤، وعليه أعتمد اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي بالاجماع غداة هذه الأحداث، وكان المؤتمر العام المنعقد آنذاك في دورته الحادية والثلاثين، هو أول اجتماع يعقد على المستوى الوزاري بعد تلك الأحداث الرهيبة، فكان فرصة سانحة للدول الأعضاء لتؤكد قناعتها بأن الحوار بين الثقافات هو أفضل ضمان للسلام، ولكي تعرب عن رفضها القاطع لفكرة حتمية النزاعات بين الثقافات والحضارات^٥.

١-د. التويجري عبد العزيز بن عثمان، المرجع نفسه، ص ١٦.

٢-برنامج الامم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤، ص ٣.

٣- برنامج الامم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ٤٥، ٤٤، ٤٣.

٤- كويشير وماتسورا، المرجع السابق، ص ١.

٥- السيد كويشير وماتسورا، المدير العام لمنظمة اليونسكو.

١٨/٢٠٠٤/٢٨ le consulté www.un.or-

إن إصدار هذه الوثيقة الهامة يشكل سابقة للمجتمع الدولي، لأنها تجعل التنوع الثقافي تراثاً مشتركاً للإنسانية^١، فهو ضروري للجنس البشري ضرورة التنوع البشري بالنسبة للكائنات الحية^٢، كما تجعل هذه الوثيقة الدفاع عن التنوع الثقافي واجباً أخلاقياً ملزماً، لا يفصل عن احترام كرامة الإنسان^٣، فهو يفترض احترام حقوق الإنسان وحرية الأشخاص، خاصة حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات وحقوق الشعوب الأصلية، كما لا يجوز لأي أحد أن يستند إلى التنوع الثقافي من أجل انتهاك أو الحد من نطاق حقوق الإنسان المضمونة بموجب القانون الدولي^٤.

يرمي هذا الإعلان إلى صون التنوع الثقافي باعتباره كنزاً حياً متجدداً، كما يسعى إلى تفادي أوجه التفرقة وظواهر الأصولية التي ترسخ هذه الفوارق باسم الاختلافات الثقافية، متناقضة بذلك مع ما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، و يشدد هذا الإعلان على ضرورة أن يعترف كل فرد بوجود أطراف أخرى وبتعدد ذاتيتها في وسط مجتمع يتسم هو الآخر بالتعددية^٥، كما أشار إلى أن التنوع الثقافي ضرورة بشرية تتطلب وجود سياسات تدعم التعددية الثقافية من أجل ضمان التلاحم الاجتماعي والسلام^٦، و اعتبر هذا الإعلان التنوع الثقافي مصدراً للتنمية ليس بمعنى النمو الاقتصادي، وإنما بمعناه المعنوي لأنه وسيلة للوصول إلى حياة فكرية وروحية مرضية^٧، صف إلى أنه بين الإطار الذي يعزز فيه التنوع الثقافي وهو ذلك المحيط الذي تضمن فيه الحقوق الثقافية لكل شخص مثلما نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (المادة ٢٧ منه)، والعهد الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المادتين (٣ و ١٥ منه)^٨، كما نص الإعلان على بعض الضمانات التي تكفل التنوع الثقافي كإتاحة الفرصة لكل الثقافات من أن تظهر من خلال وسائل التعبير والنشر^٩.

أوضح الإعلان أن التراث الثقافي مصدراً للإبداع ويتم ازدهاره بالاتصال مع الثقافات الأخرى^{١٠} وأكد على أن السلع والخدمات الثقافية ليست كغيرها من السلع والمنتجات، فهي تتميز عنها بأنها تعبر عن الهوية والقيم^{١١}، ومراعاة لهذه الخصوصية التي تتمتع بها هذه السلع والخدمات الثقافية، نص الإعلان على ضرورة التعاون بين الدول من أجل إقامة صناعات ثقافية قادرة على البقاء والمنافسة على المستوى الوطني والدولي، وعلى ضرورة اتباع كل دولة السياسة الثقافية التي تراها مناسبة من أجل ذلك وإقامة شراكات بين القطاع العام والقطاع الخاص والمجتمع الدولي^{١٢}، وهذا من أجل عدم سيطرة الدول المتقدمة على سوق الصناعات الثقافية، فتؤدي إلى اندثار صناعات ثقافية لا تقوى على منافسة صناعات الدول المتقدمة، كما حدد الإعلان المهام التي تضطلع بها اليونسكو لتنفيذ اختصاصها الموكول إليها من أجل تطبيق المبادئ التي تضمنها هذا الإعلان^{١٣}، و نص هذا الأخير على أهداف معينة من أجل تعزيز تطبيقه، تلتزم الدول الأعضاء بالتعاون مع بعضها لتحقيقها، نذكر من هذه الأهداف تعميق النقاش الدولي بشأن المسائل المتعلقة بالتنوع الثقافي بما في ذلك علاقة هذا الأخير بالتنمية، تحديد المبادئ والمعايير والممارسات على المستوى الوطني والدولي التي يقوم عليها التعاون من أجل تعزيز التنوع الثقافي، العمل على نشر الوعي بإيجابيات التنوع الثقافي من خلال أعداد معلمين في هذا المجال وإدراجه في البرامج المدرسية... وغيرها من الأهداف^{١٤}.

في فيفري ٢٠٠٣، قام عدد من الدول بتقديم طلب تفاوض رسمي إلى اليونسكو، من أجل إعداد

إتفاقية دولية تدعم الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي، وفي شهر أكتوبر ٢٠٠٣ قرر المؤتمر العام لليونسكو، المضي قدماً للتفاوض حول إتفاقية تتعلق بـ "تنوع المصاميم الثقافية وأشكال التعبير الفني" وتوجت اجتماعات الخبراء المستقلين واجتماعات خبراء دوليين حكوميين بإعتماد إتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي في ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥ خلال

-المادة ١ من الإعلان العالمي للتنوع الثقافي. ١

-المادة ١ من نفس الإعلان. ٢

السيد كوشيرو ماتسورا، المدير العام لمنظمة اليونسكو. ٣-

-المادة ٤ من الإعلان العالمي للتنوع الثقافي.

المادة ٤ من نفس الإعلان. ٤-

- السيد كوشيرو ماتسورا، المدير العام لمنظمة اليونسكو. ٥

-المادة ٢ من الإعلان العالمي للتنوع الثقافي. ٦

-المادة ٣ من نفس الإعلان. ٧

المادة ٥ من نفس الإعلان. ٨-

-المادة ٦ من نفس الإعلان. ٩

-المادة ٧ من نفس الإعلان. ١٠

المادة ٨ من نفس الإعلان. ١١-

المواد من ٩ إلى ١١ من نفس الإعلان. ١٢-

-المادة ١٢ من نفس الإعلان. ١٣

تتناول الإعلان العالمي للتنوع الثقافي هذه الأهداف في المرفق الملحق بالإعلان. ١٤

المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو ١ ، والتي دخلت حيز النفاذ في ١٨ مارس ٢٠٠٧، وعليه سنبين فيما يلي المبادئ المتضمنة في هذه الاتفاقية فيما يلي:

٢-اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي لسنة ٢٠٠٥:

تعد هذه الاتفاقية اتفاقا ثقافيا، إلا أن الملاحظ لمعظم التحليلات القانونية، التي صدرت بشأنها منذ اعتمادها سنة ٢٠٠٥ ، جميعها تناولتها من ناحية تنظيم التجارة الدولية، ولقد تزامن اعتماد هذه الاتفاقية مع ظهور نقاش سياسي متعلق بالقاسم المشترك بين الثقافة والتجارة، و ذلك عندما قررت عدة بلدان أوروبية، فرض حصص على المنتجات السينمائية، من أجل حماية صناعتها السينمائية من تدفق الأفلام الأمريكية التي اعتبرتها تهديدا لثقافتها، إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بحيث ظهر الجدل من جديد بعد الحرب العالمية الثانية و خلال المفاوضات المتعلقة بالاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة

(GATT)، التي دعت الى وضع نص قانوني يعترف بالخاصية الثقافية للسينما، لكن بإنشاء منظمة التجارة العالمية سنة ١٩٩٥ إتخذت النقاشات إتجاها مختلفا، فأصبحت تقوم بشكل أساسي على كيفية تناول المنتجات الثقافية، في إطار الإتفاقيات التجارية الدولية، كما ظهرت فكرة ضرورة اعتماد وثيقة دولية جديدة متعلقة بالتنوع الثقافي بإعتباره مشكلة ثقافية يتوجب معالجتها من وجهة نظر ثقافية وليس من وجهة نظر القانون التجاري الدولي ٢.

تقوم اتفاقية حماية وتعزيز وتنوع أشكال التعبير الثقافي على أساس الاقرار بالطبيعة المتميزة للأنشطة و السلع و الخدمات الثقافية باعتبارها حاملة للهويات و القيم ٣.

تضمنت هذه الاتفاقية في تقريرها لحقوق و التزامات الدول الاعضاء قاعدة عامة تقوم على مبدئين يتمثل المبدأ الأول في الحق السيادي للدول في صياغة و تنفيذ سياستها الثقافية، وفي اعتماد التدابير لحماية و تعزيز وتنوع أشكال التعبير الثقافي و توطيد التعاون الدولي (المادة ١/٥ منها)، أما المبدأ الثاني فإنه يقيد المبدأ الأول، فوفقا لهذا الأخير يكون للدول الأطراف الحق السيادي و الحرية في اعتماد السياسات و اتخاذ التدابير لحماية و تعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي على أراضيها، إلا أن الدول الأطراف قيدت في ذلك بمراعاة أحكام هذه الاتفاقية (المادة ٢/٥ منها)، وقد حددت هذه الأخيرة بعض هذه التدابير في المادة ٦ منها كالتدابير الرامية الى حماية و تعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي، ولقد حددتها الاتفاقية على سبيل الحصر على عكس بقية التدابير، و المتمثلة في سعي الدول الأطراف الى تشجيع الأفراد و الفئات الاجتماعية بمن فيهم النساء، على ابداع أشكال التعبير الثقافي الخاصة بهم و انتاجها و نشرها و الوصول إليها، و الى تمكينهم من الوصول الى أشكال التعبير الثقافي المتنوعة التي أبدعت في أراضيهم و في سائر بلدان العالم، كما تسعى الدول الأطراف من أجل حماية و تعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي الى الاعتراف بأهمية اسهام الفنانين و جميع المشاركين في عملية الابداع و الدور الأساسي الذي يقوم به الفنون و الأوساط الثقافية، و المنظمات المتعلقة بالفنانين في تنوع أشكال التعبير الثقافي (المادة ٧ من الاتفاقية)، كما أجازت هذه الاتفاقية للدول الأطراف اتخاذ التدابير الملائمة لحماية و صون أشكال التعبير الثقافي في حالة ما إذا تعرضت هذه الأخيرة على اقليمها لخطر الاندثار أو تهديد خطير أو الى أي خطر يتطلب صوتا عاجلا، و منحت للدول الأطراف في هذه الحالة السلطة التقديرية الواسعة في تحديد هذه التدابير، إلا أنه يجوز للجنة الدولية الحكومية تقديم توصيات بشأن هذه التدابير بعد أن تقوم الدولة الطرف المعنية بإعلامها بما اتخذته من تدابير (المادة ٨ من الاتفاقية)، كما تلزم الاتفاقية الدول الأعضاء على تشجيع توعية الجمهور بأهمية حماية و تعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي و تقر بدور المجتمع المدني في ذلك و تشجع جهود أطرافه الرامية الى تحقيق أهداف هذه الاتفاقية (المادتين ٩ و ١٠ من الاتفاقية)، و تدعو الدول الأعضاء فيها الى التعاون الثنائي و الاقليمي و الدولي من أجل تعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي (المادة ١٢ من الاتفاقية)، و الى التعاون من أجل تحقيق التنمية كأن تتخذ الدول الأعضاء تدابير حددتها الاتفاقية، من أجل تعزيز الصناعات الثقافية في البلدان النامية ٤،

١-بلحنافي فاطمة، المرجع السابق، ص ٣٢.

٢- بلحنافي فاطمة، المرجع السابق، ص ٣٣.

٣- نفس المرجع، ص ٣٢.

٤- حددت اتفاقية حماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي التدابير المتخذة من طرف الدول الأعضاء و الرامية الى تعزيز ٤

كما دعت الاتفاقية الى تعاون الدول الأطراف من أجل حماية أشكال التعبير الثقافي في حالة ما إذا كانت معرضة للاندثار أو الى تهديد خطير (المادة ١٧ من الاتفاقية).

ثالثاً/-مدى تكريس التنوع الثقافي في المجتمع الدولي المعاصر:

كان المجتمع الدولي يمتاز بثنائية القطبية تقوده الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي و أصبح اليوم أحادي القطبية تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بعد الاعلان عن انتهاء الحرب الباردة في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي المنعقد بباريس في ١٩/١١/١٩٩٠، فمنذ هذا التاريخ بدأت تسود عولمة الديمقراطية الليبرالية كشكل نهائي للحكم، وعولمة الاقتصاد الحر الرأسمالي^١.

لقد عززت العولمة التنوع الثقافي، وذلك من خلال ما أدت إليه من انتقال للأفكار، و رؤوس الأموال والسلع والناس عبر الحدود، ونمو شبكات الاتصال والمعلومات وتزايد التداخل والتشابك بين الاقتصاديات الوطنية وتطور الأسواق عبر الوطنية و التوسع في الصلات بين الثقافات نتيجة وجود اتصال بين قيم الناس وأفكارهم وأنماط حياتهم بشكل مدهل، كما أدت عولمة التبادلات الدولية الى اندماج التبادلات المتنوعة المتعددة الثقافات في جميع الميادين الوطنية، مما غدى الاتجاه نحو الانتماءات الثقافية المتعددة فأضفى التعقيد على الهويات الثقافية، بالإضافة الى ما أدى إليه نمو الهجرة الدولية في بعض الحالات من استحداث تعبيرات ثقافية بينت استمرارية تولد التنوع، كما كان لنمو السياحة الدولية آثارا ايجابية محتملة هامة على التنوع الثقافي، من خلال زيادة معرفة البيئات والممارسات الثقافية المتباينة وفهمها، و أدى تزايد الصلات بين الثقافات الى نشوء اشكال جديدة من التنوع الثقافي والممارسات اللغوية خاصة ما يعزز التقدم في التكنولوجيا الرقمية، و عليه فالتنوع الثقافي شأنه شأن الهوية الثقافية، يعني الابتكار والابداع والقدرة على الاستجابة للتأثيرات الجديدة^٢.

إذا كانت العولمة تعزز التنوع الثقافي وتكثفه وتدعم التعددية الثقافية التي بها ينتعش التنوع مثلما بينا أعلاه، لقي اعجاب البعض لأنه يمنحهم المزيد من السلطة، إلا أنها تشكل في الوقت ذاته تحدياً للتنوع الثقافي وخطراً له وهذا ما أكدته ديباجة اعلان اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي^٣.

انتشر وهم بأن العولمة تعني إزالة كل الحدود وأشكال التمايز بين الشعوب، و كان المفكر فرانسيس فوكوياما^٤ قد خلص في مقاله تحت عنوان "نهاية التاريخ" الى أن الليبرالية السياسية والاقتصادية التي انتصرت على كل منافسيها عبر التاريخ هي المؤهلة لسيادة العالم من دون منازع، إلا أن المقال الذي كتبه المفكر السياسي الأمريكي صامويل هانتغتون سنة ١٩٩٣ تحت عنوان "صراع الحضارات" بين بأن المصدر الأساسي للصراعات في العالم الجديد لن يكون بالدرجة الاولى إيديولوجيا ولا اقتصاديا، بل المصدر الأساسي للخلاف سيكون ثقافي، و سيكون هناك صدام بين العديد من الحضارات بما فيها الحضارة الغربية، والاسلامية^٥.

الصناعات الثقافية في البلدان النامية على سبيل الحصر في المادة ١٤ منها، وذلك من حماية هذه الصناعات من الصمود أما صناعات الدول المتقدمة المسيطرة على السوق، ونذكر من هذه التدابير تيسير وصول سلع وخدمات البلدان النامية الى السوق العالمية و الى شبكات التوزيع العالمية بشكل واسع.

أ.مرزوقي عبد الحليم، محاضرات في المجتمع الدولي أقيمت على طلبة السنة الأولى ليسانس حقوق، جامعة محمد^١ - خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٣، ص ٢٨-٣٠.

٢٤/٠٤/٢٠١٨ le elearn.univ-biskra.dz<resource>view.consulté متوفر على الموقع التالي:

٢- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، تقرير اليونسكو العالمي_الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات_ص٦.

- ابراهيم أبراش، في عصر العولمة تتجدد تساؤلات عصر النهضة، العرب وتحديات عصر العولمة، المستقبل العربي^٣ العدد ٣٣٧، السنة ٢٩، ٢٠٠٧، ص ٢٣.

هو مفكر ياباني الاصل من جنسية أمريكية.^٤

-ابراهيم أبراش، المرجع نفسه، ص ٢٣.^٥

لقد أثارت العولمة قلق الكثيرين، نتيجة ما قد تؤدي إليه من خسارة الأشخاص لقيمهم وأساليب حياتهم ومن أنها تشكل تهديدا للهوية المحلية والقومية نتيجة غزو التجارة الدولية ووسائل الاعلام الحديثة كل أركان العالم، كما تنبأ البعض بالمجانسة الثقافية، بحيث تنهار الثقافات القومية المتنوعة، ويظهر عالم تهيمن عليه القيم والرموز الغربية، لأن الدول الغربية تسيطر على تكنولوجيا الاتصال التي تمتلك اليوم مفاتيح الثقافة، فنجحت بذلك في نشر ثقافتها عبر المحيطات والقارات والترويج لأفكارها وقيمها الثقافية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية على حساب الثقافات الوطنية، وحسب ما قال الاستاذ "برهان غليون" تؤدي العولمة الثقافية الى تضائل وزن الثقافات الوطنية ونفوذها نتيجة تزايد حجم الثقافات الأقوى في فضاء مفتوح، و أضاف في هذا الشأن الدكتور التويجري بأن العولمة لا تقيم إعتبارا للهويات الثقافية والحضارية لشعوب العالم، فحن نعيش اليوم تحت سيطرة عظمى للثقافة الغربية، خاصة نزعتها الاستهلاكية، في عالم معولم، مما أدى الى ظهور مشكلة مدى قدرة الأشخاص الذين ينتمون الى الحضارات الأكثر تهميشا على مقاومة التأثير الغربي، نتيجة ما قد يؤدي اليه عدم التماثل بين الغرب والبلدان الأخرى من تدمير للثقافات المحلية (كالشعر، الموسيقى، الرقص، والعادات الغذائية وغيرها) والذي من شأنه أن يفقر المجتمعات غير الغربية من الناحية الثقافية، فهناك مخاوف حقيقية من أن تكتسح الثقافة الغربية، بما فيها الوجبات الغذائية السريعة والموسيقى الصاخبة، التقاليد المحلية، كما تعد هذه المخاوف مخاطر حقيقية لا شك فيها و يكون من الصعب التخلص منها، لأنه لا يمكن وقف عولمة التجارة والاقتصاد، لأن التجارة الدولية تحظى بترحيب العديد من البلدان لما قد تعود به لهم من فوائد اقتصادية، كما أنه من الصعب أيضا مقاومة قوى التبادل الاقتصادي وتقسيم العمل في عالم متفاعل ٢ فالمنتجون الكبار بإمكانهم الاستفادة من اقتصاديات الانتاج الواسع النطاق الذي يميز الكثير من الصناعات الثقافية خاصة الأفلام وغيرها من المنتجات السمعية البصرية، نتيجة انتمائهم الى بلدان أو شركات ذات نفوذ مالي أكثر فتسود منتجاتهم وتغزو الأسواق الكبرى، وعليه يعاقب المنتجون الصغار الأقل قدرة على التمويل الجيد من الاستفادة من اقتصاديات الانتاج الواسع النطاق ٣.

سبق وأن قلنا بأن العولمة تعزز التنوع الثقافي، الذي يعتبر سمة البشرية وضرورة لا مفر منها وتكريسه يضمن التعايش والسلم في المجتمع الدولي المعاصر، إلا أنها تشكل خطرا له من خلال هيمنة الغرب على الثقافات المحلية، ولكن لا يمكننا أن نتصدى للعولمة من خلال بناء جدار سميك لا يمس الثقافات المحلية كأن تحمي المنتجات المحلية بخفض الواردات أو منعها، لأن ذلك يفشل التنوع والخيارات، ومع ذلك فقد حددت بلدان عديدة حصص الانتاج، بحيث حددت البرامج المنتجة محليا في الإذاعة والتلفاز والأفلام السينمائية لضمان حصة دنيا من السوق، ففي هنغاريا مثلا خصصت حصة ١٥٪ للبرامج الوطنية المذاعة في القنوات العامة، إلا أن السياسات النشطة المستندة الى الحصص لا تؤد دائما الى زيادة التنوع والخيار، كما أشار بعض النقاد الى أن الحصص العالية تجعل المنتجين المحليين أكثر اعتمادا على الحصص وأقل اعتمادا على خفض تكاليف الانتاج، و يرى البعض الآخر بأن مثل هذه الحماية يمكن أن تخفض من جودة السلع، مما أدى بدول أخرى الى اعتماد حلول مغايرة لمواجهة السلع الثقافية الأجنبية دون أن تقوم بمنع الروابط التجارية، على سبيل المثال تقدم الأرجنتين حوافز مالية لمساعدة الصناعات المحلية، بما في ذلك التخفيضات الضريبية ٤، وعليه فنحن نعتقد بأنه التدبير المناسب لحماية المنتجات المحلية من هيمنة المنتجات الأجنبية، لأننا لا يمكن أن نعيش منعزلين عن العالم المعولم الذي فتح الحدود لانتقال السلع والقيم والأفكار والتبادلات التجارية، وهذا تدعيما لمقولة المهاتما غاندي "لا أريد أن يكون منزلي محاطا بالجدران من كل الجوانب، ونوافذي مسدودة، أريد أن تهب ثقافات كل الأوطان على منزلي، من جميع الجهات وبكل حرية لكنني أرفض أن يقتلني أحد من جذوري"، كما جاء كل من اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي، واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي، من أجل حماية التنوع الثقافي من مخاطر العولمة، فهما يؤكدان على خصوصية المنتجات الثقافية المغايرة عن غيرها من المنتجات لأنها تتعلق بالقيم والهوية، كما أكدت الاتفاقية المتعلقة بحماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي على ضرورة التعاون بين الدول لإنتاج صناعات ثقافية تصمد أمام المنافسة، من أجل التصدي لمسألة غزو الصناعات الثقافية الغربية للأسواق واحلالها محل المنتجات المحلية، واحترام الخصوصيات الثقافية، وقد سبق وأن بينا ذلك عند توضيحنا للمبادئ التي جاءت بها هذه الاتفاقية.

-
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ١٢١.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، تقرير اليونسكو العالمي_الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات المرجع السابق، ص ٦.
- حواس محمود، التكنولوجيا والعولمة الثقافية، المنارة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٨٨، ٨٩.
- د. التويجري عبد العزيز بن عثمان، المرجع السابق، ص ٢٤.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤، المرجع نفسه، ص ٢٠٢.
- نفس المرجع، ص ١٢، ٨٥، ٩٨، ٣.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، تقرير اليونسكو العالمي_الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات_المرجع نفسه، ص ٦.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ٩٨، ٤.

خاتمة:

يعد التنوع الثقافي سمة البشرية، و لا مجال لتفديده، و وسعت من انتشاره عدة عوامل منها نمو الهجرة الدولية، السياحة الدولية، وذلك من خلال تواجد أشخاص من مجتمعات مختلفة ذوي ثقافات مغايرة من معتقدات، أديان، طرق عيش، عادات وتقاليد، إضافة الى العولمة التي أدت الى فتح الحدود لانتقال السلع والاشخاص والافكار والقيم، والى زيادة الاحتكاكات بين الأشخاص من ثقافات متنوعة، وفي الوقت نفسه أدت التبادلات التجارية الى فتح المجال لتبادل المنتجات الثقافية، فجعلت المنتجات الغربية هي المسيطرة على السوق، فمن منا لم تصله الموسيقى الغربية الصاخبة أو المأكولات السريعة، إضافة الى الافلام الامريكية التي هددت المنتجات المحلية لمعظم دول العالم بما فيها الدول المتقدمة كالدول الأوروبية، وعليه كان من الضروري وجود وثيقة دولية تكبح غزو الثقافة الغربية على حساب الثقافات المحلية، والمتمثلة في اتفاقية حماية وتعزيز تنوع اشكال التعبير الثقافي، و التي أكدت على ما جاء في اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي، كما أن تعزيز احترام تنوع الثقافات والتسامح والحوار والتعاون الذي دعى إليه الصكين المذكورين أعلاه من شأنه أن يضمن السلام والأمن الدوليين، وهذا ما أكدته ديباجة اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي، كما أشارت هذه الأخيرة الى أنه حتى وإن كانت العولمة تشكل خطرا على التنوع الثقافي، إلا أنها تهيئ الظروف الملائمة من أجل إقامة حوار متجدد فيما بين الثقافات والحضارات.

قائمة المراجع:

أ/ الكتب:

١/- د.التويجري عبد العزيز بن عثمان، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، طبعة ٢، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيكو-المغرب، ٢٠١٥.

٢/- أ. حواس محمود، التكنولوجيا والعولمة الثقافية، المنارة، بيروت، ٢٠٠٣.

ب/المقالات:

١/ ابراهيم أبراش، في عصر العولمة تتجدد تساؤلات عصر النهضة، العرب وتحديات عصر العولمة المستقبل العربي، العدد ٣٣٧، السنة ٢٩، ٢٠٠٧.

٢/أ.د جمعة حسين، ثقافة الحوار مع الآخر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٤، العدد ٣ و٤، ٢٠٠٨.

ج/المحاضرات

أ.مرزوقي عبد الحليم، محاضرات في المجتمع الدولي ألقبت على طلبة السنة الأولى ليسانس حقوق جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٣.

٢٠١٨/٠٤/٢٤ elearn.univ-biskra.dz<resource>view.consulté le متوفر على الموقع التالي:

د/الرسائل الجامعية:

١/- بلحنافي فاطمة، مبادئ القانون الدولي الثقافي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الدولي والعلاقات السياسية الدولية، جامعة وهران ٢ محمد بن أحمد، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٦.

٢/- منيغر سناء، التنوع الثقافي من منظور الامن المجتمعي، رسالة ماجستير في القانون العام، جامعة سطيف ٢، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٤.

المؤتمرات الدولية:

١/- سميح الزين أميمة، التنوع الثقافي...إثراء انساني أم صدام حضاري، أعمال المؤتمر الدولي الثامن للتنوع الثقافي، ٢١-٢٣ ماي، طرابلس ٢٠١٥. متوفر على الموقع: www.jilrc.com تاريخ الاطلاع ٢٢/٠٤/٢٠١٨.

الوثائق الدولية:

التقارير الدولية ووثائق أخرى:

١/_ برنامج الأمم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤.

٢/-منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، تقرير اليونسكو العالمي_الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات.

-كويشير وماتسورا، الرهان الثقافي في صلب العلاقات الدولية، ترجمة عياش سلمان.

-disponible sur le site :www.diplomatie.gov.fr, consulté le ١٦/٠٤/٢٠١٨.

المواثيق الدولية:

١-العهد الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦.

٢-اتفاقية حماية وتعزيز تنوع اشكال التعبير الثقافي لسنة ٢٠٠٥.

٣-الاعلان العالمي لحقوق الانسان ١٩٤٨.

٤-اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي.

الفهرس

المواطنة والمسؤولية المجتمعية

كخيار متقدم للدولة المدنية

مقاربة مع أطروحات الأوراق النقاشية الملكية

د. ماجد عبد العزيز الخواجا

المواطنة والمسؤولية المجتمعية كخيار إنساني ((مقاربة مع أطروحات الأوراق النقاشية الملكية))

Citizenship and Community Responsibility as a Human Option (Approach to the Papers of the Royal Discussion Papers)

تقدمة

" يفكر الوطني بالأجيال القادمة أما السياسي فيفكر بالانتخابات القادمة "

" اجتماع السواعد يبني الوطن واجتماع القلوب يخفف المحن "

" بعض الأوطان هكذا.. الدخول إليه صعب، الخروج منه صعب، البقاء فيه صعب، وليس لك وطن سواه "

" الوطن ليس جغرافيا وحدود فقط بقدر ما هو حضارة وتاريخ "

تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن المواطنة " علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات وتسبغ عليه حقوقاً سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة . وميزت دائرة المعارف البريطانية بين المواطنة والجنسية التي غالباً ما تستخدم في إطار الترادف إذ أن الجنسية تضمن بالإضافة إلى المواطنة حقوقاً أخرى مثل الحماية في الخارج. في حين لم تميز الموسوعة الدولية وموسوعة كولير الأمريكية بين الجنسية والمواطنة، فالمواطنة في (الموسوعة الدولية) هي عضوية كاملة في دولة أو بعض وحدات الحكم، وتؤكد الموسوعة أن المواطنين لديهم بعض الحقوق مثل حق التصويت وحق تولي المناصب العامة وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم. وفي موسوعة (كولير) الأمريكية المواطنة هي "أكثر أشكال العضوية اكتمالاً في جماعة سياسية ما "

في الاصطلاح فالوطنية تأتي بمعنى حب الوطن Patriotism وتشير الى مشاعر الحب والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية ، أما المواطنة Citizenship فهي صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية ، وتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود. كما تعرف المواطنة بأنها مجموعة الحقوق والواجبات لفرد له دور وظيفي ونشط في الدولة، لديه مسؤوليات لتنمية المجتمع وصيانتته وحمايته. ولقد اقترن مبدأ المواطنة بحركة نضال التاريخ الإنساني من أجل العدل والمساواة والإنصاف.

المواطنة مساحة واسعة بوسع الوطن، فالوطن هو الإطار الأوسع الذي يجمع الأفراد من أديان وطوائف وفرادى، ويجمع قوميات مختلفة، ويجمع كيانات حزبية وسياسية ونقابية وجماعية. فالوطن بهذا المعنى أشمل من الأديان والقوميات والانتماءات السياسية. الأردن على سبيل المثال، وطن المسلمين والمسيحيين، ووطن العرب والشركس والشيشان والأكراد، ووطن كل الكيانات المجتمعية السياسية والثقافية.

مما تقدم فإن جميع الأردنيين هم مواطنون أردنيون، يملكون هوية الوطن وينتمون إليه، ويمثلونه في كل محفل إقليمي أو دولي، سياسي أو ثقافي أو اقتصادي.

مشكلة الدراسة : ما دور المواطنة في تنمية الحس بالمسؤولية المجتمعية ؟

أهداف الدراسة : تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف البحثية الآتية:

تعرف مفهوم المواطنة.

تعرف مفهوم المسؤولية المجتمعية.

تعرف الأوراق النقاشية الملكية .

تعرف دور المواطنة في تنمية الحس بالمسؤولية المجتمعية.

مقاربة أطروحات الأوراق النقاشية في ترسيخ المواطنة والمسؤولية المجتمعية.

أهمية الدراسة : تجيء هذه الدراسة لتبحث في إمكانية نشر ثقافة المواطنة والمسؤولية المجتمعية في الدولة بما يكفل صون الحريات وتكريس قيم الحقوق والواجبات ومفاهيم العدالة والمساواة أمام القانون والتوزيع العادل للموارد والحفاظ على مقدرات الوطن باعتبارها ملكاً جماعياً، وأيضاً فإن ما يجري من فتن طائفية ومذهبية وعنصرية وجهوية وفوقها كل ذلك الفعل الموسوم بالإرهاب للمجتمعات والذي يعاني منه العالم بأسره وبصورة مكثفة وعميقة الأثر في منطقتنا العربية، هذه الأحداث والوقائع أكدت أن لا خيار أمام الدول إلا أن تتبنى إرساء المواطنة فكراً وممارسة ، بما يسهم في استقرارها ونموها والحد من التوترات والأزمات التي يمكن لها أن تهدم أركان الدولة.

من هنا تجيء أهمية هذه الدراسة لتبحث في سبل نشر ثقافة المواطنة والمسؤولية المجتمعية مع إلقاء الضوء على الأوراق النقاشية الملكية التي أكدت في جميعها على مثل هذه المفاهيم والدعوة إليها.

الباب الأول / مفهوم المواطنة :

تعددت المصادر التي عرفت المواطنة حيث هناك تعريف للموسوعة العربية العالمية بأن المواطنة هي اصطلاح يشير إلى انتماء الفرد إلى أمة أو وطن ومن هنا فإن مواطنة هي مصدر الفعل "واطن" بمعنى شارك في المكان إقامة ومولداً.

ذهب سياسيون إلى أن المواطنة ليست فقط هي العلاقة بين فرد ودولة ، وإنما هي : (ممارسة سلوكية تنعكس على المواطنين جميعاً، بموجبها يدرك الجميع أهمية جميع المواطنين على قدم المساواة ، دون تمييز بينهم بسبب الدين والمذهب والعرق والجنس).

إن المفهوم الحديث للمواطنة يفترض وجود مجتمع مدني وسياسي ومجموعة من الحقوق والالتزامات ، ونسق أخلاقي يحض على المشاركة والتضامن، وقد تعددت الرؤية حول مفهوم المواطنة فمنهم من رأى أنها المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، ومنهم من رأى أنها خلق المواطن الصالح، وآخرون قالوا أن المواطنة هي مرادف للديمقراطية، ومنهم من رأى حقه المشروع في إدارة شؤون الدولة والمشاركة السياسية وحق تقرير المصير.

مبدأ المواطنة يترسخ بالتمييز بين نوعين من الحقوق هما: الحقوق المدنية والحقوق السياسية الأولى، تهدف إلى تمكين الإنسان من العيش والحياة كمواطن داخل بلده بحكم عضويته في الجماعة السياسية، أي عضويته في المكون البشري للدولة، وهي حقوق يجب أن يكون في مقدور كل إنسان أن يمارسها بحرية دون تدخل من الغير أو من الدولة طالما أنه لم يرتكب ما يخالف القانون مثل حرية الرأي والتعبير وحق الملكية. أما الثانية، فهي أكثر فاعلية، فهذه الحقوق تضمن لصاحبها المساهمة الإيجابية في ممارسة السلطات العامة في بلاده وذلك من خلال المشاركة في مؤسسات الحكم السياسية والقانونية والدستورية، ولا تكون المواطنة إلا لمن يكون له، طبقاً للدستور والقانون، هذا النوع الثاني من الحقوق. هنا يتأكد لنا أن المواطنة مقترنة بحق المشاركة، بمفهومه العام في كل ما يتعلق بالوطن، وبمفهومه الخاص أي المشاركة في الحكم، أي أن يكون الإنسان طرفاً معترفاً به في حكم بلاده وفي إدارة شؤونها، وألا يكون محروماً أو معزولاً عن ممارسة هذا الدور. فالأفراد المقيمون على أرض الدولة والذين يجبرون على الانصياع للأوامر الصادرة دون أن يسهموا بشكل ما في إعدادها وإصدارها هم من الأجانب، فهؤلاء السكان مع إمكانية تمتعهم بالحقوق المدنية لا يمكن اعتبارهم مواطنين، أي أعضاء أصلاء في الجماعة السياسية ممن يساهمون في توجيه وإدارة حياتها السياسية.

تترجم كلمة المواطنة في بعض المعاجم العربية، بأنها الاسم الذي يطلق على حقوق وواجبات المواطن، وكلمة المواطن وفق المفهوم الغربي الذي اشتق منه، هو الفرد الذي ينتمي لدولة معينة، ويقوم فيها بشكل معتاد ولو لم يولد بها كحالة اكتساب الجنسية، ويحدد الدستور والقوانين العلاقات بين المواطن والدولة وتشمل الحقوق والحريات والامتيازات التي يتمتع بها المواطن، وواجباته ومسؤولياته والتزاماته تجاه وطنه، وبالتالي يمكن القول بأن المواطنة تعني الروابط القانونية والسياسية التي تجمع الفرد المواطن بوطنه.

لا بد من توفير البيئة الاجتماعية والسياسية المناسبة لسلامة تطبيق المواطنة، بمعنى أن نتمكن من نقل الدولة، من دولة العصبية إلى دولة المؤسسات، وتلك مهمة تفترض بنية قانونية وسياسية واقتصادية واجتماعية.

هناك في بعض الدول العربية أفراد يسكنون في بلد ما أباً عن جد ويحملون أوراقه ويخدمون علمه ومع ذلك فهم محرومون من بعض حقوقهم ، ولا يتمتعون بحقوق المواطنة . إن مصدر قوة الامم التي تتمسك اليوم بالحياة الديمقراطية لشعوبها يعود الى ابتداء مبدأ المواطنة الذي يعتمد بدوره على المشاركة الواعية لكل مواطن من دون استثناء بعيداً عن أية وصاية في مهمة بناء وطن لجميع سكانه. في القرن الحادي والعشرين شهد مفهوم المواطنة تطوراً نحى به منحى العالمية وتحددت مواصفات المواطنة الدولية على النحو الآتي:

الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة Recognize the existence of different cultures

احترام حق الغير وحرية Respect for the rights and freedoms of others

الاعتراف بوجود ديانات مختلفة Recognize the existence of different religions

تفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة Understanding and activating different political ideologies

فهم اقتصاديات العالم Understanding the economics of the world

الاهتمام بالشؤون الدولية Attention to international affairs

المشاركة في تشجيع السلام الدولي Participate in the promotion of international peace

المشاركة في إدارة الصراعات بطريقة اللاعنف Participate in non-violent conflict management

إن هذه المواصفات لمواطن القرن الواحد والعشرين يمكن فهمها بشكل أفضل في صورة كفاءات تنميها مؤسسات المجتمع لتزيد فاعلية الارتباط بين الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي والمحلي والقومي والدولي ويكون ذلك بتنمية قدرات معينة للتفكير تحسم وتنظم في الوقت نفسه الاختلافات الثقافية ، ومواجهة المشكلات والتحديات كأعضاء في مجتمع عالمي واحد.

ويستند هذا المنحى في إرساء مبدأ المواطنة العالمية على ركيزتين : الأولى: عالمية التحديات Global challenges في طبيعتها كعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية ، والامتلاك غير المتساوي لتقنيات المعلومات وانخفاض الخصوصية ، والتدهور البيئي وتهديد السلام. الثانية: أن هناك أمماً ومجتمعات ذات ديانات وثقافات وأعراف وتقاليد ونظم مختلفة . ولقد أسفرت عن تفاعلات جدية تتلخص في صياغة عناصر جديدة للمواطنة ، وتأسيس مصطلح جديد في الخطاب المعاصر هو (المواطنة العالمية Global citizenship) من خلال العناصر الآتية:

الإحساس بالهوية Sense of identity

التمتع بحقوق معينة Enjoy specific rights

المسؤوليات والالتزامات والواجبات Responsibilities, obligations and duties

مسؤولية المواطن في الشؤون العامة. Responsibility in public affairs.

قبول قيم اجتماعية أساسية Accepting social values

وعلى الرغم مما وصل إليه مفهوم المواطنة من وضوح في الفكر الغربي المعاصر إلا أنه ما زال يشهد في الوعي العربي بعض التداخلات مع مفهوم الانتماء ، ويقتضي ذلك وفق أهداف الدراسة التأصيل النظري لمفهوم الانتماء .

مفهوم الانتماء belonging: يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب لكيان ما يكون الفرد متوحداً معه مندمجاً فيه، باعتباره عضواً مقبولاً وله شرف الانتساب إليه، ويشعر بالأمان فيه، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن، وهذا يعني تداخل الولاء مع الانتماء والذي يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان الذي ينتمي إليه، ويمكن تصنيف الانتماء إلى:

انتماء حقيقي True affiliation يكون فيه لدى الفرد وعي حقيقي لأبعاد الموقف، والظروف المحيطة بوطنه داخلياً وخارجياً، ويكون مدركاً لمشكلات وقضايا وطنه، وقادراً على معرفة أسبابها الحقيقية وطبيعة هذه المشكلات، وموقفه منها،

والاكتراث بأرائها ونتائجها، ويكون المنتمي هنا مع الأغلبية ويعمل لصالحها، ويؤمن بأن مصلحة الأغلبية والعمل من أجل الصالح العام وسلامة المجتمع ونموه وتطوره، هو الهدف الذي يجب أن يسمو على الفردية والأناثية.

انتماء زائف False affiliation : هو ذلك الانتماء المبني على وعي زائف، بفعل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي قد تشوه حقيقة الواقع في عقول المواطنين، وبالتالي قد تصبح رؤيتهم للأمور والمواقف غير حقيقية وغير معبرة عن الواقع الفعلي، ومن ثم يصيح الوعي والإدراك لهذا الواقع وعياً مشوهاً وبالتالي ينبثق عنه انتماء زائف ضعيف.

انتماء لفئة بعينها Belonging to a specific category وهنا يعمل الفرد على مصالح الفئة التي ينتمي إليها دون سواها من الفئات داخل المجتمع الواحد، وبالرغم من أن وعيه بها وعي حقيقي وانتماء لها انتماء حقيقي، إلا أنه قياساً على انتمائه للمجتمع ككل فهو وعي غير حقيقي وانتماء غير حقيقي، لأنه يعمل وينتمي لجزء من الكل فقط، فلا يعي ولا يدرك ولا يعمل إلا لصالح هذا الجزء ، ويترتب على ذلك آثار وخيمة من تفتيت لبنية المجتمع وربما كان سبباً لوجود الصراع بين فئاته، ويزداد حدة كلما ازدادت الهوة بين هذه الفئات والمحصلة النهائية تدهور المجتمع وتفككه، إذ ستعمل كل فئة في الغالب الأعم لصالحها هي فقط ، ولو على حساب غيرها من الفئات.

المواطنة هي الدائرة الأوسع التي تستوعب مختلف الانتماءات في المجتمع كما أنها تضع من المعايير التي تلزم الأفراد بواجبات والتزامات معينة تحقق الاندماج والتشاركية في تحقيق مصالح الأفراد والوطن من ناحية، ومن ناحية أخرى تسمو المواطنة وسبل تكريسها بالمسؤولية العامة والأهداف الوطنية التي يمكن تحقيقها من خلال أطر رسمية وبنية وعي مخطط لها ويتم الإشراف عليها وتقييمها من قبل أجهزة الدولة والمحاسبة على الإخلال بمبادئها من خلال مؤسسات الدولة كل حسب تخصصها وطبيعة عملها، في حين أن الانتماء يلعب الدور الأساس في تشكيله العديد من القوى الأيديولوجية والثقافية والاجتماعية التي قد لا يمكن السيطرة عليها، إذ يتم ذلك في الأسر والقبائل والعشائر، و من خلال الدوائر الفكرية والدينية الأخرى التي ربما تقضي في بعض الأحيان إلى ممارسات مناوئة لمبدأ المواطنة ذاته . ومن ثم تعد المواطنة هي البوتقة التي تضمن انصهار جميع الانتماءات لصالح الوطن ضمن أطر نظامية ومن خلال الالتقاء على أرضية المصلحة الوطنية العامة، ويتم ذلك بناء على معطيات الفكر العالمي من خلال الأبعاد الآتية: الهوية Identity - الانتماء Affiliation - التعددية وقبول الآخر Pluralism and acceptance of the other - الحرية والمشاركة السياسية Freedom and political participation

المساواة وتكافؤ الفرص : Equality and equal opportunities

لا تتحقق المواطنة إلا بتساوي جميع المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات، وتتاح أمام الجميع نفس الفرص، ويعني ذلك التساوي أمام القانون الذي هو المرجع الوحيد في تحديد تلك الحقوق والواجبات، وإذا كان التساكن والتعايش والشراكة والتعاون من العناصر الأساسية التي يفترض توفرها بين المشتركين في الانتماء لنفس الوطن، فإنها تهتز وتختل في حالة عدم احترام مبدأ المساواة، مما يؤدي إلى تهديد الاستقرار، لأن كل من يشعر بالحيث، أو الحرمان دون حق مما يتاح لغيره، وتتعلق في وجهه أبواب الإنصاف، يصبح متمرداً على قيم المواطنة، ويكون بمثابة قنبلة موقوتة قابلة للانفجار بشكل من الأشكال. ولحماية مبدأ المساواة بين جميع المواطنين والمواطنات داخل المجتمع الذي تتناقض فيه المصالح والأغراض، فإنه لا بد من وجود ضمانات قانونية وقضاء مستقل وعادل يتم اللجوء إليه من طرف كل من تعرضت حقوقه للمس أو الانتهاك من لدن الآخرين سواء كانوا أشخاصاً طبيعيين أو اعتباريين.

المشاركة في الحياة العامة Participation in public life: يتجلى مبدأ المواطنة، من المشاركة الفعلية للمواطنين والمواطنات في الحياة العامة، الأمر الذي يتطلب توفر استعدادات حقيقية لدى كل المشتركين في الانتماء للوطن، وهذه الاستعدادات لا تتوفر إلا في حدود ضيقة في ظروف قمع الحريات، ومصادرة الفكر المتحرر من التبعية والخنوع، وفي ظل الأنظمة التي تناهض العمل السياسي الذي يحمل رؤية انتقادية، أو موقف معارض للحكام وللسياسات المتبعة، والمشاركة في الحياة العامة تعني أن إمكانية ولوج جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية متاحة أمام الجميع دون أي تمييز، والمشاركة بالمفهوم الواسع المبين أعلاه، تعني توفر فرص الانخراط التلقائي في مختلف مجالات الحياة العامة وحقوقها، ولذلك فهي تختلف عن الإشراف الذي ينطوي على مفهوم المنح من سلطة عليا تحكم بأمرها، لرعايا تابعين خاضعين لنفوذها، لأن الإشراف بهذا المعنى يتناقض مع مفهوم المواطنة ويتعارض مع مقوماتها.

الولاء للوطن loyalty to the homeland : ويعني الولاء للوطن أن الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه تسمو عن العلاقات القبلية والعشائرية والحزبية، ولا خضوع فيها لإسادة القانون، وأن هذه الرابطة لا تنحصر في مجرد الشعور بالانتماء وما يطبع ذلك من عواطف، وإنما تتجلى إلى جانب الارتباط الوجداني، في إدراك واعتقاد المواطن بأن هناك التزامات وواجبات نحو الوطن لا تتحقق المواطنة دون التقيد الطوعي بها.

التربية على المواطنة Citizenship education: إذا كان التعلق العاطفي بالوطن يوجد لدى الإنسان بالفطرة، فإن الوعي بمقومات المواطنة، وما يتبعه من إحساس بالمسؤولية، والتزام بالواجبات نحو الوطن، يكتسب بالتعليم والتأهيل، عن طريق الأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والثقافة، والمجتمع، وإذا كانت كل هذه القنوات تتكامل أدوارها في إشباع الأجيال بقيم المواطنة، فإن النتائج لابد وأن تكون ملموسة في تسريع وتيرة ارتقاء المجتمع وتحضره.

يحدد المكتب الدولي للتربية (B.I.E)، أربعة أبعاد للتربية على المواطنة وهي:

حقوق الإنسان human rights: كونية حقوق الإنسان، والمساواة في الكرامة، والانتماء إلى المجتمع.

الديموقراطية Democracy: إعداد الفرد للحياة السياسية والمدنية.

التنمية Development : إكساب اليافعين والشباب الكفاءات والمؤهلات الضرورية لمواكبة التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية لمحيطهم، ومقومات التنمية المستدامة.

السلام Peace: كنتيجة وسيرورة المواطنة المستمدة من حقوق الإنسان، والهادفة للتنمية المستدامة.

إن من أبرز أسباب ومظاهر التخلف Underdevelopment في معظم بلدان العالم الثالث، النقص في التربية على المواطنة، وما يترتب عن ذلك من ضعف الإحساس بالمسؤوليات والالتزامات تجاه الوطن؛ وإذا كان من الممكن تبرير اقتران هذه الظاهرة السلبية بأشخاص لم يلجوا المدرسة، أو انقطعوا عنها في مستويات متدنية، فإنه من الغريب أن تقتصر بأشخاص يُفترض أنهم من النخبة، بالنظر لمستوياتهم التعليمية، ومواقعهم المهنية والاجتماعية، والتزام الأفراد بمقومات المواطنة يرتبط بالسلوك الحضاري الذي قد يتحلى به أحيانا مواطن عادي ولو لم يثل حظه الكافي من التعليم، وقد لا يتحلى به شخص حاصل على شهادات عليا ومتحمل لإحدى المسؤوليات في الدولة. إننا نرى أشخاصا يرددون كلمة المواطنة كشعار، ولا يترجمون في سلوكهم اليومي ما تفرضه المواطنة الحقيقية من واجبات والتزامات، كمن تسيطر عليهم الأنانية الذاتية فيعيشون لأنفسهم فقط، ويعتبرون أن الوطن يجب أن يوفر لهم ما يحتاجون إليه من خدمات عامة متنوعة دون أن يساهموا بأي عمل لصالح هذا الوطن، أو الذين يتهربون من أداء الضرائب، أو يتعمدون الغش في نشاطهم المهني، أو يستغلون مواقع النفوذ للارتشاء وممارسة المحسوبية والزيائية، وتشجيع الوصولية، أو ينهون المال العام، أو يستغلون الممتلكات العمومية لمصلحتهم الخاصة، أو يهربون الأموال إلى خارج البلاد. ثم يزعم أنه رمز للمواطنة.

الباب الثاني / المسؤولية المجتمعية:

المسؤولية الاجتماعية Social Responsibility هي نظرية أخلاقية بأن أي كيان، سواء كان منظمة أو فرد، يقع على عاتقه العمل لمصلحة المجتمع ككل المسؤولية الاجتماعية هي أمر يجب على كل منظمة أو فرد القيام به للحفاظ على التوازن ما بين الاقتصاد والنظام البيئي أو النظام الإيكولوجي. المسؤولية الاجتماعية هي أمر لا يختص فقط بمنظمات الأعمال بل هي شأن كل فرد تؤثر أفعاله على البيئة. هذه المسؤولية يمكن أن تكون سلبية، عبر الامتناع عن الانخراط في أفعال ضارة، أو إيجابية، من خلال القيام بأفعال تحقق من أهداف المجتمع بشكل مباشر.

عرف البنك الدولي مفهوم المسؤولية المجتمعية Community responsibility على أنها التزام أصحاب النشاطات التجارية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع موظفيهم وعائلاتهم ومجتمعهم المحلي لتحسين مستوى معيشة الناس بأسلوب يخدم التجارة ويخدم التنمية في آن واحد.

لم يكن مفهوم المسؤولية الاجتماعية في النصف الأول من القرن العشرين معروفا بشكل واضح، حيث تحاول المنشآت جاهدة تعظيم أرباحها وبشتى الوسائل، ولكن مع النقد المستمر الحاصل لمفهوم تعظيم الأرباح فقد ظهرت بوادر لأن تتبنى المنشآت دورا أكبر تجاه البيئة التي تعمل فيها.

وفي هذا الإطار فقد عرف (Drucker, 1977) المسؤولية الاجتماعية بأنها: "الالتزام المؤسسة اتجاه المجتمع الذي تعمل فيه"، وقد شكل هذا التعريف حجر الزاوية للدراسات اللاحقة وفتح الباب واسعا لدراسة هذا الموضوع باتجاهات مختلفة. كما تم تعريفها من قبل مكتب العمل الدولي بأنها: " طريقة تنظر فيها المنشآت في تأثير عملياتها في المجتمع و تؤكد مبادئها وقيمها في أساليبها وعملياتها الداخلية وفي تفاعلها مع قطاعات أخرى". وعرف مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة المسؤولية الاجتماعية بأنها: " الالتزام المستمر من قبل مؤسسات الأعمال بالتصرف أخلاقيا والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والعمل على تحسين نوعية الظروف المعيشية للقوى العاملة وعائلاتهم، إضافة إلى المجتمع المحلي والمجتمع ككل".

والمسؤولية المجتمعية هي شراكة قائمة بين مؤسسات القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المختلفة لتحقيق التنمية المستدامة في الجوانب التعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية. ومن أجل أن تطور مفهوم المسؤولية المجتمعية يجب علينا أن نهتم بتنميتها في مؤسسات المجتمع ومنها الأسرة إذ تعد الأسرة الركن الأول في غرس قيم المسؤولية المجتمعية لدى الأبناء.

ويعد دور مؤسسات الإعلام في تشكيل وتنمية المسؤولية المجتمعية فاعلا وهاما من خلال طرح مواضيع ذات علاقة بالمسؤولية المجتمعية وإبراز دور المؤسسات التي تساهم في هذا المجال، إضافة لدوره الكبير في نشر التجارب الناجحة في المجتمع. وللجامعات دور في تشكيل وتنمية المسؤولية المجتمعية من خلال تدريسها في الكليات وإعداد البحوث وبرامج النشاط الطلابي المناسبة بالشراكة مع مؤسسات المجتمع الأخرى كما أن الجامعات تستطيع أن تنظم المؤتمرات العلمية لتطوير المسؤولية المجتمعية، وللقطاع الخاص دور مؤثر ومعزز في تنمية المسؤولية المجتمعية من خلال التنمية الوطنية المستدامة والجهود التي يقدمها ويساهم فيها ولكن مفهوم المسؤولية المجتمعية غير حاضر بشكل فاعل في مؤسسات القطاع الخاص.

جاء بروز وتنامي مفهوم المسؤولية الاجتماعية نتيجة العديد من التحديات كان من أهمها:

العولمة : وتعد من أهم القوى الدافعة لتبني المنظمات لمفهوم المسؤولية الاجتماعية، حيث أضحت العديد من الشركات متعددة الجنسية (Multinational Companies (MNCs ترفع شعار المسؤولية الاجتماعية، أصبحت تركز في حملاتها الترويجية على أنها تهتم بحقوق الإنسان، وأنها تلتزم بتوفير ظروف عمل آمنة للعاملين، وبأنها لا تسمح بتشغيل الأطفال، كما أنها تهتم بقضايا البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية.

تزايد الضغوط الحكومية والشعبية : من خلال التشريعات التي تنادي بضرورة حماية المستهلك والعاملين والبيئة، الأمر الذي قد يكلف المنظمة أموالاً طائلة إذا ما رغبت في الالتزام بتلك التشريعات، وبخلاف ذلك قد تتعرض للمقاطعة والخروج من السوق بشكل عام.

الكوارث والفضائح الأخلاقية: حيث تعرضت الكثير من المنظمات العالمية لقضايا أخلاقية، مما جعلها تتكبد أموالاً طائلة كتعويضات للضحايا أو خسائر نتيجة المنتجات المعيبة.

التطورات التكنولوجية المتسارعة : والتي صاحبها تحديات عديدة أمام منظمات الأعمال فرضت عليها ضرورة الالتزام بتطوير المنتجات، وتطوير مهارات العاملين، وضرورة الاهتمام بالتغيرات في أذواق المستهلكين و تنمية مهارات متحدي القرار. خاصة في ظل التحول من الاقتصاد الصناعي إلى اقتصاد قائم على المعلومات والمعرفة، وزيادة الاهتمام برأس المال البشري بدرجة أكبر من رأس المال المادي.

وبالتالي نجد انه مع تغير بيئة العمل العالمية، فإن متطلبات النجاح والمنافسة تغيرت أيضا. إذ أصبح لزاماً على منظمات الأعمال أن تضاعف جهودها، وان تسعى نحو بناء علاقات استراتيجية أكثر عمقاً مع المستهلكين والعاملين وشركاء العمل ودعاة حماية البيئة والمجتمعات المحلية والمستثمرين، حتى تتمكن من المنافسة والبقاء في السوق .

تعريف مجلس الأعمال العالمي للمسؤولية المجتمعية: الالتزام المستمر من قبل مؤسسات الأعمال بالتصرف أخلاقياً والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والعمل على تحسين نوعية الظروف المعيشية للقوى العاملة وعائلاتهم، إضافة إلى المجتمع المحلي والمجتمع ككل.

تعريف مؤسسة العمل الدولية للمسؤولية المجتمعية : هي المبادرات الطوعية، التي تقوم بها المؤسسات، علاوة على ما عليها من التزامات قانونية. وهي طريقة تستطيع أن تنظر بها أية مؤسسة في تأثيرها على جميع أصحاب المصلحة المعنيين، وتعد المسؤولية المجتمعية للمؤسسات تكملة للوائح الحكومية، أو السياسة المجتمعية، وليست بديلاً عنهما.

تعريف منظمة الأيزو للمسؤولية المجتمعية: هي الأفعال التي تقوم بها المؤسسة، لتحمل مسؤولية آثار أنشطتها، على المجتمع والبيئة، حيث تكون هذه الأفعال متماشية مع مصالح المجتمع والتنمية المستدامة، وتكون قائمة على السلوك الأخلاقي، والامتثال للقانون المطبق والجهات العاملة فيما بين الحكومات.

تعريف المعهد العالمي للفكر الإسلامي للمسؤولية المجتمعية: عبارة عن التزام المنظمة بالمشاركة في عمل الصالحات عند ممارسة أنشطتها تجاه مختلف الأطراف التي لها علاقة بها نتيجة التكليف الذي ارتضته في ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية بهدف النهوض بالمجتمع الإسلامي بمراعاة عناصر المرونة والاستطاعة والشمول والعدالة.

مبادئ المسؤولية المجتمعية:

١- مبدأ الإذعان القانوني: أن تلتزم المؤسسة بجميع القوانين، واللوائح السارية المحلية، والدولية المكتوبة، والمعلنة، والمنفذة طبقاً لإجراءات راسخة ومحددة والإمام بها.

٢- مبدأ احترام الأعراف الدولية: أن تحترم المؤسسة الاتفاقيات الدولية، والحكومية، واللوائح التنفيذية، والإعلانات، والمواثيق، والقرارات، والخطوط الإرشادية، عند قيامها بتطوير سياساتها وممارساتها للمسؤولية المجتمعية.

٣- مبدأ احترام مصالح الأطراف المعنية: أن تقرّ المؤسسة وتتقبل أن هناك تنوعاً بالمصالح للأطراف المعنية، وتنوعاً في أنشطة ومنتجات المؤسسة الرئيسية والثانوية، وغيرها من العناصر، التي قد تؤثر على تلك الأطراف المعنية.

٤- مبدأ القابلية للمساءلة: أن تكشف المؤسسة، وبشكل منتظم، للجهات المتحكمة والسلطات القانونية، والأطراف المعنية، بطريقة واضحة وحيادية وأمينية وإلى حد ملائم السياسات والقرارات والإجراءات – ومن ضمنها الإجراءات التصحيحية – التي تتحمل مسؤوليتها، بشكل مباشر وأيضاً الآثار المتوقعة لما سبق على الرفاهية المجتمعية وعلى التنمية المستدامة.

٥- مبدأ الشفافية: أن تُفصح المؤسسة على نحو واضح ودقيق وتام عن سياساتها وقراراتها وأنشطتها، بما في ذلك التأثيرات المعروفة، والمحتملة على البيئة والمجتمع، وأن تكون هذه المعلومات متاحة للأشخاص المتأثرين، أو المحتمل تأثرهم بشكل جوهري من قبل المؤسسة.

٦- مبدأ احترام الحقوق الأساسية للإنسان: أن تنفذ المؤسسة السياسات والممارسات، التي من شأنها احترام الحقوق الموجودة، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ما هي أهمية المسؤولية المجتمعية بالنسبة للمؤسسات:

١- المؤسسة المسؤولة مجتمعياً تكون فيها مبادئ المساءلة والشفافية والسلوك الأخلاقي، واحترام مصالح الأطراف المعنية، واحترام سيادة القانون مطبقة.

٢- المؤسسة المسؤولة مجتمعياً تلبّي جميع المعايير القانونية المطلوبة لصحة وسلامة المستهلك.

٣- المؤسسة المسؤولة مجتمعياً تحقق التوازن في مستوى السلطة والمسؤولية.

٤- المؤسسة المسؤولة مجتمعياً تشجع المشاركة الفعالة، للعاملين الذكور والإناث، في إتخاذ القرارات.

٥- المؤسسة المسؤولة مجتمعياً تأخذ في الحسبان عوامل، مثل تحقيق الحد الأمثل، من علاقات العمل داخل المؤسسة، والقدرة على الابتكار.

٦- المؤسسة المسؤولة مجتمعياً لا تنخرط في أية ممارسات خادعه للمستهلك.

٧- أن المسؤولية المجتمعية ترفع بالتأكيد من الميزة التنافسية لأي مؤسسة لأنها تضمن استمرارية ثقافة الإبداع، وتجذب وتساهم في المحافظة على الموظفين المؤهلين، كما أنها تدعم الأداء المالي، وهذه العوامل مجتمعة نتيجتها السمعة الطيبة للمؤسسة.

الخطوات المنهجية الخمس لدمج المسؤولية المجتمعية للمؤسسات

١- خلق التوعية والالتزام: قبل البدء بالطريق إلى المسؤولية المجتمعية للمؤسسات، من الضروري خلق توعية في المنظمة كاملة حول المسؤولية المجتمعية؛ وذلك لكسب الالتزام من فريق الإدارة العليا.

٢. التعرف على أصحاب المصالح: تحديد جميع أصحاب العمل وفهم احتياجاتهم وتوقعاتهم والمخاطر هو نقطة البداية الحاسمة للمنظمات التي تريد أن تكون مسؤولة اجتماعياً.

٣. التقييم الذاتي: حسب إطار عمل مؤسسة إدارة الجودة الأوروبية للمسؤولية المجتمعية وذلك بهدف فهم أفضل لمستوى نضج المسؤولية المجتمعية للمنظمة والعمل على التحسين المستمر.

٤. تحسين نشاطات المنظمة: بناءً على مخرجات التقييم الذاتي، يجب على المنظمة تحديد النشاطات التحسينية التي من واجبها مساعدة المنظمة بالتقدم في رحلتها للمسؤولية المجتمعية.

٥. مراجعة و تقديم تقرير عن أداء المسؤولية المجتمعية للمؤسسات: تزود تقارير المسؤولية المجتمعية للمؤسسات نظرة على ماهية عمل المنظمة لأصحاب العمل. كما تزود بمؤشرات وإحصائيات بكل شفافية وذلك لتحسين الصورة الذهنية عن المؤسسة.

يُعد مفهوم المسؤولية المجتمعية مفهوماً حديثاً في المجتمعات العربية، حيث بدأ تداول هذا المصطلح في سنة (٢٠٠٠م) تقريباً وعلى الرغم من ذلك، فإنه مازال هناك خلط في مفهوم المسؤولية المجتمعية داخل قطاع واسع، وبخاصة في الشركات والمؤسسات، كما أن هناك خلطاً بين العمل الخيري (الإحسان والعلاقات العامة) من جهة، والمسؤولية المجتمعية من جهة أخرى، ويمكن توضيح الفرق بين مفهومَي الإحسان والمسؤولية المجتمعية؛ بأن الإحسان غالباً ذو طابع فردي، فيما تتطلب المسؤولية المجتمعية وجود منهجية وخطة نابعة من تقديرات دقيقة لأولويات ومواضيع ذات علاقة بالاحتياجات الفعلية، ولذلك فإن لها ديمومة أكبر، وبالتالي تأثيراً أكثر .

إن المسؤولية يجب أن تقوم على وضع خطة طويلة الأجل ومستمرة لبرامج متعددة ومتنوعة تستهدف تلبية متطلبات المجتمعات التي تعمل فيها هذه الشركات، وليست مجرد جمع أموال للتبرعات، أو لدعم الأعمال الخيرية. المسؤولية المجتمعية ليست صدقةً وعملاً خيرياً فحسب، بل هي استثمار في المجتمع، وتلبية لاحتياجاته المختلفة، بحيث تشمل احتياجاته الإنسانية والضرورية، لتوفير معيشة كريمة ذات طابع تنموي، ويمكن أن تخلق فرص عمل جديدة، أو مشاريع خيرية تمكن الكثيرين من الاستفادة منها .

أطلقت المنظمة الدولية للتوحيد القياسي معيار آيزو (ISO ٢٦٠٠٠) لتوفير الإرشادات التطوعية المستقبلية بشأن المسؤولية المجتمعية ففي عام ٢٠٠١ حددت المنظمة الدولية للتوحيد القياسي الحاجة إلى عمل مواصفة اجتماعية للالتزام بالسياسات الاستهلاكية، وقد تم في عام ٢٠٠٣ تشكيل فريق متخصص عن طريق المنظمة الدولية للتوحيد القياسي؛ لاستكمال صياغة مبادرة موسعة حول المسؤولية المجتمعية، وعقدت المنظمة آيزو (ISO) سنة (٢٠٠٤) مؤتمراً الذي أوصى بتطوير معايير مواصفة الأيزو ٢٦٠٠٠ الخاصة بالمسؤولية المجتمعية.

تعتبر الأيزو شبكة من المواصفات والمعايير الوطنية تتكون من ١٥٦ دولة حاولت فيما بينها الوصول لذلك، وعقدت المنظمة آيزو سنة (٢٠٠٤) مؤتمراً الذي أوصى بتطوير معايير مواصفة الأيزو ٢٦٠٠٠ الخاصة بالمسؤولية المجتمعية.

مفهوم الأيزو: هي تسمية لمواصفة المستقبل الدولية للمساهمين في إعطاء توجيهات بشأن المسؤولية المجتمعية (SRS's) وهي معدة لاستخدام جميع أنواع المنظمات، في كل من القطاعين: العام والخاص، وفي البلدان المتقدمة والبلدان النامية. وسوف تساعد في الجهود المبذولة لدعم التوجهات المنطقية اجتماعياً على نحو متزايد لمتطلبات المجتمع.

أطلقت المنظمة الدولية للتوحيد القياسي معيار آيزو (ISO ٢٦٠٠٠) لتوفير الإرشادات التطوعية المستقبلية بشأن المسؤولية المجتمعية ففي عام ٢٠٠١ حددت المنظمة الدولية للتوحيد القياسي الحاجة إلى عمل مواصفة اجتماعية للالتزام بالسياسات الاستهلاكية، وقد تم في عام ٢٠٠٣ تشكيل فريق متخصص عن طريق المنظمة الدولية للتوحيد القياسي؛ لاستكمال صياغة مبادرة موسعة حول المسؤولية المجتمعية، وعقدت المنظمة آيزو (ISO) سنة (٢٠٠٤) مؤتمراً الذي أوصى بتطوير معايير مواصفة الأيزو ٢٦٠٠٠ الخاصة بالمسؤولية المجتمعية .

الباب الثالث / الأوراق الملكية النقاشية:

عندما تطالع عناوين الأوراق الملكية النقاشية السبع تجد أنها مفعمة بالحديث عن الدولة المدنية والمواطنة والديمقراطية والحكمية الرشيدة والتي بدأت عام ٢٠١٢ وتواصلت إلى عام ٢٠١٧

في الورقة النقاشية الأولى بعنوان مسيرتنا نحو بناء الديمقراطية المتجددة تحدثت عن تحفيز المواطنين و تشجيعهم للدخول في حوار وطني حول القضايا الكبرى، ومراجعة أهم ممارساتنا الديمقراطية، وفي مقدمتها: كيف نختلف ضمن نقاشاتنا العامة، وكيف نتخذ القرار، وتطوير الممارسات الضرورية للديمقراطية. فما نحتاجه، بالتزامن مع انطلاق الحملات الانتخابية، هو تطوير ممارسات ترتبط بمفهوم المواطنة الصالحة، التي تشكل الأساس لديمقراطية نابضة بالحياة، هناك أربعة مبادئ وممارسات أساسية لا بد أن تتجذر في سلوكنا السياسي والاجتماعي حتى نبنى النظام الديمقراطي الذي ننشد وتشمل:

أولاً: احترام الرأي الآخر أساس الشراكة بين الجميع.

ثانياً: المواطنة لا تكتمل إلا بممارسة واجب المساءلة

ثالثاً: قد نختلف لكننا لا نفترق فالحوار والتوافق واجب وطني مستمر

رابعاً: جميعنا شركاء في التضحيات والمكاسب.

احترام جميع المواطنين لبعضهم البعض وليس فقط من تجمعهم معرفة سابقة أو اتفاق في الرأي، وممارسة المساءلة والمحاسبة الموضوعية من قبل الجميع وباتجاه الجميع، والحوار الصادق والمنفتح والبنّاء، والتوصل إلى حلول توافقية.

المواطنة الفاعلة. فعندما يعجز الممثلون المنتخبون والحكومة عن الوفاء بالتزاماتهم، يترتب على المواطنين المتابعين للشأن العام والمنخرطين به، أن يمارسوا الضغط عليهم ومطالبتهم بالوفاء بها. وممارسة هذا الضغط تتم عبر تنظيم مجموعات عمل ولقاءات على مستوى المجتمعات المحلية، وعبر الفضاء الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي وقنوات أخرى. فالمواطنة الفاعلة والمسؤولة توجد فضاء وطنياً عاماً يكون فيه الحوار البنّاء الوسيلة الأولى للاعتراض. أما التظاهر، وهو حق كفله الدستور، فلا يتم اللجوء إليه إلا كخيار أخير. وهذه هي الخطوة الأولى لتعزيز الاحترام المتبادل، وإيجاد الحلول العملية المنتجة.

المشاركة السياسية فلا تكون ذات أثر إيجابي، إلا حين يؤمن كل فرد منا بـ "المواطنة الفاعلة"، التي تركز على ثلاثة أسس رئيسية وهي: حق المشاركة، وواجب المشاركة، ومسؤولية المشاركة الملزمة بالسلمية والاحترام المتبادل، معززة بالمبادئ التالية:

أولاً، إن الانخراط في الحياة السياسية يشكل حقاً أساسياً لكل مواطن، مع وجوب حماية الحيز العام المتاح للتعبير الحر عن الآراء السياسية المختلفة.

ثانياً، إن المشاركة السياسية في جوهرها تشكل مسؤولية وواجباً. فعلى كل مواطن أن يتحمل جزءاً من هذه المسؤولية عبر اختيار شكل المستقبل الذي ننشده للأجيال القادمة. وواجبنا كمواطنين لا ينتهي بمجرد القيام بعملية التصويت في أي انتخابات وطنية، بل يمتد ليشمل التزام كل مواطن بالمشاركة الفاعلة في الحياة المدنية والسياسية بشكل يومي، من خلال القيام، على سبيل المثال، بحملة ترويجية لقضية تهمنا، أو التطوع في نشاط مدني، أو الانضمام لحزب سياسي.

الهدف النهائي لعملية الإصلاح السياسي النابعة من الداخل يترجم من خلال تمكين المواطنين من القيام بأكبر دور ممكن في صنع القرار عبر ممثليهم المنتخبين.

القيم الضرورية لعملية تحول ديمقراطي ناجحة نحو الحكومات البرلمانية معروفة لجميع الأردنيين، وهي القيم التي لا بد من تجذيرها في ثقافتنا ومجتمعنا، وتشمل: الاعتدال، والتسامح، والانفتاح، والتعددية، وإشراك جميع مكونات المجتمع، واحترام الآخرين والشعور بهم، واحترام سيادة القانون، وصون حقوق المواطن، وتأمين كل طيف يعبر عن رأي سياسي بفرصة عادلة للتنافس عبر صناديق الاقتراع.

ولا بد هنا أيضاً من التأكيد على ضرورة استمرار "ربيعنا الأردني" في تبني الممارسات الديمقراطية الأساسية التالية: احترام مبدأ الحوار وتبنيه في سبيل تجاوز الاختلافات، والتلازم بين حقوق المواطنين وواجباتهم، والشراكة في بذل التضحيات ونيل المكاسب، وتحويل الاختلافات إلى حلول توافقية، والمشاركة الفاعلة من قبل جميع المواطنين والمواطنات.

مجتمعاتنا العربية نجد أنها تتكون من منظومة معقدة من الانتماءات الدينية والمذهبية والعرقية والقبلية. ولهذا التنوع أن يكون مصدراً للازدهار الثقافي والاجتماعي والتعدد السياسي، ورافداً للاقتصاد، أو أن يكون شعلة للفتنة والعنصرية والنزاعات. إن ما يفصل بين هذين الواقعيين هو وجود أو غياب سيادة القانون.

الواسطة والمحسوبية سلوكيات تفتك بالمسيرة التنموية والنهضوية للمجتمعات، ليس فقط بكونها عائقاً يحول دون النهوض بالوطن، بل ممارسات تنخر بما تم إنجازه وبنائه وذلك بتقويضها لقيم العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص وقيم المواطنة الصالحة وهي الأساس لتطور أي مجتمع.

أي جيل يمكن أن يحمي سيادة القانون أو أن يدير مؤسساتنا وقد ترسخت الولاءات الفرعية فيه على حساب وطنه.

يعتبر موضوع التعيينات في المواقع الحكومية وبخاصة المناصب العليا من أكثر المواضيع التي يتم التطرق إليها عند الحديث عن الواسطة والمحسوبية.

الدولة المدنية هي دولة تحتكم إلى الدستور والقوانين التي تطبقها على الجميع دون محاباة؛ وهي دولة المؤسسات التي تعتمد نظاماً يفصل بين السلطات ولا يسمح لسلطة أن تتغول على الأخرى، وهي دولة تركز على السلام والتسامح والعيش

المشترك وتمتاز باحترامها وضمانيها للتعددية واحترام الرأي الآخر، وهي دولة تحافظ وتحمي أفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو الفكرية، وهي دولة تحمي الحقوق وتضمن الحريات حيث يتساوى الجميع بالحقوق والواجبات، وهي دولة يلجأ لها المواطنون في حال انتهاك حقوقهم، وهي دولة تكفل الحرية الدينية لمواطنيها وتكرس التسامح وخطاب المحبة واحترام الآخر وتحفظ حقوق المرأة كما تحفظ حقوق الأقليات.

إن هذه المبادئ تشكل جوهر الدولة المدنية، فهي ليست مرادفاً للدولة العلمانية، فالدين في الدولة المدنية عامل أساسي في بناء منظومة الأخلاق والقيم المجتمعية، وهو جزء لا يتجزأ من دستورنا. ولا يمكن أن نسمح لأحد أن يستغل أو يوظف الدين لتحقيق مصالح وأهداف سياسية أو خدمة مصالح فئوية.

الدولة المدنية هي دولة القانون التي تستند إلى حكم الدستور وأحكام القوانين في ظل الثوابت الدينية والشرعية، وترتكز على المواطنة الفاعلة، وتقبل بالتعددية والرأي الآخر، وتحدد فيها الحقوق والواجبات دون تمييز بين المواطنين بسبب الدين أو اللغة أو اللون أو العرق أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي أو الموقف الفكري.

ثبت المراجع

فؤاد محمد حسين الحمدي، الأبعاد التسويقية للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات و انعكاساتها على رضا المستهلك، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٣، ص ٤٠

الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، سبل وآليات تفعيل المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص، الرياض، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، ص ١٩-٢٠

جون سوليفان وآخرون (ألكسندر شكولنيكوف جوش ليتشمان)، مواطنة الشركات المفهوم والتطبيق، مجلة الاصلاح الاقتصادي، العدد ٢٤، مركز المشروعات الدولية الخاصة، ص ٨

هاني الحوراني، حاكمية الشركات ومسؤوليتها الاجتماعية في ضوء مستجدات الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة، المؤتمر الثاني حول "مواطنة الشركات والمؤسسات.. والمسؤولية الاجتماعية"، صنعاء، ٢٤-٢٥ يونيو ٢٠٠٩، ص ٤-٥

نهال المغربي، ياسمين فؤاد، المسؤولية الاجتماعية لرأس المال في مصر: بعض التجارب الدولية، المركز المصري للدراسات الاقتصادية، ورقة عمل ١٣٨، ديسمبر ٢٠٠٨، ص ٤

فؤاد محمد حسين الحمدي، الأبعاد التسويقية للمسؤولية الاجتماعية للمنظمات و انعكاساتها على رضا المستهلك، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٣، ص ٣٥-٣٦

عسكر الحارثي، ثقافة المسؤولية الاجتماعية من أين تبدأ؟، ورقة عمل قدمت الى ملتقى العطاء العربي الثاني، أبوظبي في الفترة من ٦-٧ يناير ٢٠٠٩، ص ٦

عسكر الحارثي، دور الغرف في تعزيز أداء القطاع الخاص للمسؤولية الاجتماعية، الغرفة التجارية الصناعية بالرياض نموذجاً، ورقة مقدمة الى المؤتمر الثاني لمواطنة الشركات والمسؤولية الاجتماعية، صنعاء، اليمن ٢٤-٢٦ يونيو ٢٠٠٩، ص ٩-١٠

عسكر الحارثي، ثقافة المسؤولية الاجتماعية من أين تبدأ؟، ورقة عمل قدمت الى ملتقى العطاء العربي الثاني، مرجع سابق، ص ٧-٨

السكرانة بلال خلف. أخلاقيات العمل. الطبعة الأولى. عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، ٢٠٠٩، ص ١٦٢.

نجم عيود نجم. أخلاقيات الإدارة و مسؤولية الأعمال في شركات الأعمال. الطبعة الأولى. عمان: مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، ٢٠٠٦، ص ٢٠١.

الأسرج حسين عبد المطلب. المسؤولية الاجتماعية للشركات: التحديات و الآفاق من أجل التنمية في الدول العربية، متاح على <http://mpa.ub.uni-muenchen.de.pdf> (اطلع عليه بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠١١)، ص ٠٦.

بن عيشي بشير، قوفي سعاد، عراقي عادل. المسؤولية الاجتماعية و الأداء الاجتماعي للمؤسسات الاقتصادية في إطار التنمية المستدامة. الملتقى العلمي الدولي الأول حول أداء و فعالية المنظمة في ظل التنمية المستدامة، ١٠ - ١١ نوفمبر ٢٠٠٩، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير و العلوم التجارية.

الغالب طاهر محسن منصور، العامري صالح مهدي محسن. المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال و شفافية نظام المعلومات: دراسة تطبيقية لعينة من المصارف التجارية الأردنية. متاح على <http://unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/> ، ص ٢١٦.

UNIDO and the World Summit on Sustainable Development, Corporate Social Responsibility: Implications for Small and Medium Enterprises in Developing Countries, Vienna, ٢٠٠٢، p٥

World Bank, Opportunities and options for governments to promote corporate social responsibility in Europe and Central Asia: Evidence from Bulgaria, Croatia and Romania. Working Paper, March ٢٠٠٥. p١

World Business Council for Sustainable Development (WBCSD).. Meeting changing expectations: Corporate social responsibility, ١٩٩٩، p٣

Ven van de, B. and Graaand, J.J., Strategic and moral motivation for corporate social responsibility, MPRA Paper No. ٢٠٢٧٨, Online at <http://mpra.ub.uni-muenchen.de/٢٠٢٧٨/>, pp ٢-٤

Tracey Swift & Simon Zadek ,Corporate Responsibility and the Competitive Advantage of Nations, The Copenhagen Centre and institute of social and ethical accountability, July ٢٠٠٢، pp٩-١٠

Friedman, M. ١٩٧٠. The social responsibility of business is to increase its profits. New York, Times Magazine. September, ١٣. available in: <http://www.colorado.edu/studentgroups/libertarians/issues/friedman-soc-resp-business.html>

Barry Gaberman, A Global Overview of Corporate Social Responsibility, The John D. Gerhart Center for Philanthropy and Civic Engagement , American University in Cairo, Spring ٢٠٠٨، pp٦-٧

The Pyramid of Corporate Social Responsibility: Toward the Moral Management of Organizational Stakeholders, Business Horizons, July-August ١٩٩١، p١ . available in: <http://www.cbe.wvu.edu/dunn/rprnts.pyramidofcsr.pdf>

Abigail McWilliams & Donald S. Siegel and Patrick M. Wright, Corporate Corporate Social Responsibility: Strategic Implications, Rensselaer Polytechnic Institute, Working Papers in Economics, Number ٠٦٠٤، March ٢٠٠٦، pp١-٨

Abigail McWilliams & Donald S. Siegel and Patrick M. Wright, Corporate Corporate Social Responsibility: Strategic Implications, Rensselaer Polytechnic Institute, Working Papers in Economics, Number ٠٥٠٦، May ٢٠٠٥، pp١-١١

Tracey Swift & Simon Zadek ,Corporate Responsibility and the Competitive Advantage of Nations, The Copenhagen Centre and institute of social and ethical accountability, July ٢٠٠٢، pp١٣-١٤.

Kanji Tanimoto, Corporate Social Responsibility and Public Policy, p١. in: www.adbi.org/files/session٤_٠١_kanji_tanimoto_paper.pdf

Barry Gaberman, A Global Overview of Corporate Social Responsibility, OpCit, pp١٢-١٣

الفهرس

الباحث: د. محمد إبراهيم أبو جريبان

استاذ مشارك / جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية الأميرة رحمة الجامعية

خطر الإرهاب والتطرف

الملخص

يعد الإرهاب والتطرف من المسائل الهامة التي أشغلت بال الرأي العام العالمي؛ لما يترتب على ذلك من تحديات خطيرة، تمس أمن المواطنين، والهيئات والدول، والقيم والمعتقدات، وكل المعاني النبيلة التي أجمعت البشرية على أهميتها، ووجوب حفظها ورعايتها؛ كالحرية والأمن والسلام...

ولما كان الإرهاب والتطرف يقومان على ظواهر وأسباب عديدة؛ كالعنف والشدة والغلو، ونشر الخوف والرعب، والإفراط والولوغ في الجرائم. فقد اتفقت الآراء الشرعية والقانونية على ضرورة إعداد الخطط والمناهج، وتبني السياسات التي تؤدي إلى نبذ هذا الخطر الداهم، وقمع أسبابه، وتجفيف منابعه التي تظهر في ثنايا الأزمات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والتي تتنامى مع صور الظلم والاستبداد، وكل ما يزيد في اشتعال شعلة الإرهاب والتطرف؛ كالتعصب، والتمييز، والاستعلاء على الآخرين، والغلو المفرط في التعامل، والانتقام ممن يخالف في الرأي.

وسعياً من الشريعة الإسلامية في علاج هذه الظاهرة السلبية وتجاوزها؛ فقد اهتمت بإشهار موقفها العام، الذي لا يتبدل تجاه نشر الرعب وإزهاق النفوس والإفساد في الأرض؛ فحرمت تلك الأعمال، واعتبرتها من أمهات الجرائم، وجعلت المحافظة على النفس البشرية من مقاصدها العظام، إضافة إلى سن الأحكام الشرعية الضامنة لحفظ بقية المقاصد الضرورية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر المؤمنين، ومثبتهم على الحق المبين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي الأمين، الذي دعا للحنيفة السمحاء، ونبذ الخصام والتطرف والغرغاء، وعدّ التنطع والغلو من سياسة السفهاء، وبعد ...

فتعد قضية الإرهاب والتطرف من أكثر القضايا خطراً؛ لأنها تهدد العالم بأسره، وتكمن الخطورة في سرعة انتشارها، وتعدد مظاهرها وأسبابها، وقوة تأثيرها؛ فلا يكاد ينجو من خطرهما مجتمع أو دولة، أو فئة من الناس.

ولعظم هذه الجريمة، وفداحة أمرها، فقد نددت بها البشرية بكل ركناتها؛ من دول ومنظمات ومؤسسات وهيئات، وأصدرت البيانات، والقرارات لمحاصرتها والقضاء عليها؛ إلا أن المشكلة تكمن في عدم اتفاق الدول والمنظمات على معيار محدد لجريمة الإرهاب، فقد تمارسها بعض الدول العظمى، مدعية بأنها تحارب الإرهاب بهذا الصنيع، وتلك السياسة الخرقاء!!

كما تكمن المشكلة حينما يطلق وصف الإرهاب على الشعوب المناضلة لانتزاع حقوقها، ونيل حريتها من المستعمر والغاصب، فتكون بذلك قد عاقبت من لا يستحق العقاب، وألزمت الضحية بطوق الإجماع.

كما تكمن المشكلة في تبني المنظمات والهيئات الدولية لمواقف الدول العظمى، وغض الطرف عن ممارساتها الإرهابية؛ بل موافقتها بإصدار القرارات المؤيدة، والنأي عن مساءلتها، أو حسابها.

إن إصاق جريمة الإرهاب والتطرف بأمة بعينها، أو شعب، أو دين، أو ثقافة؛ لهو إرهاب فكري بحد ذاته يسعى لحمل الآخر للانصياع لسياسات الدول المهيمنة على العالم، وتبني مواقفها، والدوران في فلكتها؛ وعليه فإن محاولة دمع الأمة الإسلامية بهذه الجريمة؛ إنما هو ظلم صارخ، لا يحق للأمن، ولا يخدم فكرة التعايش السلمي الذي تتبناه الهيئات والمنظمات الدولية.

فالإسلام الذي يدعوا إلى الدخول في السلم كافة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) سورة البقرة، الآية ٢٠٨، والإسلام الذي يقوم على المبادئ والقيم السامية؛ كالعفو والتسامح والتعاون، والإسلام الذي يجرم قتل النفس البشرية، أو إلحاق الضرر بها، أو إخافتها أو ترويعها؛ ويجعل تلك الأعمال من الجرائم العظمى، وهي جريمة الإفساد في الأرض، ويرتب عليها عقوبة شديدة؛ هذا الإسلام لا يمكن أن يدعو إلى أي فعل إجرامي، أو يتبناه، أو يحث عليه، أو يرغب فيه.

معنى الإرهاب والتطرف

أولا - معنى الإرهاب والتطرف لغة:

الإرهاب في اللغة، من كلمة رهب بكسر الهاء، يرهب رهبة ورهبا بمعنى خاف، وأرهبه واسترهبه، أخافه clxxxv. ومما يؤيد ذلك من قول الله تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) سورة الأنبياء، الآية ٩٠، أي مصدقين بما أنزل الله، أو مؤمنين حقا، أو خائفين clxxxvi.

لهذا فإن المعنى الجامع والمشارك بين لفظة الإرهاب وما يتفرع منها؛ هو الرهبة والخشية والخوف.

أما التطرف في اللغة؛ فهو من تطرف؛ أتى الطرف. ويقال: تطرفت الشمس، أي دنت للغروب، ومنه تنحى. وفي كذا: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. clxxxvii.

ثانيا - معنى الإرهاب التطرف اصطلاحا:

أما عن معنى الإرهاب في الاصطلاح الشرعي والقانوني، فقد وردت كلمة الإرهاب ومشتقاتها في القرآن الكريم، لبيان معاني الخوف؛ كما في قوله تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) سورة الحشر، الآية ١٣، وقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) سورة الأنفال، الآية ٦٠، وقوله تعالى: (قَالَ أَقْوَامًا فَلَمَّا أَقْوَامًا سَخِرُوا مِنْ نَفْسِ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِخْرِ عَظِيمٍ) سورة الأعراف، الآية ١١٦، فهذه المعاني، إما من الإرهاب المركوز في النفس البشرية، وهي جبلة وفطرة فطر الله الناس عليها، وإما من المعاني المقصودة أصلا للشريعة لمنع المعتدي من التمادي في ظلمه وطغيانه؛ فيجب اتخاذ الوسائل والسبل لضبطه وكف شره، لينعم الناس بأمنهم على حياتهم، واختيار معتقداتهم.

فالإرهاب المقصود من قول الله تعالى: (ترهبون به عدو الله وعدوكم) القوة التي يجب إعدادها لتخويف الأعداء حتى لا يطمعوا في المسلمين ويفكروا في الاعتداء عليهم clxxxviii. فهذا لا شك أنه امر مشروع، وليس هو من الإرهاب المتعارف عليه اليوم؛ بل إنه من الجهاد والمقاومة المشروعة، لأن الدفاع عن الحق والأوطان أمر لا يحتاج إلى برهان

إن لفظة إرهاب ومشتقاتها لم تكن بداية تخرج عن طور اعداد النفس والعناية بها والقيام بالدور المنوط بها في مجال التربية والنهوض بالواجبات؛ أي إنه لم يكن مرتبطا بالعنف وتخريب الأوطان وترويع المواطنين في أصل التشريع.

أما الإرهاب الذي استقرت عليه اعراف الناس الآن، فهو البغي والإجرام والإفساد في الأرض، المتمثل في قول الله تعالى: (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..) لهذا فإن هذه الكلمة وما تحمل من مضامين - الآن - ليست من أصل ثقافتنا؛ بل هي مستوردة إلينا من الثقافات الوافدة.

وبناء على هذا الفهم، فقد عرفه مجمع الفقه الإسلامي؛ بأنه: العدوان أو التخويف أو التهديد ماديا أو معنويا، الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان او عرضه أو عقله أو ماله بغير حق، وبشتى صنوف العدوان وصور الإفساد في الأرض clxxxix.

أما عن تعريف الإرهاب في القانون، فقد اختلفت آراء الفقهاء في ذلك نظرا لاختلاف الاتجاهات وسياسات الدول، وظهرت في ذلك موافق متناقضة؛ فما يعد مقاومة مشروعة عند البعض، قد يكون إرهابا عند الآخرين، ومن تلك التعريفات الضابطة لمعنى الإرهاب: أنه هو العمل الإجرامي المصحوب بالرعب أو العنف بقصد هدف محدد cxc. وعرفته الاتفاقية الدولية الموقعة في جنيف عام ١٩٣٧م: بأنه الأعمال الإجرامية ضد الدولة والتي من شأنها وطبيعتها إثارة الرعب لدى شخصيات أو جماعات معينة، أو لدى الجمهور. وعرف الإرهاب أيضا: بأنه نزاع عنيف يرمي الفاعل بمقتضاه تغليب رأيه السياسي، أو رفض سيطرته على المجتمع أو الدولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة، أو من أجل تغييرها أو تدميرها cxc. فالتعريفات القانونية تميل إلى كون الإرهاب فعل يتم باستخدام العنف لأجل الإفساد ونشر الرعب بين المواطنين، لاتخاذ مواقف معينة، أو الامتناع عن مواقف معينة.

وأياً ما كان الأمر فالإرهاب الذي ترسخ في الأذهان هو اعتداء يقع على أفراد أو جماعات، أو مؤسسات ومرافق عامة ودول؛ للتأثير وزعزعة أمن المجتمعات، والنيل من استقرارها، ولفت الأنظار باستخدام كافة الوسائل المؤذية من مادية ومعنوية؛ كالقتل والتخريب، والتخويف والتهديد، دونما وجه حق من قتال أو دفاع مشروع.

لهذا يتفق الرأي القانوني مع النظرة التي استقرت عليها الشريعة للإرهاب، استناداً للأعراف: بانه العمل العدائي المصاحب للعنف، والمفضي إلى الترويع والإفساد والذي يستهدف العامة ومرافق الدولة بالدرجة الأولى من غير حالة حرب معلنة أو الدفاع المشروع، ومقاومة العدوان والتحرر من الاحتلال.

نخلص من ذلك أن الإرهاب شكل من أشكال العنف المنظم، والموجه لتحقيق أهداف سياسية، وهو من القضايا الشائكة، وبالغة الخطورة التي تواجه العالم بأسره، وجميع اهتماماته ومكوناته.

وأما عن معنى التطرف في الاصطلاح فهو يعني: الشدة والمغالاة والإفراط في الأفعال والتصرفات المثيرة للفتنة والحساسية في المجتمع وقلق الدولة.cxcii. فالتطرف بتلك الأوصاف يعني الخروج على الوضع العام للمجتمعات، ومخالفة المبادئ والقيم والأعراف المجمع عليها.

والتطرف والإرهاب كظاهرة مهددة للأمن والاستقرار، يعان ظاهراً عامة غير مرتبطين بدين معين، أو جنسية بذاتها، أو منطقة جغرافية دون أخرى، وقد حدثت عبر التاريخ الإنساني حوادث متعددة نفذت وفقاً لمعتقدات أصحابها الدينية، أو الفكرية، أو السياسية.

وتظهر جرائم الإرهاب والتطرف في هذا العصر في معظم دول العالم وقاراته، فهو منتشر في القارة الأمريكية، وفي أوروبا وآسيا وإفريقيا؛ كمنظمة الألوية الحمراء الإيطالية، والمنتشددون اليهود، ومنظماتهم التي تقتل المواطنين وتروعهم، وتهدم بيوتهم، وتغتال القادة في كافة العواصم، ومنظمة الجيش الأحمر الياباني، ومنظمة الباسك الإسبانية، والمليشيات الطائفية في إيرلندا، والمليشيات الأمريكية في أمريكا الوسطى والجنوبية المرتبطة بزعماء المخدرات في كولومبيا والبرازيل.cxciii.

إن ظهور التطرف كنهج عملي مؤثر في التاريخ الإسلامي مرتبط بالخوارج، فهم أول من عرفه ومارسه؛ لأنهم فهموا الدين فهماً خاصاً بهم، حتى بدى الغلو والتشدد ومجاوزة الحد من أشهر علاماتهم وسيماهم؛ فأحدثوا في الإسلام، وبين المسلمين جرحاً عميقاً ما زال يذرف إلى الآن.

ولقد جرى البعض على إعادة تاريخ ظاهرة الإرهاب إلى الثورة الفرنسية التي بدأت عام ١٧٨٩م بسقوط الملك لويس السادس عشر، والقضاء على النظام الإقطاعي؛ حيث طرحت آنذاك الأفكار التي تقضي بمداومة المنازل لتجريد المشبوهين من السلاح، مما أسفر عن اعتقال الأشخاص والزج بهم في السجون، ومن ثم إبادتهم عن بكرة أبيهم خوفاً من تعاونهم مع العدو الخارجي.cxciv.

لهذا فقد كشفت الثورة الفرنسية الإرهاب بمفهومه الحديث، حيث عرف إرهاب الدولة المنظم الذي استخدمه قادة الثورة، لتثبيت دعائمها دون النظر للجرائم والأهوال التي ارتكبت باسم الثورة نفسها؛ فقد سعوا إلى سياسة العنف ضد أعدائهم، وقد عرفت فترة حكمهم باسم عهد الإرهاب، كما كان الأمر حين سيطر روبسبير على تلك الثورة، فانقلب نحو الدكتاتورية الفردية، واقترح القوانين الظالمة للقضاء على معارضيها؛ حتى أصبح المحرض الأول على الإرهاب.cxcv.

لذلك فإن التطرف والإرهاب بهذه الصورة مفضيان إلى مآلات سوداوية أساسها الكراهية والعنف والإفساد وتفقيت الجسد الواحد للأمة؛ فكان لزاماً على الشريعة أن تنظر إليهما على أساس من المنع والتقييد بناء على النصوص التالية:

١ - قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة المائدة، الآية ٣٣. فجريمة الإفساد في الأرض، أو الحرابة من أشد الجرائم فتكاً وترويعاً للأمنين؛ فشرع الإسلام لها عقوبة رادعة تقضي إلى اجتنائها من الأساس.

٢ - قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) سورة النساء، الآية ١٧١. فقد شنع الله تعالى على أهل الكتاب التطرف والغلو، وهذا حكم متوجه لكل من يتصف بذلك ما دامت على الأرض حياة.

٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)
CXCVI في الحديث الشريف نهي عن ترويع المواطنين، وتحريم إدخال الرعب إلى قلوبهم، أو إيذائهم.

٤ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا) CXCVII فقد نهى الإسلام عن ترويع المواطنين وإخافتهم ولو بحمل السلاح وإشهاره في وجوههم، فكيف إذا كان الأمر بتفجيرهم والتفكيك بهم مما يعد من طرائق الإرهاب اليوم! !

والإرهاب والتطرف كتحد لروح التعاون والاستقرار بين المجتمعات تتعدد أسبابه، وتتنوع صورته وأشكاله؛ فمن أهم الأسباب المفرخة للإرهاب والتطرف:

١ - العوامل النفسية والاجتماعية الكامنة وراء الأفعال الدافعة لتلك الطريق CXCVIII، وهي العوامل المجتمعة التي اثرت في شخصيات المتصفين بهذا السلوك المنحرف، كاضطراب شخصياتهم، أو سوء أوضاع الأسرة وتفككها عندهم، أو عدم الاستمرار في ركب المدرسة والتعليم المنضبط، مما يقود الأمر إلى التسرب والجنوح، ثم الوقوع في هذه الآفة.

كما أن العنف والإجرام قد يكونا دوافع كامنة في نفوس بعض من يقومون بذلك، فمن علماء النفس من يرى أن هذا الفعل يرجع إلى غريزة متأصلة في تكوين البشر، ويحللها بعض النفسيين بأنها تصريف لطاقة، أو شحنات الشخص الذي يقوم بالعوان، فتتعد في نفسه الرغبة في التدمير؛ سواء لذاته، أو للآخرين CXCIX. فهذه العوامل تؤدي إلى خلق إنسان قابل للانحراف في مستنقع الجريمة، ولديه الاستعداد النفسي للقيام بأعمال العنف.

كما أن الإحباط والفشل، وعدم تحقيق الأمنيات عند بعض الشباب قد يؤديان، إلى سلوك هذا السبيل كتعبير عن رفضه لهذا الحال والمجتمع الذي يعيش فيه. إضافة إلى تفكك المجتمع وعدم ترابطه، فلا يشعر الشخص أمام هذا المجتمع بالمسؤولية، ولا الحرص عليه ولا الاهتمام به CC.

كما أن التفرقة والتمييز العنصري الذي يمارس من قبل بعض الأنظمة، يؤدي إلى شعور بعدم المساواة بين المواطنين في الدولة؛ فيؤدي ذلك إلى شعور بالإحباط، الأمر الذي يقود صاحبه للوقوع في التطرف والإرهاب، كتعبير عن رفضه لتلك السياسة العنصرية.

٢ - العوامل السياسية، وما تشتمل عليه من إحباط سياسي وظلم وإقصاء لقطاعات من الأمة، وخاصة فئة الشباب، وعزلهم عن دور الإصلاح والبناء، إضافة لتهميش دورهم ومضايقتهم، وممارسة الأنظمة الدكتاتورية للاستبداد والطغيان، مع ادعائها الديمقراطية وحرية التعبير؛ كل ذلك أدى لنفور الشباب من هذا الوضع، واشعل في نفوسهم النائرة حب التغيير بدعوى الإصلاح والتخلص من الاستبداد الفردي للحكام، أو الطغيان الجماعي للحكومات والدول التي تحد من قدرة أفراد مجتمعاتها على المشاركة السياسية، أو أية جوانب أخرى، إضافة إلى المضايقات الأمنية، وقمع الحريات CCi.

أضف إلى ذلك تلاعب الطغم الحاكمة بمصير الأمة والشعب من أجل تحقيق مصالح شخصية، والانصياع لمطالب خارجية، أو رغبات سياسية معينة؛ الأمر الذي ساهم في تكوين هذه الظاهرة.

كما أن تناقض مواقف الدول المؤثرة مع القيم الإنسانية والمواثيق الدولية، وظهور نتائج ذلك كظلم واقع على الآخرين؛ يؤدي إلى ارتكاب أعمال عنف لتنبية الرأي العالمي نحو مشكلة يهتم بها القائمون أو المخططون لتلك الأعمال.

كما أن ضعف كثير من الأنظمة الحاكمة وعدم قدرتها على تحقيق الاستقرار، وهضمها لحقيق المواطنين؛ يؤدي إلى فقد الأمن والنظام؛ الأمر الذي يحدث فوضى في البلاد، فينتهز هذا الوضع أصحاب المآرب لتحقيق أهدافهم الشخصية CCii.

فأعمال العنف هذه ما كانت عشوائية، بل هي أعمال منظمة ومخطط لها ومدروسة مسبقاً بقصد تحقيق وتنفيذ أهداف وأغراض سياسية واجتماعية لا تلتقي مع تطلعات بعض الدول والمجتمعات.

كما أن كثرة التكاليف المادية والبشرية الناجمة عن تلك الأعمال تحمل في أبعادها رسائل تحذيرية ذات طابع سياسي للقادة والحكومات والدول؛ خاصة إذا كانت تنبئها قوى المعارضة ومنظمات المجتمع المدني التي تريد توسيع نفوذها المالي والسياسي، وزيادة قوتها الضغطية على الحكومة CCiii.

نخلص من ذلك إلى أن السياسات الحكومية الظالمة، والصراعات المفتعلة، والهيمنة الاستعمارية، وقمع الشعوب، والازدواجية في المعايير والقرارات الدولية، وتقصير المنظمات الدولية وتقاوعها عن تحقيق أهدافها؛ كل ذلك كان من وراء العوامل السياسية للإرهاب.

٣ - العوامل الاقتصادية، المتمثلة في الإهمال والتقصير والتضييق على المواطنين، واحتكار فئة من الشعب لثروة البلاد، وهي الفئة التي تعتمد عليها السلطة في استمرارها، سياسات التجويع التي تمارسها بعض الأنظمة، وما صاحب ذلك من تنكيل وقطع للأرزاق؛ كل ذلك ولد حالة من الكراهية بين الشباب الطامح وحكوماتهم، فاندعم التعاون، وفتقر الانتماء، وانقلب الحال إلى تربص وانتقام.

كما إن انتشار البطالة من العوامل الهامة التي تؤدي للإرهاب والعنف والتطرف، فانتشارها في المجتمعات داء وبيل يفتح أبواباً من الخطر، مما يؤدي إلى بيئة صالحة وخصبة للإرهاب والتطرف؛ فكثير من الناس يحركهم الجوع والفقر، ويسكنهم المال؛ فالبطالة من أقوى العوامل المساهمة في الإرهاب، وهي من أقوى الأسباب الدافعة لروح التذمر في الأمة. خاصة إذا ما استغلت تلك البطالة من قبل المتربصين والقوى الطامعة في الأمة؛ فيكون الشباب حينئذ فريسة سهلة، فتستثمر أوضاعهم وتستغل طاقاتهم، لارتفاع نسبة العاطلين عن العمل بين صفوفهم.

فوفقاً لتقديرات منظمة العمل الدولية عام ٢٠٠٣م تبلغ نسبة الشباب العاطلين عن العمل فيما يتعلق بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٦، ٢٥%، وهي الأعلى في العالم. كل ذلك يخلق أجواء ناظمة، ويؤدي لردة فعل عكسية تجاه اهداف الدولة وتطلعاتها.

وقد ألفت العولمة بظلالها على هذه الظاهرة؛ فالفجوة الهائلة بين عالم الأغنياء والفقراء، وتزايد الأزمات الاقتصادية بين الدول، وظهور التكتلات الاقتصادية وما صاحبها من سياسات احتكارية متطورة استغللتها الدول الغنية كوسيلة لإخضاع شعوب العالم لسيطرتها والهيمنة عليها؛ أدت إلى حدوث ردة فعل زادت من عمليات الإرهاب، وأدت إلى تقدمه وتنوع وسائله.

إضافة إلى السياسات الاقتصادية التي تتبعها بعض الدول؛ كالخصخصة وما ينجم عن ذلك من مأس تمس معظم الأفراد، كالعلاء والاحتكار وتسريح العمال... الخ، أدت إلى إحباط الشباب وإضرابهم واحتجاجاتهم والقيام بأعمال عدوانية للإضرار بالمراقق والمؤسسات؛ انتقاماً من الدولة.

٤ - العوامل التربوية والفكرية، وتتمثل في غياب المناهج الهادفة، والأساليب العلمية المتطورة الكفيلة بحل المشكلات وتقديم البدائل الإيجابية للشباب خاصة. فالنظم التعليمية القائمة على التشديد والتلقين وحشو الأدمغة، لا تكفي وحدها في صقل الشخصية وإعدادها للحياة؛ فالحوار وتحليل الآراء والأفكار وتقبل المفيد منها من متطلبات البناء الحضاري، فلا بد من فتح باب الحوار مع هؤلاء الشباب في المدارس والجامعات ومراكز العمل وكافة المؤسسات؛ لأنه في غياب هذا النهج التربوي نهى المناخ لإيجاد الشخصية القابلة لتبني الأفكار التي تملئ عليها دون نقد أو تحليل لعواقبها، وإن كانت أفكاراً متطرفة.

ولهذا فقد هاجمت الشريعة الإسلامية تلك الأنظمة والأساليب وحذرت منها، ومن نصوص الشريعة الدالة على ذلك:

١ - قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ لَقَاءً إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نتهوا خيراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) سورة النساء، الآية ١٧١.

وجه الدلالة:

حذرت الشريعة الإسلامية من الغلو في الدين والتعصب لمبدأ فكري بطريقة معتتة، لأن ذلك يؤدي للتطرف؛ فالغلو مجاوزة للحد الشرعي، وذلك أمر منهي عنه، فالآية الكريمة وإن جاءت في أهل الكتاب، إلا أنها عامة في كل زمان ومكان؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالغلو ظلم للنفس وللغير، وتضييع للواجبات، وقد ما يكون ضيعة العبد بالغلو أوجب مما غلا فيه، والغلو سبب في انقطاع عن العمل، وصد عن سبيل الله، وتنفير للناس عن الدين، وتشويه لسماحة الإسلام.

٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنطعون قالها ثلاثاً) ccix

وجه الدلالة:

المتنطعون: هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وافعالهم. ccx

وما سبب التحذير منهم إلا لأنهم يعتقدون أنهم على الحق وحدهم، وأنهم هم المصيبون، وإن من سواهم من الناس على الباطل والخطأ؛ فيغلقون معهم باب النقاش والحوار، ويرفضون الرأي الآخر ولا يعترفون إلا بفكرهم..

ولما للعامل الفكري من دور كبير في تكوين التطرف والإرهاب؛ فإنه لا بد من تنقيح هذا العامل والاهتمام به تأصيلاً وتنقيحاً، لقطع الطريق على كافة الجهات والوسائل المغرضة التي تجير العامل الفكري لدعم أفكارها الضالة، ولا بد من مجابهة هذا الغلو بحجج وافكار قائمة على النقاش العلمي.

فهذا النقاش القائم على الحكمة يأسر القلوب ويذلها للحق، حتى أن الله تعالى سماه سلطاناً، لأنه يوجب تسلط صاحبه واقتداره، فله به سلطان على الجاهلية؛ بل سلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينفاد الناس للحجة ما لا ينفادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب، وأما اليد فإنما ينفاد لها البدن، فالحجة تأسر القلب وتقوده، وتذل المخالف وإن اظهر العناد والمكابرة، فقلبه خاضع لها، دليل مقهور تحت سلطانها^{ccxi}.

أنواع الإرهاب

١ - إرهاب الافراد ، وهي الأفعال الجرمية التي يقوم بها فرد، أو مجموعة أفراد غير منظمين لأجل تحقيق مصالح يسعون إليها، او للفت الأنظار نحو مطالبهم

٢ - إرهاب الجماعات المنظمة، وهي الأفعال التي يقوم بها أفراد يخضعون لخطط وسياسات هادفة، وتدعمهم مؤسسات وقوى متعددة، وينتشر خطرهما ليشمل مناحي الحياة كافة؛ كالمافيا^{ccxii}.

٣ - إرهاب الدولة، وقد يكون من الداخل من خلال ظلم الدولة ومؤسساتها لمواطنيها، و تعسفها في استعمال السلطة، ليث الرعب بينهم لإخضاعهم لسياساتها، وذلك كالممارسات القمعية للأنظمة الدكتاتورية. وقد يكون على المستوى الخارجي؛ كملاحقة لمواطنيها في الخارج.

٤ - الإرهاب الدولي، وهو أشد الأنواع خطراً، لما ينجم عنه من أضرار تلحق بالشعوب والمرافق الهامة والكيانات السياسية، وقد يتخذ هذا النوع طابع التدخل العسكري وإثارة النعرات والفوارق بين الناس، أو التجسس والاعتداء والتدخل السياسي وإثارة القلاقل والفتن والاعتيالات في دولة، أو مجموعة من الدول، وقد يظهر في صورة دعم العصابات وتزويدها بالسلاح لتنفيذ أهداف تسعى الدول إليها^{ccxiii}؛ كإرهاب الكيان الصهيوني للعرب والمسلمين، في فلسطين ولبنان .. وغيرها من الأقطار، وإرهاب الولايات المتحدة الأمريكية والدول الاستعمارية للدول والشعوب المستضعفة.

فأمريكا - الآن - شنت حروباً واسعة أهلكت الحرث والنسل، ودمرت كل شيء، وشعارها في ذلك: من لم يكن معنا فهو ضداً. فكان نتيجة هذا الإرهاب القتل والدمار وترويع الأمنين وتفكيك الدول ونهب خيراتها؛ كما هو الحال في أفغانستان والعراق وغيرها من الأقطار. وبهذه السياسة فإنها تضع نفسها في معزل أخلاقي؛ لأن المادة الثانية من الفقرة الرابعة من ميثاق الأمم المتحدة تنص على: الامتناع عن التهديد باستخدام القوة، أو استخدامها ضد سلامة الأراضي، أو الاستقلال السياسي لأي دولة.

مميزات الإرهاب والتطرف

١ - قيامه على العنف والإفساد في الأرض:

أهم مميزات الإرهاب والتطرف قيامه على العنف المؤدي للفساد والدمار والفوضى والخراب، ولتحقيق ذلك يلجأ لكافة الوسائل والصور المروعة، لأنه لا يمكن تصور الإرهاب بغير فكرة استخدام العنف والترويع والتهديد بها؛ فالعنف المقصود هنا هو الذي يرتكب لتحقيق السيطرة، وإحداث الرعب؛ لأن الرعب أو التخويف يمثل أساساً لذلك، فيلقي بآثاره النفسية على المشاهد، وبذلك تتحقق أهداف الإرهاب من ضرب الاستقرار الأمني، وإشاعة الرعب بين الأشخاص والمنظمات والحكومات، أو مجموعات من الدول^{ccxiv}.

وهذا العنف وما ينجم عنه من تهديد غير مشروع لا تجيزه الشريعة الإسلامية، بل تنهى عنه؛ لأنها تأمر بالإصلاح وتسعى لهداية الناس جميعاً، ويدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين استعصى عليه أحد حصون خيبر: (لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى وغدوا كلهم يرجوا ذلك، فقال أين علي، فقيل يشنكي عينيه فيصق في عينيه ودعا له خيراً كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم للإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم)^{ccxv}

٢ - اعتماده على التخطيط والتنظيم:

فالإرهاب يقوم على أساس استخدام القوة غير المشروعة في إطار دقيق ومنظم بقصد الترويع ونشر العنف؛ لتحقيق أهدافه التي يسعى إليها، ولذلك فقد حاولت المنظمات الدولية؛ كالأمم المتحدة تحديده على هذا الأساس، فوصفته بأنه شكل من أشكال العنف المنظم القائم على التخطيط^{CCXVI}.

٣ - سعيه لتحقيق أهداف سياسية:

فجريمة الإرهاب ترتبط بأغراض سياسية، وبذلك فإنها تختلف عن صور الجرائم المتعددة؛ فالهدف الأساسي للإرهاب تحقيق مكاسب سياسية غير قانونية، ولأجل ذلك يرتكب الإرهابيون أبشع الأساليب وأكثرها دموية ولا أخلاقية، كوسيلة ضغط لتنفيذ مخططاتهم وتحقيق طموحاتهم غير المشروعة.

وتحقيق الصفة السياسية للإرهاب شرط في قيامه حتى غدت وصفا لازما له، وبهذا الوصف يعرف قاموس أكسفورد الإنجليزي الإرهاب بأنه: استخدام العنف والتخويف بصفة خاصة لتحقيق أغراض سياسية^{CCXVII}.

وفي هذا الوصف يقول الدكتور محمود عرابي: إن الذي يميز الإرهاب عن صور عديدة من الجريمة المنظمة هو أن الإرهاب يسعى لتحقيق أهداف سياسية وليس الحصول على مكاسب مادية من وراء عملياته، فهدفه النهائي هو القرار السياسي؛ أي إرغام دولة، أو جماعة سياسية على اتخاذ قرار معين، أو الامتناع عن اتخاذ قرار تراه في مصلحتها، وما كانت تتخذه أو تمتنع عنه لولا الإرهاب^{CCXVIII}.

تحدي الإرهاب والتطرف للأمن والمعتقدات

والإرهاب كحالة جرمية وظاهرة سياسية منظمة يشكل تحديا للحياة البشرية ومرتكزاتها الأمنية وصبغتها الدينية والفكرية، خاصة عند الاختلاف في وضع تعريف شامل ومحدد له يلتزم الجميع به، فمع هذا الاختلاف المتوقع، والمقصود تهرب بعض الأطراف من تبعاته وما يترتب عليها من مسؤوليات؛ ولهذا حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على عدم الاعتراف بتعريف دولي للإرهاب حتى تتصرف في العالم بما يحقق سياساتها ومصالحها دون جهة تمنعها وتجزم فعلها^{CCXIX}.

لهذا تصر أمريكا على عدم تعريف الإرهاب تعريفا متفق عليه دوليا؛ بل تريد أن تفرض تعريفاتها على العالم، وبحسب فهمها هي فقط، وقد أشار إلى ذلك روبرت فريد لاندر بقوله: إن إدارة ريغان ممثلة بوزارة العدل ومكتب التحقيقات الفدرالية ووزارة الخارجية تعارض بشدة إدخال أي تعريف للإرهاب محليا أو دوليا في صلب القانون^{CCXX}.

كم يمكن ان يكون الإرهاب تحديا للدول الإسلامية حينما تريد التوفيق بين النظرة الغربية للإرهاب - خاصة الأمريكية - وبين ثقافة شعوبها ومعتقداتهم؛ فإنفاق المال والتطوع للأعمال الخيرية قريبة عند الله تعالى، لكنها قد تكون محظورة في المفهوم الغربي، بدعوى مساندة الإرهاب، فحوصرت تلك الأعمال وتم التشديد عليها في أمريكا والدول الغربية، بل وفي بعض الدول الإسلامية.

لقد شنت الإدارة الأمريكية حربا لا هوادة فيها ضد الجمعيات الخيرية الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ فسنت القوانين الاستثنائية وفعلتها، مثل قانون الأدلة السرية، (يسمح هذا القانون لعناصر المخابرات والأمن الأمريكية ملاحقة واعتقال أي شخص يشتبه فيه من طرف هذه الأجهزة لسبب أو لآخر ويلقى في السجن دون أن يسمح لأحد بالاطلاع على قائمة الاتهامات أو المعلومات إن وجدت، والاكتفاء بالمقولة المطاطية: تهديد الأمن القومي، ومصلحة الشعب الأمريكي^{CCXXI}. لتغطي تجاوزاتها التي نالت جمعيات إسلامية كبيرة معروفة بمهنتها وحسن أدائها؛ كمؤسسة الحرمين الخيرية، وجمعية قطر الخيرية، ومؤسسة الأراضي المقدسة، ومؤسسة الإغاثة العالمية، ومؤسسة الرحمة العالمية... الخ

بل يبلغ التحدي غايته ويصل إلى منتهاه حينما تلزم أمريكا والدول الغربية نفسها بالتدخل في الشؤون الثقافية والأفكار والمعتقدات الإسلامية، فقد تدخلت في المناهج والكتب العلمية في مجالات التعليم في تلك الدول، فطالبت بإلغاء مناهج التعليم الديني، والحد من المدارس الإسلامية والمؤسسات الثقافية ومراكز تعليم القرآن الكريم، بذريعة أنها تخرج الإرهاب؛ فغدا ذلك الإرهاب سلاحا في يد الدول الغربية يطلق في وجه كل من يقف أمام مطاعمها، او يعارض سياساتها أو يرفض الانصياع لإرادتها.

ويبلغ الإرهاب ذروته في تحدي أمن المجتمعات حينما تدعي أمريكا مسؤوليتها في مقاومته والتصدي له، وهي التي تمارسه، والدليل على ذلك:

١ - محاربة أمريكا للجمعيات الخيرية والتضييق عليها؛ يشجع على الإرهاب والتطرف ويقلل من مساحات التعاون بين الامم.

٢ - رفضت أمريكا الدخول والمشاركة في محكمة الجزاء الدولية المتعلقة بجرائم الحرب، التي وقع عليها حوالي ١٦٠ دولة، وشارك أمريكا في عدم الدخول فيها كل من إسرائيل والهند.

٣ - انسحبت أمريكا من الاتفاقية الثنائية مع الاتحاد السوفييتي - سابقا - للحد من انتشار الأسلحة.

٤ - أمريكا أكثر دولة استخدمت حق النقض - الفيتو -، وأكثر دولة تسعى لتعطيل أعمال الأمم المتحدة، ولقد عبر عن ذلك السيناتور وعضو الكونجرس الأمريكي الأسبق - بول فندلي - حينما قال في نهاية عام ٢٠٠٣م: إن معظم الأمريكيين لا يعون أن الرئيس بوش الأب ين جعل من دولته شرطيا على العالم، وأن الكونجرس - بناء على طلبه - قد خوله صلاحية مهاجمة الدول الأخرى دون وجود حالة حرب وحيثما شاء CCXXII.

٥ - ويشكل الإرهاب تحديا للشعوب الإسلامية حينما يحاول المفكرون، والساسة الغربيين إطلاقه على كل نشاط إسلامي، وعلى القيم والمعاني النبيلة في الإسلام؛ كالجهد في سبيل الله تعالى، والدفاع عن الأوطان، والمقاومة المشروعة.

ولهذا لا بد من التفريق بين كل من الإرهاب والتطرف، وبين المقاومة المشروعة.

الفرق بين الإرهاب والمقاومة المشروعة

تسعى الدول الاستعمارية إلى الهيمنة على العالم ونهب خيراته، كما تسعى إلى تقسيمه فيما بينها؛ فتقوم باحتلال الدول الضعيفة وإخضاعها لسيطرتها، وتمنع تلك الشعوب من حقها في المقاومة، بل تطاردها وتضيق الخناق عليها، بكل ما لديها من نظم وقوانين، وممارسات عدوانية ليخلو لها الجو في تحقيق أهدافها وسياستها العدوانية؛ فتصف حركات المقاومة في الأقطار المستعمرة بالحركات الإرهابية، وتصف الأحرار ممن وقفوا في وجهها بالمتطرفين؛ لعزلهم عن التعاطف معهم، أو مد يد العون لهم.

وبما أن المقاومة واستعمال القوة ضد الأعداء حق مشروع فلا يمكن اعتبار ذلك الحق إرهابا في أي حال من الأحوال، ولقد جاءت نصوص الشريعة الإسلامية، والمواثيق الدولية في إقرار هذا الحق والاعتراف به؛ فمن النصوص الشرعية الدالة على هذا الحق:

١ - قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) سورة البقرة، الآية ١٩٠

وجه الدلالة:

أمر الله عز وجل بقتال المعتدين دفعا لظلمهم وحماية للحق وأهله من كيدهم وشورهم، وهي أول آية نزلت في الأمر بقتال الأعداء، كما يقول القرطبي CCXXIII.

٢ - قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد) CCXXIV.

وجه الدلالة:

فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مقاتلا ومدافعا عن نفسه وماله وأهله ودينه؛ شهيدا، فأباح له القتال دفاعا عن تلك القيم والمعاني النبيلة، فكان ذلك مقاومة مشروعة ولم يكن عملا إرهابيا، أو تطرفا مذموما.

يقول الإمام المبركفوري: لأن المؤمن محترم ذاتا ودما، وأهلا ومالا، فإذا أريد منه شيء من ذلك؛ جاز له الدفع، فإذا قتل بسببه؛ فهو شهيد CCXXV.

وأما المواثيق الدولية الدالة على شرعية المقاومة، فمنها ميثاق الأمم المتحدة الذي اعترف بهذا الحق من خلال إقرار مبدأ الحق في تقرير المصير بعد النص عليه في المادتين (١/٢ و ٥٥) من الميثاق، ولائحة جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م التي تكفلت ببيان هذا الحق.

فالمقاومة الوطنية تحظى بالشرعية، وتأييد ودعم الشعب لها؛ لأنها تريد تحريرها من الاحتلال الأجنبي والدفاع عنه، وكذلك تحظى بالشرعية في الخارج، لأن القوانين والمواثيق الدولية تمنحها الحق في تحرير بلدها، فيما لا تتمتع القوى الإرهابية بشيء من ذلك، لأنها تقف ضد أمانى الشعب وطموحاته، وتحاربه، وتتعمد قتله والتنكيل به؛ لفرض إرادتها، وتحقيق أهدافها CCXXVI.

أهداف المقاومة الوطنية تتركز في مقاومة الأعداء وتحرير الأوطان والشعوب، وإذكاء اللحمة وجمع الأمة، لطرد الغاصب وتحرير الوطن؛ فيما يسعى الإرهاب والتطرف إلى القتل والتخريب وبث الرعب، للفت الأنظار إليه وفرض سيادته

وتبرز المقاومة الوطنية في ثنائيا الاخطار المحدقة بالوطن، لدحر الأعداء، وتحرير الأوطان من المعتدين CCXXVII، بينما يستغل الإرهاب كل الظروف والأحوال لتنفيذ مخططاته؛ فقد يعكر الأمن، ويستغل الشعائر، لإحداث الفرع.

التدابير الشرعية والدولية والوطنية للوقاية من الإرهاب والتطرف

أولا - التدابير الشرعية للوقاية من الإرهاب والتطرف:

١- بما أن الإرهاب والتطرف من الاعمال المؤدية إلى هدم المجتمعات والدول وترويعها، وإغراقها في الجرائم والفتن؛ فهذا إفساد في الارض، والإسلام حرم هذا الفعل، ورتب عليه حد الحرابة، قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة المائدة، الآية ٣٣.

يقول الإمام ابن العربي: والحرابة هي إشهار السلاح قصد السلب، مأخوذ من الحرب؛ وهو استلاب ما على المسلم بإظهار السلاح عليه، وقال الإمام مالك: المحارب الذي يقطع السبيل وينفر الناس في كل مكان، ويظهر الفساد في الأرض وإن لم يقتل أحدا، إذا ظهر عليه يقتل، أو يخير الإمام - الدولة - فيه بالقتل، أو الصلب، أو القطع، أو النفي CCXXVIII.

نخلص من ذلك إلى أن جريمة الحرابة، أو قطع الطريق تتمثل في الإفساد في الأرض بصور القتل الوحشية، والسلب والنهب، والإخافة وترويع الأمنين، والإرهاب بشتى أنواعه. فشدة العقوبة التي شرعها الإسلام تتناسب مع هول تلك الجريمة، وتكون أدعى للقضاء عليها، أو التخفيف منها، كما نخلص إلى أن المحارب، وصف ينطبق على معنى الإرهابي الآن؛ وهو كل من أشهر السلاح، أو ما يقوم مقامه من أعمال عنف في وجوه الناس في شتى المجالات والأحوال؛ لتحقيق مخططاته، وأهدافه.

٢- الدعوة إلى التربية القويمة، المتمثلة بغرس العقيدة الإيمانية في النفوس، والقائمة على روح التسامح، والتناصح وحب الخير لأفراد المجتمع.

٣ - الدعوة لاستنهاض الأمة الإسلامية بكل دعائها، وعلمائها، ومفكرها، ومؤسساتها؛ للوقوف في وجه هذا الخطر الداهم، وبيان صورة الإسلام المشرقة التي تدعو إلى قيم التسامح والرحمة والتعاون على الخير.

ثانيا - التدابير الدولية للوقاية من الإرهاب والتطرف:

١ - لا بد من اتفاق كافة الدول، والمجتمعات، والمنظمات على تحديد معنى الإرهاب والاتفاق عليه، ومنع أسبابه وشتى صورته بصدق وشفافية.

٢ - مقاطعة الدول والهيئات الداعمة للإرهاب والتطرف ونبذها والتصديق عليها؛ حتى تتخلى عن سياستها الداعمة له.

٣ - تفعيل قرارات المركز العالمي لمكافحة التطرف (مركز اعتدال)، وهو مركز عالمي مهمته مكافحة التطرف واجتثاث جذوره، وقد تأسس عام ٢٠١٧م خلال انعقاد قمة الرياض في نفس العام CCXXIX.

٤ - تفعيل القرارات والمواثيق الدولية المناهضة للإرهاب والتطرف، وإلزام الدول بها، وهذه القرارات الدولية متعارف عليها منذ عام ١٩٣٧م عندما وضعت عصبة الأمم المتحدة - آنذاك - اتفاقية منع الإرهاب وقمعه.

٥ - تكثيف جهود منظمة الأمم المتحدة في منع الإرهاب والتطرف، وتعزيز التعاون الدولي في مكافحته، وإرساء المعايير الدولية الثابتة للحكم عليه بميزان واحد CCXXX.

٦ - تشكل قرارات مجلس الأمن رقم ١٢٦٧، و١٣٧٣، و١٥٢٦، و١٥٣٦، و١٥٦٦ أساسا لمكافحة الإرهاب والتطرف على نطاق عالمي CCXXXI. فلا بد من الالتزام بهذه القرارات، وتطبيقها بنسق معياري، ودون ازدواجية.

ثالثا - التدابير الوطنية للوقاية من الإرهاب والتطرف:

١ - أصدرت الحكومة الأردنية عام ٢٠٠٦م قانون منع الإرهاب، والذي عدل في العام ٢٠١٤م، وهذا القانون بتعديلاته توسع في وصف الإرهاب؛ ليشمّل الأعمال الجرمية التي تعرض المواطنين للخطر، كما يشمل كافة الأعمال التي تؤدي إلى تكبير سياسة الأردن بالدول الأخرى.

٢ - تم إنشاء المركز الأردني لمكافحة التطرف الفكري، وهو مركز أكاديمي متخصص بدراسات الفكر المتطرف، ومكافحته، بتمويل من الحكومة اليابانية من خلال مكتب الأمم المتحدة لخدمة المشاريع للقوات المسلحة.

٣ - تم إنشاء مديرية مكافحة التطرف والعنف من قبل وزارة الداخلية، والتي تهدف إلى الإشراف على تنفيذ سياسة الدولة في مجال مكافحة التطرف والعنف؛ فيما يتعلق بالجانب الوقائي والتوعوي، والمتابعة والتنسيق بشأنها.

٤ - صدور رسالة عمان في ٩ / ١١ / ٢٠٠٤م، والتي من أهدافها التعريف بالدين الإسلامي ومبادئه العظيمة، ورسائله السمحة إلى الناس، وقواعده الناظمة للسلوك الإنساني بكل أبعاده، والداعية إلى الخير والرحمة، والأمر بالتسامح والعفو، وإقرار مبدأ العدالة، وحفظ الحقوق، والنهي عن الفساد في الأرض، ومنع الاعتداء على المدنيين، وحماية حياتهم من القتل والإيذاء أو التهديد؛ واحترام المواثيق والعهود ccxxxii. فالتطرف غريب عن الإسلام الذي يقوم على الاعتدال والتوسط والتيسير، والتسامح والتعاون، وشعاره في ذلك قول الله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) سورة المائدة، الآية ٢.

الخاتمة

١ - إن التطرف والإرهاب من الجرائم الخطيرة على أمن الدول والمجتمعات والأفراد؛ فعلى العالم بأسره التصدي لهذه الجريمة، والوقوف في وجهها، والحد من آثارها.

٢ - الإرهاب كظاهرة سياسية بدأت منذ أيام الثورة الفرنسية؛ تلك الثورة التي قامت على الإرهاب، لتثبيت دعائمها وترسيخ مبادئها؛ فمعها عرف إرهاب الدولة المنظم والمدعوم بالقانون.

٣ - لا علاقة بين مصطلح الإرهاب - الشائع الآن - وبين المصطلح الوارد في القرآن الكريم؛ فالمصطلح القرآني يدل على إخافة المعتدين وترويعهم، ليكفوا عن إيذاء المسلمين وظلمهم؛ فهو من باب مقارعة القوة بالقوة، لثني المعتدي عن فعله الإجرامي، وهذا المبدأ مشروع ومتعارف عليه بين الدول، وهو ما يعرف بتوازن القوى، أو تحقيق الردع، أو سياسة الحرب الباردة.

٤ - يجب التمييز بين الإرهاب المحظور، وبين المقاومة المشروعة، ولا يجوز التعمد في الخلط بين المصطلحات، أو إطلاق الكلام على عواهنه؛ فالمقامة حق مشروع للشعوب التي تسعى لنيل حريتها واستقلالها، والإرهاب محظور؛ لأنه سلب للحقوق وتضييع لها.

٥ - وعليه فإن الجهاد المعروف في الإسلام بضوابطه أمر مشروع؛ لأنه من باب المقاومة المشروعة، للدفاع عن العقيدة والأوطان، وتحرير الشعوب من الظلم والطغيان.

٦ - لا مصداقية للقرارات الدولية المنبثقة عن المنظمات والهيئات الدولية، ما لم تتعامل بصدق وشفافية مع جميع الدول في تلك القضية؛ فليس هناك دولة، أو جهة فوق القانون؛ بل الجميع سواسية.

٧ - يجب الكف عن ترديد الاتهامات الظالمة للإسلام والمسلمين، ومحاولة دمجهم بالإرهاب والتطرف، إذا ما أراد العالم العيش بسلم وأمان. كما أن تلك الاتهامات قد بان زيفها وانكشف عوارها؛ لأن الإرهاب قضية عالمية لا تختص بشعب، أو أمة، أو ثقافة، أو دين.

الفهرس

المؤتمر العلمي الثالث بعنوان

حوار الحضارات والثقافات

بحث بعنوان

دور التنمية في الحد من التطرف والأنشطة الإرهابية.

ضمن المحور الثالث: المواجهة وطرق التوجيه.

إعداد الباحثان

د. محمد حسين الزغول، أ. ابتسام أمين الصمادي.

اقتصاد ومصارف إسلامية، محاضر غير متفرغ بجامعة عجلون الوطنية
دبلوم عالي في اللغة العربية وآدابها، وزارة التربية والتعليم.

المُلخَص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان دور التنمية في الحد من الأنشطة الإرهابية، ودور الدولة في ضمان عدالة توزيع مكتسباتها، وقد توصلت الدراسة إلى الدور المهم الذي تلعبه التنمية بمفهومها الشامل من الحد من هذه الظاهرة التي باتت تشغل العالم أجمع، وبيّنت الدراسة إلى أنّ عدم الوصول إلى تعريف محدد للإرهاب من قبل المنظمات الدولية ما زال يُشكّل عقبةً في طريق مكافحته ما زال هناك انتقائية في التعريف.

وفي مجال التنمية تبين من الدراسة أنّ للتنمية دورٌ كبير في الرقي بالمجتمعات وأنّ إشراك قطاع الشباب فيها يبعدهم عن تلك الأفكار الضالة ويحد من تمدد ظاهرة الإرهاب بينهم مما يساعد على اجتثاثه، وينقل هؤلاء الشباب من مرحلة الانعزال إلى عملية المشاركة في تنمية بلادهم ودرء الأخطار عنها.

Summary

This study aimed at explaining the role of development in reducing terrorist activities and the role of the state in ensuring the equitable distribution of its gains. The study reached the important role that development plays in its comprehensive concept of reducing this phenomenon which is now occupying the whole world. A specific definition of terrorism by international organizations remains an obstacle in the way of combating it. There is still a selective definition

In the field of development, the study shows that development plays a major role in the advancement of societies and that the involvement of the youth sector deters them from these misguided ideas and limits the spread of terrorism among them, which helps to eradicate it. These youth move from isolation to participation in the development of their country and the prevention of dangers

المقَدِّمة

تعد ظاهرة الإرهاب من أهم القضايا التي بدأت تُورِّق دُول العالم غنيه وفقيره، أشغلت العالم لفترات طويلة، دخل العالم في حروب باهظة التكاليف في سبيل القضاء عليها لكن دون جدوى، فما إن يتم استئصاله من منطقة إلا ويظهر في أخرى وبقوة أكبر.

ومع أنَّ هذه الظاهرة قديمة قدم الإنسانية إلا أنها قد زادت وتيرتها في أواخر القرن الماضي، وبداية هذا القرن، وارتفعت كلفتها في الأرواح والممتلكات، وابتُلِيت منطقتنا العربية بتلك الظاهرة أكثر من غيرها سواءً بارتكاب المجرمين لجرمهم على أرضها أو بالوصول إلى مناطق تُعتبر بؤراً صالحة وتربة خصبة لوجود عوامل التطرف بسبب الفقر والبطالة، وهذا التطرف لا يلبث إن لم يجد الحلول المناسبة أن يكون صيداً سهلاً، لذا فإن الواجب عليها التعاون فيما بينها لتجفيف منابعه.

وقد جاءت هذه الورقة البحثية لتبحث في أهم وسيلة من الوسائل الناجعة في محاربة الإرهاب وتجفيف منابعه وهي والتنمية، وعلى الدولة عبر مؤسساتها مواجهته بتجفيف منابعه والحيلولة دون حدوث الأسباب والطرق المؤدية إليه من الفقر والبطالة، والشعور بعدم العدالة في توزيع مكتسبات التنمية، حتى لا يلج من خلالها أصحاب الاجندات الخاصة الذين هدفهم زعزعة الاستقرار وخلق حالة من عدمها.

ويرتبط الإرهاب ارتباطاً وثيقاً بالتنمية فأينما غابت التنمية حلَّ الإرهاب، فهو يستغل الظروف والظواهر التي تنشأ عن غياب التنمية أو وجدها ولكن بطريقة مشوّهة كالفقر والبطالة التي أكثر ما تمس الطبقة العاملة من الشباب الذي يجد فيه الإرهاب مادته الخصبة، وخاصة عندما يرافق هذه الظواهر ظاهرة الفساد والطبقية.

كلمات مفتاحية: الإرهاب، الإعلام، التنمية الاقتصادية، الفقر، البطالة.

أهمية البحث

تظهر أهمية الدراسة من خلال أهمية الموضوع الذي تناقشه والمتعلق بالإرهاب الذي أصبح يُشكّل العائق أمام تقدم المجتمعات وازدهارها، وكلف الدول خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، مما أثار سلباً على تطورها.

مشكلة البحث

تعد مشكلة الإرهاب من أهم المشاكل التي تواجه دول العالم، وقد أخذت هذه القضية أبعاداً اقتصادية واجتماعية خطيرة، وهذا ما بدأ يدركه العالم، وقد صيغت مشكلة هذه الدراسة من خلال السؤال التالي ما دور كل من الحملات الإعلامية والتنموية في الحد من ظاهرة الإرهاب.

هدف البحث

نهدف من خلال هذا الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:-

الإلمام بالمفاهيم الأساسية المتعلقة بالإرهاب والتنمية.

التعرُّف على دور الدولة في مواجهة التطرف والارهاب بتجفيف منابعه والأسباب التي تؤدي إليه.

التعرف على دور التنمية بمفهومها الشامل في الحد من ظاهرة الإرهاب.

منهجية البحث

اعتمد الباحث على الأسلوب الوصفي الاستقرائي، من خلال الاطلاع على الدراسات والبحوث السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث بهدف الاستفادة مما وصلت إليه من نتائج.

المطلب الأول

مفهوم الإرهاب والتطرف وأسبابهما وآثارهما

الفرع الأول: مفهوم الإرهاب

تُعَدُّ ظاهرة الإرهاب من الظواهر الأكثر تداولاً وبحثاً والأكثر جدلاً، نظراً لانتشارها في مختلف الدول والمجتمعات، ولكن مع عمومية انتشارها واشتراك العالم أجمع في مكافحتها إلا أنه لم يتم الاتفاق على تعريفٍ محدد لهذه الظاهرة، ولعلَّ تعارض المصالح قد يكون السبب في عدم وجود تعريف متفقٍ عليه للإرهاب.

وتكمن أهمية الاتفاق على تعريفٍ موحدٍ للإرهاب، إذ أنَّ عدم توفر ذلك يُشكِّلُ عقبةً في سبيل مكافحته من جهة، ومن جهةٍ أخرى يُؤدِّد الشعور بوجود ظلمٍ وتحيزٍ قد يُساهم في تغذية المجموعات الإرهابية، ونظراً لكثرة التعريفات في هذا المجال (١) فإننا سنقتصر في إيراد تعريف المنظمات الدولية، فقد عرَّفت الأمم المتحدة الإرهاب بأنه: "أعمال العنف الخطيرة التي تصدر من فرد أو جماعة" (٢)، كما عرَّفته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بأنه: "كل فعل من أفعال التهديد به أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه، ويقع تنفيذاً لمشروع فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حُرِّيَّتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو أحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد المواد الوطنية للخطر" (٣).

ومن خلال النظر في هذه التعريفات نلاحظ أنها ناقصة إذ أنها لم تُشر إلى إرهاب الدُول واقتصر على ما يقوم به الأفراد والجماعات، وهذا الخلل في التعريف ساهم لدرجة ما في انتشار الأفكار المشوشة لدى جيل الشباب وجعل طريق الوصول إليهم من قبل العصابات الإجرامية والتأثير على فكرهم أسهل، واستغرب من بعض الباحثين الذين يدعون بصعوبة الوصول إلى تعريفٍ موحدٍ للإرهاب، والصحيح أنَّ الدول الكبرى لا تُريد ذلك لأنه يتناقض مع مصالحها، وخير دليل ما واجهته اللجنة الفرعية التي شكَّلتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لوضع تعريف للإرهاب في دورتها السابعة والعشرين عام ١٩٧٢م، فقد ظهر التباين بين موقف دُول عدم الانحياز التي أصرَّت على التمييز بين إرهاب الدولة وإرهاب الأفراد واستثناء حركات التحري التي تُناضل لنيل استقلالها بينما أصرَّت الدُول الكبرى ممثلة بأمريكا وفرنسا وفنزويلا في ذلك الوقت على اقتصاص الإرهاب الدولي على إرهاب الأفراد مستثنية إرهاب الدُول، ولم تستثنى حركات التحرر من إدراجها على قائمة الإرهاب مما جعل الأمم المتحدة تقف عاجزة عن إصدار تعريفٍ موحدٍ للإرهاب (٤)، ولعلَّ التعريف الذي توصل إليه مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي يعتبر تعريفاً جامعاً حيث جاء فيه (٥): "العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف، أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حرَّيتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، والأملاك العامة، أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية، للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦)، وهذا بالطبع يشمل إرهاب الأفراد والجماعات والدُول.

الفرع الثاني: أسباب الإرهاب.

ما من شك أنَّ ظاهرة الإرهاب لم تولد صدفة، فلا بُدَّ من وجود أسباب أدَّت إلى ظهورها وانتشارها، وإن كان من الصعوبة تحديد أسباب الإرهاب فهي تختلف من مُجتمعٍ لآخر ولكن يمكن إجمالها وتقسيمها إلى أسبابٍ داخلية وخارجية،

(١) فقد سجَّل "شميد" في كتابه الإرهاب السياسي من تعريفات الإرهاب ما يزيد عن مائة وتسعة تعريفات الإرهاب. انظر: شكري، محمد عزيز، الإرهاب الدولي دراسة قانونية ناقدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ص ٧.

(٢) بباوي، نبيل لوقا، الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البياوي للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م، ص ٥٨.

(٣) انظر: الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، ١٩٩٨م، المادة الثالثة.

(٤) انظر: رفعت، أحمد محمد، والطيار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، مركز الدراسات العربي، باريس، فرنسا، ١٩٩٨م، الحسيني، محمد تاج، مساهمة في فهم ظاهرة الإرهاب، مجلة الوحدة، ٦٧ع، السنة السادسة، الزيات، المغرب، ١٩٩٠م، ص ٢٥.

(٥) انظر: قرارات الدورة السادسة عشر لمجمع الفقه الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة، من ٢١ - ٢٦/١٠/١٤٢٢هـ، الموافق ٥ - ١٠/١/٢٠٠٢م.

(٦) سورة القصص، آية رقم: (٧٧).

ولا يعني بيان أسباب الإرهاب لا تعني ضرورة تبريره وإيجاد الأعذار له، وإنما يعني إيجاد الحلول الناجعة لمنعه من الظهور والقضاء عليه إذا ظهر.

أولاً: الأسباب الداخلية.

تتعدد الأسباب الداخلية التي تُساهم في توفير الأرض الخصبة لظهور الجماعات الإرهابية، وهذه الأسباب تتداخل وتتشابك فيما بينها ولكن يمكن إجمالها بالآتي:

الفساد المالي والإداري:

حيث يُعتبر هذا العامل من أكثر العوامل تأثيراً في صناعة الإرهاب، حيث يتسبب الفساد في ظهور ظواهر أخرى تكون أرضاً خصبة لميلاد الإرهاب من أهمها: الشعور بالظلم من سوء توزيع مكتسبات التنمية، وظهور البطالة بين الشباب، وحدث الأزمات الاقتصادية التي غالباً ما تصيب الطبقة الفقيرة، ويُساهم أيضاً في بروز التفاوت الطبقي في المجتمع، مما يُؤدِّد سلوكاً عدائياً لدى الفرد تجاه مجتمعه ويجعل لديه قابلية للميل للعنف لاسترداد حقه الذي يُعتبر أنَّ الغير قد صادره منه(١)، وتزداد المشكلة إذا رافقها غياب الديمقراطية وحرية الرأي، ومحاسبة الفاسدين وغياب الشباب عن المشاركة في التنمية وإشراكهم في ثمارها.

عدم الاهتمام بالموارد البشرية وتنميتها:

حيث يُعتبر المرد البشري من أهم الموارد الاقتصادية فهو موردٌ مؤقت سواء في سن التربية أو في سن العمل، ففي سن التربية التي تبدأ في البيت وضرورة وجود القدوة الحسنة من قبل الآباء والأمهات، ثم ينقل الفرد للمدرسة التي يقضي فيها الفرد فترة شبابه وينضج فيها فكره، لذلك فإن المناهج التعليمية تعتبر اللبنة الأساسية في البناء المجتمعي، وأي انحراف فيها يتسبب في انحراف الجيل بأكمله، فلا بد لتلك المناهج أن تُعالج الانحرافات الفكرية التي نشأت بسبب الفهم الخاطئ لمبادئ هذا الدين الحنيف(٢)، ولا بد للمناهج أيضاً أن تكون مُستمدة من التربية الإسلامية التي تنظر للفرد نظرة متكاملة فهو يتكون من عقل وروح وجسد، فلا بُدَّ من الاهتمام بها جميعاً(٣).

وبعد التعليم الجامعي ينطلق الفرد إلى سوق العمل، وهنا لا بد للدولة أن تساعد في إيجاد فرص العمل المناسبة، فإن التعطل في صفوف الخريجين الذين يزدادون كل سنة لا يلبث أن يولد انفجاراً، ويؤدي بهم إلى التطرف ويجعل منهم مادة سهلة للإرهاب، ويزداد الأمر سوءاً إذا كان هناك انتقاء في التوظيف ودخول الوساطة في هذا المجال، وعدم سعي الدولة إلى إيجاد حلول لهم، ورحم الله الفاروق عُمر رضي الله عنه عندما قال: "يا هذا إن الله قد خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمس في المعصية أعمالاً، فأشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية"٤.

ثانياً: الأسباب الخارجية

ومن أهم الأسباب الخارجية هي تلك الهجمة الشرسة التي يشنها أعداء الإسلام على المسلمين، والتي بدأت بزرع الكيان الصهيوني في قلب البلاد العربية وما فعلته بالشعب الفلسطيني من قتل وتهجير، مما وُجد عند الشباب كراهية المحتل لأرضهم وانتهاجهم سياسة الدفاع عن وطنهم، وهذا في نظر المجتمع الدولي يُسمَّى إرهاباً، ثم الحرب الاقتصادية التي تشنها الدول الغربية على دول العالم الثالث فبعد فترة الاستعمار الطويلة لها ونهب خيراتها، عملت على إفقارها وجعلتها ترزخ تحت رحمة مديونيتها عن طريق صندوق النقد الدولي، وهذا ينطبق على معظم البلاد الإسلامية، مما يحثُّ عليها على مواردها وسلوك طريق التنمية بمفهومها الشامل، كما أنَّ الدول الغربية تلجأ إلى زرع الإرهاب لزعة الأنظمة وتغييرها في البلدان التي تخرج عن طاعتهم.

الفرع الثالث: مفهوم التطرف

كثيراً ما يطلق لفظ التطرف، ويقصد به التطرف الديني، بل ويلصق بالمسلمين حصراً، مع أنَّ التطرف الديني هو أحد أنواع التطرف والذي يشمل بالإضافة للتطرف الديني التطرف الفكري والتطرف الاجتماعي، كما ويكون هناك خلط

(١) انظر: فرحان، احمد محمد، دور الفساد المالي والإداري في تفعيل ظاهرة الإرهاب في المجتمع - دراسة تحليلية -، بحث مُقدَّم إلى المؤتمر العالمي لمكافحة الإرهاب، مكة المكرمة، السعودية، من ٣-٦ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٢ - ٢٥ فبراير ٢٠١٥م.

(٢) قيراط، محمد سعود، الإرهاب، دراسة في البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته، مقارنة إعلامية، جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، السعودية، ١٤٣٢هـ، ص ١٨٦.

(٣) انظر: الليث، الريح احمد الليث، ضعف المناهج التعليمية في تقديم ثقافة مكرمة، بحث مُقدَّم إلى المؤتمر العالمي لمكافحة الإرهاب، مكة المكرمة، السعودية، من ٣-٦ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٢ - ٢٥ فبراير ٢٠١٥م.

(٤) العزالي، محمد، ظلال من الغرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م، ص ١٨٩.

بين مصطلح التطرف ومصطلح الإرهاب، رغم ما بين هذين المصطلحين من فارق كبير في المدى، وقد مرَّ معنا معنى الإرهاب فلا بدَّ من بيان معنى التطرف، وما حدود العلاقة بينه وبين الإرهاب؟

أولاً: مفهوم التطرف

١- التطرف في اللغة والاصطلاح:

التطرف في اللغة: هو الوقوف في الطرف، هو عكس التوسط والاعتدال ومن تم فقد يقصد به التسبب أو المغالاة، وإن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط فقط، والتطرف كذلك يعني الغلو وهو ارتفاع الشيء ومجاوزة الحد فيه، وفي المصباح المنير: غلا في الدين غلوا من باب تعد أي تعصب وتشدد حتى جاوز الحد. فالتطرف هو الميل عن المقصد الذي هو الطريق الميسر للسلوك فيه، والمتطرف هو الذي يميل إلى أحد الطرفين.(١)

٢. التطرف في الاصطلاح: يرتبط بأفكار بعيدة عن ما هو متعارف عليه سياسيا واجتماعيا ودينيا دون أن ترتبط تلك المعتقدات بسلوكيات مادية متطرفة أو عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة.(٢) ويرى البعض أن التطرف يحمل في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية، يتجاوز مداها (أي الحركة) الحدود التي وصلت إليها القاعدة وارتضاها المجتمع.(٣).

وعلى هذا الأساس فإن التطرف هو مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تتجاوز المتفق عليه سياسيا واجتماعيا ودينيا فالتطرف هو دائما يكون مرتبنا بما هو فكري بالأساس.

ثانياً: خصائص التطرف: تتعدد خصائص التطرف لتشمل كل تصرف يخرج عن حد الاعتدال وذلك في كافة صور السلوك ومنه(٣)

١. تعصب المتطرفين لرأي بحيث لا يتم السماح للآخرين بمجرد إبداء الرأي، أي الإيمان الراسخ بأنهم على صواب والآخرين في ضلال عن الحقيقة، لأنهم وحدهم على حق والآخرين في مآهات وضلالات.
٢. العنف في التعامل والخشونة والغلظة في الدعوة والشذوذ في المظهر.
٣. النظرة التشاؤمية والتقليل من أعمال الآخرين والاستهتار بها.
٤. الاندفاع وعدم ضبط النفس.
٥. الخروج عن القصد الحسن والتسيير المعتدل.

ثالثاً: أسباب التطرف(٤):

١- الجهل: وهو مصدر كل الأخطاء، لأن الجاهل لا يُحْكَم عقله بل يندفع وراء عاطفته، وقد يكون هذا الشخص غيورا على دينه وشديد الخوف من ربه لكنه جاهل ولا يدري أنه جاهل، فالكثير ممن تأثروا بهذا الفكر ثقافته الدينية محدودة ولا علاقة له اصلا بدراسة العلوم الإسلامية ولا يحمل أي شهادات علمية في الميدان الديني!، وإن ظهر على هؤلاء تدين لان دافعهم هو الحرص على الالتزام بالدين، لكن الغيرة والعاطفة لا بد ان تضبط بضوابط الشريعة وعدم إلغاء العقل، لان كثرة العبادة ليست دليلا على العلم ولا على ان الشخص معه الحق لقوله صلى الله عليه وسلم "يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".

٢- وجود بعض البدع والخرافات والعادات والتقاليد، المخالفة لصميم الإسلام كالذبح لغير الله، ودعاء الأموات وتعليق التمام والحجب وتصديق الكهان والعرافين " لقزاة " والتي يجهل الكثير من الناس أنَّها مخالفة للدين وهذه أمور كلها

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م، ص٥٥٥.

(٢) راشد، محمد علي محمد، مفهوم الإرهاب الدولي دراسة فقهية قانونية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة ام درمان الإسلامية، ام درمان، السودان، ٢٠٠٧م، ص ٩٢.

(٣) حنك، إبراهيم، التطرف الفكري بشقيه ووسطية الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م، ص٥٦.

(٤) بيومي، محمد أحمد محمد، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤م، ص٨٧-٩١.

زادت من التطرف المضاد وبعد هؤلاء عن مجتمعهم وجعلتهم ينظرون إلى أنه مجتمع جاهلي خلاف ما تقتضيه الشريعة من النصح بصدق والتحذير من هذه المخالفات بالرفق واللين والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: " ادعوا الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن " لا بالتي هي اخشن.

٣. بروز مظاهر الانحلال والتفسخ في المجتمع بسبب التغيرات التي طرأت على البنية الاخلاقية وهو ما ينتج عنه تطرف معاكس بالغلو والتشدد وبالتالي الضياع في متاهات التطرف الفكري.

٤ - جرأة بعض الشباب على اطلاق أحكام الحلال والحرام التي تملك الاستناد الى دليل شرعي مخالفين لقوله تعالى: " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ".

٥- الظن وانتشار الإشاعة: عندما تنتشر الإشاعة في المجتمع، تصبح الساحة مسرحاً لتبادل الاتهامات والظن السيئ بالناس مما يوسع الفجوة بين أبناء المجتمع الواحد، ويفتح الباب على مصراعيه أمام الأفكار التكفيرية وإلغاء الآخر قال تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّونَ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ".

٦- الفساد الإداري وغياب العدالة: إذ تساهم تجاوزات بعض المسؤولين وعدم العدل بين الناس، أو التفتق من حقوقهم والتمييز بينهم بدون مبرر كل ذلك ينمي مظاهر السخط والتذمر ويؤدي إلى فقدان الثقة في السلطة ثم العمل في الاتجاه المضاد لتغيير هذا الواقع، وهنا يجد المبرر الكافي لركوب موجة التطرف والتكفير باسم الإصلاح والتغيير.

ومن خلال مناقشة أسباب كل من الإرهاب والتطرف نلاحظ أن التأخير في علاج هذه الأسباب كان من أسباب انتشارها ولعل الفقر والجهل من أهم أسبابها لذا كانت التنمية بمفهومها العام الحل الأمثل لتجفيف منابع الإرهاب وكما سنرى في المطلب الثاني.

المطلب الثاني

التنمية كأهم طرق المواجهة لظاهرتي التطرف الإرهاب.

الفرع الأول: مفهوم التنمية

لم تعد التنمية تقتصر على البعد الاقتصادي فقط، بل أصبح مدلولها أوسع وأشمل بكثير، فهي تشمل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، فموضوع التنمية هو الإنسان الذي هو هدف التنمية ووسيلتها ومتطلباته كثيرة غير الأكل والشرب -، فقد عُرِّفت التنمية بأنها: "عملية ديناميكية، شاملة، ومعقدة، وعميقة، وواعية، ومقصودة، ومدروسة، تتم بالإنسان ومن أجل الإنسان، وتهدف إلى إحداث تحولات واسعة وشاملة وعميقة في المجتمع، وفي مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، وهذا ما يؤكد أنها عملية مرتبطة بالظروف الخاصة، والإمكانات والموارد المادية والبشرية، ومن ثم لا يمكن استيرادها أو استعارتها جاهزة، بل هي مشروع يجب العمل عليه لإيجاده(١) .

الفرع الثاني: علاقة التنمية بالإرهاب.

لا نبالغ إذا قلنا أن التنمية بمفهومها الشامل والإرهاب والتطرف في كفتي ميزان فكلاهما يؤثر في الآخر، وكلاهما موضوعه الإنسان، فالإرهاب هو سبب ونتيجة للتدهور الاقتصادي، فالعلاقة بين الفقر والإرهاب هي علاقة تبادلية ثنائية الاتجاه يُغذي كل واحد منهما الآخر، فالعلاقة بينهما هي علاقة تبادلية، فالتنمية الشاملة لا يقتصر دورها على التوجه الاقتصادي ولكن تمتد لتشمل أليات التعليم والتربية والتعليم فهي بذلك تأخذ بيد الشخصية في طريق النضج والوعي فلا تجعله فريسة للنظرة الأحادية الضيقة التي منها يعبر الإرهاب(٢).

وكما أن غياب التنمية يؤدي إلى عوامل مُغذية للإرهاب، فإن وجود تنمية مُشوّهة لا تقل عنها بل وتعتبر من أخطر الأمور على استتباب الأمن، فقيام نمو اقتصادي في بعض الأقاليم، أو في بعض القطاعات دون الأخرى، أو بعض الفئات دون بقية أفراد المجتمع تؤدي إلى توزيع غير عادل للثروة، فينقسم المجتمع على قسمين: قسم يملك والآخر لا يملك مما

(١) محمود، جمال جاسم، دور الإعلام في تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادي العربي، بحث منشور، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج ١٠، ع ٤، ٢٠٠٤، ص ٣٨٥.

(٢) إبراهيم، ماجد موزين، الإرهاب الظاهرة ولعمادها النفسية، دار القازلي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٣٨٥.

يؤدي إلى تفشي الحقد مشاعر الاغتراب نتيجة عدم تكافؤ الفرص، وعدم الإحساس بالعدالة الاجتماعية، وهذا يوفر بيئة حاضنة للإرهاب لا تلبث أن تنمو وتتفجر.

إنَّ الناظر إلى كل من دالتي التنمية والإرهاب نجد فيها عوامل مشتركة، فدالة التنمية تتوقف في تغيرها سلباً وإيجاباً على عوامل منها الفقر والبطالة والإرهاب، بينما تتوقف دالة الإرهاب على مجموعة قوى تغذيها منها الفقر والبطالة والفساد والتنمية الاقتصادية المُشوَّهة، مما يعني وجود قواسم مُشتركة، ويؤكد الدور البناء للتنمية في الحدِّ من ظاهرة الإرهاب(١).

وفي دراسة أُجريت على مجموعة من الأطفال ومدى جنوحهم للجريمة، تبين أنَّ ٢٥% من الأطفال في البلدان الفقيرة يجنحون للجريمة، بينما لا تتجاوز النسبة الـ ١% في الدُول المُتقدِّمة(٢)، وقد يتساءل البعض أنَّ الإرهاب يقع في الدُول المتقدمة أيضاً؟ نحن لا ندَّعي أنَّ التنمية هي السبب الوحيد في غياب أو وجود الإرهاب لكنَّها سببٌ رئيسي في ذلك وحتى الدول المتقدمة تعاني من تنمية مهمشة أو تحيز عنصري وفقير في بعض جيوبها.

والممتنع للأعمال الإرهابية يلاحظ أنَّها تبدأ من المناطق الحدودية لقلّة عدد السكان الناتج عن الرغبة بالهجرة إلى المدن، لما تعانيه مناطقهم من تهميش ونقص التعليم والخدمات.

وإذا تتبعنا البلاد العربية كنموذج نرى بأنَّ معظمها يخطو بخطوات بطيئة في مجال التنمية، ونرى الغالبية منها ما زال يراوح مكانه بحجة ضعف الإمكانيات، مع أنَّ ذلك لا يمكن قبوله كعائق أمام التنمية، فكل قطر لديه من الإمكانيات - لو أحسن استغلالها - لما بقينا نعاني ما نعانيه الآن، ولدينا تجارب لدُول مختلفة نهضت من دمار شامل كاليابان مثلاً، وبقلة مواردها لكنها اعتمدت على تنمية الإنسان ووصلت على ما هي عليه الآن.

ولكن في ضل الخصخصة والسوق المفتوحة، فقد تجد الدولة نفسها عاجزة عن المساهمة بفاعلية في التنمية الاقتصادية كما كانت من قبل، ولكن هذا لا يعفيها من القيام بواجباتها، وعليها ان تحاول اشراك القطاع الخاص، فهو - أي القطاع الخاص - يقوم بدورٍ لا يقل يقوم بدورٍ في النشاط الاقتصادي عن الدور الذي تقوم به الدولة، إذ من المفترض أن يُكَمِّل كل منهما دور الآخر.

وعلى الرغم من أهمية دور الاستثمار الخاص في التنمية، إلا أنَّ للقطاع العام دورٌ هام حيوي لا يمكن التغاضي عنه، حيثُ أنَّ هناك بعض المشروعات لا يستطيع القطاع الخاص أن يوفرها، كما أن هناك مشروعات ذات أهمية إستراتيجية التي يجب أن تبقى تحت سيطرة الدولة، والتي تُمثّل جزءاً هامناً من كيانها، ولذلك فإن عملية التنمية الاقتصادية تستلزم تضافر القطاعات الاقتصادية المختلفة سواء القطاع عام أو الخاص للنهوض بأعباء التنمية أو في حالة الإصلاح الاقتصادي.٣

إنَّ التكامل بين الأقطار العربية مطلب تفرضه أخوة العقيدة والعروبة، ولكن لا بد من سعي الجميع للدخول في ركب التنمية وتهيئة الأرضية المناسبة لتبادل الاستثمارات بين الدول العربية والإسلامية، فلا توجد دولة فقيرة ودولة غنية، فكل الدُول غنية بمواردها ولكنَّها بحاجة إلى حسن استغلال .

ويتضح لنا بعد هذا الاستعراض الدور الهام أهمية التنمية في الحد من ظاهرة الإرهاب، فغيابها سيؤدي حتماً إلى التخلف والبطالة وسوء توزيع الثروة وظهور الفساد وهذه هي البيئة الحاضنة لنشوء الإرهاب.

النتائج والتوصيات

لقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج والتي يمكن تلخيصها بما يلي:-

تعتبر ظاهرة الإرهاب من بين أهم المشاكل التي تواجه المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر، وقد زادت وتيرتها بعد انتهاء الحرب الباردة وتحول العالم إلى القطب الواحد.

عدم وجود إرادة لدى الدول الكبرى للوصول إلى تعريفٍ موحد للإرهاب لأن ذلك قد يتعارض مع مصالحها.

هناك عناصر مشتركة بين التنمية والإرهاب وكلاهما يؤثر في الآخر.

(١) انظر: عبد العال، علا عادل علي، التأثير المتبادل بين الإرهاب والتنمية الاقتصادية، المجلة المصرية للدراسات التجارية، مج٢٦، ٢٠٠٣، ص٣١٩.

(٢) عبد العظيم، حمدي، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، مطبعة المعرفية، القاهرة، مصر، ١٩٩٥، ص٢٠٨.

(٣) الزغول، محمد حسين، دور الدولة والقطاع الخاص في الإصلاح الاقتصادي - الدُول النامية أنموذجاً - ، بحث منشور، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج١٧، ٢٠١٦، ص١٧٣.

التنمية المشوهة لا تقل عن غياب التنمية في التشجيع على الإرهاب.
هناك دول عربية خبطت خطوات رائدة في مجال التنمية لكنها لا زالت تعاني من الارهاب الخارجي.

التوصيات

الحد من ظاهرة الفساد الذي تُعاني منه الكثير من الدول العربية والذي بدوره يؤدي إلى تشوية التنمية ومن ثم اثاره السخط لدى أفاد المجتمع.

ضرورة سعي الدول الإسلامية لتعميم تعريف مجمع الفقه الإسلامي المُشار عليه في البحث لاعتماده دولياً حيث يعتبر تعريفاً جامعاً ينطوي تحته كل أشكال الإرهاب.

مع دعوتنا لحرية المؤسسات الإعلامية إلا أن هذه الحرية يجب أن تكون حرية مسؤولة تُقدم مصلحة الوطن على مصالحها الخاصة.

الاهتمام بتنمية المناطق الريفية والحدودية والتي في الغالب ما تكون بؤراً يتولد منها الإرهاب ويجد له فيها تربة خصبة.

قيام تكامل عربي وإسلامي بعد أن يقوم كل قطر بتهيئة الأرضية المناسبة لقيام مشاريع مشتركة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، ماجد مورييس، الإرهاب الظاهرة وأبعادها النفسية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
- بباوي، نبيل لوقا، الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البباوي للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- بيومي، محمد أحمد محمد، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٤م.
- الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، ١٩٩٨م، المادة الثالثة.
- حداد، رافد بطرس، الحملات الإعلامية في العراق، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد العراق، ١٩٩٥م.
- الحسيني، محمد تاج، مساهمة في فهم ظاهرة الإرهاب، مجلة الوحدة، ع٦٧، السنة السادسة، الرباط، المغرب، ١٩٩٠م.
- حمّاد، إبراهيم، التطرف الفكري بشقيه ووسطية الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
- راشد، محمد علي محمد، مفهوم الإرهاب الدولي دراسة فقهية قانونية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة ام درمان الإسلامية، ام درمان، السودان، ٢٠٠٧م.
- رفعت، أحمد محمد، والطيار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، مركز الدراسات العربي، باريس، فرنسا، ١٩٩٨م.
١٠. الزغول، محمد حسين، دور الدولة والقطاع الخاص في الاصلاح الاقتصادي - الدُول النامية أنموذجاً - ، بحث منشور، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج١٧، ع٢٤، ٢٠١٦م، ص١٧٣.
١١. شكري، محمد عزيز، الإرهاب الدولي دراسة قانونية ناقدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.
١٢. صادق، عبّاس مصطفى، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٨م.
١٣. عبد العال، علا عادل علي، التأثير المُتبادل بين الإرهاب والتنمية الاقتصادية، المجلة المصرية للدراسات التجارية، مج٢٦، ع٢٠٣، ٢٠٠٣م، ١.

١٤. العبد الله، مي، دور الإعلام الفضائي العربي في الثورات العربية، الرابطة العربية لعلوم الاتصال، الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
١٥. عبد العظيم، حمدي، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، مطبعة العمرانية، القاهرة، مصر، ١٩٩٥.
١٦. فرحان، احمد محمد، دور الفساد المالي والإداري في تفعيل ظاهرة الإرهاب في المجتمع - دراسة تحليلية -، بحث مُقدّم إلى المؤتمر العالمي لمكافحة الإرهاب، مكة المكرمة، السعودية، من ٣- ٦ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٢ - ٢٥ فبراير ٢٠١٥م.
١٧. قرارات الدورة السادسة عشر لمجمع الفقه الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة، من ٢١ - ٢٦/١٠/١٤٢٢هـ، الموافق ٥ - ١٠/١/٢٠٠٢م.
١٨. قيراط، محمد سعود، الإرهاب، دراسة في البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته، مقاربة إعلامية، جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، السعودية، ١٤٣٢هـ.
١٩. الليث، الريح احمد النيل، ضعف المناهج التعليمية في تقديم ثقافة متزنة، بحث مُقدّم إلى المؤتمر العالمي لمكافحة الإرهاب، مكة المكرمة، السعودية، من ٣- ٦ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٢ - ٢٥ فبراير ٢٠١٥م.
٢٠. المحمود، جمال جاسم، دور الإعلام في تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادي العربي، بحث منشور، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج ٢٠، ع ٢٤، ٢٠٠٤.
٢١. محمود، مصطفى، النظام الإعلامي الحديث، عالم المعرفة، الكويت.
٢٢. المناعي، شمسان، ثورات الربيع العربي، والوجه الآخر لمشروع الشرق الاوسط، مجلة الشرق الاوسط الالكترونية، ٢٠١٤م، عن المصدر ١٧٢٧٦١ <http://aawsat.com/home/article/>

المراجع الأجنبية

٢٣. Gavrilos, D. (٢٠٠٢). Arab Americans in a nation's imagined community: How news constructed Arab American reactions to the Gulf War. Journal of Communication Inquiry.
٢٤. Mc Robbie, A.(٢٠٠١).Everyone is Creative: Artists as New Economy Pioneers, Open Democracy, (accessed August ٣٠).

الفهرس

الحوار والتفاهم المجتمعي لمواجهة التطرف في المنطقة العربية

د. محمود عزو حمدو

مدرس الفكر السياسي

كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

المقدمة :

يشكل الحوار والتفاهم المجتمعي الرافد الذي يغذي التعايش ويعمل على ادامته ، ويعمل التفاهم على صنع الحوار ويبني عليه في تهيئة الارضية الملائمة للوصول الى سبل الاتفاق ، لاسيما بين المختلفين أو حتى أطراف النزاع الأهلي – والذي قادتهم اعراس الدم – في رغبة الوصول الى نقطة الالتقاء المشترك والتي تعني مغادرة ساحات وجبهات الحرب والنزاع الاهلي نحو طاولة المفاوضات . وتقضي عادة التفاهمات والحوارات الكبرى في المجتمعات للوصول إلى نقاط الالتقاء المشترك ، وهو ما يعني محاولة ايجاد تراضي مجتمعي لإدارة التنوع والتعدد الاجتماعي.

ويعمل الحوار على احداث نقلة نوعية في مسار المجتمعات التي مرت بتجارب ظهور التطرف والتعصب ، اذ عمل على تحصين الداخل علاوة على منع التدخلات الخارجية ، لان كثير من جماعات التطرف والارهاب تقع امتداداتها الى خارج الحدود الوطنية للدولة . وتمنع ظهور التطرف من جديد سواء أكان عبر المنصات السياسية أم المنابر الدينية أم وسائل الاعلام المختلفة .

ولا يجابه التطرف بالوسائل الامنية والعسكرية فحسب ، بل لابد من رؤية فكرية تجابهه في معاقله الفكرية وتحرمه من الاستفادة منها أو استغلالها وتصديرها للمجتمعات العربية بصورة المنقذ من التأخر في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية . وتعمل هذه المنهجية الفكرية على ارساء اسس التسامح والتعددية والتجديد والاجتهاد .

لذا فإن تصفية ارث وتركات الحروب والنزاعات الاهلية والتي كانت نتيجة طبيعية للتطرف وخطاب الكراهية ومحاولة تفسير المشكلات العالقة بين الاطراف المتخاصمة ، يستدعي احيانا تنازلات من جميع الاطراف وقد تلجأ الى ذلك حتى تلك الدول التي تملك تجارب سياسية مستقرة لقرون وقد تخرج لعقد صفقات تاريخية خارج حدودها ، فالمجتمعات التي ذاقت ويلات النزاعات الاهلية تدرك جيدا ان تضييد جراحها السبيل الامثل للوصول الى نقطة التعاون التي تمكن الاطراف السياسية والمجتمعية من إدراك ما للاستقرار من مزايا التي بنيت على التفاهمات والحوارات التي تنقذ المجتمعات من الانزلاق مجددا في الحرب الاهلية وتهديد كيان التعايش فيها وتهدد حياة مواطنيها بالقتل والتهجير.

أهمية الموضوع :

أما أهمية الموضوع فتتمثل في أن أبرز نتائج غياب الحوار وقبول الاخر على مستوى المجتمعات العربية هو تعرض هذه المجتمعات الى موجات من الانتهاكات التي تسببها حركات التطرف التي تتموضع خلف خطاب يؤسس للكراهية ويبيح هدر دم المعارضين له وبما يسببه التطرف من ضعف الاستقرار السياسي وتأثيره على مجمل الحياة العامة للمواطنين .

فرضية البحث :

الافتراض النظري للبحث ينطلق من : (إن سبيل مواجهة التطرف يكون عبر الحوار والتفاهم المجتمعي الذي يحد من خطاب الكراهية المؤسس للعنف الاهلي في المجتمعات العربية).

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج التحليلي بشكل أساسي ، علاوة على الاستفادة من المناهج الاخرى كالمنهج الوصفي .

هيكلية البحث :

قسم البحث الى عدة مباحث لاستيعاب الموضوع بشكل أفضل وكما يلي :

المبحث الأول : ماهية الحوار وأهميته .

المبحث الثاني : منهجيات مواجهة التطرف في المنطقة العربية .

ثالثاً : طرائق ترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم المجتمعي في المنطقة العربية .

المبحث الأول : ماهية الحوار وأهميته .

يُعد موضوع الحوار وما له من أهمية كبيرة في التصدي للفكر المتطرف من ابرز الاولويات المهمة على اجندة النقاش للمنطقة العربية ، لذلك وبغية التعرف على المفهوم بشكل افضل لابد من التفصيل فيه عبر نقطتين تتناول الاولى ، ماهية الحوار ، أما الثانية فتناقش أهمية الحوار .

أولاً : ماهية الحوار .

الحوار في اللغة من المحاوره وهي النقاش بين شخصين ، وطالما تفيد اصول اللغة بان الحوار هو نقاش بين طرفين ، فان المعنى الاصطلاحي يشير الى أن الحوار هو مراجعة الكلام في شأن ما ، أو رأي ما ، لتعزيزه أو تصويبه أو تطويره ، والوصول فيه الى التماثل أو التجانس ، أو التفاهم أو التكامل (١). " وان ثقافة الحوار لا تعتمد مبدأ التغيير للتغيير ، وانما تعتمد مبدأ التغيير للمبادرة والتلاؤم والتكيف والتقدم والابتكار والارتقاء ، ومن دون استقطاب أو الغاء " (٢).

وحقيقة الحوار تتبع من أن الحقائق نسبية ، لاسيما إن نتائج فقدان الحوار ، هو لجوء البعض الى العنف ابتداءً بالعنف اللفظي وانتهاء بالعراك والصراع ، وانتهت الحال بالثقافة والفكر العربي الى لوم الآخر وعدم القبول به ، وهو ما جعلها تمتاز بخاصية تخاصم نقد الذات ، وتفر من النظر الى الداخل ومحاسبة النفس ، وتنتج عنها أما حالة توتر مزمنة أو حالة حرب قائمة (٣).

وثمة من يربط الحوار بالحرية ويشير الى أن الحوار : ليس من أجل الغاء الخصم أو ثنيه عن أفكاره وقناعاته وانما من أجل الحرية وافقها الانساني والحضاري ، والحرية لا تعني بأي شكل من الاشكال تجميد الاختلافات الفكرية والسياسية ، وانما تنظيمها وجعلها تسير في اتجاه توافقي بنائي ، والحوار الذي لا يستند على قاعدة الحرية ، فانه حوار الطرشان وبعيداً عن المعنى الحقيقي للحوار ، الذي يسمح للمتحاورين من الانفتاح على كل الآراء والبوح بكل القناعات والمواقف بدون خوف ووجل (٤).

وعليه فإن ما نعنيه بالحوار هو : عملية اتفاق على تحاور فكري ومنطقي بين طرفين أو أكثر، تحدد أطره ومقاصده مشتركة تصلح أن تكون أسس ومنطلقات تقرب بين مواقف مختلفة لتحقيق مصالح مشتركة ، والانهاء من حالة التنازع والصراع بين الاطراف المتحاوره حول قضايا خطيرة تمس مجال حياتهم الانسانية (٥).

ثانياً : أهمية الحوار .

تجمع اكثر الآراء على ما للحوار من أهمية في بناء المجتمعات ، وتأتي اهميته بما يوفره من سبل وقنوات سلمية للاتفاق على المشتركات والوصول الى تراضي للاختلافات ، لذلك فإن اقامة حوار بناء ، وخلق فضاء للنقد والفكر المستقل ، يسود المجتمع حالة من الاستقرار والسلام والتعايش مهما اختلفت أعراق ومعتقدات أبناءه ، لان الحوار هو الطريق الصحيح لحل كافة القضايا المختلف عليها بين الاطراف المجتمعية ، وهو البديل الصحيح عن فرض الرأي بالقوة ، ومن شروط نجاحه اتفاق اطرافه على اتخاذ خطوات عملية تترجم ما اتفق عليه من قبل الاطراف المتحاوره على أرض الواقع ، وتنمي الثقة بين المتحاورين (٦).

لذا فإن الحوار بكل مستوياته، هو ضرورة لا مناص منها ، وذلك من أجل تعميق وتوسيع المساحات المشتركة، وبلورة أطر وأوعية للفهم والتفاهم المتبادل، ولكي تتراكم أعراف وتقاليد حوارية تسود في كل الدوائر الثقافية والسياسية الاجتماعية والوطنية. فإن الحوار ليس حلاً سحرياً لمشكلاتنا وأزماتنا، وإنما هو بوابة امتلاك الرؤية السليمة لمعالجة المشاكل والأزمات. وإنما كشعوب ومجتمعات، وكأفراد وجماعات، لا نمتلك أفضل من خيار الحوار لتفاهمنا المشترك أو لمعالجة

(١) حين جمعة ، ثقافة الحوار مع الآخر ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٤ ، عدد مزوج ٣-٤ ، ٢٠٠٨ ، ص ١١

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٣) مسعود حماد اسماعيل ، المعوقات الثقافية للتنمية دراسة استشرافية حول ثقافة الحوار وقبول الآخر ، مجلة الدراسات المستقبلية ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، العدد ٢ ، ٢٠١٧ ، ص ١١-١٠ .

(٤) محمد محفوظ ، الحرية والاصلاح في العالم العربي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٤-٨٥ .

(٥) رعد الكيلاني ، الحوار ثقافة التسامح ، في كتاب التسامح في الديانات السماوية ، اعمال مؤتمر الأديان السني الأول سنة ٢٠٠٩ في بيت الحكمة ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٢٢٥ .

(٦) سلمان بارودو ، احترام الرأي وقبول الاختلاف ، في كتاب في التعايش السلمي وفهم الآخر (دراسات ومقالات عن التعايش والآخر) منظمة التنمية والتعايش السلمي العراقية ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص ٣٧ .

مشاكلنا أو لضبط اختلافاتنا. فالبديل الحقيقي عن الحوار، هو المزيد من المماحكات والشحناء والبغضاء، والتي تفضي بدورها إلى الصراعات والحروب والتي تدمر كل شيء، ولا رابح حقيقي منها. كما إن الحوار قيمة إسلامية وحضارية، أرساها النص القرآني، وعمل المسلمون على ضونها وهديتها في علاقاتهم الداخلية ومع الآخرين (١). إذ جاء النص القرآني ليؤكد هذه الحقيقة كما في قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون). (سورة آل عمران، الآية ٦٤)

وتتبع أهمية الحوار والتفاهم من أن الاتجاه نحو الحوار ونبذ النزاع والصراع والحروب هو الكفيل بتحسين الأجيال القادمة من الاستغلال والدفع بهم في أتون النزاعات والصراعات والحروب التي لا تنتهي ، فالحوار يساعدهم على التزام المنطق والبرهان في البحث عن الحقيقة ، واعتماد المشورة كأسلوب لمواجهة التحديات الوطنية الشائكة ، ففي حالة النزاعات والحروب يصبح الحوار قضية ملحة أكثر من أي وقت مضى . ولكي يكون الحوار حقيقياً وجاداً لا بد من تجريده من الأفكار الظنية والمسبقة والتوجس من الآخر(٢).

ومن المؤكد إن للحوار أهميته ومنافعه ، تتمثل في أنه أداة اتصال وتوافق وتقريب للخلاف بين الرؤى والمشاعر والعقائد والثقافات والعادات والتقاليد ، فضلاً عن إشاعة قبول الآخر والارتقاء بعواطف القبول الحسن ، ثم المحبة ونبذ الكراهية والتعصب(٣). لأن ثقافة الحوار تتجاوب مع الفطرة الإنسانية الحرة ، ومع التنوع والتعدد المتكامل في الطبيعة أي على كل مجموعة بشرية أن تدرك قيمة التجانس في صميم التعدد والتنوع ، وعليها أن تتحمل مسؤوليتها نحو ذلك(٤).

مما تقدم يمكن القول ، أن أهمية الحوار والتفاهم ضرورة لا مناص منها للمجتمعات العربية ، لما تواجهه من تطرف اضحى يغذي العنف والارهاب وأدى الى تأخر تلك المجتمعات في عدة ميادين قد لا تنحصر في الميدان التقني فحسب ، بل في ميدان بناء مؤسسات الدولة وتحقيق التنمية الاقتصادية وبناء الثقة المجتمعية بالقوانين وتحقيق التوزيع العادل للثروات بما يسهم في ايجاد ارضية ملائمة للاندماج الوطني . وكل ما ورد ذكره آنفاً يتطلب ايجاد منهجيات لمواجهة الفكر المتطرف وهو ما سيكون موضع بحث في المبحث القادم .

المبحث الثاني : منهجيات مواجهة التطرف في المنطقة العربية .

تعاني المنطقة العربية من مشكلات عديدة ، بيد أن التطرف هو ابرز المشكلات التي واجهت الدولة والمجتمع في المنطقة العربية ، وفي هذا الصدد لا بد من معرفة ماهية التطرف أولاً ، إذ يعرف التطرف بأنه هو أسلوب مغلق للتفكير ينسب بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو على التسامح معها ، ويتمس هذا الأسلوب بالنظر الى المعتقد بكونها تنصف بالصدق والاطلاق ، وكونها صالحة لكل زمان ومكان ، وادانة كل اختلاف عنها والاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي أو حتى التفسير بالعنف ، وفرض المعتقد على الآخرين ولو بالقوة(٥).

أما أسباب التطرف فيمكن ان تختصر برجوعها الى التعصب إذ إن كل تطرف ينجم عن تعصب لفكرة أو رأي أو أيديولوجية أو دين أو طائفة أو قومية أو أثنية أو سلالية أو لغوية ، ولكن مهما اختلفت الاسباب وتعددت الاهداف ، فلا بد أن يكون التعصب وراءها ، وكل متطرف في حبه أو كرهه ، لا بد أن يكون متعصباً ، لاسيما إزاء النظر للآخر وعدم تقبله للاختلاف ، فكل اختلاف يوضع في خانة الارتياب ، وسيكون غريباً ، وكل غريب أجنبي ومن ثم فهو مريب ، وطالما تعددت مسبباته ومشاركه فلا فرق بين تطرف ديني أو غير ديني سوى بالمبررات التي يتعزز عليها لإلغاء الآخر ، بوصفه مخالفاً للدين أو خارجاً عليه أو منحرفاً عن العقيدة السياسية(٦).

ويعود التطرف كذلك الى التفسير الخاطئ للنصوص الدينية ، مما ينتج عنه أفكار وقناعات منحرفة ، منها الوقوف على بعض ظواهر النصوص دون الرجوع الى غيرها ، بالإضافة إلى أن عدم تطبيق العدالة الاجتماعية يشعر الانسان بالظلم والاضطهاد وعدم الأمان مما يدفعه الى الجنوح نحو التطرف(٧).

(١) الحوار الوطني وأفاق الوحدة الوطنية ، مقال منشور على موقع التجديد العربي على الرابط : <http://arabrenewal.info>

(٢) عادل حسن محمد أحمد ، أهمية الحوار في تعزيز الوحدة الوطنية ، مقال منشور على موقع مركز العلاقات الدولية بتاريخ ١١/١٩ / ٢٠١٥ ، على الرابط : <http://www.grcsudan.org>

(٣) حسين جمعة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

(٥) أحمد فلاح العموش ، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب (دراسة من منظور تكاملي) ، اعمال ندوة مكافحة الإرهاب ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٩٩٩ ، ص ٩٩ .

(٦) عبد الصين شعبان ، التطرف والإرهاب : إشكاليات نظرية وتحديات عملية (مع إشارة خاصة الى حالة العراق) ، مرصد ٤٢ ، برنامج الدراسات الاستراتيجية ، وحدة الدراسات المستقبلية ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠١٧ ، ص ١٢ .

(٧) محمد فتحي عيد ، واقع الإرهاب في الوطن العربي ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٩٩٩ ، ص ١٢٥ . وللمزيد ينظر : صلاح الصاوي ، التطرف الديني الرأي الآخر ، أفاق الدولية للاعلام ، ٥ ، م . ١٩٩٣ ، ص ١٠-١٢ .

من هنا ضرورة تفكيك خطاب التطرف ، وتجفيف منابعه المعرفية ، عبر اشاعة وبناء وعي سياسي ومجتمعي قادر على ايجاد منهجيات قادرة على مواجهة التطرف في المنطقة العربية وهي كما يلي :

أولاً : ترسيخ التعددية .

يجتزأ التطرف الحقائق ويحاول اضافة صفة الاطلاقية والقدسية عليها ، وهو بهذا يمنع التعدد في الرؤى والحقائق ، ولذلك فان من ابرز المنهجيات ضرورة ارساء فكرة التعددية السياسية والدينية والثقافية كسبيل لمواجهة النظرة الاحادية التي ترسخ التطرف وتعمل على ادامة وجوده ، ولأن أبرز مشكلات الألفية الجديدة التي واجهت المجتمعات العربية تمثلت بالتطرف الديني ولاسيما بعد الربيع العربي ، فان مواجهة ذلك تتمثل كما يرى ماجد الغرباوي بضرورة التأكيد على مسألة تعدد القراءات للنص الديني الاسلامي ، لأن التطرف الديني لا يعدو كونه قراءة منحيزة للدين ، قراءة مجتزئة للنصوص . وهذا الواقع لتعدد القراءات يدعمه امران اساسيان ، الاول : تعدد التفسير رغم وحدة النص القرآني . فالمكتبة الاسلامية تزخر بمئات التفسيرات القرآنية قديماً وحديثاً . والثاني : تعدد الرأي الفقهي واختلاف فتاوى الفقهاء ، رغم وحدة المرجعيات (القرآن ، والسنة) وعلى هذا الأساس ظهرت عدة اتجاهات مختلفة في فهم الدين والاحكام الشرعية ، فهي تتراوح بين التطرف والتسامح وتباين بين التزم واليسر والسهولة ، الا أن كل منها يمثل قراءة مستقلة لها مبرراتها(١).

والتعددية تجد اصولها من الحق في الاختلاف ، فأية مراجعة للكتب التي وضعها لقدماء للحديث عن مختلف العقائد والمذاهب لتي عرفتها المجتمعات العربية والاسلامية – أي كتب الملل والنحل وكتب الفرق – فان ما يثير الدهشة ، هو أن هذه المجتمعات قد شهدت كل ما يخطر أو لا يخطر على البال من مذاهب وعقائد متنوعة ، بل وغريبة(٢). وهذا يدل على ان هناك مواقف في التراث حصل فيها القبول بالرأي المختلف والمخالف وانتج مناظرات أغنت الفكر والثقافة العربية الاسلامية(٣).

ولا يستقيم الامر من دون تعددية سياسية وثقافية ، لأن التعددية السياسية وعلى حد وصف الجابري أضحت مظهر من مظاهر الحدائث السياسية ، والمقصود بالحدائث السياسية أولاً وقبل كل شيء وجود مجال اجتماعي وفكري يمارس الناس فيه الحرب بواسطة السياسة ، أي بواسطة الحوار والنقد والاعتراض والاخذ والعطاء ، ومن ثم التعايش في اطار من السلم القائم على الحلول الوسطى المتنامية(٤).

وتمتاز التعددية بصورتها الحديثة بانها وسيلة لتنظيم الحياة العامة على أسس مشتركة مع احترام مختلف الاتجاهات . تفترض هذ التعددية أن جميع المواطنين يسعون نحو هدف زمني واحد ويقبلون بشروط عيش مشترك وكل فئة تجد مبرراً للمشاركة في المصير الواحد وتحظر على نفسها نقد المبررات التي تعطيها الفئات الأخرى لمشاركتها ، وهو ما يعني احترام مختلف الاتجاهات الفكرية والعقائدية في المجتمعات الحديثة(٥).

مما سبق ، نرى أن من سبل مواجهة التطرف في المنطقة العربية ، هو ترسيخ التعددية لما تمتاز به من ايجاد قنوات لتصريف الاحتقان الذي تتسبب به حالة الانغلاق وعدم وجود توازن بالأراء والوقوف عند رأي عقيدي أو سياسي واحد ، وتمخض عن ذلك ظهور التطرف بجميع أشكاله وأنواعه الذي يستند على الحقيقة الواحدة ، وحارب النسبية في التعامل معها والنقاش فيها ومنع الاختلاف .

ثانياً : تجديد الخطاب الديني .

يستلزم مواجهة التطرف منهجية ثانية ، تتمحور حول تجديد الخطاب الديني ، عبر افرغه من صفات التقديس واحتكار الحق والحقيقة ، وتفرغه كذلك من نزعه الهجومية بالوعد والوعيد ، فضلاً عن تبشيريه بمفردات تتسم بالتسامح والعفو والقبول بالآخر . اذ ان الخطاب الاسلامي المعاصر يلحق بذاته كما يرى اركون وبشكل شكلائي وتجريدي ، القيم والمواقف من دون دليل عبر الاختيار وبشكل اعتباطي بعض الايات القرآنية والاحاديث النبوية بعد انتزاعها من سياقها التاريخي والثقافي الخاص بعصر محدد . (٦). كذلك ينبغي العمل على تحرير المخيلات الخطاب الديني من الاطر الثنائية أو الازدواجية للفهم والادراك والتصور والحكم على الاشياء . وهي أطر كانت قد شكلت ونشرت من قبل الانظمة اللاهوتية

(١) ماجد الغرباوي ، التسامح ومنابع اللامتناهية فرص التعايش بين الاديان والثقافات ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٦-٥٧ .

(٢) علي أوبليل ، في شرعية الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤٧ .

(٣) محمد عابد الجابري ، التعددية السياسية واصولها وفاق مستقبليها (حالة المغرب) ، كتاب التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي (ندوة) تحرير وتقييم سعد الدين ابراهيم ، منتدى الفكر العربي ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(٥) انطوان نصري مسرة ، إدارة التنوع في أنظمة الحكم العربية التعددية السياسية والتعددية الاجتماعية اطار نظري وتطبيق على الواقع العربي ، كتاب التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

(٦) محمد اركون ، الفكر الاصولي واستحالة التأسيس نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ، ترجمة وتعليق هالم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، ط٤ ، ص ١٩٣ .

للاستعداد المتبادل أو النبذ المتبادل ، لان هذا الخطاب الديني للفكر المزدوج يغلب منطق الاعتقاد اليقيني على منطق الجهد المفهومي والمصطلحي الهادف الى التركيب النقدي للمعنى(١).

وتتبع أهمية تجديد الخطاب الديني لمواجهة التطرف ، من أنه كلما كثر التطور وتعددت اشكال التحول والتغير في حياة الانسان ، تبرز الحاجة الى التجديد ، لأن المستجدات بحاجة الى الفهم ومعرفة وتحديد شرعي وعقلي لطريقة التعامل معها أو الاستفادة منها ، فالتجديد وفق هذا المنظور المنضبط بضوابط المعرفة والاستنباط ، هو وسيلة للحفاظ على مصالح الانسان فرداً وجماعة . إذ أن قصور الأطر التشريعية عن مواكبة متغيرات الحياة وتطوراتها ، يجعل الكثير من المصالح والمنافع الخاصة والعامة عرضة للتلف والنهب والتعدي ، لذلك فان تجديد الخطاب الديني هو الذي يوفر الاحكام التي تستوعب متغيرات الحياة ومستجداتها ، على أن لا يقع التجديد خارج الأدلة الشرعية والمقاصد الكبرى ، ولا يعني ذلك ايضا التكيف التعسفي بين وقائع العصر والنصوص الشرعية ، وذلك لأن عملية التكيف التعسفي لا تقضي إلى تجديد ثقافي ومجتمعي ، وانما تؤدي الى بتر المسلمات العقدية والفكرية عن وقائع الراهن(٢).

من هنا ، فان عملية تجديد الخطاب الديني ، وما يستتبع ذلك تخليص هذا الخطاب من الازدواجية والاثرة التي يبرزها لنفسه على حساب الآخر ، تعمل على مواجهة التطرف في المجتمعات العربية وفي الثقافة والفكر العربي ، عبر الحوار ، إذ أن توقف الخطاب الديني عن تجديد ذاته نتج عنه ممارسات للتطرف استثمرت هذا التوقف عن التجديد والاجتهاد بضرورة رجوع المجتمعات زمنيا والا فالضلالة ومفردات الفسق تلحق بها وعندئذ تظهر جماعات التطرف كمستثمرة لهذا الخطاب بوصفها المنفذ للحكم الألهي .

ثالثا : تعزيز المواطنة .

يجد التطرف منافذ له عندما يشهد المجتمع انقسامات ، تحرم البعض من مواظنته وتقصى فئات اجتماعية من التمتع بالحقوق والحريات الاساسية التي أسست لها فكرة المواطنة الحديثة التي تتمثل بكونها رابطة قانونية وسياسية لتمتع جميع الافراد بالحقوق والواجبات وهذا يمنحهم صفة المواطنة ، وهي تسهم في ابقاء الخلافات في دائرة السجال السلمي والاحترام المتبادل بين القوى السياسية المتصارعة ، والحيلولة دون انتقال الصراع السياسي الى مرحلة التشكيك في النوايا أو التخوين أو الاتهام بالعمالة أو ما شابه ذلك من المواقف التي تجعل الحوار مستحيلا ، والقدرة على اتخاذ مواقف تناصفية - أي التحرك خطوة أو أكثر نحو الآخر استجابة لاستعداد الآخر للتخلي عن موقفه الحالي - مستحيلاً . الوعي الصحيح للمواطنة يحول دون خروج النقد السياسي عن قواعد الاختلاف السياسي الى استخدام لغة تحريضية أو تجريم الخصم انطلاقاً من خلافات حول سياسات الدولة أو اجتهاد سياسي . ذلك أن تصعيد الخطاب السياسي الى مستوى تجريم الخصم واتهام الخصم في وطنيته يخفي وراءه رغبة في نزع الحقوق السياسية والمدنية عن الخصم وتحويله الى مجرم يستحق أشد العقوبات بما في ذلك السجن أو النفي(٣).

وعليه فان ما يجمع افراد المجتمع بمختلف انتماءاتهم الأولية هو العقد الاجتماعي - الدستور - ويمثل الالتزام بالحقوق والواجبات الملزمة لكل طرف ، والخروج عليها يمثل اخلاقاً وانتهاكاً لحقوق أحد الاطراف ، مما يستوجب على الدولة - بصفتها الجهة المخولة وظيفياً بإدارة الشأن العام - التدخل لتصحيح الموقف . لذلك فإن وجود مواطنة قانونية ، يحمي الدولة والمجتمع من الاضطرابات السياسية ، ويخفف من درجة التوتر ويفكك دوافع التطرف ، إذ يعتقد أن العديد من الدول تؤدي دوراً نشطاً انهيار الأمن الاجتماعي والسياسي من خلال رعاية الاستفزات الدينية والمذهبية أو الصمت حيالها ، ولجوء الدولة إلى دعم بعض الأطراف ضد أطراف أخرى ، أو اختيار مذهب ومناصرة أتباعه ومنحهم امتيازات وطنية على حساب اتباع المذاهب الاخرى(٤).

بالمقابل فإن سد مسارب الأمل أمام المواطنة والمساواة والتعددية، يترك مجالات الصراع باشكاله وانواعه مشتتة، لا سيما أن الاختلاف ينشئ خلافا ثم صراعا ثم استبدادا ثم انقساما، في حين أن المنهج الحضاري العصري الذي تنشده كل شعوب الأرض، فيه التنوع ينشئ الحوار، والحوار يدور في دائرة التعارف والتسامح والعيش المشترك، وقد بات على المجتمع المتناحر اليوم أن يختار بين ثقافة الجدار وثقافة الشجار وثقافة الحوار، وخياراته ستكون الإرث الذي سبترته للأجيال القادمة قطعاً. لذا فإن ايجاد وتعزيز المواطنة، يستشعر الفرد أنه جزء أصيل من هذا المجتمع، وعليه واجب أخلاقي وأدبي، إيماني وديني، بالذود عنه والدفاع عن ترابه ومقدساته وهنا تنصهر المصلحة الخاصة للفرد في المصلحة العامة

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ .

(٢) محمد محفوظ ، الحرية والإصلاح في العالم العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥-١٦ .

(٣) لؤي صفدي ، الحرية والمواطنة والإسلام السياسي التحولات الكبرى وقضايا النهوض الحضاري ، الشبكة العربية للإبحاث والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٥٥-٥٥ .

(٤) أحمد شهاب ، فرضية التخلص من العنف والتطرف ، مجلة الكلمة ، منتدى الكلمة للدراسات والإبحاث ، بيروت ، العدد ٩٢ ، صيف ، ٢٠١٦ ، ص ١٤-١٥ .

للدولة، ما يكسب الأوطان والمجتمعات السليمة نفسياً درعاً وسيفاً، درعاً للتصدي للإرهاب والتطرف الوافد من الخارج، وسيفاً لمقاتلة إغراءات الانتماء للجماعات المتطرفة الإرهابية التي تمتلئ شراً وكرهية (١).

استنتاجاً لما سبق ذكره ، فإن عملية مواجهة التطرف لا يمكن أن تتمثل بالوسائل الامنية والعسكرية ، وإنما ثمة منهجيات انتهجت وحقت نتائج في محاصرة التطرف والحد منه ، عبر مواجهته بالقوانين والتشريعات ، بيد أن الأمر الأهم يتمثل في أن المجتمعات الحديثة واجهت التطرف والتعصب عبر الحوار والتفاهم المجتمعي الذي يتطلب ترسيخ التعددية وتجديد الخطاب الديني حتى لا ينتج عنه انشطار وانقسام مجتمعي ، علاوة على تعزيز المواطنة ، وتم عبر هذه المنهجيات الثلاثة توفير حصانة ذاتية للمجتمع من التطرف ، ويبقى أن ما يحتاجه المجتمع من طرائق لترسيخ ثقافة الحوار المجتمعي تتمثل بعدة رؤى ومسالك ولاسيما في المنطقة العربية وهو ماسيكون محل الاهتمام في المبحث الثالث .

المبحث الثالث : طرائق ترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم المجتمعي في المنطقة العربية .

ثمة حاجة أساسية للحوار كما تم ذكرها سالفاً ، والحوار يكون موجهاً نحو الآخر الشريك في الوطن إذ أن ثقافة الحوار، تعني ما هو أعمق من مجرد الاستماع إلى وجهات النظر، والسماح بالتعبير عن الأفكار، إنها تتطلب الاعتراف بشرعية الآخر، والاعتراف بحقه في الرأي والتعبير والمشاركة في القرار السياسي، لا منه، ولا إحساناً، أو تنازلاً، وإنما حقاً أصيلاً وطبيعياً وشرعياً، لا يحق لأحد مصادره أو تهيمشه أو تخوينه أو تكفيره، ثقافة الحوار لا يمكن ترسيخها ما لم نؤمن بها، قناعة مجتمعية عامة مثل قناعاتنا بالأمر البديهية. لذا فإن أبرز طرائق ترسيخ ثقافة الحوار تتمحور حول ما يلي :

أولاً : اشاعة التسامح .

إن ثقافة الحوار هي المخرج الطبيعي والوقائي من أمراض التطرف والعنف وباعتبار أن غيابها هو الذي أتاح لخطاب الكراهية أن ينمو وينتشر ، إن أول شروط ازدهار شجرة الحوار، إشاعة قيمة التسامح في المجتمع، لا عبر الخطب والمواعظ والشعارات والتغني بالأمجاد التاريخية ، في تسامحنا مع المخالفين، فكل ذلك لا يجدي إذا كانت التركيبة المجتمعية، السياسية والاقتصادية والفكرية، غير متسامحة، يسودها التعصب والانغلاق، نظراً لأن قطاعات وفئات عديدة في المجتمع، تعاني هضماً في حقوقها، وتهيمشاً في مكانتها، وتعرض لممارسات ظالمة وتمييزية من قبل مؤسسات الدولة، إن قيم الحوار والتعددية والتسامح والقبول بالآخر، هي في النهاية، محصلة ونتيجة، وليست سبباً: هي محصلة تركيبة مجتمعية متسامحة، ونتيجة مجتمع يحصل أفراد على حقوقهم المشروعة على حد سواء(٢).

لذلك فإن تعزيز الحوار يتم عبر اشاعة وترسيخ قيم العقل والتسامح والاجتهاد وروح التجديد ، مما يؤسس لقيم السلم والحوار والانفتاح على الآخر ، ونبذ التعصب ، وتحري النسبية في التفكير ، وهي لن تؤخذ نتائجها الا بوسائل العمل المطلوبة لتحقيق هذه الاهداف ، وهي متعددة تعليمية – تربوية وثقافية ودينية واعلامية . إذ لا مهرب من اقرار سياسة تعليمية تقوم على مبدأ التربية على قيم التسامح والعقل ، والتفكير الحر ، وعدم تقديس نصوص القدامى أو رفعها من مرتبة الرأي الى مرتبة النص المقدس ، ونبذ التعصب ، واحترام الرأي الآخر ومواجهته بالحوار والحجة ، ونبذ العنف بما فيه العنف اللفظي ، ولا بد في الوقت عينه ، من أن يصار الى اصلاح منظومة تكوين المتعلمين والاساتذة ، بالشكل الذي يؤدي دورهم التعليمي على النحو الأمثل ، لأن المدرسة هي المعمل الذي يصنع فيه المواطنون ، ويتوجب الاقرار أي نوع من المواطنين نريد لمجتمعنا ؟ هل البحث عن مواطن ايجابي متأهل علمياً يخدم مجتمعه ودولته ، ويحرص على رفعتها وأمنها أم مواطن يرفع في وجه شعبه ودولته السلاح باسم الكفر والايمان(٣).

لذلك يسعى التسامح لتأسيس مرجعية قيمية تلغى فيها الفوارق والخصوصيات المصطنعة ، ويتم التعامل مع الناس على أساس انسانيته(٤). فللقليم دور خطير في تعميق الخلافات وشرط الولاءات ونفسي العنف والتطرف ، وما لم يعاد تشكيل القيم وترتيب الولاءات لا يمكن الارتكاز إلى مجتمع يؤمن بالحوار والتفاهم ومتسامح مع ذاته(٥).

ما تقدم ، يمكن القول بأن ترسيخ الحوار والتفاهم المجتمعي في المنطقة العربية يمر اولاً عبر اشاعة التسامح بما يشتمل عليه من منظومة قيمية ، وذلك يتم عبر المؤسسات التربوية والتعليمية بالشكل الذي تعمل فيه على نشئ جيل يؤمن

(١) إميل أمين ، المواطنة والتعددية أدوات عصرية في مواجهة الإرهاب والتطرف ، صحيفة ليلان الالكترونية ، العدد ٥٧٧٤ ، ٢٠١٧-٢-١٣ .

(٢) عبد الحميد الاصطري ، ثقافة الحوار كيف نغلقها ؟ أهمية اعطاء أولوية للتسامح واحترام التعددية ، صحيفة الوطن القطرية ، بتاريخ ١٥-٥-٢٠١٧ ، على الرابط : <http://www.al-watan.com>

(٣) عبد الآله بلقزيز ، التفكير في التفكير : نحو استراتيجية مواجهة ثقافية ، في كتاب بين السلفية وإرهاب التفكير أفكار في التفسير ، سلسلة كتب المستقبل العربي ٧٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٦ ، ص ١١٩ .

(٤) ماجد الغرابي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

أولاً بأن الحوار هو السبيل الأمثل لحل الخلافات المجتمعية ، ومن ثم يعمل على مواجهة التطرف إنما حدث وفي اية نقطة أو ثغرة حاول التسلسل منها . وهو ما يبرز الحاجة الى ايجاد السبل التي تعمل على توفير بيئة للحوار والتفاهم المجتمعي .
ثانياً : مؤسسات لتفعيل المشاركة السياسية والمدنية .

تحتاج المجتمعات لترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم المجتمعي فيها ، الى ايجاد سبل وقنوات يتم عبرها تفعيل المشاركة السياسية والمدنية ، بالشكل الذي يسهم في التأسيس لوجود طاولة سياسية يتم الحوار عبرها ، ويحد من التطرف وعسكرة المجتمع والتي تنذر بالحروب الاهلية والتعصب كلما ساحت الفرصة ، لذا يتطلب الامر العمل على تجديد الحياة السياسية ، وتوسيع المشاركة فيها ، وتنظيم قواعد التنافس والصراع فيها أيضاً(١). وتبعاً لذلك ينبغي العمل على تعزيز أطر ومؤسسات الحوار بين مختلف شرائح المجتمع ، لأن الكثير من أنماط العداة والخصومة ، ليست وليدة الاختلاف المحض ، وإنما هي من جراء غياب أطر ومؤسسات للحوار والتفاهم المباشر(٢). والعمل على تحسين الحالة السياسية والاجتماعية التي تساهم بشكل أو بآخر في تغذية قوافل التطرف والعنف والقتل بالمزيد من الأفكار والتبريرات والمسوغات(٣).

ومن المؤكد فإن غياب مؤسسات المشاركة السياسية للمواطنين في الدول العربية أسهم بشكل أو بآخر في تفشي العنف والتطرف ، وترتبت على ذلك غياب الحوار بين الاطراف المجتمعية للتفاوض حول الشأن السياسي ، ولتلافي ذلك فإن الانتخابات والتداول السلمي للسلطة ، ووجود قوانين تحمي حرية الرأي والتعبير وصحافة حرة ومستقلة ، من شأنها ان توفر مناخاً لمشاركة المواطنين وتعلمهم أن الحوار مع الآخر هو الطريق السليم للوصول الى حلول لشأنهم السياسي .

كما تتعزز ثقافة الحوار بوجود مجتمع مدني فاعل يتمكن بموجبه المواطنون من ممارسة دورهم في بناء مجتمعهم ، فيقدر ما يتعزز حضور المجتمع المدني ، ولاسيما في السلطة التشريعية . وبالانتخابات الحرة والنزيهة مرة بعد مرة تتجه الدولة والمجتمع نحو النظام الديمقراطي الذي يغلق الابواب بوجه فكر التطرف ، فالمجتمع المدني مجتمع مواطنين أحرار ينتظمون في بنى وتشكيلات وتنظيمات ضرورية كالفئة أو الطبقة الاجتماعية أو الجماعة المهنية واخرى ارادية وطوعية كالجمعيات والاحزاب ، وتولف جميعها نسيجاً من العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية تقوم على مبدأ المواطنة وعلى حرية الفرد وحقوق الإنسان والمواطن . ومؤسسات المجتمع المدني كافة ، مرنة ومفتوحة تتيح امكانية الانتقال منها واليها ، بحسب إرادة الافراد وابقاع التطور الاجتماعي ، وهذه المؤسسات هي الأطر المجتمعية التي تتخذ فيها التعارضات المجتمعية صيغة سياسية تستبعد جميع أشكال العنف والإقصاء والاستبعاد ، لأن آليات عملها تقوم على المنافسة الشريفة التي تقتضي الجدارة والكفاية والنزاهة والشعور بالمسؤولية وإيثار المصلحة العامة(٤).

من هنا ، فإن توفر تلك الوسائل السلمية يسمح للمواطنين أفراداً وجماعات بالتأثير في مضمون القرارات الجماعية الملزمة لهم ، لما فيه تحقيق مصالحهم المشروعة وتأمين حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية والبيئية المتوازنة إلى جانب الحقوق القانونية والسياسية . هذا فضلاً عن احترام حقوق الانسان لهم ولكل من يقيم على أرض الدولة أو يمر بها(٥).

وعليه تنتج مشاركة المواطنين سواء في المجال السياسي أم في المجال المدني ، رؤية لمناقشة ما يدور في الفضاء العام عبر وجود بيئة سياسية وثقافية تعزز من الحوار والتفاهم ، لأن وجود المشاركة في نقاش الشأن العام يمنع ظهور الاستبداد والتطرف بأشكاله وانواعه المختلفة .

مما سبق يستنتج ، بأن طرائق ترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم للمجتمعات العربية تمر أولاً عبر اشاعة التسامح ووجود مؤسسات ترعى هذه الثقافة وتؤسس لها ، بما يجعل من المشاركة الفاعلة للمواطنين تعزز التماسك الاجتماعي وتعمل على وأد التطرف ، وتزيد من تمسكهم بخياراتهم السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعمل على النهوض من جملة التحديات التي تواجه البلدان العربية ولاسيما التحدي الامني المتمثل بظهور جماعات الارهاب والتكفير علاوة على التحدي الاقتصادي المتمثل بالتأخر الاقتصادي وضعف التنمية الاقتصادية . ومن ثم العمل على بناء استقرار سياسي يعزز من فرص التحول الديمقراطي ويعمل على بناء ثقة متبادلة بين الدولة والمجتمع ، ويعالج مصادر العنف والتطرف عبر مواجهة خطاب الكراهية في وسائل الاعلام والمناخ الديني والحزبية والثقافية .

(١) محمد محفوظ ، في معنى التسامح : التسامح وأفاق السلم الأهلي ، في كتاب التسامح ليس مةً أو هبة ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(٤) جاد الكريم الجباعي ، المجتمع المدني هوية الاختلاف ، الناي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، دمشق ، ٢٠١١ ، ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٥) علي خليفة الكواري ، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية ، في كتاب الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٣ .

الخاتمة :

ينعكس الحوار والتفاهم المجتمعي في معالجة ومواجهة التطرف في المنطقة العربية بعدد من النتائج الاساسية وتتمثل ، بأن غلق ابواب الحوار والتفاهم قاد الى ضعف التجديد في المنظومات الفكرية العربية بالشكل الذي يجعلها تتلائم مع معطيات العصر ولا تحاول استعادة اللحظة الزمانية التاريخية عبر طرح شعارات لا تجد لها مجالاً للتطبيق ولا تراعي فيها طبيعة التعدد الثقافي والديني والاثني في المنطقة العربية ، تلك الخطابات أسست للتعصب والكراهية وصار التطرف والتكفير عنوانها الابرز وملح من ملامح الالفية الجديدة للمنطقة العربية التي ازدادت تأخراً وعنفاً وتهجيراً وقتلاً ، واستعادة بموجبها جماعة التطرف المبادرة لمهاجمة المجتمعات العربية ووصفها بالضلالة . والنتيجة الثانية فان التأسيس للحوار والتفاهم المجتمعي يستدعي دعم الجهود الثقافية التي تعمل على ارساء التسامح بما يؤسس لاستقرار سياسي ومجتمعي واقتصادي يغلق الباب أمام التطرف كفكر يحاول التسلل عبر استثمار تأخر النقاش في المجال السياسي والثقافي والتعليمي . والنتيجة الثالثة تتلخص في أن عملية كطف ثمار الحوار والتفاهم المجتمعي تتنمّل في تصفية ارض النزاعات والحروب الاهلية في عدد من البلدان العربية التي انهكتها تلك الحروب ولاسيما في العراق والسودان وسوريا وليبيا والصومال واليمن ، وانهكت قبلها لبنان والجزائر. ولم تكن تلك النزاعات الا نتيجة اساسية لغياب الحوار المجتمعي وظهور التعصب وخطاب الكراهية.

ومن محصلة اختبار فرضية البحث (إن سبيل مواجهة التطرف يكون عبر الحوار والتفاهم المجتمعي الذي يحد من خطاب الكراهية المؤسس للعنف الاهلي في المجتمعات العربية) يتبين صحة فرضية البحث وذلك من جملة النتائج التي توصل اليها البحث وهي كما يلي :

حاجة المجتمعات العربية الى الحوار لما له من أهمية في عملية النهوض ومجابهة التحديات التي تمر على المنطقة العربية وتحصين للساحة الداخلية من التطرف .

يؤسس الحوار والتفاهم المجتمعي منهجيات لمواجهة التطرف عبر ترسيخ التعددية وتجديد الخطاب الديني التخويفي الذي لا يتعامل مع المواطنين الا بوصفهم مذنبين.

تعزير المواطنة بالشكل الذي يجعل منها تتعدى كونها رابطة حقوقية وسياسية ، وانما تفعيلها بالشكل الذي يجعل من المواطنين يمارسون دور أكبر في مواجهة التطرف القائم على اساس تقسيم المجتمع الى مؤمنين وكفار .

توسيع نطاق المشاركة السياسية والتداول السلمي للسلطة يعمل على منع دعاوى التطرف وممارسة العنف في التعامل مع المواطنين .

إن العمل الاساسي لتعزير الحوار والتفاهم المجتمعي يقع على عاتق المؤسسات التربوية والتعليمية فضلاً عن اجراء عملية اصلاح للمناهج التربوية والتعليمية بالشكل الذي يعمل على ايجاد جيل يؤمن بالحوار وبدور الآخر في التكامل مع الذات في بناء الوطن .

أما ابرز التوصيات التي يوصي بها البحث :

العمل على اصلاح خطاب المؤسسة الدينية بما يعمل على تعزيز اواصر الألفة والمحبة ومحاربة التطرف .

الاهتمام ببرامج التربية والتعليم في المدارس والجامعات بما يعنيه العمل على اعادة برمجتها بالشكل الذي يعزز من ثقافة الحوار والتفاهم .

مراقبة وسائل الاعلام التي تحاول ان تبث خطاب الكراهية والذي يعزز من الانقسام المجتمعي .

تفعيل العدالة الانتقالية في موضوعات الحروب الاهلية وبما يعزز من دور القانون في محاسبة المجرمين والذين كانوا من دعاة التطرف .

الفهرس

لقد ارتبط ذكر الإسلام في الخطاب الفكري والسياسي المعاصرين على حد سواء في الغالب بالتطرف الديني، وذلك باستحضار أصحاب تلك التوجهات التي تحمل من الإسلام شعارا وتستظل به بطريقة من الطرق. وهو ما يعبر عنه بالإسلام السياسي، هذا الأخير الذي يضم الفئة الأكبر من الرأي العام العربي المعاصر. لذا فإن علاقة التطرف الديني بالحوار الحضاري ومختلف قضايا ومشكلات هذا الزوج (تطرف ديني-عالم عربي إسلامي) في العالم العربي الإسلامي، تعرف اهتماما بالغا خاصة بعد الميلاد الرسمي للتطرف مفهوما وممارسة، ويمكن القول إن هذا اللون من الدراسات يشكل اهتمام رجل السياسة والدين والفكر على حد سواء، ومرد هذا الاهتمام جملة من الأسباب والمظاهر الفكرية والدينية والسياسية في العالم العربي الإسلامي شكلت مجتمعة الميلاد الرسمي لهذه الأزمة. أما بالنسبة إلى وجود التطرف في العالم العربي الإسلامي فلا يجب حصره في أنه نشأ في ظروف غريبة عن الظروف العربية الإسلامية، فالأمر لا يتوقف عند هذا الجانب، والسبب هو تبني هذه الحركات المتطرفة جملة من الآراء تدعي بها نسباً إلى الأصول الأولى للإسلام، ونعتمد أن الاختلاف من شأنه أن يؤسس لخصوصية المجتمعات العربية الإسلامية، ومهم أن نشير هنا إلى جملة الإشكالات التي يمكن أن تطرح في ثنايا دراسة هذه العلاقة والأزمة الناجمة عنها، والمتعلقة في هذا السياق بتلك المقاربات والخلفيات الدينية والأيدولوجية والسياسية في العالم العربي الإسلامي التي شكلت مجتمعة تأكيد خصوصية المشاركة العربية الإسلامية في التأسيس الفعلي لهذه الأزمة في البلاد العربية الإسلامية بعدما ارتبط ميلادها في العالم العربي الإسلامي باختلاف الاجتهادات والاستنباطات واتسعت دائرة الخلاف بينها، بحيث نتج عنها اختلاف المناهج، ومن ثمة اختلاف أصول هذه المناهج ومظاهرها عن بعضها بعض، حيث كان لكل منها موقف متميز من المجتمع ومشكلاته، والحكم ونظامه، والإنسان ومنهج تربيته، وزاد عدد هذه الجماعات وتبع ذلك بالضرورة زيادة الاجتهادات والآراء. وفي وسط هذا الزخم من الآراء اختلط في الأذهان الصواب بالخطأ والحق بالباطل والتبس الأمر على معظم أبناء الجيل، فأثمر جملة من الظروف الفكرية. وحتى نزيد المعنى تأكيداً، أي الحرص على إبراز الخصوصية العربية الإسلامية في علاقتها بإعادة النظر في المضمون الفكري والديني والسياسي للنص الديني الإسلامي، فإن الحديث في هذا السياق لا يخرج بالتأكيد عن تلك الحاجة الماسة في العالم العربي الإسلامي لوجود مجال دراسة يهتم بفهم حقيقة هذه الأزمة، أي ضرورة وجود حيز من الاهتمام يساعد من جهته في انتشال إنسان العالم العربي الإسلامي من دائرة التطرف والغلو في الدين، والاقتراب به من مستوى الفهم الصحيح للدين، لأن الأمر لا يتعلق في هذا السياق بمسألة تجاوز أزمة التطرف الديني فقط، بقدر ما يحكمه موضوع الفهم الصحيح للدين الإسلامي، وما يرتبط به من موروث ثقافي وحضاري وديني وتاريخي مهم أن يأخذ بعين الاعتبار في مقابل التصدي للصراع مع الآخر على اختلاف صورته ومضامينه، كما أن الموضوع لا يرتبط في جانب آخر بظروف حضارية معاصرة، بقدر ما يعود إلى عصور الازدهار الحضاري العربية الإسلامية التي اجتهد فيها العرب المسلمون الأوائل، وأسسوا دينيا وسياسيا وحضاريا للخصوصية العربية والإسلامية، هذه الأخيرة التي تعد الخلفية المعرفية الحقيقية التي سيتبلور من خلالها فيما بعد الميلاد الحقيقي والصحيح للدين الإسلامي.

صحيح أن الاهتمام بالفهم الحقيقي لأسباب هذه الأزمة في العالم العربي الإسلامي بدا واضحاً في العقود الأخيرة من القرن الماضي، إلا أن هذا لا ينفي أننا مازلنا نعاني من سلطة الغلو في فهم النص الديني رغم الحلول والاقتراعات التي قدمت بخصوص هذا الشأن، وهو الأمر الذي انعكست آثاره على مجتمعاتنا في ظروف نحن فيها أحوج ما نكون إلى ضرورة تحديث وتطوير البحوث والدراسات في مجال الفهم الصحيح للدين ونبذ التطرف والغلو الديني وعلاقته بخصوصية العالم العربي الإسلامي.

إن توجيه الاهتمام للتطرف الديني في العالم العربي الإسلامي، هذا الأخير الذي عمل التطرف الديني على ملاحظته وتعطيله وتحويله إلى صراع فكري وأيدولوجي وسياسي، فهماً ودراسةً وتحليلاً يعين لا محالة على استخلاص ما يمكن استخلاصه من قراءات ودراسات جديدة تمكن من الارتقاء بالمجتمعات العربية إلى المستوى الذي ينبغي أن تكون عليه حضارياً وفكرياً ودينياً، أضف إلى هذا أن الاهتمام بهذه الأزمة وتوسيع الدراسة فيها، يمكن في جانب منه إقامة جسور تعاون بين مختلف رؤى المنظرين، كما يسهل تحقيق الحد الأدنى من الحوار الفكري والديني. سبيان إذن نعتقد أنهما كافيان، دفعنا بنا إلى بلورة المضمون الذي ستركز حوله مداخلتنا، التي أردناها أن تحمل الجواب عن الأسئلة التالية:

ما مفهوم التطرف الديني... ما هي مقوماته؟ وما الفرق بين التطرف والأصولية؟

وماذا عن موقف الشرع من التطرف الديني؟ وما هي أسبابه في العالم العربي الإسلامي؟

وكيف السبيل لمواجهة؟

وإذا كنا سننق من خلال هذه المداخلة بشيء من التفصيل محاولين قدر الإمكان فهم مضمون هذه الأسئلة، وعرضها في صورة معرفية مركبة ترافق هذه المداخلة من أولها إلى آخرها، على اعتبار أنّ التطرف الديني من جهة، وارتباطه بالعالم العربي الإسلامي من جهة أخرى يؤطران معرفيا لكل استقهام يطرح حول موضوع البحث في موضوع التطرف الديني في العالم العربي الإسلامي.

العرض:

أولا: مفهوم التطرف الديني:

اختلف الباحثون حول تحديد مفهوم التطرف، ويرجع هذا الاختلاف إلى تنوع إيديولوجياتهم وفلسفاتهم وثقافتهم بشكل واسع، فإذا اعتبرها البعض عملا فداءياً، فإنّ البعض الآخر يعتبرونه عملاً إجرامياً ضد المجتمع ونظامه السياسي يعاقب عليه القانون، وهناك من يعتبر التطرف نوعاً من أنواع الحفاظ على الهوية وحمايتها من علمانية العصر، ثم إنّ جميع الأديان السماوية، بل وأغلب الديانات الوضعية تدعو إلى التوسط وترفض العنف والإرهاب، فظواهر التطرف والعنف لها خاصية العالمية، فهي لا ترتبط بمجتمعات دون الأخرى أو ديانات محددة أو طبقية بعينها، ولكنها تنتشر في كل المجتمعات، وبين جماعات دينية وعرقية وثقافية متباينة، حيث تنسم هذه الجماعات بالتطرف الفكري والتحجر العقدي، ورفض الانخراط في المجتمع العام وتفضيل الانعزالية، ترفض نظم المجتمع الذي تعيش فيه، وتسعى إلى تغييرها بأساليب غير قانونية وغير شرعية، والتي تتمثل في العنف وترويع أفراد المجتمع وتدمير منشآته.(٠١)

التطرف الديني في اللغة معناه الوقوف في الطرف، فهو يقابل التوسط والاعتدال، فهو بهذا المعنى يصدق على التسبب كما يصدق على المغالاة، وينتظم في سلوكه الإفراط والتقريط على حد سواء، لأنّ في كل منهما جنوحاً إلى الطرف، وبعداً عن الجادة والوسط، وقد دأب المفكرون المعاصرون على الحديث عن التطرف في أحد شقيه فحسب، فتحدثوا عن تطرف المغالاة والإفراط، وأغفلوا أو تجاهلوا الحديث عن تطرف التسبب والتقريط، ربما لأنّه لا يثير حساسية المجتمع ولا قلق الدولة، وقد أدى هذا التجاهل إلى تكريس التطرف الأول واستعار فنتته.(٠٢) وعليه فإنّه مجال التطرف الديني يبدأ الفرد متديناً عادياً يأخذ نفسه بتعاليم الدين ويدعو الناس إلى الأخذ بذلك، وهو حتى هذه اللحظة يدعو إلى شيء لا يملك إزاءه إلاّ التعبير عن الرضا والتشجيع، إلاّ أنّ هذا غالباً ما يتجه بصاحبه إلى مواصلة مسيرته متجهاً نحو التشدد مع نفسه ومع الناس ثم يتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتابعه في مسيرته أو دعوته، وقد يتجاوز ذلك إلى اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته، ويبدأ هذا الموقف عادة بالعزلة والمقاطعة المبني على إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع، ثم يتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف إيجابي عدواني يرى فيه المتطرف أنّ هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التصرف الديني السوي، ذلك أنّ المجتمع في نظر المتطرف، هو مجتمع جاهل ومنحرف.(٠٣) ومن هذه الوجهة يمكن فهم التطرف الديني على أنّه تعصب ديني، وهو حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي، وهو يضر بالدين ذاته وأصحاب هذا الدين المتعصب له على حد سواء، فسلوك المتعصب دينياً يميّز بالنظرة الحادة الضيقة الأفق، ويتصف بالرعونة والبعد عن العقل والتصلب في الرأي، والخضوع لسيطرة الانفعالات الجامحة والاستهانة بالقيم والعرف الاجتماعي السائد، متى كانت هذه القيم أو كان هذا العرف لا يتفق مع اعتقاده الذي قد لا يكون بالضرورة صائباً، فيما يتعلق ببعض الأمور المذهبية الفقهية الاجتهادية على الأقل.(٠٤)

إنّ التطرف الديني بهذا المعنى هو الغلو الشديد، وتجاوز الحد المعقول، وعدم الاعتدال في السلوك والتصرف، أو هو عدم التسامح مع الغير كيفما كانت ملته ونحلته وهويته وطائفته المذهبية أو السياسية أو الاجتماعية أو الدينية، فهو سلوك غير مشروع دينياً، ولا مقبول قانونياً، لأنّه قائم على الترويع والترهيب والتخويف والتهديد والقتل، خاصة لما يفهم من التطرف في الأفكار على أنّه تجاوز حد الاعتدال في الحوار والنقاش والحجاج والتناظر والتفكير والنقد، والمبالغة فيه باللجوء إلى العنف المادي والرمزي، والميل إلى التعصب وعدم التسامح والتعايش مع الآخر، بمعنى أنّ التطرف هو رفض لأفكار الآخر وقناعاته والتعصب للرأي الواحد، وهو ما يعني نبذ تصورات الآخر وأفكاره وتوجهاته، وازدراء معتقداته الدينية أو السياسية أو الأيديولوجية أو المذهبية، وهو ما يفهم منه في هذا السياق أنّ التطرف هو التشبث بجملة القيم الصارمة المشددة تجاه الذات والغير على حد سواء، ومن ثمة فالتطرف الديني هو محاولة فرد أو جماعة ما فرض تصوراتها ومعتقداتها الدينية أو الأيديولوجية أو الديماغوجية على الآخر، وكأنّ التطرف بهذا المعنى نوع من العدوانية ضد الإنسانية جمعاء، ولأنّه كذلك فإنّه يفيد عدم تقبل ثقافة الآخر أو دينه أو جنسه، وهنا يبدو واضحاً أنّ المتطرف يحاول فرض معتقداته وأفكاره بشكل عدواني على الآخر، مستعملاً مختلف أشكال العنف لفرضها، وتبعاً لهذا المعنى يتأكد مرة أخرى أنّ التطرف الديني هو الفهم الخاطئ للدين، حيث الغلو والتشدد وإلحاق الضرر بالآخر.

يفهم مما سبق ذكره أنّ التطرف الديني هو الغلو في الدين والاختلاف في فهمه وتفسيره، حيث يشمل مختلف مجالات الحياة الإنسانية، فهو التحيز العنصري لتوجه ديني أو سياسي، ورفض للاختلاف وخلق عداء مع الغير أو الآخر، وهو ما يستفاد منه أنّ التطرف هو بمثابة نزعة سياسية واجتماعية تميل إلى استعمال العنف ضد الدولة أو ضد المجتمع أو ضد الآخر، خاصة إذا تعلق الأمر بالمتطرف المتشدد الذي يروم تحقيق التغيير مستعملا العنف وأنواعه وسيلته في تحقيق ذلك، ويبدو أكثر وضوحاً أنّ التطرف هو مصادرة غير شرعية وغير قانونية للحرية الإنسانية، مع إنكار وجود الآخر المختلف، وعدم القبول والمثول للحوار والنقاش والجدل الموضوعي. فالتطرف الديني بهذا المعنى هو المغالاة في التمسك بأفكار ورفض ما سواها دون مناقشة، ويرتبط بالعنف دفاعاً عن تلك الأفكار. (٥٥)

ثانياً: مقومات التطرف الديني في العالم العربي الإسلامي:

إنّ التطرف الديني في الوقت المعاصر ظاهرة عالمية تنتشر في كثير من مناطق العالم وبلاده، وفي الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب بما فيها العالم العربي الإسلامي، وتعود هذه الظاهرة إلى أسباب عدة، أهمها فيما يظهر فقدان الثقة في المؤسسات الدولية والدينية والسياسية، ولقد كان يمكن اعتبار ظاهرة التطرف الديني في علاقته بتيار التطرف العالمي، على أنّه بالرغم من بروز العامل السياسي والطموح السلطوي في تيار تسييس الدين بالعنف والإرهاب والتطرف، دون تقديم أي برامج محددة أو دراسات واضحة أو أهداف ثابتة أو مبادئ معينة، على الرغم من ذلك فإنّه توجد ثمة عوامل أخرى تتضافر مع هذا العامل السياسي في تعقيد ظاهرة هذا التيار وجعلها حادة غير بسيطة، طويلة الأمد غير قصيرة، صعبة غير سهلة، فمن ضمن العوامل التي أوجدت التطرف الديني العالم العربي الإسلامي في الوقت الراهن، وصراع فكري وديني وسياسي لم يقف، وصراع نفسي لم يفهم بعد.

تشخيص المقومات المؤدية إلى التطرف الديني، يفيد ضمناً تعددها وتنوعها، إذ إنّ منها المرتبط بمكونات القيم الثقافية السائدة وبعضها مرتبط بالنظام السياسي والبعض الآخر مرتبط بالأوضاع الاجتماعية، وأخيراً شخصية المتطرف نفسه، فهذه المكونات تتفاعل فيما بينها بنسب مختلفة باختلاف الظروف الشخصية والموضوعية التي تحيط بالمتطرف والمجتمع على حد سواء، ويمكن عرض أهمها في النقاط التالية:

الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه والظروف التي تهيأ له، ومن ثمة التشدد في القول والفعل والسلوك والمعتقد، وهو ما يعني التشدد في الدين إلى درجة الغلو والمبالغة والتطرف، وهو ما يعني الخروج عن الصراط المستقيم، والابتعاد عن رأي الجماعة، ومجانبة حد الاعتدال والوسطية.

استعمال مبدأ التكفير وتغليب الآخر في دينه، وذلك بالاحتكام إلى الأهواء والرغبات والمنازع الذاتية.

الانعزال عن المجتمع تقيّة وتسترًا وخلوة وتفردًا.

إيذاء الآخر وتعنيفه إما مادياً أو رمزياً، والسعي لمصادرة حريته والتدخل في شؤون حياته، وزرع الفتنة بين الناس.

الإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم.

الخطأ في إدراك حقيقة المثل العليا وطبيعة المجتمعات الإنسانية وأسلوب الإصلاح.

الخطأ في تبسيط الأحكام وتعميمها بحيث ينتهي الأمر باليأس من إصلاح الوضع القائم ويسود الوهم بإمكان التغيير بالعنف لإزاحة شخص أو تنفيذ حكم.

شيوخ القهر والقمع، بدلا من الطمأنينة والحوار، والامتناع سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة أو الدولة، ويكون رد الفعل في صورة تمرد عنيف من جانب الشباب إزاء السلوك الذي يمارس القمع، وأحيانا يكون القمع ذاته نسبياً لإثارة التطرف والعنف وليس علاجاً له.

غياب الحوار المفتوح من قبل رجال الفكر الديني لكل الأفكار الواردة أو المتطرفة ومناقشة بعض الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي، خاصة ما يتعلق بالأمانة والاجتهاد والجهاد والعلاقة بين الدين والسياسة، وعلى الأساس يتضح مسوّغ رفض النقاش والحوار والاختلاف. (٥٦)

ثالثاً: الفرق بين التطرف الديني والأصولية:

الأصولية بمفهومها الصحيح ترفض التطرف الديني، وتنطلق من النهي عن الغلو في الدين، كما أنّ التطرف في مضمونه خروج عن الوسطية التي هي خاصية الأصولية، ولذلك فإنّ الجمع بينهما لا يمكن أن يستقيم، فالمرء إما أن يكون

أصوليا ملتزما أو يكون متطرفا، ولا واسطة بينهما، والخط والخطأ إنما يقع في تصور الناس، وفي أحكامهم غير المنصفة. والأصولية بمفهومها الصحيح ليست بالجديدة، ولكن الجديد هو ذلك الربط غير الشرعي بين مفهوم الأصولية والتطرف الديني في نظر البعض، والربط بينهما وبين المفهوم الغربي وتجربته عند البعض الآخر، فالأصولية عند البعض تعني التطرف والغلو، ولم يفرقوا في ذلك بين معنى الالتزام والتطرف، وعند البعض الآخر تعني رفض التطور وعدم التكيف مع الواقع، والتوقع في الماضي والتعبد بالتراث، تلك هي المعاني التي صاحبت مصطلح الأصولية في تجربته الغربية. وفي حقيقة الأمر فإن الأصولية الإسلامية بريئة من التطرف والغلو ومن اتهامها برفض التطور ومحاربة التنوير وعدم التكيف مع الواقع والتعبد بالتراث.

إن محاولة البعض إقحام الأصولية الإسلامية في دائرة التطرف أو إلباسها ثوب المفهوم الغربي للكلمة على جانب كبير من الخطورة، بل هو ثمرة يسعى كثير من المتربصين قطفها، وهو إن نجحوا في ذلك فقد قدموا خدمة للأصولية الصهيونية التي تسعى جاهدة إلى تفرغ الإسلام من مضمونه الحي، بل تسعى جاهدة إلى اغتيال الحس الإسلامي في قلب المؤمن إن استطاعت، ولذلك فإن واجب الأجيال أن تتعرف على حقائق الأمور بمحاولة فض الاشتباك بين هذه المصطلحات ليعرفوا الفرق بين ما هو صحيح وما هو غلو وتطرف، وما هو أصولي بالمعنى الغربي الوافد، وبين ما هو أصيل وما هو وليد الأزمة الراهنة من مفاهيم ودلالات ومصطلحات مشحونة بمعان غريبة لا تتحملها الألفاظ العربية عند إطلاقها. (٥٧)

رابعا: موقف الشرع من التطرف الديني:

لقد ذم الدين الإسلامي الغلو ونهى عنه، واعتبره فعلا سلوكيا شنيعاً، وعده تصرفا مكروها وبذئناً، ولكن عندما يرفق الغلو بالقتل والإرهاب والعنف وترويع الناس، فهو فعل جرمي محرم، فيصبح التطرف أنذرا رهابا يقول تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض َ ذلك لهم خزي في الدنيا َ ولهم في الآخرة عذاب عظيم." (٥٨) وقد كره سبحانه وتعالى التطرف ونهى عنه، في قوله: "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبغوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل." (٥٩)

كما أشار القرآن الكريم إلى غلو أهل الكتاب، وتحريفهم لآيات الله وتعاليمه الشرعية إلى درجة التطرف. إضافة إلى تطرف الرهبان في ابتداع رهبانيتهم المتطرفة، وعدم الحفاظ عليها، ويبدو ذلك واضحا في قوله تعالى: "ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين أتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقاً رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثيراً منهم فاسقون." (١٠) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "هلك المتطعون." (١١) قالها ثلاثاً. وقال أيضاً: "ياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين." (١٢)

خامسا: أسباب نشأة التطرف في العالم العربي الإسلامي:

الحقيقة أن سبب التطرف ليس شيئاً واحداً ولكن أسبابه متعددة ومتنوعة، وليس من الإنصاف للحقائق أن التركيز على سبب واحد، وغض الطرف عن الأسباب الأخرى، كما يصنع عادة كل منتم إلى مدرسة معينة، فأصحاب المدرسة النفسية يرجعون كل تصرف إلى أسباب نفسية خالصة، كثيرا ما تكمن في العقل الباطن أو اللاشعور، وبخاصة مدرسة التحليل النفسي، والمدرسة الاجتماعية ترد كل شيء إلى تأثير المجتمع وأوضاعه وتقاليده، وما المرء إلا دمية يحركها المجتمع. وأنصار المدرسة المادية التاريخية لا يقيمون وزناً إلا للاعتبارات المادية والدوافع الاقتصادية، فهي التي تصنع الأحداث وتغير التاريخ، وأما أصحاب النظرة الشاملة المتوازنة يعترفون بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة، وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، مؤثرة آثاراً مختلفة، قد يقوى أثرها في شخص ويضعف في آخر، ولكنها جميعاً لها في النهاية أثرها الذي لا يجحد، فلا ينبغي الوقوف عند سبب واحد يبرز أمامنا ويطغى على غيره من الأسباب، فالواقع أن ظاهرة التطرف ظاهرة مركبة معقدة، وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، بعضها قريب، وبعضها بعيد، بعضها مباشر، وبعضها غير مباشر، بعضها مائل للعين، وبعضها طاف على السطح، وبعضها غانص في الأعماق.

قد يكمن سبب هذه الظاهرة أو السبب الأول لها في داخل الشخص المتطرف نفسه، وقد يكون السبب أو بعضه عند البحث، داخل أسرته، عند أبويه وإخوته وعلاقاتهم بهم، وعلاقاتهم ببعضهم ببعض، وقد يرجع السبب عند التحليل والتعمق إلى المجتمع ذاته، وما يحمل في طيه من تناقضات صارخة، بين العقيدة والسلوك... بين الدين والسياسة... بين الواجب والواقع... بين القول والعمل... بين الآمال والمنجزات، وقد يعود السبب إلى فساد الحكم وطغيان الحكام وجريهم وراء مصالحهم وتفريطهم في حقوق شعوبهم. (١٣) ومنه فما سبق عرضه في فهم أسباب التطرف يمكن إجماله في الجوانب التالية:

- تعفن الواقع المجتمعي والاقتصادي والطبقي: لا يمكن فصل التطرف عن الواقع السوسيو اقتصادي، لأنّ نتاج الظلم الاجتماعي، والقهر المتفشي في جميع المجالات والأصعدة والمستويات، وانعدام العدالة الحقيقية، وغياب تكافؤ الفرص، وانتشار الأنظمة المستبدة والظالمة، ووجود تفاوت طبقي اجتماعي بسبب الرأسمالية المتوحشة الناتجة عن العولمة التي تؤمن بمنطق الربوية، والاحتكار غير المشروع، والتنافس غير الشريف، واستغلال العمال والطبقات الكادحة، وانتشار الفقر والبؤس، وانهيار القيم الأخلاقية الأصيلة في المجتمعات العربية الإسلامية المنحطة والموبوءة بالأمراض والأفات المادية والمعنوية، وانتشار الفساد وبروز الصراع الطبقي الذي يولد الحقد الدائم ضد الأغنياء المفسدين.

- التعصب الأعمى: يعد التعصب الأعمى من الأسباب التي تدفع المرء إلى التطرف والتشدد والغلو والمبالغة في الإدعاء ونبذ الآخر وكراهيته حقدا وعدوانا وانتقاما، ويعني هذا أنّ المتطرف لا يؤمن بالحوار والنقاش والتعايش والتسامح، وبالتالي يريد أن يؤسس علاقته بالغير على أساس العدوان والتهميش والإقصاء والتغريب والغلظة واللامبالاة في الحوار وتبادل الآراء، ولا يريد من بناءها على أساس الأخوة والمحبة والصدقة والتعايش والتعاطف والتكامل. ومن ثمة التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عنده، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهانا، وأرجح ميزاناً، فهذا التعصب المقيت يثبت المرء فيه نفسه، وينفي كل ما عداه، هو الذي يبدو من دلائل التطرف حقا، فالمتطرف كأنما يقول: من حقي أن أتكلم... ومن واجبك أن تسمع... من حقي أن أقود ومن واجبك أن تتبع... رأيي صواب لا يحتمل الخطأ... ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب... وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبداً، لأنّ اللقاء يمكن ويسهل في منتصف الطرق ووسطه، وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به، فهو مع الناس كالمشرق والمغرب، لا تقترب من أحدهما إلا بمقدار ما تبتعد من الآخر، ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين، فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفاً وتهديداً من الإرهاب الحسي. (١٤) كما تجدر الإشارة إلى التعصب داخل الدين الواحد، أي تعصب أتباع مذهب معين ضد مذهب آخر، وهو تعصب قد يصل في خطورته وحدتها درجة لا تقل عن خطورة التعصب الناتج عن صراع أتباع دينين مختلفين، ويمثل هذا النوع من التعصب الناتج عن الاختلاف المذهبي في الإسلام. (١٥)

- المصلحة والمنفعة: قد يظهر المتطرف المتشدد المغالي تصرفات ظاهرية تنم عن الورع والتقوى والصلاح والهداية وحب الآخرين، والتفاني في خدمة الوطن والأمة على حد سواء، ولكن النوايا الدفينة تكشف عن رغبات مكبوتة بغيّة تحقيق مكاسب مكبوتة، أو إشباع رغبات جنسية لبيدوية مضمومة منذ الطفولة، والانتماء إلى أحزاب وطوائف دينية بحثاً عن المصالح السياسية الضيقة، أو تحقيق أغراض ومآرب شخصية، والحصول على منافع وامتيازات ومناصب حكومية ومدنية باستغلال الدين، وتغيير جلده كلما سمحت الفرصة لتحقيق المنافع والمصالح الخاصة، ولو كان ذلك على حساب الحقيقة والدين والتقوى.

- تحقيق الأغراض السياسية الظرفية بمبررات عقديّة، فجل الأحزاب السياسية التي لا تملك وعاء انتخابيا شعبيا يسمح لها باستمرار وجودها تسعى إلى استخدام أفكار متطرفة سواء عقديّة أو إيديولوجية.

- غياب التوازن النفسي: يعني المتطرف من مجموعة من الأمراض النفسية كالشذوذ وضعف الشخصية وتشابك عقده النفسية، ناهيك عن الإحساس بالنقص وكبت المشاعر العدوانية والشعور بالالتوازن النفسي، والجنوح نحو الشهوانية والشبقية والانحراف وكراهية الآخر، والإقبال على الدين بشكل غير متوازن، والتسرع بشكل منفعل ومتهيج، وعدم التروي في أخذ القرارات الصائبة والحكيمة، والشعور بالدونية والتهميش واللامبالاة والنّبذ من طرف الآخر، ومن هنا فالشخصية غير السوية قد تلجأ إلى المبالغة الدينية كتعويض أو نكوص أو إسقاط، والمحصلة انتقام لا شعوري من المجتمع. (١٦)

- العنصرية: من الأسباب التي تدفع المتطرف إلى استخدام العنف والإرهاب والعدوان ضد الآخرين إحساسه بالتمييز العنصري الذي يمارس ضده، أو شعوره بالتغريب والإقصاء وسوء المعاملة من قبل مستقبلين يرفضون وجوده معهم في بلد، لذلك يبنونه ويكرهونه ويحتقرونه ويزدرونه، ولو كان يحمل جنسيتهم وهويتهم ومعتقدهم، وهو ما يعني أنّ العنصرية التي تقشت في الغرب، قد ساهمت في تأجيج التطرف والعدوان بين صفوف الشباب المغترب، خاصة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية... الخ.

- الاستبداد والحكم المطلق: يسهم الاستبداد والحكم المطلق في تأجيج نيران التطرف، وزرع التشدد في نفوس الشباب والضعفاء والمراهقين والأبرياء، ولاسيما المتطلعين إلى الحرية والديمقراطية والحياة السياسية الفاضلة، بعيدا عن الفساد المتفشي، ومصادرة حريات الأفراد وحقوقهم الطبيعية المكتسبة، كما تدفع الأنظمة السياسية الحاكمة المستبدة، ولاسيما الأنظمة العسكرية منها إلى الحراك الاجتماعي، والثورة على الزعماء والحكام باسم الظلم، أو باسم التعسف في استخدام السلطة، ويبدو ذلك جليا في دول عدة من العالم العربي الإسلامي.

- الفتاوى الفاسدة والقراءات الإيديولوجية المغرضة: تعتبر الفتاوى الفاسدة من أهم العوامل التي كانت وراء انتشار ظاهرة التطرف الديني في العالم العربي الإسلامي، والسبب في ذلك تكفير الآخرين، والاهتمام بالحلال والحرام، والدعوة إلى الجهاد، والتحرير على العنف والعدوان والإرهاب، وخدمة الإيديولوجيات المغرضة والمضللة والمنحرفة، كخدمة الدعاوي الشيعية أو الوهابية أو السلفية المتشددة والمغالبة في الدين، علاوة على توظيف الدين الإسلامي في المجال السياسي للوصول إلى السلطة، باستلاب الناس واستغلال وعيهم الزائف، والغياب الكلي للبرامج الواقعية السياسية الحقيقية، وعدم الاعتراف بالآخر، وغياب الحوار السياسي المتزن القائم على الحجاج والإقناع والافتتاح، وهو ما شهدته الأحزاب التيارات الإسلامية في مختلف البلدان العربية الإسلامية.

- الخلل المؤسسي: قد يكون التطرف ناتجا عن وجود خلل وظيفي في الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر سلبا في الإنسان، فتدفعه إلى الانحراف والجنوح والإقدام على التصرفات الشاذة التي تهدد المجتمع الإنساني بأسره، ناهيك عن التربية القاسية والصارمة والعنيفة التي يتلقاها المتطرف في بيئته الاجتماعية التي تدفعه ليكون متطرفا في المستقبل، علاوة على المعتقدات الضالة والمنحرفة والمتشددة التي يكتسبها المتطرف في المدارس والمؤسسات التعليمية والدينية التي تجعل منه إنسانا متطرفا ومغالبا.

- التكفير: من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى تكفير الآخرين، عدم فهم الدين فهما حقيقيا بمراعاة مقاصده القريبة والبعيدة، أو التوقف عند ظاهر النص، دون استنتاج دلالاته الحقيقية، علاوة على الاختلافات السياسية بين الفرق والجماعات الإسلامية، وتناقض مصالحها، وتضارب أوهانها الإيديولوجية، ناهيك عن فهم المسائل الدينية والواقعية والسياسية فهما سطحيا، دون التعمق في حقيقتها الحقيقية، والغلو والتطرف في الدين، وعدم التسامح والتعايش مع الشعوب المخالفة للمسلمين، والإسراف في التحريم، والتباس المفاهيم، والاشتغال بالقضايا الجانبية بدل الاهتمام بالقضايا الكبرى، أضف إلى ذلك التسرع في الأحكام الدينية والفقهية وعدم التروي في ذلك، وضعف البصيرة بالدين، والجهل، والابتداع، وإتباع الهوى، ومنع حرية التدين، والغلو في فهم معاني الجهاد والتكفير والتحريم والابتداع. (١٧)

- إنَّ التطرف لا ينبت إلا في ميدان الفساد بجميع أشكاله، وعالم الجهل على تنوع ميدانه، فيأتي التطرف الديني كمبرر همجي للإثبات بالخلف، ففي غياب الفهم الصحيح للقوانين والمعتقدات، تبرز كل أنواع الخرافات والإدعاءات، وفي غياب الصلاح والإصلاح، يفسح المجال لبروز كل ألوان السجال المؤدي إلى الإقصاء والتهميش وحتى الاغتيال. (١٨)

- الأمية والجهل بالدين.

- غياب العدالة داخل المجتمع والتهميش يؤديان إلى التطرف الديني وبمبررات عقديّة، وهي أقوى المبررات.

- غياب التنشئة الاجتماعية السليمة المبنية على التربية والعدالة بين الأبناء.

- الفقر والشعور بالإحباط من الظلم المسلط على الأقليات في بعض بلاد العالم العربي الإسلامي.

- قد يتحول التطرف السياسي إلى غلو ديني، وهذا ما يؤكد حال بعض الشعوب في الانتخابات، خاصة في دول العالم العربي الإسلامي المتخلفة. (١٩).

سادسا: سبل مواجهة التطرف مع التأسيس في الوقت ذاته للحوار بين الأنا والآخر:

بعد أن تم التطرق إلى أهم أسباب التطرف وبواعثه، يبقى أن نتعرف على سبل مواجهته، وهنا يجب التأكيد أنّ سبل المواجهة لا تنفصل عن الأسباب فإذا كانت الأسباب متعددة ومتنوعة، فإنّ سبل المواجهة لابد أن تكون كذلك متعددة ومتنوعة، وهو ما يعني أنّها يجب أن تكون فكرية ونفسية واجتماعية وسياسية، وهنا تكمن الإشارة إلى أنّ أسباب الظاهرة كلها لا يجب أن ترجع إلى المجتمع وحده، أو إلى الأوضاع الاقتصادية فحسب، ولا يحلّ الشباب تبعه تصرفاتهم وأعمالهم، كما لا يجب تحميل الشباب عبء المسؤولية وحدهم، ويعفى المجتمع والحكم وأجهزته المختلفة، وخصوصا المسؤولين عن التربية والتوجيه والإعلام، فهذا ليس من العدل أيضا، فالمسؤولية إذن مشتركة، وكل له دوره، سواء ما تعلق بدور المجتمع، أو دور الشباب وما يجب أن يفعلوه ليقاموا ويواجهوا نزعة الغلو وما يترتب عليها من آثار. (٢٠) وعليه يمكن القول مع التأكيد بتعدد وتنوع سبل مواجهة التطرف تبعا لتعدد وتنوع أسبابه، ويمكن حصر بعضها في النقاط التالية:

- الابتعاد عن الغلو والتشدد في الدين.

- تمثّل المنهج الوسطي، والتشبيث بفكرة الاعتدال، ونبذ التشدد.

- نبذ العنف والغلو والتنطع، وتمثّل منهج السلم الأخلاقي والديني والاجتماعي.

- الانطلاق من شريعة التسامح، التفاهم، العفو، التعايش، التعاون، التكامل مع الآخرين، والدفاع عن الإنسانية قاطبة، والابتعاد عن سياسة الإقصاء والتغريب والكرهية والتكفير.

- وجوب تنشئة طلبة العلم على وجود مذاهب عقدية وفقهية متعددة، يتوزع الصواب بينها، كلها تأخذ من القرآن والسنة، وكلها جديرة بالثقة.

- رد الاعتبار للفقهاء المقارن وتوقير علماء الدين مهما كان ذهابهم.

- العلماء يردون على بعضهم ويتناظرون، هذه ليست مهمة طلبة العلم ولا غير المتخصصين.

- تدريس أصول الدين وأصول الفقه كما أصلها جمهور العلماء، وهدم الاقتصار على الحنابلة وحدهم.

- إعادة الاعتبار للتراث الإسلامي والإنساني، لأن العالم ليس مختزلاً في آراء الشيخ محمد عبد الوهاب.

- إتباع أية مدرسة فقهية أو فكرية طلبة علم وليسوا محاربين معهم سلاح يثارون من المدارس والمذاهب الإسلامية الأخرى.

- محاربة فكر العداوة والرفض محاربة منهجية لتحرير العقول من الانغلاق والقلوب من القسوة.

- ضرورة تحرير قضية الولاء والبراء: احترام الآخر ولو اختلف دينه، فضلا عن مذهبه الإسلامي، لأن حسابته على الله، وأما نحن فدعاة ولسنا قضاة.

- تحرير معاني: أهل السنة والجماعة، السلف الصالح، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، وذلك لجمع كلمة المسلمين بدل تفريقها والبناء بدل الهدم.

- تنمية روح التفكير والإبداع لدى الشباب على أنقاض التلقين والإتباع الأعمى وتقديس الأشخاص وأرائهم.

- مع العبادة يجب التركيز على العلم الراسخ والعمل المجدي، والعبادة ليست حلاً للمشكلات والأزمات فهي في حد ذاتها غاية لا حل.

- مشكلة الجمود ومحاولة استنساخ التجربة النبوية: ليس علينا تكرار الأحداث، وإنما استلهام المنهج، أي لا بد من تأصيل معنى الهدي النبوي وكيفية إتباع السنة.

- الموقف من الغرب ليس كله جاهلية ولا شراً ولا عدواً.

- الانتقال بالشباب المسلم من ثقافة الإكراه إلى ثقافة الإقناع. (٢١)

- الانفتاح على الآخر سواء كان قويا أو ضعيفا، على أساس التعارف والتكامل والتسامح.

- تمثل الواقعية والعقلانية ومنطق التروي قبل التشدد والتطرف والحكم بالتكفير، لأن في ذلك ظلماً وتجنياً على معتقد الآخر، مهما كان الاختلاف معه في الأفكار والمعتقدات والتصورات.

- المصالحة بين التيارات الوطنية والقومية، وبين المؤسسات الرسمية والشعبية، وبين الشعوب والأنظمة، مع الابتعاد عن الغلو والتشدد والتطرف، وعدم الاحتكام إلى سلاح الإقصاء والعدوان والعنف والتكفير.

- الابتعاد عن الأحكام الذاتية، وتجنب المنطلقات الإيديولوجية والسياسية والحزبية، وعدم الارتكان إلى المصالح الشخصية.

- مقياس المواجهة مع الآخر ليس الكفر، وإنما العدوان والظلم حتى ولو كان المعتدي الظالم مسلماً.

- محاربة التخدير باسم الدين، أي نشر التغافل والجهل، ونشر الوعي بدل ذلك.

- التربية على قيم العدل والحرية وحقوق الإنسان، والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية بمختلف مجالاتها.

- رفض الأفكار والتجارب لمجرد أنها تمثل ثقافة الآخر.

- مواجهة مشكلة التقليد، وبيان الجانب الإنساني في ذلك.

- مواجهة الهوس الديني المتمثل في ملاحقة الآخر، بعيدا عن فقه الحياة والتنمية والعمل، وإعمال كامل للعلوم المختلفة الضرورية لتجسيد معاني الحياة الإنسانية. (٢٢)

- إن مواجهة ظاهرة التطرف العالمية لا يكفي أن يجند لها الأسلحة الفتاكة المدمرة للعباد والبلاد والبلدان، بل يجب تسخير المؤسسات المؤهلة لذلك، بدءًا بالأسرة وانتهاء بالجامعة، ومرورا بالإعلام ودور العبادة والديانات والمواثيق والقرآن الكريم.

- إن التطرف الديني يطرد بتحسين ذات الإنسان والقضاء على الجهلة، وأنصاف المتعلمين، والضرب على عقولهم بالحجة والبرهان، فنصف طبيب يفسد الأبدان، ونصف متعلم يفسد الأديان.

- لا ينبغي الاستهانة بالتطرف الديني مهما اتخذ من شكل، فإنه خطر داهم يقضي على خلايا جسم الإنسانية بكاملها. (٢٣)

- العمل على انتشار وتشجيع ثقافة السلام من أهم الوسائل الناجحة في معالجة ظاهرة التطرف الديني، فالمعادلة لا تخرج عن: ١- الحوار + الاختلاف + الاحترام = ثقافة السلام

٢- الجدل + التعصب + التسلط = التطرف الديني (٢٤)

- الحوار قبل العمل العسكري، يساعد على تخلي المتطرف عن خطورة مساره وجعله يتراجع عن مواقفه المتطرفة وما لها من أثر كبير على أتباعه.

- العدالة واحترام حقوق الإنسان، لأن التطرف معاد للعدالة، ولذلك فهو يؤدي إلى الظلم، والعكس صحيح فالظلم والاضطهاد يمكن أن يؤديا إلى التطرف الرجعي. (٢٥)

- الدعوة إلى الائتلاف إلى الفعل الثقافي، للوقوف في وجه الأفكار المتطرفة التي تشجع على العنف وترهب الأخرين، والتحذير من خطر استغلال الأديان لأغراض تتعارض مع التنوع الفكري والاختلاف في الدين، مع الدعوة إلى إبراز التفاعل الإيجابي للثقافات في إبعاد العنف والتطرف، فدور الثقافة أثرى وبثري المعارف، كما يسمح بصنع الحضارات، ناهيك عن دور الثقافة في محاربة دعاة القطيعة وصدام الحضارات، فقد ظلت الثقافة دائما في تحالف ضد قوى الشر والظلامية، فالتبادل والتعاون الثقافي من شأنه أن يؤسس لتبني خطاب إنساني هادف، فهو خطاب وجد لامتناص الواقع العنيف الذي يشهده العالم بتغذية من العالم نفسه، في حين أن الفعل الثقافي الجاد يقتضي وجود مشاريع لمعالجة العنف بجميع أنواعه، لأنه خطاب تحريضي على المخالف الإيديولوجي في المجتمع. (٢٦)

- نشر الوعي الديني بين الشباب لتصحيح الأفكار المغلوطة.

- توسيع مساحة البرامج الدينية والثقافية والسياسية. (٢٧)

الخاتمة:

إن ظاهرة التطرف الديني في العالم العربي الإسلامي ظاهرة مركبة وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، فمنها ما هو ديني، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو نفسي، وإن التصدي لهذه المشكلة لا يكون بالمعالجة السطحية والمتمثلة في النظر إليها على أنها مشكلة قلة منحرفة، كما لا يكون التصدي لها بالتطرف في تصوير التطرف، لذا فالمواجهة تكون من خلال إتباع سياسة اجتماعية شاملة تحقق للشباب حرية التعبير، بالإضافة إلى الحرص على تحقيق العدالة الاجتماعية، والدعوة إلى الحوار، لأن فيه إخراج للشباب العربي المسلم إلى رحاب الفكر العقلي وسماحته، فهو يفتح أمامهم آفاقا جديدة لم يكن مسموحا لهم داخل جماعاتهم الاقتراب منها.

الإحالات:

وفاء محمد البرعي: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، تقديم: شبل بدران الغريب، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢، ص: ٢٠-٢١-٢٢.

صلاح الصاوي: التطرف الديني (الرأي والرأي الآخر)، الطبعة الأولى، الأفاق الدولية للنشر والإعلام، مصر، ١٩٩٣، ص: ٠٨.

محمد أحمد بيومي: ظاهرة التطرف (الأسباب والعلاج)، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، دون تاريخ، مصر، ص: ٧٩.

أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي (لماذا وكيف؟)، الطبعة الثانية، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٩٧، ص: ٣٩.

وفاء محمد البرعي: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، المرجع السابق، ص: ٢٤.

محمد أحمد بيومي: ظاهرة التطرف (الأسباب والعلاج)، المرجع السابق، ص: ٨١-٨٢.

محمد السيد الجليند: الأصولية والحوار مع الآخر، دون طبعة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٩، ص: ٢٨-٢٩-٣٠.

سورة المائدة، الآية رقم: ٣٣.

سورة المائدة، الآية رقم: ٧٧.

سورة الحديد، الآية رقم: ٢٧.

رواه أنس بن مالك، سنن أبي داود.

حديث صحيح، رواه مسلم في كتاب العلم.

يوسف القرضاوي: الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف، الطبعة الأولى، سلسلة تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ١٤٠٦هـ، ص: ٦٠-٦١.

المرجع نفسه، ص: ٣٩-٤٠.

أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي (لماذا وكيف؟)، المرجع السابق، ص: ١٣٤-١٣٧-١٤٢.

أحمد دكار: ظاهرة التطرف، رسالة المسجد، العدد السادس، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جوان ٢٠١٠، ص: ٨٦.

حماد عبد الجليل البريدي: التحذير من الغلو في الدين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦، ص: ٣٣-٤٠.

عبد الرزاق قسوم: التطرف، هذا الورم الإيديولوجي الخبيث، جريدة البصائر، العدد ٨٣٤، الجزائر، ديسمبر ٢٠١٦، ص: ٠٣.

أحمد دكار: ظاهرة التطرف، المرجع السابق، ص: ٨٦.

يوسف القرضاوي: الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف، المرجع السابق، ص: ١٢٩-١٣٠.

عبد العزيز كحيل: مقاربة علمية لمواجهة التطرف الديني، جريدة البصائر، العدد ٨٨٨، الجزائر، ديسمبر ٢٠١٧، ص: ٠٨.

عبد العزيز كحيل: مقاربة علمية لمواجهة التطرف الديني، المرجع نفسه، ص: ٠٨.

عبد الرزاق قسوم: التطرف، هذا الورم الإيديولوجي الخبيث، المرجع نفسه، ص: ٠٣.

أحمد دكار: ظاهرة التطرف، المرجع السابق، ص: ٨٢.

أسامة حسن: خطر التطرف على الإسلام والعالم، مجلة نهج الإسلام، العدد ١١٥، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجمهورية العربية السورية، رمضان ٢٠٠٩، ص: ٢٩.

عز الدين ميهوبي: دور الثقافة في محاربة التطرف، جريدة البصائر، العدد ٨٤٥، الجزائر، فيفري ٢٠١٧، ص: ٢٠.

وفاء محمد البرعي: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، المرجع السابق، ص: ١٥١.

انعكاسات الإسلاموفوبيا على مسلمي أوروبا والعالم الإسلامي

تمهيد :

إن الأحداث الأخيرة التي شهدتها أوروبا في أكثر من بلد والتمثلة في سلسلة من العمليات الإرهابية؛ أبرزها الهجمات التي تعرضت لها فرنسا من خلال حادثة (شارلي ابيدو) بتاريخ ٠٧ جانفي ٢٠١٥ وحادثة ١٣ نوفمبر ٢٠١٥ وآخرها تفجيرات بروكسيل يوم ٢٢ مارس ٢٠١٦ أي من حوالي شهرين من تاريخنا هذا؛ لم تكن هذه الحوادث هي الأولى، بل شهدت أوروبا العديد من الهجمات المماثلة بدءاً من تفجيرات مدريد سنة ٢٠٠٤، تفجيرات لندن ٢٠٠٠، تفجيرات ستوكهولم ٢٠١٠ والتي ألفت بظلالها على المسلمين هناك، خصوصاً في الألفية الجديدة، وربما بوادر عمليات أخرى في ألمانيا أو غيرها من الدول التي آثرت عدم الإعلان؛ وما يشهده الغرب راهناً من توجس وارتباك وردود أفعال متباينة، يؤسس لمرحلة قاتمة من العلاقات والتفاعلات الداخلية ضمن المجتمعات الغربية ذاتها؛ وعلاقات المجتمعات المعنية مع البلدان العربية والإسلامية. إلى جانب حالة الاحتقان غير العادية في المجتمعات الغربية - وهي حالة تتمحور حول الخوف من الدين الإسلام والمسلمين- تنذر بمستقبل قاتم الملامح في العلاقات الأوروبية العربية- مما دفع بالشباب الأوروبي في العديد من الدول إلى حد عقد الاجتماعات العلنية، التي طالبت باتخاذ إجراءات لقطع الطريق أمام ما يمكن تسميته " أسلمه أوروبا "

لقد تولدت عن هذه الهجمات الإرهابية التي رفع منقذوها شعارات إسلامية ضد المجتمعات الغربية حملة إيديولوجية ضد المسلمين تجسدت في ظاهرة الخوف من الإسلام أو ما يسمى " ظاهرة الإسلاموفوبيا "؛ ولا ريب أن هذه الفوبيا Phobie (الخوف المرضي) من الإسلام والحركات الأصولية الإسلامية مردّها توهم الغرب من أن الخصوصية العقديّة والثقافية للدول الإسلامية عامة والعربية على وجه الخصوص بمكوّنها الروحي (الإسلام) تشكل تهديداً حضارياً له؛ مما جعله يلصق تهمة "الإرهاب" بالثقافة العربية الإسلامية، كما عمل ولا يزال في تضيق هوامش الحريات الثقافية والدينية للجاليات الإسلامية المقيمة في بلدانه؛ خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م والتي تعتبر المنعرج الخطير والبارز لانتشار هذه الظاهرة و نقطة تحول في العلاقات بين الدول الغربية والدول العربية الإسلامية، أصبح الإسلام في نظر الغرب يعني "الأصولية – Fondamentalisme –" وارتبطت هذه المفردة عند الغربيين بالتكفير والعنف والجماعات المتشددة والإرهاب.

إن معظم المسلمين في بلاد أوروبا الآن هم من أبناء البلاد العربية والإسلامية، الذين هاجروا إلى هناك بعد الحرب العالمية الثانية واستقرّ بهم المقام في بلاد المهجر، بالإضافة إلى من اعتنق الإسلام من أبناء البلاد الأصليين الذين يتزايد عددهم أيضاً باستمرار. ويمثل المنحدرين من أصول عربية في الوقت الحاضر أعلى نسبة من العرب المقيمين في أوروبا، بحيث تتجاوز في بلدان مثل فرنسا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا وألمانيا بكثير نسبة المهاجرين؛ إنهم عرب وأوروبيون، لكنهم ليسوا مثل العرب الذين ولدوا في الوطن العربي، وليسوا مثل الأوروبيين الذين توارثوا الأصل والثقافة الأوروبية. الاختلاف عن هؤلاء وأولئك يجعلهم يعيشون في كثير من الأحيان، حالة اجتناب ثقافي بين المواطنّة وهاجس الهوية.

فما هو واقع هذه الجاليات العربية والمسلمة في أوروبا في ظل الإسلاموفوبيا وانعكاساتها جرّاء التفجيرات الإرهابية؟

الفرع الأول

سياسة التمييز والعنصرية ضد مهاجري أوروبا في ظل الإسلاموفوبيا

احتلت القضايا المتعلقة بالهجرة عامة، وبالمهاجرين المسلمين بشكل خاص، موقع الصدارة في وسائل الإعلام الأوروبية في الآونة الأخيرة، حيث أصبحت محورا لجدال سياسي جاد في كثير من دول الاتحاد الأوروبي. من الواضح أن القلق الغربي على مستقبل أوروبا وثقافتها وحضارتها من النمو الإسلامي-المختلف المظاهر- قد بلغ قمته في كثير من البلدان الأوروبية، وكذلك لا تزال كثير من الدول الأوروبية تقدّم الدراسات المختلفة والأبحاث التي تبيّن التزايد الإسلامي الكبير على مدى العقود الماضية، والمتوقّع في العقود القادمة، مما جعل البعض يصرح بأن بلدان الغرب في العقود القادمة ستتحول إلى بلدان إسلامية.

أولاً: واقع الجالية المسلمة في أوروبا (١)

ازداد أعداد المسلمين وانتشارهم في جل الأقطار الأوروبية وبرز الجيل الثاني والثالث بل والرابع في بعض الأقطار التي هاجر إليها المسلمون في وقت مبكر وقد بات الاتجاه السائد في صفوف المسلمين هو الاستقرار. ويمكن القول أن الغالبية العظمى من المسلمين في أوروبا استقر بهم المقام وبدأت أجيالهم الجديدة على وجه الخصوص تستشعر أن أوروبا وطنها.

ويمكن تقسيم الجالية المسلمة في أوروبا اليوم إلى أربعة شرائح لكل وضعها وتوجهاتها وآمالها والتي تتداخل أحيانا وتتباين أحيانا أخرى .

١. تركيبة المجتمع الإسلامي في أوروبا

الجيل الأول: شريحة العمال

كانت ولا زالت هذه الشريحة تمثل العدد الأكبر من المسلمين في أوروبا، إذ ورغم القيود الكثيرة التي تضعها المجموعة الأوروبية في وجه الهجرات الجديدة وفي وجه اللجوء السياسي، فلا زال عدد غير قليل من المسلمين ومن دول كثيرة يخاطرون بأنفسهم من أجل الوصول إلى دول أوروبا، كل ذلك نتيجة للأوضاع الاقتصادية والسياسية غير المستقرة في الكثير من الدول الإسلامية.

الجيل الثاني: شريحة الكفاءات العلمية والاقتصادية والطلبة الدارسين

هذه الشريحة كانت هجرتها الواسعة إلى أوروبا متأخرة عن الشريحة الأولى وبدأ أثرها في محيط الجالية المسلمة يظهر قبل أربع عقود وكانت صاحبة الفضل في إنشاء الاتحادات الطلابية أولاً ثم المراكز الإسلامية المتقدمة والمؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

الجيل الثالث: الأجيال المترعرة في أوروبا

وهي الأجيال التي ولدت وترعرعت وتشربت الثقافة الأوروبية والتي أصبحت تمثل الشريحة الثانية في عددها وتكاد في القريب تكون الأكثر والتي تمثل مستقبل الإسلام والمسلمين في أوروبا، ويحمل اليوم الغالبية العظمى منهم جنسية البلاد الأوروبية؛ يستشعر الكثير منهم أنهم أوروبيون وطناً ومسلمون ديناً.

الجيل الرابع: المسلمون من أصل أوروبي

وهؤلاء هم الذين اعتنقوا الإسلام إما متأثراً بقيمه ومثله أو من خلال دراساتهم الأكاديمية أو الشخصية أو من خلال اختلاطهم ببعض العاملين في الحقل الإسلامي؛ ويتركزون في فرنسا وألمانيا وبريطانيا على التوالي. ولا شك أن لهم توجهات متباينة ومختلفة وليس من اليسير تحديد مواصفات خاصة بهم وإن كان البعض منهم متأثر إلى حد بعيد بالطرق الصوفية وتوجهاتها. واليوم الكثير منهم بدأ باستشعار ضرورة التوافق بين انتمائهم إلى الإسلام وارتباطهم ببلدهم الأوربي وإن تحولهم إلى الإسلام لا يعني انسلاخهم عن مجتمعهم.(٢)

٢. القلق من تنامي الأقليات المسلمة في أوروبا

أثارت أعمال العنف الأخيرة في فرنسا والمسيرات المناهضة للإسلام في ألمانيا، اهتماماً شعبياً ورسمياً متزايداً فيما يتعلق بشكل وتركيبية المجتمعات الإسلامية الأوروبية ومدى اندماجها وتأثيرها في الدول التي تتركز بها؛ وفي العديد من البلدان الأوروبية، بما في ذلك ألمانيا والمملكة المتحدة وهولندا. أدت المخاوف بشأن تنامي المجتمعات الإسلامية، إلى دعوات لفرص قيود على الهجرة.

وما زاد هذه المخاوف هو صناعة الإسلاموفوبيا من طرف الولايات المتحدة الأمريكية من خلال دراسات مسبقة عن تزايد المسلمين في أوروبا، فما مدى صحة هذه الدراسات؟

(أ)- الدراسة الأولى حول تزايد المسلمين في العالم:

١٠- أحمد الراوي ، الإسلام والمسلمون و العمل الإسلامي في أوروبا(الواقع- المعوقات- الآمال)، مؤتمر الإسلام والغرب في عالم متغير، سنة ٢٠٠٣، على الموقع : www.islamtoday.net/files/w_e_di/P_3.htm.

٢٠- أحمد الراوي ، المرجع السابق.

فوفقا لمقال كتبه (كوراد هاكيت Conrad Hackett) الباحث في مشروع «الدين والحياة العامة»، التابع لمركز PEW الأمريكي للأبحاث(١)، واعتمادا على دراسات وإحصائيات سابقة أصدرها المركز، فإن الديانة الإسلامية ستشهد نموا كبيرا طيلة أربعة عقود القادمة، أكثر من أي ديانة أخرى، موضحة أن الإسلام سيصبح الديانة الأكثر اعتناقا في العالم بعد سنة ٢٠٧٠، فيما ستتقارب أعداد معتنقي الإسلام والمسيحية بحلول عام ٢٠٥٠.

وأوضحت وثيقة "Pew Research Center" المعتمدة على التوقعات أن عدد المسلمين سيصل إلى ٢,٧٦ مليارات سنة ٢٠٥٠ مقابل ١,٦ مليار سنة ٢٠١٠، فيما سيبلغ عدد المسيحيين ٢,٩٢ مليارات مقابل ٢,١٧ سنة ٢٠١٠. لتبقى الديانة المسيحية في المرتبة الأولى عالميا خلال أربعة عقود قادمة وفق ذات الدراسة.

وبحسب البيانات الصادرة من مقر المركز بواشنطن: فيفضل معدل الخصوبة المرتفع، وفئة الشباب العريضة، سيزداد عدد المسلمين بـ ٧٥ بالمائة ضمن ٣٥ بالمائة من سكان العالم خلال العقود القادمة، ليصبح الإسلام الأكثر انتشارا عالميا.(٢)

(ب).الدراسة الثانية حول تزايد المسلمين في أوروبا:(٣)

أعد الدبلوماسي الأمريكي (تيموثي سافيج) Timothy Savage بحثا طويلا، تحت عنوان:"أوروبا والإسلام: الهلال المتنامي، وصدام الثقافات". ونشرتها المجلة الفصلية (ذي واشنطن كوارترلي) The Washington Quarter Ly، وتحتوي الورقة علي إحصائيات وتفاصيل مهمة.

وأهمية الدراسة تنبع من أن معدها (سافيج) يشتغل في قسم الدراسات التحليلية المتعلقة بأوروبا، والأكثر من ذلك أنه اشتغل كقنصل عام للولايات المتحدة الأمريكية في ألمانيا. ولعل ذلك مكن صاحب الدراسة من الاطلاع عن قرب علي أوروبا عموما وحضور الإسلام فيها خصوصا.

تشير الدراسة أن هناك إلي حد اليوم ١٣ دولة أوروبية لا تعترف بالديانة الإسلامية علي الرغم من أن الإسلام يحتل المرتبة الثانية من حيث عدد معتنقيه في أكثر من ١٦ دولة من مجموع ٣٧ دولة أوروبية. ففي العديد من الدول الأوروبية تعاني الأقليات المسلمة من التهميش، وعدم الاعتراف بها، ومحرومة من كل الحقوق التي تتمتع بها أي أقلية أخرى داخل أوروبا.

وتشير الدراسة التي أعدها الدبلوماسي الأمريكي (تيموثي سافيج) إلي أنه في حال انضمام تركيا إلي الاتحاد الأوروبي يقفز بعدد المسلمين إلي أكثر من ٩٠ مليونا، بما نسبته ١٥ بالمائة من عدد سكان أوروبا. وتشير الدراسة إلي أن عدد المسلمين قد زاد إلي أكثر من الضعف خلال الثلاثة عقود الأخيرة، وأن نسبة الولادات في صفوفهم مرتفعة جدا.

تشير التقارير حول المسلمين في غرب أوروبا اليوم، أن ٥٠% منهم مولودين في هذه الدول الأوروبية. ويشكل المسلمون النسبة الفئة العمرية (معدل الأعمار) الشابة مقارنة بغيرها من الفئات. حيث نجد اليوم وحسب الدراسة أن ثلث عدد المسلمين في فرنسا البالغ عددهم ٥ مليون نسمة هم تحت سن العشرين، مقارنة بـ ٢% من إجمالي سكان فرنسا. وفي ألمانيا فإن ثلث عدد المسلمين البالغ ٤ مليون نسمة أقل من ١٨ سنة من العمر، مقارنة بـ ١٨% من إجمالي سكان ألمانيا تحت هذا السن. وفي المملكة المتحدة (بريطانيا) فإن عدد المسلمين يقدر بـ ١,٦ مليون نسمة تلتهم تحت سن ١٥ سنة، مقارنة بـ ٢٠% من إجمالي البريطانيين من نفس الفئة العمرية. ونفس النسبة تقريبا توجد في بلجيكا التي يقدر عدد المسلمين فيها بـ ٣٦٤ ألفا، تلتهم دون سن الخامسة عشرة.

وتشير التوقعات إلي أن عدد المسلمين سيصل مع منتصف القرن الحالي(العام ٢٠٥٠م) إلي ٢٠% من إجمالي سكان أوروبا. وتذهب بعض التقديرات إلي أن عدد ربع سكان فرنسا سيكون من المسلمين مع حلول ٢٠٢٥م، وأنه في حال استمرار نسب التزايد بين المسلمين فإن عدد المسلمين قد يفوق عدد غير المسلمين في فرنسا والعديد من دول أوروبا الغربية(٤).والجدول رقم ٠١ يوضّح نسب تزايد المسلمين حسب دراسة أجراها مركز البحث الأمريكي PEW.

١- Conrad Hackett، دراسة عن تزايد المسلمين في أوروبا، مركز البحث الأمريكي PEW، سنة ٢٠١٠، www.pewresearch.org/.

٢- ماجدة أيت لكتاوي، دراسة أمريكية: الإسلام سيغدو الديانة الأكثر اعتناقا بعد ٢٠٧٠، الجريدة الإلكترونية إكسبريس، تاريخ النشر

٠٥ أبريل ٢٠١٥، www.hespress.com/orbites/209941.html.

٣- شبكة نور الإسلام، عدد المسلمين في الغرب سيتضاعف خلال العقد القادم وسيشكلون ٢٠ بالمائة بحلول ٢٠٥٠.

www.islaamlight.com/index.php?option...task

٤- المرجع السابق.

جدول رقم ٠١: يبين النسبة المئوية للمسلمين في دول غرب أوروبا الفترة ٢٠١٠-٢٠٥٠.

Muslim Percent of Population in Western European Countries, 2010 and 2050				
<i>Sorted by difference between projection scenarios WITH EXPECTED migration and WITH NO NEW migration</i>				
	% MUSLIM IN 2010	% MUSLIM IN 2050 WITH EXPECTED MIGRATION	% MUSLIM IN 2050 WITH NO NEW MIGRATION	DIFFERENCE IN 2050 WITH/ WITHOUT MIGRATION
Sweden	4.6%	12.4%	6.8%	+ 5.6
Norway	3.7	8.9	5.2	+ 3.8
Spain	2.1	7.5	4.1	+ 3.4
United Kingdom	4.8	11.3	8.3	+ 3.0
Italy	3.7	9.5	7.2	+ 2.2
Finland	0.8	3.4	1.4	+ 2.0
Belgium	5.9	11.8	9.9	+ 1.9
Denmark	4.1	8.5	6.7	+ 1.9
France	7.5	10.9	9.0	+ 1.8
Ireland	1.1	3.0	1.2	+ 1.8
Greece	5.3	7.8	6.1	+ 1.6
Netherlands	6.0	9.4	8.1	+ 1.3
Portugal	0.3	1.3	0.3	+ 1.0
Austria	5.4	8.9	8.1	+ 0.8
Germany	5.8	10.0	9.4	+ 0.6
Switzerland	4.9	7.6	7.4	+ 0.3
Luxembourg	2.3	2.3	2.3	+ 0.0

Note: EU member countries before 2004 enlargement, plus Norway and Switzerland, otherwise known as EU 15+2.
Source: The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-2050
PEW RESEARCH CENTER

المصدر: مركز البحث الأمريكي PEW - سنة ٢٠١٠ www.pewresearch.org/

– إذن كيف تنظر أوروبا للمسلمين؟

في [دراسة أجراها المركز PEW عام ٢٠١٥](http://www.pewresearch.org/)، في عدد من الدول الأوروبية، حول نظرتهم تجاه المسلمين، أظهرت نتائج مختلفة، كانت في مجملها إيجابية، ففي الدراسة التي أجريت على ستة بلدان أوروبية، احتلت فرنسا صدارة الدول التي تنظر إلى المسلمين بشكل إيجابي بنسبة ٧٦%، تليها بريطانيا بنسبة ٧٢%، ثم ألمانيا بنسبة ٦٩%. تلك النسب ربما ترجع إلى كثرة تواجد المسلمين نسبياً في تلك البلدان عن بلدان غربية أخرى كبلندا، التي تذيلت الترتيب بنسبة ٣٠%، وإيطاليا التي بلغت نسبتها ٣١% (١) والجدول رقم ٠٢ يوضح نظرة الدول الأوروبية للمسلمين المتواجدين فيها.

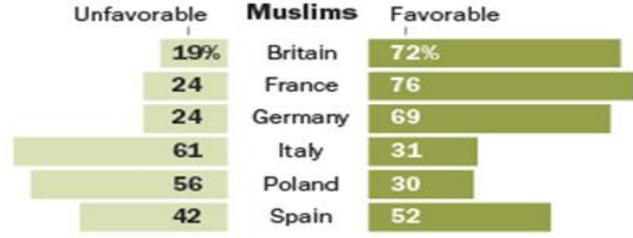
جدول رقم ٠٢: يبين سير آراء حول نظرة أوروبا للمسلمين سنة ٢٠١٥م (٢)

١٠- مركز البحث الأمريكي PEW، سنة ٢٠١٠، www.pewresearch.org/

٢٠- مركز البحث الأمريكي PEW، سنة ٢٠١٠، www.pewresearch.org/

How Europe views Muslims

% in each country who have ... views of Muslims



Source: Spring 2015 Global Attitudes survey. Q45c.

PEW RESEARCH CENTER

القراءة النقدية

بعض هذه الأرقام الخاصة بتزايد المسلمين في الغرب وأوروبا خاصة، فيها نوع من المبالغة خصوصا وأن بعض القائمين على إعدادها يقدمونها كتخويف من المد الإسلامي واستخدام الغرب هذه الإحصائيات والدراسات للتخويف من المسلمين وانتشار الإسلام بينهم، ناهيك على أن الدراسات هي من مراكز الأبحاث الأمريكية والمفروض أن تكون دراسات أوروبية على حسب الإطار المكاني.

– ارتكزت هذه الدراسات على افتراض الهجرة القانونية دون أن تأخذ بعين الاعتبار الهجرة غير الشرعية، أضف إلى ذلك هجرة اللاجئين السوريين مؤخرا غير المنظمة.

– أيضا، إن عدد المسلمين غير دقيق في (فرنسا)، وذلك بموجب قانون ١٩٧٨/٠١/٠٦ في مادته (٠٨):

«يحظر جمع أو معالجة البيانات الشخصية التي تكشف، بشكل مباشر أو غير مباشر، الأصول العرقية أو الاثنية أو الآراء السياسية أو الدينية أو الفلسفية. . .» وذلك تأكيدا لقانون ١٨٧٢ الفرنسي.

– أما فيما يخص سير آراء حول نظرة أوروبا للمسلمين فنلاحظ أن هناك تناقض في دراسة مركز البحث الأمريكي PEW : ما بين إحصائيات التحويل في تزايد المسلمين في أوروبا وبين نظرة الأوروبيين الإيجابية لتواجد المسلمين فيها، فكيف يُنذر من الخطر الإسلامي ويُنظر إليه بإيجابية؟

وعلى ضوء هذه الملاحظات فإن هذه الدراسات تفتقد إلى الدقة. والجدير بالإشارة أن هذه الدراسات جاءت في الألفية الثالثة بداية من ٢٠١٠ أي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، رغم أن ظاهرة المهاجرين المسلمين موجودة منذ أجيال، وإن هذا لدليل على صناعة الإسلاموفوبيا والتوقع بعدم سكوت الغرب (أوروبا) محاولة محاربة الإسلام وأهله في الداخل والخارج وبشتى أنواع الطرق والأساليب .

ثانيا: الجالية العربية المسلمة بين التمييز والعنصرية في أوروبا

في ظل تنامي بعض التيارات العنصرية التي ترفض وجود المهاجرين في أوروبا نتيجة الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعصف بالغرب بشكل عام، وإن كان أفراد الجيل الثاني والثالث من المهاجرين في أوروبا يتمتعون بوضعية مهنية أفضل مما كان الأمر عليه مع آبائهم، إلا أنهم يتعرضون للتمييز بسبب انحدارهم من الهجرة، وهي نتيجة مسجلة في جميع الدول الأوروبية؛ حيث أن شخصا من بين خمسة أشخاص منحدرين من أصول مهاجرة أكد تعرضه للتمييز في الشغل وعدم تمتعه بحقه في المساواة في الفرصة، كما تؤكد العديد من الشهادات أنه أحيانا "يتم تمييز الأوروبي عن ذوي الأصول المهاجرة حتى وإن كان المهاجر يتمتع بكفاءات أعلى". وقد تم تأكيد ذلك من خلال خلاصات تقرير مؤشرات اندماج المهاجرين لسنة ٢٠١٥، الذي أعدته منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية واللجنة الأوروبية لإثارة انتباه الحكومات "التي لم تقم بالمجهود الكافي من أجل مساعدة المهاجرين وأطفالهم على الاندماج".

من التقرير الذي تم تقديمه في العاصمة بروكسل شهر جويلية ٢٠١٥، فإن معدل الشغل لدى المهاجرين غير الحاصلين على شهادات أو الحاصلين على شهادات ضعيفة مرتفع بالمقارنة مع نظرائهم الأوروبيين، إلا أن الاشتغال يقتصر على مهن لا تُدرّ مالاً كثيراً وتتميز عادة بظروف صعبة.

وأمام تزايد أعداد المهاجرين في أوروبا خاصة من العرب والمسلمين، وتزامناً مع مرور العالم بأزمة اقتصادية خانقة، أضحت وضعية المهاجرين أكثر صعوبة، فقد أكد مدير معهد العلاقات الدولية والإستراتيجية في باريس، (باسكال بونيفاس): «أن العرب والمسلمين يعانون العنصرية والتمييز أكثر من غيرهم من الأقليات في أوروبا»، وعبر عن أسفه لغياب نخبة مسلمة تفرض نفسها في الأوساط الإعلامية والثقافية لتدافع عن صورة الإسلام والمسلمين في فرنسا بشكل خاص وأوروبا بشكل عام. (١)

وفي السياق نفسه، يذكر باسكال يونيفاس في مؤلفه «رجال الإطفاء ومشعلو حرائق» بعض قضايا الساعة وفي مقدمتها ظاهرة الإسلاموفوبيا التي جعلها الألفية الأولى التي تمنع الاندماج الكامل للجاليات العربية والمسلمة، وهي المسئولة عن الاضطهاد والتمييز الاقتصادي ضد العرب، وقال إن: «بعض الإعلاميين والمتقنين الفرنسيين من الذين يدافعون عن الديمقراطية هم أنفسهم من يُغذّون هذه الظاهرة».

وأكد أن ظاهرة الإسلاموفوبيا في فرنسا ليست بحدیثة العهد بل إن التمييز والعنصرية ضد العرب كانا حاضرين بشكل قوي في الماضي، بل إن: «العرب والمسلمين يعانون العنصرية والتمييز أكثر من فئات أخرى في المجتمع الفرنسي»، والدليل تعدد المقالات في الصحافة الفرنسية حول المسلمين وتصريحات بعض السياسيين المنتقدة للعرب والمسلمين.»

وقد ازدادت نسبة انتشار ظاهرة العنصرية ضد العرب خاصة بعد الهجمات الدامية التي استهدفت رموزاً في أوروبا منذ هجمات لندن سنة ٢٠٠٥، وهجمات مدريد وبروكسل، وآخرها هجوم (شارلي إيبدو) بباريس، وهي هجمات إرهابية أعادت الجدل العمومي حول الإرهاب بإقحام الإسلام والمسلمين في الجدل جزافاً. (٢)

ثالثاً: آثار الإسلاموفوبيا على المسلمين في أوروبا

إنّ مرصد ديني يتبع الأزهر الشريف بمصر، وثق تضاعف حالات "الإسلاموفوبيا" حول العالم خلال عام ٢٠١٥، عن عام ٢٠١٤، بما يزيد عن ٢٠٠٠ انتهاكاً بحق المسلمين ومقدساتهم.

وذكر التقرير أن أجهزة الشرطة الفرنسية قد سجلت - وفقاً لما نشرته جمعية مكافحة الإسلاموفوبيا في فرنسا - في الفترة من ٧ إلى ٢٠ جانفي من العام ٢٠١٥، أي في خلال ١٢ يوماً فقط ١٢٨ عملاً عدائياً ضد المسلمين: ٣٣ نشاطاً عدائياً (مقابل ٥٥ نشاطاً طوال عام ٢٠١٤، أي بنسبة ٦٠%) و ٩٥ تهديداً (مقابل ٧٨ تهديداً طوال عام ٢٠١٤، بنسبة زيادة ١٢٢% في خلال الاثني عشر يوماً الأولى من هذا الشهر. وأشار المرصد أن "تلك الأحداث قد مثلت إحدى أبرز أسباب انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، ليس في فرنسا فحسب، ولكن في جميع أنحاء العالم". (٣)

ورصد التقرير لإحصائيات الإسلاموفوبيا حول العالم خلال ٢٠١٥ كالتالي:

في فرنسا:

وفقاً لبيان صادر عن المرصد الوطني لمكافحة الإسلاموفوبيا في فرنسا المعتمد رسمياً من وزارة الداخلية الفرنسية، تم تسجيل ٤٢٩ عملاً عدائياً ضد المسلمين وتهديدات وخطابات كراهية عبر الانترنت، مقابل ١٣٣ عملاً عدائياً في العام ٢٠١٤، أي بزيادة ٢٢٢%.

١- العرب والمسلمون يعانون العنصرية والتمييز في أوروبا، مجلة -الشوق العربي- بروكسل،

www.alshorug.net/ar/?Action=PrintNews&ID

٢- المرجع السابق.

٣- مرصد يوثق تزايد ظاهرة "الإسلاموفوبيا" حول العالم في ٢٠١٥، www.islamtoday.net

وفي نفس الإطار، رصد جمعية مكافحة الإسلاموفوبيا في فرنسا ٩٠٥ حالة إسلاموفوبيا في ٢٠١٥، وفسرت الجمعية هذا الفارق في الإحصائيات بينها وبين وزارة الداخلية الفرنسية بأنها تقوم بتسجيل كل الإخطارات التي ترد إليها بعد التأكد من صحتها من قبل لجنتها القانونية.

في بريطانيا:

نشر موقع police métropolitaine تقريراً حديثاً حول جرائم الكراهية في المملكة المتحدة، صدر في ديسمبر ٢٠١٥، ورد فيه أنه قد تم تسجيل ٦٢٤٣٧ حالة، منها ١٣١٤ حالة عنصرية وكراهية قائمة على أساس ديني، كما تم الوقوف على ١٥٨ حالة فقط مصنفة كإسلاموفوبيا.

ووفقاً لإحصائيات أخرى صدرت عن نفس المؤسسة، فإنه قد تم تسجيل ٨١٦ بلاغاً عن اعتداءات ضد المسلمين في لندن حتى جويلية ٢٠١٥ مقابل ٤٧٨ بلاغاً حتى جويلية ٢٠١٤، بنسبة زيادة ٧٠,٧%.

في ألمانيا والنمسا:

تم رصد حوالي ١٧٣ هجوماً على مقر اللاجئين خلال السنة الأولى من عام ٢٠١٥، و٢٣ اعتداءً على مساجد، و٦٤ مظاهرة ضد "أسلمه أوروبا".

في إسبانيا:

وأصدر البرنامج الحقوقي المناهض للإسلاموفوبيا في إسبانيا تقريره السنوي حول ظاهرة الإسلاموفوبيا في جوان ٢٠١٥ ذكر فيه أن عدد البلاغات التي تلقتها المؤسسة حتى ذلك التوقيت كان ٧٠ بلاغاً، وتزايدت أعداد حالات الإسلاموفوبيا إلى أكثر من ١٨٠ حالة في نهاية ٢٠١٥، بحسب جريدة Askeste الإسبانية، لاسيما بعد أحداث باريس الأخيرة (١). ناهيك عن حرق القرآن الكريم!

ولا زالت الاعتداءات متوالية على مسلمي فرنسا وبعض الدول الأوروبية الذين يتخوفون من ردود فعل أكثر سلبية من بعض المواطنين الأوروبيين وذلك بعد بروز أصوات مطالبة بإخراجهم من أوروبا..

الفرع الثاني

إشكالية العرب الأوروبيين بين الاندماج والتهميش

ينحدر المسلمون في أوروبا من أعراق وثقافات وإثنيات وقوميات مختلفة ليس من السهل إدارة هذا التنوع الإسلامي إذا أخذنا بالاعتبار الفوارق الثقافية والإثنية والدينية؛ ومما يُعقد صعوبة هذا المشهد الجديد الشعور بالاعتراب لدى الأجيال الجديدة من المسلمين، وتنامي الظاهرة الإسلامية لدى شريحة منهم، تنظر إلى العالم برؤية مختلفة عن نظرة الآباء المهاجرين. وقد عزز تصاعد موجة الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام) الشعور بهذا الاعتراب.

أولاً: المواطنة وهاجس الهوية:

في «كتاب الإسلاموفوبيا» يحاول سعيد اللاوندي المتخصص في الشؤون الأوروبية، أن يشير إلى إشكاليات التهميش والاندماج التي يواجهها مهاجرو الجيل الثاني من مسلمي أوروبا، ويرى أنّ قضية الاندماج صارت تشغل مساحة كبيرة في أجندة اهتمامات رجال السياسة والاجتماع، خاصة بعدما تبين أن هناك شعوراً سائداً بين الأوروبيين: «بأن جوهر هويتهم وثقافتهم وتقاليدهم يواجه تهديداً من قبل المهاجرين وثقافتهم المغايرة. غير أن المهاجرين، من جهة أخرى، يشعرون بأنهم بقعة من الزيت غير قابلة للذوبان في المحيط الاجتماعي من حولهم. بينما الجيل الأول من المهاجرين لم يواجه هذه المشكلة بسبب حنينهم وارتباطهم بأوطانهم الأصلية، إضافة إلى عدم اكتسابهم اللغة والخبرات الحياتية الجديدة في أرض المهجر، لكن المشكلة الحقيقية تواجه الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين ممن ولدوا في أوروبا، وحملوا الجنسية، ونشئوا على سلمٍ قيمى ومعرفى مغايرى لذلك الذى يملأ عقول وقلوب الآباء».

١٠- المرجع السابق.

واعتبر المؤلف أن أولى المشاكل التي تواجه قضية الاندماج تكمن في اللغة التي تمثل حجر الزاوية في إمكانية الاندماج مع المجتمع الأوروبي من عدمه. ويبرز الكاتب نماذج أغلبها لأطفال يواجهون مشاكل تتعلق بتعلم اللغة وعدم قدرة الأسرة المنهكة جراء العمل اليومي المتعب على التواصل مع بعضها البعض بلغة واحدة. يطرح اللاوندي في سياق بحثه عن حلول لمشكلة الاندماج حلاً وسطاً يوائم فيه المهاجر بين ما يريده لنفسه وما يريده المجتمع منه.^(١)

١. الجدل حول اندماج مسلمي أوروبا

مع استمرار الجدل حول إشكالية انتماء المسلمين واندماجهم في مجتمعاتهم الأوروبية، تنقسم الآراء بين من يرى بأن الاندماج مسألة وقت، ومن يربط تحقيق ذلك بظروف ومقومات من الصعب توفيرها. يركز الجدل حول الإسلام في أوروبا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ على هوية المسلمين واندماجهم في المجتمع الأوروبي. وتنقسم الآراء بهذا الخصوص بين من ينظر إلى الإسلام على أنه عنصر غريب على الثقافة الأوروبية، ومن يرى بأنه بات جزءاً من أوروبا، مثله مثل المسيحية أو اليهودية.

وتشير الإحصاءات كما سبق الذكر إلى أن عدد المسلمين في القارة الأوروبية في تزايد ويثير هذا الأمر مخاوف لا سيما لدى المتأثرين بظاهرة رهاب الإسلام "الإسلاموفوبيا"، لكن مسلمي أوروبا يعتبرون أنفسهم أوروبيين إلى حد كبير، على حد قول (سليمان فيلمز) رئيس تحرير "الصحيفة الإسلامية" التي تصدر في برلين؛ وبضيف (فيلمز) في حديث مع قناة DW بالعربية، أن: «خلط النقاش حول الاندماج مع النقاش الدائر حول الإسلام خاطئ، وأعتبر أنه من الخطأ مطالبة أي شخص يدين بالإسلام بأن يندمج في المجتمع».

من جهة أخرى، يرى الإعلامي الألماني (إيهارد زايدل Eberhard Seidel) أن اندماج المهاجرين في المجتمع يتصل بالجوانب السياسية والاجتماعية والدينية أيضاً، مضيفاً أن: «هناك بالطبع عوائق ... تحول دون اندماج المهاجرين، منها عوائق على الصعيد الديني»، إذ أن تاريخ الإسلام كدين له تأثير في ألمانيا لا يتجاوز الخمسين عاماً ... آنذاك لم يكن المجتمع الألماني جاهزاً لتلبية الاحتياجات الدينية (للمهاجرين). وحتى من قدموا إلى ألمانيا للعمل ظنوا أنهم سيغادرون بعد عدة أعوام، إلا أن بقاء الإسلام في ألمانيا لفترة طويلة لم يتم إدراكه إلا حديثاً».

إن قصر الجدل حول مكانة الإسلام في أوروبا على الهوية الوطنية أو العرقية-الذي يصفه سليمان فيلمز بالخطأ- ساهم في انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، وأثار مخاوف المواطن العادي، بسبب التركيز على قضايا معينة مثل قضية الحجاب أو بناء المساجد، على حد قوله.

وفي هذا الصدد، يعتبر الإمام (بنيامين إدريس)- رئيس مركز الإسلام في أوروبا بمدينة ميونخ الألمانية- أن الجيل الذي وُلد وترعرع في ألمانيا ودول أوروبية أخرى لن يعاني من "أزمة هوية"، مشيراً إلى أننا نمر حالياً في "مرحلة انتقالية، وهي من أصعب المراحل، وتشبه الجسر الذي نعبره من جهة إلى أخرى. لكن هذه المرحلة ستنتهي بقدوم الجيل الذي خلفنا، وزوال الجيل الذي هاجر من مسقط رأسه".

لكن إدريس يربط انتهاء هذه المرحلة أيضاً بوجود المقومات اللازمة للتعايش مع المسلمين كجزء طبيعي من المجتمع الأوروبي، والتي يرى أنها متجذرة في الدستور الألماني الذي "يضمن الحرية الكاملة للمعتقدات بغض النظر عن طبيعتها".^(٢)

٢. الاندماج

غالباً ما يُتهم المهاجرون المسلمون بأنهم مستعصون عن الذوبان داخل هذه المجتمعات، عكس نظرائهم المسيحيون وغيرهم، الذين هاجروا مثلاً من روسيا أو بولونيا أو البرتغال أو جنوب إفريقيا إلى فرنسا، حيث يلاحظ أنهم انصهروا كلية في المجتمع الفرنسي مثلاً، حيث تعدّ فرنسا أكثر الدول الأوروبية التي تتواجد بها أكبر جالية مسلمة. هذه المقاربة تختزل صراعاً خفياً بين من يعتبر هوية المسلمين متحجرة غير قابلة للاندماج في مجتمع أوروبي حديثي لأنكي ذي خلفية تاريخية مسيحية وبين من ينظر إلى هوية المهاجرين المسلمين وأبنائهم على أنها متعددة الأبعاد والواجهات، غنية المصادر

^(١) - سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا وإشكاليات التهميش والاندماج، مجلة اللقاء، العدد ١٨، موقع هيئة علماء بيروت،

www.allikaa.net/print.php?id=٢٨٢

^(٢) - ياسر أبو معيلق، مسلمو أوروبا بين النمطية وإشكالية الهوية، www.moslimonline.com/index.php?page...id

والمنابع، ساهمت في تشكيلها العديد من العوامل ولا يمكن بحال تجزئتها أو اختزالها فقط في الإسلام أو العروبة أو البلد الأصل. في هذه المقارنة جواب لسؤال كثيراً ما طرح على المسلمين بفرنسا: «ما هي هويتك الحقيقية؟ هل تشعر أنك فرنسي أو مسلم؟ هل تشعر أنك فرنسي أو عربي؟»

وكان هناك انتماء واحداً مسيطراً يسمو على الانتماءات الأخرى، مترسباً في أعماق الشخصية يجب إعلانه بفخر، ووحده يشكل حقيقة الإنسان.

الهوية ليس لها بعد واحد، بل هي كلّ لا يتجزأ وليس هناك تراتبية بين مختلف مكوناتها. الهوية مزيج من عناصر مختلفة (الجنس، الأسرة، اللغة، الدين، التاريخ، الأقران)، تتكامل فيما بينها وتساهم في تشكيل الهوية بجرعات متباينة من شخص لآخر. (١)

ثانياً: مقترحات حول اندماج المسلمين في أوروبا:

يختلف تعامل البلدان الأوروبية للمستقبل للمهاجرين بشكل واضح مع الثقافة الأصلية للمندحرين من أصول عربية. ويخضع ذلك قبل أي شيء آخر، لنموذج الاندماج المعمول به في أوروبا والذي يرمي إلى تذويب (Assimilation) كل بلد.

فرنسا تعتمد ما يسمى بسياسة الانصهار ثقافة المندحرين من أصول أجنبية في الثقافة الفرنسية في ظرف جيل واحد، ويعتبر ذلك شرطاً أساسياً حتى يعترف بهم المجتمع الفرنسي. من هذا المنطلق يرفض

النموذج الفرنسي تعدد الثقافات في المجتمع، ويعتبرها خطراً على فرنسا وهويته، فالمجتمع الفرنسي مكون من مواطنين وليس من أقليات أو من جاليات عرقية أو دينية أو ثقافية. (٢)

أما النموذج البريطاني فيأخذ بالتعدد الثقافي، وهناك اعتراف رسمي بوجود مجتمع متعدد الأعراق والعادات والثقافات، وكل مجموعة لها خصوصيات التي لا يجب محوها من أجل تحقيق الاندماج لأن قضية الاندماج ليست مطروحة على المستوى العموم وإنما على المستوى الخصوصي. وكنيجة فضل العديد من العرب إرسال أبنائهم إلى المدارس العمومية، لكن من دون التفريط في اللغة والثقافة العريبتين.

ولا يختلف النموذج الهولندي في الاندماج إلا بشكل محدود عن النموذج البريطاني، بحيث يأخذ هو الآخر بالتعدد الثقافي، إلا أن مدارس الأقليات لها حضور أكبر من بريطانيا، إذ تمثل "المدارس الخاصة" أكثر من ثلاثة أرباع مدارس البلاد، ولها الصفة القانونية نفسها التي للمدارس العمومية والتي لا يتجاوز عددها ربع مجموع المدارس، وهي ممولة ومراقبة من طرف الدولة كما أن الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية هو أكبر من ذلك المسجل ببريطانيا، لوجود جالية مهمة عددياً لها اهتمام خاص بهذه الثقافة.

وفي بلجيكا رغم أن الدولة لا تتدخل في الشأن الديني، فإن السياسات الحكومية في مجال التعليم تحترم الخصوصيات الدينية للأقليات. وتتولى وزارة الشؤون الدينية تمويل المؤسسات الدينية المكلفة بالإشراف على التعليم الديني في المدارس العمومية، والتي يمكن للأطفال الذين يدرسون بها أن يختاروا خلال مرحلتي التعليم الابتدائي والإعدادي بين مادتي الديانة والأخلاق العلمانية. وكانت المدرسة العمومية في بلجيكا سبقة لتعليم الإسلام، حيث تقرر إدراجه في برامج الدراسة منذ سنة ١٩٧٤. ويشرف المركز الإسلامي بيروكسيل التابع للدولة، على التعليم الإسلامي في المدارس العمومية.

يركز النموذج الألماني، على الاندماج المهني أكثر من اللغوي والثقافي، فالطفل لا يدخل المدرسة إلا في سن السادسة، ويمكن أن يغادرها في سن العاشرة نحو مؤسسات التكوين المهني. وهذا يعني أن التلميذ المندحر من أصول عربية أو إسلامية حين يدخل المدرسة يكون متمكناً من العربية أو التركية أكثر من تمكّنه من الألمانية.

أما نموذج الاندماج في إسبانيا، فهو يتأرجح بين النموذجين الفرنسي والبريطاني (لم يحسم بعد هل الانصهار أم التعدد الثقافي)، فيطرح إشكالاً كبيراً بسبب خصوصية الإسلام الإسباني، لأنه غير مرتبط في جذوره بالمندحرين من أصول مهاجرة كما هو الحال في بقية بلدان المهجر الأوروبي، وإنما بالأسبان أنفسهم، لأن الهجرة ظاهرة حديثة نسبياً. (٣)

١٠- يوسف نويوار، واقع وأفاق تدبير الإسلام والمساجد والجمعيات الدينية الإسلامية بفرنسا، (حوار)، مجلس الجالية المغربية بالخارج CCME

سنة ٢٠١٣، www.ccme.org.ma/ar/maj/٢٢٢٨.

٢٠- عبد الواحد أكبير، العرب الأوروبيون: الهوية والتربية والمواطنة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٤٢٩،

نوفمبر سنة ٢٠١٤، لبنان، ص ٨٢.

٢١- عبد الواحد أكبير، المرجع السابق، ص ٨٢-٨٤.

الخاتمة

لقد أضحت ظاهرة "الإسلاموفوبيا" أو عقدة الخوف من الإسلام ظاهرة قوية ومتفاقمة تعبر عن عمليات ومحاولات التشويه لصورة الإسلام انطلاقاً من العمل على إشاعة الخوف منه وإحداث نوع من الاقتناع لدى الإنسان الغربي بأن الإسلام دين مخيف وخطر محقق بالحضارة الغربية.

وإذا كانت ظاهرة صنع صور مسيئة للإسلام والمسلمين في الغرب ذات جذور تاريخية وفكرية امتدت لقرون عديدة ابتداء من المرحلة الصليبية خلال القرون الوسطى ومروراً بالمرحلة الإستشراقية، فإنه يمكن القول بأن هذه الظاهرة السلبية قد استأثرت بها في السنوات الأخيرة وسائل الإعلام الغربية خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث أمست ظاهرة حقيقية وليست متوهمة أو مبالغ فيها، تجرّد الإسلام من كامل خصائصه السمحة وملامح حضارته الإنسانية المنفتحة، وذلك ضمن تصورات جديدة محددة وثابتة تعبر عن صور ذهنية نمطية عن الإسلام والمسلمين يسهل ترسيخها في العقل الغربي.

إذا ما رجعنا إلى تيرير خوف أوروبا من الإسلام على أساس أنه انتشر بحدّ السيف، هل هذا صحيح؟

إنّ من يلقي نظرة على واقع المسلمين اليوم في كلّ مكان، لا يجد لديهم أيّ قوة يمكن أن تخيف أحداً، ومنذ سقوط الخلافة العثمانية، وتقسيم العالم العربي إلى دويلات فرضتها مؤتمرات ومؤامرات غربية على هذا العالم، لم تقم لهذه الدويلات قائمة تذكر، ناهيك عن فتيل النزاعات الذي يحرق الشعوب العربية في ما إطار ثورات الربيع العربي. من هنا يطرح السؤال:

إذا كانت الأمة العربية والإسلامية وشعوبها بهذا الضعف والفقير العلمي والعسكري والاقتصادي... إلخ، فلماذا يخاف الغرب من الإسلام وهو القوي عسكرياً وعلمياً واقتصادياً؟

ولماذا الإسلام هو الدين الوحيد دون غيره من الديانات السماوية الذي يخاف الغرب منه ويتحامل على تشويهه؟

لقد أدركت أوروبا إذاً؛ أنّ قوة الإسلام ليست بسيف أو سلاح، ولا تقدم تكنولوجيا، ولا حتى بالمسلمين أنفسهم، بل قوة الإسلام تكمن في القرآن كلام الله المنزل على نبيّه الأمي محمد ص -

يقول وليم إيوارت جلاستون (William Ewart Gladstone) (١٨٠٩-١٨٩٨) -رئيس وزراء بريطانيا لأربع فترات في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، في هد الصددي: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون في أمان». هذا هو أشد ما يرهّب أوروبا، أن يعود الوعي الإسلامي الأصيل إلى الأمة، وتتمسك به عقيدة ونظاماً، وتتحرك لإقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية، لتواجه المخططات الغربية، ولذا كان الإصرار على معاداة اليقظة الفكرية الإسلامية مدفوع بتعصب يستدعي الهجوم من خلال التمهيد له بالاتهام.

استنتاجات:

من خلال دراستنا وتحليلنا للإسلاموفوبيا أنها صناعة تخويف من الإسلام لأجل التخوّف منه، فإستراتيجية الغرب خلق تنظيمات سياسية تدعي الإسلام لضرب أمن أوروبا كتنظيم القاعدة الذي ولّى وانتهت مهمته ليحلّ محله تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وبالتالي إخافة الأوروبيين ليتحاملوا على الإسلام كرد فعل ومحاربة المسلمين أينما كانوا، لكن لا ننسى أن للجاليات العربية والمسلمة نصيب كبير في تغذية الإسلاموفوبيا من خلال الصورة النمطية لهم.

وعليه أصبحت الإسلاموفوبيا(الخوف من الإسلام) بالفعل صناعة وليست مجرد ظاهرة عابرة، لها تداعياتها وانعكاساتها وأضرارها، ولها أيضاً مخاطرها على الأمن والسلم الدوليين. إنّ المحرك الأصلي لهذه الصناعة هو تزايد هجرة العرب والمسلمين إلى أوروبا في الألفية الثالثة بشكل أثار مخاوف أسلمة أوروبا من خلال استحضار التاريخ، وعليه يجب على القارة العجوز صدّ الخطر الإسلامي؛ هذا ما أدّى إلى توتر العلاقات الأوروبية العربية والذي يؤثر سلباً على علاقات المجتمع الدولي ككل بحيث أنّ العلاقات الدولية هي علاقة تأثير وتأثر.

توصيات:

— إنّ الدين الإسلام جاء جامعاً مانعاً وصالحاً لكل زمان ومكان وتفصيلاً لكل أمر، قال الله تعالى:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: الآية ٣٨).

ولا شك أنه إذا كان تشويه صورة الإسلام والتخويف منه يؤثران سلبا على ثقافتنا وحضارتنا، فإن السعي الحثيث نحو التصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا ومواجهتها والعمل على تحسين الصورة وتصحيحها يعد واجبا دينيا وضرورة ثقافية.

— إن الأمة الإسلامية والعربية خير أمة أخرجت للناس عليها تبليغ الرسالة والدفاع عن الإسلام وقيمه بالحوار المقنع والبعيد عن التعصب لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، الآية ١٢٥).

— أهم ما ينبغي على المسلمين فعله خاصة في الدول الأوروبية هو أن يعكسوا الإسلام الحقيقي في سلوكهم، بما يتلاءم مع مستجدات العصر؛ في نفس الوقت الحفاظ على قيم الإسلام، فهم سفراء الإسلام، لأنه مهما حاولنا أن نروج لمثل وأخلاق سامية موجودة في الإسلام، فلن نلقى من الآخر أدنأ صاغية إلا إذا رأها سلوكا في أرض الواقع.

— إن الأمة العربية والإسلامية لن تنهض أبدا مادام العلم من آخر أولوياتها، فالغرب استخلص الدرس من القرون الوسطى حين كانت أوروبا مظلومة والعرب في أوج حضارتهم ومنذ تلك القرون لم تتوارى الدول الغربية عن طلب العلم والبحث عنه. فأين نحن منهم الآن ونحن أمة " اقرأ " ؟

— إذن على كل دولة عربية وإسلامية أن تولي أكبر اهتماماتها بالتعليم لاسيما التعليم الديني الإسلامي في كل أطوار التعليم وبالأخص في طور الجامعة ليكون تحصينا لشبابنا من التطرف والتشدد، فجّل الشباب في أوروبا لا يعلم أمور دينه بل منهم من يعتبرها عادات وتقاليد في خضم العولمة والغزو الثقافي، ومنهم من يغلو فيها لدرجة الانحراف عن صواب الإسلام إلى الإرهاب

بصفة عامة ، على الجماهير الإسلامية والعربية أن تقدّم صورة مشرقة للإسلام للعالم، وعليها أن تنبذ الأعمال الفردية التي تكسّر الدعاية العالمية المناوئة للإسلام والتي تستهدف المدنيين في الغرب، ويمكن للمسلمين في شتى أنحاء العالم أن يُكوّنوا شبكة عالمية إسلامية تتفهم القوانين الدولية الداعمة لحقوق الإنسان والحرية والاستقلال والسيادة وتحترمها، وتعمل على عدم إعطاء أيّ فرصة للمجموعات المتهوّرة وللشباب المنفعل بإعطاء صورة غير حقيقية للإسلام والمسلمين .

في الحقيقة إن موضوع الإسلاموفوبيا، لا تكفي مجرد مذكرة تخرج في بضع عشرات الصفحات للدفاع عن الإسلام، وإنما كومة من المجلدات، يكفي أن مصادر البحث والدراسة هي من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال الرسول ص: ((إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي)).

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام الذي هو دين تسامح وسلام.

ملخص بحث مقدم لمؤتمر العلميّ الدّوليّ الثّالث – حوار الحضارات والثّقافات
والذيّ تعترّم تنظيمه جامعة الطفيلة التّقنية – الطفيلة – الأردن
في الفترة من 2018/10/10 إلى 2018/10/12
البحث بعنوان (ظاهرتي الإرهاب والتطرف النشأة والحاضنة)
مقدم من الدكتور: ناصر محمد سليمان سعد السلطني.

تعد ظاهرتي الإرهاب والتطرف مؤشر قياس حالات السلوك الفردي أو الجمعي التي قد تُرصد في أي مجتمع تنتشر فيه هاتين الظاهرتين والواقع خلال العشرية الأولى من الألفية الثالثة سجلتا هاتين الظاهرتين أرقام قياسية رغم أزلية وجودهما خاصة في المجتمعات التي ينتشر فيها الظلم والفقر والجهل التي تمثل المرتع الخصب للمتطرف والإرهابي، وهي من تُعطيه قدر من الاندفاع نحو ضرورة ممارسة الإرهاب واعتقاد التطرف حتى ضد ذاته في أحيان كثيرة ناهيك عن الآخرين، ولهذا كان من الضروري الوقوف على أنتهاج توصيف هاتين الظاهرتين والبحث فيهما بشكل أكثر عمقاً وتفصيلاً، وهذا لن يكون إلا بدراسة دقيقة لهما، والغوص في جذور نشأتهما، ومعرفة مدى مستويات الحواضن الاجتماعية في تناميهما أو تراجعهما، وكذلك استنباط واستدلال العلاقة الاشتراكية لصياغ علاجات وقائية ناجحة.

ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث الموسوم (ظاهرتي الإرهاب والتطرف النشأة والحاضنة) لكونه يبحث في التدليل اللفظي ويتعمق بقدر ما في المفهوم الدلالي بهدف تحديد العلاقة الظاهرة أو الباطنة بين تنامي هاتين الظاهرتين وحالة وطبيعة النشأة والتكوين والبحث في انعكاسات الحاضنة على تنامي أو تَقَهُّرَ مستوياتها.

وسيُقسم هذا البحث لأربع محاور رئيسية المحور الأول يُعرض فيه التعريف والمفهوم العام لمصطلحي الإرهاب والتطرف، والبحث في الدلالة من خلال استعراض عدد من التعريفات التي تناولتهما العديد من الأدبيات ومقارنتها للوصول لتحديد تعريف أكاديمي يترجم بقدر من الدقة دلالة المفهومين اللفظية والفكرية، وسيتضمن ذات المحور استعراض نشأة الإرهاب والتطرف، وتعيين العلاقة بينهما، أما المحور الثاني سيتناول فيه الباحث أنواع الإرهاب وشكل وطبيعة التطرف ونتائجهما، وفي المحور الثالث سيتعرض لتحديد دور الحواضن الاجتماعية في تنمية الإرهاب والتطرف مع استعراض أمثلة مقارنة، والمحور الأخير سيتضمن النتائج التي من المأمول الوصول إليها من خلال متضمنات البحث ويتضمن المحور الرابع والأخير جملة من التوصيات التي يُرتجى الأخذ بها من قبل الدوائر والمؤسسات المعنية، وسيُعتمد المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة حيث أنه متوافق مع طبيعة متضمنات محاورها والأهداف المراد الوصول إليها ومستنتج للتوصيات المقترحة من قبل الباحث.

في الواقع تعد ظاهرتي التطرف والإرهاب من بين الظواهر التي فرضت نفسها على الساحة الدولية منذ العقد الأخير من القرن العشرين رغم أنها ظاهرة أزلية تظهر وتتمو بشكل اضطرادي مخيف عندما تغيب روح الفكر النير القابل للتداول وللتعدد الفكري والاختلاف وهما ظاهرتين مرتبطتين بشكل مباشر بعملية منع استخدام العقل في مسألة القبول والرفض للفكر أو المعتقد.

ومن الممكن القول بأن لظاهرتي التطرف والإرهاب عوامل نمو ونشأة وتطور تمر بمراحل تغذى من الداخل كما من الخارج للوصول للهاتين الظاهرتين واتضح أن وجودهما كما نموها ليس مقصوراً على المجتمعات المتخلفة النامية صحيح هي بيئة أكثر احتضان لوجودهما ونموها لكن حتى المجتمعات المتقدمة تظهر فيها هاتين الظاهرتين بشكل أو بآخر إلا أن أدواتهما واحدة فالجاهلين بحقيقة الأمور وإن كانوا متعلمين والمحيطين المليئين بالعقد النفسية هم في الغالب أدوات النهج التطرفي والفعل الإرهابي كما هم أيضاً وقودها.

ولا نستطيع أن نبرأ بعض القوى الدولية والإقليمية الخفية أو الظاهرة حتى صاحبة المصلحة لاعتبارات مختلفة في وجود هاتين الظاهرتين لجعلها واقع حياتي لتلك المجتمعات لتعطيها الحق في فرض قواعد لعبة التوازنات المحلية كما الدولية والإقليمية ومن ثم التدخل في شؤون من يغذى فيها هاتين الظاهرتين وهذا الحق يجعلها تستخدم ممارسي ظاهرتي الإرهاب والتطرف كأداة طيعة لها خدمة لمصالحها وتحقيقاً لأغراضها.

ومن بين الدلائل على هذا الاستنتاج أن الدوائر الأمنية والسياسية لتلك القوى ثبت تورطها في تمويلها للعناصر الإرهابية والمتطرفة وظهرت بالتالي فعلية الخبث لتلك القوى لتكثيف بمكيايين تصرفات الإرهابيين في المجتمعات التي تشهد حالة الإرهاب والتصرف وجوداً ونهجاً وعوامل التغذية لهذا النهج والسلوك الإرهابي الشاذ هو تكريسها لواقع الفقر والتخلف وتغذيتها لحال التعصب وتوجيهها لتبيني العنف نهجاً وسلوكاً فدفعت بأفراد أو جماعات لانتهاج سلوك التطرف والإرهاب ليخلق ظاهرتين تتصف بها بعض المجتمعات التي تفتقر للمعرفة من خلال اعتقاد وتبني نهج وسلوك حاد وشاذ ليتطور لعمل إرهابي على وشك الحصول وتسمح به خدمة لغايات سياسية أو أمنية أو اقتصادية.

في تقرير عرض ببرنامج رحلة في الذاكرة وأثناء استعراض شاهدة سوزان لينداور عبر سلسلة من مقابلات التلفزيونية بعنوان رفع الستار عن أحداث 11 سبتمبر 2001 ذكر أن الرئيس الإيطالي الأسبق فرانثيسكو كوسيغا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ألفان وأحد عشر كانت من تخطيط الموساد بالتعاون مع أصدقاء إسرائيل في أمريكا بهدف توديه الإتهام للعراق وأفغانستان ومن ثم غزوها يعني عمل إرهابي محركه الرئيسي فكر ونهج متطرف أستغل فيه حالة من الغلو والتطرف لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية خدمة للاستراتيجيات الدولية والإقليمية.

وفي حلقة خاصة في ذات البرنامج صرحت به سوزان لينداور ضابط اتصال CIA والتي كانت ضيفة فيه¹ أن أحد عملاء المخابرات الإسرائيلية كان قد سكن ببيت ملاصق لمهندس العمل

الإرهابي في الولايات المتحدة الأمريكية، محمد عطا والذي أكدت أنه نفسه كان ضابط اتصال
.CIA

كما أن بعض من منفي تفجيرات نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر 2001 قد تم
توقيفهم من قبل رجال أمن مطار بوسطن وهم في طريقهم لسفر على متن الطائرات التي كانوا
ينوون اختطافها لتنفيذ عملهم الإرهابي إلا أن تعليمات من جهات عليا بالولايات المتحدة
الأمريكية صدرت بإخلاء سبيله.

هكذا تكون المخابرات العالمية ذات دور مباشر ورئيسي في تهيئة الظروف لقيام
العمليات الإرهابية وتعزيزها ودعم الإرهابيين من خلال تمكينهم من القيام بإنهاء مهامهم
وتمامها والتي في الحقيقة لا هدف ومردود لها على عامة الناس العاديين والمسالين وإنما
مردودها يكون فقط على خلق مناخ يهيأ للفوضى والخوف والترقب والأهم للابتزاز السياسي
والضغط الأمني خدمة لدول تلك المخابرات.

وضمن ما تقدم وجب الوقوف على جملة من العناوين التي يتطلب معرفتها، ودراستها،
والتي منها الوقوف على مداليل توصيف مفهوم التطرف والإرهاب والذي تعددت واختلقت²
بشكل ملحوظ عند العديد من الباحث³ بحسب القاعدة الفكرية والثقافية والاعتقادية والعقائدية
وعلى ما يبدو أن هذا التعدد كان مقصود ليكون فعل توظيفي، وفي ذات الإطار وجب تعيين
العلاقة بين التطرف والإرهاب، وتحديد عناصرها وتعيين أنواع الإرهاب بأشكاله المتعددة
فردية كان أو حكومي أو دولي، وكذلك الوقوف على المقومات التوظيفية للإرهاب.

¹ مقابلة تلفزيونية مع سوزان لينداور، على قناة روسيا اليوم، في برنامج رحلة في الذاكرة، بعنوان رفع الستار
عن أحداث 11 سبتمبر 2001
² عبد الحسين شعبان، 2002، الإسلام والإرهاب الدولي: ثلاثية الثلاثاء الدامي: الدين، القانون، السياسة، لندن،
دار الحكمة، ص 146-152.

³ Alex P. Schmid and Albert J. Jongman, 1984, Political Terrorism: A Research
Guide to Concepts, Theories, Data Bases and Literature, COMT-Publication 12, New
Brunswick, NJ: Transaction Books, 1083.

التطرف سلوك نابع عن حالة عقائدية واعتقادية إيمانية أو فكرية كانت ولا يمكن إخراجها عن ما تقدم وهو ضمن الدلالة اللغوية الصرفة كلفظ يعني الوقوف في الطرف، والطرف بتحريك جانب الشيء، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرها والتطرف في اللغة فعل ومصدره تَطَرَّفَ في يَتَطَرَّفُ، تَطَرُّفاً، فهو مُتَطَرِّفٌ، والمفعول مُتَطَرَّفٌ يعني المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية. وأما اصطلاحاً فهو المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطير مدمر للفرد والجماعة.

والله سبحانه وتعالى ينهى العالمين كلهم عن سلوك التطرف ونهج الغلو في العقيدة وكذلك في مناحي فكر الحياة العامة والخاصة رحمة منه سبحانه وتعالى حيث ووجه الله عباده لأتباع أمره في ذات السياق للأخذ بالعدل والقسط وذلك توافقاً مع الفطرة الإنسانية.

وذكر الله تعالى في كتابه العزيز ما يحذر فيه من اتباع حالة التطرف والغلو فقال (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ).⁴

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)⁵ والمراد بالأمة الوسطى في هذه الآية هو التوسط والاعتدال⁶ وعن الرسول صل الله عليه وسلم أنه قال (إن من إجلال الله إكرام ذي الشئبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط).⁷

وعنه صل الله عليه وسلم أنه في ذات سياق توجيهه الأخلاقي أنه قد قال (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أئصيب حكم الله فيهم أم لا).⁸

وقال صل الله عليه وسلم (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)⁹ وقول الرسول صل الله عليه وسلم (هلك المتنطعون)، أي المتمتعون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم¹⁰ وقول الرسول صل الله عليه وسلم جاء في إطار

⁴ قرآن كريم، سورة النساء، الآية 171.

⁵ قرآن كريم، سورة البقرة الآية 143.

⁶ مجموعة من أعضاء وخبراء مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، موقف الإسلام من الغلو والتطرف وما يسمى بالإرهاب في هذه الأيام، مراجعة: أحمد عبدالمعطي أبو علوي، ص 176-170

⁷ الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1410-1990م، ط2، دار الحديث، القاهرة، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (4/ 262).

⁸ صحيح مسلم (3/ 1357).

⁹ سنن ابن ماجه (2/ 1008)

¹⁰ النووي، أبو زكريا (1416 هـ - 1996 م). شرح النووي على مسلم، دار السلام، القاهرة، رقم الحديث 2670.

التوجيه للمسلمين بعدم الغلو وكان قد قال ما قد قال لتوافق قوله مع أخلاقه وآدابه ونهج سلوكه القائمة على الأمر بالقصد في الأمور، والمبني على خير الفعل وهو أوساطها.

وفي ما قد تقدم عرضه من الآيات الكريمة والحديث الشريف كما في العديد غيرها وجه الله سبحانه وتعالى عباده عن البعد عن الغلو والتطرف ليدل على أنه سلوك شاذ منافي لتوجهات الدين وبعيد عن الفطرة التي فطر الله عليه عباده ومن هنا يجيء تجريم وتحريم هذا الفعل دون حاجة للدرء عن الدين أن النفس أو العرض أو المال.

يعد التطرف مسوقة الإرهاب وهو ما يقود إليه وهو في مفهومه العام يعني الغلو في الاعتقاد تجاه فكر أو نهج ينتج عنه حالة سلوك مترجم في عمليات قولية أو فعلية وهو ظاهرة اجتماعية تؤثر وتؤثر وهي ظاهرة مرتبطة بعدد المفاعيل التاريخية والاقتصادية السياسية والاجتماعية والفكرية والاعتقادية أيضاً.

فهو ببساطة الغلو والتشدد لمعتقد أو فكر أو نهج أو حالة من النتائج الفكري لا تتيح المجال للنقاش أو البحث، والشخصية المتطرفة قد تكون ضمن مكونات مجتمعية مبنية على حالة من المعتقد والفكر والنهج مخالفة لها وهنا يحدث شذوذ تلك الشخصية عن مكونه المجتمعي وفي هذه الحالة تكون تلك الشخصية بؤرة لنشر الأفكار المتطرفة في مكونه المجتمعي ويشكل حالة من الاستقطاب لمن يقتنع بأفكاره المتطرفة.

1.2.2 مفهوم الإرهاب Terrorism

لا نريد أن نستعرض كل التعريفات اللغوية الخاصة بمصطلحي الإرهاب والتطرف التي تم عرضها في المعاجم اللغوية وهي كثيرة وعديدة التنوع من حيث التوجه الاعتقادي والعقائدي إلا أنني سوف نعرض عينات من هذه التعريفات في بعض المصادر اللغوية نظراً لتواتر الفعل اللغوي على دلالة المصطلح.

تعريف الإرهاب في لسان العرب على أنه رَهَبَ بمعنى خاف والاسم الرَّهْبُ، كقوله تعالى: (مِنَ الرَّهْبِ) أي بمعنى الرهبة، وأصلها من الرَّهْبَةِ أي الخوف، وترك ملاذ الحياة كالنساء ونحوها،¹¹ وفي المعجم لابن فارس

رهب الراء والهاء والباء أصلان : أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة فالأول الرهبة، تقول رهبت الشيء رُهْباً، رَهْبَةً، ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْغُ الإبل من الحوض، وذِيادُهَا، والأصل الآخر الرَّهْبُ، الناقة المهزولة¹² وفي المعجم الوسيط، الإرهابيون وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية،¹³ وفي المنجد كلمة الإرهابي تدل على كل من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطة.¹⁴

¹¹ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، 1419هـ-1999م، لسان العرب، ج 8، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص337.

¹² معجم مقاييس اللغة، 1399هـ-1979م، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، ج 2، مادة رهب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص401.

¹³ المعجم الوسيط، 1995، مجمع اللغة العربية، ط 2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص282.

¹⁴ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، نفس المرجع السابق، ص280.

وضمن التغيير المشار إليه فقد خضع مفهوم الإرهاب للتعددية¹⁸ في الدلالة اللفظية والاصطلاحية سواء من حيث المنظور الشمولي أو الجزئي أو المصلحي أو التوظيفي لمن يرغب في تعريفه ومن هنا الهلامية في المفهوم والدلالة.

ونجد هذا أيضاً واضح في جل التعريفات التي أصدرتها المنظمات العالمية والدولية متمحورة على الأساس الفكرية والثقافية والتوظيفية.

وهذا ما نلاحظه في تعريف عصبة الأمم الذي أقرته سنة 1937 الإرهاب على أنه عمل إجرامي موجه ضد حكومة معينة لغرض خلق حالة من الرعب في نفوس اشخاص أو مجموعة من الأشخاص الساكنين في تلك الدولة هنا التوظيفية في نص التعريف واضحة وإن كانت محمودة وهو تجريم فعل العمل العسكري على سلطة قائمة والهدف هو خلق حالة من الثبات والاستقرار لنظام قائم عضو في عصبة الأمم.

وبعد أن قامت الأمم المتحدة سنة 1945م¹⁹ لعبت بألفاظ هذا التعريف لي عنون حالة الإرهاب حيث عرفته في سنة 1972 على أنه استخدام العنف غير القانوني أو التهديد به بغية تحقيق هدف سياسي معين وهو توظيفي سياسي رغم حسن النية فيه.

في حين عرفته المحكمة الجنائية الدولية على أنه استخدام القوة أو التهديد بها من أجل إحداث تغيير سياسي، أو القتل المتعمد والمنظم للمدنيين أو تهديدهم به لخلق جو من الرعب والإهانة للأشخاص الأبرياء من أجل كسب سياسي، أو الاستخدام غير القانوني للعنف ضد الأشخاص والممتلكات لإجبار المدنيين أو حكومتهم للإذعان لأهداف سياسية.²⁰

ويعرف الإرهاب في قاموس أوكسفورد السياسي²¹ **Oxford Concise Dictionary of Politics** على أنه مصطلح لا يوجد اتفاق على معناه الدقيق حيث يختلف الأكاديميون والسياسيون على تعريفه ولكنه بصورة عامة يستخدم لوصف أساليب تهدد الحياة تستعملها مجاميع سياسية نصبت نفسها في حكم أو قيادة مجاميع غير مركزية في دولة معينة.

بينما عرفه **A.P. Schmid** الذي يستعمله علماء الاجتماع وفيه يعتبر الإرهاب أساليب متكررة تولد الخوف والقلق يقوم بها أفراد بإشراف مجموعات داخل دولة أو بإشراف الدولة نفسها وتكون أهداف العملية سياسية عادة وتختلف عن الاغتيالات بكونها ليست موجهة إلى شخص معين ويتم اختيار الأهداف لغرض إرسال إشارات إلى أكبر عدد من الناس والحكومات التي تمثلهم.

والاتحاد الأوروبي يعرف الإرهاب على أنه عبارة عن عمل عدواني متعمد يقوم بها أفراد أو مجاميع وتكون موجهة ضد دولة أو أكثر من دولة لغرض ممارسة الضغط على الحكومات بأن تغير سياساتها الدولية والداخلية والاقتصادية.

¹⁸ داوود جابر غازي، الإرهاب وأثره على العرب، مجلة العرب والمستقبل-تصدرها الجامعة المستنصرية، السنة الثانية، أيار-مايو، 2004، ص55.

¹⁹ أمل يازجي، 2002، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، دار الفكر، دمشق، ص33-29.

²⁰ موقع قناة BBC العربية 05/10/2015.

²¹ منير البعلبكي، 1997، قاموس المورد- انجليزي - عربي، ط14، دار العلم للملايين، بيروت، ص 212.

ففي التاريخ وعبره نراه جلي وواضح على سبيل المثال لا الحصر في مرسوم ملك إسبانيا فليب الثاني سنة 1558م والذي يقضي بمنح جائزة على رأس كل مسلم يُقطع مرسوم نصوصه تتضمن فعلية العمل الإرهابي والتطرفي وهو نص تطهير عرقي وطمس عقائدي وفكري مورست ضد المسلمين في إسبانيا.

ومن تجليات ذات الفعل وبنفس الدوافع وبذات الفعلية في الأسلوب والسلوك ما كان يُفعل ولا يزال بالرومانجا في بورما اليوم دليل تلك الديناميكية التي مُورست على كل من يخالف الفكر والاعتقاد على كل من يخالف النهج السلوكي بسلوك مثل هذا أليس هذا إرهاب أليس هذا فعل تطرفي تتجلى فيه فعلية السلوك الإرهابي وتتضح فيه ديناميكيته وهو غير مربوط بحالة السيطرة الإسلامية وهو منافي للأعراف الإنسانية ومغاير للنهج الذي تضمنته النصوص العقائدية والفكرية.

وفي الديانة الإسلامية جاء ذكر حادثة القتل الأولى في التاريخ لبيان جرم الفعل وإقرار وإبراز حالة التوحيد واعتقاده (وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (29) فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (30) (25)

فكما سبق وأن عرضنا أن الفعل الإرهابي منبوذ وغير مرغوب فيه ومحذر من نهجه ومستهجن من إقرار سلوكه إلا لدرء العدوان والتجهز لصدده وليس التجهز له وهنا يكون الرد على عديد مغرضي الدين الإسلامي اللذين يلصقون صفة التطرف والإرهاب بالدين وبالمسلمين وقد دلت عديد الآيات القرآنية وأقوال الرسول الكريم محمد صل الله عليه وسلم عن رفض نهج التطرف والإرهاب وقد أشير للعديد منها ضمن سياقات هذه الورقة البحثية وعندما ذكرت كلمة الإرهاب في النصوص الدينية والاعتقادية كانت فقط لرد الاعتداء والتجهز له رفعا للظلم ومنعاً لتحقيق المظالم.

ومن بين هذه النصوص قول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون) 26 قال ابن كثير في تفسيره (وَإِيَّايَ فَارْهَبُون) أي فاحشون، ترهيب، والرهبية من أجل الرجوع إلى الحق، والاتعاظ بما عسى أن يترتب من العقاب 27

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) 28 وبمثل ما تقدم، فسر قوله تعالى في أي ارهبوا أن تشركوا بي شيئاً وأخلصوا لي الطاعة

(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)²⁹ ويعني بقوله (رَغَبًا) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله (ورَهَبًا) يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته قال رغبا فيما عندنا، ورهبة مما حذر الله وكذلك في تفسيره لقوله تعالى عندنا، خائفين، الخشوع هو الخوف المستمر، خاشعين أي متواضعين.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)³⁰

وفسر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحي (وَأَعِدُّوا لَهُمْ) أي: خذوا العدة لعدوكم (مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) مما تتقوون به على حربهم من السلاح والقيس وغيرهما (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) مما يرتبط من الفرس في سبيل الله.

(تُرْهِبُونَ بِهِ) تخوِّفون به بما استطعتم (عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) مشركي مكة وكفار العرب (وَأَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) وهم المنافقون (لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ويعزون معكم والمنافق يريبه عدد المسلمين.

²⁵ قرآن كريم، سورة المائدة، الآية 30-27.

²⁶ قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 40.

²⁷ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 188.

²⁸ قرآن كريم، سورة النحل الآية 51.

هذا النوع من الإرهاب لا يوجد بقعة جغرافية بمعزل عنه إذ قررت الدول التي لها مصلحة فيه بممارسته إذ يمكن أن تعتبرها الدولة الممارسة للإرهاب جبهة للقتال فيه وتستعمل تلك الدول مسميات تبرر وتصبغ عليها صبغة أحقية القيام بالممارسة الحربية وتبعتها عن المسمى الإرهابي³⁴.

وهذا في حد ذاته صياغات فكرية منبثقة عن اعتقاد لفهم الحالة الظرفية وهي نتاج عقلي توظيفي الهدف منها بشكل مباشر تمرير مخطط الممارسة الإرهابية ضمن مصوغات الفكر الخاص للمواجهات العسكرية ليكون المسمى حملة عسكرية.

ومن بين الممارسات الإرهابية للدولة هو ما مارسته بعض القوى الدولية على عدد من الشعوب والدول بهدف اخضاعها وسلب مواردها وهدر مقوماتها ومقدراتها وقد استخدمت هذه الدول كافة الوسائل الممكنة وغير الممكنة ومن بين تلك المستخدمة المؤسسات الدولية المعتبرة لإصدار القرارات التي تشرعن للعمل الإرهابي ضمن إرهاب الدولة والدليل على ذلك هو ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من إصدار قرارات من الأمم المتحدة

(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ) من آلهِ وسلاحِ وصفراءِ وبيضاءِ (في سَبِيلِ اللَّهِ) طاعةِ الله (يُوفَّ إِلَيْكُمْ) يخلف لكم في العاجل ويوفّر لكم أجره في الآخرة (وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ) لا تنقصون من الثواب.

والتزويج بعمومه منهي عنه والدليل في السنة ما قد أخرج أبو داود بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا أصحاب محمد أنهم كانوا يسيرون مع النبي فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً).³¹

وذكر المحدث ناصر الدين الألباني أنه صحيح وهذا لما فيه من الحديث يشمل من يُروع المسلم ولو كان هازلاً الإيذاء والضرر.³²

وهذا باختصار هو موقف الإسلام تجاه الفعل الإرهابي والتطرفي واللذين صنفهما الله سبحانه وتعالى في مرتبة الإفساد بجميع مراحلها وأطوارها وسائر صورته وأشكاله.

من هنا في الواقع يتضح أن الإرهاب والتطرف قلما يتمّ تقديمها عن أنها ممارسة مشرعة في الإسلام خلاف النصوص المتواترة في الكتاب والسنة وهما ظاهرتين تنموان

²⁹ قرآن كريم، سورة الأنبياء الآية 90.

³⁰ قرآن كريم، سورة الأنفال الآية 60

³¹ سنن أبي داود، كتاب، 4/301 برقم- (5004)

³² محمد ناصر الدين الألباني، 1988م، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، ص45.

بشكل ديناميكي وفق تصورات عقائدية وفكرية ومجتمعية لمنظري تلك التصورات بمعزل عن حقيقة الفعل والتكوين وهذا ما نلمسه عبر التاريخ ولاتزال مشاهدهما وانعكاساتهما تظهر في فعالية السلوك حتى يومنا هذا.

2.1: أنواع الإرهاب

للإرهاب أنواع³³ يعمل ضمنها الفعل العام له وهو من مكوناته الفعلية وكذلك يعد من بين أهم مداليه الاعتقادية ضمن النهج والسلوك وفي الوقت نفسه تعد عناوين له وبمثابة شكله العام الذي قد يتصف به وهي في الواقع متعددة ومتنوعة تتمثل في:

أ: إرهاب فردي

وهذا النوع من الإرهاب رغم أنه ليس بمعزل عن العناوين والأدوات التي يتكون منها الإرهاب إلا أنه في الغالب يكون عبارة عن ممارسات فردية رغم أنها داخلة ضمن الرزنامة العامة إلا أنها ممارسات مقتصرة على الفرد الذي بالضرورة يكون منطلق في فكرة وعمله من الحالة التطرفية التعصبية التي ينتمي إليها ذلك الفرد ويكون ممارسته للإرهاب في هذه الحالة غير مبرمجة من حيث التنسيق والتحكم إلا في إطاره التنظيمي فقط.

وتحرك الفعل الفردي في ممارسة الإرهاب في الغالب ما يكون ذا أضرار عشوائية إلا أنها قد تكون عنيفة وتنتهي الحالة الفردية فيه بانتهاء الفرد إما بموته أو بالقبض عليه وينتهي في هذه الحالة عمليتي الترتيب والتنسيق البعيدة عن النظم المؤسسية التي تحرك العمل الإرهابي.

ب: إرهاب متعلق بالحكومة

قد تمارس الحكومات حالة من الإرهاب الداخلي على أفراد شعبها وهنا يتخذ الإرهاب الشكل القومي وتقييد الحريات العامة والخاصة وتتخذ الدولة في هذه الحالة أساليب وحجج متعددة ومتنوعة والهدف في هذه الحالة من الممارسة الإرهابية هو توكيد سلطاتها الحاكمة وحماية سلطاتها الحاكمة وتقوية نفوذها.

وقد تمارس الحكومة أيضاً إرهاباً خارجياً على الأفراد أو حكومات الدول الأخرى والهدف هو تقويض سلطة تلك الدولة التي توجه إليها ممارساتها الإرهابية على مناطق النفوذ.

وفي الحالتين من ممارسة الإرهاب الحكومي سواءً الإرهاب الذي تمارسه على الأفراد أو على الحكومات يكون الفعل الإرهابي في مستويات عنف على درجة كبيرة من الحدة ويستخدم فيها وسائل وأساليب قد تكون غير واقعية وهي بعيدة في أحيان كثيرة عن كونها أخلاقية.

ج: إرهاب دولي

³³ علي عمر مفتاح، وآخرون، 2015م، الإرهاب في الإسلام والغرب، دراسات علوم الشريعة والقانون، كلية القانون، الجامعة الوطنية الماليزية، المجلد 42، العدد 2، ص 529، 530.

ومجلس الأمن تتعلق بغزوها لأفغانستان والعراق وأن الحجج التي ساقتها كانت كاذبة ومضللة رغم أنها صدرت من أعلى المستويات السياسية والأمنية.

إذا إرهاب الدولة هو فعل ممارس من قبل دول ذات نفوذ إقليمي ودولي وهو توظيفي ومستخدم خدمة لأهداف تلك الدول وتحقيقاً لمصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية.

3.1: تعيين العلاقة بين التطرف والإرهاب

بما تم التطرق إليه ضمن تعريفي التطرف والإرهاب فيما تقدم من عرض يلاحظ بشكل جلي وواضح العلاقة المباشرة والشرطية بينهما فالتطرف الذي هو مقدمات أو مبررات للإرهاب يلخص تعريفه على أنه تعصب بمتجه فكري.

وهذا التعصب للمعتقد أو للفكر يحتم الصدام ويشرعن له فيندفع المتطرفين للوقوف صفاً في مواجهة كل من يخالف معتقدهم وينبذ فكرهم.

وهذه الحالة في تقديري هي نقطة البدء الفعلية والحقيقية في الدخول لعالم الإرهاب فإذا كان التطرف في هذه الحالة هو المشرع والدافع للمواجهة فإن العمل الإرهابي هو الأداة للفعل التطرفي.

ومن هنا ووفق ما تقدم فإن التطرف والإرهاب بمفهوميهما العام والخاص يرتبطان شكلاً وموضوعاً بحالة الممارسة الفكرية المتعسفة لرفض إخضاع المعتقد أو الفكر المتبنى من قبل أصحابه للتعليل أو التجريح.

وبالتالي رفضهما وفق ذلك المفهوم الخاص بهم لقبول أي نقاش يفضي لعملية التعدد الفكري أو المعتقدي وفي حالة وجود ذلك فهو حتماً سيخلق الصدام والصراع وهذه الأمور يعني ممارسة العنف والقتل وهو ما يعني ممارسة الإرهاب.

3.2: العناصر التي يتماثل فيها الإرهاب والتطرف

لكل حالة ثقافية مادية أو معنوية عناصر تتماثل فيها وتضع عناوينها وتوضح مضامينها وأن التطرف والإرهاب ليس بمعزل عن هذه القاعدة وعناصرهما في الواقع ينضحان من إناء مدلولهما وعنوانهما وما يقوم به من هو منخرط في بوتقتهما الفكرية والاعتقادية وهذه العناصر هي:

الاعتقاد الفكري وهو البوصلة الحقيقية والفعلية التي تحدد أطر التوجه العام للتطرف والإرهاب وهنا لا بد من أن يتجه من يتبع حالتيهما (التطرف/الإرهاب) لتعيين المعتقد والوقوف على منابعه الفكرية وأصوله العامة التي على أساسها يصنف الاعتقاد الفكري وفي أغلب الأحيان تكون الحالة الاعتقادية الفكرية ذات منطلقات مغلقة وغير منفتحة وهذا ما يجعل من نمو التطرف ليتبلور في أعمال وصياغات إرهابية.

3.3: البيئة الحاضنة وهو ذلك الحيز المكاني والإطار الفكري والمكون المجتمعي محدود كان أم مطلق الذي يؤهل للوجود الفكري المتطرف والعمل الإرهابي واللذين في الواقع هما وعاءهما ومرتعهما وحيز نموها فالبيئة التي يختل فيها حالة النمو الطبيعي والفكري تكون بمثابة الأرض الخصبة للتطرف والشذوذ والتشوه في الحالة العقلية والفكرية.

فحيثما تتوافر حاضنة لمعتقد معين سينمو هذا المعتقد ويقوى بفعلية تلك البيئة المساعدة على تطوره وقد تنشأ معها حالة الاستدلال والتبرير المسلكي أو السلوكي والتعامل مع التطرف والإرهاب في ظل وجود حاضنة أمر صعب فاجتثاته مكلف على جميع الصعد وحال التحريم فيه أو التجريم له يتطلب غسل أدمغة بتوجيه خطاب واقعي وعقلاني منفتح ولكنه مبني على أسس عقائدية واعتقادية .

ومن هنا يوجب على الدول والحكومات التي تخاف الإرهاب ولا ترغب في وجوده أن تراقب البيئة الحاضنة وتحسن من مكونات النفور المعتقدي للتطرف أو الإرهاب فالذرائع والحجج السياسية والأمنية الإرهاب من الممكن أن نعتبره كائن ينمو ويتغذى على ذرائع يستخدمها كحجج لممارسة أعماله.

ومن ضمن الحجج والذرائع التي يستخدمها ممارسات الحيف والعنف السياسي الذي تتبناه بعض الدول الغربية وأذرعاها في العديد من مناطق نفوذهم على الشعوب والتي كنتيجة لتلك الممارسات عليها تندفع لترتمي في أحضان التطرف والإرهاب.

3.3: المقومات التوظيفية للإرهاب

ليس غريباً أن يكون للإرهاب مقومات وركائز فعلية وواقعية ومن بين أهم الأمثلة على هذه المقومات التوظيفية ما يتعلق بشكل واضح بعملية مصوغ التسمية وكذلك ما يتعلق بمبدأ الهجوم ضمن إطار الحرب على الإرهاب.

فالحرب على الإرهاب مع سبق الإصرار لغرض الدفاع عن المصالح القومية والاستراتيجية التي تمثلها الدولة التي تندفع للممارسة الحرب على الإرهاب وهذا ما كان قد مارسه الإدارة الأمريكية زمن جورج بوش دبليو إلا إن أدارته بعد فترة من الزمن تخلت عن استعمال مصطلح الحرب على الإرهاب وبدأت باستعمال الصراع الدولي ضد التطرف والعنف **Global Struggle Against Violent Extremism**.

وهذا التخلي في الحقيقة تخلي بعد اتمام الغرض وتحقيق الغاية وهي عملية نستطيع القول أنها متواترة تواتر التاريخ في استعراضها فكثير من العمليات التي تدعيها بعض القوى الدولية أو الإقليمية بعد أن تحقق الغرض منها تتخلى عنها.

فمثلاً ما قد حدث للعراق سنة 2003م من غزو سمي وفق ما تقدم في إطار المقومات التوظيفية على أنه حملة عسكرية كان الهدف منها ممارسة إرهاب دولة للإطاحة بنظام حكم قائم في العراق بينما يطلق عليه البعض

الآخر عملية تحرير العراق هذا للمؤيدين للعمل العسكري الأمريكي في العراق فالبعض يطلق تسمية المقاومة العراقية على العمليات المسلحة التي تشن على قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة والسلطات التي تشكلت عقب الحملة في العراق منذ 2003 بينما يطلق البعض الآخر تسمية العمليات الإرهابية عليها.

وكذلك ما يتعلق بموضوع المقاومة كحركة حماس في فلسطين التي تعتبر من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وإسرائيل منظمة إرهابية بينما يعتبرها البعض الآخر حركات جهادية أو تحررية وبالتالي الممارسات العسكرية الهادفة لتحقيق ما قد أنشأت من أجله هذه الحركة ستصنف وفق المنظور الذي يكون عليه التقييم فإن كانت الجهة المقيمة للعمل العسكري تعتبر أن الحركة جهادية وتحررية فأنها ستصنف تلك الأعمال على أنها أعمال مقاومة مشروعة وأما إذا كانت تراها حركة إرهابية فإن أعمالها العسكرية ستصنف على أنها أعمال إرهابية.

ومن ضمن العمل التوظيفي للمصطلح ما كان قد عمل به بعض التوظيفيين للنص الديني من قبل فقهاء الإسلام خدمة لصاحب القرار السياسي ليشرعن حالة القيام بالعمل الإرهابي من قبل الحكومة على المواطنين وهذا الفعل التوظيفي هو ذلك ما استُخدم للتعبير عنه في اللغة العربية عن كلمة الحراية والتي أخذت مما ورد في القرآن الكريم (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ

خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).³⁵

ورغم أنه في فترة لاحقة من التاريخ توسع فقهاء الإسلام في التدليل الضمني ذا الصفة التوظيفية هذا التعبير، لينطبق على مخالفة أولي الأمر واستغلال الخلفاء الأمويون والعباسي والسلطين والأمراء في الدولة الإسلامية هذا المفهوم، ليشمل كل من يخالفهم الرأي في الحكم، وهذا ما نسميه اليوم بالمعارضين السياسيين لذلك يعتقد البعض أنه من الضروري البحث عن مصطلح أكثر دقة يعبر عن الترويع وفق الفهم الإسلامي.

³⁵ قرآن كريم، سورة المائدة، الآية 33.

3.2: آليه تصور مكافحة الإرهاب

باعتبار أن العمل التطرفي والفعل الإرهابي غاية في الأهمية للبحث فيه ووضع التصورات الناجمة للحد من التداعيات الفعلية التي تشوه البناء الفكري والعقلي وتدفع بالعديد من ذخر الأمة للمساهمة بشكل هدام وسلبي في المكونات المجتمعية عليه وجب اعتماد ذلك التصور.

فالإرهاب واشتراطية السلوك ظاهرتين متلازمتين خضعتا بمختلف حيثياتهما وأبعادهما وتجلياتهما في كثير من الأحيان لتواترية الحالة الفكرية وهما غير قاصرين على النهج العقائدي بل نرهما كذلك في النهج الفكرية والمدارس الأيدولوجية حتى تلك العلمانية والليبرالية في كثير من الأحيان لا يخرج اتباعها عن سياقات ذات تلك المنابع النهجية التي يريدها ويراد لها من اتباعها وهما مقترنا من حيث النشأة في الواقع المعيش، لا سيما على مستوى الوعي السيكولوجي والذهني، ثم منبثقات ودلالات اللغة والتخاطب³⁶ حيث أن السياقات اللغوية والاصطلاحية تكون في هذه الحالة جزء لا يتجزأ من الصراع.

وبهذا تكون نزعة الإرهاب والتطرف في تكوئتهما على شكل مشاعر وانفعالات وردود أفعال لثترجم إلى سلوكيات وممارسات ملموسة تتضمن لانعكاس حالة صراع معنوية ونفسية قبل أن تنتقل من الذات إلى الوجود، من الذهن التصوري فالواقع ومنها للغة لتخضع لطبيعة السياق، فتصطبغ بطروفه وملابساته وتحدياته، لتتحول إلى قيمة مادية يصبح فيها فعل الصراع ملموساً من حيث تأثيره وآثاره والمحرك لها حالة توظيف اعتقادي وعقائدي وإيديولوجي ليس إلا.

وقد أسهم الإعلام بالذات الغربي في تفعيل تلك الحالة التوظيفية ولعب على المفردات اللغوية المتناقضة ذات الدلالات الإحائية التي تلصق الإرهاب والتطرف بفئة أو جماعية ذات اعتقاد خاص وفي هذه الحالة طبعاً كان الإسلام والمسلمين هم الضحية حيث كان مصطلح الإرهاب الديني لصيق بسلوك مشبه في نظر المجتمعات غير المسلمة بالمسلمين مستغلين فضفاضيه المصطلح ولبسه الدلالي لغة وفهماً.³⁷

4.1: التوصيات والنتائج

وبما قد تم تناوله هذا الموضوع بالدراسة ضمن هذا العمل المتواضع فإنه قد تبلورت جملة من التصورات التي من الممكن أن تكون ذات إسهام في البناء وهذه التصورات هي:

1: تقديم المعرفة الحقيقية لمفهوم العمل الإرهابي والتأكيد على انفتاح الفعل العقلي للخروج من حالة التطرف والتي في الواقع هي الأرض الخصبة لوجود ونمو الإرهاب وذلك باستخدام كافة

³⁶ إدوارد سعيد. (2006). تغطية الإسلام (ترجمة: محمد عناني). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع. ص 39.

³⁷ مونتجومري وات، (1983-1403)، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط1 (ترجمة: حسين أحمد أمين). القاهرة، مكتبة مدبولي، ص 113، محمد عمارة، 2004، معركة المصطلحات بين الإسلام والغرب، ط 2، القاهرة، نهضة مصر. ص 3، 4.

الطرق المتاحة والممكنة قانوناً التي تخاطب عقل المكونات المجتمعية والتي من بينها المناابر والمناهج التعليمية.

2: إعادة صياغة الخطاب الديني وفق العود الحقيقي للشريعة المتمثل في مصادرها الحقيقية الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

3: تأهيل ودعم المؤسسات الأمنية من خلال إقامة الدورات العلمية التي تُصاغ فيها الرؤى والأفكار التي تدفع بالمؤسسة الأمنية لتنمية قدرات منتسبيها وفق أساليب علمية حديثة وهنا لا بد من رفع كفاءة المنتسب للمؤسسة الأمنية وتعريفه على تجارب الغير في هذا المجال.

4: توفير كافة الوسائل اللوجستية للمؤسسة الأمنية ويدرب على التعامل معها المنتسب إليها بشكل علمي ومعرفي محترف يُمكنه من تحقيق الفعل الأمني ذا الجودة الحقيقية لمكافحة الإرهاب.

5: التوجه بشكل فعلي وفق الخطط العلمية ذات الخلفية الأمنية لتجفيف منابع الإرهاب سوءً على الصعيد المحلي أو الإقليمي أو الدولي.

6: وضع الخطط العلمية لعلاجات ناجعة للحد من تأثير البيئة الحاضنة لنمو التطرف والإرهاب.

7: سن تشريعات وقوانين تُجرم فعل التطرف والإرهاب وتنص في طيات موادها على عقوبات رادعة دون أن تتضمن تلك القوانين ثغرات قانونية.

8: تأسيس مؤسسات شبابية ومؤسسية موضوع لها برامج ذات فائدة ومردود شخصي ومجتمعي.

9: وضع برامج فعلية تُبصر بخطورة الأجندة الأجنبية وتبين مواطن الجانب التدميري للمجتمع فيها.

10: وفق صياغات قانونية وتشريعات نافذة تسند لجهاز المخابرات الليبية مهمة محاربة من يحمل أو يتبنى أي فكر مرتبط بأجندات خارجية من أفراد أو مؤسسات أو هيئات يراها القائمين على الجهاز تشكل خطر على الدولة وأمنها القومي.

المراجع

القرآن الكريم

أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، 1419هـ-1999م، لسان العرب، ج 8، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1410هـ-1990م، ط2، دار الحديث، القاهرة.

النووي، أبو زكريا (1416هـ - 1996م)، شرح النووي على مسلم، دار السلام، القاهرة. إدوارد سعيد، 2006، تغطية الإسلام (ترجمة: محمد عناني). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

المعجم الوسيط، 1995، مجمع اللغة العربية، ط 2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

أمل يازجي، 2002، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، دار الفكر، دمشق.

داوود جابر غازي، الإرهاب وأثره على العرب، مجلة العرب والمستقبل-تصدرها الجامعة
المستنصرية، السنة الثانية، أيار-مايو، 2004.
زكي علي سيد أبو غضة، 2002، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات
المعاصرة.
سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (4/
262).
سنن ابن ماجه (2/ 1008)

سنن أبي داوود، كتاب، 4/301
صحيح مسلم (3/ 1357).
عبد الله بن الكيلاني الأوصيف، الإرهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن والسنة، مقال
منشور، موقع حملة السكينة.
عبد الحسين شعبان، 2002، الإسلام والإرهاب الدولي: ثلاثية الثلاثاء الدامي: الدين، القانون،
السياسة، لندن، دار الحكمة.
علي عمر مفتاح، وآخرون، 2015م، الإرهاب في الإسلام والغرب، دراسات علوم الشريعة
والقانون، كلية القانون، الجامعة الوطنية الماليزية، المجلد 42، العدد 2.
معجم المصطلحات السياسية، سلسلة كتب 2014م، تصدر عن معهد البحرين للتنمية السياسية،
المنامة، البحرين.
موقع قناة BBC العربية 05/10/2015.
مقابلة تلفزيونية مع سوزان لينداور، على قناة روسيا اليوم، في برنامج رحلة في الذاكرة،
بعنوان رفع الستار عن أحداث 11 سبتمبر 2001
معجم مقاييس اللغة، 1399هـ-1979م، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (تحقيق: عبد
السلام محمد هارون)، ج 2، مادة رهب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
مجموعة من أعضاء وخبراء مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي،
موقف الإسلام من الغلو والتطرف وما يسمى بالإرهاب في هذه الأيام، مراجعة: أحمد عبدالعليم
أبو علوي.
محمد ناصر الدين الألباني، 1988م، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط3، المكتب الإسلامي،
بيروت.
محمدٌ عمارة، 2004، معركة المصطلحات بين الإسلام والغرب، ط 2، القاهرة، نهضة
مصر.

منير البعلبكي، 1997، قاموس المورد- انجليزي - عربي، ط14، دار العلم للملايين، بيروت،
ص 212.
مونتجومري وات، (1403-1983)، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط1
(ترجمة: حسين أحمد أمين). القاهرة، مكتبة مدبولي.

Alex P. Schmid and Albert J. Jongman, 1984, Political Terrorism: A Research Guide
to Concepts, Theories, Data Bases and Literature, COMT-Publication 12, New
Brunswick, NJ: Transaction Books.

الفهرس

خطاب الاستعراب: هل يغدّي الإرهاب؟ (شارل منشكور نموذجاً)

الباحثة: الفاضلة نجاه الطاهر قرفال/ المعهد العالي للعلوم الإنسانية: جامعة المنار بتونس.

المقدّمة:

لم تكن الحضارات التي أثّنت الوجود الإنساني على البسيطة لتتوقّف عما نصلح عليه اليوم بحوار الحضارات. بل عرفته في أشكال مختلفة: تجارة ورحلات، سفارة وبعثات... وقد خاض فيه الفلاسفة المفكرون نظراً وتنظيراً، وحتى الأدباء والشعراء صاغوه إبداعاً وتخيلاً، حتى أضحى الجدل حول جدواه مفتقراً لكلّ مبرّر. وإن كان البعض رآه صراعاً وصدماً أو نهاية التاريخ، فإنّه لم يكن قد ألغاه بل عرض شكلاً آخر للحوار مستقراً مفتقداً النديّة والموضوعيّة. ويكاد الفكر البشري شرقياً كان أم غربياً يسطّر الحقيقة ذاتها حول الأثر الماديّ والمعنويّ الناجم عن الخطاب في حال مناداته بالحوار أو معاداته له. ويعود ذلك إلى طبيعة الخطاب في حدّ ذاته. فهو بنية فكرية لسانية تواصلية. والخطاب الاستعرابيّ، على حدّ علمنا، لم يختبره أحد في مدى تأسيسه لفكر حواريّ معتدل أو إسهامه في صناعة الإرهاب. نطمح في ورقة البحث هذه إلى النظر في ما خطّ شارل منشكور (Monchicourt, Charles) (1873-1937). وهو أحد المستعربين الفرنسيين الذين زامنوا احتلال فرنسا لتونس. فدوّن تصانيف عديدة ذات بال لا سيّما في مسألة التنازع الحضاريّ بين الشرق والغرب.

إشكاليّة البحث، إذن، هل يمكن الاطمئنان إلى مسلّمة توفّر خطاب الاستعراب ممثلاً، هنا، في بعض ما كتب شارل منشكور، على تجلّيات الإرهاب؟

وأما الخطّة المعتمدة في محاولة البحث هذه، إضافة إلى المقدّمة والخاتمة، فتلائيّة المفاصل: تعريفات فنظر في التنازع الحضاريّ بين الشرق والغرب في كتابات منشكور ثمّ تجلّيات الإرهاب في خطاب منشكور بين التأكيد والتنسيب.

١. تعريفات:

نعتبر التعريفات ضرورة منهجيّة. إذ بفضلها يحصل الاتفاق بين باحث في خطابه قصدً وملتقى يسعى إلى مقارنة ذلك القصد. فلا يُعرّف الشيء إلاّ لقصد إنشاء معرفته عند المتلقّي. وبمعرفة المتلقّي له يكون قد أبرم معه عقد مفهوميّ، قد لا يكون جامعاً مانعاً. ولكئنه، على أيّ حال، تعريف مفهوميّ تفسيريّ توضيحيّ يُجلي قصد الباحث من اختياره ذلك المفهوم دون غيره. تلحق التعريفات، هنا، ثلاثة ألفاظ: الخطاب والاستعراب والإرهاب. ثمّ يكون تعريف شخصيّ.

١- الخطاب: في لسان العرب: ("الخطب: الشان أو الأمر... والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام"١). وفي الكشاف٢ "الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو مهتئ لفهمه"٣. والخطاب من الألفاظ القرآنيّة٤. وقد عرف عند الإغريق٥. ويذهب البعض إلى أنّه اكتشف لسانيّ حديث٦. وممّا لا يختلف فيه أنّه مبحث معرفيّ ذو جهاز مفهوميّ٧.

١ ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، ط، دار صادر، لبنان، ١٣٠٠هـ، مج ١، مادة "خطب"، ص ٣٦٠-٣٦٢.

٢ محمّد عليّ، التهانويّ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعليّ دحروج، ط، مكتبة لبنان، ١٩٩٦. وهو معجم فنيّ لغويّ حديث نسبياً (القرن ١٨)

٣ م. س، صص ٧٤٩-٧٥٠.

٤ سورة ص، الآية ١٩+ سورة ص، الآية ٢٢+ سورة النبا، الآية ٣٧. (رواية قالون عن نافع).

٥ لأرسطو كتاب الخطابة، حقّقه وعلّق عليه: عبد الرحمان بدويّ. نشر وكالة المطبوعات - الكويت ودار القلم بيروت - لبنان، ١٩٧٩.

٦ ينسبه البعض إلى الأعلام الفرنسيين: ألتوسار Althusser أو فوكو Foucault أو بيار بورديو Pierre Bourdieu، أو إلى فان

دايك الهولنديّ van Dijk أو نورمان فير كلاف Norman Fairclough. وغيرهم كثير.

٧ باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تعريب: عبد القادر المهيري وحماّدي صمّود، المركز الوطني للترجمة،

تونس، دار سيناترا، ٢٠٠٨. (النسخة الفرنسيّة، سوي، ٢٠٠٢).

ب- الاستعراب: كما هو معلوم مصدر من استعرب. ومن معانيه في اللسان: الدخول في العرب وإتقان لغتهم^١. وأمّا تعريفه المصطلحيّ فنسعى من خلال الوقوف عليه إلى تخليصه من لفظ استشرأق. وفي هذا نقول: إنّ صلة المستعرب بالعربية لازمة. وإنّ العربية، لغة وحضارة، حاضرة في الشرق والغرب على حدّ سواء. ومن هنا نميّز بين من ينشغل بحضارات الشرق عامّة ومن ينشغل بحضارة العرب خاصّة التي تمثّل جزءاً من الشرق، ولكنها ليست الشرق كلّها وليست كذلك متوقّفة عنده لأنّها ارتحلت إلى الغرب كذلك. يكون المستعرب إذن، ذاك الذي انتمى إلى الاستعراب حقلاً معرفياً ليستكنه وجود الآخر العربيّ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وليجعل معرفة العربية لغة وأدبا وحضارة هدفاً استكشافياً^٢.

ج- الإرهاب: أضحت اليوم أدبيّات العلوم الاجتماعيّة والسياسيّة مُثرعة بلفظ الإرهاب ومشتقاته مثل إرهابيّ والإرهاب المضادّ وغيرها. ولئن دلّت هذه الملاحظة على تحوّل الإرهاب إلى ظاهرة مصاحبة لوجود الإنسان الراهن، فإنّها تدعو، بإلحاح، إلى التعاطي معها مادّة درس وموضوع بحث. فلا محيد للباحثين عن إيلائه ما هو به جدير من الاهتمام من خلال التعرّف على دوافعه الخفيّة وآثاره الآنيّة والزمنيّة.

والملاحظ أنّ الحفر في مفهوم الإرهاب يخترق، جملة من المجالات والمستويات. فلا مناص من العبور من مدلوله اللغويّ العربيّ^٣ وغير العربيّ إلى دلالاته الاصطلاحية العربية وغير العربية. ولا مفرّ لأهل الاختصاص من الاطّلاع على رحلة المصطلح من التقنين الدوليّ إلى الاتّفاقيات الإقليمية. ولا مندوحة من النظر في الجذور التاريخيّة وصولاً إلى التجلّيات الاجتماعيّة والسياسيّة: واختطافاً واغتيالاً وتفجيراً. ولكنّ هذا كلّه يجد حضوره في خطاب المتنفّذين المشرّعين للإرهاب باعتباره ظاهرة اخترقت الزمان والمكان والإنسان. لذلك ينبغي النظر في الخطاب المؤسّس للظاهرة قبل النظر في الظاهرة في حدّ ذاتها. ينبغي النظر في الخطاب باعتباره بنية تواصلية يتعلّق في الفكر واللسان. فينتج الأثر الذي يتحوّل ظاهرة.

جاء في المعجم الوسيط. "الإرهابيون) وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسيّة"^٤. وجاء في معجم لاروس الموسوعيّ: "مجموع أحداث العنف المرتكبة من لدن منظمة لخلق مناخ غير آمن أو قلب الحكم القائم"^٥. وجاء في معجم أكسفورد: "استعمال عمل عنيف لتحقيق أهداف سياسيّة أو لإجبار حكومة على الفعل"^٦. وتذهب كجي إلى أنّ "مصطلحات مثل الإرهاب والإرهابيّ تعاني من الغموض كما تنفقر إلى درجة من اليقين"^٧. فالعمل الإرهابيّ، بحسب بعض المختصّين فيه مثال: إيريك دافيد (Eric David)، ذو "طابع إيدولوجي"^٨. وهو عشوائيّ. وهو "عمل عنف ذو جسامة غير عاديّة" وهو سلوك "الإحداث الفزع وإثارة الرعب الجماعيّ"^٩.

ولقد اختزل أبو القاسم الشاذليّ (ت ١٩٣٤) الإرهاب مفهوماً وأسباباً ونتائج حين قال:

وانظر كذلك مبحث الخطاب في: نجاة، قرفال، سفراء الزيتونة والمغرب: الخطاب والأثر، ندوة تاريخ الزيتونة في النصف الأوّل من القرن العشرين: الزيتونيّون في مواجهة قضايا عصرهم: التجديد الدينيّ، إصلاح التعليم، التحرّر الوطنيّ: ٢٩-٣٠ نوفمبر ٢٠١٦، وحدة بحث تاريخ الزيتونة، المعهد العالي للحضارة الإسلاميّة، جامعة الزيتونة بتونس.

^١ انظر: ابن منظور، لسان العرب، م. س، مج ١، صص ٥٨٦-٥٩٣/ وانظر، كذلك، مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، ط١، مصر، مطبعة الشروق الدوليّة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ج ٢، صص ٥٩٠-٥٩١.

^٢ نجاة، قرفال، رحلة الاستعراب من الجزائر إلى تونس، م. س.

^٣ انظر: ابن منظور، لسان العرب، م. س، مج ١، مادة (ر-ه-ب)، صص ٤٣٦-٤٣٩. (لا يخرج المعنى عن أرهبه فلانا: خوّفه وفرّعه).

^٤ المعجم الوسيط، م. س، ج ٢، ص ٣٧٦.

^٥ Larousse Dictionnaire Encyclopédique, Illustré pour la maîtrise de la langue française, la culture classique et contemporaine, en couleurs ٤٧٠٠٠ articles, Larousse, ٢١ Rue de Montparnasse ٧٥٢٨٣, Paris Cedex ٠٦, ١٩٩٣, p. ١٥٥٥. (« Ensemble d'actes de violence commis par une organisation pour créer un climat d'insécurité ou renverser le gouvernement établi ».)

^٦ Oxford Advanced Learner's Dictionary, International Student's Edition, (s.d), pp. ١٣٩٦-١٣٩٥. (« the use of violent action in order to achieve political aims or to force a government to act ».)

^٧ كجي، حسنة، الجريمة البيئيّة جريمة إرهابيّة، <https://www.mahkamaty.com/blog/٢٠١٧/١١/٢٦/٩٩٢١>

^٨ نقلاً عن كجي حسنة، م. س.

^٩ كجي، حسنة، الجريمة البيئيّة جريمة إرهابيّة، م. س.

لا عدل إلا إن تعدل القوي *** وتصدم
الإرهاب بالإرهاب^١

فالإرهاب، حسب الشابي، فعل ورد فعل: هو فعل يناقض عدل الوجود. وهو رد فعل يسترد عدل الوجود. هذا البيت قيل في الحقة ذاتها التي ينشئ فيها منشكور خطابه الذي نروم النظر في عيّنات منه.

ولعلّ بإمكاننا اختزال مفهوم الإرهاب، من خلال ما تقدّم، في: العنف الجماعي المنظم ذي الخلفيات الإيديولوجية أو السياسية. ففي لفظ العنف توسعة للمادي والمعنوي. وفي لفظ الجماعي إحالة على مصدره وهدفه في آن واحد. وفي لفظ المنظم تأكيد على قصديته وأسسته. وفي لفظ الخلفيات إشارة إلى الروافد المغذية له. وفي لفظ الإيديولوجية اختصار لكلّ تمذهب عقدي أو فكري. وفي لفظ السياسية إجمال لجميع حقول العمل الإنساني، باعتبار السياسة تدبيراً لشؤون الإنسان.

*شارل منشكور: من يكون؟ هو منشكور، شارل فلكس (Monchicourt, Charles-Félix) (1873-1937). مستعرب فرنسي، ولد بباريس وتوقّي بتونس، مؤرّخ وجغرافي وإداري^٢. له الإجازة في التاريخ والدراسات العليا في التاريخ والجغرافيا، والإجازة في الحقوق (1896). وشهادة العريبة (le Brevet) والتبريز في التاريخ (1897)^٣. وظفر بميدالية الشرف من الفضة ونيشان الافتخار.

كلّف بمهامّ بإدارة تونس أكثر من ٣٠ سنة. شغل خططا في الرقابة العامة^٤ في مكتر (1898) وتونس (1901) والقيروان^٥ (1906) وباجة (1916) ثمّ في تونس ثانية (1923). حظي بعمل ميداني مهمّ. يقول مؤكداً تفوّق العمل الميداني على ما ورد في الكتب: "الكتب أفادتنا أقلّ من حصاننا وعيوننا ولساننا وأذاننا"^٦ تأكيداً للاستعمار الفلاحي.

تتعلّق مؤلفاته بتاريخ تونس وشمال إفريقيا وجغرافيتهما نبشاً وتنقيراً وحفراً. وترتبط بالعلاقات الحضارية بينهما والعالم الأوروبي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. فهي تصبّ مباشرة في مسألة التنازع الحضاري بين الشرق والغرب. وتحيل مصنفاته على ذلك التنازع الذي يغلب عليه منطق الصراع والقوة والاستحواذ. له مقالات في المجلة الإفريقية^٧ والمجلة التونسية^٨ ومجلة تاريخ المستعمرات الفرنسية^٩. وشارك في إفريقيا الفرنسية^{١٠} تحت أسماء مستعارة: رد بالك^{١١} Rodd Balek وCavé. من كتاباته الكثيرة نصّ آخر في ذكرى ١٢ تونس ١٣ (شراكة مع شاطو بريان^{١٢} (Chateaubriand))، وتونس في القرنين: ١٧ و١٤١٨، وعادات الأهالي، احتفال عاشوراء^{١٥}، ومحلة أحمد زروق بالساحل (١٨٦٤)، وثورة ١٨٦٤ في

^١ الشابي، أبو القاسم، ديوان أغاني الحياة، ط ٧، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥، ص ٢٧٣.

^٢ تمّ تأيينه في المجلة التونسية. انظر:

Notice nécrologique, Charles Monchicourt, Revue Tunisienne, Tri. ٣ et ٤, No. ٣١ et ٣٢, ١٩٣٧, p. ٣٣١-٣٣٦. François, *Dictionnaire des orientalistes de langue française*, François Pouillon (éd.), nouvelle édition Pouillon, revue et augmentée, IISMM-KARTHALA, ٢٠١٢, p. ٧٣٤.

^٤ المراقبة المدنية: "اسم يطلق على الدائرة الموضوعة تحت رقابة مراقب مدني... المراقب المدني (تأسس بمنشور في ٤ أكتوبر

١٨٨٤) (لقب يسمّى به المراقب القائم على حراسة دائرة رقابة مدنية... عنصر ربط بين الإدارة المركزية والمستعمرة الفرنسية". انظر:

Lambert, Paul, *Dictionnaire illustré de la Tunisie : choses et gens de Tunisie*, C. Saliba Aîné, Editeur, librairie du Phénix, ١٧, avenue de France — TUNIS, ١٩١٢, pp. ١٣٤-١٣٣.

"الإدارة الفرنسية هي التي تعيّن القائد والمراقبين عن طريق السلطات العسكرية أو المدنية". انظر:

Messaoudi, Alain, *Les Arabisants et la France Coloniale, Savants, Conseillers, Mediateurs* (١٩٣٠-١٧٨٠), Lyon, ENS Éditions, Coll. « Sociétés, Espaces, Temps », ٢٠١٥, p. ١٣.

^٧ Lambert, Paul, *Dictionnaire illustré de la Tunisie*, op. cit, p. ٩٤.

^٨ Monchicourt, Charles, *La région du Haut Tell en Tunisie [Texte imprimé] : (le Kef, Tébourouk, Mactar, Thala) : essai de monographie géographique*, Paris : A. Colin, ١٩١٣, p. XIV.

^٩ *Révue Africaine*

^{١٠} *Révue Tunisienne*.

^{١١} *Révue de l'Histoire des Colonies Françaises*

^{١٢} *L'Afrique Française*

^{١٣} <http://www.idref.fr/026664704>

^{١٤} Monchicourt, Charles, *Un autre texte du 'Mémoire sur Tunis'*.

^{١٥} http://www.iblatunis.org.tn/pmb/opac_css/index.php?lvl=author_see&id=16024

^{١٦} Monchicourt, Charles, *La Tunisie au XVIIe et XVIIIe siècle*.

^{١٧} Monchicourt, Charles, *Mœurs indigènes, la fête de l'Achoura*.

تونس ٢، وتونس بعد الحرب: مشاكل سياسية، رد بالك (Rodd Balek)، ١٩٢٠-٣١٩٢١، ومنطقة النّالّ العالي بتونس (الكاف وتبرسق ومكثّر وتالة)٤، وحملة الإسبان عام ١٥٦٠ ضدّ جزيرة جربة٥. ووثائق تاريخية حول تونس: علاقات خفية٦، وعلى خطى رد بالك: مشاكل تونس بعد ١٩٢١: السيادة الفرنسية في تونس: حلّ مشكلة مالطة: التجنيس الذاتي والألي: المسألة الإيطالية: الفاشية وتونس٧، وله مقالات مثيرة. منها مقال عنوانه: ضرورة اعتماد اسم علم جامع للثالوث: الجزائر-تونس-المغرب٨.

٢. التنازع الحضاريّ بين الشرق والغرب في كتابات منشكور:

وهل الشرق والغرب إلا الأنا والآخر أو الآخر والأنا باعتبار زاوية النظر ومنطلقاته؟

من كتابات منشكور التي مدارها على التنازع بين الشرق والغرب ننتخب عمليين: الأول: أطروحته التكميلية والثاني: مقال مطوّل.

أ. الأطروحة التكميلية: وهي من أجل استكمال الدكتورا في الأداب. وقد وسومها بحملة الإسبان عام ١٥٦٠ ضدّ جزيرة جربة.

متح منشكور من التاريخ المشترك بين البلاد الإسلامية والبلاد المسيحية. ووضع الإصبع على مواضع دالة من هذا التاريخ. فكان التعبير على حساسية الوضع الأمنيّ الراهن في تونس يومها انطلاقا من ماضي البلاد. ارتدّ منشكور، إذن، إلى التاريخ ليكون معينه الثّر في صياغة الشاغل الأمنيّ. وحتى يكون خطابه مقنعا ارتأى الحفر في تاريخ جزيرة جربة٩. وصاغ فكرة في غاية الخطورة. تمثّلت فكرته تلك في تأكيد الخاصية التقديسية في الحرب التي دارت رحاها بين المسيحية والإسلام، في رقعة صغيرة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. يقول مقزرا أنّ تلك الحرب لم تكن بين بلدين. وإنما كانت مقدّسة، تقالنت فيها ديانتان: المسيحية والإسلام: "خلال القرن المذكور أنفا، كانت جربة، أربع مرّات في فضاء حروب الخمسين عاما أي في ١٥١٠ و ١٥٢٠ و ١٥٥١ و ١٥٦٠، مسرحا للقتال بين المسيحية والإسلام"١٠. شهدت جربة خلال حقبة هامة من تاريخها الوسيط، حربا ضروسا بين الأسبان والأتراك. وكانت الحرب، بحسب اعتقاد منشكور، دينية مقدّسة. ومن هنا ينجم السؤال التالي: هل يصطدم الاحتلال الفرنسيّ دينيا بدولة البايات في تونس ومن قبلها دولة الدايات في الجزائر؟

ثلاث نقاط يمكن الاحتفاظ بها، هنا، أولاها، وهي بديهية ولكن قد تغيب عن الناظر، أنّ تاريخ جزيرة جربة بخاصيتها الجغرافية تلك، يمثّل جزءا مهما من تاريخ تونس. وثانيها أنّ جربة التي مثّلت مدخلا حربيّا ما تزال ماثلة للعيان. وهاهنا يكون تبريران: إمّا لامتلاكها أسباب الصمود وإمّا لقابلية اعتبارها مدخلا استعماريّا دائما. وثالثة هذه النقاط تتمثّل في دواعي استحضار تلك الحقبة من تاريخ تونس وإسقاطها عليها في واقعها الراهن. لا يخفى على منشكور أنّ الأسبان الذين كانوا قد خاضوا حربا ضروسا ضدّ الأتراك، ليس لهم أيّ حضور فعليّ على الساحة السياسية، يومها. ولا يخفى عليه كذلك أنّ الترك هم الذين يتصدّرون منصّة الحكم في تونس يومها. يدرك منشكور جيّدا أنّ تونس واقعة تحت صراع جديد تمثّله الأطماع الأوروبية ممثّلة هذه المرّة في فرنسا١١. إنّ منشكور، وهو يستعرض محطات حربية ماضية، يوجّه لذوي الشأن رسالة تحذير من الوقوع في الهزيمة ذاتها التي مُني بها الإسبان قديما. يكتب منشكور تاريخ البلاد من وجهة نظر أمنية زمانية آنية. يقول معتبرا الصراع التركي-الإسبانيّ أخطر أحداث القرن السادس عشر: "واحد من الأحداث التي تملأ تاريخ

^١ Monchicourt, Charles, *La Mahalla d'Ahmad Zarroug dans le Sahel* (١٨٦٤).

^٢ Monchicourt, Charles, *La révolution de ١٨٦٤ en Tunisie*.

^٣ Monchicourt, Charles, *La Tunisie après la guerre* : (١٩٢١-١٩١٩) : *problèmes politiques*.

^٤ Monchicourt, Charles, *La région du Haut Tell en Tunisie*.

^٥ Monchicourt, Charles, *L'expédition espagnole de ١٥٦٠ contre l'île de Djerba*.

^٦ Monchicourt, Charles, *Documents historiques sur la Tunisie : relations inédites de Nysen, Filippi et Calligaris*.

^٧ Monchicourt, Charles, *Sur les traces de Rodd Balek ; Les Problèmes tunisiens après ١٩٢١*.

^٨ Monchicourt, Charles, *De la nécessité d'adopter pour la Triade Algérie-Tunisie-Maroc un Nom propre d'ensemble*.

^٩ تقع في جنوب شرق البلاد التونسية.

^{١٠} Monchicourt, Charles, *L'expédition espagnole de ١٥٦٠ contre l'île de Djerba*, Essai bibliographique- Récit de l'Expédition, Document originaux, Paris, Ernest Leroux, éditeur, ٢٥ rue Bonaparte, ١٩١٣.

^{١١} وكانت فرنسا تخشى منافسة الدول الأوروبية الأخرى على تونس وخاصة إيطاليا التي كان وجودها في تونس يشكّل خطرا حقيقيا.

القرن السادس عشر هو المنافسة بين إسبانيا وتركيا من أجل التسلط على المتوسط. أولى هذه القوى كانت متفوقة في الغرب والثانية كانت تهيمن على الحوض الشرقي. تونس الواقعة، تقريبا، على المسافة ذاتها من الخصمين، كان يجب أن تكون أحد حقولهما المفضلة للقتال" ١.

تفتن المستعرب منشكور إلى وظيفة التاريخ التعليمية الاعتبارية. فعاد إليه. وتخير منه حدثا يستجيب لحاجته مكانا وزمانا. واستنطق بعض أحداثه. ومن ثم تمكن من ضبط التواريخ وربط الأسباب بالنتائج.

يذكر منشكور من نسي التاريخ أو تناسه أن حملة الألبان على الجزيرة تعدّ عينة حربية جيدة منها تستقى الدروس والعبر. إنها الحرب "المنسية تقريبا اليوم والتي فكرنا في نبشها في إطار المساهمة في دراسة الصراع الإسباني-العثماني خلال القرن السادس عشر" ٢. وأهم ميزراته في هذا الاختيار هو انقطاع العنصر المسيحي من الجزيرة. ألم يقل: "عند وصول الأسطول التركي، تلقى المسيحيون نكبة بحرية ثم ورغم تصدّي دون ألفار دي صند (Don Alvar de Sande) فقد وقعت القلعة في التنازل. ودرغوث (Dragut) ظلّ سيّدا معترفا به لجربة ولطرابلس. الجزيرة لم يعد بإمكانها قبول جنود مسيحيين إلا بعد ثلاثمائة سنة" ٣. يخشى منشكور أن يؤول الاحتلال الفرنسي للأراضي التونسية للمال ذاته. فينشط الذاكرة الفرنسية. ويحرض على تحقيق نصر وامتيازات دون اعتبار لأصحاب الأرض والسيادة الأصلية. لهذا قدّم مثلا كانت فيه النتائج على قدر أسبابها. ولهذا أوعز بتغيير الأسباب لتكون النتائج مغايرة.

ب: المقال المطول: نشرته المجلة التونسية ٤. وهو بعنوان تونس وأروبا: وثائق تتعلّق بالقرون ١٦ و ١٧ و ١٨م.

يتمكّن الناظر في هذا العمل، بدءا بالعنوان، وصولا إلى قراءة متأنية تامّة، من الظفر برأي مبدئي مفاده: حرص منشكور على اعتبار تاريخ البلاد التونسية الراهن نتيجة منطقية لتاريخها الماضي. فحيث فشلت الحملات الاستعمارية السابقة ضدها كانت نقائص التخطيط وأخطاء التطبيق. ومن الخلل التنظيري والعجز الإجرائي أن تقع فرنسا فيما وقع فيه الأسلاف. يقول منشكور مخبرا على وسائله البحثية وأدواته المعرفية: "خلال بعض الأبحاث حول تاريخ علاقات تونس ببلدان أروبا الغربية عثرنا على وثائق كثيرة وإن كانت لا ترتبط براهن استثماراتها فإنها بدت لنا في غاية الأهمية لتكون جديرة بشرف إعادة نشر حرفي... ثلاث رسائل في نهاية عام ١٥١٠ يعبر فيها ملك أروغون (Aragon) فرديناند (Ferdinand) الكاثوليكي عن رؤاه في مشروع جديد لمحاولة اكتساح جربة وكذلك تونس" ٦.

بالإضافة إلى هذه الرسائل غير المنشورة عثر منشكور على كتيبات. ومن هذه الكتيبات واحد يتناول بالدرس شخصية ذات دور خطير في تاريخ تونس الوسيط. يقول معللا قيمة الكتيب: "لأنّ الكتيب يهتم بشخصية فريدة جدًا الحاج محمد شلبي نجل أحمد خوجة داي (ت ١٦٤٧) ٧". ويبدو أنّ فرادة هذه الشخصية تكمن في كونها تعرّفت على حضارتي الشرق والغرب ومارست الحياة الشرقية ونظيرتها الغربية وتعاملت مع شرقيين وغربيين وجربت المسيحية والإسلام وكانت عنصر وساطة بين هذين القطبين الحضاريين. يقول منشكور: "رحل إلى إسبانيا حيث اعتنق المسيحية... أراد ملك إسبانيا كفالتة ولقبه بفليب... عاد إلى تونس حيث استعاد دينه الأول... ولكنّه ظلّ يحمل ذوقا حيا جدًا للأوروبيين. وقدّم خدمات جليلة لمفوضينا ولا سيما عام ١٦٦٦م ٨". ينبّه منشكور من خلال هذا الاختيار إلى المغالطات التاريخية التي لم يُتقن إليها. ولما كانت ممكنة الوقوع في كلّ حال وحين، وجبت الحيطة ولزم الاعتبار. فهذا الآخر مخادع متلون لا يثبت على حال ولا يؤتمن جانبه.

٣. تجليات الإرهاب في خطاب منشكور بين التأكيد والتنسيب. نحاول تعقب هذه التجليات من خلال تبين مختلف الرؤى التي لهذا المستعرب في مسائل معينة. منها رؤيته لتصنيف الناس تصنيف عرقيا غريبا ومنها رؤيته للسياسيين التونسيين والفرنسيين عبر المقارنة بينهما...

أ- رؤية منشكور في تصنيف الناس:

١. op.cit, p. I *L'expédition espagnole*, Monchicourt,

٢. Ibid, pp. I-II

٣. Ibid, pp. I.

٤. وكان منشكور أحد مؤسسيها ومن أهمّ الكتاب فيها.

٥. Monchicourt, Charles, *La Tunisie et l'Europe quelques documents relatifs aux XVI^e, XVII^e et XVIII^e siècles*, Revue Tunisienne, A ١٢, Tri. ٢, N ٥٠, ١٩٠٥, pp. ٨٩, ٥١٦.

٦. Monchicourt, Charles, *La Tunisie et l'Europe*, op. cit, p. ٨٩.

٧. Ibid, p. ٥٣٠.

٨. Idem.

رأى منشكور رأيا عجبيا غريبا، أو لعلّه أن يكون رؤيا تجلّت له في فلق الصبح معالمها. رأى الناس ثلاثا، لكنّ عنصر ما يناسبه من الوظائف. فأعمال الفكر والإدارة للأوروبيّ. وأعمال المال والتجارة لليهوديّ. وأعمال الساعد، أي الفلاحة والحرف، للأهاليّ. قدّ منشكور من بنات أفكاره. وأين العجب إن كان الاستعباد قرين الاستعمار. ولكنّ العجب كلّ العجب أن تكون تلك الرؤية، حسب اعتقاده، من لدن الخالق ومن أسرار الخلق. إنّها مشيئة إلهية على المخلوق قبولها إيمانا وتسليما. يقول: "لكلّ عرق من الأعراق الثلاثة هذه لشمال إفريقيا أو الأديان قسّم الله (Allah) العمل تقسيما خاصا. الأهاليّ فلاح والإسرائيليّ تاجر والفرنسيّ إداري. توزيع عمل باهر وتقسيم عادل حقًا لا واحد من هذه العناصر قادر على أن يعتزل الآخرين. إيالة فيها ينقص واحد منها ليست معقولة. المؤمن ينحني أمام إرادة الله (Allah) الذي لا يروم إلاّ خير" ١.

بلغ هذا المستعرب الذروة في الاستعلاء على الآخر والاستكبار عليه. فقيم الآخر بمعيار عرقيّ بغيض غريب. والأغرب منه تعليقه بأصل الخلق. والأعجب منه دعوته الآخر إلى تقبّل قدريّ وقناعة دغمائية. فالخالق أعرف بمخلوقه. إنّها قسمة ضيزى التنبس فيها الدينيّ بالعرقيّ. فأثمرت، على الافتراض المبدئيّ، دونيّة الآخر وحفده عليه.

ب- رؤية منشكور في امتلاك الآخر: وهي نتيجة منطقيّة لرؤيته السالفة الذكر.

في شواهد ثلاثة يحضر المركّب الإضافيّ: محمّينا. الشاهد الأوّل: "للصحافة العربيّة في تونس أهميّة خاصّة؛ تبرز شدّة تعلق محمّينا بطباعتها" ٢. لنن ارتبط الشاهد الأوّل بمنزلة الصحافة عند التونسيين، فإنّ الثاني اتّصل بالمسألة الأمنيّة المتعلّقة بتخوّف الفرنسيين من تمرد من استعصى على الإدماج ضمن المحمّيين. ف"السوء، طبعاً، أن تولّب الصبغات ضدّ فرنسا وضدّ الحماية العقول الساذجة أو القليلة التكوين الذين مازالوا كثيرين ضمن محمّينا هنالك... ٣". وأمّا مجال الشاهد الثالث، فهو الإخبار عن صعوبة اختراق مجتمع الأهالي رغم توسل السياسة الفرنسيّة المستعربين واللغة العربيّة اللبّتين نافذتين. والملاحظ أنّ "القلّة من هؤلاء، لمعرفة اللغة العربيّة وموقعهم بالوظيفة أو المهنة في اتّصال دائم بمحمّينا" ٤. إنّ إطلاق لقب "محمّيين" على الأهالي، ثم نسبة المحمّيين للذات الفرنسيّة لبرهان على تحوّل الذات التونسيّة شيئاً يتملكه الآخر المحتلّ.

إنّ في هذا المركّب الإضافيّ "محمّينا" المضاف: جمع محمّيّ والمضاف إليه ضمير المتكلم الجمع. تدفع هذه التسمية بمتلقي هذا الضرب من الخطاب إلى التسأل: من هم المحمّيون؟ أمم الأهالي؟ ومن "نحن"؟ من المقصود به؟ والمحمّي من يحميه؟ وممّ؟ أو ممّن؟ ولم؟ ومن حوّل له حمايته؟ وما آليات حمايته؟

إنّ عبارة من هذا النوع، مشحونة بدلالات شتّى، مثيرة لحشد من الأسئلة المتنوّعة. وإنّ ورودها في سياقات مختلفة لا يخفي الخيط الناظم بينها. ذلك الخيط الذي ينتج خطاباً متماسكاً أخذ بعضه برقاب بعض، تنسجم معانيه وتتفق دلالاته وتتحد أبعاده. فيكون بذلك دالاً على مدى تحجيم السكّان الأصليين للبلاد ومدى الاستهانة بهم كذوات بشريّة تملك ولا تملك، تفعل ولا يفعل بها. إنّهم كيانات إنسانيّة. وإنّ في تشيبتهم لكثيراً من التحقير والكرهية والميز العنصريّ الذي لا يولد سوى البغضاء والشحناء ومن ثمّ التصادم والإرهاب.

وحثّى إفريقيا، محطّ أنظار الطامعين من المحتلّين وحَدَمَتهم من المستعربين، أضحت في خطاب منشكور منسوبة إلى الفرنسيين نسبة ملكيّة. فهي بتعبيره "إفريقيانا". تتواتر هذه العبارة بشكل لافت في خطابه. من ذلك قوله: "بان بجلاء أنّ تونس كانت الموضوع الحساس لإفريقيانا الشماليّة" ٥.

ج- رؤية منشكور في تخطيط البلاد وإعادة تسميتها: نظر منشكور إلى الأهالي نظرة دونيّة تكرّس الفارق العرقيّ. ثمّ أعلن تملك الآخر لهم من خلال نسبتهم إليه. ومن هنا يأتي حقّ التصرف في البلاد بعد تشيئة العباد.

ينشئ منشكور خطابه مخبراً عن مأمولات فرنسا من بسط نفوذها على المغرب الإسلاميّ الذي أطلق عليه، يومها، اسم شمال إفريقيا. فدّل خطابه ذلك، على انتمائه الفكريّ الاستعماريّ قبل دلالاته على انتمائه الترابيّ الإداري. يتكلم منشكور بضمير الجمع "نحن" فيسطر خطوطاً رفيعة في امتلاك الآخر وتسييره تسيير عارف متحصّر لجاهل متخلف. ولكن دون

^١ Monchicourt, Charles, *La Tunisie après la guerre* : (١٩٢١- ١٩١٩) : *problèmes politiques*, ١re série / Rodd Balek / ٢. éd., avec un appendice sur les réformes de juillet ١٩٢٢. / Paris, Publication du Comité de l'Afrique française, ١٩٢٢. , p. ٤٥٠.

^٢ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, pp ٦٠-٦٠.

^٣ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, p. ٦٠.

^٤ Jules, *Atha Allah fils de caïd(Folklore tunisien)*, préface: Monchicourt, Charles, Tunis, J.Aloccio, Abribat, ١٩٣٣.

^٥ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, p. ٤٤٤.

أن يغفل عن المغالطة في خطابه. يقول: "نريد أن تحتفظ الإيالة بمظهرها الأصلي ولكن في إطار الأمة كلها واحدة لا تتجزأ من بريست ١ إلى أكادير مرورا بطنجة ومن دنرك ٢ إلى قابس مرورا بكورسيكا. إنه حسب هذه الاتجاهات سترسخ الإصلاحات الضرورية في تونس، الدفع الذي سيجعلها تجتاز مرحلة جديدة، وإن كان عقد التألف الممضى في قصر السعيد (باردو) في ١٢ ماي ١٨٨١ ذات يوم بحاجة إلى أن يعوّض بميثاق آخر بين القريئين. إنه بهذا الاتجاه نعدّل الشروط المبطله"^٣.

ولفرط تنظيره لإلغاء الآخر وممارسة الضغوط النفسية عليه، شرع يتصرّف بحريّة تامّة في إلغاء أسماء ليست له وتثبيت أخرى. ومن ذلك أنه دعا إلى تسمية الجزائر وتونس والمغرب باسم واحد وإلغاء تلك الأسماء الفرعية إلغاء تامًا. وهذا الاسم هو ألتوما (ALTUMA)^٤.

د- رؤية منشكور في الاحتلال:

يتطوّر الخطاب الاستعراي. وتشتدّ اللهجة، حتّى لكأنّ منشكور، الذي سلخ من العمر ثلاثين سنة في مراكز إدارية فرنسية استعمارية وفي خطة المراقبة المدنية، تحديداً، في مناطق تونسية عديدة، رام نسج ملحمة بطولية لا تلين. فيتوسّل الاستفهام الإنكاريّ متخلّياً عن التقرير أسلوباً. يتساءل وقد وضع نصب عينيه سياسة الجلب والجدب والإدماج: "هل نترك هؤلاء الأفارقة عرضة لهذه الحملات المحتملة التي تستطيع أن تثيرها أو تدربها ضدنا أو ليس من الأفضل أن نجلبهم إلى حضننا؟ في مصلحتهم كما في مصلحتنا سيساعدون في تكوين كتلة موحدة لتنمية الأرض وللحماية المشتركة لكلّ الأروبيين المستقرّين في تونس"^٥. وتصبح إذّاك سياسة الإدماج إبهاما بالرعاية والحماية والتحضير.

ثمّ تراه يركب صهوة الدفاع المستميت متماهيا مع الاحتلال ناطقا باسمه معبّرا عن آرائه: "نحن لا ندّعي طرد المسلمين من إفريقيا. ولكننا نقرّ جهارا أنّنا في بلدنا تماما مثلهم"^٦. ولئن كان في خطابه هذا نوع من الطمأنة الظاهرة، فإنّ فيه من المعاني المضمّنة ما فيه. فلسان حاله يقول: لن نطردكم وسنبقى معكم. فمن يسود من؟ ومن البديهيّ أنّ منشكور ومن نطق باسمهم لن يقبلوا بغير السيادة لهم. ومن ثمّ لن يبقى لأهل البلاد غير الاستعباد. ولا ننسى أنّ منشكور كان قد قدّم رؤيته في تقسيم الأعراق بتونس. ولا ننسى، كذلك، أنّ الأسياد لا حياة لهم بلا عبيد. ويتوسّل الأسلوب ذاته كاشفا عن طبيعة غزو فرنسا لتونس والهدف المراد من ذلك الغزو. يقول مهدّدا هذه المرّة: "معنى ذلك أنّ جنودنا وإداريينا ومحتليننا أو تجارنا لن يغادروا. وعلى سبيل البيان الفيلق الثامن عشر من القنّاصة السنغاليين معضّدا بـ ٢٣٠٠ رجلا كان أرسل إلى تونس في سبتمبر"^٧. ويتماهي أكثر في الحماية بأبعادها المختلفة. فيعلن تصرّحا لا تلميحاً أنّ الفكّك من الاحتلال وهم: "لنكرّره بامتلاء! لسنا في تونس سائحين. لسنا فيها نقوم بنزهة تخبيم سياسيّ طويلة تقريبا مثل أنقلترا في مصر وإيطاليا في طرابلس"^٨. انظر إلى أيّ حدّ يتطوّر خطاب منشكور فيقطع أمل التونسيين من كلّ بارقة تحرّر ممكنة. ويملأ القلوب يأسا مقبّتا. ويصبح الاحتلال واقعا معيشا بل قدرا محتوما. إنّ خطاب منشكور هذا ينتج حالة نفسية مفارقة.

يعضد هذا الخطاب الفرنسيّ. فيزداد ثقة بما أنجز في مستعمراته. ويمضي قدما نحو مزيد من استغلال الثروات واستعباد الأهالي الذين تلبّست صورتهم عند القاصي والداني بالتخلّف والخنوع والاستكانة. ويزرع هذا الخطاب التونسيّ. فيزداد، هو الآخر، نفمة على ذاته العاجزة وعلى أدواته المتخلّفة وعلى ساسة بلاده المتخلّين عن مهامهم الحقيقيّة والواقعين في شرك الاحتلال وقوع انهيار واستسلام. وها هنا يتولّد الإرهاب النفسيّ الناشئ عن التحقير والتبئيس من استرجاع الأرض وصيانة العرض. وهو إذ يبلغ حالة اليأس تلك لا يكون أمامه إلاّ سبيلان: سبيل الانكفاء على الذات والتفوق أكثر فأكثر حتّى يجد ذاته على هامش الحياة، وسبيل الانفلات من العقال والقطع مع الجذور والتحوّل خدما عند أرباب الاحتلال. ينشأ، عندها، نوع آخر من الإرهاب هو العمالة والوشاية وتلقط أخبار الأهالي وأسرارهم: الأخ قبل الصديق. وقد تمكّن الاحتلال، فعلا، من توظيف بعض الأهالي في كثير من مستعمراته. بل إنّ المستعربين كانت قد جمعهم علاقات ومآرب بمثل هذا الصنف من الأهالي.

^١ مقاطعة فرنسية في جهة بريطانيا، مرفأ عسكريّ هامّ.

^٢ مقاطعة فرنسية شمالية ذات كثافة سكانية.

Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, p. ٤٥٢٣.

^٤ Monchicourt, *De la nécessité d'adopter pour la Triade Algérie-Tunisie-Maroc un Nom propre d'ensemble*, *Revue Africaine*, n° ٧٩, ١٩٣٦ p. ٢١٧-٢٢٦.

Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, pp. ٣٠-٣١.

^٥ Ibid, p. ٨٢٦.

^٦ Idem.

^٧ Ibid, p. ٨٣٨.

هـ- رؤية منشكور في سياسة تونس وفرنسا:

رسم منشكور صورة للسياسة الفرنسية وأخرى للسياسة التونسية، محاولاً إيهام متلقي خطابه بأنّ المشهد السياسي في تونس، يومها، كان مشطوراً بين ساسة لكلّ من تونس وفرنسا.

صورة السياسة التونسية: قدّمها من وجهين اثنين:

الوجه الأول: السياسة التونسية، يومها، سياسة حالمة. إنّ إطلاق هذا الرأي له تأثير بليغ في اتجاه التونسيين بزعة ثقهم في أيّ فعل يأتيه الساسة. ومن ثمّ إثارة الخوف فيهم وترهيبهم من الآتي المجهول. هذا الآتي الذي يمثل الاحتلال الفرنسي جزءاً محورياً فيه. وأما الاتجاه الثاني فيتعلّق بسلب الاحتلال الفرنسي التي تبني على خطاب منشكور هذا خطتها المستقبلية. فتغذّي أحلام ساسة تونس بالأمال الخلب. فيتهافتون على كلّ شيء دون أن يجنوا شيئاً. إنّ هذا النوع من الخطاب يغذّي نظرة الاستكبار عند الفرنسي ونظرة الاستصغار إزاء الآخر الواقع تحت نير الاحتلال. ومن هنا يتطوّر فعل الاحتلال باستباحة البلاد والعباد واكتساح الأرض والعرض.

ولكن ما عناصر الحلم المستحيل تحقّقه، وفق منشكور؟

أولاً: الصراع بين ألمانيا وتركيا على إيالة تونس. يقول: "في لحظات معينة تتغيّر عناصر الحلم. لم يعد تفويض الله (Allah) لمصائر الإيالة لألمانيا ولكن لتركيا"^١. إنّ تأكيد منشكور مسألة الصراع على تونس مثير من جهات ثلاث على الأقل: من جهة ألمانيا التي عليها مضاعفة قواها في التصدي لتركيا، ومن جهة تركيا التي عليها حفظ ما بحوزتها من خلال خطط حربية أو دبلوماسية كفيّلة بتحقيق مطامحها في إيالة تونس، ومن جهة فرنسا التي عليها الإفادة من الواجهتين الألمانية والتركية عبر تغذية الصراع وانتظار النتائج. وأما تونس المعتبرة يوماً محطّ أنظار القوى الدولية فأمرها يشنّد سوءاً: هي فريسة حرب وضحية صراع. وقد شهدت كلّ ألوان الإرهاب الدولي على أرضها. يؤثّر منشكور بخطابه هذا على مواطن الخلل التي على فرنسا اقتناصها في تونس.

ثانياً: انقطاع الصلة بين فرنسا والباي: "كان قد اختفى، الباي الشديد الإخلاص لفرنسا، قد اختفى. يعتبر الباي، يومها، ذروة السلطة التونسية. ويكفي أن يخبر منشكور بكون الباي مخلصل لفرنسا حتّى يزرع في قلوب التونسيين الرعب بتحوّل إخلاص القائم على البلاد والمسير لشؤون العباد من الوطن إلى معتصب الوطن.

ثالثاً: طبيعة الحكومة التونسية يومها: فقدان التجربة السياسية: "حكومة قلّة ٢ من الشباب التونسي كانت تقود الشؤون على هواها تحت الرؤية الغامضة باشا إمعة على طريقة القرن السادس عشر"^٣. تأكيد الافتقار إلى الخبرة السياسية يفقد التونسيين الثقة في المسؤولين والأمل في مستقبل مشرق. ومن هناك يرين اليأس والقنوط على المشهد العام والسياسي بصفة خاصّة.

رابعاً: اختراق العملاء والجواسيس للسياسة التونسية: "وهذا الباشا السفير اتّخذ بغرابة شخصية نوري (Nouri) الذي كان أرسل من طرابلس عميلاً إلى مثل هذه الشخصية التونسية الشابة، ك (سي) حسن قلاتي (Hassen Guellaty). كان العميل يحلم بإتمام مهمته وكانت الشرطة تحلم، باقتفاء أثره، أن تجني البراهين. ولكن من لا يصنع أحلاماً؟"^٤.

الوجه الثاني: السياسة التونسية سياسة غير مسؤولة. يستبدّ السؤال بمنشكور فيصّب جام غضبه على المسؤولين دون ذكر الأسماء. يعدّد المآخذ على السياسة التونسية والنقائص في الإدارة التونسية، معتمداً صيغة استفهامية معيّنة: "من سيقول...؟". وهذا التواتر ينتج في ذهن السامع إيقاعاً من شأنه أن يرسّخ القول ويدفع باتجاه التبرّم والاحتجاج والتمرد واشتعال نيران الثورة. يتساءل: "من سيقول الأنقاض مكّدة بفعل إجراء الشرع الملتوي العاجز؟ من سيقول الأيتام منهويون من قبل الأوصياء، والمقدّمون ٥ يغتنون على حساب مآلات الأوقاف الخاصة (انتقال الوصاية إليهم)؟ من سيقول تدنّي دراسات العربية في جامعة الجامع الأعظم؟ من سيقول، أخيراً، اختلاج الأعصاب المحركة للجمعية وذوق بعض

^١ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, pp .٥٥-٥٦.

^٢ oligarchie: أوليقارشية: حكم قلّة/ حكومة تهيم عليها جماعة صغيرة نافذة همّها الاستغلال.

^٣ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, pp .٥٥-٥٦.

^٤ Idem.

les moqaddéms °

المورّعين للأحكام من أجل توابل القضاة^١ والفوضى والابتزازات والرشوة (مرادف تونسيّ للبقشيش التركيّ) تسود في كلّ مكان لا تبلغه المراقبة الفرنسيّة أو لا تطبّق إلاّ بنقص. "هيا! لنكن منصفين، تونس الشهيدة الحقيقيّة تنتظر الكتابة"^٢. أيّ سياسة هي هذه التي لا تقي بالحدّ الأدنى من المسؤولية؟ تحيل هذه الاستفهامات على مواطن الخور ومضيع الفضل ومواقع الخلل في سياسة بايات تونس. رشّح منشكور هذه السياسة للنقدالمبنيّ على كون: "...السلالة الحسينيّة الحاليّة، هذه انتدبت وزراءها، حصرا، من مماليكها، عبيد بيض حيث كان يهيمن اليونانيّون والإيطاليّون أو الشركس. لقد كان أهل البلاد مقصيين من السلطة، إمّا لأنهم غير أكفاء وإمّا الخشية من طيشهم"^٣.

إنّه خطاب يُثير حفيظة التونسيّين على البابات الحسينيين وعملائهم ويُغير صدورهم بكراهيتهم والحقد عليهم. إنّه خطاب ظاهر يشي بأخر ضمنيّ: إنّ السياسة التونسيّة، سياسة بايوية فاسدة. وقد جنت، باستحقاق، حماية فرنسا لها. إنّه خطاب نقديّ ذو طابع تبريريّ لاحتلال بلد يعجز أهله عن تسييره. وعجزهم ذاك يحتمّ تدخّل من ليس عاجزا عن سياسة البلاد وتديبير شؤونها. ألم يقل: "ولكنّ البابات والوزراء ومحيطهم كانوا قد راكمو الكثير من الأخطاء والتجاوزات حتّى كان، في ١٨٨١، تدخّل أجنبيّ محتوم"^٤.

صورة السياسة الفرنسيّة: جعلها متعدّدة الوجوه

الوجه الأوّل: ليست سياسة استعماريّة. يبرّئ منشكور سياسة فرنسا من تهمة الاحتلال مؤكّدا دورها الأخلاقيّ في دفع الاحتلال الإيطاليّ عنها، ناهيك عن سياسة البابات كما تقدّم. فهي بهذا التصريح ليست مسؤولة عن احتلال تونس. بل لم يكن احتلالها لتونس سوى حتميّة اقتضاها أمران: طمع إيطاليا فيها وسياسة البابات. وهذا شاهد آخر تظهر فيه فرنسا منقّدة لتونس حامية لها: "لم تكن فرنسا في القرن التاسع عشر لتطمع في الإيالة. وكانت مقتنعة ببسط نفوذها الدبلوماسيّ والأخلاقيّ. وكان يفتيها ألاّ تستقرّ بها قوّة أخرى. بادرت فرنسا لتتمنع تعديّ إيطاليا. نفّذ الاحتلال بإراقة دم لا معنى لها من الجهتين. وتلته معاهدة"^٥. ولُنْتَساءل: أيّ أثر لهذا النوع من الخطاب يكون في نفسيّة التونسيّ وفكره؟ بلده محطّ أنظار الطامعين وفرنسا تتكفّل بالوصاية عليها. ليس لأحد مهما كانت درجة وعيه أن يقبل بهكذا تحليل وتبرير: السياسة الفرنسيّة، إذن، ليست استعماريّة وما كانت تريده من تونس سوى تحصينها ضدّ التدخّل الأجنبيّ!

الوجه الثاني: السياسة الفرنسيّة سياسة حكيمة: يرفض هذا المستعرب وسم سياسة فرنسا بالاستعماريّة، وهو إذ يفعل ذلك، فإنّه يندفع بشدّة لرصد تجلّيات الحكمة فيها. ويريد من المتلقّي أن يتقبّلها قبولا حسنا. فليس من الحكمة مناوئة الحكيم. إنّ التصديّ للحكمة عنه تتولّد الهمجية ويغيب التعلّل وينتج الإرهاب. ومن دلّائل الحكمة في سياسة فرنسا تجاه تونس جلبّ السلم لها. فما كانت فرنسا لتدخل تونس بجيوشها الجرّارة إلاّ لتؤمّن روع الأهالي. ومن ذلك، كذلك، القضاء على التجاوزات الماثلة في تونس في تلك الحقبة من تاريخها الحديث. ومن تجلّيات حكمتها السياسيّة، كذلك، أن جعلت النظام السياسيّ منقسما بين أصحاب الأرض وأصحاب العَرْض^٦، من حيث أجهزته ووظائفه: "في النظام الذي أرسى في تونس منذ ١٨٨١، الباي يملك، وأجهزة الحماية الفرنسيّة تحكم"^٧. معادلة طريفة لا تنطلي على العُقل الفُقل فكيف بمن خبر واقعه: يملك ولا يحكم ويحكم ولا يملك!

الوجه الثالث: السياسة الفرنسيّة سياسة عادلة: هكذا يطوّر منشكور خطابه في السياسة الفرنسيّة. فيترقّى به من الدفاع إلى التأثير بالإقناع. إنّه الفخر بسياسة فرنسا الاستعماريّة التي تتحوّل معها المستعمرة إلى جزء مكملّ لترايبها وتمتّم له. وبذلك، وبناء على هذا التسلسل الفكريّ، يصبح الناس فيها سواسية في الحقّ والواجب. يقول واثقا من قدرته على استدراج المتلقّي: "إنّ فرنسا، بكلّ أعصابها، تتمسّك بالمغرب وبالجزائر وتونس. إنّها لا تعتبرها كمستعمرات بقدر اعتبارها أجزاء متمّمة للتراب الوطنيّ تماما مثل بريطانيا وفلاندر والألزاس أو كورسيكا"^٨.

^١ les épices: توابل القضاة هدايا عينيّة كان المتقاضون يقدّمونها للقضاة قديما/ ضريبة المتقاضين. انظر: سهيل إدريس، المنهل،

م. س، ص ٤٧٨.

^٢ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, p .

^٣ Ibid, p .

^٤ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, p .

^٥ Idem.

^٦ L'offre

^٧ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, pp. ٥٤-٥٥.

^٨ Ibid, p .

الوجه الرابع: السياسة الفرنسية سياسة منقذة: ينسج منشكور في الأخير، خطابا مغالطيا تبريريا. إنّه خطاب مبنّي على ما تقدّم من سمات موجبة وسم بها سياسة فرنسا تجاه مستعمراتها تونس. يعرض منشكور تحليله السياسي للمسألة بكثير من المراوغة وغير قليل من المغالطة. إذ يقول: "فرنسا الحقّ المطلق لتمنع تونس من الوقوع في هاوية كنتك التي غرق فيها الشعب العثماني. لا ننسى أن انتظام الحياة والأمن العامّ اللذين تتمتع بهما الإيالة هي ظواهر تاريخية استثنائية مبنية، فحسب، على قوّة فرنسا".

السؤال الذي ينبغي أن يُطرح ها هنا: من حوّل لفرنسا الدفاع على تونس؟ من جعلها عليها وصية؟ أدرك منشكور أنّ خطابه هذا يفتقد إلى المصداقية وتتدبّى نسبة الإقناع فيه عند التونسيين الذين يعيشون الوضع في تلك الفترة من تاريخ تونس، معارضة لا خيرا. فسلك طريقا إقناعيا آخر تركز على المقوم التاريخي. قده النظر في تاريخ تونس إلى استنتاج طريف: احتلال فرنسا لتونس ليس طفرة في تاريخها. فتونس مرشحة تاريخيا للاحتلال. يقول: " لنلاحظ، بداية، أنّ تونس كانت دوما محكومة من قبل الأجانب^٢. دون الرغبة في الرجوع إلى أبعد من السلالة الحسينية الحالية...^٣. ومن هنا على التونسي، وهذا ما يريد منشكور إقناعه به، أن يقبل بالحضور الفرنسي على أرضه لأنّه مجرد حلقة من سلسلة تاريخية حتمية بالنسبة إلى تونس. نبش شارل منشكور في تاريخ البلاد بغاية المقارنة بين السياسات الأجنبية التي كانت تونس عرضة لها. فقارن بين الحقيتين: الإسلامية والرومانية. يقول: "... المقارنة بين الحقبة الرومانية والحقبة العربية ساحقة لهذه الأخيرة رغم تفوقنا الماديّ والأخلاقيّ المرتكز على حقّ سابق لميلاد الإسلام"^٤. ثمّ طوّر مقارنته المقارنية تلك للنظر في أثر كلّ من السياستين الرومانية والإسلامية في تونس. قارن، إذن، بين أثر الإسلام في الأهالي وأثر الرومان فيهم. وكان استنتاجه كالتالي: ارتقى الرومان بتونس إلى مصافّ الحضارة بينما سقطت تونس في مردّات التخلف خلال الحقبة الإسلامية!

الوجه الخامس: السياسة الفرنسية سياسة لا تفرط في إرثها: حفر منشكور، إذن، في تاريخ تونس القديم، بحثا عن مبرر أشدّ إقناعا للوجود الفرنسي على التراب التونسي. فتراث له الحقبة الرومانية مشرقة أصيلة. تماثل كلّ بين سياسة فرنسا الراهنة وسياسة روما الغابرة. يقول مادحا سياسة فرنسا غامزا في مواقف المناوئين: "مهما أرسلنا أنظارنا بعيدا إلى وراء، هذه الأربعون سنة تبدو مثل حقبة من أسعد الحقب التي عرفتها الإيالة أبدا. يجب لإيجاد نظيرها يجب الرجوع إلى أجمل القرون من الهيمنة الرومانية ذلك أنّ الحقب البربرية والعربية والتركية لا تقدّم شيئا معادلا يبقى، هكذا، مدة طويلة^٥؟

اعتلى منشكور، سلّم الحضارة ورأى من دونه دونه. وكان في خطابه الكثير من تورّم الذات وغير قليل من توهج الكيان. إنّه يعتبر فرنسا الوريثة الشرعية لروما. وإمّا حلّت بتونس لتسترجع إرثها.

نخرج بحوصلة مفادها أنّ خطاب منشكور هذا الذي نظرنا في عيّنات منه يكاد ينطبق عليه، بنسبة معتبرة، مفهوم الإرهاب الذي صغناه سابقا. فمنشكور بانتماؤه إلى كوكبة المستعربين يكون قد مارس بخطابه هذا عنفا جماعيا إذ لم يستثن من الأهالي فئة. وهو عنف منظم لكون صاحبه ينتمي إلى حكومة استعمارية تعضده بالمال والقوّة العسكرية. فهو موظّفها لأكثر من ثلاثين سنة. ولم يخف منشكور تشييعه للفرنسيّ حكومة وشعبا. ولم يغلف الخلفيات الإيديولوجية التي تحركه ولا التوجّهات السياسيّة التي يخدمها. بل صدع بأرائه ومواقفه ضدّ حرّية الشعوب وحقّها في تقرير المصير. بل عدّها عاجزة عن ذلك غير مؤهّلة خلفيا للنهوض بعبء الحضارة. ثمّ برأ فرنسا من تهمة الاحتلال واغتصاب الأوطان وما ينجّر عنها من ويلات الإرهاب: جرائم حرب وقمع وتوحّش واستعباد.

الخاتمة: استنتاجات وتوصيات

*الاستنتاجات:

١. الكتابات الاستعمارية، عموما، والفرنسية منها على وجه الخصوص، تمثّل فرعا من فروع أدبيات الاحتلال. فهو بهذا الاعتبار يكتسي صبغة توثيقية في غاية الأهميّة لكونها تقدّم صورة لطبعة التفاعل الحضاريّ في حقبة خطيرة من تاريخ البلاد العربية.

^١ Ibid, p. ٨٩.

^٢ Ibid, p. ٨٦.

^٣ Monchicourt, *La Tunisie après la guerre*, op.cit, pp. ٥٤-٥٥.

^٤ Ibid, p. ٨٢.

^٥ Ibid, pp. ٥٤-٥٥.

٢. معرفة الآخر تمرّ حتماً من معرفة الذات. فالذي لا يعرف ذاته لا يعرف الآخر ولا يقدر على التفاعل معه. وخطابات المستعربين تقدّم لنا صورة عن ذاتنا كما تمثّلها المستعربون أنفسهم.

٣. النتاج الاستعرابيّ نتاج مشترك بيننا والآخر. من حقّنا، إن لم يكن من واجبنا، التعرّف على مخزونه الفكريّ وأبعاده الثقافية وزوايا النظر المختلفة والمؤسّسة لما عليه الوضع الحاليّ من اتّصال أو انفصال بين الفكر العربيّ والفكر الغربيّ.

٤. خطاب منشكور الذي انتخبنا بعض عيّات منه يعدّ، في حدّ ذاته، مجرد عيّنة من خطاب أكبر هو الخطاب الاستعرابيّ ككلّ. وقد بدا مليئاً بمعاني التحقير والتشبيّه حدّ التملّك. وبداء، كذلك، مترعا بمضامين التمييز العرقيّ بين الأهاليّ والإسرائيلّيّ والفرنسيّ. وهو تمييز بلغ حدّ الفوارق بين الانتساب للأرض أو العرق أو الجنسيّة. وبداء، أيضاً، مكرّساً لدوافع الكراهيّة والعداء والعنف.

٥. هذا النوع من الخطاب لا ينشأ في مجال واحد محدّد. وإنّما هو ينمو في مختلف المجالات الحيويّة. وهو يتوسّل آليّات خطابيّة مختلفة. إذ يستقرئ المشهد بالنظر في مختلف جزئياته. ويستدلّ على الرأى المراد تأكّيده. ويقارن الحدث بنقيضه ووقفاً على المؤتلف والمختلف بينهما. ويجادل خصماً مقترضاً، محاججاً، سائلاً، حيناً، مقرّراً حيناً آخر...

*التوصيات:

١. إعادة الاعتبار للكتابات الاستعرابيّة المختلفة اللغات ووضعها على مسار البحث ومحكّ التشريح.

٢. إنجاز قاعدة بيانات متعدّدة المداخل تخصّ المستعربين وهم بأعداد كبيرة. فمثل هذا المنجز يبسّر عمل الباحثين لا سيّما المبتدئين منهم، ويكسب الأبحاث قيمة فنيّة ومصداقيّة علميّة.

٣. تخصيص أنشطة لاستعراض صعوبات ترجمة هذا النوع من النتاجات الحضاريّة ودراسة الترجمة باعتبارها عملاً جامعاً بين مهارتين: فنيّات تقنية تقتضيه لغة النصّ الأصل والنصّ المنتج بفعل الترجمة، وطاقة تأويليّة خاضعة للبعد الزمنيّ والثقافيّ اللذين شهدا نشأة النصّ.

٤. التعاطي مع هذا النوع من الخطاب بكثير من الموضوعيّة وغير قليل من الحياديّة. فمن رام بلوغ نتائج حقيقيّة عليه أن يوفّر أسباب الوصول إليها. ولا ينفع التحامل على نتاجات الغير شيئاً. بل قد يسيء كثيراً في فهم الآخر ومعرفته. فيتعطلّ إذّاك الحوار بين الأنا والآخر.

٥. التشبيك بين الجامعات العربيّة وعقد اتّفاقيّات شراكة بين مراكز بحث عربيّة وأخرى غربيّة لإخراج هذا المخزون الثقافيّ للوجود في أعمل مشتركة تكتسي صبغة الشهادة على العصر الغابر والراهن في آن.

قائمة المصادر والمراجع:

(دون اعتبار: ألف ولام التعريف-ابن-أبو)

أ- باللغة العربيّة:

١. إدريس، سهيل، المنهل- قاموس فرنسيّ عربيّ، ط٥٥، بيروت، دار الآداب، ٢٠١٣.

٢. التهانوي، محمّد عليّ، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعليّ دحروج، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٦.

٣. الشابيّ، أبو القاسم، ديوان أغاني الحياة، ط٧، تونس، الدار التونسيّة للنشر، ١٩٨٥.

٤. شارودو بتريك ومنغنو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، تعريب: عبد القادر المهيري وحماّدي صمّود، المركز الوطنيّ للترجمة، تونس، دار سيناترا، ٢٠٠٨. (النسخة الفرنسيّة، سوي، ٢٠٠٢).

٥. مجمع اللغة، المعجم الوسيط، ط٤، مصر، مطبعة الشروق الدوليّة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، ط١، دار صادر، لبنان، ١٣٠٠هـ.

٧. قرفال، نجاه، سفراء الزيتونة والمغرب: الخطاب والأثر، ندوة تاريخ الزيتونة في النصف الأول من القرن العشرين: الزيتونيون في مواجهة قضايا عصرهم: التجديد الديني، إصلاح التعليم، التحرر الوطني: ٢٩-٣٠ نوفمبر ٢٠١٦، وحدة بحث تاريخ الزيتونة، المعهد العالي للحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة بتونس.

٨. قرفال، نجاه، رحلة الاستعراب من الجزائر إلى تونس: من الترويج إلى التتويج: ليون روش نموذجاً، الندوة الدولية الرحلة في طلب العلم، تجلياتها وتحولاتها: ١١ و ١٢ و ١٣ أبريل ٢٠١٨، المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بالمهدية، جامعة المنستير بتونس.

ب- بغير اللغة العربية:

٩. [Abribat, Jules](#), Atha Allah fils de caïd (Folklore tunisien), préface: Monchicourt, Charles, Tunis, J. Aloccio, ١٩٣٣.

Lambert, Paul, Dictionnaire illustré de la Tunisie : choses et gens de Tunisie, C. Saliba Aîné, ١٠. Editeur, librairie du Phénix, ١٧, avenue de France — TUNIS, ١٩١٢.

. Larousse Dictionnaire Encyclopédique, Illustré pour la maîtrise de la langue française, la culture ١١ classique et contemporaine, en couleurs ٤٧٠٠٠ articles , Larousse, ٢١ Rue de Montparnasse ٧٥٢٨٣, Paris Cedex ٠٦, ١٩٩٣.

, Les Arabisants et la France Coloniale, Savants, Conseillers, Mediateurs (١٧٨٠- [١٢. Messaoudi, Alain](#) ١٩٣٠), Lyon, ENS Éditions, Coll. « Sociétés, Espaces, Temps », ٢٠١٥.

١٣. Monchicourt, Charles , De la nécessité d'adopter pour la Triade Algérie-Tunisie-Maroc un Nom propre d'ensemble, Revue Africaine, no ٧٩, ١٩٣٦ p. ٢١٧-٢٢٦.

١٤....., La région du Haut Tell en Tunisie [Texte imprimé] : (le Kef, Tébourouk, Mactar, Thala) : essai de monographie géographique, Paris : A. Colin, ١٩١٣.

١٥....., La Tunisie après la guerre : (١٩١٩-١٩٢١) : problèmes politiques, ١re série / Rodd Balek / ٢. éd., avec un appendice sur les réformes de juillet ١٩٢٢. / Paris, Publication du Comité de l'Afrique française, ١٩٢٢.

١٦....., La Tunisie et l'Europe quelques documents relatifs aux XVIe, XVIIe et XVIIIe siècles, Revue Tunisienne, A ١٢, Tri. ٢, N ٥٠, ١٩٠٥, pp. ٨٩, ٥١٦.

١٧....., L'expédition espagnole de ١٥٦٠ contre l'île de Djerba, Essai bibliographique- Récit de l'Expédition, Document originaux, Paris, Ernest Leroux, éditeur, ٢٥ rue Bonaparte, ١٩١٣.

١٨. Oxford Advanced Learner's Dictionary, International Student's Edition, (s.d).

Francois, Dictionnaire des orientalistes de langue française, François Pouillon (éd.), ١٩. Pouillon, nouvelle édition revue et augmentée, IISMM –KARTHALA, ٢٠١٢.

*المواقع الإلكترونية:

٢٠. كجي، حسنة، الجريمة البيئية جريمة إرهابية

/https://www.mahkamaty.com/blog/٢٠١٧/١١/٢٦/٩٩٢١

٢١. http://www.idref.fr/٠٢٦٦٦٤٧٠٤

الملخص:

يشهد العالم اليوم تحولات مفصلية في شأن التعاطي بين الأعراق والأمم. فالجدل حول جدوى الحوار بين الحضارات صار مفتقرا لكل مبرر. وحتى طرح صامويل هنتنغتون حول صدام الحضارات وطرح تلميذه فرانسيس فوكوياما حول نهاية التاريخ لا يمثلان سوى شكل آخر للحوار، رغم كونه مستفرا مفتقدا للندية والموضوعية. ومهما تكن الأصول الفلسفية والرؤى الاستراتيجية لهذا النوع من الفكر فإن الخطر الذي يستهدف الآخر مفعولا به لا يتوقف عنده. بل يجرّ معه فاعله أيضا. وها هنا مكن الخطر من جهة الأثر المادي وحتى المعنوي الناجم عن الخطاب باعتباره بنية فكرية لسانية تواصلية. ولئن كانت الدراسات المعاصرة قد تعاطت مع هذه المسألة من خلال النظر في النتاج الفكري المعاصر، فإنّ أحدا، حسب علمنا، لم يختير خطاب الاستعراب في مدى إسهامه في صناعة الإرهاب.

لقد صنّف المستعربون، في مظانّ دراستهم للعربية لغة وحضارة، في مسائل التنازع الحضاري بين الشرق والغرب. ولا ريب أنّ في ما حوته خطاباتهم الكثير ممّا يفيد في هذا المضمار. نطمح في ورقة البحث هذه إلى تسريح الأنظار في ما خطّ أحد المستعربين الفرنسيين الذين زامنوا احتلال فرنسا لتونس. إنّه شارل منشكور (Monchicourt, Charles) (١٨٧٣-١٩٣٧). إنّه صاحب تصانيف عديدة تمثّل منجما بحثيا حقيقيا يقتضي حفرا وتنقيرا، بحثا عمّا يمكن أن يكون قد تضمّنه خطاب منشكور من بذور الكراهية والعنصرية، ورصدا لما يمكن أن يكون قد أثمره من تصوّرات عدائية إرهابية.

الكلمات المفاتيح: حوار الحضارات-الشرق-الغرب-خطاب-استعراب-إرهاب-شارل منشكور.

الفهرس

دور الجامعات الأردنية في مكافحة الإرهاب والفكر المتطرف

د. وليد عبد الهادي العويمر

المقدمة:

شهدت الأردن تغيرات سريعة شملت معظم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما أثر على تماسك المجتمع واستقراره، وأدت إلى ظهور اتجاهات وقيم وأنماط تفكير لا تتفق وطبيعة المجتمع الأردني. ولذلك تستعين الدولة، كغيرها من الدول، بالنظام التربوي باعتباره من أهم النظم الاجتماعية، حيث يقوم على إعداد الفرد وتهيئته لمواجهة المستقبل، وكذلك المحافظة على القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع، والتجاوب مع الطموحات والتطلعات الوطنية.

لذا نجد أن سياسة التعليم في الأردن تنص على إعداد المواطن الصالح المؤمن بالله تعالى المنتمي لوطنه وأمته، المتحلي بالفضائل والقيم الإنسانية النامي في مختلف جوانب الشخصية الجسمية والعقلية والروحية والوجدانية والاجتماعية، المدافع عن قضايا أمتة العربية والإسلامية والوطنية وفق منهج علمي عقلاني موضوعي.

ونظراً لأهمية موضوع التربية الوطنية قررت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية منذ العام الدراسي ٢٠٠٤ تدریس مادة مستقلة للتربية الوطنية في التعليم الجامعي كمتطلب إجباري، وبررت ذلك بوجود ثلاثة أسباب تدعو إلى تدریسها:

- ١ - ضرورة وطنية لتنمية الإحساس بالانتماء وبالهوية.
- ٢ - ضرورة اجتماعية لتنمية المعارف والقدرات والقيم والاتجاهات، والمشاركة في خدمة المجتمع ، ومعرفة الحقوق والواجبات.
- ٣ - ضرورة دولية لإعداد المواطن وفقاً للظروف والمتغيرات الدولية.

مشكلة الدراسة:

تتعلق الدراسة من مشكلة محددة قوامها أن الدولة الأردنية عانت خلال مراحل زمنية متعددة من عمليات إرهابية نفذتها جماعات وعصابات متطرفة في الفكر والمنهج والسلوك. وقد أوقعت تلك العمليات العديد من الشهداء على الساحة الأردنية، ولم تفرق بين المسلم والمسيحي ولا الكبير أو الصغير ولا الذكر والأنثى. وما يميز معظم تلك العمليات الإرهابية أنها أرتكبت من قبل فئات شابة متعلمة كان يعول عليهم في البناء والنماء والتطور. ومن هنا فإن دراستنا تحاول أن تعالج هذه الإشكالية وهي انه على الرغم من ارتفاع نسبة التعليم في المجتمع الأردني خصوصاً التعليم الجامعي إلا أن ذلك لم ينعكس بشكل ايجابي على عقلية أغلبية طلبة الجامعات الأردنية، بحيث يكونوا أداة ووسيلة تساعد بفكرها العلمي النير إلى جانب مختلف مؤسسات الدولة الأردنية في مواجهة التطرف والإرهاب.

محتويات الدراسة:

سيتم تناول الموضوع من خلال أربعة مطالب:

المطلب الأول: منطلقات وأهداف مادة التربية الوطنية.

المطلب الثاني: رؤية ورسالة الجامعات الأردنية.

المطلب الثالث: دور الجامعات الأردنية في محاربة الفكر المتطرف.

المطلب الرابع: النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: منطلقات وأهداف مادة التربية الوطنية.

تعد مادة التربية الوطنية امتداداً عضوياً ووظيفياً لفلسفة التربية والتعليم باعتبارها بعداً من أبعاد الإستراتيجية الوطنية للتعليم العالي في أية من دول العالم. وتستمد التربية الوطنية كمادة علمية تربوية لطلبة الجامعات من الأصول والخلفيات

الاجتماعية والثقافية والدينية والقومية والإنسانية للمجتمعات، ومن مختلف العلوم سواء العلوم السياسية أو علم الاجتماع أو التاريخ أو علم القانون أو الجغرافيا وغيرها.

وتنطلق هذه المادة من مجموعة ثوابت راسخة على رأسها الأسس الدينية والاجتماعية والتاريخية والقانونية للدولة. والهدف العام من تدريس هذه المادة يتمحور حول ثلاثة أبعاد رئيسية هي:

ترسيخ الانتماء والولاء والاعتزاز بالوطن أرضا وشعبا ونظاما.

تأهيل الطلبة للقيام بأدوارهم المختلفة كمواطنين منتمين وداعمين ومشاركين في مسيرة التنمية الوطنية الشاملة.

إكساب الطلبة مرجعية معرفية مفاهيمية قيمية مهارية تمكنهم من الالتزام بالمواطنة الديمقراطية والسلوك الحضاري.

وفي تجربتنا الأردنية ينطلق مساق التربية الوطنية من مجموعة أسس ثقافية وتاريخية ودينية أردنية عربية تعمل على بناء الثقافة السياسية لأبناء المجتمع الأردني عن طريق التنشئة السياسية وذلك من خلال عدة طرق:

إكساب الطلبة معلومات أساسية تعزز المعرفة لديهم برموز الوطن، وقيادته، وتاريخه المشرف، وحضارته العربية والإسلامية. ويسمى هذا البعد بالمعرفة السياسية.

إكساب الطلبة مجموعة من التوجهات السياسية من خلال:

القيادة الديمقراطية للطلبة في الجامعات من خلال مشاركتهم بمختلف النشاطات المنهجية واللامنهجية والتي تمارس داخل حرم الجامعات، والتي تعزز فيهم المهارات القيادية بما يتلائم مع القيم الديمقراطية.

ولاء الطلبة لقيادتهم الهاشمية والتي يكون لمدرس المادة الدور الأكبر فيها.

تنمية قيم المشاركة السياسية الفاعلة للطلبة في مجتمعاتهم.

إكساب الثقة السياسية في المؤسسات الوطنية للطلبة من خلال تحويل الطالب الجامعي إلى مواطن ايجابي يدخل في مجالات أرحب، توسع آفاق المعرفة والاطلاع لديهم.

كما وتعمل الجامعات الأردنية من خلال تركيزها على مادة التربية الوطنية والتي تسعى من خلالها لتحقيق مجموعة أهداف من أبرزها:

تعزيز وتعظيم الشعور الوطني عند الطالب كالانتماء الوطني والولاء للقيادة الهاشمية والاعتزاز بالثوابت الوطنية.

تنمية حس المسؤولية بالمشاركة في تعزيز الهوية الوطنية الأردنية العربية الإسلامية.

تنمية وعي الطالب بإعلاء سيادة واستقلال الوطن وتنميته وازدهاره.

إعداد الطالب وتأهيله للمشاركة السياسية وتفعيل دوره كمواطن ايجابي.

إعلاء القيم الأساسية كالمواطنة والحرية والمسؤولية والتعددية السياسية وتعميق الوعي بالمشاركة في تعزيز الهوية الوطنية الأردنية العربية والإسلامية.

توعية الطالب بأولوية المصالح الوطنية العليا وتوعيته بأهمية الوحدة الوطنية.

التوعية بأهمية الأمن الوطني وضرورة المحافظة عليه وتعزيز ثقافة المواطنة.

تعزيز قيم وثقافة الديمقراطية لدى طلبة الجامعات.

ضرورة المحافظة على التراث الثقافي الأردني.

خلق اتجاهات ايجابية نحو العمل التطوعي.

تنمية التفكير العقلاني والحس النقدي واحترام الرأي الآخر.

اعتماد أسس الحوار لمواجهة جميع التحديات الوطنية والإقليمية.

زرق قيم الثقة بالنظام السياسي الهاشمي وكذلك الثقة بمختلف مؤسسات الدولة الأردنية الرسمية والخاصة.

المطلب الثاني: رؤية ورسالة الجامعات الأردنية.

كما هو معلوم في العرف الجامعي فإن للجامعة ثلاثة وظائف رئيسية: الوظيفة الأكاديمية، الوظيفة البحثية والوظيفة الخدمية للمجتمع المحلي. وهذه الوظائف الثلاث تتم بعملية متكاملة يصعب فيها التركيز على جانب وترك الجانب الأخرى . بمعنى أن أية جامعة لا بد لها إذا أرادت أن تعمل وتستمر ويكون لها حضور قوي في المجتمع المحلي أن لا تهمل المجتمع المحلي، بل تتعاون معه ولا تركز فقط على العملية التدريسية والبحثية في الغرف الصفية، بل يجب عليها أن تتعاون مع المجتمع المحلي وتطلع على أبرز المشاكل التي يعاني منها، وتحاول إيجاد حلول لهذه المشاكل بأسلوب علمي. وهنا يكون الربط الحقيقي بين ما هو نظري من محاضرات ونظريات ومفاهيم تعطى للطلبة، وبين ما هو عملي من خلال تطبيق القوانين والنظريات العلمية لحل المشاكل التي يواجهها المجتمع.

وكون النظام التعليمي والأكاديمي يلعب دوراً أساسياً في إحداث التغيير المطلوب في ثقافة الأفراد وسلوكهم الفردي والجماعي، فإن المؤسسات التعليمية يقع عليها العبء الأكبر في إحداث هذا التغيير الذي يعتبر مكملاً للنظام التعليمي التربوي في المدارس .

وانطلاقاً من ذلك فإن أهداف المؤسسات التعليمية بشكل عام والجامعات بشكل خاص، تتحدد في أربعة أهداف رئيسية هي :

نشر العلم من خلال إعداد متخصصين في المجالات العلمية والإنسانية.

الارتقاء بالعلم وتطويره من خلال البحث العلمي.

صقل شخصية الطالب وبناء جيل قادر على مواكبة المتغيرات.

توظيف العلم في خدمة المجتمع وتنميته.

وهذه الأهداف هي من صميم وظيفة المؤسسات الجامعية كمؤسسات أكاديمية، إضافة إلى مؤسسات أخرى تقوم بنفس الدور.

ولو نظرنا لأعداد الطلبة في الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة في مرحلة البكالوريوس سنجد أن عددهم وصل إلى حوالي (٢٦٠) ألف طالب وطالبة حسب إحصائيات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية للعام الجامعي ٢٠١٧/٢٠١٨.

المطلب الثالث: دور الجامعات الأردنية في محاربة الفكر المتطرف.

يقع على عاتق مؤسسات التعليم العالي دوراً كبيراً في مواجهة آفة الإرهاب والتطرف والتي باتت تؤرق المجتمعات والتي لا تتأتى إلا من خلال وضع إيديولوجيا واضحة المعالم تحاكي مطالب الشباب وتستقطب أنظارهم في اتجاهات بناءة وتبث في نفوسهم ثقافة الاعتدال والتسامح، وعلى مؤسسات التعليم العالي في مكافحة الإرهاب والتطرف من خلال الدور التنويري التثقيفي للطلبة والمجتمع بكافة مكوناته والتركيز على سلبيات ووحشية الفكر المتطرف الذي لا يمت للشريعة الإسلامية بشيء وتنبذه جميع الشرائع والأديان السماوية التي تؤكد على الوسطية والاعتدال في تقديمها للدين وبعيدا عن وصاية المجتمع. فالإرهاب والتطرف مرفوضان شرعا وقانونا وأخلاقا.

وتتبع أهمية دور الجامعات في بناء وترسيخ الوعي بخطورة التطرف والإرهاب لدى أفراد المجتمع من خلال ما تمتلكه من إمكانيات وكفاءات علمية على مستوى عالي من التخصص والاستعداد للتأثير في واقع المجتمع المحلي والعالمي ، وفق طرق ووسائل علمية حديثة ، تعتمد الموضوعية والمنهجية والتي تساعد في الوصول إلى النتائج بشكل أكثر دقة .

وبالتالي يقع على عاتق مؤسسات التعليم العالي دور كبير في إبراز هذه المفاهيم وعدم ترك الشباب فريسة سهلة في ظل استغلال البعض لعقول الشباب واستغلال ظروفهم المعيشية والفراغ السياسي والفكري لجذبهم نحو أفكار هدامة غايتها نشر ثقافة العنف والتطرف في العقول الناشئة.

ويعتمد دور الجامعات في مواجهة الفكر المتطرف من خلال ثلاثة جوانب متداخلة ومتشابكة وهي :

جانب معرفي معلوماتي.

جانب قيمي وجداني

جانب مهاري سلوكي.

وتقوم الجامعات بدورها الرائد في ميدان التوعية الأمنية من خلال عدة قنوات من أبرزها ما يلي :

تطوير إمكانات الطلاب العلمية المتخصصة بالشكل الذي يتناسب مع تحديات وتطورات العصر ، وخدمة الوطن وقضاياه

تأصيل المعرفة الوطنية لدى الطلبة من خلال إقرار مساقات إجبارية تتعلق بالقيم الوطنية والدينية والقومية للمجتمع ، وتاريخ الدولة وتطورها عبر مراحل زمنية متعددة . كل هذه المعارف تؤهل الطلبة للدفاع عن الدولة وشعبها فكريا وثقافيا ضد أي اعتداء.

بيان أهم العوامل المؤثرة على امن الدولة الداخلي والخارجي مع التركيز على إبراز دور المؤسسات الوطنية الأمنية سواء الجيش أو الشرطة أو الدفاع المدني أو المخابرات في تحقيق الأمن والاستقرار والحفاظ على النظام العام وممتلكات الدولة في مواجهة الأطماع الخارجية.

التعريف بالقيادة الرسمية في الدولة وبنظام الحكم وفلسفته ودوره في البناء والتطوير وحماية الأمن الوطني.

تعميق مفاهيم الدستور والقانون والديمقراطية والحرية والمساواة والعدالة بين الطلاب ، وحقوق الطلاب وواجباتهم اتجاه أوطانهم ، والطرق السلمية لممارسة الديمقراطية من الناحية الفكرية والعملية بما لا يؤثر سلبا على الأمن الوطني .

المساهمة في تطوير المجتمع المحلي بشكل خاص والدولة بشكل عام من خلال مجموعة البحوث والدراسات العلمية التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس والطلبة ، والتي تحدد أسباب وأبعاد المشكلات والتحديات الأمنية التي يواجهها المجتمع والدولة ككل سواء المشاكل القائمة أو المحتملة ، وأفضل الطرق والوسائل المقترحة على السلطة لمواجهتها بشكل يساعد على تحقيق الأمن والاستقرار .

بث وتدعيم الوعي الفكري والثقافي بأهمية التماسك الاجتماعي بين مختلف فئات وشرائح المجتمع ، والذي يساعد بالتالي في ترسيخ الأمن والاستقرار بين فئات المجتمع ، ويحول دون الصدامات القبلية أو الطائفية أو العرقية أو الدينية بين أبناء المجتمع.

الدعوة إلى إفساح المجال أمام الطلبة في المشاركة الطلابية لاختيار ممثليهم في الجمعيات الطلابية دون تدخل من أحد ، وحث الطلبة مستقبلا لأخذ دور فاعل في المشاركة في الانتخابات العامة ، وذلك لتقليل من الأغلبية الصامتة التي دلت معظم الدراسات على أنها خطر كامن على الأنظمة، والذي يهدد الأمن الوطني .

إشغال الطلبة في الأنشطة والاحتفالات الوطنية ، وملء الفراغ بالمحاضرات والندوات، إضافة إلى تعزيز دور البحث العلمي والتشجيع على الإطلاع على الثقافات الأخرى.

تشجيع أسلوب الحوار وثقافة التسامح وقبول الآخر وعدم إلغاء وجودة، وتقبل الرأي والرأي الأخر والتعددية والتنوع في إطار الوحدة الوطنية والإنسانية.

ومما سبق فإنه يتضح أن هناك دور رئيسي للجامعات تلعبه في بناء وصقل شخصية الفرد الجامعي من خلال تعزيز قيم وطنية عليا تعزز من بناء الوعي الأمني لدولته.

ففي المجتمعات الحديثة يتم تعزيز وتعميق الوعي الأمني من خلال التنشئة والتعليم العام ، عن طريق الفصل الدراسي الذي يشترك داخله المقررات الدراسية الرسمية والنشاطات المختلفة للمدرس والمناظرات ، التي تؤثر على النمو والتطور الفكري للطلاب وذلك من خلال :

١. المقرر الدراسي :

المقرر الدراسي هو جوهر النظم الأكاديمية ، والتي تضم كثير من القيم الأساسية للمجتمع، يتم تعزيزها من خلال اختيار مواد معينة، مثل القيم القومية والوطنية صور البطولة و الأحداث التي تمجد الأمة والمستقبل الزاهر والابتعاد عن الفرقة والتعصب والتصدع الذي يصيب الأمة أحياناً. ويمكن التأثير على الطالب من خلال مقررات التعليم العام عن طريق مادة التربية الوطنية.

٢. النشاطات الأخرى داخل الجامعات.

ومن هذه النشاطات الاحتفال بالمناسبات الوطنية وتخليد ذكر الرموز والقيادات الوطنية، التي تركت بصماتها الواضحة في مسيرة استقلال وسيادة الوطن ، وكذلك التركيز على أقوال القادة وصورهم وأحاديثهم والرموز التعبيرية التي تعكس الإخلاص والتفاني في سبيل رفعة الأمة.

٣. دور المدرس في الجامعة.

فالمدرس يقوم بدور أساسي في عملية التوعية الأمنية والفكرية لدى الطلبة، من خلال تأثيره على التطور الفكري للطالب و تأسيس نوع من الثقافة الوطنية والتعليمية أو النظام الاجتماعي في الفصل الدراسي، فيقوم بنشر قيم ثقافية وطنية متعددة تهدف إلى ترسيخ الوعي الأمني بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة.

٤. دور النشاطات الطلابية.

للنشاط غير الأكاديمي تأثير إيجابي على مقدرة الطالب المواطن؛ فالمشاركة توسع آفاق المعرفة وتثري الخبرة ونفاذ البصيرة والإدراك بالعمليات الوطنية والطالب المشارك في هذه الأنشطة يكون لديه فهم أكبر لكيفية إنجاز الأمور في نظام الدولة ، كما يكون لديه توجهات أكثر إيجابية تجاه الظواهر العامة.

فالاتحادات الطلابية يتم إنشاؤها عادة لإكساب الطالب قيم الحكم الذاتي التي تعود على الإجراءات التي سيواجهها في البيئة العامة، كما أنها توفر لبعضهم خبرة مباشرة عن المناصب الحكومية حيث أن الاتحادات الطلابية يتم تعميمها من حيث الشكل والعنوان كنماذج للمؤسسات الحكومية في بيئة الدولة.

ومن خلال ما سبق نجد أن رسالة الجامعات الأردنية أكدت على مبادئ ومنهج الوسطية في تربية الشباب وإعداده فكريا وسلوكياً، وتوضح هذه المبادئ في المحاور التالية:

أ. ينص النظام الأساسي للجامعات على أن رسالة الجامعات هي دعم وتنسيق جهود الجامعات، لإعداد الإنسان القادر على خدمة أمته الأردنية والعربية، والحفاظ على وحدتها الثقافية والحضارية، وتنمية مواردها البشرية، مما يحقق تطلعاتها، ومن ضمنها العمل على أن تلتزم الجامعات بالقيم النابعة من عقيدة الإسلام ورسائله الخالدة، وأن تعنى بالتراث العربي والإسلامي.

ب. تنص مبادئ وأهداف الإستراتيجية الأردنية للجامعات لتطوير التعليم العالي في الأردن، على بناء المواطن المتنور والمسئول الناقد القادر على توليد أفكار اقتحامية، والمحصن بقيم هويته الخاصة والثقة بالنفس جنباً إلى جنب مع التمسك بالقيم العربية الإسلامية الإنسانية وقيم التجدد البيئي، ويعني ذلك قدرة الخريج دائماً على تجاوز فكره ومواقفه بأكثر من قدرته على نقد الآخرين، وقدرته على الاستماع بأكثر من قدرته على القول، وقدرته على الاتصال البشري الواسع والمشاركة الاجتماعية بأكثر من قدرته على إعلان موقفه. (فخري، ٢٠١٥)

ج. من أهداف خطة تطوير التعليم في الأردن بناء القدرات لتعزيز التربية على المواطنة وترسيخ معاني العدل والسلم والقيم الإنسانية والدينية واحترام الحق في الاختلاف، وتقديره حسن الانتماء والشعور الوطني والقومي العربي وصولاً إلى ضمان الأمن الإنساني ورفد الهوية الوطنية بالهوية الكونية في عالم يحكمه الاعتماد المتبادل.

د. أن نظام التعليم في الجامعات الأردنية يرتكز في لوائحه على أن الجامعات مؤسسات علمية وثقافية تعمل على هدي الشريعة الإسلامية، وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية، بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمع في اختصاصاتها.

ه. كما تقوم أهداف التعليم في مختلف الجامعات الأردنية والمعاهد وكليات الشريعة فيها على تخريج موارد بشرية متكاملة الشخصية والتأهيل العلمي والثقافي والتحلي بسلوك حضاري وإنساني رفيع، ويكون شاهداً على عطاء الجامعة وكفاءتها.

التحديات التي تواجه الجامعات والكليات في تحقيق إستراتيجيتها.

من أبرز التحديات والإشكاليات التي تواجه المؤسسات الجامعية ما يلي:

أ. زيادة الطلب على التعليم الجامعي مما أدى إلى زيادة أعداد الطلاب في الجامعات والمعاهد وكليات المجتمع، مع الاستخدام غير الفاعل للموارد المتاحة، وقلة الفعالية بسبب ارتفاع نسبة عدد الطلاب لكل عضو من أعضاء هيئة التدريس.

ب. استنساخ البرامج التعليمية دون ربطها بحاجة المجتمع، تزامناً مع توفير تعليم جامعي عالي الجودة لجميع طلاب المجتمع في جميع المستويات.

ج. المنافسة القوية بين مؤسسات التعليم الجامعي سواء داخل المجتمع الواحد أم خارجه.

د. ضعف العلاقة بين الأستاذ والطالب داخل قاعات الدراسة أو خارجها، مع التبعية العلمية للجامعات الأجنبية، فبعض الجامعات تعدّ امتداداً للتقاليد الجامعية الأوروبية والأمريكية.

ه. اختلال التوازن بين النمو الكمي لأعداد الطلاب المتحقّين بالجامعات، وبين نوعية وجودة التعليم الجامعي.

و. النمطية في التخطيط والبرامج الدراسية، ونظم قبول الطلاب، ونظم تعيين أعضاء هيئة التدريس وترقيتهم ونظم التمويل ونظم التقويم المعتمدة في الجامعات.

ز. اختزال وظائف الجامعة في وظيفة واحدة وهي وظيفة التدريس دون الوضع في الاعتبار الوظائف الأخرى التي يمكنها أن تسهم في تأصيل مبدأ الوسطية والاعتدال لدى الطلبة.

المطلب الرابع: النتائج والتوصيات.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

تضمن مساق التربية الوطنية والذي يعطى لطلبة الجامعات كمطلب إجباري مجموعة كبيرة من القيم والأفكار والمبادئ الأخلاقية والإنسانية والوطنية والعربية والدينية، والتي تؤسس لبناء جيل مثقف متسلح بالعلم والمعرفة تزرع فيه قيم الولاء والانتماء لوطنه وأمه ودينه، وفق أسس علمية منهجية. مما سينعكس على فكره وسلوكه في المجتمع، فيكون عنصر بناء وتطوير للمجتمع.

بالإضافة لمادة التربية الوطنية، فإن التعليم الجامعي في الأردن يحتوي على مساقات ونشاطات لانهجية أخرى عديدة يمكنها أن تلعب دوراً سياسياً في صقل شخصية طلبة الجامعات الأردنية، من خلال الزيارات الميدانية للمؤسسات الأمنية والثقافية والوزارات ومنظمات المجتمع المدني، بهدف الاطلاع على تجارب تلك المؤسسات في مكافحة الفكر المتطرف.

بينت الدراسة كذلك وجود تجارب ناجحة لعدد من دول العالم، استطاعت أن توظف مضمون مساقات التربية الوطنية والمدنية في إعادة التوجيه الفكري والوجداني والسلوكي لطلبة الجامعات لديها. يمكن بالتالي للجامعات الأردنية أن تستفيد منها.

بينت الدراسة وجود ارتفاع واضح في عدد المنتسبين للتعليم الجامعي في الأردن، والذي يمكن الاعتماد عليهم بعد تخرجهم لبناء جيل مثقف ومتعلم وفق أحدث أساليب التعليم العالي، بحيث تمكنهم تلك المعرفة من مواجهة الفكر المتطرف في المجتمع الأردني.

التوصيات. في ضوء النتائج السابقة، فإن الدراسة تقترح بعض التوصيات والتي تأمل في حال الأخذ بها سيكتسب التعليم الجامعي في الأردن دوراً ريادياً في مكافحة الإرهاب والفكر المتطرف. ومن أبرز هذه التوصيات:

نشر العلم الشرعي بين الشباب للقضاء على ظاهرة التطرف بينهم مع إنشاء لجنة علمية من علماء الوطن الشرعيين في مختلف المجالات للرجوع إليهم في مختلف المسائل الخلافية وتكون لها فروع في مختلف محافظات المملكة.

تربية وتنقيف الشباب الجامعي على أساس الاعتدال والوسطية من خلال المؤسسات التربوية والثقافية مع توسيع دوائر الحوار الثقافي والحضاري بين فئات الشباب في مختلف الجامعات والمعاهد الأردنية.

بما أن الشباب هم نتاج لعملية تربوية وثقافية، فعلى المؤسسات التربوية والثقافية مسؤولية عملية تربيتهم وتنقيفهم من خلال المبادئ الإسلامية والوطنية والقومية، مع تقديم كل أوجه المساعدة للشباب على استقامة سلوكهم وعفة أنفسهم وتقوية أخلاقهم ومساعدتهم على تنمية الحس الإسلامي من منظور الوسطية الإسلامية.

بلورة برامج تربوية وثقافية وإعلامية تخاطب الشباب ولا سيما الجامعي، تهدف إلى تأهيل الشباب كي يكونوا إيجابيين مع متغيرات العصر من خلال الرؤية الإسلامية.

إعادة النظر في فلسفة التربية والتعليم والثقافة وأهدافها وغاياتها بما ينسجم مع أهداف التربية والثقافة الإسلامية بمفهومها الشامل الذي يهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح الواعي المثقف في إطار نظرة الإسلام الشاملة للإنسان والكون والحياة.

تشجيع المبدعين من طلبة الجامعات وتوفير مناخ ملائم لإشباع هواياتهم، مع إتاحة الحرية المنظمة للشباب ولا سيما شباب الجامعات من خلال المنظمات الجماهيرية والشبابية والشعبية والخيرية والجمعيات العلمية والأدبية داخل الجامعات وخارجها.

توفير فرص العمل ووسائل العيش الملائم للشباب، حتى يشعر بالاستقرار النفسي والأمني.

العمل على شغل أوقات الفراغ لدى الشباب بما هو مفيد ونافع، عن طريق الرحلات الترفيهية والمسابقات الثقافية والعلمية والندوات والمؤتمرات والمخيمات التي تقيمها الجامعات.

تنمية الثقافة الوطنية ونشرها بين طلبة الجامعات وفق تدرج معين، بما يؤكد ويعزز الانتماء الوطني والالتزام بالقانون ونشر قيم المساواة والتسامح والحرية وحقوق الإنسان والتأكيد على مبدأ قبول الآخر واحترام الآراء.

تطوير الأدوار المنوطة بالإعلام التعليمي والتربوي الجامعي من صحافة وتلفزيون وتواصل اجتماعي، بحيث لا يقتصر الدور على برامج تقدم، وتشرح المحتوى العلمي للمقررات الدراسية، بل تقدم أفلاماً وبرامج تحفز قدرات الطالب في المتابعة والبحث العلمي، وكذلك بث الرسائل التربوية.

بإبراز مفاهيم المواطنة وأخلاقيات المجتمع والتصدي للمظاهر السلبية والانحرافات ومن أهمها الفكر المتطرف.

الفهرس

الاسم و اللقب : صهيب سهيل غازي زامل، بوشاشية شهرزاد

المؤسسة الجامعية ١ : جامعة وهران ٢ محمد بن احمد الجزائر

الدولة : فلسطين- الجزائر

الصفة : طلبة دكتوراه سنة أولى

سنة التسجيل : ٢٠١٧-٢٠١٨

محور المداخلة : المواجهة و طرق التوجيه

عنوان المداخلة : دور المصالحة الوطنية في القضاء علي التطرف و الإرهاب " الجزائر نموذجا "

ملخص :

تبحث العديد من الدول عن الاستقرار السياسي للحفاظ على أمن الدولة ، ومن بين الدول العربية التي عاشت فترة معينة يسودها العنف والتطرف والإرهاب مما أدى إلي عدم استقرارها هي الجزائر ، هذه الفترة خلفت خسائر بشرية ، وفي سبيل تحقيق السلم والأمن ، وتحقيق لغة الحوار ومكافحة الإرهاب انتهجت الجزائر سياسة تشريعية بتبنيها ميثاق السلم والمصالحة ، كآلية لوضع حد للتطرف والإرهاب وكإستراتيجية لحل هذه الأزمة ، تدور أهداف هذه الدراسة في الاطلاع علي التجربة الجزائرية الذي أدت إلي استعادة التنمية والاستقرار .

الكلمات المفتاحية :

دور ، المصالحة ، الوطنية ، الحد ، التطرف ، الإرهاب

: Abstract

Many countries are looking for political stability to preserve the security of the state, and among the Arab countries that have lived a certain period of violence, extremism and terrorism which led to its instability is Algeria, this period has resulted in human losses and in order to achieve peace and security. Algeria is a legislative policy adopted by the Charter of Peace and Reconciliation as a mechanism to put an end to extremism and terrorism and as a strategy to solve this crisis. The objectives of this study are to examine the Algerian experience which has brought about the restoration of development and stability.

key words :

Role, reconciliation, national, limit, extremism, terrorism

مقدمة :

الجزائر في فترة معينة عرفت بعض من العنف والإرهاب مما أدى إلي عدم الاستقرار السياسي والأمني داخل البلد ، من خلالها تبنت الدولة الجزائرية سياسة تشريعية و ذلك بانتهاج مشروع ميثاق من اجل السلم و المصالحة الوطنية كآلية لوضع حد للتطرف وكإستراتيجية في حل هذه الأزمة ، يكمن دور المصالحة الوطنية في الوقاية ومكافحة التطرف العنيف و الإرهاب وذلك بالاطلاع علي التجربة الجزائرية في مجال المصالحة الوطنية التي بادر بها رئيس الجمهورية لإعادة امن واستقرار البلاد بعدما عان الشعب الجزائري من الفتنة التي طالمت مدة من الزمن والذي خلف خسائر بشرية فلم يكن الأمر سهلا ، فالمصالحة الوطنية التي شهدتها الجزائر كان الهدف منها معالجة الأزمات وحلها بالطرق التي تحافظ علي مقومات الدولة القانونية، ورغم الانتقادات التي وجهت لميثاق السلم والمصالحة الوطنية والنقائص التي اعترته حسب بعض

منظمات حقوق الإنسان ، أصبح حدا فاصلا بين عشرية الدماء و الدموع التي ميزت سنوات التسعينات ، و بين مرحلة أخرى تميزت بعودة الاستقرار إلى البلاد وعودة التنمية وكان ميثاق السلم والمصالحة الوطنية أيضا علامة فارقة علي هزيمة الإرهاب الهمجي الذي ضرب البلاد طيلة أكثر من عشرية كاملة ، وقد تم القضاء علي الإرهاب بفضل التحام الشعب الجزائري في كل مراحلها ، وبفضل تصويته الكبير الواضح لصالح ميثاق السلم و المصالحة ، إذ بعد السلاح هزم الشعب الإرهاب عن طريق السلم أيضا ويمكن القول أن الجزائر نجحت في تحقيق الاستقرار الأمني الاجتماعي والسياسي عن طريق تنفيذ ميثاق السلم والمصالحة الوطنية الامر رقم ٠٦-٠١ المؤرخ في ٢٧ افريل ٢٠٠٦ .

حيث جاء في مشروع الميثاق لسنة ٢٠٠٥: " لقد تبين الجزائريون والجزائريات أنه، من دون عودة السلم والأمن، لن يثمر أي مسعى من مساعي التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالثمار التي يتوخونها منه." كما جاء فيه: " إن المصالحة الوطنية.. مطلب غير قابل للتأجيل نظرًا لما تواجهه الجزائر من تحديات التنمية العديدة. " هذه الحقيقة، التي يؤكدتها مشروع الميثاق، تطرح سؤال كبيرًا عن جدوى مشاريع التنمية التي تخصص لها مبالغ ضخمة، إذا استمر تأجيل معالجة الجوانب السياسية اللازمة، نشأتها وتطورها وآثارها الخطيرة على وضع البلد الداخلي والخارجي. إن التقليل من العنف، ورفع المظالم، والتخفيف من معاناة المتضررين من الأزمة وضحاياها، مساع يؤديها كل عاقل ولكنها لتعوض التغيير السياسي الذي كان مطلبًا ملحا عند اندلاع الأزمة ولم يزد استمرارها وتطوراتها إلا إلحاحًا وأهمية، لقد رفعت السلطة منذ عشر سنوات نعم منذ عشر سنوات!! لواء السلم والرحمة والتسامح، وأقدمت بالفعل على اتخاذ تدابير للتقليل من العنف والتخفيف من معاناة ضحايا المأساة الوطنية، لكنها كانت توجل الحل السياسي الذي هو الوحيد الذي يضمن نجاح مشاريع التنمية، ويزيد من قدرة البلد على مواجهة التحديات التي أشار لها مشروع الميثاق ١ .

من هذا المنطلق التساؤل المطروح إلي أي مدي ساهمت المصالحة الوطنية في القضاء علي التطرف والإرهاب ؟ وهل كانت المصالحة الوطنية سببا في تحقيق الاستقرار السياسي والأمن داخل الجزائر ؟

نجيب علي التساؤلات التالية في ورقة البحث في تبيان مدي مساهمة آلية المصالحة الوطنية في زرع الاستقرار في الجزائر وذلك بالتطرق إلي الإطار المفاهيمي للمصالحة الوطنية كمحور أول ودورها في مكافحة التطرف و الإرهاب كمحور ثاني .

المحور الأول: الإطار المفاهيمي للمصالحة الوطنية

تبحث الكثير من الدول في العالم عن الاستقرار ،حيث أن الدول التي تتمتع باستقرار سياسي تحاول الحفاظ عليه ،أما الدول التي هي في طريقها إلى الاستقرار السياسي فإنها تكثف جهودها لتحقيق ذلك في اقرب وقت بواسطة المصالحة الوطنية ، وعلى هذا ما تقدم سوف نسلط الضوء في هذا المحور على ما يلي :

أولا : مفهوم المصالحة الوطنية

عرفت الكثير من الدول خاصة التي شهدت ثورات داخلية أو شهدت ويلات الاستعمار مصطلح المصالحة الوطنية ،ذلك إنها ترى فيه السبيل الوحيد لخروجها من الصراع وتحقيق الاستقرار كما إنها تعود بالفائدة على المجتمع ،وبتالي سوف نتطرق إلى تعريف المصالحة ، ثم نتطرق إلي تجربة الجزائر من مقرب العدالة الانتقالية

تعريف المصالحة

المصالحة مصطلح متعدد الأبعاد إذ يصعب تحديد تعريف له دون ربطه بجانب من الجوانب حيث نجد في المجال الاجتماعي المصالحة الأسرية وفي مجال علم النفس مثل المصالحة مع الذات ،أما في المجال السياسي نجد المصالحة الوطنية ،لوصول إلى مدلول المصالحة الوطنية لابد من التطرق إلى تعريف الصلح لغة واصطلاحا .

تعريف الصلح لغة

١ https://algeria-watch.org ، عبد الحميد مهري ،يجب ان يستمر البحث عن طريق المصالحة الوطنية ، اطلع عليه يوم ٤ -

١/ جاء في لسان العرب صلح: الصلح ضد الفساد، وأصلح الشيء بعد فسادة أقامه، وأصلح الدابة أي أحسن إليها فصلحت، والصلح أي تصالح القوم بينهم، والصلح السلم، وقد اصطالحوا وصالحوا وتصالحو وأصلحوا مشددة الصاد أي مصدر المصالحة والعرب تؤنثها والاسم الصلح يذكر ويؤنث، وصلاح من أسماء مكة شرفها الله تعالى يجوز أن يكونوا من الصلح لقوله عز وجل "حرما أمنا" ويجوز أن يكون من الصلاح، وقد سمت العرب صالحا ومصالحا وصالحا. ١

٢/ جاء في مختار الصحاح: الصلح ضد الفساد والصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث وقد اصطالحا وتصالحا وأصلحها بتشديد الصاد، والإصلاح ضد الفساد والاصطلاح ضد الاستفساد. ٢

٣/ جاء في المصباح المنير: صلح الشيء صلوحا من باب قعد، وصلح بالضم لغة وهو خلاف فسد، وأصلحته فصلح وأصلح أتى بالصلاح وهو الخير والصواب وفي الأمر مصلحة أي خير، وأصلحته بين القوم وفقت، وتصلح القوم واصطالحوا زال ما بينهم من خلاف، وهو صالح للولاية له أهلية القيام بها. ٣

٤/ جاء في المعجم الوجيز: تصالحوا، واستصلح الشيء أي طلب إصلاحه، وإصلاح أي اتفاق طائفة على شيء مخصوم اتفاق في العلوم والفنون على لفظ أو رمز معين لأداء مدلول خاص ويقال لكل علم اصطلاحاته، والصلاح أي الاستقامة والسلامة من العيب، وصالحه بمعنى صافاه. ٤

تعريف المصالحة اصطلاحا :

هو عقد يتوصل به إلي رفع النزاع وقطع الخصومة، وعرفه الحنابلة بأنه معاهدة يتوصل بها إلي الإصلاح بين المتخاصمين، الصلح جائز ومشروع، وربما كان مندوبا إليه، وقد وصفه القران بأنه خير، قال تعالى "والصلح خير" سورة النساء الآية ١٢٨، واجمع المسلمون علي مشروعية الصلح. ٥.

المصالحة الوطنية :

هي السعي المشترك نحو إلغاء عوائق الماضي واستمرارينا السياسية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتصحيح ما ترتب عنها من غبن ومآسي وأخطاء وانتهاكات وجرائم جسيمة والقطع نهائيا من قبل الجميع مع الحلول العنيفة في معالجة الملفات والقضايا المختلف حولها، والنظر بتقاول إلى المستقبل وذلك من خلال التأسيس في الحاضر للبنات غير المزيفة أو الكاذبة للديمقراطية. ٦.

١- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، كتاب الحاء المهملة، فصل الصاد، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ص ص ٥١٦-٥١٧.

٢- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، باب الصاد، الجزء الأول، مكتبة ناشرون، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٥٤.

٣- احمد بن محمد بن علي المقرئ الغيومى، المصباح المنير،، كتاب الصاد، الجزء الأول، المكتبة العلمية، بيروت، ص ١٥٤.

٤- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، حرف الصاد، ٢٠٠٣، ص ٣٦٨.

٥- <http://www.alukah.net>، الحسين بن محمد الشواط - عبد الحق حميش، تاريخ المقال ٢٨-٢٠٠٥-٢٠١٤،

تم الاطلاع علي الموقع يوم ١٤-٠٨-٢٠١٨، علي الساعة ١٠،٣٥

٦- المصطفى صويلح، مداخلة بعنوان المصالحة، أي غرض، أي مفهوم لأي أغراض؟ وبواسطة أية آليات؟، في إطار ندوة

المصالحة، بمدينة الرياض يوم ١٢ نوفمبر ٢٠٠٥. نقلا عن وناس فاطمة، المصالحة الوطنية كآلية لتحقيق الاستقرار السياسي في الجزائر، مذكرة ماستر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباحي، ورقة، الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١٣، ص ١٠.

تعرف على إنها رغبة الناس من(مختلف الأثنيات) في الثقة في بعضهم البعض ورفض كل النماذج الفكرية المسبقة حول (الأثنيات الأخرى) وعموما تعايش الناس من مختلف الأثنيات مع بعضهم البعض. ١

تعد شكل من أشكال العدالة الانتقالية التي تكون ضرورية لمساعدة المجتمع على الانتقال من ماضي يسود الانقسام، إلى مستقبل يتشارك فيه الجميع، وتأسيس المجتمع على أساس شرعية قانونية وتعددية وديمقراطية في الوقت ذاته. ٢

والمصالحة الوطنية أخذت عدة تسميات ٣:

الحوار السياسي: ظهر مع السلطة كبديلة لكلمة "الحوار" وكوسيلة لحل الأزمة، وعدت إليها مجموعة "المصالحة الوطنية" وتبناه الأحزاب الثلاثة الفائزة في انتخابات ١٩٩١، وهي جبهة التحرير الوطني، جبهة القوى الاشتراكية والجبهة الإسلامية للإنقاذ.

قانون تدابير الرحمة: أو ما يعرف قانون "التوبة" وكان عام ١٩٩٤م، والذي دعي إلى ترك السلاح والعودة إلى المجتمع، ووضع حد للزيف الدموي دون إشراك السياسيين الذين يعدون طرفا في الأزمة إلا انه باء بالفشل.

الوثام المدني: أصبح الأمن المطلب الملح للشعب الجزائري في ظل المجازر البشعة والنعراء في حقه، وأحس الجزائريون بأن خطر التدخل الأجنبي أصبح قائم عندما حلت بالجزائر بعثة الأمم المتحدة للأعلام والتقصي عام ١٩٩٨، لذلك أصبح المصالحة الوطنية شعار كل المرشحين السبعة للانتخابات الرئاسية في افريل من عام ١٩٩٩م وبعد أن جاء عبد العزيز بوتفليقة لسدة الحكم في عهده الأولى أعطى تسمية جديدة وقد صادق البرلمان الجزائري على "الوثام المدني" المصالحة الوطنية، فأصبحت تحمل تسمية قانون الوثام المدني، بدون إي معارضة م عرض القانون على الاستفتاء الشعبي بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٩٩.

تجربة الجزائر من مقرب العدالة الانتقالية

ليست المصالحة الوطنية فعلا معزولا عن التاريخ ولا مستقلا بذاته بل هي نتاج تطورات ومخاض سياسي حاسم ومتعدد تقف وراءها رؤية سياسية تؤمن بالثوابت الوطنية التي تشكل لحمة المجتمع الجزائري و سداه، وكل تجاوز لهذا الثوابت الوطنية يفقد المصالحة روحها الداخلي ويحولها إلى مجرد عملية استعراضية غير قادرة على النفاذ إلى عمق الأزمة الوطنية التي تمر بالمجتمع الجزائري والتي تتجسد في جوانب شتى.

بدأت الأحداث في الجزائر مع ظهور دستور جديد في ٢٣ فبراير عام ١٩٨٩، تلاه إصدار قانون طوى صفحة الاحتكار لحزب الجبهة الوطنية للتحرير، حيث أجاز طبقا للمادة (٤٠) إنشاء جمعيات ذات طابع سياسي، وسارعت الحكومة بإعطاء تصاريح لكل الأحزاب التي قدمت طلبات تأسيس، ومن هذه الأحزاب من له توجه إسلامي، وظهر أكثر من ٣٠ حزبا سياسيا. ٤

أجريت انتخابات البلدية في عام ١٩٩٠ وحققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزا كاسحا بالحصول على نسبة ٥٠%، وأجريت الانتخابات التشريعية في أواخر عام ١٩٩١ فحصلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على ١٨٨ مقعدا من أصل ٤٣٠ في البرلمان.

لم تكن الحكومة الجزائرية على استعداد لتقبل الأفكار والأطروحات التي تبناها الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي رفعت شعار إسلامي واضح، واعتبرتها الحكومة تغيرا جذريا في المجتمع والدولة لا يمكن القبول به، تدخلت قيادات المؤسسة العسكرية

١- طيبي غماري، تساؤلات حول شروط أنجاح المصالحة الوطنية في الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد ٠٣ ديسمبر، ٢٠٠٨، ص ٣٤١.

٢- محمد المخلافي، مداخلة بعنوان "إن الغاية النهائية من مشروع العدالة الانتقالية استكمال المصالحة السياسية بمصالحة مجتمعة"، في إطار ندوة الدولة المدنية طريقنا لبناء اليمن الحديث، ٢٠١٢.

٣- فضيلة حاج محمد، المصالحة الوطنية في الجزائر من منظور عولمة المن وتحولات القوة العالمية، المجلة الجزائرية للامن والتنمية، العدد العاشر، جانفي ٢٠١٧، ص ٣٢٨.

٤- فضيلة حاج محمد، المرجع السابق، ص ٣٣٢.

فأصدرت مرسوم يقضي بتعليق جلسات البرلمان، ثم استقال الشاذلي بن جديد في الحادي عشر من يناير ١٩٩٢ بعد ضغط من القيادات العليا للجيش. ١

تولى السلطة المجلس الأعلى للدولة وهي مؤسسة لم ينص الدستور الجزائري على إنشائها برئاسة محمد بوضياف، وتم تعليق الجولة الثانية من الانتخابات التي كان يلزم إجراؤها لعدم حصول أي حزب على الأغلبية، ومنعت الجبهة الإسلامية للإنقاذ من أي نشاط سياسي بعد أن رفع وزير الداخلية دعوى أمام الغرفة الإدارية للمطالبة بحل الجبهة، وعلى اثر ذلك صدرت عدة مراسيم لحل المجلس الشعبي البلدي والولائي التابع للجبهة، وتم فرض قانون الطوارئ الذي قامت الحكومة بموجبه الكثير من التدابير القمعية على الحريات، واعتقل عباس مدني وعلي بلحاج قائد الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وحكم عليهما بالسجن لمدة ١٢ عاما. ٢

تصاعدت وتيرة العنف في مطلع عام ١٩٩٢، واغتيل الرئيس محمد أبو ضياف في أواخر يونيو ١٩٩٢، وبدأت مواجهات دامية بين بعض أنصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ وقوات من الأمن والشرطة والجيش الجزائريين، وبا أن قيادة جبهة الإنقاذ ليس لها اليد العليا في الصراع المسلح، في يناير ١٩٩٤ تولى اليمين زروال رئاسة البلاد، وقدم مبدأ الحوار وقام بالتفاوض مع قيادة الجبهة المسجونين، وأطلق سراح العديد منهم، مما أدى إلى حصول اختلاف حاد بين الأطراف المناهضة للحركة الإسلامية، حيث رأى البعض انه لا بد من القضاء على الجبهة الإسلامية بالكلية ولا سبيل للتفاوض. ٣

ظهرت الجماعة الإسلامية في أواخر عام ١٩٩٤ واعتمدت العنف المسلح، بعدما قامت به السلطة من حل البرلمان وإقصاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ومع أواخر عام ١٩٩٤ أعلن زروال فشل المفاوضات مع الجبهة الإسلامية وطرح فكرة إنشاء مليشيات للدفاع عن القرى والأماكن المستهدفة حيث أن تحركات الجيش لا تكفي لمواجهة الأزمة الأمنية.

ثم عاد الجيش إلى طاولة المفاوضات بقيادة العماري رئيس مديرية الاستخبارات والأمن، ومدني مزراق قائد الجيش الإسلامي والت المفاوضات إلى توقيع هدنة في عام ١٩٩٧، وأصدر مزراق بيانا بوقف القتال من أول أكتوبر وافق على هذا القرار ثلاثة آلاف مسلح، في حين رفض الأغلبية هذا البيان واستمر الصراع والعنف في جميع التراب الوطني، إلى حين ظهر عبد العزيز بوتفليقة كرئيس للجمهورية الجزائرية.

استقال اليمين زروال من منصبه في سبتمبر ١٩٩٨ ودعا إلى عقد انتخابات رئاسية في ابريل ١٩٩٩ فاز فيها عبد العزيز بوتفليقة بعد انسحاب المنافسين، ومع توليه مقاليد الحكم في الجزائر بدأت مرحلة جديدة لتسوية النزاع القائم فعرض على البرلمان قانون "الوفاق المدني" الذي عرفه بأنه الصيغة السياسية لاتفاق بين القيادات العليا للجيش والجيش الإسلامي وطرح خطة السلام في استفتاء شعبي سنة ١٩٩٩ وافق عليها المشاركون بنسبة ٩٨%، ثم تلاه صدور عفو عن المسلحين الذين قبلوا تسليم أنفسهم ونبذ العنف في عام ٢٠٠٠.

في سبتمبر ٢٠٠٣ أسس بوتفليقة اللجنة الاستشارية لترقية حقوق الإنسان بهدف معرفة ما حدث للذين فقدوا خلال الأحداث الدامية، وتهربت الحكومة من دور قوة الأمن في الأحداث وفي يوليو ٢٠٠٥ ألقى بوتفليقة خطابا ناشد في الشعب بالعودة إلى العيش سويا والتكاتف من اجل معيشة أفضل. وفي الخامس عشر من أغسطس من العام ذاته اصدر مرسوما يتضمن مسودة ميثاق "السلام والمصالحة الوطنية" قدمت إطارا يدعو إلى طي صفحة العنف الذي استمر لعشر سنين حيث تشمل الوثيقة العفو عن كل المسؤولين عن العنف طالما لم تثبت عليهم جرائم قتل أو اغتصاب، وقبل بموافقة شعبية في الاستفتاء الذي اجري في التاسع والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٥، وكانت هذه الخطوبة بمثابة النهاية لسنوات العنف التي عرفت بالعيشية السوداء. ٤

ثانيا : أهداف المصالحة الوطنية في الجزائر

١- فضيلة حاج محمد، المرجع السابق، ص ٣٣٣.

٢- عبد النور منصوري، المصالحة الوطنية في الجزائر من منظور الأمن الإنساني، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنا، الجزائر، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص ٩٤-١٠٣.

٣- فضيلة حاج محمد، المرجع السابق، ص ٣٣٤.

٤- فضيلة حاج محمد، المرجع السابق، ص ٣٣٤.

تهدف المصالحة الوطنية في الجزائر إلى تحقيق جملة من الأهداف تتمثل في ما يلي:^١

العمل على المحافظة على الرصيد التاريخي للجزائر من النضال والكفاح والبحث عن الكرامة وعدم تشويهه بأعمال ليس لها علاقة بهذا التاريخ.

الحفاظ على مكتسبات أول نوفمبر ١٩٥٤ وإعادة استرجاع ذاكرة الاستعمار ومخلفاته من أجل بذل الجهد لإعادة بناء المجتمع لا تدميره على اعتبار إن لا يحس نعمة الاستقلال إلا من عاش فترة الاستعمار.

تصحيح الانحراف على المسار الوطني الذي خلف خسائر مادية وبشرية معتبرة لدرجة انه كاد أن يقوض أركان الدولة في مرحلة من المراحل، ومحاولة محو آثار المأساة الوطنية التي كان ضحيتها كل أطياف الشعب الجزائري دون استثناء.

استعادة الأمن والنظام العام على اعتبار أن أمن ممتلكات الناس وأرواحهم وحتى أعراضهم مسألة حيوية سواء في نظر الإسلام وحتى تحت حماية القانون.

التأكيد على حصانة الجيش الشعبي الوطني وكذا أسلاك الأمن لأنهم حماة الدولة الذين تحملوا القسط الأكبر من المأساة الوطنية في سبيل الحفاظ على الجمهورية .

التأكيد على سماحة دين الدولة ورفض أي استعمالات أو تشويهات مغرضة باسم الإسلام ومنافية للوطنية على اعتبار أن الإسلام دين تسامح وسلم لا دين عنف .

المحافظة على مقومات الهوية الوطنية والتأكيد عليها.

تحسين صورة الجزائر الدولية من خلال التزاماتها الدولية على اعتبار أن حرية المواطن وحرمة أمنه وأمن ممتلكاته من أهم أولويات السياسة الوطنية وكذا الهيئات الدولية والمنظمات المعنية بحقوق الإنسان .

المحور الثاني : دور المصالحة الوطنية في القضاء علي التطرف و الإرهاب

عند دراسة موضوع المصالحة من الشائع التفريق بين المصالحة فيما بين الأفراد أي المصالحة الفردية والمصالحة المجتمعية أي المصالحة الوطنية ، وربما تكون المصالحة فيما بين الأفراد أكثر إشكال المصالحة عمقا وفي حالة نجاحها قد يكون له اثر علاجي نفسي معنوي علي المجني عليه والجاني ، ولكن بشكل عام يعتبر هذا النوع من المصالحة نادرا نسبيا ، وتعد المصالحة المجتمعية سواء كانت بين المجتمعات المتجاورة أو المجموعات المتنازعة عرقيا أو دينيا أو سياسيا فكرة مجردة وفي الواقع قد تبدو بعض العبارات مثل "المصالحة الوطنية غامضة إلي حد كبير ، ولكن ليس هناك ادني شك في أن كلا النوعين من المصالحة من المعتاد حدوثهما ، وعلاوة علي ذلك ثمة اتفاق عام علي أن السعي لتحقيق عملية طويلة الأجل ، واعتمادا علي سياق معين والتواجد داخل ذلك السياق ،يمكن أن تبدأ عملية المصالحة من نقاط مختلفة فبالنسبة للبعض قد تبدأ عملية المصالحة علي مائدة المفاوضات ولللبعض الآخر عندما تتم محاكمة مرتكبي الجرائم وإدانتهم أو عندما يتم دفع التعويضات ، أو عندما يتم توجيه الاعتذار للمتضررين ،ولكن رغم أن هناك نقاطا عديدة لبدء عملية المصالحة فليست هناك نقطة نهاية واضحة فعملية المصالحة عملية مستمرة ولاسيما التي تكون في البلدان التي تكون فيها الحروب أو إرهاب الدولة جذور عميقة ودائمة ٢ ، تركز وثيقة المصالحة التي أنتت كمبادرة تكميلية لمسعى الوئام المدني علي عدد من الأفكار الأساسية في ميثاق السلم والمصالحة الوطنية الصادرة في ١٤ أوت ٢٠٠٥ وعليه فان هذا الميثاق جاء ٣ :

لرد الاعتبار للمؤسسات الأمنية جراء حملة التشكيك في احترافية المؤسسات الأمنية وبراءتها من التهم الموجهة إليها فيما يخص المجازر الجماعية والتقتيل خارج القانون وغيرها .

١- وناس فاطمة، المصالحة الوطنية كالية لتحقيق الاستقرار السياسي في الجزائر ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة " الجزائر " ،

ص ٤٧ ، سنة ٢٠١٢/٢٠١٣

٢ مارك فريمان ، إنجاح المصالحة دور البرلمان ، دليل للبرلمانيين ، ص ٨-٩ ، سنة ٢٠٠٥

٣ الأخضر عمر الدهيمي ، دور مؤسسات المجتمع المدني في التصدي للإرهاب ، التجربة الجزائرية في مكافحة الإرهاب ، ص

٢٣٠-٢٣١ ، دون سنة

إبطال المتابعة القضائية لصالح المسلحين الذين سلموا أنفسهم للسلطات المختصة بعد انقضاء الفترة المخصصة للتوبة في إطار الوثام المدني ١٣ جانفي ٢٠٠٠ ، واللاجئين السياسيين في الخارج المطلوبين أو المحكوم عليهم غيابيا .

العفو لصالح الأفراد المحكوم عليهم والموجودين رهن الحبس عقابا علي اقتراحهم نشاطات داعمة للإرهاب ، والأفراد المحكوم عليهم والموجودين رهن الحبس عقابا علي اقتراحهم أعمال العنف باستثناء مرتكبي المجازر الجماعية ومنتهكي الحرمات ومستخدمي المتفجرات في الأماكن العمومية .

إبدال العقوبات أو إعفاء جزء منها لصالح الأفراد الذين لا تشملهم الإجراءات السابقة الذكر سواء كانوا مطلوبين أو محكوم عليهم نهائيا ، بمعنى عدم غلق الباب أمام الفئات التي تورطت في المجازر الجماعية وانتهاك الحرمات والقيام بتفجيرات في الأماكن العامة والتي تشملها تدابير العفو وإبطال المتابعات بل منحها فرصة لاستفادة من تخفيف العقوبات إذا سلم أفرادها أنفسهم إلي السلطات المختصة .

إدماج التائبين المستفيدين من الوثام المدني ورفع المضايقات عنهم ، وذلك لان سياسة الوثام المدني قد تعهدت بإدماجهم .

كما دعي معالجة ملف المفصولين عن عملهم بسبب توجيهاتهم السياسية من خلال إعادتهم إلي مناصبهم وتسوية وضعيتهم الاجتماعية تسوية نهائية .

كما اقر المنع من الممارسة السياسية للعابثين بالدين والداعين إلي الجهاد ضد الدولة والمتورطين في أعمال العنف وتحميلهم مسؤولية الأزمة .

إقرار الميثاق لضرورة حل ملف المفقودين بإدراجهم ضحايا المأساة الوطنية وتعويضهم ماديا .

الدعوة للتكفل بعائلات الإرهابيين وإدراجهم ضمن ضحايا المأساة الوطنية في إطار الإجراءات الرامية إلي تعزيز التماسك الوطني .

أولا : عوامل نجاح المصالحة الوطنية

المصالحة في أبسط صورها إيجاد سبيل للعيش جنبا إلي جنب مع الأعداء السابقين ليس بالضرورة محبتهم أو العفو عنهم أو نسيان الماضي ، وإنما التعايش معهم، وتحقيق الدرجة اللازمة من التعاون لتقاسم مجتمعنا معهم، كي ننعيم معا ب حياة أفضل من حياتنا منفصلين ، فالمصالحة هي عملية شاملة تضم البحث عن الحقيقة ، والعدالة والعفو ، والتعافي من قبل جميع الأطراف التي قد تكون قد نشبت بينها صراعات لهذه الأسباب أو تلك وهكذا إن المصالحة الوطنية تتضمن بدائل للانتقام ١ ، وحسب التقرير النهائي المتعلق بتطبيق ميثاق السلم والمصالحة الوطنية الذي تبنته الدولة الجزائرية ، المتضمن نتائج نشاط خلية المساعدة القضائية لتطبيق تدابير الميثاق منذ تأسيسها (من يونيو ٢٠٠٦ إلى يونيو ٢٠١٥)، فإن عدد المستفيدين من تدابير ميثاق السلم والمصالحة الوطنية بلغ ٨٧٥٢ شخص في نهاية ٢٠١٤ ، من بينهم ٢٢٢٦ شخص غادروا المؤسسات العقابية خلال السداسي الأول من ٢٠٠٦، وتم بموجب نص قانون المصالحة استثناء كل المتورطين في المجازر الجماعية والذين ثبت ضلوعهم في التفجيرات في الأماكن العامة وفي جرائم الاغتصاب ، كما تمت معالجة ٤٤ ملف من ٥٠٠ متعلق بالأطفال المولودين بالجناب و ٢٧٠ ملف خاص بمعتقلي مراكز الجنوب ، وقد أكد معدو التقرير أن المصالحة الوطنية "نجحت"، بدليل أنه خلال عشر سنوات من تطبيقها لم يسجل أية "تصفية حسابات ولا انتقامات" بين الأشخاص المتورطين في الأعمال الإرهابية والضحايا وتسعى الجزائر اليوم، إلى "تصدير" نموذجها في إطار جهود ترقية ثقافة السلم والمصالحة الوطنية والتعايش السلمي على الصعيد الدولي، من خلال اقتراحها مبادرة إحياء اليوم العالمي للعيش معا في سلام التي تبنتها الأمم المتحدة ولقيت دعما كبيرا من دول العالم ٢ ومن بين عوامل نجاح المصالحة الوطنية هي كالتالي :

ترقية ثقافة التعايش السلمي ووضع حد للنزاع : إن موضوع التعايش السلمي بين المجتمعات هو موضوع الساعة، كما يعتبر هذا الموضوع من القضايا المهمة في هذا العصر وخاصة في أيام كثرت فيها النزاعات و الصراعات بل الحروب

^١ <https://www.iasi.net> ، عيسى إسماعيل عطية ، دور المصالحة الوطنية في تفعيل السياسة الخارجية العراقية ، مجلة

دراسات دولية ، العدد الرابع والأربعون ، ص ١٠٥ ، تم الاطلاع عليه يوم ١٢-٠٨-٢٠١٨ ، علي الساعة ١٧،٤٦

^٢ <http://www.aps.dz> ، ميثاق السلم والمصالحة : نموذج جزائري متميز في ترقية ثقافة التعايش السلمي قابل للتصدير ، أدرج

المقال يوم ١٥ ماي ٢٠١٨ ، تم الاطلاع عليه يوم ١٢-٠٨-٢٠١٨ ، علي الساعة ١٨،٠١

باسم الدين أو الجنس أو العرق أو اللغة وما شابه ذلك ونحن في حقيقة في زمن الصراعات الذي فقدت فيه ثقة التعايش في معظم المجتمعات العالم بحيث صارت أحادية التفكير والتمسك بالرأي الواحد والتعصب هي أسلوب الحوار في عالمنا اليوم ١ تمكنت الجزائر من خلال تبنيها ميثاق السلم والمصالحة بوضع حد للنزاعات واستعادة السلم والطمأنينة بين أبناء الجزائر

انخراط القادة في المسار السلمي : يتطلب ضرورة صيرورة مسار السلمي للمصالحة انخراط القادة بإرادة و تصميم و جدية ، رغم كل ما تمليه عليه الظروف من تعقيدات داخل الجماعة نفسيا بمعارضتهم و إجهاض المسار السلمي إلا انه ، على القادة تجاوزها و إظهار إلتحاحهم و عزمهم على مواصلة مجهودات السلام ٢ .

تحقيق الاستقرار السياسي : تعد مسألة الاستقرار السياسي في أي نظام و في أي بلد النقطة الأساسية والجوهرية في تحقيق أهداف التنمية وتنفيذ الإدارة لسياساتها التنموية فالدولة بصفة عامة تغيير نمط عملها وسلوكها من دولة حارسة تقوم على أساس الأمن والدفاع وتحقيق العدل تهدف إلى تحقيق الصالح العام وإشباع حاجيات المواطنين ، إلا انه ولتحقيق ذلك يجب أن تكون هناك موازنة بين تدخلها من جهة وبين توفير الديمقراطية وإشباع الحاجيات من جهة أخرى كما أن ذلك لا يتحقق إلا إذا كانت الدولة مستقرة آمنة ٣ . ميثاق السلم والمصالحة حافظ علي الوحدة الإقليمية للجزائر وساعد في إعادة الاستقرار السياسي وبناء دولة القانون والحق بعد أن عاشت البلاد العشرية السوداء التي خلفت خسائر بشرية ، والجزائر كغيرها من الدول عملت جاهدة في البحث عن الاستقرار السياسي طيلة المدة التي عاشتها خلال العشرية السوداء

تعزيز دولة القانون والحريات : دولة القانون تعني وجوب احترام السلطات العامة للقانون ، والقانون هنا يأخذ كبنية متدرجة حيث أن كل قاعدة لا تكون نافذة ومشروعة إلا إذا كانت مطابقة لقاعدة أخرى تعلوها درجة فاللائحة تحترم التشريع وهذا الأخير يحترم الدستور وهكذا ٤ . قانون ميثاق السلم والمصالحة ساهم في إرساء دولة القانون وحماية الحريات والحقوق وأعاد بناء الدولة .

ثانيا : التصدي للفكر الإرهابي في الجزائر

نشرت اليومية النرويجية " ذي لوكال" يوم ١٦ ماي ٢٠١٨ مقالا تحت عنوان " ماذا يمكن للعالم تعلمه من إستراتيجية الجزائر في مكافحة الإرهاب ؟" تناولت فيه تحليلا لخطاب وزير الشؤون الخارجية عبد القادر مساهل الذي أدلى به بمناسبة إحياء اليوم العالمي "للعيش معا في سلام" ، وضمن تحليلها ذكرت الصحيفة بأن يوم الـ ١٦ ماي الذي يرمز إلى اليوم العالمي " للعيش معا في سلام" هو مبادرة عرضتها الجزائر على الجمعية العامة للأمم المتحدة للاستفادة من تجربتها في مجال المصالحة الوطنية وترى نفس الصحيفة أنه " بفضل إحياء هذا اليوم يمكن للعالم الاستفادة من خبرة الجزائر " الفريدة من نوعها" والتي عرفت كيف تحقق انتقالا من بلد ممزق بسبب الإرهاب إلى بلد مبادر بالوفاق و المصالحة و الإدماج من جهة أخرى، أبرزت الصحيفة مقاومة الشعب الجزائري و قوات الأمن التي سمحت بالانتصار على الإرهاب و تعزيز السلم في الوقت الذي كانت فيه اهتمام المجتمع الدولي متجها نحو أفغانستان و العراق في هذا الصدد، أكدت اليومية النرويجية على بصيرة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة الذي بادر منذ انتخابه سنة ١٩٩٩ بإستراتيجية شاملة تهدف إلى دحض التطرف العنيف و علاج أمة مجروحة و أوضحت الصحيفة أنه في تلك الفترة التي " أراد فيها دعاة التشاؤم إسناد فرضيتهم حول نزاع بين الحضارتين الغربية و الإسلامية، فضل الرئيس الجزائري رؤية العالم و هو يعيش معا و يمضي نحو السلم والتفاهم و الحوار " ، كما وصفت الجريدة " النموذج الجزائري المبتكر للعدالة التصحيحية و إستراتيجية مكافحة الإرهاب بالنموذج المرجعي عبر العالم الذي يقوم على مقاربة متعددة الأبعاد في مكافحة

١ أغار محمد عبد الكريم- محمد عرفان فير محمد ، تعزيز التعايش السلمي والتنمية عن طريق مناهج التربية الإسلامية ، ص ٢ ،دون سنة

٢ دروم علي ، اثر المصالحة الوطنية علي الاستقرار السياسي ، مذكرة ماستر ، جامعة زيان العاشور الجلفة " الجزائر" ، ص ١٠ ، سنة ٢٠١٨

٣ إسماعيل بوقرة ، الاستقرار السياسي وأثره علي التنمية المحلية في الجزائر ، مجلة الحقوق والعلوم السياسية ، العدد ٠٨ ج ١ ، ص ٢ ، سنة ٢٠١٧

٤ محمد هاملي ، آليات إرساء دولة القانون ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أبو بكر بلقايد " الجزائر" ، ص ٣ ، سنة ٢٠١٢

الإرهاب بإشراك حلول ديبلوماسية و قانونية و اقتصادية و عسكرية مدعمة ببرامج في مجال التصدي للتطرف و إعادة الإدماج في هذا الخصوص، سعت الجزائر باهتمام كبير إلى ترقية نفس مبادئ العدالة التصحيحية و المصالحة من خلال المشاركة في المباحثات حول السلام بين الفصائل المتخاصمة في النزاعات في كل من مالي وتونس و ليبيا" حسب الصحيفة وقد وصفت نفس الجريدة اليوم العالمي " للعيش معا في سلام" ب " يوم للتحرك من أجل إنجاح الجهود الدولية للجزائر في تمرير رسالة سلام و تلاحم من جهة و كمبادرة بأنه يمكن للأمم الأخرى التي تواجه ظاهرة التطرف العنيف انتهاج نفس الطريق" وفي الأخير، دعت اليومية الرأي العام إلى التفكير في الكلمات التي أدلى بها الرئيس بوتفليقة خلال ندوة يونسكو سنة ٢٠٠٥ حول الحوار بين الحضارات والتي قال فيها إن "حلمنا يتوقف على قدرتنا على فهمنا لبعضنا البعض و قبول الآخرين بكل تنوعهم وهو تنوع قد يكون مصدرا لتقدم الإنسانية" ١. ويتواصل التصدي للإرهاب يوما بعد يوم مع الإبقاء علي سياسة المصالحة الوطنية .

فالمعركة ضد الإرهاب هي معركة من اجل حماية واحترام دولة القانون وتتبع مبادرة الجزائر في تعزيز سياسة المصالحة الوطنية عمق تجربتها المريرة في هذا المجال ، و من عزمها الراسخ على تعزيز ديمقراطيتها الناشئة التي لا تستثنى إلا أولئك الذين فضلوا اللجوء إلى العنف و إيماننا منها بأن المعركة ضد الإرهاب هي معركة من أجل حماية و احترام دولة القانون و الضمانات الأساسية التي تكفلها هذه الأخيرة لكل مواطن حسب الوثائق.ومن هذا المنطق فإن دولة القانون و الديمقراطية أصبحت تفرض نفسها كإحدى الحصون المنيعه المقاومة لكل الإيديولوجيات المتطرفة و مظاهرها العنيفة كما أنها "الضامن الفعلي" لترسيخ قيم العالمية التي تجمع شعوبنا و بلداننا و المجتمع الدولي برمته ، وإن لم يتم التكفل الملائم بهذه الإيديولوجيات والظواهر المتطرفة والتصدي لها و مكافحتها بجدية "فستشكل تهديدا لأسس المجتمعات و تضرب استقرارها و انسجامها ، بل إنها ستعرض السلم و الاستقرار الدوليين لأخطار جمة" ٢ ، في العديد من المناسبات ، صرح رئيس الجمهورية أن "المصالحة الوطنية" ستشكل خطوة حاسمة في عملية تجديد بلدنا وهذا يدعو جميع الجزائريين إلي التسامح دون أن ننسى ، صرح أيضا على أن "المصالحة الوطنية" هو خيار واع الذي يؤدي المصلحة العليا للأمة ، إنه خيار استراتيجي يمكن أن يقلل من جروح كل شيء ، و تم تنفيذ هذه السياسة مع الهدوء والتصميم وفوق كل قناعة عميقة في قدرة على الشعب الجزائري أن يحول الصفحة المؤلمة من المأساة الوطنية إلى إعادة وضعها لقد تم استعادة الأمن والسلام والاستقرار بفضل التعبئة القوية المؤسساتية السياسية والعسكرية والأمنية والإدارية للدولة ، الجزائر مقتنعة بأن سيادة القانون والديمقراطية التشاركية، بما في ذلك جميع الذين يحترمون النظام الدستوري وقوانين الجمهورية ونبذ العنف ، هي من بين أكثر الأدوات فعالية في القتال ضد التطرف العنيف والإرهاب ٣ . ميثاق السلم والمصالحة اظهر بوضوح في محاربة الإرهاب تجمع بين القانون العادل و شروط الاندماج الاجتماعي و الاقتصادي مع تامين من صنعوا من قوات الأمن والجيش في الحفاظ على الطابع الجمهوري للجزائر ، وبفضل هذه السياسة وافق آلاف الثائبين على تسليم أنفسهم بمحض إرادتهم و العودة للمجتمع والاندماج فيه من جديد، أتاحت أيضا معالجة مختلف جراح المأساة الوطنية على نحو ملائم من مفقودين أو نساء تعرضن للاغتصاب من قبل الإرهابيين في المناطق الجبلية كضحايا للإرهاب ٤ .

^١ <http://www.radioalgerie.dz> ، التجربة الجزائرية في مجال القضاء علي التطرف تحظي بإشادة اليونسكو ، تم نشره

سنة ٢٣ - ٠٥ - ٢٠١٨ ، تم الاطلاع علي الموقع علي الساعة ١٨،٢٤ ، يوم ١١-٠٨-٢٠١٨

^٢ <http://www.mae.gov.dz> ، ترسيخ التجربة الجزائرية في مكافحة الإرهاب والتطرف والعنصرية ، مقال تم نشره ٧ - ٠٩ -

٢٠١٩ ، تم الاطلاع علي الموقع يوم ١١-٠٨-٢٠١٨ ، علي الساعة ١٨،٥٠

^٣ L'ALGERIE ET LA DERADICALISATION UNE EXPERIENCE A PARTAGER , Le Ministre des Affaires Maghrébines, de l'Union Africaine et de la Ligue des Etats Arabes , P ٢ et ٣ , septembre ٢٠١٥

^٤ قبي ادم ، آليات المقاربة الجزائرية في مكافحة الإرهاب ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد ٣٠ ، ص ٥١٥-٥١٦

، سنة ٢٠١٧

الخاتمة

من خلال ورقة البحث نستخلص أن المصالحة الوطنية التي تبنتها الجزائر كسياسة تشريعية ، أنتت بنتائج ايجابية خلال الفترة التي ساد فيها العنف والتطرف والإرهاب ، حيث إن ميثاق السلم والمصالحة أزال آثار صراع الماضي وحقق نوعا من التعايش السلمي بين أفراد المجتمع . إذ حققت أيضا نوعا من إصلاح سياسي وخروج من أزمات ، فكان هذا الميثاق بمثابة خطوة نحو التنمية وإعادة الأمل وبناء دولة ونظام سياسي مبني علي أسس ديمقراطية وعليه النتائج التي حققتها المصالحة الوطنية تكمن في :

إن ميثاق السلم والمصالحة غايته هي استعادة الاستقرار للبلاد ، حيث حافظ علي الوحدة الإقليمية في الجزائر وأعاد بناء دولة عاشت دمارا شاملا بسبب الإرهاب في فترة معينة .

إن ميثاق السلم والمصالحة غايته التصدي للجماعات الإرهابية ومكافحة التطرف واستعادة الأمن والنظام العام في البلاد .

لهذا ندعو جميع البلدان التي تمر بفترة حرجة وأزمات وعدم استقرارها سياسيا بتبني فكرة المصالحة الوطنية لهذا :

قولوا "نعم" للمصالحة الوطنية من اجل أجيال صاعدة بعيدا عن مشاعر الكراهية ، وإنهاء المآسي والتصدي للفكر الإرهابي .

قولوا "نعم" للمصالحة الوطنية للعيش بسلام وتحقيق الأمن واسترجاع الطمأنينة ، ومحو آثار الدماء ، والحفاظ علي مقومات الهوية الوطنية ، وتعزيز حماية الحريات وحقوق أفرادها .

الفهرس

التعاون الدولي والإقليمي في مكافحة الإرهاب

بحث مقدم الى جامعة الطفيلة التقنية للمشاركة في المؤتمر الدولي الثالث بعنوان (حوار الحضارات والثقافات الثالث)
المنعقد في ١٠-١٢ اكتوبر ٢٠١٨

إعداد

م.م. نور ليث مهدي

قسم القانون

كلية الإسراء الجامعة

المقدمة

إن مشكلة الإرهاب أصبحت أخطر ما يهدد المجتمع الدولي، فعالم اليوم يتعرض إلى موجة ضخمة من الأعمال الإجرامية التي تستهدف الأبرياء في حياتهم وأموالهم، وتعطل النشاط الاقتصادي والاجتماعي في هذا العالم، وبسبب الخوف والفرع وعدم الثقة ليس بين الأفراد فحسب؛ بل بين الدول أيضاً.

وبسبب ذلك وقف المجتمع الدولي مضطراً غير مختار ليوافق هذا الإرهاب الاعمى، الذي لا يميز بين أهدافه ايا كانت. حيث تزايدت خطورة الإرهاب الدولي كونه لا يهتم بأرواح الأفراد ولا بممتلكاتهم، فالمهم دائماً لدى الإرهابيين هو تحقيق أهدافهم دون مراعاة لأي قواعد إنسانية، أو أخلاقية، أو دينية، وإرهابهم تجاوز الحدود والفواصل بين الدول، وهو بجميع أشكاله ومظاهره يمثل تهديداً للسلم والأمن الدوليين كونه عملاً إجرامياً لا يمكن تبريره بغرض النظر عن دوافعه، فالعمليات الإرهابية التي ضربت دول العالم بدافع التعصب أو التطرف تشكل تهديداً لمصير الدول، لأنها اتصفت بصفة التدويل، إذ أصبح من المعتاد أن تتجزأ أركان ومكونات العمليات الإرهابية، فيخطط لها في دولة، وتمول من دولة ثانية، ليتم تنفيذها في دولة ثالثة.

وقد اخذت السياسة الجنائية في مجال مكافحة الإرهاب دوراً بارزاً في مجال القانون الدولي العام، عن طريق دفع الدول الى تشريع نصوص قانونية تجرم الإرهاب وتعاقب مرتكبيه (١)

ويعد العراق من الدول التي عانت وما زالت من جرائم الإرهاب الدولي في الوقت الراهن وينبغي التنبيه إلى أن تنظيم داعش الإرهابي لم يتشكل فجأة وإنما هو نتيجة دعم الدول الغربية وبعض الدول المجاورة، إذ وضعت تجاربه التدريبيه والاستخباراتية تحت تصرف هذا التنظيم.

وعلى اثر ذلك امسى العراق مثخن بجراح العدوان والاحتلال في حربه على تنظيم داعش الإرهابي، وما عاناه من انتهاك لحقوق الإنسان، وقتل بأساليب همجية دموية لأبنائه، وتهجير، على يد جماعات همجية تحمل فكراً دموياً وتنتمي إلى العصور المتحجرة، وتمتلك الدعم المالي والعسكري ووسائل التقدم التكنولوجي التي تنفذ بها عملياتها الإرهابية بدرجة من الدقة والإتقان، وهم عبارة عن أداة لتحقيق أهداف دول ومنظمات مستترة خلفها للتوصل من المسؤولية الدولية، فتستعمل الإرهاب بديلاً لأعمال الحرب التقليدية بين الدول لضعف قوتها العسكرية أو لتجنب ضغوط الرأي العام العالمي. ان مسؤولية مواجهة الإرهاب تقع على عاتق الجميع، فلا مهرب من التعاون الدولي والإقليمي في سبيل واد هذا الوحش الهائج.

سبب اختيار البحث

تم اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١- لإرتباطه الوثيق بحقوق الأفراد وحررياتهم من جهة، وبالسلم والأمن الدوليين، ومتطلبات الحفاظ عليهما دولياً ووطنياً من جهة أخرى.

٢- لبيان اليات التعاون الدولي والإقليمي في مكافحة الإرهاب.

(١) د. احمد فتحي سرور، المواجهة القانونية للإرهاب، مركز الأهرام للطباعة والنشر، ط ٢، مصر، ٢٠٠٨، ص ١٣٣.

٣- لبيان عوائق تحقيق هذا التعاون ومحاولة تذليلها.

اشكالية البحث

تحدد مشكلة البحث عن طريق طرح التساؤلات الآتية ومن ثم محاولة الإجابة عنها من خلال العرض التفصيلي للدراسة في المباحث المقبلة منها، وهذه التساؤلات :

١- مدى مسؤولية المجتمع الدولي والإقليمي في مواجهة الإرهاب الدولي و المتمثل بجميع أشكاله ومظاهره، باعتباره يعرض للخطر أرواحاً بريئة أو يودي بها، ويعرض أمن الدول للخطر ويؤثر على العلاقات الدولية، ومدى امكانية تكثيف الجهود الدولية والإقليمية و اتخاذ التدابير اللازمة لمنع وقوع الإرهاب.

٢- ماهي اليات التعاون الدولي والإقليمي (الأمنية والقانونية) في مواجهة جرائم الإرهاب الدولي.

منهجية البحث

سنتبع في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن القائم على تحليل نصوص المعاهدات والقوانين الخاصة بالإرهاب الدولي واليات التعاون الدولي والإقليمي المتبعة لمواجهة جرائم الإرهاب.

خطة البحث

المبحث الأول : التعاون الدولي والإقليمي في مجال تعريف الإرهاب.

المطلب الأول : تعريف المنظمات و المعاهدات الدولية و الإقليمية للإرهاب.

الفرع الأول : تعريف منظمة الأمم المتحدة لجريمة الإرهاب الدولي.

الفرع الثاني : تعريف المنظمات الدولية الإقليمية لجريمة الإرهاب.

المطلب الثاني : تعريف فقه القانون الدولي العام للإرهاب.

الفرع الأول : تعريف الإرهاب على صعيد الفقه الغربي.

الفرع الثاني : تعريف الإرهاب على صعيد الفقه العربي.

المبحث الثاني : شروط واليات التعاون الدولي والإقليمي في مكافحة الإرهاب.

المطلب الأول : الدور الإقليمي في مكافحة الإرهاب.

الفرع الأول : دور المنظمات الإقليمية في مكافحة للإرهاب وتفعيل الأمن الجماعي في ميثاق جامعة الدول العربية.

الفرع الثاني : شروط تدخل المنظمات الإقليمية في مكافحة الإرهاب.

المطلب الثاني : الدور الدولي في مكافحة الإرهاب.

الفرع الأول : دور الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب وفقاً لميثاقها.

الفرع الثاني : شروط وأساليب تعزيز التعاون الدولي في مكافحة الإرهاب.

الخاتمة.

المبحث الأول

التعاون الدولي والإقليمي في مجال تعريف الإرهاب

يعتبر تعريف الإرهاب بشكل عام من أكبر العقبات التي واجهت المختصين كافة، فقد كانت صعوبة وضع تعريف جامع وشامل للإرهاب عقبة كبيرة على الجهود المبذولة لوضع حد حاسم لهذا الداء، فما يزال تعريف الإرهاب يمثل مشكلة أمام الباحثين في هذه الظاهرة، سواء القانونيين أو غيرهم (١).

حيث إن تعريف الإرهاب أصبح أكثر صعوبة مع ثبوت تشابك الإرهاب مع الإجرام المنظم ومع التباس أشكال هذا الإجرام، فإنه يزداد دقة لأن تعريف الإرهاب يتطلب الرجوع إلى أشكال إجرامية أخرى، خاصة وإن الإرهاب الحديث، يتميز بخصائص مختلفة عن العقود السابقة من حيث التنظيم والتسليح والأهداف، وتعدد جنسيات أفراد الجماعات الإرهابية، التي لا تجمعها قضايا قومية ولكن تجمعها أفكار دينية متطرفة أو سياسية محددة، وتكمن أهدافها في إيقاع أكبر عدد من الخسائر البشرية والمادية، ودور الدول في الإرهاب وتقديمها المساعدات ومساندتها لمرتكبي العمليات الإرهابية، وإيواء عناصر الإرهاب بعد تنفيذ عملياتهم وهروبهم، ورفضها تسليمهم للسلطات المختصة لمحاكمتهم (٢).

طبقاً لما تقدم سنقسم المبحث المذكور إلى مطلبين وعلى النحو الآتي: المطلب الأول: تعريف المنظمات والمعاهدات الدولية والإقليمية للإرهاب. المطلب الثاني: تعريف فقه القانون الدولي العام للإرهاب

المطلب الأول

تعريف المنظمات والمعاهدات الدولية والإقليمية للإرهاب

لغرض تعريف جريمة الإرهاب الدولي وجدنا تقسيمه إلى فرعين، يتناول الفرع الأول تعريف منظمة الأمم المتحدة لجريمة الإرهاب الدولي، في حين يتطرق الفرع الثاني إلى تعريف المنظمات الدولية والإقليمية الأخرى لجريمة الإرهاب الدولي.

الفرع الأول: تعريف منظمة الأمم المتحدة لجريمة الإرهاب الدولي

بعد أن تضاعفت موجات الإرهاب منذ أواخر الستينات من القرن العشرين في مناطق متفرقة من العالم، وزادت عمليات اختطاف الطائرات واحتلال السفارات وحجز المواطنين الأجانب وغير الأجانب رهائناً، وسقوط عدداً كبيراً من الضحايا الأبرياء وتدمير عدداً من المنشآت الحيوية، جرت على إثر ذلك محاولات لتعريف الإرهاب من داخل منظمة الأمم المتحدة لغرض تحديد التدابير المناسبة لمقاومته (٣). ونظراً للآثار الخطيرة للعمليات الإرهابية كثفت الأمم المتحدة جهودها لمكافحة الإرهاب وانتقلت من مرحلة الإدانة والشجب إلى مرحلة أكثر عمقاً ووعياً من أجل إيجاد تعريف للإرهاب ومعرفة أسبابه ومكافحته (٤).

لقد حظى موضوع الإرهاب باهتمام خاص من قبل الأمم المتحدة، من خلال الجمعية العامة، عن طريق إنشاء لجنة خاصة بالإرهاب الدولي بموجب قرارها المرقم ٣٠٣٤ الصادر بتاريخ ١٨ كانون الأول لعام ١٩٧٢، خاصة وإن العمليات الإرهابية تستهدف بث الرعب في الدول كافة (٥).

وفي عام ١٩٧٢ إضافة الأمم المتحدة لفظ دولي إلى كلمة إرهاب وإنشأت لجنة متخصصة بالإرهاب الدولي، ومن مميزات هذه اللجنة أنها لجنة دائمية وترتبط بمجلس الأمن وتعد أحد أجهزته الفعلية مما يضيف على عملها طابع الجدية، وشكلت هذه اللجنة بدورها ثلاث لجان فرعية، اختصت اللجنة الأولى بتعريف الإرهاب الدولي، واختصت اللجنة الثانية بدراسة الأسباب الكامنة وراء تفشي ظاهرة الإرهاب واللجنة الثالثة خاصة ببحث التدابير اللازمة لمنع الإرهاب الدولي ومكافحته، إلا أنه على الرغم من هذه الجهود لم تتمكن اللجنة الأولى من التوصل إلى تعريف محدد ومتفق عليه للإرهاب، وذلك بسبب اختلاف المفاهيم الخاصة بالدول الأعضاء حول تعريف الإرهاب وتركيزها على مفهوم الإرهاب الفردي دون الإرهاب

(١) د. إمام حسنين عطا الله، الإرهاب والبنين القانوني للجريمة، ط١، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٤، ص ٨٩.

(٢) كارين روديه، استحالة التعريف الموضوعي للإرهاب، ترجمة د. عباس عيود عباس، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١٢٠٠٩، ص ٥١.

(٣) د. إسماعيل الغزال، الإرهاب والقانون الدولي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ص ٥١.

(٤) د. طارق عبد العزيز حمدي، المسؤولية الدولية الجنائية والمدنية عن جرائم الإرهاب الدولي، ط١، دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨، ص ٢٣.

(٥) سامي جاد عبد الرحمن واصل، إرهاب الدولة في إطار القانون الدولي العام، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٥٦.

الدولي (١). و بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ أولى مجلس الأمن اهتماماً كبيراً بالإرهاب الدولي كونه أصبح ظاهرة تهدد السلم والأمن الدوليين، ويمثل صدور القرار ١٣٧٣ لعام ٢٠٠١ حجر الزاوية في أنشطة الأمم المتحدة ومحاولاتها المتعلقة في محاربة الإرهاب حيث يشكل القرار تحولاً واضحاً في كيفية معالجة مشكلة الإرهاب من قبل المنظمة الدولية فقد تم تبنيه وفقاً للفصل السابع من الميثاق، وفرضت الأمم المتحدة بموجبه واجبات محددة وملزمة تجاه جميع أعضائها للقيام أو الامتناع عن القيام بأنشطة معينة (٢).

و على الرغم من الأهمية الخاصة التي يتمتع بها هذا القرار، إذ وردت عبارات صريحة تقرر التزامات حاسمة وواضحة تقتضي قيام الدول بإجراءات محددة في مكافحة الإرهاب إلا أنه لم ترد به أية إشارات إلى تعريف محدد أو مفهوم واضح للإرهاب، بل ترك هذه المسألة لكل دولة تحدها حسب منظورها ومفهومها الخاص لهذه الظاهرة . و يلزم القرار رقم ٢٠٠١/١٣٧٣ الدول بأن تقوم بـ:

" أ- وقف تمويل الأعمال الإرهابية ومنعها.

ب- تجريم قيام رعايا هذه الدول عمداً بتوفير الأموال أو جمعها، بأي وسيلة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو في أراضيها لكي تستخدم في أعمال إرهابية، أو في حال معرفة أنها سوف تستخدم في أعمال إرهابية.

ت- القيام من دون تأخير بتجميد الأموال وأي أصول مالية أو موارد اقتصادية لأشخاص يرتكبون أعمالاً إرهابية، أو يحاولون ارتكابها، أو يشاركون في ارتكابها أو يسهلون ارتكابها.."

كما يلزم القرار ذاته الدول بأن تقوم بـ:

" أ- الامتناع عن تقديم أي شكل من أشكال الدعم، الصريح أو الضمني، إلى الكيانات أو الأشخاص الضالعين في الأعمال الإرهابية.

ب- اتخاذ الخطوات اللازمة لمنع ارتكاب الأعمال الإرهابية ويشمل ذلك الإنذار المبكر للدول الأخرى عن طريق تبادل المعلومات.

ت- عدم توفير الملاذ الأمن وللمن يمولون الأعمال الإرهابية، أو يديرونها، أو يدعمونها، أو يرتكبونها، ومن يوفر الملاذ الأمن للإرهابيين(٢).

ث- منع من يمولون، أو يديرون، أو يرتكبون الأعمال الإرهابية من استخدام أراضيها في تلك المآرب ضد دول أخرى أو ضد مواطني تلك الدول.

ج- كفالة تقديم أي شخص يشارك في تمويل أعمال إرهابية، أو تدبيرها، أو الإعداد لها، أو ارتكابها أو دعمها إلى العدالة، وكفالة إدراج الأعمال الإرهابية في القوانين والتشريعات المحلية بوصفها جرائم خطيرة، وكفالة أن تعكس العقوبات على النحو الواجب جسامة الأعمال الإرهابية.. " (٣).

فضلا عن ذلك قدمت عدة مشاريع تتضمن الأفعال التي رأى مقدمو هذه المشاريع أنها تقع ضمن مفهوم الإرهاب الدولي، وكان أبرزها ما تقدمت به مجموعة من الدول عام ١٩٧٣ في اللجنة الخاصة بتعريف الإرهاب الدولي كالاتي:

١- أعمال العنف والقمع التي تمارسها الأنظمة الاستعمارية والعنصرية أو الأجنبية ضد الشعوب المناضلة من أجل التحرر والحصول على حقها المشروع في تقرير المصير.

٢- مساعدة الدول للتنظيمات أو المرترقة التي تمارس أعمالها الإرهابية ضد دول أخرى ذات سيادة.

(١) يُنظر : د.علي يوسف الشكري، الإرهاب الدولي في ظل النظام العالمي الجديد ، ط١. إيتراك للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٨، ص

٢١٢. و د.موسى جميل الدويك، الإرهاب والقانون الدولي، ط١، اعداد جامعة القدس، فلسطين، ٢٠٠٧، ص ٤.

(٢) يُنظر : رشيد صبحي جاسم محمد ، الإرهاب والقانون الدولي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠٠٣، ص ١٩.

(٣) يُنظر: القرار ١٣٧٣ الصادر في ٢٨ أيلول ٢٠٠١ بموجب الوثيقة المرقمة (٢٠٠١) S/RES/١٣٧٣ .

الخاص بالتنديد بالعمليات الإرهابية الذي جاء تأكيداً لقرارات مجلس الأمن السابقة (القرار ١٢٢٦/ ١٩٩٩) والقرار

(٢٠٠١/١٣٦٨) . الخاص بإدانة العمليات الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية.

٣- أعمال العنف أو التهديد لحياة الأبرياء أو أي تهديد للحريات الأساسية يرتكبه فرد أو مجموعة من الأفراد على إقليم دولة أجنبية، أو في أعالي البحار أو على متن طائرة لتحقيق هدف سياسي(١).

وفي عام ١٩٧٢ قدمت الولايات المتحدة الأمريكية الى الجمعية العامة للأمم المتحدة مشروع اتفاق خاص بمنع أفعال الإرهاب الدولي المعنية والمعاقبة عليها، كالقتل والإيذاء الجسدي الشديد، والخطف، على شرط اعتبار هذه الأفعال ذات أهمية دولية، أن يكون القصد منها الإضرار بدولة أو منظمة دولية أو الحصول على تنازلات منها، وعلى الرغم من أخفاق اللجنة الفرعية المعنية بتعريف الإرهاب، لم تتوقف جهود الأمم المتحدة في التوصل الى تعريف محدد للإرهاب (٢).

وفي عام ١٩٨٠ جاء في تصريح للجنة الإرهاب (يعد الإرهاب الدولي عملاً من أعمال العنف الخطيرة يصدر من فرد أو جماعة بقصد تهديد هؤلاء الأشخاص أو التسبب في إصابتهم أو موتهم سواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين ضد الأشخاص أو المنظمات أو المواقع السكنية أو الحكومية أو الدبلوماسية أو وسائل النقل والمواصلات أو ضد أفراد الجمهور العام دون تمييز أو المكتسبات أو تدمير وسائل النقل والمواصلات بهدف افساد علاقات الود والصداقة بين الدول أو بين مواطني الدول المختلفة أو ابتزاز أو تنازلات معينة من الدول في أي صورة كانت كذلك فإن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الاشتراك في الأرتكاب أو التحريض على ارتكاب الجرائم بشكل يشكل جريمة الإرهاب الدولي) (٣). ثم في عام ١٩٨٥ قدمت لجنة القانون الدولي التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة تعريفاً أعدته حول الجرائم ضد السلم وأمن الإنسانية يتضمن تعريف الإرهاب بأنه (يقصد بالأعمال الإرهابية الأفعال الإجرامية الموجهة ضد دولة أخرى والتي يكون من طبيعتها أو من شأنها خلق حالة من الخوف لدى قادتها وحكامها أو مجموعة من الأشخاص) (٤).

من جانب اخر فإن منظمة الأمم المتحدة أنطت مهمة تجريم الإرهاب إلى لجنة القانون الدولي في العام ١٩٤٩ للقيام بإعداد مشروع عن الجرائم ضد السلم والأمن، وورد الإرهاب في مشروعه في عام ١٩٥٤ بأنه (مباشرة سلطات الدولة أنواعاً من النشاط الإرهابي في دولة أخرى أو تشجيعها أيها أو سماح سلطات الدولة بنشاط منظم الغرض منه تنفيذ أفعال إرهابية في دولة أخرى) وبقي العمل بالمشروع حتى عام ١٩٨١، وفي عام ١٩٩١ تضمن المشروع تعريفاً آخر في المادة (٤) منه (كل شخص يكون ممثلاً لدولة أو يعمل لحسابها يرتكب أو يأمر بارتكاب أي من الأفعال الآتية يعاقب لدى إدانته بارتكابها وهي أن يقوم أو ينظم أو يساعد في التمويل أو تشجيع أو السماح بارتكاب أفعال ضد دولة أخرى) (٥).

وفي تطور اخر في كانون الأول من العام ١٩٩٤ سعت الأمم المتحدة في إعلانها المرقم ٦٠/٤٩ الخاص بالتدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي، وملحقه في عام ١٩٩٦ الى تعريف الإرهاب في الفقرة (٣/أولاً) (إن الأعمال الإجرامية التي يقصد منها أو يراد بها إشاعة حالة من الرعب لأغراض سياسية بين عامة الجمهور أو جماعة من الأشخاص أو أشخاص معينين، هي أعمال لا يمكن تبريرها بأي حال من الأحوال أياً كان الطابع السياسي أو الفلسفي أو العقائدي أو العنصري أو الإثني أو الديني أو أي طابع آخر للاعتبارات التي قد يحتج بها لتبرير تلك الأعمال) (٦).

وفي عام ٢٠٠٤ صدر القرار المرقم ١٥٦٦ والذي حث على تفعيل اللجنة الدولية الخاصة بمكافحة الإرهاب (٧). وفي ضوء ما تم عرضه سابقاً فإنه يمكن القول ان تعريف الإرهاب يسوده الغموض والتداخل، ولم يتم التوصل بموجب جهود منظمة الأمم المتحدة الى تعريف محدد ومتفق عليه، لكن نلاحظ التشابه نوعاً ما بين التعاريف التي وضعتها المنظمة للإرهاب سواء كان عن طريق لجنة القانون الدولي أو اللجنة الدولية لمكافحة الإرهاب وباتفاق ضمني من خلال تشابه

(١) يُنظر : محمد نعيم علوة، موسوعة القانون الدولي العام ، قانون مكافحة الإرهاب الدولي (الجزء ١٠) ، ط١، منشورات زين الحقوقية ، ٢٠١٢، ص٦٨.

(٢) محمد نعيم علوة، المصدر السابق، ص٦٩.

(٣) نقلاً عن د.إمام حسنين عطا الله ، الإرهاب والبنيان القانوني للجريمة، مصدر سابق، ص٩٠.

(٤) محمد نعيم علوة، مصدر سابق، ص٧٠.

(٥) أسامة حسين محي الدين، جرائم الإرهاب على المستوى الدولي والمحلي (دراسة تحليلية) ، ط١، دار المكتب العربي الحديث، مصر، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص٦٩ وما بعدها .

(٦) يُنظر الإعلان الصادر عن منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ بموجب الوثيقة (A/RES/٤٩/٦٠) وملحقه الصادر عام ١٩٩٦ (A/RES/٥١/٢١٠).

(٧) يُنظر: قرار مجلس الأمن المرقم ١٥٦٦/٢٠٠٤ المتعلق بشأن التعاون التام في مكافحة الإرهاب.

العبارات الواردة في تعريف الإرهاب مع تعريف اتفاقية جنيف لمنع ومعاقبة الإرهاب عام ١٩٣٧ التي تعد أول خطوة للحد من خطر الأعمال الإرهابية قامت بها عصبة الأمم سابقاً.

وتستمد الأمم المتحدة تعريفها من المادة (٢/١) من إتفاقية جنيف ١٩٣٧ التي عرفت المقصود بالإعمال الإرهابية: (بأنها الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما وتستهدف أو يقصد بها خلق حالة رعب في أذهان أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو عامة الجمهور) (١).

إذ أخذت هذه الاتفاقية بالتعريف الوصفي للإرهاب، وحددت الأفعال التي تعد من أعمال الإرهاب بما يأتي (٢):

١- أن يكون هذا العمل مؤثماً جنائياً. ٢- أن يكون موجهاً ضد دولة متعاقدة.

٣- أن يكون الغرض من العمل إثارة الفرع والرعب لدى الدولة أو للشعب بصفة عامة.

أما الأعمال الإرهابية فحددها بما يأتي :

١- الأعمال التي تسبب موتاً أو إصابة جسدية أو فقداناً لحرية رؤساء الدول القائمين بأعمالهم أو وراثتهم أو خلفائهم وزوجاتهم والمناصب العليا بالدولة.

٢- الأشخاص القائمون بمسؤوليات عامة أو من ذوي المناصب العامة إذا وجهت هذه الأفعال إليهم بصفاتهم هذه.

٣- التخريب المتعمد أو ائتلاف الممتلكات العامة أو الممتلكات المخصصة لأغراض عامة والمتعلقة أو الخاضعة لسلطات دولة أخرى من الدول المتعاقدة.

٤- أي فعل عمدي يعرض حياة العامة للخطر.

٥- أي محاولة لارتكاب أية مخالفة تقع في نطاق الأفعال السابقة.

٦- تصنيع أو الحصول على حيازة أو إمداد الأسلحة والمؤن والمتفجرات أو أي مواد ضارة بقصد ارتكاب أي من الأفعال السابقة في أي دولة من الدول (٣).

و على الرغم من ان اتفاقية ١٩٣٧ لم تدخل حيز التنفيذ، لانشغال الدول بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية فلم تصادق عليها، لكن تعتبر من الاتفاقيات التي جاءت بمبادئ وأحكام هامة في مكافحة الإرهاب الدولي.

الفرع الثاني: تعريف المنظمات الدولية الإقليمية لجريمة الإرهاب الدولي

تؤدي المنظمات الإقليمية دوراً في تنمية العلاقات الدولية ومواجهة المشاكل التي تواجه الدول التي تدخل في عضويتها، ووضع الحلول الملائمة لمواجهتها، لذا سننظر لجهود الإتحاد الأوروبي و جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي في محاولاتها لتعريف الإرهاب.

أولاً: تعريف الإتحاد الأوروبي للإرهاب

نظراً لتزايد الجرائم الإرهابية وخاصة جرائم الإرهاب السياسي، كان لا بد من تعاون دول الإتحاد الأوروبي من أجل منع ومكافحة الإرهاب الذي يهدد أمن دول الإتحاد، وبرز دور الإتحاد الأوروبي من خلال الاتفاقيات والمؤتمرات التي عقدها، وفي ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٧٧ أبرمت الاتفاقية الأوروبية لقمع الإرهاب في ستراسبورج (فرنسا)، وضمت دول الإتحاد

(١) يُنظر: المادة (٢) من اتفاقية جنيف لمنع ومعاقبة الإرهاب عام ١٩٣٧، يذكر أنه في عام ١٩٤٣ نجح إرهابيون في اغتيال الملك

الكسندر الأول ملك يوغسلافيا ومعه وزير الخارجية الفرنسي، وبناءً على طلب فرنسا الدولة التي حدث الاغتيال على أرضها،

اجتمعت عصبة الأمم، وتم تكليف لجنة من الخبراء القانونيين بإعداد مشروع اتفاقية لمنع وقمع الإرهاب، يُنظر: د.محمد

فتحي عيد، واقع الإرهاب في الوطن العربي، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩، مركز الدراسات

والبحوث، ص ٢٥.

(٢) د.إمام حسنين عطا الله، الإرهاب والدينان القانوني للجريمة، مصدر سابق، ص ٩٢.

(٣) المادة (٢) في اتفاقية جنيف لمنع ومعاقبة الإرهاب ١٩٣٧.

الأوروبي للقضاء على ظاهرة الإرهاب الدولي التي شهدتها أوروبا في أوائل السبعينات، هذا ما دفع الحكومات الأوروبية للبحث عن حلول لتجاوز هذه الظروف ومقاومة العنف السياسي (١).

و كانت أولى التوصيات الخاصة بالإرهاب، التوصية التي اتخذتها الجمعية الاستشارية لمجلس أوروبا في ١٨ نيسان عام ١٩٧٠ وهي التوصية رقم ٥٩٨ والتي أدانت فيها التغيير غير المشروع لمسار الطائرات المدنية وأعمال التخريب التي تستهدف شركات النقل الجوي، كذلك أوصت الجمعية لجنة الوزراء بتوقيع جزاءات على الدول التي ترفض الاسترداد الفوري للطائرات المخطوفة أو التي ترفض معاقبة الأشخاص المسؤولين عن وقوع الجرائم في مجال الطيران المدني، وفي عام ١٩٧٦ وضعت لجنة الوزراء اتفاقية أوروبية لمكافحة الإرهاب وتمت الموافقة عليها (٢).

كما عرفت الاتفاقية الأوروبية للإرهاب الدولي في مادتها الأولى وحددت الأفعال التي تشكله وهي:

- ١- الجرائم المنصوص عليها في اتفاقية لاهاي لعام ١٩٧٠ الخاصة بقمع الاستيلاء غير المشروع على الطائرات.
- ٢- الجرائم المنصوص عليها في اتفاقية مونتريال لعام ١٩٧١ الخاصة بقمع الأفعال غير المشروعة الموجهة ضد أمن وسلامة الطيران المدني.
- ٣- الجرائم الخطيرة التي تشكل اعتداء على حياة أو حرية أو سلامة أشخاص متمتعين بالحماية الدولية، وكذلك تلك التي تشكل أخذ واحتجاز للرهائن.
- ٤- جرائم استعمال المفزقات والقنابل والأسلحة النارية الآلية والمتفجرات والرسائل الخداعية المتفجرة إذا كان شأن هذا الاستعمال تعريض الأشخاص للخطر.
- ٥- محاولة ارتكاب أي من هذه الجرائم السابقة أو الاشتراك فيها .

والخطوة الأفضل التي جاءت بها هذه الاتفاقية هي إخراج الإرهاب من قالب الإجرام السياسي، ولم تضع هذه الاتفاقية تعريفاً للإرهاب وإنما أوردت أفعالاً اعتبرتها ذات صفة إرهابية وتركت سلطة تقديرها باعتبارها أفعالاً إرهابية إلى الدولة الأمر الذي يشكل اختلافاً في تكييف طبيعة الفعل من دولة إلى أخرى، وتشرط هذه الاتفاقية لاعتبار الفعل غير المشروع فعلاً إرهابياً أن ينطوي على درجة من الجسامة العدوانية، التي تستخلص من طبيعة محل الاعتداء، ومن تحديد الخطر الناتج عن السلوك غير المشروع (٣).

وعلى الرغم من الإنتقادات التي وجهت للاتفاقية الأوروبية في عدم وضع تعريف موحد للإرهاب وعدم إقامة نظام فعال لمنع وقمع الجرائم الإرهابية، إلا أنها تعد من المحاولات الهامة في قمع الإرهاب في منطقة محددة من القارة الأوروبية (٣)، وفي عام ١٩٨٠ عقدت الجمعية البرلمانية مؤتمراً كان من ضمن توصياته التشجيع على التوصل إلى تعريف قانوني موحد للإرهاب بوصفه جريمة على الصعيدين الوطني والدولي (٤).

ثانياً: تعريف منظمة الدول الأمريكية للإرهاب

نظراً لتزايد حالات العنف السياسي والأعمال الإرهابية في قارة أمريكا اللاتينية، وكثرة الاعتداءات على أعضاء البعثات الدبلوماسية، فقد وافقت الجمعية العامة لمنظمة الدول الأمريكية في دورتها الثالثة على اتفاقية منع ومعاينة أعمال الإرهاب التي تأخذ شكل جريمة ضد الأشخاص (١٩٧١) (واشنطن)، وهذه الاتفاقية لا تتناول تعريفاً للإرهاب وإنما ذكرت أعمال

(١) يُنظر: د. أحمد محمد رفعت، د. صالح بكر الطيار، الإرهاب الدولي، ط١، مركز الدراسات العربي- الأوروبي، باريس، فرنسا، ٢٠٠٢، ص ٦٦ و محمد نعيم علوة، مصدر سابق، ص ١٠٤ .

(٢) يُنظر: د. منتصر سعيد حمودة، الإرهاب الدولي (جوانبه القانونية ووسائل مكافحته في القانون الدولي العام والفقهاء الإسلامي)، ط١، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص ٣٧٤.

(٣) إمام حسنين عطا الله، الإرهاب والبنيان القانوني للجريمة، مصدر سابق، ص ١٧٤.

(٤) أحمد محمد رفعت، د. صالح بكر الطيار، مصدر سابق، ص ٧٤، يُنظر أيضاً: شذى عبودي عباس البازي، آليات مكافحة الإرهاب وأثرها على حقوق الإنسان، رسالة مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية القانون، ٢٠١٢، ص ١٦٧.

جنايئة ووصفتها بأنها أعمال إرهابية وتنزع عنها الطابع السياسي، وحصرت هذه الأعمال التي هي جزء من الخطف، القتل، والمؤامرة (١).

كما طالبت دول المنظمة الأمريكية بشمول وصف الإرهاب لحركات التحرر الوطني، وقدمت بعض الدول بالمنظمة الأمريكية مشروعاً جاء فيه أن الإرهاب هو (الأعمال التي تشيع حالة من الرعب والخوف بين مواطني الدولة، أو لطائفة منهم، مما تسبب خطراً عاماً على الحياة أو الصحة أو السلامة الجسدية أو حريتهم الشخصية، وذلك باستعمال وسائل ينتج عنها أضراراً خطيرة بالنظام والأمن العام أو إحداث كارثة عامة).

وتتعهد الدول بموجب المادة (١) من اتفاقية ١٩٧١ باتخاذ كافة الخطوات الضرورية وفقاً لقوانينها الداخلية لمنع أعمال الإرهاب والمعاقبة عليها، ولكن أهم ما يلاحظ على هذه الاتفاقية أنها لم تحدد المقصود بالحماية الخاصة، ولم تحدد قائمة الأشخاص الذين يتمتعون بالحماية (٢).

ولعدم شمول التعريف لإرهاب الدولة وتركيزه على استعمال الرعب لتحقيق أهداف سياسية وعلى الرغم من الاختلاف في وجهات النظر حول إيجاد تعريف محدد للإرهاب، إلا أن الدول وصلت إلى نقطة إتفاق بين المفاوضين وهو العنصر الخاص بتعريض الأبرياء للخطر (٣).

ثالثاً: تعريف جامعة الدول العربية للإرهاب

تعرضت الدول العربية للعديد من العمليات الإرهابية في أواخر القرن العشرين مما أدى إلى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات، ومع تزايد هذه العمليات جاء التعاون العربي في مجال مكافحة الإرهاب وأعلنت رغبتها في التوصل إلى اتفاق في ٢٢ نيسان ١٩٩٨، وقد تم التوقيع على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة في جلسة مشتركة لمجلس وزراء العرب، واتفقت الدول الأعضاء على ضرورة التمييز بين الإرهاب والنضال المشروع للشعوب من أجل تقرير المصير والتحرر الوطني واتخاذ تدابير فعالة بموجب القانون الدولي وميثاق جامعة الدول العربية ومقررات مجلس وزراء العرب من أجل وضع حد لكافة أنواع جرائم الإرهاب (٤)، ومن جملة الأمور التي اتفقت عليها :

١- إدانة كل أعمال وطرق وممارسات الإرهاب، أيًا كان مصدرها.

٢- تعزيز التعاون الدولي بين الدول الأعضاء في مجال تبادل المعلومات حول أنشطة وجرائم الجماعات والمنظمات الإرهابية.

٣- تطوير تبادل الخبرات العلمية والتكنولوجية في مجال التعامل الأمني مع الجماعات والمنظمات الإرهابية ومواجهتها.

٤- تتخذ الدول الأعضاء تدابير فعالة وحازمة لمنع الأعمال والجرائم الإرهابية بمختلف صورها وأشكالها.

٥- تعزيز التعاون الدولي في مجال البحث عن الأشخاص الهاربين المطلوبين في جرائم إرهابية طبقاً لأحكام الاتفاقيات العربية في مجال تسليم المجرمين.

٦- الالتزام بتوفير الحماية والأمن للبعثات الدبلوماسية وفقاً للاتفاقيات التي تحكم هذا الموضوع.

٧- ضرورة عقد الاتفاقيات الثنائية بين دول الجوار التي تعاني من جرائم الإرهاب بصورة مشتركة أو متشابهة (٥).

وقد بدأت هذه الاتفاقية بتعريف الإرهاب تعريفاً وصفيًا حيث عرفته في المادة (٢/١) بأنه

(١) يُنظر: د.إمام حسنين عطا الله ، الإرهاب والبنيان القانوني للجريمة، مصدر سابق، ص ١٧٣ .

(٢) د.عماد محمد علي، الأمم المتحدة وإرهاب الدولة في مجال السلم والأمن الدولي، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٣٧.

(٣) د.أحمد محمد رفعت، د.صالح بكر الطيار، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) يُنظر: د.علي حمزة عسل ، مشكلة الإرهاب ، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد ٥، العدد ٤، ٢٠٠٧، ص ٣٨٦ .

(٥) يُنظر : د.حسين المحمدي بوادي ، الإرهاب الدولي تجريباً ومكافحة ، ط١، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر،

٢٠٠٧، ص ١٤٢ .

" كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه وأغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر".

وعرفت المادة (٣/١) من الاتفاقية الجريمة الإرهابية بأنها (أي جريمة أو شروع فيها ترتكب تنفيذاً لغرض إرهابي في أي من الدول المتعاقدة أو على رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها يعاقب عليها قانونها الداخلي) (١).

و نلاحظ ان الاتفاقية العربية تطلبت كشرط مسبق لاعتبار الجريمة في فئة جرائم الإرهاب أن تكون معاقباً عليها في القانون الداخلي وتركت سلطة تحديد ذلك الى الدولة حسب تجريمها لهذه الأفعال في قانونها الداخلي، وطبقاً للاتفاقية لن تعد الجريمة من الجرائم الإرهابية إلا في حالة ورودها في قانون الدولة الداخلي وتصنيفها جريمة إرهابية، ورغم كونها جريمة إرهابية في الاتفاقيات الدولية لا تكون جريمة إرهابية إذ لم ينص عليها قانون الدولة، وهذا الأمر يتيح للدولة التي لها صلة بالجماعات الإرهابية بصورة مباشرة أو غير مباشرة أن تتحجج بنصوص قانونها الداخلي في تغطية أفعالها وتغلبها بصفة تشريعية.

كما اعتبرت الاتفاقية العربية، الجريمة الإرهابية أو الشروع فيها التي ترتكب لغرض إرهابي في أي من الدول المتعاقدة الواقعة على رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها، يعاقب عليها قانونها الداخلي، حيث توسعت في تعريف الإرهاب بشكل يمكن أن يدرج أي نوع من أنواع العنف أو التهديد بغض النظر عن الباعث، بكونه فعل إرهابي، على الرغم من ذلك اعتمدت الاتفاقية بالباعث على ارتكاب أعمال العنف، من أجل التمييز ما بين حالة الكفاح المسلح وغيرها من أعمال العنف، حيث نصت الفقرة (أ) من المادة (٢) منها على (لا تعد جريمة، حالات الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي، ولا يعتبر من هذه الحالات كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأي من الدول العربية) (٢) و عدت الاتفاقية الجرائم الإرهابية كل ما نصت عليه الاتفاقيات التالية عدا ما استثنته للدول التي لم تصادق على هذه الاتفاقيات:

أ- اتفاقية لاهاي بشأن مكافحة الاستيلاء غير المشروع على الطائرات والموقعة في تاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٧٠.

ب- اتفاقية طوكيو والخاصة بالجرائم والأفعال التي ترتكب على متن الطائرات والموقعة في تاريخ ١٤ أيلول ١٩٦٣.

ج- اتفاقية مونتريال الخاصة بقمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الطيران المدني والموقعة في ٢٣ أيلول ١٩٧١ والبروتوكول الملحق بها والموقع في مونتريال بتاريخ ١٠ أيار ١٩٨٤.

د- اتفاقية نيويورك الخاصة بمنع ومعاقبة الجرائم المرتكبة ضد المشمولين بالحماية الدولية بما فيهم الممثلون الدبلوماسيون والموقعة في تاريخ ١٤ كانون الأول ١٩٧٣.

هـ- اتفاقية اختطاف واحتجاز الرهائن والموقعة في تاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٧٩.

و- اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لسنة ١٩٨٢ (ما تعلق منها بالقرصنة البحرية).

ونصت الفقرة (ب) من المادة (٢) على (ألا تعد أي من الجرائم الإرهابية المشار إليها في المادة السابقة من الجرائم السياسية..) إذ أستبعدت الاتفاقية الأفعال الإرهابية من دائرة الجرائم السياسية أياً كانت بواعثها.

جدير بالذكر ان مجلس الجامعة أصدر على مستوى القمة قراره المرقم ٢٣١ في تاريخ ٢٨/آذار ٢٠٠٢، للنظر في إمكان إدراج أفعال التحريض والإشادة بالأعمال الإرهابية، وقد وافق مجلس وزراء العدل بموجب قراره رقم ٤٩٢ الصادر في ٨ تشرين الأول ٢٠٠٣، ومجلس وزراء الداخلية بموجب قراره ٤١٨ بتاريخ ١٥ شباط ٢٠٠٤، على تعديل الشق الأول من تعريف الإرهاب في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ١٩٩٨.

وبموجب التعديل يجري تعريف الجريمة الإرهابية بأنها (أي جريمة أو شروع فيها ترتكب تنفيذاً لغرض إرهابي في أي دولة متعاقدة أو على ممتلكاتها أو مصالحها أو على رعاياها أو ممتلكاتهم ويعاقب عليها قانونها الداخلي وكذلك التحريض على الجرائم الإرهابية أو الترويج لها أو تحبيذها، وطبع أو حيازة محررات أو مطبوعات أو تسجيلات أياً كان نوعها إذا

(١) نقلاً عن ياسين طاهر الياسري ، مكافحة الإرهاب في الاستراتيجية الأمريكية رؤية قانونية تحليلية ،دار الثقافة ، ط ١ ، ٢٠١١،

ص ٤١ وما بعدها .

(٢) د.سامي جاد عبد الرحمن واصل، مصدر سابق، ص ٦٤.

كانت معدة للتوزيع أو اطلاق الغير عليها وكانت تتضمن ترويجاً أو تحبيذاً لتلك الجرائم، كما يعد جريمة إرهابية تقديم أو جمع الأموال أياً كان نوعها لتمويل الجرائم الإرهابية مع العلم بذلك (١).

رابعاً: تعريف منظمة المؤتمر الإسلامي للإرهاب

سعت هذه المنظمة كباقي التنظيمات الدولية الى ايجاد تعريف خاص بالإرهاب، إذ وجهت أغلب الاتهامات الدولية المتعلقة بالعمليات الإرهابية الى الإسلام، لإرتكابها من قبل عناصر اسلامية، وخاصة مع تزايد الأفكار المتطرفة التي شوهت الإسلام، الأمر الذي دعا منظمة المؤتمر الإسلامي إلى محاولة توضيح ماهية الأعمال التي تعتبر من وجهة نظر الدول الإسلامية أعمالاً إرهابية، وقد تنبتهت دول المنظمة الى خطورة الإرهاب الدولي وبادرت الى عقد ندوة دولية في جنيف في عام ١٩٨٧ عرفت بالندوة الدولية بشأن ظاهرة الإرهاب في العالم المعاصر وأثارها على الأمن الفردي والاستقرار السياسي والسلم الدولي، وفي كانون الأول من عام ١٩٩٤ أصدرت المنظمة مدونة سلوك لمناهضة الأعمال الإرهابية التي تلتزم بها الدول الأعضاء الى أن تم اعتماد معاهدة لمكافحة الإرهاب الدولي في تموز ١٩٩٩، ودخلت حيز النفاذ في ٢٠٠٢ (٢).

وعرفت الفقرة (٢) من المادة (١) الإرهاب بأنه (كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو أعضائهم أو حريتهم أو أمنهم أو حقوقهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو المرافق الدولية للخطر، أو تهديد الاستقرار أو السلامة الإقليمية أو الوحدة السياسية أو سيادة الدول المستقلة).

وعرفت المادة (٣/١) الجريمة الإرهابية (هي أي جريمة أو شروع أو اشتراك فيها، ترتكب تنفيذاً لغرض إرهابي في أي من الدول الأطراف أو ضد رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها أو المرافق والرعايا الأجانب المتواجدين على إقليمها مما يعاقب عليها قانونها الداخلي).

كذلك تعد من الجرائم الإرهابية الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقيات التالية عدا ما استثنته منها تشريعات الدول الأطراف أو التي لم تصادق عليها (٣):

(أ) اتفاقية طوكيو الخاصة بالجرائم والأفعال الأخرى التي ترتكب على متن الطائرات والموقعة في تاريخ ١٤/٩/١٩٦٣.

(ب) اتفاقية لاهاي بشأن قمع الاستيلاء غير المشروع على الطائرات والموقعة في تاريخ ١٦/١٢/١٩٧٠.

(ج) اتفاقية مونتريال الخاصة بقمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الطيران المدني والموقعة في ٢٣/٩/١٩٧١ والبروتوكول الملحق بها والموقع في مونتريال في ١٠/٥/١٩٨٤.

(د) اتفاقية نيويورك الخاصة بمنع ومعاينة الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص المشمولين بالحماية الدولية بمن فيهم الممثلون الدبلوماسيون والموقعة في ١٤/١٢/١٩٧٣.

(هـ) المعاهدة الدولية ضد اختطاف واحتجاز الرهائن والموقعة في ١٧/١٢/١٩٧٩.

(و) اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لسنة ١٩٨٢ ما تعلق منها بالقرصنة البحرية.

(ز) المعاهدة الخاصة بالحماية المادية للمواد النووية والموقعة في فيينا عام ١٩٧٩.

(ح) البروتوكول الإضافي إلى معاهدة قمع الأعمال غير المشروعة ضد سلامة الطيران المدني والخاص بقمع أعمال العنف غير المشروعة في المطارات التي تخدم الطيران المدني والموقع في مونتريال في عام ١٩٨٨.

(١) يُنظر: منشورات مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في فيينا، قسم منع الإرهاب صادرة بتاريخ ٢٠٠٩/نيويورك،

دراسة حول تشريعات مكافحة الإرهاب في دول الخليج العربية واليمن.

(٢) يُنظر: د. عماد محمد علي، مصدر سابق، ص ٤٠.

(٣) المادة (٤/١) من معاهدة مكافحة الإرهاب الدولي لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

(ط) البروتوكول الخاص بقمع الأعمال غير المشروعة التي ترتكب ضد سلامة مساحات معينة من الجرف القاري، والموقعة في روما عام ١٩٨٨.

(ى) المعاهدة الخاصة بقمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد الملاحة البحرية والموقعة في روما عام ١٩٨٨.

(ك) المعاهدة الدولية بقمع التفجيرات الإرهابية (نيويورك ١٩٩٧).

(ل) المعاهدة الخاصة بوضع علامات على المتفجرات البلاستيكية بغرض الكشف عنها (مونتريال ١٩٩١).

هذا وجرمت الإتفاقية عدداً من الأفعال عدتها الفقرة (ج) من المادة (٢) من الإتفاقية حتى ولو ارتكبت بدافع سياسي وتستبعد من نطاق الجرائم السياسية :

١- التعدي على ملوك ورؤساء الدول المتعاقدة أو زوجاتهم أو أصولهم أو فروعهم.

٢- التعدي على أولياء العهد أو نواب رؤساء الدول أو رؤساء الحكومات أو الوزراء في أي من الدول الأطراف.

٣- التعدي على الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم السفراء والدبلوماسيون في الدول الأطراف المعتمدين لديها.

٤- القتل العمد أو السرقة المصحوبة بإكراه ضد الأفراد أو السلطات أو وسائل النقل والمواصلات.

٥- أعمال التخريب والإتلاف للممتلكات العامة المخصصة لخدمة عامة حتى ولو كانت مملوكة لدولة أخرى من الدول الأطراف.

٦- جرائم تصنيع أو تهريب حيازة الأسلحة أو الذخائر أو المتفجرات أو غيرها من المواد التي تعد لارتكاب جرائم دولية.

و نلاحظ أوجه التشابه بين هذه الإتفاقية والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ١٩٩٨، لأن أعضاء المؤتمر الإسلامي أغلبهم من الدول العربية، لذا نلاحظ من عرض التعاريف السابقة :

١- عدم وجود مفهوم محدد للإرهاب الدولي أو تحديد دوافع، إذ إن التعاريف السابقة وسعت من تعريفها للإرهاب مع تغاضيها عن الباعث لارتكاب الأعمال الإرهابية، والذي من خلاله يمكن التمييز ما بين جريمة وأخرى، قد تتداخل عناصر بعض الجرائم مع جريمة الإرهاب الدولي.

٢- في التعاريف السابقة غلبت الظروف السياسية على الإرهاب فكل دولة تحاول وضع تعريف يناسب أوضاعه ومصالحه الدولية.

٣- هناك عاملان أساسيين ركزت عليهما الإتفاقيات السابقة في تحديد الإرهاب هو العامل المادي (استخدام العنف أو التهديد به) والعامل الثاني (العامل النفسي) وما يثيره في النفوس من تأثير سواء كان صادراً من فرد أو جماعة أو كيانات إرهابية.

المطلب الثاني

تعريف فقه القانون الدولي العام للإرهاب

بذلت محاولات متعددة على صعيد الفقه الدولي لوضع تعريف ومدلول محدد للإرهاب وتعددت اتجاهات تعريفه، فالبعض من الفقهاء يرون صعوبة في وضع تعريف محدد جامع وشامل للإرهاب، والبعض الآخر حاول التركيز على عناصر الإرهاب ليسهل التعرف عليه ويستندون إلى عناصر معينة، كالعنف غير المتوقع أو المفاجئ أو التهديد به، وصفة الضحايا، وطبيعة العمليات الإرهابية السرية، وأستعمال التقنيات الحديثة في تنفيذ العمليات الإرهابية والهدف والدوافع السياسية أو الأيدلوجية لهذه الأعمال، والبعض الآخر ركز على اعتبار كل أفعال الإرهاب جرائم، وكون الإرهاب سلوكاً أو فعلاً لتحقيق هدف معين، والبعض حدد مجموعة من الأفعال الإجرامية التي تعد إرهابية وعرف الإرهاب على أساسها (١).

و يرى البعض من الفقهاء إن العنف هو وسيلة إرهابية تقع تحت طائلة الجزاء القانوني فيما يرى البعض الآخر أن هناك عنف مشروع وآخر غير المشروع، والنوع الغير مشروع هو الإرهاب المعاقب عليه، واختلفت الآراء حول تعريفه أو التركيز على نوع دون آخر، ومن أهم المحاولات الفقهية لتعريف الإرهاب تلك التي بذلت في المؤتمر الأول لتوحيد القانون الجنائي الذي انعقد في وارسو في بولندا عام ١٩٣٠ (٢).

وللتطرق للمحاولات الفقهية قديماً وحديثاً لتعريف الإرهاب سنقسم هذا المطلب إلى فرعين:

الفرع الأول: تعريف الإرهاب على صعيد الفقه الغربي

الفرع الثاني: تعريف الإرهاب على صعيد الفقه العربي

الفرع الأول: تعريف الإرهاب على صعيد الفقه الغربي

عرف الإرهاب على صعيد الفقه الغربي عدد من المختصين منهم:

١- يعرف ديفيد بكفورد David Bickford الإرهاب بأنه (تسبب الإرعاب والإفزاز لإحداث نتيجة ما، وعلى قدر انتشار هذا الإرعاب يكون عظم النتيجة).

٢- يعرفه فراكوتي Ferracuti بأنه (أن العمل الإرهابي هو أي عمل ينفذ كجزء من وسيلة للنضال السياسي بقصد التأثير على سلطة الدولة أو اكتساب هذه السلطة ويتضمن استخدام العنف الشديد ضد الأبرياء المسالمين).

٣- يعرفه الفقيه الفرنسي لوفاسير Levasseur بأنه (الإرهاب هو الاستخدام العمدي والمنظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق بعض الأهداف).

٤- يعرفه الفقيه ثورنتون Thornton بأنه (إن الإرهاب هو استخدام الرعب كعمل رمزي الغاية منه التأثير على السلوك السياسي بواسطة وسائل استثنائية (غير اعتيادية) ينتج عنها استخدام التهديد أو العنف).

٥- عرفه واردلو wardlaw بقوله (إن الإرهاب هو استخدام العنف أو التهديد باستخدامه من فرد أو جماعة تعمل إما لصالح سلطة قائمة أو ضدها عندما يكون القصد من العمل خلق حالة من القلق الشديد لدى مجموعة أكبر من الضحايا المباشرين للإرهاب، وإجبار تلك المجموعة على الموافقة على المطالبة السياسية لمرتكبي العمل الإرهابي).

٦- يعرفه الفقيه ترك Turk بالقول (أن للإرهاب ايدلوجية أو استراتيجية تبرر استخدام الفتاك وغير الفتاك بقصد ردع المعارضة السياسية بزيادة الخوف لديها عن طريق ضرب أهداف عشوائية).

٧- يعرفه فريدلاند Friedland بقوله (أن الإرهاب هو الاستخدام التكتيكي للعنف الغاية منه أولاً خلق جو من الخوف والذعر لدى القسم الأكبر من الشعب).

(١) د.إمام حسنين ، جرائم الإرهاب الدولي في التشريعات المقارنة (دراسة تحليلية للتشريعات الجنائية العربية والأجنبية والشريعة

الإسلامية، ط١، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠١٠، ص ١٧ وما بعدها .

(٢) حسن عزيز نور الحلو ، رسالة ماجستير مقدمة إلى الأكاديمية العربية في الدنمارك ، فلندا، ٢٠٠٧، ص ٧٢.

٨- يعرفه وولتر Walter (بأنه عملية رعب تتألف من ثلاثة عناصر: - فعل العنف أو التهديد باستخدامه.٢- ردة الفعل الناجمة عن أقصى درجات الخوف الذي يصيب الضحايا.

٣- التأثير الذي يصيب المجتمع بسبب العنف أو التهديد باستخدامه ونتائج الخوف (١).

الفرع الثاني: تعريف الإرهاب على صعيد الفقه العربي

وقد عرف الإرهاب على صعيد الفقه العربي عدد من المختصين منهم:

١- تعريف د.محمود شريف بسيوني للإرهاب الذي أخذت به لجنة الخبراء الإقليميين في اجتماعاتها في فينا عام ١٩٨٨، وقد وصفه بأنه (استراتيجية عنف محرم دولياً تحفزها بواعث عقائدية وتتوخى أحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول الى السلطة، أو القيام بدعاية لمطلب أو لمظلمة، بغض النظر عما اذا كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم أو نيابة عن الدولة) (٢).

٢- عرفه د. عبد العزيز سرحان أن الإرهاب يركز على الاستعمال غير المشروع للقوة، ويعرف الإرهاب الدولي بأنه (كل اعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة أو الخاصة بالمخالفة لأحكام القانون الدولي العام بمصادره المختلفة، بما في ذلك المبادئ الأساسية لمحكمة العدل الدولية) ويرى أنه من خلال هذا التعريف يمكن النظر الى العمل الإرهابي على أساس أنه جريمة دولية أساسها مخالفة القانون الدولي، ومن هنا تقع تحت طائلة العقاب طبقاً لقوانين سائر الدول، وهو ما سبق أن استندت إليه الأحكام التي أصدرتها محكمة نورمبرغ ومحكمة طوكيو ضد مجرمي الحرب العالمية (٣).

٣- عرفه د.صلاح الدين عامر بأنه (الاستخدام المنظم للعنف لتحقيق هدف سياسي وبصفة خاصة جميع أعمال العنف- حوادث الاعتداء الفردية أو الجماعية أو التخريب- التي تقوم منظمة سياسية بممارستها على المواطنين لخلق جو من عدم الأمن وهو يحتوي على طوائف متعددة من الأعمال: أخذ الرهائن واختطاف الأشخاص وقتلهم ووضع المتفجرات أو العبوات الناسفة في أماكن تجمع المدنيين أو وسائل النقل العامة أو التخريب وتغيير مسار الطائرات بالقوة (٤).

٤- عرفه د.ممدوح توفيق بأنه (جميع الأفعال التي ترمي إلى ايجاد حالة ذعر ترتكب بوسائل خطيرة كالمواد والأدوات المتفجرة أو الملتهية أو السامة أو الوبائية أو التي من شأنها أن تحدث خطراً عاماً وترتكبها العصابات أو الجماعات الإرهابية بقصد تحقيق غايات قد تكون سياسية) (٥).

٥- عرفه د.محمد عزيز شكري بأنه (عمل عنيف وراهه دافع سياسي أياً كانت وسيلته وهو مخطط بحيث يخلق حالة من الرعب والهلع في قطاع معين من الناس لتحقيق هدف بالقوة أو لنشر دعاية لمطلب أو ظلامه سواء كان الفاعل يعمل لنفسه بنفسه أم بالنيابة عن مجموعة تمثل شبه دولة (كجماعات التحرر الوطني الانفصالية) أم بالنيابة عن دولة منغمسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في العمل المرتكب شريطة أن يتعدى العمل الموصوف حدود دولة واحدة إلى دولة أو دول أخرى سواء ارتكب العمل الموصوف في زمن السلم أم في زمن الحرب) (٦).

٦- عرفه د.محمد مؤنس محب الدين بانه (حالة من الرعب التي تمكن فاعلها من فرض سيطرته لتحقيق هدف معين) (٧).

(١) مجموعة مؤلفين من أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، (تعريف الإرهاب د. محمد يحيى الدين عوض) ط١، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤، ص ٥٨، يُنظر: د.اسماعيل الغزال، مصدر سابق، ص١٢ وما بعدها.

(٢) نقلاً عن هيثم فالح شهاب، جريمة الإرهاب وسبل مكافحتها في التشريعات الجزائية المقارنة، ط٢، دار الثقافة، عمان، الاردن، ٢٠١٠، ص٣٦.

(٣) نقلاً عن رجب عبد المنعم متولي، الإرهاب الدولي واختطاف الطائرات في ضوء القانون الدولي المعاصر، ط٢، ٢٠٠٢، ص١٠٩.

(٤) نقلاً عن مشهور بخيت العريمي، الشرعية الدولية لمكافحة الإرهاب، ط٢، دار الثقافة، الأردن، ٢٠١١، ص١٦.

(٥) نقلاً عن رجب عبد المنعم متولي، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٦) د. أمل يازجي، د. محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، ط١، دار الفكر، دمشق، نيسان، ٢٠٠٢، ص ٧٠.

(٧) نقلاً عن: يوسف حسن يوسف، الجريمة المنظمة الدولية والإرهاب الدولي، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، ٢٠١٠، ص ٣٤.

٧- عرفه د.نبيل أحمد حلمي بقوله (الاستخدام غير المشروع للعنف أو التهديد به بوساطة فرد أو مجموعة أو دولة ضد فرد أو مجموعة أو دولة ينتج عنه رعب يعرض للخطر ارواحاً بشرية أو يهدد حريات سياسية ويكون الغرض منه الضغط على الجماعة أو الدولة لكي تغير سلوكها تجاه موضوع ما) (١).

٨- عرفه د. إسماعيل الغزال بقوله (إن الإرهاب هو ايدلوجية، مبدأ، فكر، مؤسسة، ميثاق، يسوغ أعمال العنف أو استراتيجية تعطي الأفضلية لتلك الأعمال) ويستند في تعريفه الى فكر سارتر الذي يرى في الإرهاب (القوة الدافعة للتنظيم الاجتماعي ومفتاح الحرية وهو يضعه في أعلى مرتبة للشؤون الإنسانية، وممارسته هي إحدى شروط الحرية) (٢).

وعلى هذا الاساس فحدث الإرهاب الدولي يجب وجود ما ياتي :

١- تنظيمات إرهابية مجموعة افراد تساندها دولة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بصورة خفية وتوفر لها المكان الأمن للتدريب وللتجهيز لممارسة أنشطتها.

٢- إثارة الرعب في نفوس الفئة الموجهة ضدهم الأنشطة الإرهابية، حكماً وشعباً.

٣- استعمال العنف بشكل أساسي لتحقيق أهدافهم بغض النظر عن الطرق الوحشية بشتى انواعها.

٤- الحاق اضرار مادية بالدولة الموجه لها الأنشطة الإرهابية من ممتلكات عامة وخاصة وضرب مصالحها واقتصادها.

٥- تحقيق هدف أساسي هو الدافع السياسي، والإرهابي شخص تسنده دولة لتحقيق غرضها السياسي تجاه دولة أخرى.

المبحث الثاني

شروط واليات التعاون الدولي والإقليمي في مكافحة الإرهاب

تمخض عن الجهود الدولية والإقليمية لمكافحة الإرهاب توقيع العديد من الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية المتعلقة بمكافحة الإرهاب، وان الدول بانضمامها إليها، تون ملزمة باتخاذ الاجراءات كافة الواردة فيها، كما في وضع التشريعات الكفيلة بمواجهة الإرهاب، بحيث تراعي عند وضع العقوبات المقررة للإرهاب، حداً من الجسامة يتناسب مع الطبيعة الخطرة للإرهاب في سبيل تحقيق الردع الكافي ، ذلك إن مواجهة الإرهاب على المستوى الوطني تجري من خلال التشريعات الجنائية الوطنية، فالاتفاقيات الدولية تقرر التزامات على الدول، يستوجب تنفيذها تعديل التشريعات الجنائية الوطنية، فمعظم هذه الاتفاقيات جاءت لسد الثغرات في التشريعات الوطنية، بهدف مواجهة الأنشطة الإرهابية(٣).

ويرجع اهتمام المجتمع الدولي بتجريم ظاهرة الإرهاب، الى تعزيز التعاون الدولي والإقليمي لمواجهته، و لما يضيفه تجريم العمليات الإرهابية من حماية لمصالح المجتمع الدولي عموماً والمجتمع الوطني خصوصاً ، وتندرج هذه الحماية تبعاً لمدى الأهمية المقررة لموضوعها، فان بلغت هذه الأهمية - في نظر المشرع - مكانة كبيرة، أضفى عليها الحماية الجنائية معتبراً المساس بها جريمة تستتبع مسؤولية مرتكبيها ومن ثم توقيع الجزاء الجنائي عليهم(٤).

و سنتناول في هذا المبحث اهم شروط ووسائل التعاون الدولي والإقليمي في مكافحة الإرهاب وعلى النحو الاتي.

المطلب الأول

الدور الإقليمي في مكافحة الإرهاب

إن اهم عوامل التعاون الإقليمي في مجال مكافحة الإرهاب هي المنظمات الإقليمية، والتي تعتبر جزء من المنظمات الدولية، كمنظمة الأمم المتحدة، إذ أن هذه الاخيرة نصت في ميثاقها، وتحديداً الفصل الثامن الى دور المنظمات الإقليمية في حفظ السلم والأمن الدوليين، والذي بلا شك يشتمل على مكافحة الإرهاب، ووفقاً لنص المادة (٥٢) أن للمنظمات

(١) د.يوسف حسن يوسف ، المصدر السابق، ص٣٤ .

(٢) د.اسماعيل الغزال، مصدر سابق، ص١٦ .

(٣) د.احمد فتحي سرور، المصدر السابق، ص ١٣٦ .

(٤) د.محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٩، ص ١٥ .

الإقليمية، ينبغي على هذه المنظمات أن تتخذ الإجراءات اللازمة لحفظ السلم والأمن الدوليين، وكذلك نص المادة (٥٣) الفقرة الأولى التي ألزمت المنظمات الإقليمية باتباع الوسائل القسرية، بناءً على تكليف من مجلس الأمن(١).

وفضلاً عن ذلك، عملت جاهدة إزاء المجازر التي حدثت في رواندا وبوروندي، ١٩٩٠ وضعت إليه لما فيه مجرمي الجرائم ضد الإنسانية، عامةً، والمجتمع والإنسان الأفريقي خاصةً. وكذلك تعرضت منظمة الدول الأمريكية في ميثاقها، إلى حالات التدخل الدولي، وفق نص المادة (١٥) إذ تنص على أنه "لا يجوز لدولة أو مجموعة دول التدخل المباشر أو غير المباشر، في الشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة أخرى"(٢).

وكذلك الحال بالنسبة إلى جامعة الدول العربية، بحيث نجد أن هناك بعض السوابق التي قامت بها بعض المنظمات الإقليمية بالتدخل باستخدام القوة والتي كانت مخالفة لقواعد الشريعة الدولية، ووفق هذه المنظمات الإقليمية سنتناول في هذا المطلب مايتي :

الفرع الأول: مكافحة المنظمات الإقليمية للإرهاب وتفعيل الأمن الجماعي في ميثاق جامعة الدول العربية

يحتل الأمن الجماعي العربي مكانة رئيسة ومهمة، وذلك لما لها من أسباب أساسية، التي دعت إلى حمايتها، وموقعها الإستراتيجية العربي الذي أدى إلى جذب العديد من الأطماع نحوها، وإن هذه الأطماع والتهديدات اتخذت على شكل تدخلات في سياستها الداخلية وكذلك في شؤونها الخارجية، فقد نظمت الميثاق العالمية منها والإقليمية، نصوصها صريحة، تتضمن الأمن الجماعي(٣)، إذ نصت عليها في المادتين (٥ و٦) من ميثاق جامعة الدول العربية(٤). وقد تناول تطبيق نظام الأمن الجماعي في البحث إذ لعبت الجامعة دوراً فعالاً بين شطري اليمن عام ١٩٩٢ من خلال إيقاف إطلاق النار، وسحب القوات المسلحة، فضلاً عن معاهدة الدفاع المشترك، في نيسان ١٩٥٠ التي أكدت على الأمن الجماعي، ضمن إطار العلاقات العربية، إذ أن تأسيس هذه المعاهدة نتيجة للظروف والتهديدات الخارجية للدول العربية، والتي كانت من ضمنها إسرائيل، إذ تناولت مواضيع تتعلق بجانبين، هما الأمن الجماعي، وموضوع التعاون الاقتصادي، لذلك كان لهذه المعاهدة التعاون الاقتصادي، لذلك كان لهذه المعاهدة الأثر الكبير، في تحقيق الأمن والسلم العربي.

و على الرغم من التحديات الداخلية والتمثلة في الخلافات الحدودية، كما هو الحال في كل من المغرب والجزائر حول الصحراء الغربية، وكذلك الحال بين مصر والسودان وبين العراق والكويت والتي وصل الحد بها إلى حدوث نزاعات عسكرية كان ذلك في عام ١٩٩٠(٥)، فضلاً عن التحديات الخارجية، إذ تُعد الأكثر خطورة على وجود نظام الأمن الجماعي، كالاحتلال الإسرائيلي للأراضي كلبنان وفلسطين والجزائر، فضلاً عن وجود قواعد عسكرية، في أراضي عربية(٦)، ولكي يتم تفعيل نظام الأمن الجماعي، وذلك من أجل مواجهة كافة التحديات سواء أكانت على المستوى الداخلي أم الخارجي، من خلال منظومة إصلاح شاملة من خلال تطوير جامعة الدول العربية من خلال إصلاحات شاملة للأوضاع الداخلية للدول العربية، والنظام الإقليمي العربي بشكل عام. ومن أجل الوصول إلى تفعيل الأمن الجماعي لا بد من توافر إرادة سياسية حقيقية من خلال تعديل ميثاق الجامعة، والتأكيد على التزام الجامعة، بأحكام المادتين (٥١ و٥٤) من ميثاق الأمم المتحدة. وتفعيل الميثاق العربي لحقوق الإنسان، مع ضرورة الاعتراف بحقوق الأقليات وكذلك تفعيل الاتفاقية لمكافحة الإرهاب، وكذلك مواجهة المخاطر التي تهدد الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية والإنسانية، التي تدخل ضمن أهداف الأمن الجماعي، وخططها التنموية، وفضلاً عن ذلك استكمال وتطوير مجلس السلم والأمن العربي وعلى هذا الأساس، تعديل المادة (٤) من النظام الأساس للمجلس التي يتضمن تكوين المجلس(٧).

(١) محمد مصطفى يونس، قانون التنظيم الدولي، الجزء الأول، الهيكل التنظيمي، ط١، ١٩٨٦، ص٤٨-٤٩.

(٢) ينظر نص المادة (١٥)، منظمة الدول الأمريكية.

(٣) صادق سعيد محروس، النظام العربي للأمن الجماعي، الوضع الراهن واحتمالات المستقبل، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد (٨٠)، كانون الأول، ١٩٩٤، ص١١٠.

(٤) ينظر، نص المواد (٥) و(٦) من ميثاق جامعة الدول العربية.

(٥) محمود عبد الحميد سليمان، جامعة الدول العربية وخطوات الإصلاح في أربعين عاماً، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية، القاهرة، العدد (١٦١)، ٢٠٠٥، ص١٠٢.

(٦) جمال علي زهران، أزمات النظام العربي وآليات المواجهة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٧) ينظر: نص المادة (٤/أ) من النظام الأساس لمجلس السلم والأمن العربي.

وتقرير دور المنظمات العربي، من دون الإقليمية وتحديد دور العلاقة بينها وبين الجامعة في مكافحة الإرهاب، فضلاً عن ذلك بقاء تدخل المنظمات الإقليمية خاضعاً للأشراف ورقابة مجلس الأمن، وإن استثنى الدول الكبرى بالمسائل الخاصة بحفظ الأمن والسلم الدوليين، بما يتلاءم مع مصالحها، وهذا بدوره يعكس على قرارات مجلس الأمن في تحديد المشكلة أو الأزمة المعروضة، أو الوسيلة التي يستخدمها لمواجهة هذه الأزمة^(١).

الفرع الثاني: شروط تدخل المنظمات الإقليمية في مكافحة الإرهاب

إقر ميثاق الأمم المتحدة دوراً للمنظمات الإقليمية في مجال مكافحة الإرهاب وحماية حقوق الإنسان عامةً، إذ أن الميثاق نص على دور المنظمات الإقليمية في مجال حفظ الأمن والسلم الدوليين خاصةً في كلاً من المادتين (٥٢) و(٥٣)، وأن تدخل هذه المنظمات الإقليمية في سبيل مكافحة الإرهاب ملزمة بمعدلات وضوابط وآلية عمل إذ لا يمكن لهذه المنظمات التدخل من دون اعتماد بعض الشروط أي لا يجوز بمقتضاها أو على يدها القيام بأي عمل من أعمال القمع أو استخدام القوة إلا عن طريق مجلس الأمن ويستثنى من ذلك ما هو منصوص في المادة (١٠٧) والتي يكون القصد منها منع تجديد سياسة العدوان من جانب أي دولة من تلك الدول. وعليه سيتم التطرق إلى هذه الشروط وكالاتي:

الشرط الأول: توافق نشاط المنظمات الإقليمية في مكافحة الإرهاب مع أهداف ومقاصد الأمم المتحدة.

إنَّ التأكيد على أن كل ما يصدر من أعمال وقرارات من قبل المنظمات الإقليمية يجب أن لا يتعارض أو يخالف مبادئ وأهداف الأمم المتحدة، بحيث يتسم بالمشروعية، وإذا خالفت هذه المبادئ فإن تصرفات هذه المنظمات الإقليمية تتصف بغير الشرعية. ومن هذه الأهداف والمبادئ هي المساواة في السيادة وعدم التهديد^(٢)، وحفظ السلم والأمن الدوليين، وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية.

فضلاً عن ذلك فقد أكدت المنظمات الإقليمية في موثيقها على احترام هذه المبادئ ومنها مبدأ الاحترام وعدم التدخل في الشؤون الداخلية مطابقاً لما ورد في نص المادة (٧/٢) من ميثاق الأمم إذ ورد في المادة الخامسة عشر من ميثاق منظمة الدول الأمريكية، إذ نص "لا يجوز لدولة أو مجموعة دول أن تتدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وتحت أي سبب من الأسباب في الشؤون الداخلية أو الخارجية، لدولة أخرى"^(٣). وكذلك كما ورد في نص المادة الثالثة من ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية^(٤) سابقاً (الاتحاد الأفريقي حالياً) والذي أكد على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وكذلك التأكيد على أهمية المساواة في السيادة بين الدول، إذ أن هذه الأهداف والمبادئ التي أقرتها الأمم المتحدة لم تقم المنظمات الإقليمية بمخالفتها فضلاً إلى ذلك فقد ضمنتها في موثيقها^(٥)، وكما ذكر أعلاه.

الشرط الثاني: الممارسات الناتجة عن التدخل من قبل المنظمات الإقليمية في سبيل مكافحة الإرهاب تكون بناء على تكليف من مجلس الأمن وتحت رقابته وأشرافه.

فقد أوضحت نص المادة (٥٤) من ميثاق الأمم المتحدة على ضرورة علم مجلس الأمن بما يجري من أعمال تخص الأمن والسلم الدوليين بمقتضى المنظمات الإقليمية^(٦) فضلاً عن ذلك أن في فيما إذا قرر مجلس الأمن اتخاذ أي تدابير سواء أكانت عسكرية أم غير عسكرية، فله الحق في أن يطلب بتنفيذها سواء كلياً أم جزئياً إلى منظمة إقليمية وتكون قرار مجلس الأمن في هذا الشأن ملزم للمنظمات الإقليمية وذلك نصاً بما جاء في المادتين (٢٥، ١٠٣) من الميثاق.

وإن الهدف من حصول هذه المنظمات الإقليمية على إذن مسبق وبناءً على تكليف من قبل مجلس الأمن هو لتجنب قيام حروب كثيرة وواسعة ولا يمكن التحكم من أثارها إذ أن مجلس الأمن هو الجهاز الرئيس لحفظ السلم والأمن الدوليين.

(١) إبراهيم العناني، الشرعية الدولية والنزاع الليبي الغربي، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٤٨.

(٢) ماهر عبد المنعم أبو يونس، استخدام القوة وفرض الشرعية الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٣٣٩.

(٣) ينظر: المادة الخامسة عشر من ميثاق منظمة الدول الأمريكية.

(٤) ينظر: المادة الثالثة من ميثاق منظمة الوحدة الأفريقي.

(٥) محمد مصطفى يونس، تنفيذ قرارات المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، ١٩٩٩، ص ٢٤٠.

(٦) صلاح عبد الرحمن الحديثي وسلافة طارق الشعلان، حقوق الإنسان بين الامتثال والاكراه في منظمة الأمم المتحدة، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، النجف الاشرف، ٢٠٠٨، ص ٩٨.

المطلب الثاني

الدور الدولي في مكافحة الإرهاب

بعد ان تحدثنا عن الدور الإقليمي في مكافحة الإرهاب، نتناول في هذا المطلب الدور الدولي الذي تلعبه المنظمات الدولية وغيرها في مكافحة الإرهاب، وعلى الشكل الآتي :

الفرع الأول: دور الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب وفقاً لميثاقها

نصت المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة على ما يلي: إن أهداف الأمم المتحدة هي: حماية السلام العالمي والأمن الدولي، وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ التدابير المشتركة الفعالة بدرء الأخطار التي تهدد السلام وأبعادها، والقضاء على كل عدوان أو غيره من الأعمال التي تخل بالسلام والتمسك في حل المنازعات ذات الطابع الدولي بالطرق السلمية وفقاً لقواعد العدل والقانون الدولي في حل هذه المنازعات أو الأوضاع الدولية التي من شأنها أن تؤدي إلى فسم عرى السلام وتنمية علاقات الصداقة بين الأمم المتحدة على أساس احترام مبدأ المساواة بين الشعوب وحق تقرير المصير واتخاذ سائر التدابير لتوطيد السلام العام. وتحقيق التعاون الدولي في حل المشكلات الدولية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإنساني وإشاعة وتطوير احترام حق الإنسان والحريات الأساسية لجميع البشر، بغض النظر عن العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين. والتمكين من أجل تنسيق الجهود الإنسانية لتحقيق هذه الأهداف المشتركة(١)، وقد حدد الفصل الأول مقاصد الأمم المتحدة في المادة الأولى من الميثاق، كما أضاف الميثاق مقاصد أخرى في الفصل التاسع المادة ٥٥/ من الميثاق. وهذا ما دفع العديد من الكتاب إلى اعتماد المادة الأولى كمقاصد للأمم المتحدة، من دون الانتباه إلى ما ورد في الفصل التاسع من الميثاق. ومن الملاحظ أن المقاصد الواردة في الفصل التاسع تدخل ضمن مضمون المقاصد الواردة في المادة الأولى من الميثاق التي تناولت أغلبها أهداف الأمم المتحدة المتعلقة بالتعاون بين الدول، بينما تناولت المادة (٥٥) أغلب أهداف الأمم المتحدة فيما يتعلق بالإنسان نفسه من المعيشة والثقافة والتربية والحياة الكريمة(٢).

وتعمل المقاصد والأهداف على ضمان السلم والأمن الدوليين من جانب، وعلى كفالة إنماء العلاقات الودية بين الدول وضمان حق الشعوب في تحقيق المصير من جانب آخر، وأخيراً عن حظر التدخل في الشؤون الداخلية للدول. وهذه المقاصد والأهداف اتسمت بالطابع الدستوري الذي رتب هنا علو الالتزامات الدولية المتضمنة داخل الميثاق على سائر الالتزامات الدولية التعاهدية للدول(٣).

الفرع الثاني: شروط وأساليب تعزيز التعاون الدولي في مكافحة الإرهاب

ان التعاون الدولي في مكافحة الإرهاب يأخذ صوراً عديدة، وذلك لتنوع صور ووسائل الإرهاب نفسه، كما ان وسائل مكافحة هذا الإرهاب تنوعت هي الأخرى.

فمن أساليب مكافحة الإرهاب هي عملية مكافحة تمويل الإرهاب والتي تمثل إحدى أهم أولويات المجتمع الدولي، وتعني ((وقف تدفق الموارد التي تسمح للإرهابيين بتنفيذ أعمالهم الإرهابية)) (٤)، فالجماعات الإرهابية تحتاج الى موارد مالية هائلة، كافية للانفاق على نشاطاتها في التنظيم والتجنيد والتدريب والتجهيز بالمعدات للأعضاء الجدد وغيرها(٥)، وتتنوع الطرق التي يلجأ إليها الإرهابيون للتمويل، منها ما هو من طبيعة أعمالهم الاجرامية كعمليات السطو على المحلات او اختطاف الأشخاص واحتجازهم بهدف الحصول على الفدية، مقابل اطلاق سراحهم، او من خلال توظيف الأموال التي يملكونها في الاقتصاد المحلي او العالمي كالعقارات وأسواق العمل والنقل والمصارف والمقاولات وغيرها، ناهيك عن

(١) ينظر : المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة.

(٢) سهيل حسين الفتلاوي، الإرهاب الدولي ورعية المقاومة، ط١، دار الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠١١، ص ٦١.

(٣) حازم محمد عتلم، منظمة الأمم المتحدة ، ط٣، دار النهضة العربية ، القاهرة، ٢٠١٤ ، ص ٢٠١.

(٤) سامي على حامد عياد، تمويل الإرهاب، دار الفكر الجامعي، ط١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٧، ص ١٩٠.

(٥) جمال خضر عبد الرحيم، مكافحة عمليات غسل الأموال وتمويل الإرهاب في دول الخليج العربي والشرق الأوسط وتضارب

القوانين والمصالح مع الغرب، الجزء الثاني، دار المحجة البيضاء، ط١، الكويت، ٢٠٠٤، ص ٢٢.

المبالغ الطائلة التي تأتيها من جانب الدول التي لها مصالح في نشاطاتهم كاستخدامها لزعة امن واستقرار دولة أخرى او تصفية حسابات سياسية معها، كما تلعب تبرعات بعض من يؤيدهم دوراً في تكوين مدخراتهم المالية(١).

وفي سبيل تعزيز التعاون الدولي في مجال منع تمويل الإرهاب تم إبرام الاتفاقية الدولية لمنع تمويل الإرهاب لعام ١٩٩٩ والتي تعتبر أول وثيقة قانونية دولية تجرم المساعدة في تمويل العمليات الإرهابية، فهي لا تتعامل مع صورة معينة او شكل محدد من الأفعال الإرهابية، ولكن مع ظاهرة الإرهاب ككل من خلال تجريم صورة من صور المساهمة في العمل الإرهابي أياً كان (٢).

أما جهود لجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الأمن الدولي، فقد قامت بتركيز جهودها في مجال مكافحة تمويل الإرهاب وأصدرت في تشرين الأول ٢٠٠١ توصيات خاصة بمكافحة تمويل الإرهاب وأهمها :

١- على كل دولة اتخاذ خطوات فورية لإبرام وتنفيذ الاتفاقية الخاصة بمنع تمويل الإرهاب وان تنفذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

٢- على كل دولة أن تجرم تمويل الإرهاب والأعمال الإرهابية والمنظمات الإرهابية القائمة بهذه الأعمال.

٣- يجب على كل دولة ان تجرم الأموال والاصول المادية للإرهابيين والأموال والاصول المادية للذين يمولون الإرهاب وفقاً لقرارات الأمم المتحدة.

٤- على كل دولة اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان أن يكون كل من يعمل في تحويل النقود بما في ذلك التمويل من نظام او شبكة غير رسمية لتمويل قيمة النقود مرصداً لهم بممارسة ذلك النشاط ومسجلين لديها في سجل خاص وخاضعين لنفس المعايير التي تنطبق على العاملين في البنوك(٣).

كذلك يعتبر التعاون الدولي بين الشرطة الجنائية الوطنية المختصة بمكافحة الإرهاب وبين الأجهزة المرادفة لها على المستوى الدولي، من اهم وسائل مكافحة الإرهاب والقضاء عليه(٤).

حيث نتج عن التعاون الأمني بين أجهزة الولايات المتحدة و أجهزة بريطانيا المختصة بمكافحة الإرهاب، و أجهزة عدد آخر من الدول، تفادي ارتكاب كارثة جوية لا تقل عن كارثة ١١ ايلول، وذلك في أب ٢٠٠٦ عندما اكتشفت السلطات البريطانية قنابل سائلة كانت في حوزة تنظيم إرهابي كان ينوي وضعها في طائرات بريطانية متجهة الى الولايات المتحدة (٥).

من جانب اخر فان مهارات الحصول على المعلومات الاستخباراتية، وفن اختراق الخلايا الإرهابية تلعب دوراً بارزاً في توفير قاعدة بيانات لدى الدولة عن حجم والية وأهداف الجماعات الإرهابية على أراضيها او ارض الغير، وفيما إذا كانت ضمن الأهداف المحددة او إنها مجرد ملاذ امن وقاعدة لتصدير الإرهاب الى الدول الأخرى، كما تسمح هذه البيانات بتحليل أهداف الجماعات الإرهابية، وامكانياتها، وربطها بغيرها من الجماعات في الدول الأخرى، وهذا يستلزم منظومة تبادل خبرات ومعلومات بين الدول إقليمياً ودولياً لمكافحة الإرهاب، و في سبيل كشف مصادر تمويل هذه الجماعات بالمال والمعلومات والخبرات، الى غير ذلك من البيانات التي تمكن الدولة من اقامة منظومة تعاون مع الدول الأخرى لمنع وقوع الأعمال الإرهابية، فهذه البيانات تمكن المجتمع الدولي والإقليمي من مكافحة الإرهاب بأسلوب الوقاية السابقة على ارتكاب الافعال الإرهابية ، حيث حرصت معظم الدول على أن تبني أجهزة متخصصة بمهمة جمع المعلومات تملك القدرة

(١) تهاني علي يحيى زياد، الإرهاب ووسائل مكافحته في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لسنة ١٩٩٨ دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨، ص ٤٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٨.

(٣) احمد محمود خليل، الجريمة المنظمة الإرهاب وغسيل الأموال، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص ١١١.

(٤) د.سلامة إسماعيل محمد، مكافحة الإرهاب الدولي (خطف الطائرات والسفن شرح القرصنة الجوية والبحرية دراسة تحليلية مؤيدة بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية)، الكتاب الجامعي، ط٢، مصر، ٢٠٠٤، ص ٥٦٧.

(٥) د.حسين المحمدي بوادي، المنظومة الأمنية في مواجهة الإرهاب (الأساليب المستحدثة لمواجهة الإرهاب)، دار الفكر الجامعي، ط١، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧، ص ٨٤.

والإمكانية على جمع المعلومات وتحليلها وتشخيص نقاط ضعف العدو من خلالها، فتتكون للدولة المقدرة على إجهاض الأعمال الإرهابية والحيلولة دون وقوعها(١).

وقد ألزمت غالبية الاتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة بمكافحة الإرهاب الدول الاعضاء بتعزيز التعاون الأمني وتبادل المعلومات الاستخباراتية، من ذلك اتفاقية منع الهجمات بالقنابل لعام ١٩٩٧، والتي ألزمت الدول الأطراف في م ١٥ منها بالتعاون فيما بينها لمكافحة الإرهاب، فنصت ((..... ب - تتعاون الدول الأطراف على منع ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في المادة الثانية، ولاسيما فيما يتعلق بتبادل المعلومات الدقيقة المتحقق منها وفقاً لقانونها الداخلي وتنسيق التدابير الإدارية وغير الإدارية المتخذة بحسب الاقتضاء لمنع ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في الاتفاقية)) (٢)

هذا و تتصف الأجهزة الأمنية في الدول المتأخرة، بضعف الخبرة ومحدودية الامكانية و بتراجع إمكانياتها المادية والخبرائية، وافتقارها الى التقنية الحديثة، في حين تمتاز الدول المتقدمة بوافر الخبرة والامكانية، ولاسيما في المجال التكنولوجي ونظم الحاسبات الالية، بحيث تملك تسخيرها لمكافحة الإرهاب والقضاء عليه (٣)، وفي مجال التعاون الدولي والإقليمي في مكافحة الإرهاب، اقترحت بعض الدول إنشاء لجنة دولية خاصة لتنسيق الجهود دولياً وإقليمياً في سبيل مكافحة الإرهاب، وتضطلع هذه اللجنة بتنسيق اعمال تحليل المعلومات وتبادلها وتقييم التهديدات الإرهابية، وممارسة مهمة تدريب الأجهزة المختصة بمكافحة الإرهاب وتقديم النصائح للوزراء المعنيين كوزراء الداخلية والعدل والأجهزة الأخرى ذات العلاقة، والمساعدة في إعداد تدريبات مشتركة لإنقاذ الرهائن واي عمليات أخرى تتخذ في سبيل مكافحة الإرهاب على المستويين الإقليمي والدولي(٤).

وفي هذا المجال يمارس جهاز الشرطة الدولية (الانتربول)، دوراً كبيراً في مجال تعزيز التعاون الأمني على المستوى الدولي والإقليمي في سبيل مكافحة الإرهاب، وذلك من خلال جمع البيانات ذات الطبيعة الإرهابية، والمتحصلة من الدول الاطراف في المنظمة، حيث تمتلك مكاتب وطنية مركزية، تمارس مهمة تحليل هذه البيانات والمعلومات، بواسطة متخصصين و خبراء، ودراسة النتائج واستخدامها، في اطار جهود مكافحة الإرهاب على المستوى الدولي والإقليمي، بحيث تشكل قاعدة معلومات عن اهم و اخطر أهداف الإرهابيين وامكانياتهم وخططهم على المستوى الدولي والإقليمي، وتبادل هذه المعلومات مع المكاتب المركزية الوطنية للدول الأعضاء في الانتربول من خلال وسائل الاتصال السريعة والمتطورة والتي تنقل الصور والبيانات ونتائجها والبصمات الخاصة بالإرهابيين وغيرها من المعلومات ذات العلاقة(٥).

والى جانب ماتقدم فقد أولت السياسة الجنائية الدولية اهتماماً كبيراً بموضوع توفير المساعدة القضائية في اطار الاتفاقيات الدولية والإقليمية الخاصة بمكافحة الإرهاب بوصفها من اهم وسائل مواجهة التنظيمات الإرهابية، والتي تمارس اصنافاً متنوعة من الجرائم الإرهابية، وشجعت الدول على تعزيز التعاون فيما بينها، من خلال تبادل المساعدة والتنسيق، بما في ذلك جمع الأدلة وتحليلها، وتوفير الضمانات اللازمة لحماية الشهود، وتبادل الخبرات القضائية والتحقيقية(٦).

فاتفاقية لاهاي لعام ١٩٧٠ الخاصة بخطف الطائرات ألزمت الدول الأطراف في (م١٠) بتقديم كل مساعدة ممكنة، فيما يتعلق بالإجراءات الجنائية المتخذة في مواجهة الجرائم المرتكبة ضد الركاب او الطاقم من قبل المتهم، حيث يجري تقديم المساعدة وفقاً لقانون الدولة المساعدة، كذلك نصت اتفاقية مونتريال لعام ١٩٧١ الخاصة بسلامة الطيران المدني في (م١٠) على نفس الاجراء(٧)، أما الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٨ فقد نصت في (م٩) منها على أن ((لكل دولة

(١) تهاني علي يحيى زياد، المصدر السابق، ص ٤١٥.

(٢) كما نصت على ذات المبدأ الاتفاقية الدولية لمنع الأعمال المرتكبة ضد الأشخاص المتمتعين بحماية دولية لعام ١٩٧٣ في (م ٤ف٥) و(م٥ف٢).

(٣) د.علي بن فايز الجحني، التعاون العربي في مكافحة الإرهاب الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، بحث مقدم لندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، ١٩٩٩، ص ١٥٧، ١٥٦.

(٤) د.سلامة إسماعيل محمد، مرجع سابق، ص ٥٦٨.

(٥) د.منتصر سعيد حمودة، المنظمة الدولية للشرطة الجنائية الانتربول، دار الفكر الجامعي، ط١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص ١٣٤.

(٦) د.سليمان احمد إبراهيم، القواعد الجنائية للجريمة المنظمة والتعاون الدولي في سبل مكافحتها، دار الكتاب الحديث، ط ١، القاهرة،

مصر، ٢٠٠٨، ص ٣٥٠

(٧) تهاني علي يحيى زياد، المصدر السابق، ص ٤٠٣.

متعاقدة أن تطلب الى أية دولة متعاقدة أخرى القيام في إقليمها نيابة عنها بأي إجراء قضائي متعلق بدعوى ناشئة عن جريمة إرهابية)).

من جانب اخر فان المنظمات الإرهابية اكتسبت مقدرة على نقل عملياتها الى دول أخرى، وتوسيع نشاطاتها كلما أتاحت لها الفرصة، وذلك يحتم على الدول أن تنتهج نظاماً تعاونياً عملياً في النطاقين الدولي والإقليمي، في مجال تسليم الإرهابيين(١).

والتسليم او الاسترداد هو ((أن تتخلى دولة عن شخص موجود في إقليمها الى دولة أخرى بناءً على طلبها لتحاكمه عن جريمة يعاقب عليه قانونها او لتنفيذ حكم صادر بحقه من محاكمها)) (٢).

وقد نصت غالبية الاتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة بمكافحة الإرهاب على مبدأ التسليم، إلا إنها انتقدت بشأن عدم الزام الدول الاطراف بالتسليم، فالإرهابيين، يكون من الممكن تسليمهم، ولكن دون الزام (٣).

واخيرا فقد تنبه المجتمع الدولي والإقليمي الى خطورة حصول الإرهابيين على أسلحة الدمار الشامل واستخدامها في نشاطاته الإرهابية، حيث قامت جماعة دينية متطرفة في اليابان تدعى اومشين ريكو الدينية عام ١٩٩٥ بالهجوم على مترو أنفاق طوكيو باستخدام غاز السارين، والذي أدى الى مقتل ١٢ شخص وإصابة الآلاف (٤).

و على اثر ذلك تم إبرام الاتفاقية الدولية لقمع اعمال الإرهاب النووي لعام ٢٠٠٥ والتي أشارت الى (إن اعمال الإرهاب النووي يمكن أن تسفر عن نتائج وخيمة وقد تشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين)، وقد أشارت هذه الاتفاقية في م ٢ الى جريمتين من جرائم الإرهاب النووي وهما: (جريمة حيازة مادة مشعة او صنع او حيازة جهاز مشع بقصد إزهاق الأرواح او إلحاق اضرار بدنية او أحداث اضرار بالممتلكات او البيئة، أما الثانية جريمة استخدام مادة مشعة او جهاز مشع او استخدام مرفق نووي او أحداث به بطريقة تؤدي الى إطلاق مادة مشعة اذا كان ذلك بقصد إزهاق الأرواح او إلحاق الأضرار بدنية او إلحاق الضرر بالممتلكات او البيئة)، كما تلزم الاتفاقية الدول الأطراف بجعل الجرائم الواردة في المادة الثانية جرائم بموجب قوانينها الوطنية وان تعاقب عليها بعقوبات مناسبة(٥).

الخاتمة

لقد توصلنا من خلال هذه الدراسة الى عدد من النتائج والتوصيات نجلها فيما يلي :

النتائج :

ليس هناك تعريف مانع جامع للإرهاب متفق عليه بين الدول على المستويين الإقليمي والدولي، لذلك كثرت التعريفات مع اختلافها وتنوعها، وبدا لنا أن تعريف الدول للإرهاب كان انعكاساً لمصالحها، واقتصرها على تعريف الإرهاب الداخلي دون التطرق الى الإرهاب الدولي، خاصة بعد تزايد عدد ضحايا جرائم الإرهاب الدولي وأصبح بالملايين، فما يعد إرهاباً في دولة معينة، قد لا يعد كذلك في دولة أخرى، وهذا ما يوضح التباين في التعريفات ونصوص التجريم للأعمال الإرهابية، واختلاف آراء الفقهاء حول التعريف.

إن ما يميز الأعمال الإرهابية هو أنها تنطوي على استخدام العنف الاعمى والقوة المفرطة أو التهديد بهما ضد الأشخاص لاسيما المدنيين وتدمير الممتلكات، ويهدد الأمن لما يبته من رعب وإفزع وترويع الناس، وهو الإرهاب العابر للحدود المتجاوز الفواصل ما بين الدول الموجه الى الحكام والمحكومين على السواء.

إن أغلب عمليات الإرهاب الإجرامية الموجهة ضد الضحايا المدنيين الأبرياء هي من قبيل جرائم الإرهاب الدولي، فالواقع يبين أن غالبية عمليات الإرهاب المحلي مموله ومدعومة من قبل دول، تتخذ من الإرهابيين غاية لتحقيق مصالحها السياسية أو بدافع الانتقام، وهذا يستلزم منظومة معاهدات دولية وإقليمية لمكافحة الإرهاب.

(١) د. سليمان احمد إبراهيم، المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٢) د. سليمان احمد إبراهيم، المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٣) د. محمود حجازي محمود، مكافحة الإرهاب الدولي بين القانون الدولي وممارسات الدول، ٢٠٠٦، ص ١٢٢.

(٤) د. سامي على عياد، الإرهاب المعاصر في صورته وأشكاله وأنماطه وإبعاده الجديدة (بيولوجي، تكنولوجي، نووي، كيميائي)، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، ٢٠١٠، ص ١٢٧.

(٥) د. حسنين المحمدي بوادي، الإرهاب النووي لغة الدمار الشامل، دار الفكر الجامعي، ط ١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٧، ص ٨٥.

الإرهاب الدولي يمثل إحدى صور الجرائم الدولية، عندما يدخل فيها عنصر دولي متمثل في جنسية الجاني أو الضحية أو مكان ارتكاب الجريمة أو وقوع الجريمة على مصلحة يحميها القانون الدولي، وقد يخط وينفذ في دولة ويرتكب في دولة أخرى، أو تشترك دولتين أو أكثر في تنفيذ العمليات الإرهابية تجاه دول أخرى لتحقيق غرض انتقامي، وأهداف سياسية بالدرجة الأساس، ويمكن مكافحة هذا الإرهاب من خلال تعزيز التعاون الدولي والإقليمي.

ليس هناك نصوص قانونية خاصة في أغلب الدول تعالج جرائم الإرهاب الدولي، وإنما تقتصر التشريعات الوطنية على نصوص تجرم الإرهاب الداخلي، أما بموجب قانون خاص بمكافحة الإرهاب أو تتم مواجهتها بموجب نصوص الجرائم العادية، على الرغم من تعرض هذه الدول لخطر العمليات الإرهابية من قبل جماعات إرهابية مدعومة من قبل دول أخرى، كما هو الحال في العراق في قانون مكافحة الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ الذي لم يدرج فيه نصوص تنص على معالجة الإرهاب الدولي، وهذا يستلزم صياغة معاهدات على المستوى الدولي والإقليمي تجبر فيها الدول على الالتزام بنصوصها داخلياً.

عدم وجود محكمة دولية متخصصة بجرائم الإرهاب الدولي، وإن المحكمة الجنائية الدولية بإمكانها تعقب مرتكبي هذه الجرائم لكن تحت مسميات أخرى تدخل في اختصاص المحكمة جرائم ضد الإنسانية، وجرائم الإبادة الجماعية، دون الحاجة إلى موافقة الدولة التي ينتسبون إليها إستناداً إلى أحكام المواد (١٣، ١٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨) من النظام الأساسي، والتي تنطبق على الأشخاص بصورة متساوية ودون تمييز بسبب الصفة الرسمية.

فيما يخص تحديد الاختصاص للنظر في جرائم الإرهاب ذات الطابع الدولي تطبق الدول المبادئ الأساسية وهي (مبدأ الإقليمية والشخصية ومبدأ الاختصاص العالمي) وهذه المبادئ ضرورية لحل الإشكالات المتعلقة بتحديد الاختصاص القضائي في حالة الاختلاف ما بين الدول في هذا الخصوص، ومع ذلك فإن بإمكان التعاون الدولي والإقليمي تجاوز هذه الإشكالات.

يعد الإرهاب الدولي بموجب قرارات مجلس الأمن المتعلقة بمكافحة الإرهاب خطراً يهدد السلام والأمن الدوليين إذ يؤكد إن الإرهاب في جميع أشكاله ومظاهره هو عمل إجرامي ولا يمكن تبريره بغض النظر عن دوافعه أو هوية مرتكبه، منها القرار ١٣٧٧/٢٠٠١ الذي عد أعمال الإرهاب الدولي تشكل خطراً يهدد السلام والأمن الدوليين، وهذا ما يرتب المسؤولية الدولية على الدول الداعمة والممولة له

انتقال مكافحة الإرهاب إلى مستوى جديد أشد خطورة وحرماً من جهة تشكيه تهديداً للسلام والأمن الدوليين وتحدياً للقيم والمكتسبات الدولية، فاتجهت الدول في سبيل التصدي له إلى تشديد سياساتها الخاصة بمواجهة الإرهاب وفرض تدابير وقائية استثنائية، والانضمام إلى المعاهدات الدولية والإقليمية لتعزيز جهود مكافحة الإرهاب.

تفوق الجمعية العامة للأمم المتحدة على مجلس الأمن من جهة اهتمامها بالموضوع، في سياق مكافحة الإرهاب، فاقترحت دور مجلس الأمن على إصدار قرارات الإدانة للإرهاب وفرض العقوبات على الدول والجماعات التي ترتكب بعض الأفعال الإرهابية دون مراعاة لتأثير تلك العقوبات على الشعوب.

التوصيات :

ضرورة تعزيز التعاون الدولي والإقليمي من خلال وضع المعاهدات الدولية و إبرامها بين الدول ومتابعة تنفيذها، مع ضمان تنفيذها وطنياً، وذلك بتخصيص نصوص قانونية في قانون مكافحة الإرهاب الخاص بكل دولة أو إدراجها في ضمن قانون العقوبات كون الإرهاب الدولي يزداد خطورة من دون وجود قوانين وعقوبات رادعة لمرتكبي جرائم الإرهاب الدولي، والعمل على تعديل التشريعات الوطنية وفقاً للاتفاقيات الدولية الخاصة بمكافحة الإرهاب لكي تصبح قابلة للتطبيق في تلك الدول، إذ لا يكفي تجريم العمل الإرهابي إذا لم ينص على العقوبة المحددة على الفعل في التشريع الداخلي، لتمكين القضاء الوطني من فرض سيطرته على الجرائم الإرهابية وفق المعايير الوطنية.

البحث عن الأسباب الحقيقية للإرهاب الدولي والعمل على إزالتها من خلال التعاون الدولي والإقليمي، والتزام الدول بأساليب منع الإرهاب وقمعه تجاه سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية وتجاه رعاياها، مما يعكس بآثاره الإيجابية في انخفاض عدد الجرائم الإرهابية، أي المعالجة بالأسلوب الوقائي وإتخاذ التدابير اللازمة قبل وقوع الجرائم الإرهابية، إذ إن العديد من الدول رغم مشاركتها في وضع مشاريع الاتفاقيات الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب الدولي سواء العالمية أو الإقليمية إلا أنها لم تقم بإجراء المصادقة على هذه الاتفاقيات، أو عدم تنفيذ بنود الاتفاقيات في قوانينها الوطنية بالنسبة للدول الأطراف فيها، مما شكل نقصاً في مصادقية هذه الاتفاقيات على مستوى التعاون بين الدول في مكافحة الإرهاب الدولي كونها انتجت نصوص قانونية تقتصر إلى القوة الإلزامية.

إبرام الإتفاقيات الدولية والإقليمية الخاصة بالقبض على مرتكبي الأعمال الإرهابية ومحاكمتهم أو تسليمهم وفقاً للأحكام ذات الصلة بالقوانين الوطنية على أساس ثنائي أو إقليمي ومتعدد الأطراف.

نقترح قيام العراق بعقد إتفاقيات ثنائية مع الدول المجاورة حول تسليم الإرهابيين أو محاكمتهم تلتزم هذه الدول بمحاكمة رعاياها من مرتكبي الجرائم الإرهابية في العراق، وحسب قوانينها الوطنية بشكل لا يؤثر على سيادة هذه الدول أو التدخل في أمورها الداخلية.

مكافحة تمويل الإرهاب من المنظومة المتكاملة في مكافحة جرائم الإرهاب الدولي، فعلى الرغم من أن تتبع الأنشطة المالية للجماعات الإرهابية لن يوقف كل نشاطاتها، إلا إنه يعطل ويدمر بعض الأنشطة، لذا ينبغي على الدول التأكد من أن المؤسسات المالية تخضع لرقابة وتنظيم كافيين للحيلولة دون وصول هذه الأموال إلى التنظيمات الإرهابية، والتي تمول من قبل دول بصورة متسترة.

ضرورة أن يكون النظر بجريمة الإرهاب الدولي من قبل اختصاص المحكمة الجنائية الدولية والحاكمة بنظام روما الى جانب الجرائم التي تنظر بها المحكمة، لتزايد جرائم الإرهاب الدولي وتهديده للسلم والأمن الدوليين، ولا يمكن السيطرة عليه إلا باتخاذ أسلوب محاسبة مرتكبي هذه الجرائم عن طريق محكمة دولية، أو أن يكون الأمر نفسه مطبقاً في جريمة الإرهاب الدولي من الأخذ بمبدأ التكامل ووجوب أن تنفذ إجراءات التقاضي الوطنية أولاً.

توجيه وتكثيف الجهود المبذولة دولياً و إقليمياً وداخلياً نحو معالجة أساس ظاهرة الإرهاب وذلك بالبحث عن الأسباب الكامنة وراء سلوك الأفراد سبيل العنف والإرهاب وإزالتها، فقد سبق ان ذكرنا ان هناك أسباباً عديدة تقف وراء تنامي ظاهرة الإرهاب يقف في مقدمتها الأسباب السياسية لاسيما ما يشهده العالم من انعدام العدل واستغلال ازدواجية في التعامل وغطت الحقوق السياسية ومصادرتها، الى جانب العوامل الاقتصادية المتمثلة في تركيز الثروة القومية بأيدي أصحاب السلطة وانتشار الفقر، فضلا عن انتشار التطرف والأفكار الدينية المشوهة، هذه وغيرها كلها أسباب تدفع الكثيرين نحو سلوك سبيل الإرهاب لابد من معالجتها اولاً وقبل كل شئ قبل الاتجاه نحو فرض اجراءات أمنية مشددة او معاقبة الإرهابيين بأشد العقوبات، وإلا كانت هذه المعالجة ناقصة لا تحقق الهدف المنشود.

المراجع :

اولا : الكتب

احمد فتحي سرور ، المواجهة القانونية للإرهاب، مركز الأهرام للطباعة والنشر، ط ٢، مصر، ٢٠٠٨.

أحمد محمد رفعت، د.صالح بكر الطيار، الإرهاب الدولي، ط١، مركز الدراسات العربي-الأوروبي،باريس، فرنسا، ٢٠٠٢

احمد محمود خليل، الجريمة المنظمة الإرهاب وغسيل الأموال، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨.

أسامة حسين محي الدين، جرائم الإرهاب على المستوى الدولي والمحلي (دراسة تحليلية)، ط١، دار المكتب العربي الحديث، مصر، الإسكندرية، ٢٠٠٩

إسماعيل الغزال، الإرهاب والقانون الدولي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠

إمام حسنين عطا الله، الإرهاب والبنين القانوني للجريمة، ط١، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٤.

إمام حسنين، جرائم الإرهاب الدولي في التشريعات المقارنة (دراسة تحليلية للتشريعات الجنائية العربية والأجنبية والشريعة الإسلامية، ط١، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠١٠.

أمل يازجي، د. محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، ط١، دار الفكر، دمشق، نيسان، ٢٠٠٢.

تهاني علي يحيى زياد، الإرهاب ووسائل مكافحته في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لسنة ١٩٩٨ دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨.

- جمال خضر عبد الرحيم، مكافحة عمليات غسل الأموال وتمويل الإرهاب في دول الخليج العربي والشرق الأوسط وتضارب القوانين والمصالح مع الغرب، الجزء الثاني، دار المحجة البيضاء، ط١، الكويت، ٢٠٠٤.
- جمال علي زهران، أزمات النظام العربي وآليات المواجهة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
- حازم محمد عتلم، منظمة الأمم المتحدة، ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٤.
- حسنين المحمدي بوادي، الإرهاب الدولي تجريباً ومكافحة، ط١، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧.
- حسنين المحمدي بوادي، الإرهاب النووي لغة الدمار الشامل، دار الفكر الجامعي، ط١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٧.
- حسنين المحمدي بوادي، المنظومة الأمنية في مواجهة الإرهاب (الأساليب المستحدثة لمواجهة الإرهاب)، دار الفكر الجامعي، ط١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٧.
- رجب عبد المنعم متولي، الإرهاب الدولي واختطاف الطائرات في ضوء القانون الدولي المعاصر، ط٢، ٢٠٠٢.
- سامي جاد عبد الرحمن واصل، إرهاب الدولة في إطار القانون الدولي العام، ط١، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٣، ص٥٦
- سامي على حامد عياد، تمويل الإرهاب، دار الفكر الجامعي، ط١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٧.
- سامي على عياد، الإرهاب المعاصر في صورته وأشكاله وأنماطه وإبعاده الجديدة (بيولوجي، تكنولوجي، نووي، كيميائي)، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، ٢٠١٠.
- سلامة إسماعيل محمد، مكافحة الإرهاب الدولي (خطف الطائرات والسفن شرح القرصنة الجوية والبحرية دراسة تحليلية مؤيدة بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية)، الكتاب الجامعي، ط٢، مصر، ٢٠٠٤.
- سليمان احمد إبراهيم، القواعد الجنائية للجريمة المنظمة والتعاون الدولي في سبل مكافحتها، دار الكتاب الحديث، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨.
- سهيل حسين الفتلاوي، الإرهاب الدولي ورعية المقاومة، ط١، دار الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠١١.
- صلاح عبد الرحمن الحديثي وسلافة طارق الشعلان، حقوق الإنسان بين الامتثال والاكراه في منظمة الأمم المتحدة، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، النجف الاشرف، ٢٠٠٨.
- طارق عبد العزيز حمدي، المسؤولية الدولية الجنائية والمدنية عن جرائم الإرهاب الدولي، ط١، دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨، ص٢٣.
- علي يوسف الشكري، الإرهاب الدولي في ظل النظام العالمي الجديد، ط١- إيتراك للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٨.
- عماد محمد علي، الأمم المتحدة وإرهاب الدولة في مجال السلم والأمن الدولي، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣.
- ماهر عبد المنعم أبو يونس، استخدام القوة وفرض الشرعية الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- مجموعة مؤلفين من أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، (تعريف الإرهاب د. محمد يحيى الدين عوض) ط١، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤.
- محمد فتحي عيد، واقع الإرهاب في الوطن العربي، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩، مركز الدراسات والبحوث.
- محمد مصطفى يونس، تنفيذ قرارات المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، ١٩٩٩.
- محمد مصطفى يونس، قانون التنظيم الدولي، الجزء الأول، الهيكل التنظيمي، ط١، ١٩٨٦.
- محمد نعيم علوة، موسوعة القانون الدولي العام، قانون مكافحة الإرهاب الدولي (الجزء ١٠)، ط١، منشورات زين الحقوقية، ٢٠١٢.

محمود حجازي محمود، مكافحة الإرهاب الدولي بين القانون الدولي وممارسات الدول، ٢٠٠٦.
محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٩.
مشهور بخيت العريمي، الشرعية الدولية لمكافحة الإرهاب، ط٢، دار الثقافة، الأردن، ٢٠١١.
منتصر سعيد حمودة، المنظمة الدولية للشرطة الجنائية الانتربول، دار الفكر الجامعي، ط١، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٨.
منتصر سعيد حمودة، الإرهاب الدولي (جوانبه القانونية ووسائل مكافحته في القانون الدولي العام والفقہ الإسلامي)، ط١، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨.
موسى جميل الدوبك، الإرهاب والقانون الدولي، ط١، اعداد جامعة القدس، فلسطين، ٢٠٠٤.
هيثم فالح شهاب، جريمة الإرهاب وسبل مكافحتها في التشريعات الجزائية المقارنة، ط٢، دار الثقافة، عمان، الاردن، ٢٠١٠.

ياسين طاهر الياسري، مكافحة الإرهاب في الاستراتيجية الأمريكية رؤية قانونية تحليلية، دار الثقافة، ط١، ٢٠١١.
يوسف حسن يوسف، الجريمة المنظمة الدولية والإرهاب الدولي، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، ٢٠١٠.

ثانيا : المجالات والبحوث

إبراهيم العناني، الشرعية الدولية والنزاع الليبي الغربي، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨

صادق سعيد محروس، النظام العربي للأمن الجماعي، الوضع الراهن واحتمالات المستقبل، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد (٨٠)، كانون الأول، ١٩٩٤.

علي بن فايز الجحني، التعاون العربي في مكافحة الإرهاب الاتفاقيه العربية لمكافحة الإرهاب، بحث مقدم لندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، ١٩٩٩

علي حمزة عسل، مشكلة الإرهاب، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد ٥، العدد ٤، ٢٠٠٧.

كارين روديه، استحالة التعريف الموضوعي للإرهاب، ترجمة د.عباس عبود عباس، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١٢٠٠٩.

محمود عبد الحميد سليمان، جامعة الدول العربية وخطوات الإصلاح في أربعين عاماً، مجلة السياسية الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية، القاهرة، العدد (١٦١)، ٢٠٠٥

ثالثا : الرسائل والاطاريح الجامعية

حسن عزيز نور الحلو، رسالة ماجستير مقدمة إلى الأكاديمية العربية في الدنمارك، فلندا، ٢٠٠٧.

رشيد صبحي جاسم محمد، الإرهاب والقانون الدولي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠٠٣.

شذى عبودي عباس البازي، آليات مكافحة الإرهاب وأثرها على حقوق الإنسان، رسالة مقدمة الى جامعة الكوفة، كلية القانون، ٢٠١٢

(v) ينظر : الزبيدي: تاج العروس: ١١ / ٢٦٥.

(vi) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(vii) السيف: التدابير الواقية من الجرائم القولية في الاسلام: ص٢٤ نقلاً عن جيرار كورنو: معجم المصطلحات القانونية: ص٤٤٠.

- (viii) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١٢٥٥ برقم (٦٥٦٣)، ومسلم في صحيحه: ٨٦/٣ برقم (٢٣٩٦).
- (ix) ابن فارس: مقاييس اللغة: ٦/ ١٣١.
- (x) سورة الطور، الآية: ٨.
- (xi) ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٥٢٧، ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٤٠١، الزبيدي: تاج العروس: ٤٠/ ٢٢٦.
- (xiii) عمار: سياسة الوقاية ومنع من الجريمة في عهد عمر بن الخطاب (رسالة ماجستير): ص ١٤٦ نقلاً عن مذكرات في السياسة الجنائية: لمحمد محي الدين عوض: ٣٢/١.
- (xiv) ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ١٤٠، الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ص ٩٢. ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٤٠١، الزبيدي: تاج العروس: ٤٠/ ٢٢٦.
- (xv) لأبن فارس: ٤٤٧/٢.
- (xvi) للدكتور أحمد مختار: ٩٤٩/٢.
- (xvii) ينظر: العليكي: المورد (قاموس عربي إنكليزي): ص ٧٧، ٥٦٢.
- (xviii) عدد من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٩/ ٣٨٢٩-٣٨٢٨.
- (xix) العبد الجبار، د. عادل العبد الجبار: الإرهاب في ميزان الشريعة: ص ٢٠.
- (xx) مجلة البحوث العلمية، العدد السابع والتسعون - الإصدار من رجب إلى شوال ١٤٣٣ هـ نقلاً عن قرارات المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة السادسة عشرة في ٢٦ شوال ١٤٢٢ هـ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة: ٩٧/ ٢٤٦-٢٤٧.
- (xxi) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
- (xxii) ينظر: رضا، محمد رشيد: تفسير المنار: ١٠/ ٥٣.
- (xxiii) سورة القصص، الآية: ٧٧.
- (xxiv) ينظر: الطبري: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
- (xxv) سورة المائدة، الآية: ٢.
- (xxvi) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٧.
- (xxvii) سورة التوبة: الآية: ١٠٠.
- (xxviii) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٥٠٢ برقم (٢٦٥٢) عن عبد الله.
- (xxix) ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية: ص ١٨٠.
- (xxx) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٦/ ٥٩.
- (xxxi) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه: ٥/ ٥٢١ برقم (٢٨٥٩١).
- (xxxii) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه: ٥/ ٤٣٥ برقم (٢٧٧٥٣).
- (xxxiii) أخرجه مسلم في صحيحه: ١٠/ ١ برقم (٢١).
- (xxxiv) الشافعي: الرسالة: ص ٣٩.
- (xxxv) المصدر السابق: ص ٥٠.
- (xxxvi) ولمزيد من التصيل والإطلاع على ضوابط الفهم الصحيح للدين ينظر: أ. نادر نمر وادي: ضوابط فهم السنة عند الإمام الشافعي: ص ٣٩١-٤٠٩، الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة على الموقع الإلكتروني: <https://www.assakina.com>.
- (xxxvii) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: ١٤٢/ ١٤ برقم (٨٤١٧) علق شعيب الأرنؤوط على الحديث: بأن إسناده جيد.
- (xxxviii) ينظر: العزيمي: السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: ٣/ ١٩٦.
- (xxxix) أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٦٠٠ برقم (٢٣٩٥) وحسنه الشيخ الألباني.
- (xl) ينظر: الملا القاري: مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٨/ ٣١٤١.
- (xli) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١٠٩١ برقم (٥٥٣٤)، ومسلم في صحيحه: ٨/ ٣٧ برقم (٦٨٦٠).
- (xlii) ينظر: د. لاشين: المنهل الحديث في شرح الحديث: ٤/ ١١١-١١٢.
- (xliii) أخرجه الدارمي في سننه الدارمي: ١/ ٣٨٧ برقم (٤٠٥).
- (xliv) ينظر: الماوردي: أدب الدنيا والدين: ص ١٠٦.
- (xlv) أخرجه أبو داود في سننه: ١/ ١٥٠ برقم (٣٤٧) وحسنه الشيخ الألباني.
- (xlvi) أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٤٦٦ برقم (٢١٦٦) وصححه الشيخ الألباني.
- (xlvii) أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٤٦٥ برقم (٢١٦٥) وصححه الشيخ الألباني.
- (xlviii) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.
- (xlix) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١١٢ برقم (٤٨١)، ومسلم في صحيحه: ص ١٠٤١ برقم (٢٥٨٥) واللفظ للبخاري.
- (l) ينظر: الحوار مع الأديان مشروعته وشروطه وآدابه: ص ٩.
- (li) سورة هود: الآية: ١١٨.
- (lii) سورة النحل: الآية: ١٢٥.
- (liii) سورة الحجرات: الآية: ١٣.
- (liv) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٤٤٢ برقم (٢٣٥١).
- (lv) المظهري: المفاتيح في شرح المصابيح: ٤/ ٥٣٥.
- (lvi) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١٠٥٠ برقم (٥٣٠٥).
- (lvii) ينظر: د. لاشين: المنهل الحديث في شرح الحديث: ٤/ ٧٩-٨٠.
- (lviii) سورة النساء، الآية: ٩٣.
- (lix) سورة المائدة، الآية: ٣٢.
- (lx) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ١٤٦.

- (lxi) أخرجه مسلم في صحيحه: ص برقم (١٦٧٨).
- (lxii) أخرجه الترمذي في سننه: ١٦/٤ برقم (١٣٩٥) وصححه الشيخ الألباني.
- (lxiii) أخرجه الترمذي في سننه: ٢٩٦/٢ برقم (٤١٣) وصححه الشيخ الألباني.
- (lxiv) ينظر: ابن الملك: شرح مصابيح السنة للبغوي: ١١٨ / ٤.
- (lxv) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١٣٠٩ برقم (٦٨٦٢).
- (lxvi) ينظر: المظهري: المفاتيح في شرح المصابيح: ١٨٨ / ٤، الطيبي: شرح المشكاة للطبي المسمى (الكاشف عن حقائق السنن): ٨ / ٢٤٥٤.
- (lxvii) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١٣٠٩ برقم (٦٨٦٣).
- (lxviii) ينظر: ابن هبيرة: الإفصاح عن معاني الصحاح: ٢٤٤/٤، الكرمانى: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٣ / ٢٤.
- (lxix) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٥٣٣ برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه: ص ٦٣ برقم (٨٩).
- (lxx) أخرجه أبو داود في سننه: ٤٥٨/٤ برقم (٥٠٠٦) وصححه الشيخ الألباني.
- (lxxi) ينظر: ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٤٩/١٠، المناوي: فيض القدير: ٣٣٤/٤.
- (lxxii) ينظر: المحارب، د. رقية بنت محمد المحارب: الإرهاب والعنف والتطرف في الكتاب والسنة: ٤/٢.
- (lxxiii) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١١٦٧ برقم (٦٠٣٠)، ومسلم في صحيحه: ص ٨٩٣ برقم (٢١٦٥) واللفظ للبخاري.
- (lxxiv) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ١٠٤٣ برقم (٢٥٩٣).
- (lxxv) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ١٠٤٣ برقم (٢٥٩٤).
- (lxxvi) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.
- (lxxvii) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ٦٦٦ برقم (٣٤٦٣)، ومسلم في صحيحه: ص ٧١ برقم (١١٣) واللفظ للبخاري.
- (lxxviii) سورة النساء: الآيات: ٢٩، ٣٠.
- (lxxix) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣٩٣/٤٠ برقم (٢٤٣٣٧) عن عائشة رضي الله عنها.
- (lxxx) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

- (lxxxiii) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ٧٧٢ برقم (١٨٤٨).
- (lxxxiv) ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم: ٢٣٩ / ١٢.
- (lxxxv) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ٦٨٤ برقم (١٦٦١).
- (lxxxvi) ينظر: د. لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٧ / ٤٠٩).
- (lxxxvii) أخرجه مسلم في صحيحه: ص ٣٦٢ برقم (٩٣٤).
- (lxxxviii) ينظر: المناوي: فيض القدير: ٤٦٢/١.
- (lxxxix) أخرجه الترمذي في سننه: ٧٣٤/٥ برقم (٣٩٥٥) وحسنه الشيخ الألباني.
- (xc) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٣/٣٢٥.
- (xci) الشوكاني: نيل الأوطار: ٧/١٨.
- (xcii) أخرجه البخاري في صحيحه: ص ١٣١٨ برقم (٦٩١٤).
- (xciii) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦١٤/٢٩ برقم (١٨٠٧٢).
- (xciv) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (المتوفى: ٢٣٥هـ): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ): السنة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن الملك، محمّد بن عَزِّ الدِّين المشهور بـ ابن المَلِك (المتوفى: ٨٥٤هـ): شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ): شرح صحيح البخاري لابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (المتوفى: ٧٢٨هـ): شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٥هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (المتوفى: ٧٢٨هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه و صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ): مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- ابن هبيرة، أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة (المتوفى: ٥٦٠هـ)، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، دار الكتاب العربي. بيروت، لبنان.
- العزيزي، علي بن الشيخ أحمد: السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، أعده للشاملة/ فريق رابطة النساخ برعاية (مركز النخب العلمية).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٥م.
- البعلبكي، د. روجي البعلبكي: المورد (قاموس عربي إنكليزي)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٥م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى (المتوفى: ٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـم.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ): المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- د. لاشين، موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار المدار الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ): مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

- رضا، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- السقار: منقذ بن محمود السقار التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- السيف، إبراهيم بن سعد بن سيف: التدابير الواقية من الجرائم القولية في الاسلام (رسالة ماجستير) جامعة نايف العربية، إشراف أ.د. محمد فضل بن عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (المتوفى: ٢٠٤هـ): الرسالة، تحقيق: أحمد شاکر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة على الموقع الإلكتروني: <https://www.assakina.com>
- ضوابط فهم السنة النبوية عند الإمام الشافعي: أ، نادر نمر وادي، بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر الإمام الشافعي.
- طبارة، عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة والعشرون، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاکر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ): شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الأولى، ٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- العبد الجبار، د. عادل العبد الجبار: الإرهاب في ميزان الشريعة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين: دار الوطن للنشر، الرياض ١٤٢٦ هـ.
- عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.
- عمار، إبراهيم عبد الله: سياسة الوقاية ومنع من الجريمة في عهد عمر بن الخطاب (رسالة ماجستير)، جامعة نايف العربية، إشراف أ.د. حسن عبد الغني أو غدة، الرياض، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ): بداية الهداية، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م.
- الكرمانلي، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانلي (المتوفى: ٧٨٦هـ): الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م.
- مجلة البحوث العلمية، العدد السابع والتسعون - الإصدار من رجب إلى شوال ١٤٢٣ هـ

- المحارب د. رقية بنت محمد المحارب: الإرهاب والعنف والتطرف في الكتاب والسنة، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- مختار، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة - بيروت.
- المظهري، مظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن (المتوفى: ٧٢٧هـ): المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- الملا الفاري، أبو الحسن نور الدين علي بن (سلطان) محمد، (المتوفى: ١٠١٤هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- المناوي، عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ): فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ.

xcv - سامي البحيري ، تعريف التطرف والارهاب ،اليومية الالكترونية ايلاف ،نشر بتاريخ ٣١ جويلية ٢٠١٥ على الرابط الالكتروني:

<http://elaph.com/Web/opinion/٢٠١٥/٧/١٠٢٧٩٤٢.html> شوهده بتاريخ ١٢/٠٦/٢٠١٨ سا ٢٢:٠٠

xcvi - سامي البحيري ، المرجع نفسه

xcvii - Ansgar zerfass , Derina holtzhausen ,terrorism as Strategic Communication ,the routedge handbook of strategic communication ,p٤٨٣.

xcviii - قبي آدم ،آليات المقاربة الجزائرية في مكافحة الارهاب ،مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قسدي مبراح ورقلة ، الجزائر ، العدد ٣٠ ، سبتمبر ٢٠١٧، ص ٥١٥.

xcix - سامي البحيري ، مرجع سابق ذكره.

c - سامي البحيري ، المرجع نفسه.

ci - بودن زكريا ،اثر التهديدات الارهابية في شمال مالي على الامن الوطني الجزائري واستراتيجيات مواجهتها ٢٠١٠-٢٠١٤، مذكرة لنيل الماجستير علوم سياسية ،جامعة بسكرة ، ٢٠١٥ ص ١٣٧-١٣٨.

cii - بودن زكريا ، المرجع نفسه ،ص ١٣٧.

ciii - وكيبيديا الموسوعة الحرة ، العشرية السوداء في الجزائر ، نشر على الموقع الالكتروني :

<https://ar.wikipedia.org/wiki> شوهده بتاريخ ١٠/٠٧/٢٠١٨ سا ٢٢:٣٠.

civ - وكيبيديا الموسوعة الحرة ، مرجع نفسه.

cv - يحي زبير، الجزائر والوضع المعقد في منطقة الساحل :منع الحرب ومكافحة الارهاب،studies.aljazeera.net، شوهده بتاريخ : ٢٠/٠٣/٢٠١٨ سا ٥٦:١٢.

CVi - خ صديق ، مكافحة الإرهاب: المقاربة الجزائرية نموذج يحتذى به عالميا، جريدة النهار، نشر ٢٠١٧/٠٧/١٩ موجود على الرابط الالكتروني :
<https://www.ennaharonline.com> شوهد يوم : ٢٠١٨/٠٦/١٢ سا ٢٠١٨/٠٧/١٠ .

CVii - قبي ادم ، مرجع سابق ذكره ، ص ٥١٦ .

CViii - قبي ادم ، مرجع نفسه ، ص ٥١٦ .

Cix - حساني خالد ، الاستراتيجية الجزائرية في مكافحة الارهاب - الاطر والممارسات ، جزايرس ، نشر بتاريخ : ٢٠١٦/٠٣/٢٦ على الموقع الالكتروني :
<https://www.djazairess.com/echchaab/٦١٠٧٧> شوهد يوم : ٢٠١٨/٠٧/١٠ سا ٢٠١٨/٠٧/١٠ .

CX - حساني خالد ، مرجع نفسه .

cxi - ait hamadouche louisa, Touareg du Mali - Du conflit local à l'enjeu transnational,
disponible sur le site : [www.temoust.org/archives/touareg-du-mali-du-conflit-locala,](http://www.temoust.org/archives/touareg-du-mali-du-conflit-locala,١٣١٣٣.html)

١٤ : ٠٦ h ١٤/٢٠١٨ , ١/٤/٢٠١٨ .html

CXii - عاطف قدادرة، مرجع سابق.

CXiii - عثمان، لحياني ، اتفاق بين حكومة مالي والازواد لوقف الاعتداءات ، العربية نت ، اخر تحديث ، ١٩ فيفري ٢٠١٥ ، موجود على الرابط :
<http://www.alarabiya.net/ar/north-africa/algeria/٢٠١٥/٠٢/١٩> ، شوهد بتاريخ ٢٠١٨/٤/٤ سا ٢٠١٨/٤/٤ .

CXiv - عثمان، لحياني ، توقيع اتفاق سلام بين اطراف النزاع في مالي ، العربية نت ، ٢٨ فيفري ٢٠١٥ ، موجود على الرابط :
<http://www.alarabiya.net/ar/north-africa/algeria/٢٠١٥/٠٢/٢٨> ، شوهد يوم ٢٠١٨/٤/٤ سا ٢٠١٨/٤/٤ .

CXv - حسان جبريل ، الجزائر تطرح رؤية لمكافحة الإرهاب في الساحل الإفريقي تركز على المصالحة الوطنية والديمقراطية وتدعيم القدرات التنموية لدول المنطقة ، راي اليوم ، نشر بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠١٦ موجود على الرابط الالكتروني :

[/https://www.raialyoum.com/index.php](https://www.raialyoum.com/index.php) شوهد : بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠١٨ ساعة ١٦:٠٠

CXvi - حسان ، جبريل ، مرجع سبق ذكره .

CXvii - مخلوف ساحل ، المقاربة الجزائرية لتسوية الازمة الليبية تقضي الاطراف التي تغذي الارهاب ، السلام اليوم ، نشر بتاريخ ٢٠١٧/٠٩/١١ على الموقع الالكتروني :
<http://essalamonline.com/ara/permalink/٦٤٩٩٦.html>

شوهد بتاريخ : ٢٠١٨/٠٧/١٠ سا ٢٠١٨/٠٧/١٠ .

CXviii - مخلوف ساحل ، مرجع نفسه .

CXix - عبد الحميد بن محمد ، أي دور للجزائر في التقريب بين اطراف ازمة ليبيا ؟ ، الجزيرة نت ، نشر بتاريخ : ٢٠١٧/٠١/٥ على الموقع الالكتروني :
<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews> شوهد بتاريخ : ٢٠١٨/٠٧/١٠ سا ٢٠١٨/٠٧/١٠ .

CXX (توينبي، ارنولد : الحضارة في الميزان، ترجمة أمين محمود الشريف ومراجعة محمد بدران، سلسلة آفاق ثقافية، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٦، ص ٢٤٨ .

CXXi (المصدر السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨ .

، : مفكر أمريكي من اصل يهودي، متخصص في الإدارة العامة ومدير معهد Samuel. Huntington صموئيل هانتنغتون *
جون اولاين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفرد، وقد كرس حياته لموضوع الاستراتيجية العسكرية بحثًا وتدريسًا

واهتم بصورة مباشرة بالدراسة المقارنة في مجال السياسة الأمريكية وسياسات دول العالم الثالث، وقد أسندت إليه ما بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ مسؤولية قسم الاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي.

(الميلاد، زكي : نحن والعالم، ص ١٠، و خليل الصغير في مقالة (برنارد لويس بطيريك الإستشراق، مدارات CXXii غربية، العدد الرابع، ٢٠٠٤)

(هاني، إدريس : المفارقة والمعانقة، ص ١٧٣. CXXiii

(حيث فسر توفلر أو وصف الحضارة بالموجة وذلك على اعتبار إن الموجات متحركة ديناميكية وإذا اصطدمت CXXiv ينتج عن اصطدامها التيارات المتعارضة القوية، ويتوقع توفلر حروباً ذات مواصفات مختلفة تستهدف الحفاظ على مكتسبات أصحاب المصالح من الموجة الثانية (الموجة الأولى الزراعية، الموجة الثانية : الصناعية، الموجة الثالثة :المعلوماتية) وفي هذا السياق يتخذ لديه مفهوم " صدام الحضارات" الذي سبق في استخدامه هانتنتغتون. (عبد الغني عماد : سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٢٤٧).

(الميلاد، زكي : المسألة الحضارية، ص ٦٣. CXXV

(الميلاد، زكي : الإسلام والمدنية، ص ٤٢. CXXvi

(المصدر السابق : ص ٤٢. CXXvii

(ولد أباه، السيد : اتجاهات العولمة – إشكالات الألفية الجديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، الطبعة CXXviii الأولى، ٢٠٠١، ص ٩٥.

العجرفية : تعجرف : تكبر، العجرفة : التكبر، والجفوة في الكلام . (منجد الطلاب، ص ٤٦١) *

(هانتنتغتون : صدام الحضارات، ص ٣٣٣. CXXix

(حتى إن يوسف القرضاوي وهو عالم وفقه دين سني وهو الذي أفتى بجواز الانتحار أو الاستشهاد ضد إسرائيل إلا CXXX انه مع قضية ١١ سبتمبر، وقف موقفاً مضاداً، وقال : " إن هدف ضرب الأبراج في أحداث أيلول سبتمبر هدف غير مشروع" (المصدر : يوسف إبراهيم الجهماني – الإسلام والغرب، الملحق رقم واحد – (المناظرة بين القرضاوي والصحفي الأمريكي اليهودي توماس فريدمان)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، دار حوران دمشق – سوريا، ص ١٤١ " .

(هانتنتغتون، صموئيل : من نحن ؟ - التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دار CXXXi الرأي للنشر، دمشق – سوريا، ٢٠٠٥، ص ٣٥٩.

(هانتنتغتون، صمويل : مقالة / تأكل المصالح القومية الأمريكية، CXXXii

(نقلاً عن موقع وكالة الأخبار الإسلامية ForeignAffairs.Vol٧٦.No.٥ (مجلة شؤون خارجية / <http://www.islamicnews.net>.

ماتياس بروكرز : كاتب مقالات بارز سابق في " نبيز زايونغ"، وهي صحيفة يسارية يومية، إضافة إلى كونه شخصية * ألمانية مشهورة، بدأ بروكرز يحاضر حول الحادي عشر من أيلول في الجامعات، كما أصبح شهيراً بسبب كتابه " حين تحلم الطماطم"، وكان من المؤمنين بفكرة المؤامرة في قضية ١١/٩/٢٠٠١.

(بروكرز، ماتياس : المؤامرة ٩/١١ – نظريات لمؤامرة وأسرار ٩/١١، ترجمة كاميران حوج، منشورات دار CXXXiii الجمل، ٢٠٠٢، ص ١٦١.

(المصدر السابق : ص ١٦٤. CXXXiv

(المدرسي، هادي : لنلا يكون صدام حضارات – الطريق الثالث بين الإسلام والغرب، دار الجديد، بيروت – CXXXv لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص ٩.

أ- روجيه غارودي : من أجل حوار بين الحضارات، أصله فرنسي، وان اسلم فيما بعد إلا انه ينتمي لمنظومة الغرب **
الفكرية أساساً، حتى انه عندما يخاطب قراءه يقول نحن الغرب أو رؤيتنا إلى الإسلام والآخر اللاغربي أو غيرها من
العبارات التي تميز هويته الفكرية (راجع حوار الحضارات، غارودي).

ب- هارلد موللر : دكتور وأستاذ في العلوم السياسية في فرانكفورت، ومدير لمؤسسة هيسن لأبحاث السلم والنزاعات في
فرانكفورت، كتب كتاب تعايش الثقافات وطرح وتبنى فيه فكرة الحوار بين الحضارات وتعايشها ورفض مشروع
هاننتغتون في كتابه تعايش الثقافات وهو كتاب ضد ما جاء به مشروع هاننتغتون.

(أمين، جلال : عولمة القهر – الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، دار cxxxvi
الشروق، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢، ص ١٤٨ .

(التويجري، عبد العزيز : الحوار من أجل التعايش، القاهرة وبيروت، دار الشروق الطبعة الأولى، ١٩٩٨، cxxxvii
ص٦
(الميلاد، زكي : نحن والعالم – من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم ، مؤسسة اليمامة الصحفية، سلسلة كتاب cxxxviii
الرياض، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥، ص ٥٨ .

(محفوظ، محمد : العرب ومتغيرات العراق، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة cxxxix
٢٠٠٤، ١١٧ .

روجيه غارودي : ولد في مرسيليا في فرنسا عام ١٩١٣، بدأ ماركسياً واعتنق الإسلام سنة ١٩٨٢، له العديد من الكتب
والمؤلفات منها من أجل حوار بين الحضارات، ومشروع الأمل، ونحو حرب دينية – جدل العصر، وكتاب الأصوليات
المعاصرة أسبابها ومظاهرها، وغيرها.

(غارودي، روجيه : حوار الحضارات، تعريب عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، cxl
١٩٩٩، ص ١٠ .

(غارودي، روجيه : مشروع الأمل، دار الآداب، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٩٨٨، ص cxli.١٢٥

(غارودي، روجيه : حوار الحضارات، ص cxlii.١٦٢

(المصدر السابق، ص cxliii.٢١٥

(المصدر السابق، ص cxliv.١٥٨

(المصدر السابق ص cxlv.١٥٩

(غارودي : مشروع الأمل، ص cxlvi.١٠٨

(العليان، عبد الله علي: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، ص cxlvii.١١٥-١٠٩

((المرجع السابق ، ص cxlviii.١٠٩

((المرجع السابق والصفحة cxlix.

(الميلاد، زكي : الإسلام والمدنية، ص cl.١١٧

(cli) محمود، نادية : حوار الحضارات، على ضوء العلاقات الدولية الراهنة (٢/١)، موقع التقريب بين المذاهب

<http://www.taghrib.org/arabic/nashat/elmia/markaz/nashatat/elmia/matboat>

/resalataltaghrib/٣١/rt٣١-١٠٨.htm

في ألمانيا ودرس في جامعتها، وحصل على درجة الدكتوراه عام Dussldorf هابرماس : ولد في مدينة دوسلدورف *
١٩٥٣ حول (الصراع بين المطلق والتاريخ في فكر شلنج) وهو موضوع ألزمه بدراسة الفلسفة المثالية الألمانية، من كانط
حتى هولباخ وهيجل وبقية مفكري حركة التنوير. وأصبح بين عامي ١٩٥٦ - ١٩٥٩ مساعداً لأستاذه أدورنو في معهد

البحوث الاجتماعية بجامعة فرانكفورت بين عامي ١٩٦٤ - ١٩٧١ قبل انتقاله عام ١٩٧٢ إلى معهد ماكس بلانك في ستارنبرج كأستاذ ثم مدير للمعهد، ليعود مؤخرًا إلى جامعة فرانكفورت. وهو صاحب كتاب (نظرية الفعل التواصلي).

(الميلاد، زكي : بحث (من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات)، زكي الميلاد وآخرون : تعارف الحضارات، clii) ص ٦٤.

هد الموافق ٢٠-٠٦-١٤٢٦ الثلاثاء بتاريخ الثقافي (هاني، إدريس : في حوار مع علي المدلوح عن موقع اليوم cliii) م العدد ١١٧٢٩ السنة الأربعون. ٢٦-٠٧-٢٠٠٥

(افايه، محمد نور الدين : المتخيل والتواصل - مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي، بيروت - لبنان، cliv) الطبعة الاولى، ١٩٩٣ ، ص ١٩٣-١٦٤.

(المصدر السابق، ص ١٦٤. clv)

(افايه، محمد نور الدين : المتخيل والتواصل - مفارقات العرب والغرب، ص ١٦٦. clvi)

راجت مؤخرًا الكتابات تحت هذين العنوانين (العرب المتخيل و الاسلام المتخيل) ويقصد منهما ما يتخيه الآخر عن * الاسلام او مايتخيله الآخر عن الغرب والمقصود في اغلب الكتابات هو سوء فهم احد الطرفين الغرب او الاسلام للآخر الغربي او الاسلامي، والذي يقتضي تشويه الصورة عنه وجعلها سوداوية.

(افايه، محمد نور الدين : المتخيل والتواصل - مفارقات العرب والغرب، ص ١٧٦. clvii)

((المرجع السابق والصفحة. clviii)

(جان مارك فيري : فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم عمر مهيبيل، (النص من مقدمة عمر مهيبيل)، الدار العربية للعلوم clix) ومنشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٦، ص ١٩

عمر و خالد : داعية ومفكر إسلامي.*

(الحضارات)، (عمر و خالد: حوار بعنوان (التشريعات والقوانين العالمية لن تحول دون محاولات بث التصادم بين clx) صحيفة الراية القطرية، بمناسبة انعقاد اجتماع مجموعة تحالف الحضارات في قطر، نشر على موقع الراية الالكتروني : <http://www.raya.com>

* لان التركيب الحضاري هو مايمثل الهوية وبالتالي فان مفهوم الحضارة هو ملازم لمعنى الهوية.

(الميلاد، زكي: الإسلام والمدنية، ص ١٢٣. clxi)

(عبد الجبار، محمد : التعارف بين الحضارات، تعارف الحضارات، زكي الميلاد وآخرون، ص ١٧٨. clxii)

(الميلاد، زكي : الإسلام والمدنية، ص ١٤٧. clxiii)

(بو طالب، عبد الهادي : لا بد من تكامل العولمة والهوية ليكون العالم واحداً ومتعدداً، العولمة والهوية موضوع clxiv) السنة الأولى ١٩٩٧، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - المغرب، ص ١٢٢.

(الميلاد زكي : الفكر الإسلامي وقضايا العولمة - كيف نفهم العولمة؟، مجلة الكلمة منتدى الكلمة للدراسات clxv) والأبحاث، العدد ٢٠، ١٩٩٨.

(المصدر السابق : ص ١٣٢. clxvi)

(التويجري، عبد العزيز : الحوار من اجل التعايش، ص ٦٩. clxvii)

(المرجع السابق، ص ١٦٦. clxviii)

((المرجع السابق: ص ١٦٨. clxix)

(جيمس ديفيوسن وجوشا بيتس : في طليعة العولمة – عالم فرسان العولمة الأمريكية، عولمات كثيرة – التنوع clxx)
الثقافي في العالم المعاصر(الجزء الرابع)، تحرير بيز آل بيرغر وصامويل هانتنتون، تعريب فاضل جكتر، مكتبة عبيكان،
السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٥٠٣.

(النشير محمد : بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، دراسة في الموازنة، مجلة المنهاج – مركز الغدير clxxi)
للدراستات الإسلامية، العدد ٢٣، سنة ٢٠٠١، ص ٢٩٤.

(ولد أباه، السيد : اتجاهات العولمة – إشكالات الألفية الجديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت -لبنان، الطبعة clxxii)
الأولى، ٢٠٠١، ص ١٠٢.

الفهرس

بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي الثالث حوار الحضارات والثقافات
جامعة الطفيلة التقنية – الأردن -
٢٠١٨/١٠/١٠ إلى ٢٠١٨/١٠/١٢

عنوان البحث

الغلو والتطرف بين التأصيل والهدي النبوي في التصدي لهما

إعداد: د. محمد عبدالسلام حسن الحضيرى
ليبيا - أستاذ مساعد بجامعة سبها - كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وصحبه على الدوام، وبعد:
فإنه من فضل الله علينا أن جعل التيسير ونفي الحرج سمتان من سمات ديننا الإسلامي الحنيف، (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) clxxxv، (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) clxxv، لكن مع كل هذا ثمة عدة ظواهر برزت وتزيد بروزاً في المجتمعات المسلمة، وتصنف ضمن مهددات الحضارة والسلم المدني، وجاءت هذه الورقة مهتمة بواحدة منها، هي ظاهرة الغلو والتطرف، فهي لم تكن وليدة العصر الحاضر، بل هي قديمة قدم تاريخ الإنسان، وجاء الهدي النبوي محذراً منها أشد التحذير في مواطن كثيرة لما لها من آثار سلبية على المجتمع الإسلامي، فهي إذا ما حلت بمجتمع واستفحلت فيه هدمت أركانه، وقوضت بنيانه، وزرعت الضغينة والشحناء بين أفرادها، ولم يقف الهدي النبوي عند هذا الحد فحسب؛ بل وصف الداء وحذر منه وشخص له الدواء، فنبينا الحبيب صلى الله هو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } clxxv (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) clxxv، ومن مظاهر رحمته عليه وسلم أنه لم يترك أمراً فيه الخير والصلاح للأمة إلا أمر به، ولم يدع أمراً فيه الشر والتهديد للأمة وحضارتها إلا وحذر منه أشد التحذير، وما على الأمة إذا ما أرادت الهداية والتوفيق والحياة المطمئنة إلا بالرجوع إلى النبيين الصافيين كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلى الله ففهيما سبل الرشاد، وطريق الخير والسعادة، (وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) clxxxv. وسرت في البحث حسب التفصيل الآتي:

(أ) التأصيل العلمي للغلو والتطرف.

(ب) التركيز على ضرب بعض الأمثلة الشائعة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وغير مقيدة أو مخصصة لبلد أو قطر معين.

(ج) أخذ الحلول الناجعة من سنة المصطفى محمد بن عبدالله بالرجوع إليه وإلى توجيهاته، ومحاولة الربط بين ما يحدث في مجتمعاتنا من ظواهر الغلو والتطرف وبين ما حدث من ظواهر في حياته صلى الله وكيف كان يضع لها الحل الجذري، لأن بقاء مثل هذه الظواهر في أي مجتمع يعني أنه حل فيه داء خطير يجب أن يُجَنَّبَ من جذوره بطرق علمية منهجية متدرجة.

(د) اهتمت الدراسة بالجانب الوقائي والعلاجي للحد من الغلو والتطرف، ولم تقتصر الدراسة على ضرب الأمثلة فقط، فنحن بحاجة لمن يشخص الداء ويضع له الدواء المناسب، فجاءت الدراسة بذلك مكتملة الجوانب ليعم النفع، وحتى لا تكون الدراسات الحديثة غير مجدية أو عديمة الفائدة.

ولبيان تفاصيل الموضوع والوقوف على جزئياته اقتضت دارسته أن تتم من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الغلو والتطرف

المبحث الثاني: مظاهر من الغلو المنتشر بين المسلمين، والتوجيه النبوي للحد منه.

المبحث الثالث: الحلول الناجعة في التخلص من الغلو والتطرف

المبحث الأول: تعريف الغلو والتطرف

الغلو معناه مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور، بأن يُزاد فيه أو يُنقص عن الحالة التي شرع عليها. ويكون الغلو تارة بمجاوزة الحد في الإفراط، وتارة بمجاوزة الحد في الترك والتفريط، وذلك كما في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) cLxxv ومعنى (لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) أن الله تعالى ينهى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. cLxxv

ففي فعل كل من اليهود والنصارى غلو بقولهم على الله بغير الحق، فالإفراط والتفريط كلاهما غلو، وكلاهما مذموم. cLxxv وسمي التفريط غلواً لما فيه من مجاوزة الحد في التقصير.

وقد كانت عاقبة غلو أهل الكتاب، الذي لم يكن في بدايته إلا محبة أنبياء الله واتباعهم، الذي هو في صورته طاعة – كانت عاقبته شركاً وكفراً.

جاء في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا كُنَّا وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) cLxxv

وقال صلى الله عليه وسلم: (اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تحفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به) والغلو في القرآن تأوله بباطل، احتجاجاً خاطئاً، للاستكثار والأكل به، أو لنصرة معتقد أو مذهب، أو تأييد لطائفة أو رأي، على خلاف منهج العلماء في الاستدلال.

ومما جاء في كلام وفد بني عامر حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجِرُّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ) cLxxv

نهاهم عن المبالغة في المدح، وقال لهم: تكلموا بما يحضركم، ولا تتكلفوا، كأنكم وكلاء للشيطان تنطقون على لسانه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (هلك المتطعون، هلك المتطعون، هلك المتطعون) cLxxv، والتطع التجاوز في الحد والغلو، بالتعمق في الدين، وقال صلى الله عليه وسلم: (لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيَشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) cLxxv.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه) cLxxv

وعن ابن عباس قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ cLxxv

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما لما بعثهما إلى اليمن بقوله: "يسيراً ولا تُعسراً، وبشيراً ولا تنفراً، وتطوعاً ولا تختلفاً" cLxxv

والمراد باليسر ما يقابل العسر، والمعنى: أن دين الإسلام سمح قليل التشديد.

وعلى كلِّ فإن الغلو مما ابتليت به هذه الأمة، وهو واقع فيها، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (لَتَنبَغْنَ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبِّ لَسَلَكَنَاهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ) cLxxv.

فالإسلام دين التوسط والاعتدال، بدليل الكتاب والسنة والإجماع. والتطرف بعيد كل البعد عن سمات الإسلام وخصائصه، فالإسلام – وهو الحق – وسط بين الإفراط والتفريط. أما الغلو والتطرف فهو تعدي على ما أمر الله به ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وتجاوز عما شرع، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله سبحانه: (وَلَا تَطَّغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) cLxxv

ومن تشدد وغلا في أمر من الدين تسبب في تنفير الناس منه، وابتعادهم عنه، كان بمنزلة أولئك الذين قعدوا بكل صراط يصدون عن سبيل الله.

فالغلو بنوعيه سواء كان عن إفراط أو تفريط عاقبته غير محمودة، ولهذا أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى العمل بقدر المستطاع، فقال عليه الصلاة والسلام: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُوومَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ» cLxxv، حتى يمكن المداومة عليه.

روى مسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها – من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً " cLxxv

والمفهوم من هذا الحديث الشريف أن الله تعالى لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم ليشق على عباده، وليشدد عليهم، ولكن بعثه ليعلمهم ويبسر أمورهم ويأخذ بأيديهم ويرشدهم إلى الحق، ويساعدهم على اتباعه وبيعتهم عن المشقة واتباع الهوى.

ثم إن الغلو العملي يكون على حساب التفريط في عمل آخر، فإنه مضيعة لكثير من الحقوق الواجبة على الإنسان، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص: « صُمْ وَأَفْطِرْ، وَفُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» cLxxv

والمراد من ذلك: أي أعط كل ذي حق حقه، ولا تغلّ في ناحية على حساب الآخر، فدين الله تعالى وسط بين الجافي والغالي؛ لأن الجافي مضيع له بتقصيره فيه، والغالي مضيع له بالتجاوز عن حده. وأما مصطلح التطرف فهو مصطلح محدث، حتى قيل إنه ليس من الألفاظ الشرعية، إلا عند بعض أهل العلم في نصوص معدودة، ولا شك أن استعمال ما دل عليه الشرع من الألفاظ أولى وأسلم. المبحث الثاني: مظاهر من الغلو المنتشر بين المسلمين، والتوجيه النبوي للحد منه.

الغلو في تكفير عامة المسلمين

مما شاع في أوساط بعض المجتمعات الإسلامية دعوى التكفير وهي دعوى قائمة على التشدد والغلو الذي له آثار سلبية على السلم المدني ذلك أن أصحابها يسرفون في تضليل الناس وتكفيرهم، وهذا دون شك من الغلو والتعدي الذي حذر منه المصطفى عليه وسلم فعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كَفَّرَ الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما". وفي رواية: " أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه" c|xxv وهذا النوع من الغلو مظاهره متعددة، فمن مظاهره تكفير عامة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، ويترتب على هذا الهجران والبعد وعدم الاختلاط، فلا تجوز عندهم مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم، ولا حضور جماعتهم في الصلاة. وهذا النوع من الغلو خطره عظيم على الأمة، ولا شك أنه يهدد السلم المدني ويدعو إلى التفرقة والشحناء، لأن أصحاب هذا النوع وضعوا أنفسهم في مرتبة عالية فهم وحدهم هم المسلمون، وسائر المسلمين دونهم على الشرك. ومن الغالين من لا يكفّر الأمة كلها، بل يبدهم وينبذهم، ويكفّر الحكومات التي تحكّم القوانين الوضعية، ويرون قتلها، وقتال المدنيين والعامة من الناس.

وهذا المظهر من مظاهر الغلو أدى ببعضهم إلى تحريم ما حرم الله، وإلى أن تبادوا بتكفير عباد الله بمجرد خطأ، وتأولوا تأويلات فاسدة؛ استحلوا بها دماء الأبرياء، وأموال الأبرياء، واستحلوا بها الدماء والأموال، وسعوا في الأرض فساداً؛ لأجل غلوهم الذي أخرجهم عن طريق الله المستقيم.

ولو تدبروا وعقلوا لأوقعوا الأوامر موقعها، وقاموا بالواجب خير قيام، لكنهم تجاهلوا المصالح والمفاسد، ونظروا من زاوية ضيقة، فضاقت صدورهم أن يجمعوا بين أفراد النصوص، وأن يوازنوا بين المفاسد والمصالح في كل الأحوال، وإنما انطلقوا من منطلق غير واضح، خدعهم وغر بهم من أضلهم، أو قالوا لهم قولاً بغير دليل ولا برهان. غلو الإعراض والبعد عن الامتثال:

وهذا النوع من الغلو فيه التفريط والإعراض عن التكاليف بنبذها والاستخفاف بها، وكان التفريط غلوً لما فيه من مجاوزة الحد في ترك الأوامر، والقول على الله بغير حق، ويصحب الغلو بالتفريط التحريف في المعتقد والعمل، ويُرتكب في الغالب باسم العصرية والتحرر والعقلانية.

وحقيقة هؤلاء ممن يذهبون هذا المذهب أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فمن يردُّ السنة فإنما يرد القرآن، قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) c|xxv، فهذه الآية لا يخرج عنها شيء ثبت صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم من ردِّ شيئاً منها فقد رد الآية، هكذا فهمها الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عندما حاجته المرأة بأنها لا تجد في كتاب الله أن الله تعالى لعن النامصة والمنتمصنة، فقال لها: لئن كنت قرأتيه لقد وجدته، قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)

ويستتبع الإعراض عن السنة الفعلي منها والقولي ردُّ كثير من التكاليف المعلومة بالضرورة أنها من الدين، فلا يرى أصحاب هذا المذهب ضرورة لإقامة الصلوات وكذلك التكاليف الأخرى، التي هي من أركان الإسلام، بحجج باطلة فاسدة، مثل قولهم: إن المعول عليه هو القلب، فإذا صلح القلب، وكان مستقيماً، والنية حسنة، فلا يضر بعد ذلك شيء. (ج) التشدد في العبادات وعدم الأخذ بالرخص:

روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أحب الأديان إلى الله؟ فقال: الحنيفية السمحة (c|xxv)، والسمحة: السهلة الميسورة التي لا تطلب ما فيه كثافة وغلظة، ومعنى الحديث أن السماحة وصف الإسلام، وتعني سهولة المعاملة في اعتدال محمود فيما يظن الناس التشديد فيه، إذ هي وسط بين التضييق والتساهل، دون إفراط ولا تفريط. والحكمة من السماحة في الشريعة كما يقول ابن عاشور: أن الله تعالى جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلة فهي كائنة في النفوس، سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفوس من الشدة والإعنات، قال الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً) c|xxv، وقد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام شريعة عامة ودائمة فاقضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعنات فكانت بسماحتها أشد ملائمة للنفوس، لأن فيها إراحة لها في حالتها: الفردية والاجتماعية، وقد تبين لنا من هذا ما للسماحة من أثر عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها c|xxv

وفي هذا يقول الشيخ الشاطبي: (إن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالمشاق الإعنات فيه، والدليل على ذلك أمور: أحدها النصوص الدالة على ذلك كقوله تعالى (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) clxxv..، ولو كان قاصداً للمشفقة لما كان مريداً لليسر ولا للتخفيف، وكان مريداً للحرج والعسر، وذلك باطل، والثاني ما ثبت أيضاً من مشروعية الرخص وهو أمر مقطوع به، ومما علم من دين الأمة ضرورة، والثالث: الإجماع على عدم وقوعه وجوداً في التكليف وهو يدل على عدم قصد الشارع إليه، ولو كان واقعاً لحصل في الشريعة التناقض والاختلاف، وذلك منفي عنها.) clxxv ونقصد من القول بالتشدد في العبادات أن صنفاً من الناس لا يكتفي بأداء العبادات على وجهها المطلوب الميسر؛ بل يبالغ في تطبيقها حتى يشدد على نفسه، والمطلوب من المكلف القصد في العبادة، وأن لا يُدخل نفسه في عمل زائد على المعتاد حتى لا ينتابه ضجر ولا ملل فيقل نشاطه من ذلك العمل الذي التزمه، وربما أدى به إلى التخلي عنه، وهذا الأمر

لم يكن وليد اليوم؛ بل حصل في عدة وقائع في زمن سيد الرورى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: (جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطُرُ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرُلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكَيْتِي أَصُومُ وَأَفْطُرُ وَأَصَلِّي وَأَرْفُؤُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) clxxv.

ووجه الدلالة من الحديث: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن التشدد في العبادة ليس من سنته؛ فإذا كان التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى، فالمنهج القويم في العبادة هو منهج اليسر لا العسر (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) clxxv وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ clxxv)، قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) رحمه الله: { فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي } المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره.

والمراد: من ترك طريقي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

وقوله: " فَلَيْسَ مِنِّي " إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي " أي: على طريقي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتتطعا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي " ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر.

وقال الطبري: فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس، وأثر غليظ الثياب وخشن المأكول.

قال عياض: (هذا مما اختلف فيه السلف: فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى: {

أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا } clxxv

قال: والحق أن هذه الآية في الكفار، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالأمرين.

قلت: لا يدل ذلك لأحد الفريقين إن كان المراد المداومة على إحدى الصفتين، والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات؛ لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً، فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحذور كما أن منع تناول ذلك أحياناً يفضي إلى التمتع المنهي عنه، ويرد عليه صريح قوله تعالى { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } clxxv.

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصر على الفرائض مثلاً، وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير الأمور الوسط clxxv

ويقرب من الحديث السابق في المعنى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنني أقول: والله لأصومنَّ النهار، ولأقومنَّ الليل ما عشت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلته، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وافطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر، قلت: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يوماً، قلت: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أفضل من ذلك.

قال عبدالله بن عمر: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ من أهلي ومالي، وفي رواية: قال عبدالله: فلما كبرت وددت أنني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية ثالثة: فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم cLxxv

وفي حديث آخر في نفس المعنى وهو إرشاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وتوجيهه للأمة في ترك التشدد والمغالاة، ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عدي امرأة من بني أسد فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقلت فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاتها فقال مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا. cLxxv

وفي مسلم: (أن الحولاء بنت تويت مرت بعائشة وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم حتى تسأموا) cLxxv

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عداة العقبية وهو على راحلته: { هات القط لي، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: بأمتال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين } cLxxv.

الغلو هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق cLxxv يقال: غلا في الشيء يغلو غلواً، وغلا السبعر يغلو غلاءً إذا جاوز العادة، والسهم يغلو غلواً، يفتح ثم سكون، إذا بلغ غاية ما يرمى. والحديث نص صريح في النهي عن الغلو في الدين، فمنهاج الدين وسبيله هو السماحة والتيسير وترك التشدد في حدود ما جاء في الشرع، ومن فوائد الحديث أيضاً تنبيهه على قضية خطيرة جداً، ينبغي على الأمة أن تحذرها وهي أن الغلو في الدين من أسباب هلاك الأمم قبلنا.

وأخرج البخاري وأبو داود عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ويصوم ولا يفطر بنهار ولا يستظل ولا يتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم، وليستظل وليقعد، وليتم صومه) cLxxv

وفي هذا الحديث توجيه نبوي عظيم للمغالين في بعض المباحات، فقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام للشمس والامتناع عن الكلام معصية مع أنها مباحان في الأصل، وإنما صح هذا الإطلاق لوجهين: أحدهما أن المباح الذي ليس بقربة إذا فعل على وجه النذر صار معصية لأنه لا يصح أن ينذر ما ليس بقربة. وثانيهما: أن القيام للشمس والامتناع عن الكلام مع الصيام فيهما من التشدد المنهي عنه – لدفع التعب والملل والضرر – ما يدعو إلى اعتبارهما معصية سواء فعلاً بنذر أو بغير نذر. cLxxv

وبهذا من خلال تتبع الأحاديث النبوية وتوجيهاته الرشيدة تبين أنه صلى الله عليه وسلم من حرصه على الأمة والمحافظة على تماسكها وتماسك مجتمعاتها والحذر مما يهدد سلمها المدني، وجد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالترغيب في التخفيف والترهيب من التشدد بالقول والممارسة الفعلية من جانبه؛ بل تجاوز ذلك إلى تعقب الذين التزموا جانب التعمق والأخذ بالأشد لصرْفهم عما التزموه كما رأينا ذلك من خلال الأحاديث السابقة.

ع) الغلو في كثير من المسائل المختلف فيها بإنكارها جهلاً وتعصباً من الظواهر السلبيه التي عمت وتهدد السلم المدني في كثير من بيئات المجتمع الإسلامي الغلو في مسائل الخلاف بين العلماء التي ساغ ويسوغ فيها الاجتهاد إذا ما توفرت شروطه ولوازمه، فإن بعض مسائل الخلاف التي يتعصب لها بعض الناس، ويرى أن خلافها منكر، قد تكون في الواقع من باب الخلاف في المباح، الذي يجوز فعله وتركه على حد سواء، فعله النبي صلى الله عليه وسلم وتركه، أو فعله وفعل غيره ليرخص للناس في فعل الأمرين على حد سواء.

مثل: ١. الاختلاف في ألفاظ الأذان والإقامة

٢. الجهر بلفظ (أمين) وراء الإمام وعدمه.

٣. تحريك السبابة في التشهد أو عدم تحريكها.

٤. صلاة ركعتي السنة بعد الجمعة وبعد المغرب في المسجد أو بعد الرجوع إلى البيت.

وهذا الخلاف الذي أدى ببعضهم في الغلو بالإصرار على رأي واحد، وإنكار الآخر، ما أدى إلى وقوع العداوة بين الناس، والأمر فيه سعة وفيه رحمة بالأمة ولكن لسوء الفهم والجهل والتعصب أدى إلى تفشي هذه الحالات بين أفرام المجتمع.

يقول الحافظ أبو عمر بن عبد البر: " إن الاختلاف في التشهد وفي الأذان، والإقامة: وعدد التكبير على الجنائز، وما يُقرأ ويُدعى به فيها، وعدد التكبير في العيدين، ورفع الأيدي في ركوع الصلاة، وفي التكبير على الجنائز، وفي السلام من الصلاة واحدة أو اثنتين، وفي وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، وسدل اليدين، وفي القنوت وتركه، وما كان مثل هذا كله اختلاف في مباح كالوضوء واحدة واثنتين وثلاثاً..... وكل هذا وغيره قد نقله الكافة من الخلف عن السلف، ونقله

التابعون بإحسان عن السابقين، نقلاً لا يدخله غلط ولا نسيان، لأنها أشياء ظاهرة، معمول بها في بلدان الإسلام، زمناً بعد زمن، لا يختلف في ذلك علماءهم وعوامهم، من عهد نبيهم ﷺ وهلم جرا، فدل على أنه مباح كله إباحة توسعة ورحمة." clxxv

وفي مجموع الفتاوى: (إن جميع صفات العبادات من الأقوال والأفعال إذا كانت مأثورة أثراً يصح التمسك به لم يكره شي من ذلك، بل يشرع ذلك كله، كما في نوعي الأذان، الترجيع وتركه، ونوعي الإقامة؛ شفيعاً وإفرادها، وأنواع الشهادات، وأنواع الاستفتاحات، وأنواع الاستعدادات، وأنواع القراءات، وأنواع تكبيرات العبد الزوائد، وأنواع صلاة الجنابة، وسجود السهو، والقنوت قبل الركوع وبعده، والتحميد بإثبات الواو وحذفها، وغير ذلك.....) clxxv، إلى أن قال: (إن هذه الأنواع لا يفضل بعضها على بعض إلا بدليل شرعي..... ثم إذا فرض أن الدليل الشرعي يوجب الرجحان لم يُعب على من فعل الجائز، ولا يُنفر عنه لأجل ذلك.) clxxv ومن ذلك:

١- غسل القدمين في الوضوء، هل يؤخذ فيه بالتثليث مثل باقي الأعضاء، أو المطلوب في القدمين الإنقاء والتنظيف دون التقيد بالعدد.

٢. الصيغ التي يُصلى بها على النبي ﷺ الأخذ فيها بصيغة أو بأخرى هو من فعل المباح للتوسيع على الناس. وكان الحسن البصري يقول: (إن من رفع يديه من الصحابة - يعني عند الركوع وعند الرفع منه - لم يكن يعيب على من لم يرفع.

وهناك مسائل كثيرة هي من هذا القبيل، الاختلاف فيها من المباح، ومع ذلك تجد من الناس من يجعلها من المنكر الذي لا يجوز السكوت عنه.

وعلاج هذا الأمر حتى لا يستفحل أكثر ويعظم ضرره هو ضرورة التعلم بالتفقه في الدين، فكلما تفقه المسلم في الدين وأخذ من العلم بحظ أوفر قلت تخطئته للآخرين وإنكاره عليهم، وكلما قل فقهم، كثرت تخطئته لغيره وتشنيعه عليهم. clxxv

ولو أخذ المسلمون على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم بقاعدة (لا يُنكر المختلف فيه) وطبقوها منجاً عملياً في حياتهم، لضافت شقة الخلاف، وحل الوئام والتفاهم بدل الغلو والشقاق.

المبحث الثالث: الحلول الناجعة في التخلص من الغلو والتطرف

مما لا شك فيه أن ظواهر الغلو والتطرف لم تنتشر في عالمنا الإسلامي إلا بعد غياب تدريس المواد الإسلامية المنتقاة انتقاء جيداً في المدارس والمعاهد والجامعات على اختلاف تخصصاتها في بلاد المسلمين ما سبب فراغاً في عقول الشباب احتاجوا إلى ملئه بعلوم إسلامية مشوشة على غير قاعدة، ناشئة عن اجتهادات فردية - أحياناً - غير مؤهلة، فاختلفت المشارب، وتعددت المناهج والسبل، ونشأ عن ذلك ظهور جماعات إسلامية تفهم الأحكام الشرعية فهماً غريباً. والواجب في مواجهة هذا التشويش هو ملء الفراغ بمناهج علمية رصينة متدرجة، تحل فيها الدروس الأكاديمية المنتقاة المحققة، محل الثقافات المشوشة.

فالعلاج الذي يفرضه منطق العلم أن نعتني بتدريس التعليم الديني الواعي الشامل، تدريجياً متمكناً قوياً، يحصن الشباب، ويربيهم، ويوجههم التوجيه الصحيح لفهم الإسلام، ولما ينفعهم وينفع أمتهم، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفوفهم على الحق، دون غلو ولا تفریط، حتى لا يجرؤوا الأمة إلى الخراب، ومزيد من الذل، وهيمنة أعداء الإسلام، وحتى لا تذهب طاقاتهم في معارك جانبية، معظمها يرتكز على المكروهات والخلافيات.

وأما ما يتعلق بالخلاف على الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد فإن الخلاف في الدين في الأمور البيئية، عصبية أو حمية، على مسائل فرعية خلافية ليس من الإيمان في شيء، بل هو شرٌّ كله، يوقع المسلمين في العداوة والبغضاء كما أوقع النصارى، قال تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) clxxv

وأشد الخلاف ضرراً الخلاف على مسائل العقيدة التي عنوان الوحدة بين المسلمين، قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) clxxv وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسَئْتٌ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) clxxv.

وقد نشأ عن الاختلاف في مسائل اعتقادية، هي من مسائل الاجتهاد، أو من مسائل فروع الفقه - مكروهات أو مندوبات - انقسام كبير وفرقة كبيرة، وتعصب مذموم، وغلو وتطرف في جل الأمور، يتعمق يوماً بعد يوم، لافتقار

المختلفين إلى المنهج السديد، توسع الأطراف فيه في تبادل التُّهم بالتبديع والتفسيق والتكفير، المنافي للأخوة الإيمانية، التي فرضها الله عز وجل على المؤمنين، ولا ترقى إليها أخوة الدم والنسب.

الأخوة التي تقتضي إعداء المخالف في مسائل العلم، ونبذ التعصب، وعدم الاستخفاف بما عنده مما له فيه وجه واجتهاد، حرصاً عليه ومحبة فيه لإيمانه، وولاء له، فالاختلاف منه مذموم ومحمود، وعلماء السلف كانوا يختلفون في الفروع، ويختلفون في الأصول، وتنبأين مذاهبهم، ولكن لا يبنز أحدهم الآخر بالألقاب ولا يكفره، ولا يعمم نشره على الأتباع يحرضهم على معاداة العالم الفلاني، وتبديعه، والتحذير من كل أقواله ولو كانت صواباً، لأنه أفتى بكذا أو خالف في كذا، فلا يفعل ذلك إلا متعصب مغالٍ يريد من جميع الناس أن يكونوا على مذهبه ورأيه في الفهم، وهذا ما لا سبيل إليه، لأنه ليس هناك أحد يجب على المسلمين اتباعه غير رسول الله ﷺ، والصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الخيرة، كانوا يختلفون في مسائل العلم، وما كانوا على قول واحد في كل مسألة، وما كانوا يعنفون من خالفهم أو يجرحونه لمجرد المخالفة، بل كانوا يكتفون ببيان خطئه، ويعذرونه ويترحمون عليه، فاختلف الصحابة في مسائل من الأصول ومسائل من الفروع:

اختلفوا هل رأى محمدٌ ﷺ ربه ليلة الإسراء، ولم يعنفوا ولم يبدعوا.

واختلفوا في تأويل أحاديث سمعها من النبي محمد ﷺ كعذاب الميت ببكاء أهله عليه، وهل يسمع الميت كلام الحي؟ واختلفوا هل الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس كان يقظة أو مناماً، وأعذر بعضهم بعضاً في ذلك، ولم يروا لهم مخالفاً لهم – ولو كان تأويله ضعيفاً – بكفر أو تبديع، ولا أمروا الناس بمجانبته ومنابدته. أكل بعض الصحابة في نهار رمضان بعد طلوع الفجر وإسفار النهار متأولين قول الله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) على غير وجهه، فأعذرهم النبي ﷺ ولم يؤثمهم. تيمم جماعة من الصحابة إلى الأباط لعدم وجود الماء، وتمكك عمار في التراب كما تمكك الدابة حين أجنب ولم يجد الماء، وقتل أسامة بن زيد الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله، وبيّن النبي الكريم الصواب في ذلك كله، ولم يأثم فاعله. وحينئذ نخلص إلى أن العلاج يكمن في النواحي الآتية:

الأول: أن من كان خلافه من الخلاف الذي يحتمله الاجتهاد لاحتمال دليله، ويتمثل في قولهم: (رأبي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ ويحتمل الصواب) فهذا النوع من الخلاف ليس فيه التشدد ولا الغلو ولا ينبغي ذلك. الثاني: من كان خلافه من الذي يحتمل الاجتهاد على وجه ضعيف مخالف للراجح من أقوال العلم، لضعف دليله، فالواجب على من ضعفه التنبيه عليه بلطف، نصحاً للمسلمين، من غير غلو بتشهير المخالف، والطعن فيه. يقول الإمام الشافعي: (أدركت الناس وهم يختلفون ولا يكفر أحدٌ منهم أحداً، ولا يبدعه، ولا يرد شهادته). الثالث: أن يكون الخلاف شاذاً بأن يكون القول مخالفاً للكتاب والسنة خلافاً بيّناً، أو مخالفاً لما أجمع عليه الناس خلافاً لا يعذر فيه القائل به، فهذا يعامل معاملة خاصة بنصحه أولاً، فإذا قبل وإلا فيهجر لعدم سماع النصح، ولأن ما يقوله هو مخالف للكتاب والسنة جملة وتفصيلاً.

الخاتمة

١. الغلو معناه مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور، بأن يُزاد فيه أو ينقص عن الحالة التي شرع عليها، ويكون الغلو تارة بمجاوزة الحد في الإفراط، وتارة بمجاوزة الحد في التفریط، وسمي التفریط غلواً لما فيه من مجاوزة الحد في التقصير، وأما مصطلح التطرف فهو مصطلح محدث، حتى قيل إنه ليس من الألفاظ الشرعية، إلا عند بعض أهل العلم في نصوص معدودة، ولا شك أن استعمال ما دل عليه الشرع من الألفاظ أولى وأسلم.

٢. مما شاع في أوساط بعض المجتمعات الإسلامية دعوى التكفير وهي دعوى قائمة على التشدد والغلو الذي له آثار سلبية على السلم المدني ذلك أن أصحابها يسرفون في تضليل الناس وتكفيرهم، وهذا دون شك من الغلو والتعدي الذي حذر منه المصطفى ﷺ، وهذا النوع من الغلو خطره عظيم على الأمة، ولا شك أنه يهدد السلم المدني ويدعو إلى التفرقة والشحناء، لأن أصحاب هذا النوع وضعوا أنفسهم في مرتبة عالية فهم وحدهم هم المسلمون، وسائر المسلمين دونهم على الشرك.

٣. جاء الأمر صريحاً في النهي عن الغلو في الدين، فمنهاج الدين وسبيله هو السماحة والتيسير وترك التشدد في حدود ما جاء في الشرع، فوجب على الأمة أن تحذره أشد الحذر، ذلك أن الغلو في الدين من أسباب هلاك الأمم قبلنا.

٤. من حرصه على الأمة والمحافظة على تماسكها وتماسك مجتمعاتها والحذر مما يهدد سلمها المدني، وجد أنه عليه ﷺ لم يكتف بالترغيب في التخفيف والترهيب من التشدد بالقول والممارسة الفعلية من جانبه؛ بل تجاوز ذلك إلى تعقب الذين التزموا جانب التعمق والأخذ بالأشد لأصرفهم عما التزموه.

٥. من الظواهر السلبية التي عمت وتهدد السلم المدني في كثير من بيئات المجتمع الإسلامي الغلو في مسائل الخلاف بين العلماء التي ساغ ويسوغ فيها الاجتهاد إذا ما توفرت شروطه ولوازمه، فإن بعض مسائل الخلاف التي يتعصب لها بعض الناس، ويرى أن خلافها منكر، قد تكون في الواقع من باب الخلاف في المباح، الذي يجوز فعله وتركه على حد سواء، وهذا الخلاف الذي أدى ببعضهم في الغلو بالإصرار على رأي واحد، وإنكار الآخر، ما أدى إلى وقوع العداوة بين الناس، والأمر فيه سعة وفيه رحمة بالأمة ولكن لسوء الفهم والجهل والتعصب أدى إلى تفشي هذه الحالات بين أفراد المجتمع.

٦. أشد الخلاف ضرراً الخلاف على مسائل العقيدة التي عنوان الوحدة بين المسلمين، وقد نشأ عن الاختلاف انقسام كبير وفرقة كبيرة، وتعصب مذموم، وغلو وتطرف في جل الأمور، يتعمق يوماً بعد يوم، لافتقار المختلفين إلى المنهج السديد، توسع الأطراف فيه في تبادل التُّهم بالتبديع والتفسيق والتكفير، المنافي للأخوة الإيمانية، التي فرضها الله عز وجل على المؤمنين، ولا ترقى إليها أخوة الدم والنسب.

٧. العلاج الذي يفرضه منطق العلم أن نعتني بتدريس التعليم الديني الواعي الشامل، تدريساً متمكناً قوياً، يحصن الشباب، ويرببهم، ويوجههم التوجيه الصحيح لفهم الإسلام، ولما ينفعهم وينفع أمتهم، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفوفهم على الحق، دون غلو ولا تفريط، حتى لا يجرؤوا الأمة إلى الخراب، ومزيد من الذل، وهيمنة أعداء الإسلام، وحتى لا تذهب طاقاتهم في معارك جانبية، معظمها يرتكز على المكروهات والخلافات.

التوصيات

١. دعوة التربويين المسلمين في العالم العربي والإسلامي إلى وضع قواعد ومناهج، تربي الشباب على الفهم الصحيح للإسلام، مع بيان المناهج الأخرى الدخيلة التي تتكلم باسم الإسلام وليست منه، ويعتني في هذا الشأن بالجانب التربوي لتلقي العلم الشرعي، فيربي الطالب بصغار العلم قبل كبارها، ويوجه في القضايا الدينية إلى الاعتناء بالأهم قبل المهم.
٢. دعوة الحكومات وصناع القرار إلى إثراء دور المؤسسات الأكاديمية والمراكز العلمية والثقافية بهدف تعزيز الحوار الحضاري لنشر ثقافة قبول الآخر، مما يسهم في تحجيف منابع الإرهاب والانغلاق والتشدد، وذلك بإقامة الندوات والمؤتمرات والملتقيات العلمية التي تعنى ببيان بسر وسماحة هذا الدين العظيم، واستنطاق ما يحتويه من كنوز وأنوار تهدي الأمة ومجتمعاتها لما فيه صلاحها، والرفع من حضارتها، والبعد بها عن كل ما يهدد سلمها المدني والحضاري.
٣. تشجيع الباحثين المتميزين الذين يثرون البحوث العلمية الرصينة المهمة بقضايا المسلمين، وتكون ملامسة للواقع غير بعيدة عنه، وتحاول أن تشخص الداء وتضع له الدواء الناجع المستقى من التبعين الصافيين كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلی الله عليه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا- محمد علي معوض، نشر: دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٠، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الجبل، بيروت.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى ١٩٦٩م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلی الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: محمد زهير بن نصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط ١-١٤٢٢هـ.
- الرخص الفقهية من القرآن والسنة النبوية، محمد الشريف الرحموني، نشر: مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار ابن كثير، تحق: د. مصطفى ديب البغا، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحق: دار الجبل، ودار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- الغلو في الدين (غلو التطرف، وغلو التصوف)، الصادق بن عبدالرحمن الغرياني، مركز الخلية الأولى، سبها، ليبيا، الطبعة الأولى لسنة ٢٠٠٠.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، نشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسس الرسالة، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م
الموافقات في أصول الأحكام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي.

الفهرس

المحور الأول : في المصطلحات : التاريخ والنشأة

عنوان المداخلة :

"مفهوم التطرف الديني ونشأته التاريخية بين الغرب والشرق"

الدكتورة أسماء غماري

مقدمة :

إنّ التطرف الذي وُصمت به أساسا جماعات تبنت العنف باسم الإسلام في شتى أنحاء العالم سرعان ما ألقى بدلالاته السلبية على الدين الإسلامي حتى كاد ينطبق مفهومه في التصور الغربي على الإسلام حصرا دون غيره من الديانات ، إذ أن صورة نمطية سلبية ترسخت في الغرب عن الإسلام والمسلمين ، فبات ذكرهما يستدعي في الأذهان العنف والارهاب وسفك الدماء ، وذلك اثر الاغتيالات و الاختطافات والتفجيرات والحرائق وغيرها من الأعمال الارهابية التي تصدرت عناوينها مختلف وسائل الاعلام العالمية خلال العقود الأخيرة من القرن الحالي وعلى رأسها أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

وفي سياق التوتر و الخوف و القلق الذي أفرزته هذه الأحداث، طفت في المجتمعات الغربية حالة من الرعب الهستيري اتجاه المسلمين أطلق عليها مصطلح "الإسلاموفوبيا" أو الرهاب من الإسلام إذ أصبح الفرد الغربي العادي لا يُميز في الغالب بين الإسلام كرسالة سماوية تدعو الى المحبة و التسامح و القيم و تلك الممارسات التي تهدد أمنه القومي والمنسوبة للدين جزافا أما عن جهل و سوء فهم أو عن وعي سعي لتحقيق مآرب سياسية و سلطوية معينة .

و مما لاشك فيه أن اضطراب العلاقات بين الشرق والغرب ما كان ليبلغ هذه الدرجة من الحدة لو لم ينتهز أصحاب التنظير لصدام الحضارات تلك الأحداث الدموية من أجل تخصيص أفكارهم المعادية للإسلام والمضي قدما في سعيهم " لاستحضار الإسلام ومعه العالم العربي و الإسلامي ليكون موضع صدام حضاري مع الغرب " (حسن محمد ، ٢٠٠٢ : ٣٠).

و كان الاعلام من أبرز الوسائل التي عمد اليها هؤلاء لشن حملتهم ضد الإسلام وتشويه صورته بتقديمه على أنه دين يشجّع على الارهاب و العنف ، إذ عمد الى التعميم فسلب الضوء على المسلمين المتطرفين و قدمهم كنموذج عن المجتمع المسلم علاوة على أنه تناول الموضوع دون الاحتكام لشيء من الضوابط و المعايير بعد أن أضحي "التطرف الديني" حديث العام و الخاص، والى غير ذلك من الاستراتيجيات التي انتهجها في التهويل والتضليل .

و في مقابل هذا التيار الذي يركز على عوامل التفرقة من أجل تأجيج الصراع و تعميق الفجوة بين الشرق و الغرب أو بين المسلمين و الغرب على وجه التحديد ، ظهر على الساحة تيار مُضاد يدعم الحوار بمختلف أشكاله من أجل تكريس مبادئ التعايش و التقارب لا سيما أنّ عدد المسلمين اليوم في الغرب في ارتفاع مستمر ، حيث تؤكد احصائية قام بها معهد بيو سنة ٢٠١٠ أنّ عدد المسلمين في كل أوروبا عدا تركيا يبلغ ٤٤,١ مليون نسمة أي ما يعادل ٦ بالمئة من اجمالي سكان أوروبا ، و هو رقم مرشح لأن يصل ٥٨,٢ مليون نسمة بحلول سنة ٢٠٣٠ ، أي ما يعادل ٨ بالمئة من سكان أوروبا.

<http://www.pewforum.org/٢٠١١/٠١/٢٧/the-future-of-the-global-muslim-population>

و من المحاور الأساسية التي يركز عليها أصحاب النِّبَار الرّامي لتعزيز التّعایش السّلمي بين الغرب والمسلمين ، العمل على تقديم الاسلام تقديمًا صحيحًا يُخلصه مما علق به من التُّهم ، وعلى رأسها تهمة التحريض على العنف و الارهاب.

و في هذا الاطار تهدف دراستنا ، ضمن فعاليات المؤتمر الدّولي الثالث بعنوان حوار الحضارات و الثقافات ، الى تحديد مفهوم التّطرّف الدّيني في ظل رواج مفاهيم غامضة اقترنت به أو بمرادفاته ، مع القاء الضّوء على النّشأة التّاريخية للظّاهرة في الشّرق و الغرب.

مفهوم التطرف لغة:

التّطرّف هو تفرّد من طرف طرفا ، و " هو الأخذ بأحد الطرفين و الميل لهما: اما الطرف الأدنى أو الأقصى " (القاموس المحيط، و تاج العروس و لسان العرب و الصحاح

و المصباح المنير، مادة طرف) و "الطرف من كل شيء منتهاه ، أو الناحية أو الجانب" (المعجم الوسيط) ومنه يُقال "تطرفت الشمس أي دنت للغروب كما يُقال للناقة اذا رعت أطراف المرعى طرفت الناقة و مثله تطرفت الناقة" (فيروز آبادي ، مادة طرف) وجاء في المعجم الوسيط في معنى تطرف "تجاوز حد الاعتدال و لم يتوسط "

و منه فان التّطرّف يصدق على الإفراط كما يصدق على التفريط اذ أن المتسبب و المغال متطرفان على حد سواء لأنهما جانبا الصواب و الوسط، و سنقصر حديثنا على التّطرّف بمعنى الإفراط و المغالاة فحسب لأن " التطرف الديني" ، موضوع دراستنا ، لم يرد استعماله أبداً بمعنى التفريط و التقصير في الالتزام بالدين أو في تطبيق تعاليمه. و عليه يستقر تعريف التّطرّف الديني لغة على أنه " مجاوزة الاعتدال في السّلوک الدّيني".

و نلاحظ مبدئياً أنّ الاعتدال في أمر ما لا يُمكن تحديده بموضوعية ، فهو يتوقف على المعيار الذي يعتمده كل شخص و على أساسه يحكم بالتطرف من عدمه ، أما الاعتدال في السلوك الديني فلا بد من الاحتكام فيه الى الدّين وحده.

مفهومه اصطلاحاً :

يعتبر سكرتون أن مصطلح التطرف Extremism مصطلح غامض يمكن أن يعني :

(١) "تنفيذ فكرة سياسية الى أقصى مدى لها ، دون توخي تبعاتها و حساباتها الدقيقة أو عدم توافقها مع الواقع ، مع الاستعداد ليس فقط لمجابهة المعارضين بل الاستعداد لمحوهم .

(٢) المفهوم يعني أيضا "عدم التسامح" اتجاه كافة وجهات النظر المخالفة

(٣) تبني مبدأ الغاية تبرر الوسيلة و عدم الاعتراف بمبادئ الأخلاق و معايير السلوك القويم ، بما في ذلك عدم احترام حياة و حرية الآخرين و حقوقهم ". (حسن محمّد، ١٩٩٧ : ٢٣)

على الرغم من الغموض الذي يعتري مصطلح التطرف ، إلا أن تناقضه مع مبادئ التعايش الأساسية كالحوار و حرية الرّأي و تقبل الآخر و احترام الاختلاف و التعددية أمر لا لبس فيه ، و ينبغي الإشارة الى أن التطرف وارد في جميع مجالات الحياة و من أمثلته التطرف السياسي ، و التطرف العرقي ، و التطرف الاجتماعي ، و التطرف الايديولوجي ،

و التطرف الديني ، و أيا كان نوعه فهو ناتج عن التمسك بفكرة معينة و التعصّب لها، لدرجة رفض النقاش فيها و محاوره من يُخالفها ، فردا كان أو جماعة.

و تتجلى خطورته في المشاعر السلبية التي يُفرزها كالْبُغْض و الكره و الازدراء اتجاه الآخر المُختلف ثقافياً أو عرقياً أو دينياً أو فكرياً ، والتي قد تنعكس على السلوك عندما يلجأ المُتطرف الى ارغام الآخر على اتباعه و التقيد بأفكاره و ربّما يصل به الأمر الى الاعتداء عليه و اباحة دمه ، و نخص بالحديث هنا التطرف الديني الذي كان و لا يزال وراء أشنع حروب الإبادة الجماعية و أبشع الجرائم التي اقترفت باسم كل الديانات في جميع المجتمعات الغربية و الشّرقية على حدّ سواء .

- التطرف الديني في الغرب :

نشأته:

تعود بدايات التطرف الديني في الغرب الى القرن السادس عشر عندما انقسمت أوروبا ما بين المسيحية الكاثوليكية و المسيحية البروتستانتية ، المعارضة لسلطة البابا و هيمنته على الكنيسة ، بعد اعلان مارتن لوتر حركة الاصلاح الديني التي جاءت بمذهب البروتستانت عام ١٥١٧. الأمر الذي أشعل الصراع بين أنصاره و أنصار المذهب الكاثوليكي (الجابري، ٢٠٠٣: ٧٦)، و تمخض عنه حرب ثلاثين عاما « Thirty year war » (١٦١٨-١٦٤٨) التي اندلعت في ألمانيا و سرعان ما شملت أغلب البلاد الأوروبية .

كانت حربا دامية ، عمد فيها كلا الطرفين الى "الاضطهاد و الأسر والتعذيب و اعدام المعارضين ، و تدمير الكنائس و المكتبات" (اسبوريتو، ٢٠١١: ١٢٥) ما أدى الى سقوط ثمانية مليون قتيل كلهم من المدنيين. وقد استمرت الصراعات بين الجانبين حتى بعد انتهاء الحرب بابرار صلح ويستفاليا سنة ١٦٤٨ (رتيب عبد الحافظ، ٢٠١٦: ٤٩). وعرفت انجلترا البيوريتان Puritans ، و هي جماعة انشقت عن البروتستانت كانت لها مطالب متشددة ازاء اصلاح الكنيسة ، حيث رفضت اخضاعها لأي سلطة أو رقابة من منطلق ايمانها بأنه لا سيد الا السيد المسيح ، كما كانت تعتقد أن الله اختارها و فضلها على العالمين (عبوش ، ٢٠١٥: ٣٤) ، و خاضت حروبا أهلية ضد الملك من أجل فرض معتقدها الديني .

أمّا في الولايات الأمريكية المتحدة فقد دبّ الشقاق بين البروتستانت عقب الحرب الأهلية (١٨٦١-١٨٦٥) التي حدثت بسبب مطالبة الولايات الشمالية الغاء العبودية في حق السود، اذ برزت فئة من البروتستانت في الجنوب تُؤيد العبودية استنادا الى مبررات دينية استقتها من القراءة الحرفية للإنجيل واشتهرت لاحقا بموقفها المتعصب اتجاه التطور العلمي و ما صحبه من أفكار مناهضة للدين كنظرية التطور الداروينية و العلمانية (٤٨-٤٧: Favre, ٢٠٠٦). و قد انشقت هذه الجماعة ، التي عُرفت باسم الأصولية ، من حركة الألفية " في القرن التاسع عشر ، و هي حركة مسيحية بروتستانتية تدّعي عودة المسيح عليه السلام ثانية الى العالم ليحكم فيه بالعدل و الانصاف لمدة ألف سنة قبل يوم الحساب ، و كانت تتبنى التفسير الحرفي للإنجيل رافضة أي شكل من أشكال التأويل باعتبار الكلمة و الحرف في الإنجيل من الله . (عمارة ، ٢٠٠٤: ٤٣)

و قد أطلقت جريدة « Watchman-Examiner » في أمريكا الشمالية ، لأول مرّة مصطلح الأصولية عام ١٩٢٠ ، و هي السنة التي أعلن فيها جناح من هذه الحركة استعداده للقتال ضد التيار البروتستانت اللبرالي، الذي كان ، على خلافه ، متقبلا للتغيرات الثقافية وليدة حركة التنوير و الحداثة خلال الفترة ما بين سبعينيات القرن التاسع عشر و عشرينيات القرن العشرين ، علاوة على أنه أبدى استعداده لإدخال تعديلات على بعض العقائد المحورية في الديانة المسيحية .(مارسدن، ٢٠٠٥: ١٣).

و تجدر الإشارة الى أن هذا المصطلح عرف اثر هذه الأحداث تحولا كبيرا على مستواه الدلالي ، فبعد أن كانت صفة الأصولية مدعاة للفخر و العزّة لصاحبها الملتزم بأصول الايمان Fundamentals ، اكتسبت دلالة سلبية مُقترنة "بالعداء و الازدراء و ضيق الأفق و التعصب الأعمى، و النزعة المناهضة للتقدم و انتشار العلم و النزعة الطائفية" (Brandon, ٢٩٢: ١٩٧٠) ، مما جعل الأصوليين أنفسهم يرفضون هذه التسمية ، فهم يعتقدون أنهم هم المسيحيون الحقيقيون و أنّ فهمهم للدين هو الفهم الصحيح ولذلك كانوا يُحبّدون تسمية أنفسهم بأحد الاسمين : الانجيليون" أو "الانجيليون المحافظون" (Brandon, ibid)

مفهوم الأصولية الاسلامية عند الغرب:

ظهر مصطلح الأصولية كترجمة لمصطلح Fundamentalism وهو في نفس الوقت ليس غريبا عن التراث الاسلامي ، لأنه مصدر صناعي منسوب للأصول سواء بمعنى المصادر و هي القرآن و السنة و الاجماع أو بمعنى الأصول الأربعة و هي : أصول الايمان و أصول العبادات و أصول الشريعة و أصول القيم و الأخلاق (القرضاوي، ٢٠٠٣: ١٢-١٥) ، و بالتالي فان مضمون اللفظ في التراث الاسلامي العربي مختلف تماما عن مضمونه في الثقافة الغربية ، مثلما هو شأن كثير من المصطلحات المتداولة في العصر الحديث بين الشرق و الغرب ، التي تتفق في الوعاء اللغوي و تختلف في المضمون الدلالي.

وكما أشرنا سابقا فالأصوليون في الغرب هم أهل الجُمود و مناهضة العقل و العلم بينما الأصوليون في الحضارة الاسلامية هم علماء أصول الفقه و هم أهل الاستنباط و الاستدلال و الاجتهاد و التجديد (عمارة ، م.ن: ٤٩) ، و ليس لمفهوم الأصولية الغربي وجود في التاريخ الاسلامي ، وبالرغم من ذلك و من البون الشاسع ما بين الخلفيات الثقافية و التاريخية في الغرب و الشرق إلا أن الاعلام الغربي أسقط مفهوم الأصولية النصرانية على ما يُسميه "الأصولية الاسلامية" ، و كان من تبعات

ذلك نظرة الازدراء و الاحتقار التي يلقاها المسلم في الغرب ، لأنّ مجرّد التزامه بالقرآن واعتقاده بأنّ حروفه نزلت من عند الله يجعله في حكم الأصولي المتطرف ، يقول جيمس بار : "الاسلام يُمكن أن يقال بأنه أصولي ، فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن قد نزل به الوحي حرفيا للرسول(صلى الله عليه وسلم) من كلماته العربية، وأن القرآن وحي لا يتطرق الشك الى نقائه و خلوه من الأخطاء" (Barr, 1988, 7)

كما نلاحظ صعوبة التمييز بين الملتزم دينيا و المتطرّف دينيا من خلال الاطلاع على كتاب "الأصولية في العالم العربي (دكميجيان، ٢٠٠٩ هـ). ،اذ يقسم الكاتب الأصولية الى نوعين : سلبية و حركية و يعتبر أداء الصلاة في وقتها في المسجد و لبس الحجاب و اعفاء اللحية

و قص الشارب و غيرها من المظاهر الاسلامية و ما يندرج ضمن المظاهر الاسلامية ،اضافة الى المشاركة في جمعيات دينية أو اجتماعية يعتبرها مؤشرات للأصولية السلبية ، و في نفس الوقت مؤشرات للأصولية الحركية التي تتبنى العنف . و على هذا الأساس يتعدى وصف الأصولية الجماعات الدينية التي تتبنى العنف باسم الاسلام ليعم كافة التيارات الاسلامية بمختلف أطرافها ، فالجميع حسب هذا المنظور اما متطرفون أو متطرفون جدا .

بينما يُخطئ البعض هذا الموقف ، فلا يصح ،حسبهم ،تعميم صفة التطرف على جميع الحركات الاسلامية الأصولية ، و يرى اسبوسيتو في هذا الخصوص أنها ذات ايدولوجيات متنوعة ، فمنها المحافظة التي تُؤمن بالتدرج في التغيير من أجل جعل الاسلام المرجعية الأولى في الحياة العامة و الشخصية للمسلمين ، فالدين متكامل مع السياسة

و الدولة و المجتمع ، و منها المتطرفة التي تعتقد بوجود تأمر يهودي مسيحي ضد العالم الاسلامي و يرون شرعية الجهاد ضدهم وكذلك ضد الحكام الذين لا يُطبقون الشريعة الاسلامية و المسلمين الذين يرضون بحكمهم (اسبوسيتو، ١٩٨٩: ٢٧-٢٨)

فيما يذهب عدد من المستشرقين الى رفض استعمال مصطلح "الأصولية الاسلامية" رفضا باتا لما له من مضامين غربية ، نذكر منهم "روجر أوين" و "كارمن رويث" و "فيتالي ناعومكين" و "هومي بابا" و "روبن أوستل" ، ويُوضّح جاك بيرك أن "الظاهرة الاسلامية" الحديثة التي تُعرف في المشرق بحركة الصحوّة أو الاحياء أو اليقظة الاسلامية لا ينطبق عليها هذا التعبير ، لأنّ مساعيها تتعارض تماما و قد تصل حدّ التّضاد مع مساعي الأصولية بالمفهوم الغربي للمصطلح ، فهي تدعو الى العودة الى الأصول من أجل تجديد الخطاب الديني وفق ما يتناسب مع روح العصر و متطلباته و اعمال الفكر لتقديم حلول للمشاكل المستجدة في العالم المعاصر(عمارة،م.ن.و ص.ن).

أما جون بيار زيري ، فيشير من جهته الى أن الحركات الاسلامية لا تعني بالضرورة حركات أصولية ولذا فهو ينتقد الاعلام الغربي الذي تعتسف في استعمال هذه التسمية فأطلقها على جميع التيارات ذات التوجه الاسلامي دون دراسة مسبقة لرؤيتها السياسية ولما تتبناه من أفكار و مواقف اتجاه الحداثّة و الغرب ، كما ركّز على أهمية تحديد مفاهيم المصطلحات التي بلغت اليوم درجة عالية من الغموض و من ثمة ضرورة الالتزام بإطارها التعريفي الذي وُضع لها.(Ziri, 2011, 9).

و في ظلّ غياب تعريف واضح و مصطلح متفق عليه للظاهرة اعتمدت اليونسكو مصطلح "التطرف العنيف" في الدليل الذي أصدرته سنة ٢٠١٧ حول الوقاية من الظاهرة في اطار برنامجها الرّامي الى نشر قيمة المواطنة العالمية من خلال التعليم ، و أشارت الى أنها تقصد به "آراء و أعمال أولئك الذين يجيزون العنف أو يلجئون اليه لتحقيق أغراض ايدولوجية أو دينية أو سياسية ، و يشمل هذا التعريف الارهاب و غيره من أشكال العنف الطائفي المبرّر سياسيا، و عادة ما يتخذ التطرف العنيف عدوا أو أعداء يصب عليهم كراهيته و عنفه. كما يُعدّ اللجوء الى العنف لأسباب ايدولوجية تُسوِّغها نظريّة المؤامرة من المقومات الأساسية في مفهوم التّطرف العنيف" (ترجمتنا) (UNESCO, 2017, 19)

يبدو أن هذا التعريف يتّسم بالعموم و الحيادية ، فهو لم يجعل الدّين السبب الوحيد وراء التطرف العنيف فقد تكون وراءه أغراض سياسية أو ايدولوجية ، الا أنه يعوزه التوضيح بخصوص مصطلح الارهاب الذي لم يعتبره مرادفا للتطرف العنيف ، بل شكلا من أشكاله ، ثم أحالنا الى مفهوم التعصّب القائم على ادراك سلبي كاره اتجاه فرد معين أو جماعة معينة يُبرّر ضدهم استعمال العنف ، وذلك من خلال الاشارة الى المشاعر العدوانية التي يكتنّها المتطرفون اتجاه أعدائهم و ايمانهم بنظريّة المؤامرة .

التطرف الديني عند العلمانيين:

ارتبط مصطلح التطرف بالدين الاسلامي في المشرق لأول مرة عندما أطلقه الاحتلال الاسرائيلي على الفلسطينيين المتمسكين بالاسلام و الذين يرونه مصدرا للدفاع عن قضيتهم .(حسنة، ١٤٠٨هـ : ٧-٨) و تضمّن آنذاك مفهوم الأصولية المُستعمل في الغرب. ثم انتقل المصطلح الى البلاد العربية أين أسند اليه العلمانيون مفهوماً خاصاً قوامه الأساسي مبدأ العلمانية الغربي القائل بفصل الدين عن الدولة ، و الذي بموجبه اعتبروا جميع أطراف الفكر السياسي الاسلامي دون استثناء متطرفاً (العشماوي، ١٩٨٧: ٤٥-٤٦)

و مما أنكره العلماء و المفكرون الاسلاميون على أصحاب هذا الفكر، زعمهم أن الاسلام دين عبادة فقط و مُطالبتهم، من جهة أخرى ، بتطبيق النموذج الغربي و الاقتداء به في مجالات التشريع و الحكم و الادارة (طه حسين ، ٢٠١٤ : ٣٦-٣٧) ، دون مراعاة الفوارق العقائدية و الثقافية و الاجتماعية الموجودة عموماً بين الغرب و الشرق ، بله عن اعتبار السّير على الخط الغربي الوافد على المجتمعات الاسلامية اعتدالاً و الخروج عنه تطرفاً،

والملاحظ أيضاً أنّ مفهوم التطرف لدى أصحاب هذا المذهب يتخذ أحياناً منحى آخر بعيداً عن قضية تسييس الدين ، ليشمل مسألة الالتزام بالشريعة الاسلامية في جميع مناحي الحياة وليس السياسة فقط، فيطرح للنقاش قضايا من قبيل لبس الحجاب و الجلباب و اعفاء اللحية و رفع صوت الأذان ، و يذهب فؤاد زكرياء في هذا السياق ، الى القول "بأن امتلاء السّاحة بالكتب التي تُحرم التصوير و الموسيقى و تخوف الناس من عذاب القبر ليس سبباً لتطرف هؤلاء الشباب، بل انه نتيجة له ، و هو ذاته جزء لا يتجزأ من ظاهرة التطرف التي نسعى الى تقليدها" (اللوحيق، ٢٠٠٥ : ١٦٥).

مفهوم التّطرف الديني في الاسلام:

تعبّر النُّصوص الشَّرعية عن التطرف الديني بمصطلح "الغلو في الدين" ، و تعتبره ظاهرة ضاربة في القدم ، لم تخل منها أمة من الأمم التي أكرمها الله بالرسالات السماوية . فقد ظهر على مر العصور أقوام انتهجوا في الغلو طرائق شتى، فمنهم من غالى في الصالحين كقوم نوح و منهم من غالى في أنفسهم حتى حصروا النبوة عليهم كبنى اسرائيل و منهم من غالى في الأنبياء كالنصارى مع عيسى عليه السلام .

الغلو لغة :

قال الجوهري في الصّحاح في مادة(غلا) : "غلا في الأمر يغلو غلوا ، أي جاوز فيه الحد" و قال : "الغلو مجاوزة الحد ، يُقال غلا في الدين غلوا تشدّد و تصلّب حتّى جاوز حدّه

و وافقه الزبيدي في تاج العروس و الفيروز آبادي في القاموس .

و قال ابن منظور في اللسان في مادة (غلو) : "أصل الغلاء : الارتفاع و مجاوزة القدر في كل شيء و غلا في الدين و الأمر يغلو غلوا : جاوز حدّه.

و قال ابن فارس في المعجم(مادة غلوى) : "الغين و اللام المعتل أصل صحيح في الأمر ، يدل على ارتفاع و مجاوزة قدر ، يُقال غلا السعر يغلو غلاء و ذلك ارتفاعه ، و غلا الرجل في الأمر غلوا اذا جاوز حدّه".

ومنه فإنّ الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع و الزيادة و مجاوزة الحد.

الغلو اصطلاحاً:

عرف ابن تيمية الغلو بأنه : " مجاوزة الحد بأن يُزاد في الشيء، في حمده ، أو ذمه ، على ما يستحق و نحو ذلك " (ابن تيمية ، ١٤٠٤هـ : ٢٨٩/١) و عرفه الحافظ بن حجر بأنه : " المبالغة في الشيء و التشديد فيه بتجاوز الحد " (ابن حجر، ١٣٨٠هـ : ٢٧٨/١٣) .

و الحدود في الدين هي الفرائض و التكاليف و الأحكام التي شرعها الله سبحانه و تعالى للمسلمين كي تنظّم حياتهم و تُحدّد ما لهم و ما عليهم من حقوق و واجبات و مسؤوليات

و هي "النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة و المأمور بها و غير المأمور بها " (ابن تيمية ، ١٣٧٢هـ : ٣٢٦/٣)

قال الله تعالى : " وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ" (الطلاق: ١).

وقال " تلك حدود الله فلا تعتدوها و من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون " (البقرة، ٢٣٩) ، فالله سبحانه و تعالى حذر من تعدي الحدود و أمر بلزومها و يكون التعدي أما بالغلو أو بالتقصير "فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له ، هذا بتقصيره عن الحد و هذا بتجاوزه الحد" (ابن القيم، ١٩٨٣: ١٩٧/٢) ، و المطلوب هو الالتزام بمنهج الوسطية الذي يكمن في الامتثال لأمر الله تعالى دون افراط و لا تفریط " و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة ، ١٤٣)

"فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا أنه بما تعملون بصير" (سورة هود ، ١١٢)

و الدعوة الى الاستقامة ، التي هي الاعتدال و النهي عن الطغيان الذي أعقبها في هذه الآية مما يُفيد أن الله سبحانه و تعالى يريد الالتزام بأمره بدون غلو يُحيل هذا الدين من يسر الى عسر(قطب، ١٩٨٧: ١٩٣١/٤).

كما وردت آيات في القرآن الكريم تتضمن خطابا موجهاً الى أهل الكتاب فيه موعظة للمسلمين حتى لا يقعوا في الغلو الذي وقعت فيه الأمم السابقة (ابن عاشور، ١٩٧٨: ٦٠) "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم" (النساء ، ١٧١) و قال : " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل " (المائدة ، ٧٧).

أما في السنة النبوية الشريفة فقد وردت العديد من الأحاديث التي تنهى عن الغلو و ما يتعلق به من صفات كالتشدد و التنطع ، و تُنذر بعاقبته المهلكة في الدنيا و الآخرة .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "إن هذا الدين يُسر و لن يُشاد الدين أحد الا غلبه" (البخاري ، ١٦/١) ، و عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " هلك المتتبعون" قالها ثلاثا (مسلم ، ٢٠٥٥/٤) و المتتبعون هم "المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود بأقوالهم و أفعالهم" (النووي ، ١٣٩٢: ١٤٩/٨)

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله كان يقول : " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع و الديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" (أبو داود ، د.ب: ٤٩٠٤)

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم غداة جمع: "هلم القط لي العصى" فلقطت له حصيات من حصى الخذف ، فلما وضعتهن في يده قال : "نعم بأمثال هؤلاء و اياكم و الغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" (النسائي ، ٣٦٨/٥). و ان تعلق النهي عن الغلو في هذا الحديث بمناسبة معينة ، فهو يُفيد نهيا مطلقا عن الغلو في جميع المسائل سواء في العلاقة مع الله سبحانه و تعالى أو مع الخلق (آل الشيخ، ٥١٤٠٢: ٢٧٥).

نشأته عند المسلمين:

لقد اتخذ الغلو في التاريخ الاسلامي شكلين : غلو عملي و غلو اعتقادي

يظهر الغلو العملي على أيدي أفراد من الناس ، و قد تكررت وقائعه في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم ، حين أبدى بعض الصحابة الرغبة في الزيادة في العبادة و الاكثار منها ، لكن الرسول صلى الله عليه و سلم أرشدهم الى التوسط و الاعتدال و قوم سلوكهم ، و بين لهم أن الزام المرء نفسه أو غيره بالعبادات و الطاعات فوق الطاقة يُعدّ غلوا يتنافى مع سنته القائمة على اليسر و رفع الحرج ، و مما يدخل أيضا في اطار الغلو العملي تحريم ما أحلّ الله من الطيبات و اتخاذ موقف مفرط من الآخرين أما بمدحهم لدرجة العصمة أو بدمهم لدرجة التكفير .(اللويحق ، م.ن: ٧٧-٨٠)

و أما الغلو الاعتقادي ، فهو متعلق بالعقائد و بكليات الشريعة الاسلامية ، تتبناه جماعات أو فرق ، لذا فهو أخطر من الغلو العملي و أشد ضررا منه على الأمة لما يترتب عنه من خلاف و انشقاق داخل المجتمع الواحد ، و من أشكاله : الافراط في تبجيل الأئمة و الشيوخ لدرجة تنزيههم عن الخطأ و تنزيههم منزلة المعصومين و تنزيل النبي منزلة الاله كما فعلت النصراني مع النبي عيسى عليه السلام.(اللويحق ، م.ن: ٧٠-٧٥) قال الرسول صلى الله عليه و سلم : " لا تطروني كما أطرت النصراني ابن مريم " (البخاري ، ١٤٢/٤)

و من الغلو الاعتقادي أيضا البراءة من المجتمع العامي لدرجة تكفير أفراد و اخراجهم من الدين ، و قد أشار الرسول عليه الصلاة و السلام الى بوادر نشأته في حديث رواه أبو سعيد الخدري في قصة الرجل الذي اعترض على قسمة النبي صلى

الله عليه و سلم للغنائم، اذ جاء فيه: "انّ من ضئضى هذا قوما يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام و يدعون أهل الأوثان" (البخاري ، ٢١/٩)

و كان الخوارج أوّل من كفّر أهل الاسلام و استباح دمائهم و أغار على أموالهم

و كان من قادتهم عبد الله بن وهب الرّاسبي و حرقوص بن زهير السعدي و عبد الله بن شجرة السلمي وقد قاتلهم الخليفة علي رضي الله عنه و هزمهم في معركة النهروان سنة ٥٣٩هـ.

و قد بين الحديث السالف ذكره أهم صفتين تُميز الفرق الغالية عموماً و الخوارج خصوصاً و هما: عدم فهم القرآن الكريم أو تأويله بما يتعارض مع مقاصد الشريعة و تكفير أهل الاسلام و استحلال دمائهم (الجهني ، ٥١٤٢٠ : ١١٠٢).

(١) عدم فهم القرآن :

يقول الرسول صلى الله عليه و سلم : "يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم" أي يقرؤونه بلا تدبير " و ليس لهم فيه حظ الا مروره على لسانهم لا يصل الى حلوقهم فضلاً عن أن يصل الى قلوبهم لأن المطلوب تعقله و تدبره بوقوعه في القلب" (ابن حجر ، م.ن: ٢٩٣/١٢)

و من مظاهر عدم فهم الخوارج للقرآن ، رفضهم عقب معركة الصفين (٥٣٧) تحكيم الرجال: أبو موسى الأشعري لعلي و عمرو بن العاص لمعاوية ، لأن كتاب الله قد حكم في أمر الذين حاربوا الخليفة الشرعي ، و استشهدوا في ذلك بالآية الكريمة " لا حكم الا لله" التي "انتزعوها من القرآن و حملوها على غير محلها" (ابن حجر ، م.ن: ٦١٩/٦) .

و في معركة النهروان رفضوا كل محاولات الخليفة للصلح و حفظ الدماء و بادروا الى قتاله و هم يُردّدون الآية الكريمة و رد عليهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال "كلمة حق أريد بها باطل" (مسلم ، ٧٤٩/٢) ، و من دواعي عدم فهم الخوارج للقرآن عدم احتجاجهم بالسنة فهم "انما يُصدّقون الرسول فيما بلغه من القرآن ، دون ما شرعه من السنّة ، التي تُخالف ، بزعمهم ظاهر القرآن" (ابن تيمية ، ٥١٣٧٢ : ١٩ / ٧٣)

(٢) استحلال الدماء:

لقد استباح الخوارج دماء من ليس على طريقتهم و خرجوا على الجماعة والولاية و عاثوا في الأرض فساداً ، بناء على أنهم هم أهل الايمان و غيرهم أهل الكفر ، يقول فيهم ابن تيمية : "يُكفرون بالذنب و السيئات ، و يترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين و أموالهم ، و أن دار الاسلام دار كفر و دارهم هي دار الايمان" (م.س)

و استباحة الدماء تكاد تكون الصفة الغالبة لدى أصحاب البدع و الفرق الغالية يقول أبو قلابة : "ما ابتدع رجل بدعة ، الا استحل السيف" (الدارمي، ٥١٣٩٨ : ٤٤/١)

و معلوم أنه لم يخل عصر من عصور التاريخ الاسلامي من فرقة غالية اتصفت بهاتين الصفتين متبعة نهج الخوارج في التكفير و استباحة دماء المسلمين و ما تشهده في هذا العصر من جماعات اسلامية متطرّفة كداعش و القاعدة ما هي الا امتداد لتلك الفرقة الضالة التي حدّر الرسول صلى الله عليه و سلم منها .

الانحراف في مفهوم الجهاد عند المتطرفين المعاصرين

انّ الاسلام هو أول من يُدين التطرف الديني لأنه يتعارض مع وسطيته و سماحته كما أشرنا سابقاً ، اضافة الى أنه يُشوّهه بما يروج له من أفكار خاطئة طالت أهم مفاهيمه و أبرزها مفهوم الجهاد في سبيل الله . و لقد تولّى الكثير من العلماء في العصر الحديث مهمة الرد على الشبهات التي وقع فيها المسلمون المتطرفون في هذا العصر مؤكداً أنّ الخطأ الأول الذي

أدى بهم الى الانحراف هو عدم ادراك المقاصد الشرعية للجهاد وعدم الالتزام بشروطه و ضوابطه ، و المقصود بالجهاد هنا هو المعنى الخاص أي مقاتلة الكفار ، علما أن الجهاد في الاسلام نوعان: جهاد أكبر ، هو جهاد النفس من أجل تزكيتها و تهذيبها

و جهاد أصغر هو الدعوة الى الله بالحكمة و الموعدة الحسنة و لا يُلجأ الى العنف الا دفاعا عن النفس والدين و رفعا للظلم (ابن سعيد المحجوب، ٢٠١٠: ٥٥-٥٧).

و تُشير الى أنّ هناك مظاهر عدة لانحراف مفهوم الجهاد عند المتطرفين المعاصرين ، من بينها : تكفير المسلمين و استباحة دمهم و قتل الكفار المستأمنين و المعاهدين.

ولقد اتفق علماء الأمة بإجماع على عدم جواز التكفير بالمعصية سواء كانت قولاً أو فعلاً فلا بدّ من التمييز بين الفعل والفاعل و القول و القائل ، فقد يكون الفعل و القول كفراً لكن القائل أو الفاعل غير كافر و يقول أبو حامد الغزالي في هذا السياق : " و الذي ينبغي الاحتراز منه "التكفير" ، ما وجد اليه سبيلا ، فان استباحة الدماء و الأموال من المصلين الى القبلة ، المصرحين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله خطأ ، و الخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم " (الغزالي، ١٤٢٤هـ: ٢٦٩)

أما اجازة قتل الكفار المستأمنين و المعاهدين سواء داخل البلاد الاسلامية أو خارجها بدعوى أنهم ينتمون الى دول اعتدت على بعض بلاد المسلمين كأمریکا ، فهو مفهوم محرّف للجهاد ، ابتدعته القاعدة. (الغصن ، ١٤٣٦: ٦٢)

<https://www.assakina.com/book/٨٥٠٩٥.html>

و مما لا شك فيه أن هذا القول يتعارض مع النصوص الشرعية التي تُحذّر من عدم الوفاء بالعهد مع الكافر الحربي فضلا عن الكافر المُسلم (ابن عبد البر ، ١٤٢١هـ: ٣٦/٥)، قال الله تعالى : " و أوفوا بالعهد انّ العهد كان مسؤولاً" (الاسراء ، ٣٤) و قال : " و أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم" (النحل، ٩١) ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، و ان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما" رواه البخاري (٣١٦٦) ويقول أيضا : " لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدره فلان " رواه البخاري (٣١٨٦) و الى غير ذلك من الأدلة الشرعية التي تحرم الغدر بالمعاهد . كما يحرم قتل شخص بدعوى أنه يحمل جنسية دولة اعتدت على بلد مسلم ، لأنّ الاسلام لا يُجيز أخذ امرئ بذنب غيره ، لقوله تعالى : " ولا تزر وازرة وزرة أخرى " .

أما قول بعض الجماعات الاسلامية المتطرفة أن كل كافر في هذا الزمان هو في حكم المحارب (البراك ، ١٤١٨هـ: ٨٦) فأصل تحريمه قوله تعالى : " و قاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم و لا تعتدوا ان الله لا يُحبّ المعتدين" (البقرة ، ١٩٠)، و يُؤوّل بعضهم أحاديث نبوية على غير دلالتها فيستدلون بها على وجوب الجهاد في كل زمان و ان لم تتوفر شروطه ، و منها حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : " لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة " رواه مسلم (١٥٦)

و بحديث أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : " و الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمّتي الدجال لا يبطله جور جائر و لا عدل عادل" رواه أبو داود (٢٥٣٢)

الخاتمة :

إنّ الاسلام اليوم هو أكثر دين يعاني من الأحكام المسبقة و المفاهيم الخاطئة ، و أبرز تُهمة ألصقت به هي أنه دين ارباب و عنف ، أمرٌ يتنافى تماما مع جوهره الداعي الى عدم الاكراه في الدين و الى نبذ العنف ، فمن قتل نفسا بغير حق ، كأنما قتل الناس جميعا و لا يشرع القتال الا لصد اعتداء أو لرد ظلم . أما ظاهرة التطرف الديني فهي ظاهرة عرفتها جميع الديانات عبر التاريخ ، فقد شهد الشرق و الغرب على حدّ سواء جماعات انتهجت الترويع و التقتيل لفرص تصورات و قناعات دينية معينة، حيث ظهرت في الشرق فرقة الخوارج كأول نواة للفكر الباطني و نشأ الفكر الأصولي في الغرب على يد المتطرفين المسيحيين.

ولقد اتّضح لنا أنّ التطرف الديني و الأصولية مصطلحان يتضمنان مفهومًا غريبًا ، لأنهما استُعملا لأول مرة كمقابلات لمصطلح Fundamentalism الغربي النشأة ، و على هذا الاعتبار فهما يندرجان ضمن قائمة المصطلحات العربية التي اقترنت بمفاهيم غربية بحتة مثل العلمانية ، و النضالية ، و الرّجعية ، و الاصلاح ، و العقلانية و غيرها من المفاهيم التي أسقطت على المجتمعات الاسلامية دون مراعاة الفارق الشاسع بين البيئتين على المستوى الديني و التاريخي و الاجتماعي.

و تُشير ، دائماً في اطار فوضى المصطلحات و مفاهيمها ، الى التشويه و التّحريف الذي طال بعض المصطلحات الاسلامية ، على غرار الجهاد و الشريعة بسبب الغلاة المسلمين أنفسهم و كذا الاعلام الغربي الذي روّج لمفاهيمهم الخاطئة عن الاسلام .

ووسط تعدد تعاريف التّطرّف الدّيني التي تعكس تيارات مختلفة المشارب الفكرية و الايديولوجية ، يُمكن تمييز الآراء التالية :

- ١- رأي فئة الغلاة، و هم يُؤيدون التطرف لأنهم يرون فيه الاستقامة و دليلاً على الالتزام بالتعاليم الدّينية
- ٢- رأي فئة لا تُميز بين التطرف الديني و الدين ذاته فهي اذ تنتقد التطرف تنتقد الدين أيضاً سواء بقصد محاربتة أو لاشتباه الأمر عليها.
- ٣- رأي فئة تنتقد التطرف لأنه مُخالف لتعاليم الاسلام القائمة على الوسطية في الفكر و العقيدة و السلوك ، و هذا هو الرّأي الذي نعمده ، و على أساسه نقدّم الاقتراحات التالية قصد مكافحة ظاهرة التطرف الديني :
- مضاعفة جهود العلماء السّاعية لتفنيد حجج المتطرفين و الرد عليها عبر وسائل الاعلام و عبر الندوات و اللقاءات و المحاضرات و خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي .
- ادراج دروس تهدف لإصلاح المفاهيم الخاطئة عن الجهاد و الاسلام ضمن المقررات الدراسية في الشرق و الغرب
- توعية الشباب حتى لا يقع تحت تأثير الأفكار المتطرفة التي تسري عبر وسائل التواصل الاجتماعي
- اخضاع وسائل التواصل الاجتماعي للرقابة
- السّعي لتحقيق العدالة الاجتماعية في بعض الدول الغربية أين يعاني المواطنون المسلمون من عدم تكافؤ الفرص في العمل والسكن و غيرها من الحقوق مقارنة بباقي المواطنين بسبب التمييز العنصري ، ما قد يدفع بهم الى التطرف .
- العمل على تقليل نسبة البطالة و الفساد في البلاد العربية .

المصادر :

القرآن الكريم

القواميس و المعاجم :

- ابن فارس ،أبي الحسين أحمد،(١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة و النشر

و التوزيع، الجزء الرابع

- ابن منظور، جمال الدين، (١٩٧٠)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

- الجوهري، اسماعيل (١٩٨٤)، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- الفيروز، أبادي، (٢٠٠٥)، قاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر

والتوزيع، بيروت، لبنان

- المعجم الوسيط ، (٢٠٠٤) ، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية.

-Brandon,S.G.F ,(١٩٧٠), A dictionary of comparative religion, WEIDENFELD & NICOLSON
,London.

المراجع باللغة العربية :

- ابراهيم ،سعدالدين ،(١٩٨٣)، مصر تراجع نفسها، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم ،(٥١٤٠٤هـ) ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، الطبعة الأولى
- ابن تيمية ، ، أحمد بن عبد الحلیم ،(٥١٣٧٢هـ)، مجموع الفتاوى ، الطبعة الأولى ، مطابع الرياض ، المملكة العربية السعودية
- ابن حجر العسقلاني ، الحافظ أحمد بن علي ، (٥١٣٨٠هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة ، مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٧٨، مقاصد الشريعة الاسلامية، الطبعة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس.
- ابن قيم الجوزية ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ١٩٨٣، مدارج السالكين ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ،(د.ت)، سنن أبي داود ، دار احياء السنة النبوية ، توزيع دار الفكر ، مصر
- اسبوزيتو ،ال.جون ،٢٠١١، تر.دار النشر للجامعات
- اسبوسيتو ،جون ،(١٩٨٩)، "الاسلام والكونغرس: دعوة لمهادنة الاسلاميين"،
- تر. أحمد خضر، عوض، مجلة المجتمع،ع.٩١٤، جمعية الاصلاح الاجتماعي، الكويت.
- البخاري ، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.
- الجابري، محمد، (٢٠٠٣)، موسوعة دول العالم"حقائق و أرقام"، مجموعة النيل العربية
- الجهني ، مانع بن حماد ، (٥١٤٢٠هـ)، الموسوعة الميسرة في الأديانو المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، الطبعة الرابعة، مج الثاني، دار النذوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع
- الدارمي ،أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام ،(١٣٩٨) ، سنن الدارمي ،دار الفكر ،القاهرة مصر،
- العشماوي ،محمد سعيد، (١٩٨٧)، الاسلام السياسي، سينا للنشر، مصر
- القرضاوي ،يوسف،(٢٠٠٣)، مستقبل الأصولية الاسلامية، دار التوفيق النموذجية للطباعة ،القاهرة.
- اللويحق، عبدالرحمان بن المعلا، (٢٠٠٥)، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ،الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة
- النسائي ، أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي ، سنن النسائي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.
- النووي ، يحيى بن شرف (٥١٣٩٢هـ)، شرح صحيح مسلم ، الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان
- آل الشيخ ، سليمان بن عبد الله بن محمد،(١٤٠٢)، تيسير العزيز الحميدفي شرح كتاب التوحيد ،الطبعة الخامسة ، المكتب الاسلامي ، بيروت

- حسن محمد ، وجيه، (٢٠٠٢)، حروب الهوية و مستقبل التفاوض مع الغرب ، ط١ ، مركز نماء للبحوث و الدراسات ،بيروت ، لبنان.
- حسن محمد، وجيه، (١٩٩٧) ، مباريات التفاوض في مواجهة آليات التسلط والتطرف ، المكتبة الأكاديمية
- حسنة، عمر عبيد، (١٤٠٨) ،فقه الدعوة ملامح و آفاق (مجموعة حوارات مع بعض العلماء)، رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية ، قطر
- حسين ، طه ، (٢٠١٤)، مستقبل الثقافة في مصر ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.
- رتيب عبد الحافظ، معمر و سيد محمد، حامد، (٢٠١٦)، تطور مفهوم جرائم الابادة الجماعية في نطاق المحكمة الجنائية الدولية ، ط٢، المركز القومي للاصدارات القانونية
- عبوش ، أحمد صالح، (٢٠١٥)، انجلترا في عهد أوليفر كرومويل (١٦٤٩-١٦٥٨)"دراسة تاريخية"، المكتب العربي للمعارف
- عمارة ، محمد، (٢٠٠٤)، معركة المصطلحات بين الغرب و الاسلام، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر
- قطب، سيد ابراهيم ، ١٩٧٨، في ظلال القرآن ، الطبعة السادسة، دار الشروق، بيروت ، لبنان.
- مارسدن، جورج م، (٢٠٠٥)، كبنفهم الأصولية البروتستانتية و الايفانجيليكية ، تر. نشأت جعفر ، مكتبة الشروق الدولية .
- مسلم ، بن الحجاج، (١٩٨٠)، صحيح مسلم، رئاسة ادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد، الرياض المملكة العربية السعودية.

المراجع الأجنبية

- Barr,James,(١٩٨٨), Fundamentalism, ٣rd ed, Biling & Sons LTD, Worcester, Great Britain.
- Favre,Olivier,(٢٠٠٦),Les églises évangéliques de Suisse :Origines et identités, Labor et Fides .
- UNESCO,(٢٠١٧),La prévention de l'extrémisme violent par l'éducation, Guide à l'intention des décideurs politiques,Paris.
- Ziry,Jean –Pierre, (٢٠١١), Le retour aux sources de l'islam original, LULU

المواقع الالكترونية :

- <http://www.pewforum.org/٢٠١١/٠١/٢٧/the-future-of-the-global-muslim-population/>
- <https://www.assakina.com/book/٨٥٠٩٥.html>

جامعة الطفيلة التقنية

الأردن

كلية الآداب

المؤتمر الدولي الثالث:

حوار الحضارات والثقافات ٢١/١٠ أكتوبر ٢٠١٠

مداخلة بعنوان: الإرهاب بين القراءة الجيو-حضارية والقراءة الجيو-سياسية

- الاسم: د. لخضر بوالطمين

- درجة العلمية: أستاذ بجامعة سطيف ٢ الجزائر

- رقم الهاتف: ٢٢٤٠٩٣٢٦٦٣١٢+

- البريد الإلكتروني: le_vert26@hotmail.com

المحور الثاني: الصراع الحضاري ونتائجه المستقبلية

خطة المداخلة:

مقدمة.

١. المفهوم والنشأة والتكوين

٢. أسباب الإرهاب ودوافعه

٣. الإرهاب ظاهرة عالمية

خاتمة

ملخص المداخلة :

يمكن إرجاع انبعاث ظاهرة الإرهاب بوصفها إحدى أهم قضايا السياسات العالمية منذ نهاية الحرب الباردة إلى الثورة الإيرانية في أواخر السبعينيات من القرن الماضي التي فاجأت الكثير من المتتبعين للشأن العالمي ، حيث كانت الحكمة السائدة آنذاك هي أن جميع المجتمعات سوف تتخلى عن العلمانية مع تحولها إلى العصرية.

حيث افترض الكثير من المحللين مسبقاً أن الدين سوف يفقد على مر الزمن الكثير من أهميته الاجتماعية والسياسية، بل وجرى التنبؤ بأن العالم الثالث أو البلدان النامية التي خرجت بأعداد كبيرة من الوضع الاستعماري سوف تسير على خطى البلدان المتقدمة اقتصادياً وتلتحق بركب الحضارة كموجة حضارية جديدة.

إن فكرة العصرية – هذه – مرتبطة ارتباطاً قوياً بالتحضر والتصنيع والتخلص من الآراء اللاعقلانية المتصلة بالدين والنزعة الانتية. لقد اقترن فقدان الإيمان الديني والتحول إلى العلمانية بالاعتقاد بأن التطور التكنولوجي وتطبيق العلوم سوف يتغلبان على المشاكل الاجتماعية المزمنة المتصلة بالفقر والتدهور البيئي والجوع والأمراض ونقص التعليم من أجل تحقيق تقدم إنساني طويل الأمد.

إن النظرة العميقة التي تجلت بعد نهاية الحرب الباردة لدى صنّاع الفكر والقرار في المراكز الكبرى للدول القوية ساهمت بشكل كبير في تعميق الهوية الثقافية والحضارية بين الغرب وباقي الأمم من خلال إرساء تفكير محافظ ومتوجس من باقي المصادر الدينية والثقافية اللاغربية ، فأعمال ص. هنتنغتون و ف. فوكوياما تشير إلى الحضارات المتضاربة القائمة على أساس فروقات دينية وثقافية بين تكتلات وتجمعات وطنية وقومية متنافسة ، وأهم مصادر الذعر في هذا التوجه هي الأساس إسلام الشرق الأوسط كما سنلاحظ في هذه الدراسة.

Absract:

You can return the emission of the phenomenon of terrorism as one of the most important global policy issues since the end of the Cold War to the Iranian revolution in the late seventies of the last century, which surprised a lot of observers of the World affair, where the prevailing wisdom at the time was that .all societies will turn on secularism with its transformation to modernity

So I suppose a lot of analysts in advance that the debt will lose over time a lot of social and political importance, it was predictable that the third world or developing countries that came out in large numbers from the colonial situation will walk in the footsteps of developed countries economically and .join the club of modernity as a wave civilized new

The idea of modernity strongly correlated with urbanization and industrialization, and get rid of the irrationality of views related to religion and ethnic trend. We have been accompanied by the loss of religious faith and secular shift to the belief that technological development and application of science will Itagiban on the chronic social problems related to poverty, environmental degradation, hunger, .disease and lack of education in order to achieve human progress a long one extensible

The insight that manifested itself after the end of the Cold War with the makers of thought and decision in the major centers powerful nations contributed significantly to the deepening of cultural and civilizational divide between the West and other nations through the establishment of the governor of thinking and Mtojs from the rest of the religious and cultural sources non-Wester, Acts of S.huntngton and F. Fukuyama suggests the conflicting civilizations based on religious and cultural differences between the blocs and groupings of national and nationalist rival, the most important sources of panic in this orientation is essentially Islam, the Middle East as we will see in this study.

مقدمة:

إن ما يحدث من اعتداءات إرهابية دموية وحشية في شتى أصقاع العالم يومياً يدفع كل صاحب عقل سليم إلى أن يخرج من صمته منذراً بالمسار الذي يسير إليه عالم اليوم، ومحدراً من عواقب السياسات الغربية العمياء، ومنتقداً لكل العوامل البنوية للمجتمعات العربية - الإسلامية المنتجة للإرهاب.

إننا نقف في مرحلة تاريخية مصيرية تتحكم في حاضرنا وتهدد مستقبلنا ومستقبل الأجيال القادمة في كل ربوع العالم، مرحلة تقضي على كل أشكال الفكر المتسامح والمتأخي التي راكمها الإنسان، وتدخله في دوائر الخوف بفعل الإرهاب وكل تجلياته من قمع وقتل وتشريد وتهجير وتخريب للعمران..

إن الخاسر والضحية الوحيدة لما نسميه "ظاهرة الإرهاب" هو الإنسان، يجب إذاً أن نعيد النظر في إنسانيتنا وفي حكمنا على الحيوان فهو أرقى منا سلوكاً، لأنه خاضع لسلطة الغريزة التي تتحكم في أفعاله، نحن الكائن المتبجح بعقله والقادر على إخضاع ذاته للتفكير وفهم الأسباب والقوانين، وإنتاج التجارب والمعارف التي تحد من الصراعات الدموية وتنظم فضاء متسامحاً للعيش بين كل الشعوب والثقافات والمعتقدات. نحن الكائن الوحيد على وجه الكرة الأرضية الذي يجب اتهامه بفعل جرائمه الواعية المدمرة للطبيعة ولكل أسباب العيش المستقر والأمن.

ونحن نعيد النظر في إنسانيتنا يجب أن نعيد النظر في التصورات الدينية ومنظومة القيم التي أنتجناها والمتحكمة في طبيعة العلاقات بيننا، وفي كل القضايا المرتبطة بها، والتي تعكس وتخفي جذور الصراعات والنزاعات الإنسانية، مثل: حوار الثقافات، حوار الأديان، حوار الحضارات، ثقافة الاختلاف، التعدد الثقافي، التنمية، العولمة، الديمقراطية، العدالة، القانون/الحرية... الخ.

مقصودنا بـ"ظاهرة الإرهاب" هو استخدام كل أشكال العنف والقوة والسلطة من أجل إخضاع الآخر وإرهابه وقتله وتدميره وتحت أي ذريعة كانت: دينية، عرقية، سياسية... ووسم الإرهاب بالظاهرة عائد إلى كونه أصبح فعلاً مخترقاً للحدود ومتجاوزاً للمجالات المحلية إلى المجالات العالمية، بفعل العولمة وآلياتها التي جعلت العالم فضاء مفتوحاً تسهل فيه الحركة والانتقال، كما تنتقل فيه المعارف والأفكار والتصورات بسهولة وانسيابية، إضافة إلى القدرة على متابعة الأحداث والوقائع في كل مناطق العالم. وكلما تكررت الأفعال وتوسعت مجالاتها وفضاءاتها الجغرافية كلما ارتفعت إلى مستوى "الظاهرة" التي يمكن رصدها وإدراكها حسياً وتجريبياً، وتحليلها في علاقاتها بالتصورات الذهنية المتحكمة فيها، لأن التصور الذهني ليس عالماً مستقلاً عن الواقع، بقدر ما هو حمولة فكرية ذهنية يتقاطع فيها الوعي واللاوعي تتعكس بشكل من الأشكال في الواقع، وهكذا فظاهرة الإرهاب واقعة فعلية تعكس تصورات وأفكاراً ذهنية.

لقد سقطت كل دعوات ترسيخ آليات الحوار والتواصل، وجعله أداة لحل الخلافات والنزاعات بعيداً عن الهيمنة الأحادية الإقصائية - الاستثنائية، وترسيخ ثقافة الاختلاف بوصفها نتيجة الوعي بالاختلاف والصدور عن ذلك الوعي ودراسته وتحليله الأمر الذي يحقق تراكم معرفياً وخبرة إدراكية تؤسس لثقافة تؤمن بالاختلاف بكل تجلياته، والدعوة إلى احترام "التعدد الثقافي" وجعله عاملاً بنائياً انطلاقاً من كونه ظاهرة أنثروبولوجية - أنطولوجية ملازمة للإنسان والمجتمع. لقد سقطت كل هذه الدعوات أمام التزايد المرتفع للعنف والقتل والتدمير، وانتصار ثقافة الموت على ثقافة الحياة.

من المسؤول إذاً عن سيادة هذه الثقافة العمياء؟ وهذه الوضعية المأساوية التي حطت من قيمة الإنسان كإنسان، وجعلته وحشاً يتمتع ويتلذذ بالقتل والتخريب؟ وما هي أسباب نشوء هذا الفكر الإرهابي الوحشي؟

هذه الأسئلة تحتاج إلى إجابات واضحة وصريحة لنتمكن من فهم الجذور العميقة لكي نستطيع استئصال هذه الثقافة من عقول الناس وتمثلاتهم وبالتالي من سلوكياتهم.

ولا يمكن تتبع كل ما ورد عن هذه الظاهرة في هذه الورقة؛ التي لا تتسع لتشابك الموضوع وتعدد جوانبه، ولكن يمكن الإجابة عن بعض الأسئلة المهمة في هذه السياق، منها:

ما هو مفهوم هذه الظاهرة؟ وكيف نشأت؟ وماهي أسبابها ودوافعها؟ وهل هذه الظاهرة نشأت في البيئة العربية الإسلامية، أم أن لها جذوراً عالمية، ساهمت في انتشارها هيئات ومنظمات ودول؟

١. المفهوم والنشأة والتكوين:

ظاهرة الإرهاب ليست ظاهرة حديثة؛ فالبعض يُرجع العمل الإرهابي إلى مئات السنين؛ ففي القرن الأول الميلادي، وكما ورد في العهد القديم "التوراة"، همّت جماعة من المتعصبين بترويع اليهود من الأغنياء الذين تعاونوا مع المحتل الروماني للمناطق الواقعة شرق البحر المتوسط.

وفي عصر الرومان كان من الصعب التمييز بين الجرائم السياسية والإرهاب، وبعد العصر الروماني عرف العالم الإرهاب كوسيلة يستخدمها أمراء الإقطاع في السيطرة على مقاطعتهم وعلى العبيد الذين يستخدمونهم في الإقطاعات، ومع بداية القرن السابع عشر بدأت سيطرة الدول الأوروبية على البحار العالمية وبدأت الزيادة في حجم السفن الناقلة للتجارة بين الشرق والغرب وظهرت معها القرصنة التي اعتبرت شكلاً من أشكال الإرهاب واستمرت حتى بداية القرن العشرين، ومن ثم نجد أن ممارسة الإرهاب عبر الزمن تمت بصور مختلفة بحسب أطرافها وظروفها، فهي ظاهرة اجتماعية تتطور بتطور المجتمعات، كما تطورت الأشكال التي اتخذتها ظاهرة الإرهاب نظراً للتطور العلمي والتكنولوجي (١).

وعلى الرغم من شيوع استخدام مفهوم الإرهاب على نطاق واسع، إلا أنه لا يوجد تعريف مُتفق عليه لهذا المفهوم سواء على المستوى الدولي أو المستوى العلمي، ويعود هذا إلى اختلاف العوامل الأيديولوجية المتصلة بهذا المصطلح إضافة إلى اختلاف البنى الثقافية، أي أن ما يُعدّ عملاً إرهابياً من وجهة نظر دولة أو مجتمع معين ليس بالضرورة أن يكون كذلك في نظر دولة أخرى (٢).

ومفهوم الإرهاب في "اتفاقية جنيف" ١٩٣٧ الخاصة بمنع وقمع الإرهاب، جاء في إطار واحد يفيد أن الإرهاب هو إرهاب الأفراد الموجه ضد الدولة، وتميزت الاتفاقية بأنها حددت جرائم بعينها، كي تُعتبر إرهاباً في المادة الأولى، عرّفت الإرهاب بأنه "الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة والتي يكون من شأنها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من الناس أو لدى الجمهور" (٣).

وقدّم عدد من الباحثين المتخصصين في علم السياسة، اجتهادات جادة في سبيل وضع تعريف محدد لمفهوم الإرهاب؛ ففي كتاب "الإرهاب السياسي" قام "أليكس شميدت" بمراجعة مائة تعريف للإرهاب وضعت من قبل خبراء وباحثين في هذا المجال وخلص إلى وجود عناصر مشتركة بين هذه التعريفات، منها: أنه مفهوم تجريدي بدون جوهر، ولا يكفي تعريف واحد لحصر جميع استخدامات هذا المفهوم، كما أن العديد من التعريفات المختلفة يشترك في عوامل عامة، وأن معنى الإرهاب مستمد من الضحية المستهدفة.

ويُعرّف "بريان جنكيز" الإرهاب بأنه "يمكن أن يستند إلى مجموعة من الأفعال المعينة، التي يُقصد بها أساساً إحداث الرعب والخوف". كما يُعرّف "إريك موريس" الإرهاب بأنه "استخدام أو التهديد باستخدام عنف غير عادي وغير مألوف لتحقيق غايات سياسية. وأفعال الإرهاب عادةً ما تكون رمزية لتحقيق أثر نفسي أكثر منه مادي (٤).

ومن ثمّ يجب ألا نقف فقط عند مفهوم الإرهاب الذي يمارسه الأفراد، أو بعض المجموعات، بل يتوجب أن يتسع معنى الإرهاب، ليشمل "إرهاب الدولة"، حتى لا يكون هناك ازدواجية في تعريف المفهوم، فما تقوم به إسرائيل -على سبيل المثال- لا يوصف إلا بإرهاب دولة ضد شعب أعزل يدافع عن حقه في تقرير مصيره.

٢. أسباب الإرهاب ودوافعه:

تختلف أسباب العمل الإرهابي ودوافعه باختلاف نوع العمل وممن صدر (فرد أو جماعة أو دولة)؛ وتأتي هذه الأسباب والدوافع متعددة ومتباينة، ويمكن تقسيم هذه الدوافع والأسباب إلى: دوافع شخصية، وأخرى مجتمعية.

أولاً: الدوافع والأسباب الشخصية:

تتنوع الدوافع الشخصية التي تدفع الإرهابي إلى ارتكاب جريمته لتحقيق هدف شخصي، أو بسبب عامل يتعلق بشخصيته، وهذه الدوافع هي دوافع نفسية، وسياسية، وإعلامية.

أ- الدوافع النفسية

فالبناء السيكولوجي للفرد يلعب دوراً مهماً في تفاعله مع مجتمعه، وقد أظهرت الدراسات ذات الصلة أن النمو الجسدي

والعقلي والانفعالي المضطرب والبيئة الاجتماعية غير السليمة لها علاقة مباشرة بالعمل الإرهابي، كما ترى بعض الدراسات أن القائمين بالعمل الإرهابي تجمع بينهم خصائص متماثلة، كالتفولة المضطربة، والانتواء على النفس، والعلاقات المضطربة في الأسرة خاصة مع الوالدين، والانتطاع عن الأصدقاء(٥).

ب- الدوافع السياسية

ففي كثير من الأحيان يكون دافع العمل الإرهابي سياسياً، للفت نظر الجهة المستهدفة من هذا العمل، وفي الغالب تأتي الدوافع السياسية لأسباب، منها: ما تمارسه بعض الأنظمة ضد مواطنيها؛ من فرض سياسات غير عادلة، وتهميش المواطن، وانتهاك حقوقه وحرياته، بما يشعره بالكبت والقهر السياسي، وأنه مُهمَل لا دور له.

كما أن الرغبة في حق تقرير المصير للشعب المحتل، قد يدفع الأفراد لعمل بعض الأعمال الإرهابية لتخليص الوطن من المحتل الأجنبي، الذي يمارس الاضطهاد. والقهر(٦)

ج- الدوافع الإعلامية

نتيجة للتطور التكنولوجي في وسائل الاتصال، والتواصل الاجتماعي، في نشر الأخبار والوقائع فور حدوثها، نجد أن من دوافع العمل الإرهابي لفت أنظار الرأي العام العالمي إلى قضية من القضايا، لجذب الانتباه لإيجاد نوع من التعاطف مع القائم بالفعل الإرهابي، ووسائل الإعلام هي الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها يستطيع الإرهابيون طرح شروطهم ومطالبهم وأرائهم وشرح قضاياهم. وهذا ما قام به بن لادن والظواهري في تنظيم القاعدة، وأبو بكر البغدادي في تنظيم الدولة الإسلامية أخيراً.

بل تطور الأمر إلى إنشاء قنوات فضائية، ومواقع إلكترونية باستخدام أحدث أدوات التكنولوجيا في التصوير، كما حدث في إعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة حرقاً، وإعدام مجموعة من المصريين في ليبيا ذبْحاً.

إضافة إلى ذلك، فإن الإعلام من خلال نقله للأحداث يُسهم في إظهار بعض الإرهابيين بمظهر الأبطال؛ مما يدفع إلى تقليدهم والسير على طريقتهم، وهذا ما حدث أيضاً من تحمُّس الآلاف من الشباب للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لرؤيتهم من خلال الإعلام أنهم يحققون مكاسب على الأرض، ناهيك عن الظلم الواقع عليهم من أنظمتهم المستبدة.

ثانياً: الدوافع المجتمعية

وهي الدوافع التي يكون للمجتمع الذي يعيش فيه مرتكب العمل الإرهابي دور كبير في دفعه إلى الإرهاب، ويمكن تقسيم هذه الدوافع إلى: دوافع اقتصادية، ودوافع اجتماعية، ودوافع تاريخية، ودوافع إثنية، ودوافع أيديولوجية.

أ- الدوافع الاقتصادية

فالحاجة والفقر والعوز الاقتصادي، قد يكون له آثار سلبية على البناء المجتمعي، بما يوِّلد سلوكاً عدائياً ضد المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، ومن أبرز هذه المشاكل: التخلف الناتج عن السياسات الاقتصادية غير الملائمة للواقع الاجتماعي للدولة، بحيث تتكون فجوة تتسع تدريجياً بين الفقراء والأغنياء، وسوء توزيع الثروة والموارد اللازمة للتنمية وتوفير الحاجات الأساسية للناس؛ مما يفرز خللاً في العدالة الاجتماعية، وظلماً لقطاعات كبيرة من السكان، وهذا يؤدي إلى خلق حالة من النقمة والغضب على فئات من المجتمع، قد يصحبه ردّة فعل بارتكاب عمل إرهابي معين.

ب- الدوافع الاجتماعية

فالأسرة المفككة التي يسودها الجهل والمشاكل الأسرية، تؤدي إلى ضعف الرقابة على الأبناء، وتترك آثاراً سلبية في نفوسهم، وبالتالي تسهم في انحرافهم، واستغلالهم من قبل بعض المجموعات الإرهابية. كما يُسهم ضعف دور المدرسة في التربية والتنشئة السليمة، وافتقار لغة الحوار والتفاهم، إلى ممارسات خارجة عن النظام والتقاليد الاجتماعية. وسوء التخطيط، وانتشار المساكن والأحياء الشعبية، وعدم توفر الحد الأدنى للمعيشة، يدفع الشباب إلى الشعور بالقهر الاجتماعي، ومن ثمّ يدفعهم إلى الانحراف وارتكاب الأعمال الإرهابية.

ج- الدوافع التاريخية

قد تُتخذ الحوادث التاريخية التي حدثت في فترة زمنية بعيدة سبباً من الأسباب الدافعة لارتكاب العمل الإرهابي، ومن الأمثلة على ذلك الأعمال الإرهابية التي قام بها جيش التحرير الأرمني ضد تركيا، انتقاماً للمذابح التي حدثت للأرمن إبّان العهد العثماني، وكذلك ما قامت به إسرائيل من أعمال إرهابية ضد القادة الألمان في العهد النازي، وتتبعهم أينما كانوا واختطافهم ومحاکمتهم لادعائها باضطهاد النازيين لليهود، ومن الأمثلة على ذلك اختطاف "أدولف أتو إيمان"*(٧) عام ١٩٦٠ من قبل عملاء الاستخبارات الإسرائيلية "الموساد" ونقله من الأرجنتين إلى القدس حيث جرت محاكمته وإعدامه هناك(٧).

د- الدوافع الإثنية

فحينما تسيطر النزعة العرقية على السلطة الحاكمة، وتمارس التمييز العنصري ضد شعبيها، وخصوصاً إذا كان متنوع الأعراق، تلجأ بعض الجماعات إلى ممارسة العنف والإرهاب ضد الجماعة الأخرى الأقل قوة بهدف إخراجهم من ديارهم. كما حصل في البوسنة والهرسك وكوسوفا من قبل الصرب، وكما حصل في جنوب إفريقيا من تمييز عنصري من قبل الحزب الوطني الذي تسلّم السلطة عام ١٩٤٨، ومارس سياسة التمييز العنصري، والتي مفادها أن على كل مجموعة عرقية من المجموعتين الرئيسيتين في البلاد أن تتطور مستقلة عن الأخرى، وفقاً للإمكانيات والخصائص التي تتمتع بها وفي مناطق جغرافية منفصلة بعضها عن بعض؛ فالأقلية البيضاء حاولت الاحتفاظ بالامتيازات التي تسمح لها بالتطور والنمو مما أدى إلى تفاوت شاسع في الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين المجموعتين(٨).

ه- الدوافع الأيديولوجية

قد يدفع التعصب لمبدأ فكري أو ديني إلى اللجوء إلى استعمال العنف وممارسة الإرهاب من قبل فئة معينة تحاول فرض مبادئها التي تؤمن بها على المجتمع الذي تعيش فيه، وربما تسعى تلك الفئة إلى محاولة الوصول إلى السلطة لتسهيل نشر تلك المبادئ وتطبيقها، ومن أمثلة ذلك: الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية، والصراع بين البروتستانت والكاثوليك لأسباب دينية، وبين الهندوس والمسلمين في الهند، كما يتمثل ذلك في تبني بعض الجماعات التي يُطلق عليها أحياناً الجماعات الأصولية رفض الثقافات والحضارات الأخرى، ومقاومة الاتصال الثقافي بين الحضارات المختلفة(٩).

٣. الإرهاب ظاهرة عالمية

أصبح من المعتاد أن يُفخَم الإسلام في النقاش والجدل بطريقة أو بأخرى كلما وقع عمل إرهابي في أي مكان في العالم، أو فلنقل: في معظم الأعمال الإرهابية لكي نكون أكثر دقة. يحدث هذا الأمر حتى ولو لم يكن الفاعل مسلماً، لأن أصابع الاتهام والشكوك باتت توجّه بطريقة تلقائية نحو المسلمين، حتى قبل أن تتضح هوية الجاني وتُعرف دوافعه(١٠).

ومن المعروف أن أوروبا نفسها قد عانت الإرهاب الداخلي في النصف الثاني من القرن العشرين، كما حدث في أيرلندا وإقليم الباسك في إسبانيا، ولم تسلم الولايات المتحدة الأميركية نفسها من الإرهاب الداخلي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١، كما شهدت الساحة العالمية أعمالاً إرهابية أخرى في أماكن مختلفة، منها على سبيل المثال: إطلاق الغازات السامة في مترو الأنفاق في اليابان، ومقتل رابين في إسرائيل، وهدم المسجد البابري في الهند على أيدي المتطرفين الهندوس، وغيرها كثير(١١).

على ذلك يتّضح أن الإرهاب قد تمارسه مؤسسات وأحزاب وطوائف وعرقيات وحكومات وأفراد(١٢)، ومن يُقصره على ديانة خاصة أو طائفة أو حكومة أو عرق، يتعد عن الواقع والحقيقة.

ومن تلك النماذج الكاشفة في التاريخ القديم والحديث:

١. إعدام أكثر من مليون مسيحي مصري على أيدي الاحتلال الروماني لمصر قبل الفتح الإسلامي.
٢. إبادة ٧٠ ألف مسلم بالقدس عندما اجتاحتها الجحافل الصليبية بعد أن وعدهم القائد الصليبي بالعمو إن استسلموا ثم غدر بهم!! في المقابل عفا صلاح الدين الأيوبي عن الصليبيين عندما فتح القدس.
٣. الإبادة الجماعية لعشرين مليون مسلم على يد جوزيف ستالين.
٤. إحراق روما على يد الطاغية نيرون.
٥. ضرب بغداد وأفغانستان وفيتنام باليورانيوم الناضب، وقصف المستشفيات والمدارس ومراكز توزيع الخبز والمياه وغيرها من أماكن تجمّع المدنيين بالعراق وأفغانستان مما نتج عنه استشهاد مئات الألوف من المدنيين.
٦. إبادة عشرات الملايين من الأفارقة أثناء اختطافهم وتهجيرهم الإجباري من إفريقيا إلى أميركا لاستصلاح الأراضي هناك والعمل في مزارع السادة البيض.. وكان جزء من يتمرّد على الرّق والتعذيب وإهدار الأدمية هو الإعدام فوراً بلا تحقيق أو محاكمة من أي نوع!!
٧. الحربان العالميتان الأولى والثانية، نجم عنهما مصرع ما يتراوح بين ٦٠ إلى ١٠٠ مليون شخص، والمذابح المروعة المتبادلة بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا كذلك.

٨. ضرب مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين بالقنبلة النووية بواسطة طائرات أميركية ومصرع ربع مليون شخص وإصابة ملايين آخرين بالسرطان بسبب الإشعاع.

٩. مذابح دير ياسين وصابرا وشاتيلا ومدرسة بحر البقر وملجأ قانا وإعدام عشرات الألوف من الأسرى المصريين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ علي أيدي العصابات الصهيونية.

١٠. قتل ٢٥٠ ألف مسلم بوسني علي أيدي الصرب والكروات، وعشرات الآلاف من الشيشان علي أيدي الروس (١٣).

وبالتالي فإن محاولات بعض الأنظمة الدولية التنصل من ظاهرة الإرهاب وتحميلها جهة دون أخرى، يجافي الواقع والحقيقة، فالتاريخ السياسي الحديث يشير إلى عمق المشكلة، فمن خلال تتبع بؤر التوتر والصراع في العالم، نجد أنه لا يمكن محاصرة تلك الظاهرة مع وجود تلك البؤر، فالمجتمع الدولي يتغاضى عما يحدث من انتهاكات للشعب الفلسطيني علي أيدي الإسرائيليين، وبدعم كامل من الولايات المتحدة الأميركية، والحروب الأهلية التي تحركها الأقليات العرقية والطائفية، في أماكن مختلفة من العالم، ومحاوله اللعب بورقة السنّة والشيعه، والسماح بالتدخل في شؤون الدول، كل تلك المشاكل التي تتحرك ذاتياً تارة، وتتدخلات خارجية تارة أخرى، تُعدُّ بؤر توتر تساهم في انتشار ظاهرة الإرهاب.

خاتمة:

اختلفت التفسيرات والدوافع التي أدت إلى تنامي ظاهرة الإرهاب بين من يؤكد أن حالات التنافس والصراع الدولي ساعدت في تغذية ونمو هذه الظاهرة، وبين من يذهب إلى أن الإرهاب ظاهرة طبيعية يمكن أن تظهر في أي مجتمع متأثراً بعوامل مختلفة منها: البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأيدولوجية، ومن ثمَّ لا بد من الوقوف عند بعض الحقائق التي تساعد على فهم الظاهرة واستجلاء أسبابها، ومن ثمَّ إيجاد الحلول لها.

...لقد أصبح "الإرهاب الإسلامي" ظاهرة تشمل كل الجغرافيا العالمية (ظاهرة عابرة للحدود)، وشغلا شاغلا لكل الدول، لأنه يهدد القيم النبيلة التي راكمتها التجربة الإنسانية عبر مراحلها التاريخية، وهكذا أصبحنا ملزمين بالمقاربة العقلانية النقدية التي تتباعد عن الإجابات الجاهزة والسطحية، وتنحو نحو استنطاق "المسكوت عنه" و "اللامفكر فيه" والمستحيل التفكير فيه" بلغة محمد أركون، وطرح الأسئلة الأكثر عمقا المزعزعة لكل العواطف والأحاسيس الراسخة في الذات الإسلامية، وإن ما تعيشه مجتمعاتنا هو حالة مأساوية يطبعها الإرهاب بكل صورته وتجلياته، فكيف نخرج من هذا المستنقع الحارق والمحرق والمميت؟

الهوامش والمراجع

- (١) عز الدين، أحمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي، (دار الحرية، القاهرة ١٩٨٦)، ص ٨٦.
- (٢) مسعد، نيفين عبد المنعم، الدليل العربي، حقوق الإنسان والتنمية، دليل المفاهيم والمصطلحات (الرابط : http://www.arabhumanrights.org/dalil/ch_9.htm)
- (٣) راجع المادة الأولى من اتفاقية جنيف الخاصة بمنع وقمع الإرهاب لعام ١٩٤٧، الإرهاب في المواثيق الدولية، الرابط: <http://www.altayar-consultants.com/Study.aspx?id=٦&language=en>
- (٤) عبد الحلیم، أميرة، الإرهاب كظاهرة ومفهوم، الأهرام الرقمي، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٩، الرابط: <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=٩٦٣١٧&eid=١٢١>
- (٥) حلمي، نبيل أحمد، الإرهاب الدولي وفقاً للسياسة الجنائية الدولية، (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨)، ص ٢٣.
- (٦) لا تعتبر العمليات الموجهة ضد المحتل عمليات إرهابية خاصة إذا كانت موجهة ضد غير المدنيين، كما هو الحادث في فلسطين على سبيل المثال.
- (*) هو ضابط كبير بالبوليس السري الألماني النازي عاش بعد الحرب العالمية الثانية في الأرجنتين تحت اسم مستعار، اتهمه الإسرائيليون بقتل عدد كبير من اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، خطفه الموساد وحوكم في إسرائيل بتهمة الإبادة الجماعية وأعدم عام ١٩٦٢.

- (٨) جارودي، روجيه، الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، (دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٩)، ص ٣٤.
- (٩) العكرة، أدونيس، الإرهاب السياسي، (دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣)، ص ١٣٦.
- (١٠) العموش، أحمد فلاح، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، ضمن أعمال ندوة تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض ١٩٩٩، ص ٩٨.
- (١١) ميرغني، عثمان، الإسلام في قفص الاتهام، صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ١٨ شوال ١٤٣٣ هـ - ٥ سبتمبر/أيلول ٢٠١٢، العدد ١٢٣٣٥،
- الرابط <http://m.aawsat.com/content/١٣٤٦٧٩٤٧٢٢٧٥٩٩٦٦٨٠٠/opinion> :
- (١٢) نصار، جمال، نظرات في الفكر والسياسة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ٢٢٥
- (١٣) لمعرفة المزيد عن واقع التنظيمات الإرهابية وانتشارها في العالم يمكن الرجوع إلى موسوعة مقاتل على الرابط http://www.moqatel.com/openshare/behoth/siasia2/erhab/sec٠٤.doc_cvt.htm :
- (١٤) شفيق، حمدي، الإرهاب بضاعة الغرب، صيد الفوائد، الرابط <http://www.saaaid.net/ahdath/٦٧.htm> :
- (١٥) قماوي، لبيب، الإرهاب: الحقيقة المُرّة؟، موقع رأي اليوم، ١٩ يناير/كانون الثاني ٢٠١٥، الرابط: <http://www.raialyoum.com/?p=٢٠٦٨٩٩>
- (١٦) صيام، عبد الحميد، مانيفستو حول جدلية العلاقة بين العنصرية والإرهاب: دعوة للحوار، موقع القدس العربي، ١٥ يناير/كانون الثاني ٢٠١٥، الرابط <http://www.alquds.co.uk/?p=٢٨٠١٩٥> ،

الفهرس
